



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

## الاتجاه التوافقي

بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة

الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح انموذجاً

اطروحة تقدمت بها

معالي هاشم علي أبو المعالي

الى مجلس كلية التربية للبنات - جامعة بغداد -

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ المساعد

الدكتورة بان صالح مهدي الخفاجي

تشرين الاول ٢٠١٤ م

نو الحجة ١٤٣٥ هـ

The Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Baghdad

College of Education for Women



**Coherent Direction between  
The Cultural Linguistics and the Contemporary Linguistics  
Professor Abed AL – Haaj Salah as an Example**

**ADissertation By**

**Maali Hashem Ali Abo AL – Maali**

**Submitted to the council of the college of Education for  
Women in Paital**

**Fulfillment Of the Pequirements for the Degree P.h.d of  
philosophy in Arabic Language and Literaues**

**Supervised by**

**Dr. Ban Salah Al - Hafaj**

**2014m**

**1435h**

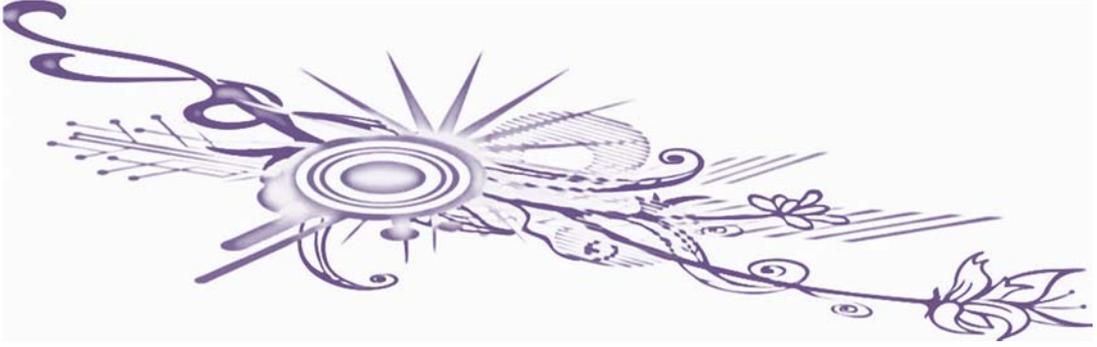
# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
 شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ  
 تَشْكُرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النحل: الآية (٧٨).

## الإهداء



إلى والديّ الكريمين ...  
عرفاناً بعبائكما الكبير و امتناناً لنبلكما العظيم ...  
فهذا نزر يسير من غرسكما الكثير...  
و إلى زوجي الغالي ...  
رفيق دربي ...  
و سكن روحي و أمانها ...  
سندي و ذخري في الحياة ...  
وفاءً و تقديراً لتلك الرعاية الطيبة ...  
و إلى زين العابدين ...  
فلذة الكبد ...  
قرة عيني ... و نسمة روحي ...

الباحثة

## شكر وامتنان



من باب العرفان بالفضل وطيب الصنع أن أفتتح عملي بكلماتِ شكرٍ وامتنانٍ لكلِّ من له فضلٌ عليّ، فقد منَّ الله عليَّ أن يسرَّ وهياً من أعان ونصح وسدّد، فكان حتماً عليَّ أن أشكر لأهلِ التفضّل تفضلهم، ولأهلِ العونِ والمساعدةِ عونهم مساعدتهم، اعترافاً بفضلِ الله - عزّ وجلّ - أولاً فهو الميسّر والمهيّئ، ولأفضالهم التي أحاطتني بطوقِ العرفانِ بالجميل، والشكر أقلُّ ما أقدمه.

وأولُّ من أتوجّه إليه بشكري الجزيل وامتناني المتواصل، هو أستاذي ومعلمي الجليل والأب الروحي الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، الذي أشار عليّ بهذه الدراسة، فضلاً عن قبوله الإشراف على هذه الاطروحة في مراحلها الأولى، وعلى ما قدّمه من نصّح وإسناد طوال مدة إعدادي لعملي هذا، فكان يوجّهني كلما رأيته عن الجادة، وكان يحثني على البحث والتقصي، ويبصّرني بكثيرٍ مما خفي عليّ، وتفضّل عليّ بأن أدنى مجلسي منه، ولم يضمن عليّ بوقته الثمين، ولا برأيه السديد، فكان نعم الأستاذ والأب، وهذا ليس بغريبٍ فهذا ديدن العلماء، فله مني الشكر الجزيل والامتنان العميق جزاءً الله خيراً، وأمدّ في عمره .

وأتوجه بالشكر المتواصل إلى الدكتورة بان صالح الخفاجي التي أكملت ما بدء به أستاذنا الدكتور كريم حسين الخالدي، إذ كانت متابعة لي وموجهة، فلها مني جزيل الشكر لما أبدته من توجيهات علمية قيّمة ، فجزاها الله عني خير الجزاء و أحسنه و نفع الله بعلمها .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الفاضلين في قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات في جامعة بغداد، وأخص بالذكر الدكتورة خديجة زيار الحمداني لسعة صدرها وتوجيهاتها العلمية القيّمة والسديدة ، والدكتورة ولاء صادق ، ورئيس قسم اللغة العربية الدكتورة عواطف محمد حسن لما أبدته من عون ومساعدة ، والأخ والزميل الدكتور كريم عبيد علوي .

وأ تقدّم بشكري وامتناني إلى الأخ والزميل المحترم الدكتور حازم عدنان أحمد وعائلته الكريمة الذي لم يدخر وسعاً ولا جهداً في سبيل إخراج الاطروحة بصورتها النهائية فله جزيل الشكر وأعلى الله درجته.

وأتوجه بخالص شكري وامتناني إلى الأساتذة الفاضلين، لجنة المناقشة وأعضائها الذين سيتفضلون بمناقشة الاطروحة ورفدها بملاحظاتهم وتقويم اعوجاجها فجزاهم الله خير الجزاء . وأسأل الله العليّ القدير أن يبارك لكلِّ من ساعدني مكثرًا أو مُقلًا يجزيهم عني خير الجزاء .

# المحتويات

رقم الصفحة	اسم الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ت	شكر وامتنان
١ - ٥	المقدمة
٢٨ - ٦	<b>التمهيد</b>
٨ - ٦	أولاً : نبذة عن حياة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح و نشأته الفكرية
٢٨ - ٩	ثانياً : اللسانيات والاتجاه التوافقي - قراءة تعريفية
١٠٦ - ٢٩	<b>الفصل الأول : التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين</b>
٢٩	توطئة
٤١ - ٣٠	المبحث الأول : إشكاليات درس اللساني العربي الحديث
٣٣ - ٣٠	(١) المشكلات المنهجية و المعرفية في الكتابة اللسانية العربية
٣٦ - ٣٣	(٢) إشكالية الترجمة
٣٨ - ٣٧	(٣) إشكالية توحيد المصطلح
٤١ - ٣٨	(٤) الفهم غير الصحيح للتراث العربي
٤١ - ٤٠	مقترحات تطوير وتلافي الإشكاليات في درس اللساني العربي الحديث و ربطه بالدرس اللغوي العربي القديم
٦٩ - ٤٢	<b>المبحث الثاني : أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين</b>
٥١ - ٤٣	(أ) أصول وصفية بنيوية في التراث اللغوي العربي
٥٦ - ٥١	(ب) أصول توليدية تحويلية في التراث اللغوي العربي
٦٩ - ٥٦	(ج) أصول وظيفية تداولية في التراث اللغوي العربي
١٠٦ - ٧٠	<b>المبحث الثالث : اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين</b>
٨٣ - ٧٠	(أ) اتجاه القراءة الشمولية
١٠٠ - ٨٣	(ب) اتجاه القراءة القطاعية
١٠٦ - ١٠٠	(ج) اتجاه قراءة النموذج الواحد
١٩٢ - ١٠٧	<b>الفصل الثاني : النظرية الخليلية الحديثة</b>
١٠٧	توطئة
١١٤ - ١٠٨	المبحث الأول : النشأة و المفهوم
١٥١ - ١١٥	المبحث الثاني : المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة
١٢٢ - ١١٦	(١) مفهوم الاستقامة
١٢٧ - ١٢٢	(٢) مفهوم الانفراد أو (الانفصال و الابتداء)
١٣١ - ١٢٧	(٣) مفهوم الموضع و العلامة العدمية
١٣٦ - ١٣١	(٤) مفهوم العامل
١٤٠ - ١٣٧	(٥) مفهوم الأصل و الفرع
١٤٢ - ١٤٠	(٦) مفهوم الباب

١٤٤ - ١٤٢	٧) مفهوم المثال
١٥١ - ١٤٤	٨) مفهوم القياس
١٦٦ - ١٥٢	المبحث الثالث : النظرية الخيلية الحديثة وعلاقتها بالتيسير النحوي
١٦٤ - ١٥٩	مشكلات تدريس وتعليم مادة النحو
١٦٠ - ١٥٩	أ) ما يخص المعلم و المتعلم وتحليل الاحتياجات
١٦٢ - ١٦١	ب) الانتقاء والترتيب والعرض
١٦٣ - ١٦٢	ج) المادة اللغوية المختارة
١٦٤ - ١٦٣	د) تعليم النحو والوسائل التربوية
١٦٦ - ١١٦٤	مبادئ تيسير النحو وتجديده وتعليمه
١٩٢ - ١٦٧	المبحث الرابع : منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل الخطاب التراثي
١٦٨	مفهوم المنهج
١٧٠ - ١٦٨	مفهوم الخطاب
١٧٢ - ١٧٠	أنواع الخطاب في النظرية الخيلية الحديثة
١٧٠	أ) الخطاب العلمي
١٧٠	ب) الخطاب اللساني
١٧١	ج) الخطاب التربوي
١٧٢ - ١٧١	د) الخطاب التراثي
١٧٦ - ١٧٢	آليات تحليل الخطاب العلمي
١٧٤ - ١٧٢	١) مقومات الخطاب العلمي
١٧٦ - ١٧٤	٢) مستويات تحليل الخطاب العلمي
١٨٥ - ١٧٦	تحليل الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
١٨٢ - ١٧٦	١) من حيث الموضوع
١٨٥ - ١٨٢	٢) من حيث المنهج
١٩٢ - ١٨٥	بنية الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
١٨٧ - ١٨٥	١) العنوان
١٨٨ - ١٨٧	٢) المقدمة
١٩٢ - ١٨٨	٣) الطرح العام
٣٤٣ - ١٩٣	الفصل الثالث : اللسانيات النظرية
١٩٤ - ١٩٣	توطئة
٢٣٠ - ١٩٥	المبحث الأول : المستوى الصوتي
٢٠١ - ١٩٨	أولاً : الجانب الصوتي الفيزيائي و الفيزيولوجي للكلام
٢١٣ - ٢٠١	ثانياً : الجانب الفوناتيكي و الفونولوجي للكلام اللغوي
٢٠٣ - ٢٠١	• الفوناتيكي (phonetics)
٢٠٧ - ٢٠٣	- مخارج الحروف العربية
٢١٣ - ٢٠٧	- صفات الحروف
٢٠٨	١) الجهر و الهمس
٢١٠ - ٢٠٩	٢) الشدة والرّخو وما بينهما
٢١١ - ٢١٠	٣) الإطباق
٢١٣ - ٢١١	٤) اللين
٢٣٠ - ٢١٣	• الفونولوجيا (phonology)

٢١٦-٢١٤	أولاً : مفهوم الحرف
٢١٩-٢١٦	ثانياً : مفهوما الحركة والسكون
٢٢٢-٢١٩	ثالثاً : المقطع الصوتي ( Syllable )
٢٢٤-٢٢٢	رابعاً : التنوع الصوتي (Variante phonetic)
٢٣٣ -٢٣٢	(١) تنوع حر (Variante Libre)
٢٢٣	أ.تنوع لهجي (Variante Dialectate)
٢٢٤	ب. تنوع فردي (Variante Individuelle)
٢٢٣	(٢) تنوع تركيبى (Variante Combinatoire)
٢٣٠-٢٢٤	خامساً : ظواهر صوتية متنوعة
٢٢٧-٢٢٥	أ. ظاهرة الإبدال
٢٢٨-٢٢٧	ب. ظاهرة الإدغام
٢٢٩ -٢٢٨	ج. ظاهرة الإمالة
٢٣٠-٢٢٩	د. ظاهرتا تحقيق الهمزة و تخفيفها
٢٩٨- ٢٣١	<b>المبحث الثاني : المستوى النحوي التركيبى</b>
٢٥٨-٢٣١	أولاً : منهجه في دراسة المستوى النحوي
٢٤٩-٢٣٢	(١) إثبات أصالة النحو العربي
٢٣٩-٢٢٤	أ. شبهات تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي و أدلة إبطالها
٢٤٢ -٢٣٩	ب. آراء بعض المستشرقين والمعاصرين العرب في تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي
٢٥٠ -٢٤٢	ج. دخول المنطق للنحو العربي
٢٥٨-٢٥٠	(٢) أصول النحو العربي
٢٥٦- ٢٥١	أ. السماع
٢٥٢	• النصوص المحفوظة
٢٥٣- ٢٥٢	• النصوص الحرة العفوية
٢٥٦ -٢٥٣	• مقاييس الصحة لمحتوى المسموع
٢٥٥ -٢٥٣	١. المقاييس العامة
٢٥٦- ٢٥٥	٢. مناهج توثيق النصوص عند النحاة العرب و تحقيقها
٢٥٨- ٢٥٦	ب. القياس
٢٧١- ٢٥٨	<b>ثانياً : النحو العربي واللسانيات البنوية</b>
٢٦٢- ٢٦١	• الدال و المدلول
٢٦٢	• اللسان والكلام
٢٦٣	• الزمانية والأنية
٢٦٥- ٢٦٣	- الاتفاق بين النحو العربي واللسانيات البنوية
٢٦٩ -٢٦٦	- الاختلاف بين النحو العربي واللسانيات البنوية
٢٩٨- ٢٧١	<b>ثالثاً : نظرية العمل العربية</b>
٢٩٠ - ٢٧٤	• مفاهيم الربط العاملي
٢٨٤ - ٢٧٤	(١) البناء
٢٨٩ - ٢٨٤	(٢) الحمل
٢٩٠ - ٢٨٩	(٣) الإجراء
٢٩٨ - ٢٩٠	• مبدأ التبعية النحوية والجملة في الدرس النحوي

٣٤٣ - ٢٩٩	المبحث الثالث : المستوى الدلالي و التداولي
٣١١ - ٣١٠	• الوضع و الاستعمال
٣١٩ - ٣١١	• الإسناد ومبدأ الإفادة وعلاقتها بالتداولية
٣٣١ - ٣٢٠	• المقاصد التداولية لبعض الظواهر النحوية
٣٤٣ - ٣٣١	• علاقة البلاغة بالتداولية
٣٩٦ - ٣٤٤	<b>الفصل الرابع : اللسانيات التطبيقية</b>
٣٤٤	توطئة
٣٥٩ - ٣٤٥	المبحث الأول : المعجمية الوظيفية
٣٥٥ - ٣٤٧	• التفكير الرياضي عند الخليل
٣٥٦ - ٣٥٥	• الذخيرة اللغوية العربية ودورها في صناعة المعجم
٣٥٩ - ٣٥٦	• مزايا الذخيرة اللغوية
٣٧٤ - ٣٦٠	المبحث الثاني : المصطلح والترجمة
٣٦١ - ٣٦٠	• بين المصطلح واللسانيات
٣٦٣ - ٣٦١	• الترجمة والمصطلح
٣٧٤ - ٣٦٣	المصطلح اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
٣٦٩ - ٣٦٤	أ. الترجمة
٣٦٦ - ٣٦٥	١. طبيعة الترجمة
٣٦٩ - ٣٦٦	٢. المصطلح المترجم
٣٧٤ - ٣٦٩	ب. إحياء المصطلح التراثي
٣٩٦ - ٣٧٥	المبحث الثالث : اللسانيات الحاسوبية
٣٧٦ - ٣٧٥	• التعريف باللسانيات الحاسوبية
٣٨١ - ٣٧٦	• اتجاهات البحث والتأليف في اللسانيات الحاسوبية
٣٩٦ - ٣٨٢	• حوسبة التراث اللغوي العربي
٣٨٤ - ٣٨٣	١. المستوى الصوتي
٣٩٦ - ٣٨٤	٢. المستوى النحوي
٣٩٤ - ٣٨٥	• ظاهرة الإطالة
٣٩٤ - ٣٨٦	١. الإطالة الإندراجية
٣٩٤	٢. الإطالة التدريجية
٣٩٦ - ٣٩٤	• المعالجة الآلية من خلال الثنائيات اللغوية
٣٩٥ - ٣٩٤	١. ثنائية القياس والسماع
٣٩٥	٢. ثنائية الأصل والفرع
٣٩٦ - ٣٩٥	٣. ثنائية العلاقات العمودية والأفقية
٣٩٦	٣. المستوى المعجمي
٤٠٢ - ٣٩٧	الخاتمة والنتائج
٤١٩ - ٤٠٣	المصادر والمراجع
	ملخص الاطروحة باللغة الانجليزية

# المَقَدِّمَةُ

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين ، وبعدُ ؛

فمنذ أن خضع اللسان العربي للدراسة والتحليل، وهو يجد على مرّ الأزمنة والأعوام من يخدمه ويحتفي به، بالكشف عن مخبئه تارةً، وتجديد ما اندرس من معالمه تارةً أخرى .

وإنه لمن المجازفة - أحياناً - أن نقرأ التراث العربي عامةً واللغوي خاصةً في ضوء ما استُحدث من مناهج ونظريات؛ ذلك أنّ التراث نما في تربةٍ غير التربة التي عهدناها، فالبيئة التي كان يعيشها علماءنا العرب القدماء تختلف عن بيئتنا، إلا أنّ الأمر يرتبط هنا بموضوع اللغة، واللغة العربية - كغيرها من اللغات - نظامٌ خاص وأداة اتصال وتعبير، وهي أيضاً لغة القرآن الكريم، وهو ما ميّزها بكثيرٍ من الدراسات والأبحاث التي مسّت كل مستوياتها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وعي أهلها، ومحاولاتهم الجادة لكشف قوانين عملها .

إنّ دراسة اللغة ليست بالأمر الجديد عند العرب ، ومع ذلك فإنّ الجدة التي أضافتها اللسانيات، متمركزةً في المناهج التي اقترحتها .

إنّ وجود الأصل ، ثم اقتراح البديل أمرٌ ليس من السهل تقبله في الدرس اللغوي العربي، وهذا أدى إلى ظهور موجة من الصراع القائم بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة. وهكذا تقيّد العمل اللساني العربي المعاصر بمجالٍ يغلقه بعض الباحثين على التراث ويفتحه على اللسانيات ، ويفتحه بعضهم على التراث ويغلقه على اللسانيات ، ويفتحه آخرون على التراث واللسانيات معاً .

ويشير غير واحد من الباحثين العرب المحدثين - منهم الدكتور كريم حسين الخالدي و الدكتور حسن خميس الملح و الدكتور نعمان بوقرة و الدكتور بشير ابرير و الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري - إلى أنه يمكن إيجاد منهج جديد مميّز تنبأه جمعٌ من اللسانيين العرب ، وذلك باستيعاب علوم اللسان الحديثة في الغرب وفهمها وتمثلها، وسير أغوار التراث العربي اللساني، مثل ما يقوم به بعض اللسانيين في الوطن العربي منهم: الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر وأحمد المتوكل وعبد القادر الفاسي الفهري من المغرب وعبد السلام المسدي من تونس ومازن الوعر من سوريا وميشال زكريا من لبنان وغيرهم، فقد أدخل هؤلاء الباحثون الفكر اللساني العربي في حوارٍ علمي حقيقي مع الفكر اللساني المعاصر ليحدد موقعه منه، فضلاً عن أنّ هذا الحوار كفيل بدخول الباحث العربي إلى عالم الإنتاج اللساني ليصبح العرب مسهمين حقيقيين في الإنتاج اللساني العالمي طرْحاً وتطويراً ؛ لأننا نملك

فكراً لسانياً يُمكن أن نطوره، أو نطوّر جوانب منه لكي يكون طرحاً لسانياً معاصراً على المستوى العالمي.

لذا يمكننا القول: إنّه ليس عيباً أن نطّلع على ما يبده الآخرون، ولا أن نأخذ عنهم ما ناسب أصول الحداثة، غير أنّ هذا لا يبرر عزوفنا عن رصيدنا اللغوي ولا حتى المعرفي عامّة؛ ولذلك فإنّ أفضل حلّ لهذه القضية، هو تبني إتجاه توفيقى لا إفراط فيه ولا تفريط يُحافظ على أصالة تراثنا، ويُلِمّ بمبادئ المناهج الحديثة. وبذلك نتجنب سجن تراثنا الضخم ونخرجه إلى العالم، فتراثنا فكرٌ أصيلٌ، ونحن لن نثبت هذه الأصالة إلا إذا أخرجناه للعالم، ولن يفك العالم شفراته، إلا إذا استخدمنا مفاتيح القراءة المعاصرة التي يفقها الجميع.

ولمّا كان الأمر كذلك، أجمعتُ أمري، واخترت موضوع (الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة) متمثلاً بجهود الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المجال، فضلاً عن غيره من اللسانيين العرب المحدثين.

ويعود الفضل في هذا الاختيار لأستاذي الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي الذي أشار عليّ بهذه الدراسة، حينما تلمّس لديّ دوافع عدّة لخوض هذا النوع من الدراسات اللسانية المعاصرة.

وأي عمل لا يمكن أن يُنجز إلا بدوافعه، فإنّ من الدوافع التي حفزتني على اختيار هذا الموضوع، لعلّ من أهمها، النقد المرير الذي وجّه للبحوث والدراسات اللسانية التي تتخذ من الاتجاه التوافقي منهجاً في بحثها، فضلاً عن محاولة بعض الباحثين الغضّ من شأن التراث والنقليل من قيمته.

كما نمت الرغبة لديّ في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني المعاصر عن طريق التّأصيل لتراثنا اللغوي العربي، والتعرّف على أهم منطلقاته وأهدافه، ولاسيّما بعد توجيهات أساتذتنا الأفاضل وأخصّ بالذكر الدكتور كريم حسين الخالدي والدكتورة خديجة زيار الحمداني والدكتورة ولاء صادق لهكذا نوع من الدراسات والأبحاث.

وآخر هذه الدوافع غياب مقاربات لغوية بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، تتخذ من الاتجاه التوافقي منهجاً لها، إذ ما زالت هذه الدراسات تُمِلُّ ميداناً ثراً للبحث والدراسة، وتستحقّ - بحق - بذل الجهود المتعددة لإحياء تراثنا العربي عموماً واللغوي خصوصاً.

ولا أدعي أن هذه الدراسة هي الأولى حول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فقد درست إحدى الباحثات موضوع (التفكير النحوي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح)، إلا أنّها بعيدة كلّ البعد

عن موضوعي، فضلاً عن طائفة من البحوث والمقالات المنشورة في مجلات الوطن العربي ولاسيما المغرب العربي، والتي أفدت منها في دراستي .

وتعدُّ تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من التجارب النادرة والقليلة جداً في الوطن العربي، إذ اعتمد منهجاً في قراءته للتراث اللغوي العربي ، فقد تميّزت تجربته بتلاقح ثقافتين كانتا معيناً له في أعماله وجهوده، إذ أنتجت نبتة لسانية نمت وترعرعت ونضجت لتنتج ثماراً لسانية نظرية وتطبيقية . وبعد أن استكملت مقومات هذا الموضوع، جمعاً ودراسةً، وجدتُ أن طبيعة البحث تنتظم في أربعة فصول، يسبقها مقدّمة وتمهيد، ويتلوها خاتمة .

فأما المقدمة - التي نحن بصدها - فقد عرضت فيها أهداف الموضوع ودوافعه، وخطة البحث، ومنهجي فيه، ومصادره .

وقد عرضت في التمهيد جانبين، الأول: نبذة عن حياته وآثاره العلمية، و الثاني: قراءة تعريفية للسانيات - عموماً - والاتجاه التوافقي منطلقاً من منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي اختطه في تجربته، إذ ألمّ بأبعاد المشكلة المتعلقة بثنائية التراث والمعاصرة، فوجد تأثير هذه الثنائية واضحاً في منهجه، الذي امتاز بنظرة توافقية بينهما ما يلائمها بغية الخروج بنتائج دقيقة وسليمة .

وفي الفصل الأول عرضت للاتجاه التوافقي عند اللسانيين العرب المحدثين، وجاء في ثلاثة مباحث، خصصت الأول منها لإشكاليات الدرس اللساني المعاصر إذ لم تخلُ قراءة التراث من إشكاليات وعوائق، أما الثاني فقد تضمّن أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين ، فهناك من اللسانيين العرب من لا يتردد في الكشف عن أصول للمناهج والمدارس اللسانية الغربية في التراث اللغوي العربي. وتناولت في المبحث الثالث (اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين )، إذ يمكننا التمييز في التوافق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة اتجاهاتٍ عدّة لقراءة تراثنا اللغوي العربي. وأودُّ أن أشير إلى أنني اقتصرْتُ في هذا الفصل على جهود عدد من اللسانيين العرب دون سواهم ؛ وذلك لأنّ تجاربهم اللسانية فرضت نفسها في حقل الدراسات اللسانية عن طريق تبني نظرية لسانية أو اتجاه لساني معيّن ، فضلاً عن قراءتهم المتميزة للتراث اللغوي العربي ، إذ من الممكن أن ندرجهم في قائمة لسانيي التراث .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه ( النظرية الخيلية الحديثة )، إذ اقتضت طبيعة الفصل أن أقسمه على أربعة مباحث تناولت في المبحث الأول النشأة و المفهوم ، أما الثاني فقد خصصته للمفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية ، ونظريته - د. عبد الرحمن الحاج صالح - تعدُّ امتداداً مباشراً للنظرية الخيلية (الفكر الخيلي)، فضلاً عن تناولي في المبحث الثالث النظرية الخيلية وعلاقتها بالتيسير

النحوي، أما المبحث الرابع فكان منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل الخطاب التراثي عن طريق النظرية الخليلية الحديثة.

وفي الفصل الثالث تناولت فيه ( اللسانيات النظرية )، وأعني به تناول الجانب اللساني بصورة خاصة بحتة بموضوعاته وأهدافه و مناهجه . تفرع هذا الفصل على ثلاثة مباحث : الأول تناولت فيه النتاج اللساني على المستوى الصوتي، أما الثاني فتناولت فيه المستوى النحوي التركيبي، الذي انماز بإثبات أصالة النحو العربي، فضلاً عن موازنة النظرية النحوية باللسانيات الغربية ولا سيما البنوية، كما تضمن تطبيق للنظرية النحوية العربية الأصيلة ونظرية الربط العاملي لنعوم تشومسكي. أما المبحث الثالث فتناولت فيه النتاج اللساني على المستوى الدلالي والتداولي إذ انماز هذا الفصل بتوضيح العلاقة بين الدلالة والتداولية .

وخصص الفصل الرابع لدراسة ( اللسانيات التطبيقية ) وأعني بها تناول الجانب اللساني من ناحية تطبيقية، إذ جاء في ثلاثة مباحث ، أولها : المعجمية الوظيفية تناولت فيه المادة كما مثل لها د.الحاج صالح، إذ تطرق لصناعة المعاجم وعلم المفردات، فضلاً عن تناوله التفكير الرياضي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - وكيفية تطبيقه له في المعجم العربي . أما المبحث الثاني : فقد درست في ( المصطلح والترجمة ) بعدهما من العلوم التطبيقية الحديثة، إذ تطرق د.عبد الرحمن الحاج صالح إليهما وذلك عن طريق إحيائه للتراث اللغوي العربي من خلال الترجمة ووضع المصطلحات المناسبة. وفي المبحث الثالث تناولت (اللسانيات الحاسوبية )، إذ حاول د. عبد الرحمن الحاج صالح ترسيخ بعض المفاهيم العربية الأصيلة التي فيها منطوق رياضي عن طريق تطبيقها حاسوبياً، إذ تمكّن من حوسبة التراث اللغوي العربي بمستوياته كافة ( الصوتي، والنحوي، والمعجمي ) .

وأنهايتُ الاطروحة بخاتمة قدّمتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها في أثناء مدة دراستي .

وقد حرصتُ في هذه الفصول على تحقيق موازنة منهجية بين حجم الفصول، إلا أنّ طبيعة المادة حالت دون ذلك - أحياناً - إذ توسع الفصل الثالث بسبب طبيعة المادة المطروحة فيه، وذلك من خلال تركيز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على دراسة أصالة النحو العربي وأصوله، وموازنته باللسانيات البنوية، فضلاً عن تطبيقه لنظرية العمل العربية ونظرية الربط العاملي ، مما أحدث تفاوتاً - قليلاً - بين حجم الفصول .

وحرصت في هذه الدراسة على تسليط الضوء على الأسس المعرفية للاتجاه التوافقي التي اعتمدها اللسانيون العرب المحدثون ومنهم د. عبد الرحمن الحاج صالح، إذ تميّزت - هذه الدراسة - باستنطاق النصوص اللسانية عنده والوقوف على نتاجه العلمي عن طريق العرض والوصف والتحليل، فضلاً عن بث آراء

عديدة تبحث في الظاهرة نفسها من أجل الكشف عن العمق البحثي عنده وموازنته بالآخرين ( قدماء و محدثون). فقد عرضتُ لجهوده اللسانية موازنةً إياها بآراء الخليل وسيبويه وابن جني وابن السراج والرضي الاستريادي وابن يعيش وغيرهم . ومن ثمَّ عرضتُ ذلك على اللسانيات المعاصرة لأبيّن ثمره عمله في مدى موافقتها أو مخالفتها للدراسات اللسانية القديمة و الحديثة، ولأظهر مواضع الأصالة والتفرد في جهوده اللسانية ، وحاولتُ قدر المستطاع توجيه آرائه بالمناقشة والنقد والتوضيح .

واستقيتُ مادة دراستي من كتب العلماء العرب القدماء وأدثتُ من الدراسات اللسانية الحديثة، بما يخدم أغراض بحثي و أهدافه، وقد أفردتُ في آخر الدراسة، ثبناً ذكرتُ فيه كلَّ مصدرٍ ذُكِرَ في هوامش الاطروحة.

وقد واجهتُ كثيراً من الصعوبات والمعوقات كان أبرزها ندرة وقلّة مؤلفات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - ولاسيما في العراق - إذ إنّها لم تُطبع إلا لمرة واحدة في الجزائر، فضلاً عن البحوث الكثيرة المنشورة في المجالات العلمية الرصينة، وكان من واجبي الحصول على هذه المؤلفات لما لها من الأهمية في دراستي، إذ تُشكّل اللبنة الأساسية في الاطروحة، ومن حسن الطالع أنني تعرّفتُ على الدكتورة سعدية لكحل من جامعة تيزي وزو في الجزائر والتي عن طريقها تم التنسيق مع مكتب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والمجمع العلمي للغة العربية في الجزائر وبذلك استطعت الحصول على مؤلفاته .فضلاً عن منهجيته غير المنظمة مما أتعبني كثيراً وجعلني أبذل جهداً مضاعفاً لترتيب المادة العلمية في خطة البحث .

وواجهتني مشكلة أخرى هي رفض بعض الباحثين لمثل هذه الموضوعات لأسبابٍ واهية ونظرة شخصية لا تصمد أمام البحث العلمي، الأمر الذي جعلني أخوض في الموضوع بإصرار وعزيمة أكثر من السابق ، إيماناً مني بجلب شيء جديد رصين يُضاف إلى مكتبتنا العربية .

وختاماً فإنني لا أدعي لهذه الاطروحة الكمال، أو خُلُوها من الهنات والماخذ ، فتلك مغالطةٌ حاولتُ تجنبها وعدم السقوط فيها، ولكن حسبي أنني عقدتُ العزم على إخضاع الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث و اللسانيات المعاصرة لدراسة موضوعية علمية ، فتجردتُ من نوازع الهوى، وأخلصتُ النية والعمل، وابتعدتُ عن الذاتية، والمواقف الانفعالية، ووضعتُ نُصْبَ عيني الأعمال وحدها، دونما نظرة لأحدٍ دون آخر، ونظرتُ بعين العدل إلى الفريقين ( القدماء والمحدثون )، فحاولتُ أن أعطي كلَّ ذي حقِّ حَقَّهُ، فإن كنتُ قد أدركتُ الغاية المرجوة ، فالحقيقة قصدتُ والصواب أردتُ، وذلك فضلٌ من الله ونعمة، وإن قَصُرَتِ وسائلني دون الوصول إلى ما هدفْتُ إليه، فمجتهدٌ يأمل أن يكون له من اجتهاده نصيب . وأسألُ الله أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنّه نعمَ المولى ونعمَ النصير، والحمدُ لله أولاً و آخراً .

## الباحثة

# التمهيد

أولاً: نبذة عن حياة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ونشأته الفكرية.

ثانياً: اللسانيات والاتجاه التوافقي - قراءة تعريفية - .

أولاً: نبذة عن حياة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ونشأته الفكرية:

هو عبد الرحمن الحاج صالح المولود بمدينة وهران بالجزائر عام ١٩٢٧م، وهو من عائلة معروفة نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>.

والمتتبع لحياته يجد أنه في بداية تعلمه درس في مؤسسات حكومية، وقد تلقى دروس اللغة العربية في إحدى الهياكل التعليمية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية، بعد ذلك رحل إلى مصر والتحق هناك بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، اكتشف من خلالها التراث العلمي اللغوي العربي ولاسيما كتاب سيوييه (ت ١٨٠هـ) الذي فتح له الآفاق العلمية وكان الدافع الأساسي وراء دراساته اللغوية، والتحق بعد ذلك بالجامعة الفرنسية المعروفة باسم بورود (Bordeaux)<sup>(٢)</sup>.

إن المتصفح لدراساته اللغوية يلقي اهتمامه الكبير بالرياضيات والمسائل المتعلقة بالعمق الذهني، وهذا يعود لمرحلة سابقة درس فيها الرياضيات بكلية العلوم مما أثر في حياته الثقافية فربط المنطق باللغة، ولاسيما دراسته للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، فضلاً عن دراسته للطب البشري و تخصصه في الأعصاب، كل ذلك أضاف للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ملكة لسانية ساعدته على التحليل العلمي للسان العربي.

شغل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مناصب عدّة منها: أنه عُيّن في عام ١٩٦٤م رئيساً لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات بجامعة الجزائر، ثم أُنتخب عميداً لكلية اللغات وآدابها وبقي على رأس الكلية إلى غاية عام ١٩٦٨م<sup>(٣)</sup>، وفي أثناء هذه المدة اهتم بدراسة العلوم اللسانية على وجه الخصوص، هذا العمل كان له أساس يتجلى في المعرفة السابقة في بحوثه العلمية وتمثلت في النظرية الخليلية الحديثة التي طرحها في رسالته للدكتوراه بجامعة السوربون Sorbonne عام ١٩٧٩م<sup>(٤)</sup>.

أنشأ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح معهد اللسانيات والصوتيات وسهر على العمل فيه والاهتمام بالأعمال اللسانية، ثم عطّل مدة من الزمن، ثم استأنف الدكتور العمل عام ١٩٩١م، فأنشأ مركز البحوث العلمية في ميدان العلوم اللسانية<sup>(٥)</sup>، فضلاً عن عمله المجمع، شغل مناصب عدّة في المجامع اللغوية العربية، ففي عام ١٩٨٠م عُيّن عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي عام

(١) الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، الشريف بوشحدان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، جامعة محمد خيضر، العدد السابع، ٢٠٠٩ : ٤٤

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٤٤ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د. عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، وحدة الرغبة - الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م : ١ / ٢٠٥.

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٧ . (تقديم الدكتور شوقي ضيف) .

١٩٨٤م شغل منصباً في مجمع عُمان، وأيضاً في مجمع دمشق، فضلاً عن تعيينه في مجمع القاهرة عام ٢٠٠٣م عضواً مراسلاً<sup>(١)</sup>.

حاصل على جائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب سنة ٢٠١٠م تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، فضلاً عن مشاركاته في الدراسات اللسانية بحثاً وتقويماً وتعليماً، وجهوده البارزة في حركة التعريب. وهو صاحب مشروع غوغل العربي، أو البنك الآلي العربي، فقد انتُخب على رأس مؤسسة الذخيرة العربية، واختيرت الجزائر أن تكون المقر الرسمي لهذه المؤسسة، بعدما صادق عليه مجلس وزراء الخارجية العرب لجامعة الدول العربية شهر سبتمبر ٢٠٠٨، وهو المشروع الذي شاركت فيه ٨١ دولة عربية متطوعة، من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي، ورصدت له مبالغ ضخمة<sup>(٢)</sup>.

#### • نتاجه العلمي:

قمنا بإحصاء النتاج العلمي للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، إذ اطلعنا على أغلبه، فوجدنا أنه احتوى على مجموعة من الدراسات اللغوية المتعددة التي توزعت على الكتب الرئيسية الآتية:

- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (بجزأين).
- بحوث ودراسات في علوم اللسان بجزء واحد ضم قسمين:  
الأول: باللغة العربية،  
أما الثاني: مزيج بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية.
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة.
- منطق العرب في علوم اللسان.

وجديرٌ بالتنويه أنّ مؤلفاته كلّها - الآنف الذكر - أخرجها لأول مرة عام ٢٠٠٧م، وما يُؤخذ على هذه المؤلفات أنها - في بعض المواضع - احتوت بعض النصوص المكررة .

وكان له في الكتابات الأجنبية نصيباً إذ كتب عدّة مقالات منها:

In Applies Arabic Linguistics, Arabic Liguistic and Phonetics, and singal processing).

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٨ / ١ .

(٢) ينظر : [www.ennokba.com](http://www.ennokba.com) . لا بدّ من التنويه بأنني سأقف عند مشروع الذخيرة اللغوية في الفصل الرابع من هذه الأطروحة إن شاء الله .

وذلك في نيويورك من عام ١٩٨٧م، ولعلّ أهم ما ألفه في اللغة الفرنسية هو رسالة للدكتوراه الدولية الموسومة بـ (Linguistique arabe et! Linguistique generale) .

وقد حظيت المعجمات العربية ببصمته فيها، إذ قام الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مع مجموعة من الباحثين بوضع (المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات) وهو معجم: عربي وإنجليزي وفرنسي أُعدّ نتيجةً: " لتعاون مثمر من معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر تم بمقر المعهد - عقد ندوة لدراسة المشروع... وقد أُلحقت بالمشروع مجموعة مصطلحات من الأساتذة منهم : د. عبد الرحمن الحاج صالح وغيره"<sup>(١)</sup>.

انمازت مؤلفاته بأنها احتوت موضوعات لسانية عديدة منها: تأسيس نظرية لسانية عربية حديثة سميت بـ (النظرية الخليلية الحديثة)، وكذلك لقاءات بعلماء اللسانيات \_ على سبيل المثال تشومسكي \_ ونقده لبعض الكتب والمؤلفات اللسانية، وتعليقه على المؤتمرات والندوات اللسانية، و ترجمته لمؤتمرات و فصول عدّة ترجمة متصرفة وعبياً منه بصعوبة الموضوع المتناول أو المطروح<sup>(٢)</sup>؛ لذلك عمد في ترجمته إلى الشرح والتعديل والتصرّف في العبارة من أجل إيصالها إلى القارئ بصورة يسيرة وواضحة، فضلاً عن محاولاته البحث في التراث اللغوي العربي وموازنته باللسانيات الحديثة إدراكاً منه بحقيقة التطور العلمي المستمر .

أما بحوثه فقد نشرها في مجلات وصُحف عديدة (عربية وعالمية) ، وأسهم في مؤتمرات و ندوات علمية عديدة منها \_ على سبيل المثال \_ مؤتمر حول تطور اللسانيات في العالم العربي الذي نظّمته اليونسكو واحتضنته الرباط من ١-١١ نيسان عام ١٩٨٧، مؤتمر مجمع اللغة العربية للأعوام: ١٩٩٣م، ٢٠٠٢م، ٢٠٠٤م ، ندوة ( الترجمة والمصطلح العربي ) الذي نظّمه مسؤولو بيت الحكمة بتونس عام ١٩٨٨م ، ندوة اتحاد المجامع اللغوية العربية المنعقدة في عمان عام ٢٠٠٣م ، مؤتمر (علم الاصطلاح العربي ) الذي نظّمته جامعة فاس عام ٢٠٠١م ، ندوة ( اللغة العربية إلى أين ) التي نظّمها المنظمة ISESCO في الرباط عام ٢٠٠٢م .

فالدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عالمٌ متميّز في فكره، نبغ في علوم اللسان، وتمكن باقتدار من بعث التراث اللغوي العربي في ثوبٍ أصيل، وصاغه ممزوجاً بما جدّ في البحث الأكاديمي وحاضر به في جامعات عدّة فضلاً عن مؤلفاته التي تزخر بمادة علمية.

(١) المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د. ط، تونس، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، ١٩٨٩م : ١١ .  
(٢) على سبيل المثال ترجمته لأعمال المؤتمر المنعقد في الأمم المتحدة الذي نظّمته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للخبراء العرب في اللسانيات الحاسوبية عام ١٩٨٩، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٨٤/١ .

ثانياً: اللسانيات والاتجاه التوافقي - قراءة تعريفية:

إنّ اللسانيات (linguistique) مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني *lingua* الذي يعني اللسان أو اللغة<sup>(١)</sup>، وأول من استعمل مصطلح اللسانيات هو جورج موانان (J. mounin)، وذلك في عام ١٨٢٦ أو ١٨٣٣م، أما كلمة لساني *Linguiste* فقد استعملها رينوار Rainouar عام ١٨١٦م<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا الاستعمال لمصطلح (اللسانيات) أو (علم اللسان) قديم في التفكير اللغوي العربي، للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تمييزاً لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم الحديث وعلم المنطق وعلم الحساب والفقه التعريفي وغيرها من فنون المعرفة<sup>(٣)</sup>.

فقد ورد مصطلح (علم اللسان) في كتاب إحصاء العلوم للفارابي (ت ٣٤٩هـ) للدلالة على كل العلوم اللغوية<sup>(٤)</sup>، متّجهاً بالمصطلح نحو الدلالة من دون تخصيص للغة أو أخرى، فضلاً عن وروده في محكم ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) وأراد به جميع العلوم النافعة، ومنها الكلام العربي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف<sup>(٥)</sup>. ونظراً لوروده بهذا المعنى عند اللغويين العرب القدماء؛ لذا أرفض تخصيص المصطلح المشار إليه للدراسات الحديثة التي تستقي من منابع الدراسات الأجنبية واتجاهاتها.

فاستعمالهم لعبارة (علم اللسان) أو (اللسانيات) للدلالة على اللغة العربية فقط، وكان العلماء القدماء كأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، والخليل وسيبويه وأصحابهم يُعبرون عن هذا المدلول بلفظ (العربية) فقط أو (علم العربية)<sup>(٦)</sup>، فتصورات القدماء مقارنة للمصطلح الحديث *Linguistique* متطوّراً في أثواب مُتعددة منها اللسنيات والألسنية واللسانية واللسانيات الذي استقر مصطلحاً عاماً وشائعاً في أغلب المحافل اللغوية والدراسات الحديثة بعد أن قرّرت ندوة اللسانيات التي عُقدت بتونس عام ١٩٧٨م باقتراحات تقدم بها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح<sup>(٧)</sup>، إذ استعمله في معهد الدراسات الصوتية واللسانية في الجزائر عند إصداره لمجلة (اللسانيات)<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٧٣، علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م : ١٠٧.

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٧٤، وعلم اللسانيات الحديثة : ١٠٦، ومعجم المصطلحات اللسانية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ : ١٧٧، والمعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، د. محمد التونجي، وأ. راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ : ٢ / ٤٢٧.

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٤.

(٤) ينظر: إحصاء العلوم، الفارابي، تحقيق: عثمان أمين، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م : ٤٧.

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسن بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م : ١ / ٣١ - ٣٢.

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٤.

(٧) ينظر: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، د. احمد مختار عمر : ١٥، واللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، د. مصطفى غلفان : ١٥١، و اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي ، د. أحمد محمد قُدور : ١٤، و اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة ، د. نعمان بوقرة : ٨، فمابعدھا، وأثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد مرزة : ٩. (رسالة ماجستير).

(٨) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة : ١٥١.

فقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه يميل إلى استعمال كلمة (لسان) ويُفضلها على كلمة (لغة)، إذ تُرجم بعض الباحثين العرب لفظ (Linguistics) بـ(علم اللغة)، فكلمة (لغة) - عنده - لا تدل دائماً على مفهوم اللسان<sup>(١)</sup>، أي على ما حدده ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بأنّ اللغة: "أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(٢)</sup>، يناقش الحاج صالح هذا الموضوع بقوله: " فالأمر ليس هكذا؛ لأنّه وإن دلت كلمة (لغة) على هذا المعنى العام عند ابن جني مثلاً فقد تدل أيضاً على معانٍ أخرى مشتركة مشهورة، وربما غلبت هذه المعاني الفرعية على المفهوم العام"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح المعاني الفرعية التي تشترك مع مفهوم اللغة، فمن تلك المعاني المعنى الأول: " الناتج عند مقابلتها لكلمة (نحو) مقابلة الشيء لقسيمة، وكذا مقابلتها للعربية (علم اللسان العربي) مقابلة الخاص للعام"<sup>(٤)</sup>، مستدلاً على ذلك بما ذكره العرب القدماء بخصوص هذه اللفظة فقد ذكر ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في شرح المفصل: " المراد بالعربية اللغة وإن كانت العربية أعمّ من اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب والعربية تقع على المفرد والمركب"<sup>(٥)</sup>. أما المعنى الثاني الذي يشترك مع مفهوم اللغة " المفهوم الناتج من مقابلتها لكلمة (اصطلاح)، وهذا التقابل يجري استعماله بكثرة في التحديدات اللغوية... مثلاً نجد هذه العبارات: (الصلاة لغةٌ هي الدعاء، وفي الاصطلاح....) . فاللغة بهذا المعنى هي المفردات المبتدلة عند جميع الناطقين أي اللغة غير الفنية"<sup>(٦)</sup>. أما المعنى الثالث هو ما نجده في الكتب النحوية واللغوية بصفة خاصة - استعمالاً آخر، مثلاً نجد عبارات : (والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب)<sup>(٧)</sup>... (لغة أهل الحجاز)<sup>(٨)</sup>، (لغة هذيل)<sup>(٩)</sup>.

ويتبيّن أنّ كلمة لغة تدل ههنا على استعمالات إقليمية أو قبلية تمتاز عن الاستعمال العام بميزات خاصة. فهي إذاً كصفات محلية في أداء اللغة العربية (Realisations Locales)، وتطلق غالباً - خلافاً لما يُظن - على الكيفيات الجزئية... وقد تدل على مفهوم اللهجة قليلاً، لأن قول سيبويه (على لغة هذيل) لا يعني باللغة فيه لسان هذيل كله، بل هذا الأداء الخاص الجزئي هو الذي فتح عين الكلمة في جمع فَعَلات مع كونها حرف علة مثل بَيْضات و جَوَرات.... وقد يتفق أن تكون هذه الكيفية الأدائية واسعة المجال وتعدّ مع ذلك لغة محلية"<sup>(١٠)</sup>.

فمصطلح (علم اللغة) يدل عند الكثيرين على دراسة اللغة دراسة عامة بغض النظر عن نوعها،

(١) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة - الجزائر، ٢٠٠٧ : ٣٦ .

(٢) الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار : ٣٣ / ١ .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٣٦ .

(٤) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٥) شرح المفصل، للزمخشري، ابن يعيش الموصل، قدّم له : د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م : ٨ / ١ .

(٦) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٣٧ .

(٧) الكتاب، لسبويه : ١١٠ / ١ - ١١١ .

(٨) المصدر نفسه : ٢٨ / ١ .

(٩) المصدر نفسه : ١١ / ١ و ١٩١ .

(١٠) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٣٧ .

وذلك بوصف بنياتها وخصائصها وعلاقتها باللغات والنظم التبليغية الأخرى، وبعبارة أبسط سيصبح علم اللغة مرادفاً للسانيات في المستوى الاصطلاحي، وتُخصص هذه الكلمة لهذا الغرض وأن نقول (اللسانيات) كما نقول الرياضيات أو البصريات، وان تُخصص كلمة (لغة) إذا أُضيفت إلى العلم للدلالة على دراسة أوضاع المفردات، أما إذا أُفردت عن العلم فلا بأس باستعمالها مع كلمة لسان للدلالة على المفهوم العام<sup>(١)</sup>.

فمفهوم اللسان أو اللسانيات حسب ما عرّفه العلم الحديث: علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية<sup>(٢)</sup>، فتكون دراسته بعدّه موضوعاً من موضوعات البحث العلمي وتتجنب في نفس الوقت كل التصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللغة ومختلف مظاهرها<sup>(٣)</sup>، وتقوم الدراسة على الوصف ومُعانة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية<sup>(٤)</sup>، هذا وتشمل الدراسة اللسانية للغة الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية، كما توفر الدراسة معلومات مهمة عن بنيته الآنية وتطوراتها اللسانية عبر الزمن وعلاقتها بالنظم اللسانية الأخرى في إطار القرابة والأصل المشترك<sup>(٥)</sup>.

ومما تقدّم يتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة، منها: ماذا يمكن أن يدخل من المفاهيم في ميدان اللسانيات؟ وماذا يمكننا أن نعطيه صفة اللسانية، ويتقطع عليه بأنّه من موضوعات علم اللسان؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، سننطلق من التحديد الذي وضعه الباحث الفرنسي أندريه مارتيني (A. Martinet) الذي قال: "إنّ اللسان هو أداة تبليغ، يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (Monemes) ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة: هي العناصر الصوتية (أو الوظيفة) (phonemes) ويكون عددها محصوراً في كل لسان، وتختلف هي أيضاً من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة"<sup>(٦)</sup>.

إذا تتبعنا الصفات التي ذكرها مارتيني، نجد أنّ جميعها لازم لمفهوم اللسان لا تفارقه أبداً، فأول هذه الصفات هي أنها: (أداة تبليغ) وفي هذه العبارة عنصران أساسيان<sup>(٧)</sup>:

الأول: هو مفهوم الأداء (أو الوظيفة Foncion)، الذي تقنضيه كلمة (أداة).

(١) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٣٨، والدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م : ٤٣١ .

(٢) يُشكّل مبدأ العلمية ركناً أساسياً في دراسة اللغة، ولمزيد من التفصيل ينظر: التعريف بعلم اللغة، دافيد كرسنل، ترجمة: د. حلمي خليل : ٧٨، ومبادئ اللسانيات، د. احمد محمد قدور، الدار العربية، بيروت، ط١، ٢٠١١م : ١٥ .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٣٨ .

(٤) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٠، ومبادئ اللسانيات : ١٥ .

(٥) ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م : ٢٩ .

(٦) Elements de ling. Generale, A.Martinet, Paris,1976; 13. (ترجمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح).

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٤١، وفي اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م : ٧٠ .

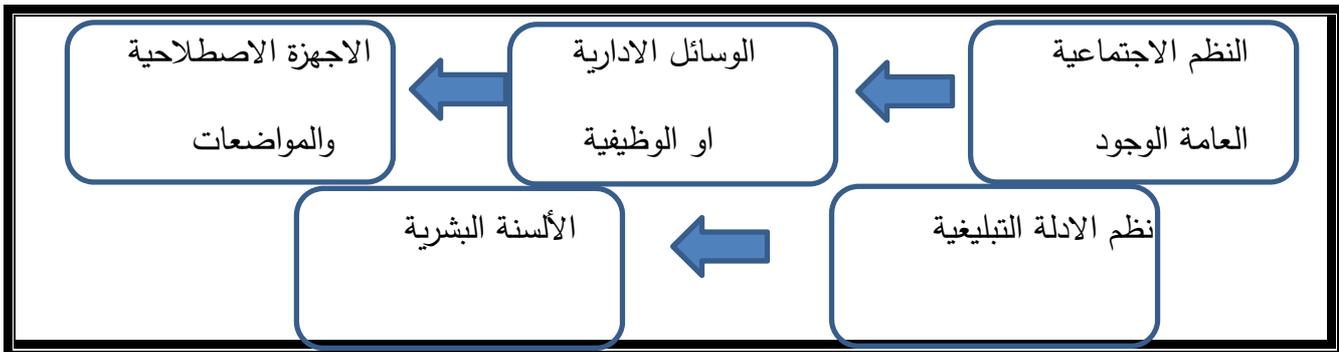
والثاني: هو التخاطب أو التبليغ المتبادل بين أفراد الجماعة، وهو تبادل معلومات وأغراض بكيفية خاصة.

ويقتضي التخاطب (Communication) شيئين أيضاً<sup>(١)</sup>:

الأول: هو أنه لا يتم إلا بواسطة نظام من الأدلة والعلامات، وهذا ليس خاصاً باللغة؛ لأنّ الأنظمة الدلالية كثيرة مثل (الإشارات العادية، والإشارات المصطلح عليها في البحرية، وإشارات المرور... وغير ذلك، إلا أنه صفة لازمة للغة.

والثاني: هو أنّ اللغة إنما هي مواضعة واصطلاح (code) يتواضع عليه الناطقون بها.

وكل هذه الأشياء إنّما هي نُظُم اجتماعية من نوع خاص، ويمكن أن يظهر ترابطها (من الأعم إلى الأخص) بهذه الكيفية<sup>(٢)</sup>:



وتجدر الإشارة إلى أنّ من اللغويين العرب القدماء من أعيان القرن الثالث الهجري وهو الفارابي الذي أطلق على العلم اللغوي العام مصطلح (علم اللسان)، والذي يدرس - في نظره - أصوات اللغة وأبنيتها التركيبية والمعجمية والدلالية فيما تبحثه اللسانيات الحديثة بالضبط في أيامنا، وفي هذا السياق يقول: " علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة، والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ"<sup>(٣)</sup>، ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ استعمال الفارابي للمصطلح له دالتين:

أولاهما: عامة تعني دراسة اللسان البشري دراسة علمية، وثانيهما: الاقتصار على لسان بعينه<sup>(٤)</sup>، فبذلك يتفرع علم اللسان إلى فرعين هما: " علم اللسان الإجرائي ذي الغرض التعليمي وعلم اللسان النظري الذي يعنى بالقضايا العامة في البنية اللغوية " <sup>(٥)</sup> مما يبرر لنا اليوم استعمال مصطلح اللسانيات للدلالة

(١) ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان : ٤١ - ٤٢، وفي اللسانيات العامة : ٦١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٢٠ .

(٣) إحصاء العلوم : ٣ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٨٣ .

(٥) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٢٠٥ .

على الدراسة العلمية العامة للنظام اللغوي، وظاهرة التبليغ البشري أو ما يُعرف تحديداً (linguistique)<sup>(١)</sup>، كما يمكن إدخال جوانب علمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات المعاصرة يطلق عليه اسم اللسانيات التطبيقية<sup>(٢)</sup>.

ومن اللافت للنظر أنّ الترجمة اللاتينية لكتاب (إحصاء العلوم) التي قام به Girardo Cremonensi في القرن الثاني عشر الميلادي<sup>(٣)</sup>، قد جاء فيها عبارة Scientia Lingue مقابلة للفظ (علم اللسان) - ذكر د. الحاج صالح - وقد عرفنا أنّ هذه العبارة هي التي تحدد الآن مضمون الـ Linguistics في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة وهي The science of language وما يماثلها في اللغات الأوروبية الأخرى، فضلاً عن أن هذه التسمية بهذا المفهوم الذي وجدته الأوروبيون في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التاريخ في نصّ يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر، وبما أنّ هذه الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي بوصفها أقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الـ Linguistics في عصرنا الحاضر، فهو اللفظ الأصلح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الـ Linguistics أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

إذاً من باب الإنصاف العلمي القائم على الموضوعية العلمية، أننا لا يمكن أن ننكر هذا النوع من الحقيقة المعرفية المتعلقة بالبحث اللساني الغربي بكل اتجاهاته الداخلية والخارجية، لكن ما يستدعي التريث هو أنّ غالبية المفاهيم اللسانية التي توقف عندها الرواد الغربيون تعكس في باطنها وظاهرها المؤلف شيئاً من التلازم الحواري الجدلي الذي يُنم - بحق - بأنّ ما توصل إليه القدماء له القدرة المعرفية والمنهجية بأن يحقق مع أفق الحداثة تقاطعاً معرفياً لا يستهان به؛ الأمر الذي يجعلنا نولي الاهتمام البالغ إلى بعض من المفاهيم اللسانية التي - في اعتقادي - لم تُعامل معاملة تليق بمقامها المعرفي والإجرائي، وهو ما جعل الهوية تزداد شيئاً فشيئاً بين الطرح الحدائي ورؤية القدماء للظاهرة اللغوية.

فقد تبين لنا من خلال ما تقدّم بأنّ كلُّ من ذهب إلى أنّ دراسة اللغة عند علمائنا العرب القدامى كانت دراسة "إنسانية وليست علمية"<sup>(٥)</sup> هو رأيٌ تنقصه الدقة، وإجحاف بحق اللسانيين العرب القدماء، فعلمهم "علمي دقيق، يعوّل على الملاحظة والاستقراء، والإفراط في الحيلة ... حتى لنستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا"<sup>(٦)</sup>، فللعرب باعٌ طويلٌ في علم اللسانيات، وينبغي أن يؤرخ له كما يؤرخ لغيره ضمن التفكير اللغوي الإنساني، لاسيما الفكر اللغوي الهندي واليوناني، وأن يعطى مكانه الصحيح واللائق به في ركب الحضارة الإنسانية ولاسيما في جانبها اللغوي، بل يمكن القول:

(١) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ : ١٠ وما بعدها .

(٢) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ٢٠٦ .

(٣) توجد مخطوطة منه في المكتبة القومية بباريس تحت رقم ٩٣٣٥ (من الورقة ١٤٣ إلى ١٥١)، ونشرها مع النص العربي و ترجمته إلى الأسبانية (ونص لاتيني آخر مختصر) Palencia A.Gonzalez في مدريد ١٩٣٢، ينظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان : ٨٧ .

(٤) ينظر : بحوث و دراسات في علوم اللسان : ٨٧ - ٨٨ .

(٥) دراسات لسانية تطبيقية ، د.مازن الوعر، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م : ٣٦ .

(٦) دراسات في فقه اللغة ، د.صبيح الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة ، ٢٠٠٠م : ١١٠ .

أن العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمدٍ طويل<sup>(١)</sup>.

ويناقد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الرأي الذي يقول بأن موقف العلماء القداماء موقفاً (غير علمي) إذ يرى عدم صحة هذا الرأي بقوله: "نعم هناك أسباب دينية اجتماعية وهو الاعتناء بلغة القرآن وهي خارجة عن العلم؛ لأنها دوافع ولكل حركة علمية وغيرها دوافع. أما أن يقول بأنهم وقفوا من اللغة موقفاً غير علمي فلا؛ لأن العلم لا يتحدد بالغايات التي يرمي إليها أصحابه انتقاعية كانت أم غير انتقاعية بل بمقاييس اثنتين وهما: المشاهدة والاستقراء، والاختبار من جهة والصياغة العقلية من جهة أخرى. فكلما دقت مناهج المشاهدة والصياغة وأفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرار الظواهر والأحداث كانت أخرى بأن توصف بأنها علمية"<sup>(٢)</sup>.

فكلمة (علم) الواردة في تعريف اللسانيات<sup>(٣)</sup>، لها ضرورة قصوى لتحديد معنى (العلمية) في دراسة اللغة "في ذاتها، ولذاتها (وهو مفهوم دي سوسير) و ينطوي تحته المصطلحات المعروفة، وهي: علم اللهجات، Dialectologie، وعلم الاشتقاق التاريخي Grammaire، والمعاجم Lexicologie، والصرف Morphologie، والأعلام Onomastique، والفيلولوجيا phouologie، وعلم الأصوات العام Phonetique، وعلم الأصوات التشكلي Phonologie، وعلم الدلالة Semantique، وعلم الأسلوب Stylistique، وأسماء البلدان Toponymie"<sup>(٤)</sup>. إذ اعتمد سوسير في ذلك المنهج الوصفي الذي أرسى أسسه ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي<sup>(٥)</sup> والذي تظهر أهميته في دراسة الظواهر اللغوية في مدة زمنية محددة بعيداً عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصواب، وقد عمل بهذا الاتجاه معظم الدارسين اللغويين في العالم منذ اكتشاف محاضرات سوسير الذي اعتبره الدارسون الأب الحقيقي للسانيات وأبو علم اللغة في القرن العشرين<sup>(٦)</sup>، باعتباره أول من درس اللغة في ذاتها ولذاتها<sup>(٧)</sup>، والناظر بعين الحق في التراث اللغوي العربي القديم يلحظ تصورات القداماء للنظريات اللغوية التي درسها علماءنا قديماً والتي حصل فيها تأثير متبادل بين الحضارتين العربية والغربية معظمها لم يفتن إليها الغرب إلا في وقت متأخر<sup>(٨)</sup>، فضلاً عن الدور المهم في التفريق بين اللغة بوصفها نظام في حد ذاته وبين الأداء اللغوي الذي يظهر في الممارسة الفعلية التي تتجلى كتنشيط فردي نابع من المتكلم ضمن سياق معين<sup>(٩)</sup>، وغير ذلك من القضايا التي تطرقت إليها الدراسات اللغوية العربية كما سيتبين لنا ذلك إن شاء الله في الفصول القادمة من الأطروحة.

(١) ينظر: دراسة في المنهج الصوتي عند العرب، أكرم عثمان يوسف، الموقف الأدبي، العدد ١٣٥، ١٣٦، دمشق، ١٩٨٢م : ٥٧ .

(٢) بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٢١٤ / ١ .

(٣) هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف و معانيه الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية وأحكام المعيارية، ينظر: مبادئ اللسانيات : ١٥ ، و مدخل لفهم اللسانيات ، مارتان ، ترجمة: د. عبد القاهر المهيري : ١٧ .

(٤) في علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين : ٧ .

(٥) ينظر : بحوث و دراسات في علوم اللسان : ١٥١ ، و منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، د. علي زوين : ١٠ .

(٦) ينظر : الألسنية رواد و أعلام ، د. هيام كريدية : ٧٧ .

(٧) ينظر : بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٩/٢ ، و علم اللغة (السعران) : ٣٣٧ .

(٨) ينظر : بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٠/٢ .

(٩) ينظر : بحوث و دراسات في علوم اللسان : ١٥٥ ، و علم اللغة (السعران) : ٣٤٢ .

## \*الاتجاه التوافقي:

مفهوم الاتجاه في اللغة: من وجه، و "الوجهة: القبلة والموضع الذي نتوجه إليه ونقصده، ووجه الكلام السبيل الذي نقصده" (١)، والوجه - بالضم والكسر- الجانب والناحية، يقال الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه، ووجه القرآن معانيه (٢)، وتوجه إليه: أي قصد (٣)، والتُّجاه: الوجه الذي تقصده (٤)، فالوجه في كُلِّ ما تقدّم استعارة للمذهب والطريق (٥).

أما مفهوم الاتجاه في الاصطلاح فقد تعددت التعريفات كُلُّ بحسب اختصاصه، بما تتماشى مع مراده ومقصوده، فقد عرّفه المفسرون بأنّه: تحديد مجموعة من الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري أو تفسيري، بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كُلية، تعكس مصدر الثقافة التي تأثر بها العالم (مُفسِّر أو لغوي) ولونت آراءه بألوانها (٦). أو هو الموقف الذي يكوّنه المفسِّر في ظل واقع معين سواء كان ذلك واقعاً اجتماعياً أو سياسياً أو ثقافياً أو مذهبياً أو غيرها (٧).

ويُعرّفه المختصون بعلم النفس بأنّه: نزعة الفرد أو استعداده إلى تقويم موضوع ما أو رمز يرمز له بطريقة معينة (٨).

فالالاتجاه في أبسط تعريفاته هو: الموقف أو الأفكار التي يستخدمها الباحث لبلوغ غاية محددة، ويحاول الكشف عن بعض الحقائق من خلال هذه الأفكار، تُمكنه من الوصول إلى نتيجة معينة، وفي الاتجاه الذي يسلكه الباحث تتعكس كل نزعة فكرية حصيلة كل مفكّر من ثقافة عصره، ومدى تمثله واستيعابه لما اختص نفسه به من ثقافة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ هناك فرقاً بين المنهج والاتجاه، فالمنهج هو "طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة" (٩)، أما الاتجاه - كما ذكرنا - فهو الموقف الذي يكوّنه الباحث، أو مجموعة أفكار يتخذها للوصول إلى نتيجة معينة، " والاتجاه يتكون داخل المنهج، وذلك بالنظر إلى الضغوط الواقعية التي

(١) لسان العرب، ابن منظور الأشبيلي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، مادة (وجه).

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم : ٣٩٧ / ٤ (وجه)، وتاج العروس، للزبيدي: ٢٠ / ٩ (وجه)، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٦، دت : ١٠١٥ / ٢ .

(٤) ينظر: المحكم : ٣٩٧ / ٤ .

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت : ١٦٧ / ٥ .

(٦) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر، حسام أحمد قاسم الشريف، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ : ٦٣ .

(٧) ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ : ٣٠ .

(٨) ينظر: التعلم ونظرياته، علي منصور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية، د. ط، ٢٠٠١م : ١٩ .

(٩) منهج البحث الأدبي، د. علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، بيروت، ١٩٨٨ : ١٩ .

تمارس على الباحث من الداخل والخارج، من الداخل: نتيجة للمواقف الشخصية للباحث، ومن الخارج نتيجة الواقع الثقافي أو الاجتماعي" (١).

وأما مفهوم التوافق لغةً من (وَفَّق) وتعني: لائِمَ بين شيئين، وَوَفَّقَ الأمر فهمه، واتفق مع فلان: وافقه، والاثنتان تقارباً واتحداً، ويقال: جاء القوم وَفَقاً: أي متوافقين (٢).

ومفهومه اصطلاحاً يعني: الأخذ من القديم ما يتفق مع العصر، وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، فهو موقف شرعي من الناحية النظرية يود أن يستوعب مزايا التراث والمعاصرة (٣).

فيتضح لنا مما تقدّم من التعريفات السابقة أنّ الاتجاه التوافقي يعني: الطريقة أو المذهب للملائمة بين شيئين كأن يكون بين القديم والحديث، أو التراث والمعاصرة، على أن تكون الملائمة أو الموافقة مبنية على أسس موضوعية علمية فلا تقتصر على الاكتفاء الذاتي للتراث، ولا نتعصب للحديث باسم المعاصرة والحدثة، فهذا التعصب يقودنا بالضرورة إلى قصور في النظرة العلمية .

ويُعرف التراث بأته: كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر (٤). وقد عزّفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأته: " ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جلييلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني" (٥).

أما الحدثة هي: إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر، فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة (٦). وقد آثرتُ مصطلح (المعاصرة) دون مصطلح (الحديث) ؛ لأنّ للمعاصرة بُعدين : أحدهما زمني ، والآخر موضوعي . فأما البعد الزمني لها فهو أنّها تمتد لأكثر من أربعين سنةٍ خلت ، وهذه المدة ليست ببعيدة عن المدة الزمنية لتجارب اللسانيين المعاصرين - و لا سيّما د. عبد الرحمن الحاج صالح - ، و أما البعد الموضوعي فهو أنّها تعني تلك الإشكاليات والمفارقات اللغوية التي استجدت في الفكر اللساني بفعل ما أملتته الظروف ومتطلبات العصر ، و هذا ما يصدق على حقيقة هذه الدراسات اللسانية (٧) .

وتُثار - هنا - عدّة أسئلة منها: هل ما زال التراث العربي مثار بحث؟ وهل يمكن الاستفادة من دراسة التراث في عصرنا الحالي؟ وإلى أي مدى .... وفي أي المجالات....؟

(١) أساسات المنهج والخطاب : ٣٣ .

(٢) ينظر: المحكم : ٥٨٤/٦ (مادة وَفَّق)، والمعجم الوسيط : ١٠٤٦ - ١٠٤٧ .

(٣) ينظر: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، د. حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩١م : ٣١ .

(٤) التراث والتجديد : ١٣ .

(٥) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، د.عبدالرحمن الحاج صالح ،وحدة الرعاية للفنون المطبعية، - الجزائر، د ط، ٢٠٠٧م : ٧ .

(٦) ينظر: التراث والتجديد : ١٣ .

(٧) ينظر : اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر ،د.عبد الرحمن حسن العارف ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، ط١، ٢٠١٣ : ١٨: فما بعدها .

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تثير عند البعض - خاصة لمن ينادي بالقطيعة - مسألة مهمة وهي أنّ التراث شيء، والحادثة شيء آخر، أحدهما مستقل عن الآخر، ونجد مثل هذه الآراء خاصة عند المشتغلين في حقول الدراسات اللغوية، فلا يمكننا - نحن العرب - معرفة العلوم الجديدة (وخصوصاً اللسانيات) إلا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية، فمن الإنصاف أن نعترف أنّه لا يمكننا التعرف على اللسانيات الحديثة إلا من خلال العقلية الغربية التي أنتجتها<sup>(١)</sup>.

فكأن اللسانيات - على حدّ تعبير الدكتور مازن الوعر - لا يوجد لها أصول في التراث اللغوي العربي، وللغربيين فضلُ سبق فيها. فهذا الانصراف عن البحث اللغوي العربي الأصيل فيه " غلواً محموماً ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوربي ... يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيّما المعنيين بالعربية، ممن تعلّموا شيئاً عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا بعد سويسرا (١٩١٩م)"<sup>(٢)</sup>. فمن اللسانيين من يرفض الرجوع إلى الماضي؛ لأنهم يرون أنّ المعرفة اللسانية معرفة حديثة يجب أن نجردها من أيّ تاريخية ممكنة؛ لأنّ ذلك يُسيء إلى الفهم، ويُبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر، فالطريق الأمثل لتفادي الاستلاب التراثي، هو الخضوع للوعي التاريخي الذي سيفتح أعيننا على الواقع<sup>(٣)</sup>.

إنّ التراث اللغوي العربي هو تراث عظيم وأثر باقٍ على صروف الدهر، وليس هذا بغرض تضخيم قيمته الإبداعية بالمغالاة في الاستنباط والتأويل ولا لإسقاط مفاهيم لسانية دخيلة عليه؛ بل تأكيداً لقيّمته العلمية، وتعليقاً للهوة التي يرى البعض أنّها تفصله عن العلوم اللسانية الحديثة، وتأكيداً لأهمية الإفادة من النظريات الحديثة في إعادة قراءة تراثنا اللغوي للوصول إلى فهم أفضل للعربية، لكن الذي حدث هو صراع قائم ودائم بين الباحثين أنفسهم يومئذٍ إليه الدكتور مازن الوعر بقوله: "إنّ أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعاً بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء، وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إنّ الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (كامتداد للأزمة النفسية الفردية، التي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإنّ المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة"<sup>(٤)</sup>. غير أنّ هذا الخلاف بين

(١) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر، دار طلاس للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م : ٢١ .

(٢) الألسنية المعاصرة والعربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة النخار، العدد الأول، ٢٠٠٠م : ٢١ .

(٣) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته، د. حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م : ٧١ - ٧٢ .

(٤) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ٣٥٤ - ٣٥٥ .

الباحثين العرب يتحول إلى (تلاسن)<sup>(١)</sup> فيما بينهم، فضلاً عن النقد الحاد متناسين النقد المنصف القائم على الحوار، فاللغة العربية كانت موضع اهتمام أكثر علماء اللسانيات، واهتمامهم بها كونها لغة طبيعية، ولو أن الغرب تنبّه إلى نظرية العرب في اللغويات العامة واستقى منها مفاهيمها الأساسية؛ لاختصرت اللسانيات المعاصرة المسافات وتجنب الكثير من العثرات والهفوات؛ لأن "علماءنا الأجلاء القدامى - إبان نهضتهم - أولوا تلك الأبحاث اللغوية جهوداً فائقةً خدمةً للغة الضاد، التي هي وعاء مقدساتنا، وعلى أسس سليمة في جملتها، وعلى قدر وسعهم وإمكاناتهم . إن أبحاث العلماء العرب القدامى كانت النبراس الذي أمّه الغرب - حين نهضته حديثاً - بما أوصله الغاية، وساعده على الرقي ... فإذا ما غض الطرف بعدئذ بعض علمائهم على ما صنع علماءنا ... فمرجعه جهل مبین، أو حقد دفين"<sup>(٢)</sup>.

فقد شيد النحاة واللغويون العرب صرحاً عظيماً من قواعد العربية نحواً وصرفاً وصوتاً، فعلينا العودة إلى هذا التراث الضخم؛ لأن العودة للتراث اللغوي العربي من شأنه أن يرفد الجهود التي تهدف لإيجاد مقابلات عربية لفيض من اللسانيات الوافدة، فضلاً عن أنّ النظر إلى التراث اللغوي من زاوية العلوم اللسانية يدحض زعم من زعم أنّ ثمة هوة تفصل علوم العربية عن اللسانيات الحديثة، مدّعين أنّ النظريات اللسانية إنما وجدت لألسن أخرى، لا رابط بينها وبين العربية. إنّ ربط القديم بالحديث لا يقوم على أساس "استرداد التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد"<sup>(٣)</sup>، بل هو البحث عن أصول الفكر العربي، أو هو إعادة قراءة التراث بطريقة معاصرة.

وتُعرّف "لسانيات التراث بأنها: جعل التراث اللغوي العربي في شموليته موضوعاً لدراسة اللسانيات، وفق منهج يصدر عن أصحاب هذه الكتابة يُعرف بـ(منهج القراءة) أو(إعادة القراءة)، ومن أهداف لسانيات التراث قراءة التصورات اللغوية القديمة وفق ما توصل إليه البحث اللساني والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وإخراجها في حُلّةٍ جديدة تُبيّن قيمتها التاريخية والحضارية"<sup>(٤)</sup>.

وقد تعددت المواقف في التعامل مع التراث اللغوي العربي، لكنها بقيت محصورة في ثلاثة مواقف أساسية<sup>(٥)</sup>:

١- نقد التراث إلى حدّ الاستهجان والدعوة إلى الحداثة والتجديد، ويمثّل موقف (القطيعة مع

(١) مصطلح (التلاسن) هو ما يذكره الباحثون من العبارات التي تعبر عن هذا، مثل: (اللسانيات السريعة، لسانيات هبل، لسانيات الاشرناب إلى المناصب... الخ)، ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٨٧ .

(٢) في علم اللغة العام : ١٠ .

(٣) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٣١ .

(٤) اللسانيات العربية الحديثة قراءة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية: ٩٢. ذكر الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي مصطلح (لسانيات التراث) و أراد به المعنى نفسه الذي أشار إليه الدكتور مصطفى غلفان و أردته في دراستي هذه . ينظر :نظرية نحو الكلام : رؤية عربية أصيلة : ٢١ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٢ / ١ - ١٤ ، وفي اللسانيات العامة : ١٠٤ - ١٠٥ ، واللسانيات في الثقافة العربية :

(التراث). أو ما يسمى بـ(ثقافة الشرخ) الذي يعيشه المثقف العربي<sup>(١)</sup>.

٢- موقف التعصب إلى التراث واستحسانه، والتسليم بما جاء فيه جملةً وتفصيلاً.

٣- موقف التوفيق بين القديم (التراث اللغوي) والجديد (البحث اللساني).

ويظلُّ الموقف الثالث (التوافقي) الأكثر حضوراً ونفوذاً في حقل الدراسات اللسانية الحديثة، إذ يحاول التوفيق بين الفكر اللغوي القديم واللسانيات الحديثة في إطار قراءة التراث اللغوي القديم في ضوء اللسانيات الحديثة<sup>(٢)</sup>، وبذلك اتجهت اللسانيات العربية إلى ما يمكن تسميته (منهجاً توفيقياً) أو (لسانيات توفيقية) تتبنى نموذجاً يمزج المقولات الغربية الحديثة بمقولات النحو العربي، إذ لم يستطع اللسانيون أن ينتجوا درساً لسانياً عربياً من دون الرجوع إلى الأصل التراثي، إذ إن هذا يعني تغريباً ثقافياً يهدد الهوية الثقافية العربية<sup>(٣)</sup>.

وخير من يمثل هذا الموقف هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي - بحسب تعبير الدكتور مازن الوعر وهو أحد طلبة الحاج صالح - : " يعتبر (الباحث الحاج صالح) ظاهرة فريدة من نوعها في الوطن العربي؛ لأنه تتلمذ حتى مرحلة الدكتوراه في جامعة الأزهر، فهضم وفهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، وبعدها ذهب إلى جامعة باريس فتتلمذ على أساتذتها في موضوع اللسانيات الحديثة، فهضمها وفهمها على نحوٍ دقيق جداً، وبذلك استطاع أن يُعالج بعض القضايا اللغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية"<sup>(٤)</sup>، وسنحاول - إن شاء الله - تتبع هذا الموقف في مؤلفاته، فضلاً عن لسانيين عرب آخرين مثل: احمد المتوكل وعبد السلام المسدي، ونهاد الموسى و عبد القادر الفاسي الفهري وغيرهم.

و لا بدّ من التنبيه على أنّه عند قراءة التراث ينبغي أن نلاحظ الفرق بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث، إذ لخصّها الدكتور احمد المتوكل في النقاط الآتية<sup>(٤)</sup>:

١- ظروف الإنتاج: إذ توافر للسانيات من المحيط العلمي ومن الافادة من مختلف العلوم مالم يُتَح للدرس اللغوي القديم، وإن كان له أيضاً محيطه الفكري والثقافي الخاص به، مما أفادت منه اللسانيات الحديثة.

٢- من حيث موضوع الدراسة، إذ كانت دراسة الفكر اللغوي القديم في حدود اللغة الواحدة والتقييد لهذه اللغة (الهندية أو العربية أو الفرنسية مثلاً). في حين أنّ موضوع اللسانيات هو اللغات على اختلاف أنماطها أو بالأحرى الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية.

(١) ينظر: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠١م : ٢١ .

(٢) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة : ٩٣، وفي اللسانيات العامة : ١٠٥ .

(٣) ينظر : أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة : ٦ .

(٤) أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات : ١١٤ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٧ - ٣٨ .

٣- كان الهدف الأساسي من الدراسات اللغوية في القديم تعليم اللغة والحفاظ عليها من أن يشوبها لحن أهلها أو الواردين عليها، في مقابل هذا تسعى اللسانيات إلى إقامة (نحو كلي) يضطلع برصد خصائص اللسان الطبيعية بوجه عام.

ومن اللافت للنظر نجد أن الدكتور احمد العلوي يرى أنه من أسباب تقدم الفكر اللغوي العربي القديم ، أن الحوار اللغوي العربي أغلق على العناصر الأجنبية وظل حواراً محلياً<sup>(١)</sup> فضلاً عن أنه يرى بأنه لا يصح وضع فاصل معرفي بين العمل اللساني القديم والحديث، فالبحث اللساني الحديث هو امتداد للبحث القديم، يتعامل معه ويتحاور إياه<sup>(٢)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حاول الموازنة بين ما قاله العلماء العرب، وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج، وبين ما يقوله اللسانيون المحدثون في مختلف نظرياتهم. وليس في مقصوده أن يأخذ كل أقوال المحدثين كأصول، ويقابلها بآراء القدماء فما وافقها كان صحيحاً وما خالفها كان خطأ . فهذا التوجه يرفضه، ويصفه بالتعسف؛ لأنّ النظريات والمذاهب ليست هي الحقائق العلمية التي يجتمع على صحتها كل العلماء<sup>(٣)</sup>. فلكل عصر نظريته الخاصة، ولكل أمة تصورهما للأشياء، وكيفية الكشف عنها.

وقد اعتمد أصولاً جعلها منطلقاً لأعماله في إحياء التراث العربي؛ وذلك بسبب ما لاحظته عند كثير من المعاصرين من العرب ومن غيرهم، وميلهم إلى الاكتفاء بما يقوله المتأخر عن المتقدم، والاكتفاء بما روي عنه الرواة وما تحكيه كتب الطبقات، فقد حدّد منهجية صارمة للتعامل مع التراث<sup>(٤)</sup>، فيقول:

**أولاً: فيما يخص الرواية، ومدى ثقة الباحث فيها:**

١- ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل هو نفسه، أي إلى نص قوله والعزوف عما روي عنه، فإن تعذر وجود المصدر الأساس، فلا بد من اعتماد ما رواه عنه أصحابه ومعاصروه الذين سمعوا منه مباشرة.

(١) ينظر : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات : ٢٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) ينظر : السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة ، د.عبد الرحمن الحاج صالح ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، ٢٠٠٧ م : ٨.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٩ - ١١ .

٢- ضرورة الاعتداد في التصديق لما يُروى من الأحداث والأقوال، وذلك بأن يكون أكثر من وجه، والرفض لما ينفرد به راوٍ، ولاسيما إذا كان طعنًا في عمله أو أخلاقه.

٣- ضرورة الاصطفاء للمصادر، وتخيّر ما أجمع العلماء قديماً وحديثاً على صحته، وعدم التخليط بين الكتب العلمية وبين غيرها، مما أُلّف في الغالب للتسلية والمسامرات...

٤- الرفض لكل مصدر يعتمد كمرجع للرواية يتضح أن أكثره كذب وافتراء، ولاسيما إذا كان مؤلفه شاذاً في سيرته، ومن أهل المجون والأهواء، أو عرف بالكذب بإجماع أهل عصره .

### ثانياً: فيما يخص الفهم لمقاصده بالفعل أصحاب النصوص:

١ - ضرورة تقديم النص الأصلي لقائله، على شرحه في محاولة فهمه، بمعنى أن يبدأ بالنص الأصلي قبل النظر في شروحه، فلا يقتصر الباحث على تأويل المتأخر لأقوال المتقدم من دون الرجوع إلى صاحب هذه الأقوال هو نفسه، وما قاله عنه أصحابه الذين تتلمذوا عليه مباشرة. وهذا قد يخص تحديد المصطلحات التي استعملها صاحب النص.

٢- التمسك بمبدأ التصفح الكامل للنص الواحد، أو لعدة نصوص، ليتمكن الباحث من إدراك المقصود الحقيقي في استعمال صاحب النص لألفاظه خاصة، أو للتعليق أو الحكم على قول من أقواله، ولا يكفي في ذلك في الرجوع إلى بعض ما يوجد في نصوصه.

٣- الاعتماد بعد هذا التصفح الكامل للنص على طريقة تحليلية استنباطية توجي إلى استخراج المعاني، ولا يكفي بالمعاني الوضعية فقط، يستنبط المعنى المقصود من كل لفظة في كل نص إن كان المقصود واحداً أو في مواضع مختلفة منه إن تعددت المعاني المقصودة من الكلمة الواحدة. وهذا لا يتبين بدقة إلا مجموع السياقات التي ترد فيها الكلمة، والطريقة التي استخدمها لهذا الغرض سماها بالمقارنة القياسية الدلالية.

ويمكن للباحث بعد الاستنباط من النصوص، أن يبحث عما قاله الآخرون من العلماء القدماء أصحاب الشروح، أو من الذين حاولوا تحديد معاني المصطلحات التي وردت في التراث؛ والسبب في ذلك هو النقادي من الانطلاق بفكرة مسبقة قبل الخوض في البحث إذ لا بد من النظر المباشر في المعطيات التي هي النصوص الأصلية.

٤- الاعتداد الجدي المستمر بعامل الزمان في تحوّل رؤية العلماء، وتصوراتهم، ومفاهيمهم، وما يحصل بالتالي لمصطلحاتهم - حتى في النحو واللغة - من تحوّل معانيها.

٥- ضرورة التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية الحديثة، إذ لا يجوز أن تقبل أي نظرية كلياً أو جزئياً إلا كآراء وافتراضات، خصوصاً إذا استخرجت من النظر في لغة أوروبية؛ وذلك لتقادي التخليط بين المفاهيم العربية القديمة، وبين ما ظهر من الأفكار والمناهج في اللسانيات الحديثة، بل وتقادي إسقاط هذه المناهج على الأخرى، وجعلها أصلاً، والأخرى فرعاً عليها. كأن يطبق منهج ما على العربية دون النظر فيها.

### ثالثاً: فيما يخص طريقة المقارنة القياسية الدلالية:

إنّ البحث في المعاني التي يقصدها مؤلف في نصٍ أو في كتاب لا يمكن أن يكتفي الباحث بما له من حاسة لغوية أي بما يعرفه جيداً من لغته أو أن يكتفي بما تمده المعجمات، إذ العثور في المعجمات على كلِّ المعاني التي يمكن أن يقصدها المستخدمون للغة هو من المستحيل. هذا في زمانٍ معيّن، أما إذا مرَّ على اللغة مدة من الزمان، فيحتاج الباحث أن يتتبع تحوّل الكلم التي تهّمه من حيث معناها في النصوص أنفسها.

فلا بدّ من الرجوع إلى النصوص، ولا بدّ من منهج للتحليل يسير عليه الباحث ويعرض نوعاً من الطرائق التحليلية الدلالية، هدفها الكشف عن المعاني التي قصدها المؤلف من استعماله لعبارةٍ معينة في نصٍ معين، وتحديدتها تحديداً دقيقاً حتى لا تلتبس بغيرها: "فهي طريقة استكشافية للمعاني المقصودة في نصٍ معين، وقد تكون برهانية، غايتها أن يُستدل بها على صحة ما يذهب إليه من الافتراضات حول المعنى المقصود. ويُمكن أن يكون الأمر كذلك للدقة المنطقية التي تتصف بها هذه العمليات الاستكشافية"<sup>(١)</sup>.

ويوضح الدكتور عبد الرحمن صالح هذه الطريقة بدقّة أكثر بقوله: "إنّ هذه الطريقة قد بُنيت على مفهوم الاستغراق (Distribution) كما يفهمه علماء اللسانيات الحديثة، ويسمّيه النحاة العرب قديماً بـ(قسمة الموقع) أو المواقع. وهو عند العرب أوضح وأبين؛ لأنّ المفهوم النظري المحدث يعني به المحدثون استغراق جميع ما يمكن أن يحيط بوحدة لغوية في الخطاب، أو كل ما تحمله من سياق لفظي ذي دلالة"<sup>(٢)</sup>.

ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن الاعتماد على (قسمة المواقع لاستخراج المقصود الدلالي، لا يعني الاعتماد الكلي على الدلالة الاستغراقية Distribution Semantics؛ لأنّ المعنى المقصود من كلمة معينة لا يمكن أن يُحدّد بما يختص به من خواص استغراقية (أو موقعية) الفئة التي

(١) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ١٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧ .

تنتمي إليها هذه الخواص، لسبب بسيط، هو عدم وجود توازٍ تام بين التصاريف المختلفة للدال الواحد وتصاريف مدلول هذا الدال<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: التمحيص للنظريات اللسانية:

اكتفى الحاج صالح في هذه المسألة بمثال واحد وهو "حقيقة المعيار وماهيته من الناحية العلمية"<sup>(٢)</sup>.

إذ يشير الحاج صالح إلى أنه "ليس الغرض من اللسانيات الحديثة أن تتخير في تناولها العلمي للظواهر اللسانية الخاصة بلغةٍ من اللغات معياراً معيناً لهذه اللغات بتحكم كامل، فليس لنا أن نفصل كيفية خاصة في تأدية لفظ منها على غيرها، وليس للغوي الموضوعي أن يختار مما يسمعه ويدونه من الكلام المنتمي إلى تلك اللغة ما يعتبره هو وبسبب غير علمي - صواباً وغيره خطأ. فهذه المواقف لا تمت بسبب إلى العلم إطلاقاً، ومن جهة أخرى فإن وضع النحو العربي عند العرب، كان لبواعث دينية، وعوامل اجتماعية، وهو المحافظة على لغة القرآن الكريم وكذلك عند الهنود واليونان وغيرهم..."<sup>(٣)</sup>.

ف نجد أن الدكتور الحاج صالح قد نبّه إلى أنه يجب أن يكون الغرض من اللسانيات الحديثة هي الدراسة العلمية الموضوعية. فضلاً عن أنه - في نفس سياق كلامه - فرّق بين التحليل الموضوعي للغات، وبين الدافع والغرض الذي دفع العلماء إلى القيام بهذا العمل، إذ قال بهذا الصدد: "أما الوصف الموضوعي لهذه اللغات واستنباط القوانين لها فقد يكون موضوعياً غير مرتبط بأي مجتمع. فالأهم أن نتقّادى الخطأ بين هذا العمل الذي أدى إلى تحليل موضوعي لهذه اللغات، وبين الغرض الذي دفع بعض العلماء إلى القيام به، فهما شيئان مختلفان"<sup>(٤)</sup>.

أما النحو العلمي، فلا يمكن أن ينحصر فقط في وصف نظام لغة معينة واستخراج وحداتها، فاللغة أداة للتبليغ، لها نظام عُرفي أي نظام خاص بها متواضع عليه، فالمعرفة العلمية لهذا النظام لا تقتصر على معرفة تصنيفية تحصر عناصر اللغة بتحديد الأوصاف الذاتية، وكيفية تقابلها، بل تتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية مجراها في استعمال المتكلم لها<sup>(٥)</sup>؛ لأنّ اللغة وضع واستعمال ولها ضوابط كضبط هذا الاستعمال<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: السماع اللغوي والعلمي ومفهوم الفصاحة : ١٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه : ١٩ - ٢٠ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢١ - ٢٢ .

(٦) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٧٧ : ٢٨ .

وقد ميّز الحاج صالح بين الضوابط والمهارة في إجرائها والعمل بها، " فضوابط النحو ليست تعسفية؛ لأنها ترسّم مسار العمل المؤدي إلى كلام عامة الناطقين باللغة المعينة إذا كانت مستنبطة من عامتهم حقيقةً وهو المعيار الذي قصده علماء النحو العربي ليس إلا" (١).

وفي هذا المقام لا يفوتنا ذكر الأسس التي ينبغي أن يُستند إليها في قراءة النص القديم وفهمه، وهي (٢) :

١- توثيق النص وتحقيق نسبته إلى قائله، هل هذا صاحبه مباشرة، فجاء في بعض كتبه، أو نقله عنه أحد تلاميذه.

٢- وضع النص في سياقه العام الذي يرد فيه، ومدى مناسبة النص لهذا السياق العام، فالسياق يُشكّل جزءاً مهماً من دلالة النص، ويوجهه الوجهة الصحيحة.

٣- النظر في النص نفسه من داخله، وتبين مدى موافقته للسياق الخاص والعام، والنظر في الأفكار التي تحتوي عليها، وترتب هذه الأفكار.

٤- عرض هذه الأفكار الواردة في النص على أفكار صاحبه وآراءه الواردة في الكتاب وفي غيره .

٥- موقف معاصري هذا النص من أفكاره، وموقف المهتمين بمجاله.

وتجدر الإشارة إلى أنّه من مسوّغات التقريب والتوافق بين لسانيات التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، عدّة أمور، منها (٣) :

### ١- السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجالات الدراسات اللغوية:

يذكر الدكتور عبد السلام المسدي عن الحضارة العربية، بأنّها " اتسمت قبل كل شيء بالمقوم اللفظي حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتهم النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين منذ مطلع نهضتهم" (٤).

فالناظر في مسيرة البحث اللغوي يجد أنّ اللغويين العرب قد اهتموا إلى أدق تفاصيل اللسانيات، إذ يعبر عنه الدكتور محمد عبد المطلب بالشريط الممتد يحوي سلسلة من المشاهد، إذ يقول: " يجد نفسه أمام شريط ممتد يحوي سلسلة من المشاهد، يكاد يشده فيها المشهد الأخير، فيحاول استعادته في حركة

(١) السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة : ٢٢ .

(٢) كيف نقرأ النص التراثي؟، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩ : ١٥ - ١٦ .

(٣) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٣٢ - ١٣٤ .

(٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط١، ١٩٨١ : ٢٤ .

بطيئة يتكشف خلالها أن هذا المشهد ما هو إلا تكثيف لما سبقه من مشاهد، وتبلور لما سبقه من جهود، وكأنما الأمر فيه أصبح بمثابة قضية منطقية لها مقدماتها التي تتبعها بالنتيجة مترتبة عليها<sup>(١)</sup>.

فضلاً عن ذلك نجد الدكتور المسدي يقيم موازنة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات؛ إذ يلاحظ أن "العرب بحكم مميزات حضارتهم وتحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد أفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي للغة فحسب، بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً، بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين"<sup>(٢)</sup>.

## ٢- العامل الديني:

من أهم العوامل التي لها الأثر البالغ في توجيه اللغويين العرب، فقد اهتموا إلى أدق تفاصيل اللسانيات "وهم يرسون قواعد لغتهم ويضعون قوانينها، من خلال العمل اللغوي الجاد الذي قام به فحول علمائهم لخدمة كتاب الله العزيز. وقد استطاعوا - بدأبهم على البحث والدرس - أن يقيموا الدعائم الوطيدة لـ(علم اللغة)"<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الأصول التراثية للسانيات:

انطلقت اللسانيات عن طريق اعتمادها على التراث اللغوي، وهذا من أهم الأسباب التي جعلت اللسانيات تتقدم وتزدهر، فقد جاء كتاب الألسنة الديكارتية ليكون مثلاً حياً على اهتمام اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين جوانبه المهملة، وبين المفاهيم اللغوية الحديثة. لقد استطاع تشومسكي N.chonsky في هذا الكتاب أن يقف على العديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقاً بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها (ديكارت) فيما يعرف باسم قواعد بورت رويال<sup>(٤)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر أنّ اهتمام الغربيين لم يكن منحصرًا في تراثهم فحسب، بل شمل أيضاً التراث اللغوي الإنساني، بما فيه التراث اللغوي العربي، فالعديد "من العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً، وجاءت جل أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية، في لغتنا العربية، مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثم جاءت دراساتهم في الربط بين التراث

(١) النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، د. محمد عبد المطلب، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٨٤ : ٢٥ .

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٦ .

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار عامر هلال، ط٣، ١٩٨٩: المقدمّة .

(٤) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،

اللغوي العربي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة<sup>(١)</sup>.

فالبحث في لسانيات التراث يكشف لنا " أن كتب فقه اللغة العربي من تراثنا اللغوي، حقاً تبعث على الإعجاب والإكبار؛ إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها سبق بعض العلماء القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث بألف عام أو يزيد... ففي هذه الكتب وغيرها علم كثير، ونظريات لغوية تقف شامخة أمام بعض ما وصل إليه العلماء في عصر التكنولوجيا الحديثة والعقول الإلكترونية"<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن أنها لا تخرج عن الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة، وبذلك فهي موقف حضاري غايته إبراز مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي، ثم تحقيق التواصل، بالنسبة إلى العرب بين الماضي والحاضر<sup>(٣)</sup>.

ومن أكثر الأدلة وضوحاً على وجود أصول للسانيات في التراث اللغوي العربي هو الدليل الذي لا يقبل طعناً و لا تشكيكاً حينما نشرت مجلة اللسانيات - الصادرة عن معهد العلوم اللسانية و الصوتية الذي يتزأسه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر - محاوراً أجازها الدكتور مازن الوعر مع نعوم تشومسكي و تضمنت اعترافات جاءت في شكل لمحات من السيرة الذاتية تتصل بظروف تكوينه و دراسته<sup>(٤)</sup>. سأل مازن الوعر : " نعتقد نحن العرب أنّ الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنّما هي جهود مهمة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث . ما هي آراؤك حول هذه القضية ؟ " فأجاب تشومسكي : " قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية ، و مازلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت ، أظن أنّها أكثر من ثلاثين سنة ، و قد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانس روزنتال الذي يدرّس الآن في جامعة بال . لقد كنت وقتذاك طالباً في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا ، و كنت مهتماً بالتراث النحوي العربي و العبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة و لكنني لا أشعر أنني كفاء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث"<sup>(٥)</sup> .

(١) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث : ٩ .

(٢) التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م : ١٠١ .

(٣) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٢ .

(٤) دار الحوار في ٣١ كانون الثاني ١٩٨٠م، ونشرته مجلة اللسانيات في عددها السادس عام ١٩٨٢م في نصه الانجليزي مشفوعاً

بترجمة عربية و أخرى فرنسية ، ص ٦٦ - ٨٢ .

(٥) مجلة اللسانيات : ٧٧ .

ثم يسأل المُحاور من جديد عن المصادر البعيدة التي استلهم منها تشومسكي تصوراتهِ الأولى ، فيجيبه : " كما ذكرتُ من قبل ، إنّ دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى ، فقد كان والدي مختصاً في النحو العبري و العربي في القرون الوسطى ، و قد درست هذا النحو على يديه ، و باعتباري طالباً في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في القرون الوسطى ، كذلك \_ إذا أردتَ بعض التفاصيل حول هذا الموضوع \_ فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى : **البنية المنطقية للنظرية اللسانية** إذ حلت في هذه المقدمة كيف أنّ بعضاً من دراستي المبكرة \_ في صغري \_ لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية و نظرية النحو التوليدية ، و كانت هذه الأفكار في الواقع هي المُثل التي احتذيتها في الأربعينيات " (١).

لن نستطرد إلى تفسير الحثيات الفكرية والثقافية لهذه المعلومة المعرفية؛ لأنّ المقام هنا ليس مقامه إنّما نريد أن نقف عند مسألة مهمة في غاية الأهمية وهي اطلاع تشومسكي على الآجرومية ودرسته إياها(٢)، إذ تمثّل دراسته هذه قرينة قادحة للوعي المعرفي الجديد من بابين : أولهما الاطلاع على ما انتهى إليه النحو العربي من دقّة و تماسك سَمَحاً باختزال عمله في صفحات معدودات، ومما لاشك فيه أن تشومسكي \_ بثقافته الرياضية الأساسية و تشعبه بالمنطق النظري \_ قد ارتقت إلى مرتبة من التجريد تحولت معه إلى منظومة صورية خالصة . وأما الباب الثاني فيتمثل في قضية الإعراب، ذلك أنّ ابن آجروم قد تفقّ ذهنه اللغوي على إعادة صهر كل أبواب النحو وإخراجها مرصوفة طبقاً لنسقية الإعراب، ونعلم بأنّ النحو العربي في مجمله يعني الإعراب ، إذ إنّ أغلب الناس يستبدلون عبارة (علم النحو) بـ (علم الإعراب) ، فعند النظر إلى هذه المقدّمة نُدرك كيف جوّد ابن آجروم تصنيف الأبواب النحوية ، وكيف جعلها موسومة بسمات القواطع المشتركة الجامعة بين العلامات الإعرابية (٣).

(١) مجلة اللسانيات : ٧٨ .

(٢) الآجرومية هي عبارة عن مختصر في النحو ألفه عبد الله بن محمد الصنهاجي الملقّب بابن آجروم ، من النحاة المغاربة من مدينة فاس (ت ٥٧٢٣هـ) اضطلع بتدريس النحو والقراءات ، وألف رسالة في النحو سماها بالمقدمة و كانت تُعرف بالمقدمة الآجرومية.

(٣) ينظر : العربية و الإعراب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٤٠ .



# الفصل الأول

التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين.

- المبحث الاول: إشكاليات درس اللساني العربي الحديث.

- المبحث الثاني: أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين.

- المبحث الثالث: اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين.

## توطئة:

يعدّ التراث اللغوي رسالة لسانية مهمة ؛ لذلك تعددت نماذج القراءات المسلطة عليه وهذا التعدد له أسبابه ودواعيه.

إنّ علاقة اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي فرضت عليه حركة جديدة نحو اكتساب مزيد من المعارف، وتصحيح بعض أساليب الفكر، على أن يتم ذلك في نطاق حركة ذاتية تسعى إلى بلورة المناهج والممارسات، وإلى حمل التراث على المنظور المتجدد، حتى يتسنى لها تأصيل البحث اللساني المعاصر في الموروث اللساني العربي، فتصبح بذلك مقولة الحداثة عند اللغويين العرب المعاصرين أكثر إخصاباً؛ لأنّها " تتنزل لديهم متفاعلة مع اقتضاء آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر، وهذا الاقتضاء مداره التراث من حيث هو يدعوهم إلى قراءته على حدّ عبارته المنهجية الراهنة ومعنى ذلك أنّ العرب يواجهون تراثهم لا على أنّه ملك حضوري لديهم، ولكن على أنّه ملك افتراضي يظل بالقوة ما لم يستردوه واسترداده هو إستعادة له واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد وحمل الرؤى النقدية عليه"<sup>(١)</sup>.

إنّ الافادة من معطيات علم اللغة الحديث، تمكننا من فهم خصائص بنية لغتنا، وتمكننا من فهم تراثنا اللغوي<sup>(٢)</sup>. ونجد في تعبير الدكتور عبد السلام المسدي خير دليل على أنّ المقاربة بين التراث العربي والمعاصرة، تُعدّ تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي، إذ يقول: "إنّ مقولة التراث عند عامة المفكرين العرب تستند إلى مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز. وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر والمُتميّز، فلا غرابة أن تُعدّ قراءة التراث تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"<sup>(٣)</sup>.

غير أنّ إعادة قراءة التراث اللغوي لا تعني إسقاط المناهج الحديثة على التراث، ويُعبّر عن هذا الرأي الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "إنّ المقصود - من قراءة التراث - ليس هو إسقاط المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، إذ لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى وفي أعيننا نظارات خاصة بالعصر الذي نعيش فيه فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب، وكلّ يعرف أنّ لكلّ عصر نظرة خاصة وتصوراً خاصاً للظواهر وكيفية خاصة للكشف عن أسرارها، والمنظور العربي يتميّز بلا شك في هذه العلوم اللسانية عن المنظور الغربي الحديث، ثم لا بُدّ أن نعرف أنّ الكثير مما هو موجود عند الغربيين ورثوه عن الحضارة اليونانية"<sup>(٤)</sup>.

هذه القراءة للتراث العربي لم تخلُ من العوائق والإشكاليات التي رافقت الدرس اللساني العربي الحديث، والتي سنعرض لها في المبحث الأول من هذا الفصل.

وكان من الأمور المهمة التي ينبغي الوقوف عندها هي (أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين)، إذ كانت موضوع البحث في المبحث الثاني من الفصل.

أما المبحث الثالث فقد تضمّن (اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين).

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١١ - ١٢ .

(٢) ينظر: النظرية اللغوية العربية الحديثة، د. جعفر دك الباب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٦م : ٢٣ .

(٣) مباحث تأسيسية في اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م : ٢٥ .

(٤) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٨ .

## المبحث الأول

## إشكاليات الدرس اللساني العربي الحديث

شهد حقل الدراسات اللغوية تطوراً ملحوظاً خاصةً في مجال اللسانيات، من حيث المناهج والاهتمام باكتساب اللغة وتعلّمها إلى درجة شغل بها معظم الباحثين والمهتمين بها في ميدان تعلّم اللغة، فقد حظيت الدراسات اللسانية بازدهار وإشعاع تبوّأت بهما منزلة مركز الجاذبية في كل البحوث الإنسانية إطلاقاتاً، وكان لها صدق في (الدرس العربي الحديث)، فبعد أن انفتح العرب على العالم الغربي وهو في أوج قوته وقمة عطائه، صعب كثيراً على العرب ملاحقة هذا التطور والالتحاق بركب التقدم العلمي؛ قد يكون من الأسباب التي أدت إلى هذا السير البطيء هو تعاملهم مع التراث العربي على أنه (ساكن) مما صعب الأمر عليهم أكثر مما يتوقعون<sup>(١)</sup>.

إن مسيرة الدرس اللساني الحديث لم تخلُ من العوائق و الصعوبات والعثرات التي اكتنفت طريقها، وهي ما زالت إلى يومنا هذا تواجه إشكاليات عدة التي تحول دون تسارعها وتطورها بصورة واضحة. ويمكن أن نُخصّص الإشكاليات التي تُعيق مسيرة الدرس اللساني العربي في النقاط الآتية:

## (١) المشكلات المنهجية والمعرفية في الكتابة اللسانية العربية:

يصف الدكتور عز الدين المجذوب الكتابات اللسانية الأولى بمصطلح (التجريبية)، والواضح أنه يقصد بهذا المصطلح معنى مساوٍ لعدم التأسيس للممارسات العلمية، ورفض التنظير الذي يضع المُسلمات موضع بحث وتساؤل، فهذه التجريبية تتجسد في مظهرين أساسيين هما<sup>(١)</sup>:

١- عدم الوعي بمحددات النظرية اللغوية بصفة عامة وهو ما سمّاه بالمستوى الإبستمولوجي.

٢- عدم الوعي بمحددات النظرية العلمية بصفة خاصة.

ويمكن القول: إنّ ما يُسوِّغ ما ذهب إليه الدكتور المجذوب نابع من رصده لبعض تجارب الباحثين في عدم تمييزهم بين مقتضيات الدراسة النظرية والدراسة التطبيقية؛ لأن التطبيق لا يبدأ إلا من حيث انتهت الدراسة التتظيرية، ولعلّ تجربة إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) تبين الخلط بين هذين المستويين من الدراسة بصورة واضحة وجلية، ويتضح ذلك من خلال مساواته بين مقتضيات الدراسة اللغوية ومقتضيات التدريس<sup>(٣)</sup>، فنجد الدكتور المجذوب يقول: "وقد بدا لنا أنّ الخلط بين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية في إتخاذ إبراهيم مصطفى من تبرم الناشئة بالنحو وصعوبة تدريس العربية حجة على فساد لازم في النحو العربي أو عيب ضروري فيه"<sup>(٤)</sup>. والواقع أنّ هذا ليس دليلاً علمياً على عدم كفاية النحو وفساده، فعدم فهم المتعلمين لقواعد النحو لا يكون دليلاً على أنّ هذه القواعد معقدة وصعبة، بل الصعوبة تكمن في طرائق التدريس والتطبيق العملي لها.

(١) ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، د.فاطمة الهاشمي بكوش: ١٤.

(٢) ينظر: المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، د.عز الدين المجذوب، دار محمد علي الحامي، تونس، ط١، ١٩٩٨م: ٣٥٨.

(٣) ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٣٧م: ٢٢ و ٤١ فما بعدها.

(٤) المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة: ١٤٠.

وقد نتج عن التفاعل مع الغرب عن طريق إيفاد عدد من الباحثين إلى الدول الأوروبية دخول الكثير من المناهج الغربية والتي بدأت بالظهور في مؤلفات الباحثين العرب، وكان المنهج التاريخي أول منهج يشق طريقه في الثقافة العربية<sup>(١)</sup>. فقد تطورت الدراسة التاريخية ولاسيما في مصر إذ نلحظ تجربة علي عبد الواحد وافي كأول قلم يكتب بشكلٍ مستفيض<sup>(٢)</sup> في كتابه (علم اللغة).

ويمكن تلمس جهود الدكتور إبراهيم أنيس في الدراسات التاريخية المقارنة من خلال كتبه (أسرار اللغة) و(الأصوات اللغوية) و(دلالة الألفاظ) و(اللهجات العربية)، فهو "أبرز من يمثل الدراسات اللغوية الحديثة، بما وضع من بحوث قيمة اعتمد فيها على نتائج العلم اللغوي المقارن، والعلم اللغوي التاريخي، وما هياه التطور من استخدام الآلة في العلم اللغوي"<sup>(٣)</sup>، إذ درس العربية من زاوية المفاهيم اللسانية الأوروبية الوصفية والتاريخية والتركيز على دراسة البنية الصرفية والتركيبية والدالية للغة العربية من خلال تقويمه لآراء القدماء في قطاعات اللغة من وجهة نظر اللسانيات<sup>(٤)</sup>. ويمكن أن نقف عند جهود هذا الباحث في أمورٍ عدّة في تجربته، إذ إنَّ الدراسة التي قام بها في المستوى الصوتي للغة العربية منتمية إلى الفونولوجيا على الرغم من إهماله الواضح لنظرية (الفونيم) التي تتأسس عليها النظرية الفونولوجية الحديثة<sup>(٥)</sup>.

أما دراسته اللهجات العربية فقد كانت دراسة مستقيضة من حيث استيعابها للمستويات اللغوية وعنايتها بعلاقة اللهجات القديمة باللهجات الحديثة وإفادتها من القراءات القرآنية بهدف التعرف على التطورات المهمة التي مست اللهجات العربية بعد ظهور الإسلام والفرق بين لهجات البدو الحضر، و اختلافها في الأصوات و الأبنية و الدلالة<sup>(٦)</sup>.

و بحث في كتابه (دلالة الألفاظ) النظريات الدالية الحديثة سواء المتقاربة أم المتعارضة، موازناً بينها وبين آراء العرب من فلاسفة ومتكلمين ولغويين، و دراسة لأشهر المعجمات اللغوية فضلاً عن أن أهم محطة في كتابه هي: تقسيمه الدلالة على: صوتية، وصرفية، واجتماعية و صلاتها باللفظ<sup>(٧)</sup>.

ثم ظهر كتاب الدكتور محمود السعران (علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي) عام ١٩٦٢م، ويمكن عدّه قارئاً جيداً للفكر اللساني الغربي من خلال كتابه التمهيدي<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، د. مصطفى غلفان، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م : ١٤٦، و المنوال النحوي العربي : ٢٢.

(٢) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين : ١٣٥

(٣) الدراسات اللغوية عند العرب (آل ياسين) : ٤٩٤ .

(٤) ينظر : الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الاسلامي للمنهج ، د.نعمان عبد الحميد بوقرة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ،الجامعة الإسلامية ، ماليزيا ، العدد الأول ، ٢٠٠٩م : ٤

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية : ٤٥ .

(٦) ينظر: اللهجات العربية : ٣٢ ، والدراسات اللغوية عند العرب : ٤٩٤ ، و اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ٢١٦ .

(٧) ينظر: دلالة الألفاظ : ٤٣ ، والدراسات اللغوية عند العرب : ٤٩٤ ، واتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٣٧٣ .

(٨) ينظر : اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٠٢ ، و اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ٢١٧ .

ومن اطلاع الباحثة عليه يمكن القول: بأنه من أوائل من استعمل مصطلح (بنوية) في الفكر اللساني العربي الحديث، فضلاً عن أنه في تجربته التمهيدية مزج بين اتجاهين متعارضين، فجدده يحاول التوفيق بين التحليل الشكلي الذي أرسى دعائمه بلومفيلد في الاتجاه التوزيعي، وهو اتجاه يُقَلِّد إلى حدٍّ كبير من أهمية الجانب المعنوي في الوصف النحوي، فالوظيفة النحوية للمورفيم محددة في الجملة من خلال توزيعه في أمثالها الأخرى، وبين اتجاه فيرث الذي يربط النحو بالدلالة<sup>(١)</sup>، وفي تمثله لاتجاه فيرث هذا السياق مبحثاً خاصاً يُعرّف بجهود ميشال بر يال وفيرث في دراسة الدلالة اللسانية دراسة علمية<sup>(٢)</sup>.

ويجسد الدكتور كمال بشر للغة في كتابه (دراسات في علم اللغة) الصادر عام ١٩٦٩م مفهوم التجريبية، إذ خصصه للبحث في التفكير اللغوي عند العرب في ضوء اللسانيات<sup>(٣)</sup>. وقد ركّز في تجربته على ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) اللذين يعتبرهما ممثل لعلماء العربية نظرية وتطبيقاً ومنهجاً لإدراكهم طبيعة العلاقات النسقية بين مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وإن أعاب عليهما بعض الشيء عدم توفيقهما في التطبيق<sup>(٤)</sup>، وصرّح بصعوبة إمكان التوفيق بين منهج العرب واللسانيات الحديثة، لعدم تكافؤ الطرفين ثقافياً وعلمياً، ويرى في التوفيق بين المنحيين خليطاً من التفكير ومزيجاً من طرائق البحث أوقعهم في أخطاء منهجية لا يُقرأها البحث الحديث<sup>(٥)</sup>. ولعلّ هذا الموقف يُعزى إلى الاعتماد على تأويل نصوص المتقدمين في عزلة عن لحظة تشكلها الثقافية، فأغلب الظن أنّ هذه القراءة لم تنظر إلى المقروء في شموليته وكُلّيته ولحظته التاريخية، مما جعلها تحكم عليه أحكاماً قاسية كلما وجدته يبتعد عن انموذجه اللساني الغربي الذي تنطلق منه أصالة<sup>(٦)</sup> من جهة، ومن جهة ثانية بيّن الدكتور كمال بشر الهدف العملي للدراسة اللسانية العربية المرتبطة بالنص القرآني في المرحلة الأولى وبتعليم القواعد النحوية في المرحلة الثانية<sup>(٧)</sup>.

أما تجربة الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه (دراسات نقدية في النحو العربي) الذي طُبِع عام ١٩٥٧، فيعبر فيها عن وجهة نظره إذ ينقد التراث النحوي الذي يُلخّصه في كلمة (نحو تقليدي) قياساً على النحو الحديث الذي تقدمه اللسانيات الوصفية بديلاً علمياً وموضوعياً للسابق<sup>(٨)</sup>، ويرى الباحث أنّ النحو العربي مبني على افتراضات عقلية نظرية يحاول النحويون تعميمها على المادة اللغوية من غير نظر إلى الاستثناءات على القاعدة، وهو عكس ما تُكرّسه النظرية الوصفية التي تستنبط القاعدة من الأمثلة اللغوية<sup>(٩)</sup>، وتأبى أن تقلّص الظاهرة اللسانية كما فعل التقليديون حين تنبوا الفكر الأرسطي، ويقترح الباحث بديلاً هو تبني منهج التحليل الشكلي الذي تتضمن معالمه وطرقه الإجرائية الوصفية في

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٣٢ - ٢٦١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٧ - ٣٢٧ .

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة: ٩ - ٧٩، واللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ٢١٨ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢، ٥٧، ٦١ .

(٦) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: ١٤٧ .

(٧) ينظر: دراسات في علم اللغة: ٥٩ .

(٨) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، د. ط: المقدمة (د) .

(٩) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: ١٩٨ .

كتاب زليج هاريس (مناهج اللسانيات البنوية) الذي يوضح فيه كيفية تصنيف الوحدات اللسانية في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية<sup>(١)</sup>، ويعني هذا الكلام أنّ شكل اللفظة هو الذي يساعد الدارس على تحديد قسمها الذي تندرج فيه، فضلاً عن توزيعها في داخل الجملة بين الأجزاء المؤلفة الأخرى دون العودة أصلاً إلى المعنى.

و يلحظ الدارس أنّ أعمال هذا الجيل تتسم بقراءة الموروث اللغوي العربي قراءة قد تكون إلى حدٍ ما علمية وموضوعية؛ إذ اعتمدوا في قراءتهم على نوعية المقروء و كيفية قراءته و منطلقات القراءة<sup>(٢)</sup>. إلا أنّ هذه الأعمال لم تخلُ من النقد، فوجد الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري ينتقد بواكير الأعمال اللسانية ويسمّيها ب(التجريبيون الساذجة) ويصفها بالتخلف<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن انتقاده للمصنفات اللسانية الأولى (ولاسيّما الوصفية)؛ إذ يرى فيها أنّ الكثير من الوصفيين ادّعوا علميةً منهجهم في حين أغفلوا الكثير من الجوانب العلمية في النظرية اللسانية وفي مقدماتها البعد التفسيري للظواهر اللغوية<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن أنّه لم يمنح أي عذر للكتابات اللسانية الأولى، في حين نجد الدكتور المجذوب يُسوِّغ أخطاءها وهفواتها، فعلى الرغم من كونه يعدّ التجريبية تُشكّل إحدى العراقيل التي منعت بشكلٍ أو بآخر من دراسة النحو العربي دراسة حديثة، إلا أنّه في المقابل يعلِّق من وُصِفوا بها لهم العذر فيما ذهبوا إليه؛ لأنّ التجريبية قد لا تكون عيباً في الباحث نفسه، وإنّما تكون في بعض الأحيان حتمية تاريخية لا مناص منها، متجاوزة بذلك إرادة الأفراد<sup>(٥)</sup>. وقد يكون موقف الدكتور المجذوب موقفاً معتدلاً؛ لأنه من الطبيعي أن يكون التأثير جزئياً بين الثقافتين العربية والغربية .

## ٢) إشكالية الترجمة:

تُعَدُّ الترجمة من الوسائل الأساسية للرقى اللغوي في أية لغة، ومن الضروري أن تكون موضع اهتمام بالبحث العلمي وأن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تُمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه؛ لأنها باب من أبواب التفتح على الآخر فضلاً عن أنّ إتقان لغة زائدة عن اللغة الأم هي فرض عين على كل مشتغل بالبحث<sup>(٦)</sup>.

وقد عمِلَ في الترجمة طائفة من الباحثين المهتمين بهذا المجال؛ إذ ترجموا عدداً من الأعمال القيمة في حقل الدراسات اللغوية، واستطاعوا بذلك نقل المناهج اللسانية إلى جيل الرواد من اللسانيين المعاصرين العرب . فقد ترجم الدكتور حمزة بن قبلان المزيني - على سبيل المثال - أعمال عدّة ولاسيما في نقل المنهج التحويلي التوليدي ، وامتاز أسلوبه بالإتزان والانفتاح . فضلاً عن ترجمة الباحث

(١) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي : ٢، ١١ .

(٢) ينظر: الكتابة اللسانية العربية : ٥ ، و اللسانيات العربية الحديثة : ١٤٦ .

(٣) ينظر: اللسانيات واللغة العربية ، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال ، المغرب ، ط ١، ١٩٨٥م: ٥٧/١ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٥٨ فما بعدها .

(٥) ينظر: المنوال النحوي العربي : ٣٥٨ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٧١ .

محمد فتوح فقد ترجم كتاب المعرفة اللغوية لتشومسكي بلغة عربية علمية محاوراً لنقاط الافتراق والاتفاق بين المشروعين اللغويين، اللساني الغربي واللساني العربي<sup>(١)</sup>.

وتبقى هذه الجهود ضئيلة في مجال الترجمة إذا ما نظرنا إلى الجوانب التي بقيت غامضة من هذه المناهج على الكثير من الطلبة والباحثين، بسبب بقائها على حالها في اللغات التي كُتبت بها، يقول الدكتور هادي نهر: "ولا نعتقد أنّ ما يترجم من الدرس اللساني كافٍ لتأسيس معرفة لسانية عربية؛ إذ لم يصاحب ذلك تمثّل واضح ومعتمّق لما يُترجم، وتيسير العلوم باللغة العربية، والقيام بوضع كتب في اللسانيات تؤكد أننا نعي ما نُترجم، ولأننا نقدر على التحليل والاستنباط والإثراء والموازنة"<sup>(٢)</sup>.

إنّ ترجمة نص ما من لغته الأصلية إلى لغة أخرى يمثل بالدرجة الأولى مسؤولية المترجم أمام قرائه في اللغة الجديدة، فالإنسان لا يُترجم للقارئ القادر على قراءة النص بلغته الأولى، القارئ المقصود أولاً وأخيراً هو القارئ غير القادر على التعامل مع النص الأصلي، فالمترجم يُعدّ مسؤولاً علمياً وأخلاقياً أمام قارئه، فضلاً عن أنّ عملية الترجمة تتطلب معرفة كاملة غير منقوصة باللغتين، فعدم التمكن من لغة النص الأصلية يعني بالضرورة عدم فهمه ومن ثم توصيل رسالة غير صحيحة إلى القارئ، والشيء نفسه للغة الترجمة إذ أنّ عدم التمكن من ناصية اللغة التي يترجم إليها يعني الفشل في توصيل المعنى الأصلي، بصرف النظر عن تحقق فهم النص في لغته الأولى<sup>(٣)</sup>.

ويتبادر إلى الذهن سؤال ماذا نترجم؟ وهل كل ما تنتجه الثقافة الغربية في ميدان الدراسة اللغوية يجب ترجمته؟

لعلّ بعض الباحثين أجاب عن السؤال بالقول: إنّ الأولوية للأعمال الراقية التي تخدم اللغة العربية<sup>(٤)</sup>. لكن هذا الجواب يخلق تساؤلاً آخر هو: ما الذي يُميّز الأعمال الراقية من غيرها، ومن يحكم باستحقاقها الترجمة من دونه؟

إنّ الترجمة من هذا المنظور - كما ذكرنا - تتطلب مترجماً ملماً بأساسيات الترجمة العلمية - فضلاً عن ذوقه و مسؤوليته - تمكّنه من تمييز الأعمال الجيدة من غيرها، إلا أنّ الإلمام أمر نسبي عند المترجمين، فما يصلح عند هذا قد لا يصلح عند ذاك، وما يراه هذا جيداً قد يراه الآخر رديئاً غير جدير بالترجمة والنقل.

ويمكن أن يردّ هذا التباين في الترجمة إلى عوامل ذاتية تتعلق بالمترجم نفسه، يقول الدكتور حمزة بن قبلان المزيني: "أظن أنّ مصدر الخلل أن كثيراً من المترجمين ليسوا متخصصين في اللغة العربية، فأكثرهم متخصص أساساً في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. ومن هنا فإنّ المشكل يتمثل في عدم تفرّس

(١) ينظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات : ٣١٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٥ .

(٣) ينظر: المرايا المقعرة : ١١٦ .

(٤) ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، د. عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م : ١٦١ .

بعض هؤلاء المترجمين بالأساليب العربية، وهو ما ينشأ عنه استغراق تلك الترجمات وعجمتها التي تحتاج إلى ترجمة<sup>(١)</sup>.

للترجمة أهمية كبيرة؛ لذا اقترحت بعض الدول إنشاء مؤسسة للقيام بالترجمة للمراجع العلمية على نطاق واسع، فضلاً عن المجامع العلمية<sup>(٢)</sup>، وهذا في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح غير كافٍ لحل مشكلة الترجمة فهو يقترح " مشروع تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المتخصصة يسعى إلى سدّ فراغ مهول في الوطن العربي... ويتمثل هذا الفراغ في عدم وجود مترجمين متخصصين في نقل العلوم والتكنولوجيا"<sup>(٣)</sup>.

فُتعدّ الترجمة من مظاهر التقدم الحضاري، وللترجمة مساران: أحدهما نظري، والآخر تطبيقي قائم على تطبيق معالم نظرية الترجمة عند نقل أي رسالة من لغةٍ إلى أخرى، سواء أكانت الرسالة خطاباً سياسياً أم اجتماعياً أم علمياً، أما النظري فهو نظرية الترجمة من حيث القواعد والأسس والمشكلات القائمة أو التي يمكن تصور قيامها عند ممارسة العمل في الترجمة، والحلول العملية المقترحة للتغلب على المشكلات وطرق الترجمة ومنازلها<sup>(٤)</sup>.

وحرئ بالذکر أنّ هناك من اللسانيين من يعدّ الترجمة فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي<sup>(٥)</sup>، ولما كان لعلم اللغة نظريات متعددة في تحليل اللغة ووصفها، فقد تعدّدت تبعاً لذلك نظريات الترجمة<sup>(٦)</sup>، ولكن هذه النظريات على تنوعها واختلافها، أسندت إلى مبحثين هامين: الأول: نظرية الاتصال، والثاني: علم الدلالة .

ولا بُدّ من التنبيه على أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أولى الترجمة أهمية في دراساته، إذ أفرد فصلاً من كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية) تحدث فيه عن الترجمة وإشكالياتها في الوطن العربي، فضلاً عن بعض اقتراحاته لتذليل صعوباتها؛ وذلك لأهميتها ولكونها من الأساسيات في البحث اللساني العربي الحديث "فالترجمة من الوسائل الأساسية لللقي اللغوي في أية لغة ومن هذا المنطلق أرى أنه من الضروري أن يكون موضوع اهتمام بالبحث العلمي وأن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تمارس كما يمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه"<sup>(٧)</sup>.

ومن هنا تُعدّ الترجمة - عنده - هي الوسيلة الحاسمة في تعميق التواصل مع العالم المتقدم، إذ تقوم على توسيع دوائر الحوار التي تؤدي إلى امتلاك مفردات العصر ولغاته وتجسير الهوة الفاصلة بين المتقدّم والمتخلف والسبيل إلى فتح آفاق جديدة من وعود المستقبل الذي لا حدّ لإمكانياته، فهي علامة

(١) أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات : ٦١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٧١ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٣٧٢ .

(٤) ينظر: اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج (استيتية) : ٣٨٨، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) ينظر: اللسانيات (استيتية) : ٣٩٠ .

(٦) من هذه النظريات ما ورد في عدد من المؤلفات الغربية التي ترجمت إلى العربية - على سبيل المثال - ينظر: نحو علم الترجمة، يوجين نيدا، ترجمة ماجد النجار، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦م، ونظرية لغوية للترجمة، جي بي. كاتفورد، ترجمة عبد الباقي الصافي، البصرة، ١٩٨٣م .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٧٧ .

الانتساب إلى الحضارة العالمية في تنوعها الخلاق، لذلك أصبحت درجة التقدم تُقاس بدرجة ازدهار حركة الترجمة في هذه الأمة أو تلك، كما تُقاس بشمول هذه الحركة في تعدد مجالاتها التي تصل الحاضر بالماضي في التطلع إلى المستقبل<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم مما تتعرض له الترجمة من عوائق تبقى في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وسيلة مهمة جداً في العلوم الحديثة، تقوم على رُقْي اللغة وازدهارها، وترجع نظرتة هذه إلى أسباب عدّة لعل أهمها:

١- أنّ الترجمة تعدُّ باباً من أبواب التفتح على الآخر.

٢- الاستزادة اللغوية إذ يذهب إلى أن "اتقان لغة زائدة عن اللغة الأم هي فرض عين على كل مشغول بالبحث"<sup>(٢)</sup>، فقد أخذ منها (فرض) للأهمية البالغة التي تزود علوم اللغة، فإنّه إذا ما أتقنت لغة أخرى هانت على الباحث الكثير من الأمور العلمية التي يشق دراستها حديثاً، فكما أنّ الترجمة عند عدد من الباحثين العرب فنّاً، فالدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - أيضاً - عدّها كذلك وأشار إلى ضرورة توسيع إقامة مراكز للدراسة وممارسة (فن) الترجمة في العالم العربي وتشجيع الأبحاث بشرط ضرورة التنسيق فيما بينها، وقد كوّن مشروع مُصغّر حاول فيه إطلاق وعرض أهدافه التي ينبغي توفرها في هذا المجال وكان بعنوان (مشروع تكوين مختصين)، فقد حصر في هذه الزاوية الفئة من الباحثين العرب، وكان برأيه أنّ هذا المشروع سيكون حلاً جذرياً لمشكل الترجمة إذ يرى ضرورة "تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المختصة"<sup>(٣)</sup>، لتزول عشوائية وفوضى وضع المصطلحات العلمية وتقنين الترجمة من مجالس علمية معتمدة .

وتتمثل سمات وأهداف هذا المشروع في:

- ١- تكوين مختصين في الترجمة (لنقل العلوم والتكنولوجيا) وذلك بالإعداد على نطاق واسع لعدد كبير من المترجمين في نقل العلوم، ومن المعروف أنّ العدد الذي تتوفر عليه البلدان العربية من الاختصاصيين في ميدان الترجمة عدد تافه جداً<sup>(٤)</sup>. يتطلب ضرورة التكوين السريع.
- ٢- سدّ النزاع اللغوي المهول والعظيم في الوطن العربي.
- ٣- توفير الكتاب العلمي مما يؤدي إلى استرجاع اللغة العربية لمكانتها الأصلية، وبه تتكاثف الجهود عن هذه الثقافات التي تقوم على غفوة أنّها في درجة الكمال أحياناً. فضلاً عن تحذيره - الحاج صالح - من الخطر الذي يلحق البحث العلمي، إذ إنّنا " سنبقى مهددين بخطر عظيم وهو أن نعتقد أنّ الاكتفاء الذاتي في ميدان العلوم هو مثل الاكتفاء الغذائي"<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: حول المشروع القومي للترجمة، جابر عصفور، مجلة العربي، الجزائر، العدد ٤٩٤، ٢٠٠٠م : ١٠٠ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٧١ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٢ / ١ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٧٣ / ١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٧٢ / ١ .

## (٣) إشكالية توحيد المصطلح اللساني:

تُعَدُّ المصطلحات مفاتيح أي علم من العلوم ، فالمعرفة الاصطلاحية تكاد تصبح المعرفة العلمية ذاتها، "قالوزن في كل علم رهين مصطلحاته، لذلك نسميها أدواته الفعّالة، لأنها تولده عضوياً، وتنشئ صرحه، ثم تصبح خلاياه الجنينية التي تكفل التكاثر والنماء"<sup>(١)</sup>.

و يُعرفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنه " دراسة الألفاظ الخاصة بالعلوم والتقنيات بتجميعها ورصدها وتحليلها ووضع بعضها عند الاقتضاء"<sup>(٢)</sup>. فالمصطلح إذاً هو تواضع دال جامع، في إطار تواضع آخر أوسع منه هو اللغة.

إنّ لعلم المصطلح ارتباط وثيق بالترجمة، فكلاهما يستخدم اللغة هدفاً ومضموناً ووسيلة، فهدهما لغوي (وضع مادة لغوية جديدة)، ومضمونها لغوي (المادة اللغوية)، ووسيلتهما لغوية (استخدام اللغة في التعبير عن المضمون)، وهذا يؤدي إلى كثير من التشابه والتشابه بينهما مما يساعد على دراستهما معاً وعدم الاستغناء عن أحدهما في البحث اللساني الحديث.

وقد تعددت وسائل دخول المصطلح إلى اللغة العربية، فبعد هذا التطور الذي عرفته المعلوماتية كان ولا بُدّ من دخول ألفاظ عدّة، وقد اختلف الباحثون في صوغ مقابلات عربية للمصطلحات اللسانية المستحدثة، وسعى الباحثون إلى توحيد هذه العملية في الوطن العربي، ومن هؤلاء نذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ أنّه حاول " إعطاء التسميات العربية في كل ما يستجد في عالم الحضارة بالخصوص"<sup>(٣)</sup>، إذ نجد في الثقافة العربية للمصطلح الغربي أكثر من ترجمة، وذلك لتميّز الثقافة الغربية بالثراء المصطلحي مقارنةً بالإنتاجات العربية الضئيلة التي أرغمتنا على استيراد هذه المصطلحات العربية، وقد بيّن الدكتور الحاج صالح ما سبّته الترجمة للمصطلحات الغربية من (فوضى لغوية) - على حدّ تعبيره - ولذا هدف الباحثون إلى توحيد المصطلحات الحديثة وتنميطها، ويقول الحاج صالح في هذا الصدد: " يجب اختيار لفظ واحد على مقاييس معينة، فإن لم يوجد اللفظ في العربية يلجأ إلى وضع لفظ عربي على المقاييس المتعارف عليها، وينبغي أن يوزع هذا العمل على المجامع اللغوية تجنباً للتكرار"<sup>(٤)</sup>؛ لأنّ المبتدئ يجد نفسه أمام هذا التشعب المصطلحي وهو عاجز عن التعامل معه، بل إنّه ليجد في بعض الأحيان العشرات من المصطلحات العربية في مقابل مصطلح أجنبي واحد، وهو لا يميّز بأيّ من هذه المصطلحات يأخذ وعن أيّها يُعْرَض.

ولابُدّ من التتويه أنّه في حديث الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن مشروع الذخيرة اللغوية صدر عن وعي بمدى إسهامه في حلّ هذا الإشكال، يقول: " فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة

(١) أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات : ٦١ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٧٤ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٦ / ١ .

(٤) مساهمة المجامع اللغوية في ترقية اللغة العربية، د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثامن،

بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة<sup>(١)</sup>. فضلاً عن إشارته إلى دور المجامع اللغوية، وما تقوم به المنظمة العربية للتربية والعلوم التابعة للرباط من تجميع المصطلحات التي تُستعمل في الوطن العربي وعرضها على مؤتمر الخبراء العربي لاختيار بعضها ومن ثمّ توحيدها؛ للحصول على استعمال فريد لا يُشتت الباحث في هذا المجال<sup>(٢)</sup>.

و يسير العمل في النشاط المصطلحي في اتجاهين<sup>(٣)</sup>: أحدهما فردي، والآخر جماعي.

فأما الاتجاه الأول: يُمثله المتخصصين الأكاديميين، سواء أكان ذلك في المصطلحات التي تُعربونها في بحوثهم وكتبهم، أم في قوائم المصطلحات الملحقة ببعض مؤلفاتهم، أم في القواميس المتخصصة التي وضعها بعض الأكاديميين، وكثيراً ما تبدو هذه الأعمال متباينة تبايناً كبيراً.

وأما الاتجاه الثاني: يتمثل فيما صدر من مجموعات مصطلحية عن مجامع اللغة العربية، ومكتب التنسيق التعريب، وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي قام بها هذا الاتجاه إلا أنه لم يستطع التصدي لهذا التشعب، ولم يستطع الوصول إلى توحيد المصطلحات على الساحة اللغوية العربية.

فقضية المصطلح عند العرب بقيت محصورة في الأعمال الفردية، ولم ترتق إلى الجهد الجماعي الذي يُشكل حلقة عمل متناسقة التوجيهات والنتائج، إذ إنّ العمل الجماعي هو الذي تقوم به أسرة من الباحثين ينتظمون فيها انتظام الخلايا، كلُّ يؤدي فيها عملاً جزئياً يكمل أعمال الآخرين، وهذا لا يكون إلا من خلال منطلق يُقدّم لنا فيه عدّة أعمال تتعلق بالمصطلح، وهذا المنطلق الذي ذكرناه آنفاً هو (الذخيرة اللغوية) .

ومن الحلول التي تقدمها لنا الذخيرة اللغوية العربية في قضية المصطلح هي<sup>(٤)</sup>:

- ١- إحصاء المفاهيم: تقوم بإحصاء كل المعلومات التي تتعلق بالمصطلح مع تقديمها بشكل سريع.
- ٢- تصنيف المصطلحات: إعادة ترتيبها على وفق لنظام معين يشرف عليه أهل الاختصاص لاحقاً.

٣- تخصيص كل واحد منها في ملفات: وهو تابع للتصنيف عينه إذ ترتب المصطلحات على وفق ملفات كل منها خاصة بنوع معين. فضلاً عن التنسيق بين هذه الوحدات إذ يسهم في إبراز أثر هذا البنك الآلي من النصوص وأهميته في صناعة المعاجم العربية بطريقة إلكترونية حديثة.

#### ٤ - الفهم غير الصحيح للتراث العربي:

خلف العلماء العرب القدماء إراثاً لغوياً كبيراً غزيراً، ومن حقنا نحن أبناء العربية أن نعتزّ ونفتخر به؛ كونه تراكماً إيجابياً لحقبٍ مختلفةٍ من تاريخ الأمة العربية، وإنّ التشبث بهذا التراث تشبث بالهوية والحفاظ عليها، وليس في هذا عيب أو خطأ.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٩٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٣٨٦ .

(٣) ينظر : اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج (استثنائية) : ٣٨٢ .

(٤) ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٩٨ فما بعدها .

ولكن مع ظهور اللسانيات - وهي مناهج انبثقت من الغرب - بدأ الدارسون والباحثون العرب بالفهم غير الصحيح للتراث العربي؛ وذلك أنّ تراثنا العربي يجب أن يكون بمعزل عن اللسانيات الحديثة، متناسين جهود العرب القدماء في علم (اللسان)، فصحيح أنّ اللسانيات هي مناهج غريبة ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي لا ينتميان إلى الغرب - فقط - وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والعرق والهوية والقومية<sup>(١)</sup>، إلا أنّ للعرب "في هذا الباب علماً قديماً بل ركاماً من العلم، فهل من الصواب أن نفرط بهذا الكنز بدعوى أنّه جدّ جديد في الموضوع؟! أفلا يكون من الرصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر، ولاسيما وأنّ هذا الماضي وضاء... لهذا كان لزاماً علينا أن نربط الحديث بالقديم"<sup>(٢)</sup>. وأنّ الفكرة الرئيسية في البحث العلمي هي " أنّه لا سابق دون لاحق ولا لاحق دون سابق، وكل من يُنكر هذا القانون العلمي إنّما نظرته إلى الظاهر هي نظرة شخصية وليست نظرة موضوعية"<sup>(٣)</sup>.

ولعلّ مما ينبغي التنبيه عليه أنّ أهم الدراسات المبكرة التي أولت اللغة العربية من حيث هي كائن اجتماعي يتطور ويؤثر ويتأثر، تلك التي تبناها الغربيون في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العشرين، وربما أمكننا الاستئناس بها في هذا المقام إذ تنتزل جُلّها في سياق الاعتراف بفرادة البناء اللساني العربي، و قدرة هذه اللغة على مواكبة مستجدات العصر والحدث الحضاري<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا الصدد يذهب الدكتور المسدي إلى أنّه لا بُدّ من إقامة حوار معرفي مع التراث، فهذا الأخير - الحوار - يقينا خطر الانبهار مما قد يتوهم البعض به أنّ الفكر الخلاق إنما هو " الفكر الآخر: غير العربي، ومن مستلزمات الموقف العلمي الواثق بضابط الموضوعية أن نتناول مادة التراث العربي خارج حدود المركّبات: سواءً أكانت مركّبات الغرور والاستعلاء أم مركّبات النقص والاحتواء، وبين طرفي معادلة القراءة النقدية الواعية نستنبط بمجهر القراءة أشياء ليست هي التراث في حرفيته، ولا هي اللسانيات في منطوقها المتداول، وإنما هي كشف مستحدث يمكننا من تقديم إسهام ينضاف في حلبة العلم الإنساني الجديد"<sup>(٥)</sup>، وذكر الأسباب التي دعت إلى الغفلة عن إسهامات العرب بقوله: " إنّ من الأسباب التي دعت إلى الغفلة عن حظ العرب من إثراء التفكير اللغوي الإنساني ورود نظريتهم اللغوية مبنوثة في خبايا تراثهم الحضاري بمختلف أصنافه وأضرب مشاريعه... أما النتيجة التي آل إليها (النسيان) تراث العرب في اللغويات العامة، فهي حصول قطع في تسلسل التفكير اللساني عبر الحضارات الإنسانية، فنهضت الحضارة الغربية على حصيلة التراث اليوناني أساساً لكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب. وإذا جاز لنا أن نبسط مصادرة في البحث أمكننا أن نقرر افتراضاً أنّ أهل الغرب لو انتبهوا لنظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم

(١) دراسات لسانية تطبيقية، د. مازن الوعر، دار طلاس، ط ١، ١٩٨٩م : ٣٩ .

(٢) توطئة في علم اللغة، التهامي الراجي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٧م : ٥ .

(٣) دراسات لسانية تطبيقية : ٣٢ .

(٤) ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م : ٨ .

(٥) مباحث تأسيسية في اللسانيات : ٢٩ .

لعلومهم في فجر النهضة لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها كانت تكون أدركت ما لا تدرکه إلا بعد أمد<sup>(١)</sup>.

ونخلص من ذلك إلى أنه ينبغي لنا أن نفهم تراثنا فهماً صحيحاً، فضلاً عن فهمنا للسانيات وجعلها حافظاً يدفع الكثير من الباحثين إلى العودة إلى التراث جمعاً وتمحيصاً، ونجعلها - أي اللسانيات - من الأسباب التي تمكننا من التفكير جدياً في وضع التراث اللغوي العربي في مكانته الصحيحة، ولا نجعلها تهديداً على اللغة العربية ولا على موروثنا اللغوي العربي، بل على العكس من ذلك يُمثّل حافظاً قوياً ودافعاً أساسياً لاستتقاق تراثنا العربي، والتخلص من الإرباك والإشكاليات التي تجعل المتلقي مستعصياً أكثر، وقد يعزى هذا الإرباك إلى أنّ " مَنْ قَدّموا هذا الوافد الجديد للعرب المحدثين لم يقَدّموه في صورته الحقيقية من ناحية هدفه، قَدّموه علماً جديداً وهو ليس علماً جديداً، إنما هو مناهج جديدة. وفي حالات أخرى قَدّموا النتائج ولم يُقَدّموا المقدمات، وكانت صورة التقديم هذه سبباً في إعراض الموروث القديم عن هضم الجديد، وكانت صورة التقديم تزداد سوءاً كلما تعددت العناوين واختلفت"<sup>(٢)</sup>.

ولعلنا في مقامنا هذا نقَدّم بعض المقترحات التي نخالها ضرورية لتطوير وتلافي الإشكاليات في درس اللساني العربي الحديث، وربطها بالدرس اللغوي العربي القديم، منها<sup>(٣)</sup>:

أ - ضرورة فصل إشكالية مقارنة التراث العربي عن إشكاليات زائفة من قبيل التأصيل والدفاع عن الخصوصية، فالتأصيل ينبغي أن يكون من خلال تجذير الأسس العلمية لممارسة البحث اللساني، ووصل البحث في خصائص النظام اللغوي العربي بخصائص الوصف الصوري لأنظمة لغوية أخرى.

ب - استثمار أسلوب تقويمي جديد يبنى على مسلمة مفادها أنّ دراسة أعمال القدماء يجب أن تُستخلص منها أهم المحاوريات المتحكمة فيما أنجزوه، وموازنتها بمحاور اللسانيات المعاصرة، بدل أن تقف المقارنة عند حدود سطحية، على سبيل المثال ما قام به الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في عمله (النظرية الخيلية الحديثة) - وسنبين ذلك إن شاء الله - وعمل الدكتور احمد المتوكل (تأملات في نظرية المعنى في التفكير اللساني العربي)، إذ بلور إطاراً لتقويم التفكير النحوي القديم، يقوم على استخلاص التصورات الضمنية، ومحتويات التفسير وأدواته لدى النحاة والبلاغيين والأصوليين مع تجريب إمكانية تمازجها، وتكاملها مع النظريات الدلالية والتداولية المعاصرة.

ج - بناء أدوات صالحة لوصف اللغة العربية تخضع للشروط الإبستمولوجية<sup>(٤)</sup> مثل: البساطة والشمول والدقة.

(١) مباحث تأسيسية في اللسانيات : ٣١ .

(٢) الاتجاه البراغماتي، لطيفة حليم، مجلة الفكر العربي، المجلد ١٧، العدد الأول، ١٩٨٦م : ٢٤٣ .

(٣) ينظر: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات : ٢٤ .

(٤) الإبستمولوجية : مصطلح صيغ من كلمتين يونانيتين Episteme ومعناها: علم، و Logos ومن معانيها: علم ونقد ونظرة ودراسة... وبذلك يكون معناها (علم العلوم) أو (الدراسة النقدية للعلوم)، ينظر: تفصيل ذلك في: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات : ٢١ .

د - تنظيم أدوات الوصف والتفسير بحسب مستويات الدرس اللساني المعاصر (المستوى الصوتي، والصوفي، والتركيبى، والتداولي...).

هـ - بناء لسانيات أصيلة وحديثة، تستطيع أن تجدد صورتها للتراث وتفتح منافذ إدراجه في البحث اللساني العربي، لسانيات واعية لتأسيس الإطار المعرفي لقراءة التراث (النحوي، البلاغي، الصرفي...). ووضوح التصور والمنهج، يُعدُّ مقدِّمة لتجاوز الإشكاليات المكررة حول علاقة التراث اللغوي باللسانيات المعاصرة.

وأود أن أُشير إلى أنني حاولت مما سبق أن أقف عند أهم الإشكاليات في الدرس اللساني العربي، وكيفية تلقي هذا العلم الوافد (اللسانيات) وأشكال الممانعة الحائلة دون تطوره ونضجه. فضلاً عن طرح بعض المقترحات التي قد تُفيد أو تحاول في حلِّ هذه الإشكاليات . فالبحث اللساني في ثقافتنا العربية لا يمكن أن يتطور ما لم يتخلص من الأحكام المُسبقة، وهذه الإشكاليات ليست (إشكاليات لسانيات) فحسب، بل هي إشكاليات محددات، ورؤى فكرية تحتاج إلى إعادة التشكيل بطريقةٍ صحيحة تسير وتواكب تقدم الحضارة الإنسانية في مناحيها المتعددة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٩٥ .

## المبحث الثاني

## أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين

حينما نبحث عن الأصول التوافقية عند اللسانيين العرب المحدثين في حقل (اللسانيات)، فلا بُدَّ من القول بأنَّ معرفتهم مرتبطة بإطار مرجعي لا يمكن تناسيه وهو (التراث اللغوي العربي). ويمكن الوقوف على مثل هذا المسعى عند صبحي الصالح في بحثه (أصول الألسنية عند النحاة العرب) حيث يُعلِّل اختياره لهذا العنوان بالقول: "قد يكون هذا العنوان الذي اخترناه لبحثنا مدعاة للدهشة عند علماء اللغة المعاصرين؛ لأنَّهم يستكثرون على قدامى نحويينا ولغويينا العرب منذ قرون وأجيال أن يخوضوا في علومٍ لم تستقر تسميتها إلا في نهاية القرن التاسع عشر، ولم تستقل فروع التخصص فيها إلا في منتصف القرن العشرين، وما تبرح على ما بلغته من نتائج، أحوج ما تكون إلى مزيدٍ من التحقيق والتحصيص. وتزداد الدهشة من إثارة موضوع كهذا إذا توهم القارئ أننا نقصد بأصول الألسنية مناهجها ومبادئها على السواء، غير مكتفين بالجزئيات التي يشهد بوفرتها عند نحويينا ما تنقله وينقله عنهم غيرنا من النصوص"<sup>(١)</sup>.

ثم شرع بعد ذلك ببيان معنى عبارة (أصول الألسنية) ومقارنتها بـ (أصول النحو)، إذ قال: "إنَّ عبارة (أصول الألسنية) هنا أوسع مجالاً وأدق دلالة من عبارة (أصول النحو)"<sup>(٢)</sup> التي تحدث عنها نحويٌّ كبير كأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وجعلها بمثابة المناهج الأساسية في النحو، وجعل معرفتها علماً قائماً بذاته، واحتدى فيها المؤلفين في أصول الفقه"<sup>(٣)</sup>.

ويرى الباحث أنَّ "الفارق الحاسم بين (أصول الألسنية) وما سماه ابن الأنباري (أصول النحو) يرتسم بكلِّ وضوح في رفضنا حصر البحوث اللغوية في ميدان النحو وحده، أو في أي مجال واحد من مجالات اللغة المتشعبة كعلم الصرف وحده، أو البلاغة وحدها، أو الدلالة المعجمية وحدها، أو تحليل المادة الصوتية وحدها في التجويد والقراءات واللهجات، مهما يُوضع لكلِّ منها على حدة من مناهج ومهما يحدّد منها من طرائق... ومهما يكن إعجابنا وإعجاب غيرنا بأصول الفقه التي انتهى فيها أئمتنا الخالدون إلى أدق النتائج في ضوء الأدلة والبراهين، حين عالجوا قضايا الشرع و الدين"<sup>(٤)</sup>.

فالدكتور صبحي الصالح يرى أنَّ اللغويين العرب قد اهتموا إلى أدق جزئيات البحث اللساني، وهي تعلن نفسها بنفسها، وكلَّ إغفالٍ لها هو من ضعف الذاكرة الذي يصيب الأوساط العلمية اللغوية الحديثة؛ لأنَّها تُبدي إعجابها بتعريفات الدارسين المعاصرين للغة، وبالنتائج المترتبة على تعريفاتهم، في حين ننسى رد جمهرة تلك التعريفات إلى أصولها الأولية عند أسلافنا العرب الخالدين"<sup>(٥)</sup>.

(١) أصول الألسنية عند النحاة العرب، د. صبحي الصالح، مجلة الفكر العربي، العدد ٨ - ٩، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٩م : ٥٩ .

(٢) يعرف أبي البركات الأنباري أصول النحو بأنَّها: "أدلة النحو التي تفرعت منها فروع وفصوله، كما أنَّ أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله". لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني : ٨٠، وينظر: الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل : ١٣ .

(٣) أصول الألسنية عند النحاة العرب : ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه: ٦١ .

(٥) ينظر: أصول الألسنية عند النحاة العرب: ٦٥ .

ولا يخفى فضل علمائنا العرب القدماء على اللسانيات، إذ للعرب "فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللغوية، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث سواء أكانت هذه المناهج الوصفية البنوية، التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة، زماناً ليس بالقصير، منذ أن أصل معطياته اللغوي السوسيري دي سوسير، في أوائل القرن العشرين، أم كانت هذه المناهج التوليدية التحويلية، أحدث المناهج الحديثة وأدقها، والذي نال الشهرة والذيع والاهتمام قدراً كبيراً في الربع الأخير من القرن العشرين"<sup>(١)</sup>. فنجد أنّ هناك من اللسانيين العرب لا يترددون في الكشف عن أصول للمناهج والمداس اللسانية الغربية في التراث اللغوي العربي.

وقد آثرت البدء بالحديث عن أهم الأصول التوافقية عند اللسانيين العرب، وربط هذه الأصول بالمدارس اللسانية، وتوضيح آثار تلك الأصول ومدى توافقها مع العرب القدماء، ونربط تلك الأفكار إما على نحو مباشر أو غير مباشر بالأصول التوافقية. فالتقارب أو التوافق لم يكن اعتباطياً في الدرس اللساني العربي الحديث، فقد "ترك العرب آثاراً لا يُستهان بها... ومن واجبا الاطلاع عليها لإبراز دورهم في تاريخ الدراسات اللغوية ولبيان مكانة بحوثهم من علم اللغة الحديث"<sup>(٢)</sup>.

إنّ المناهج اللسانية تختلف باختلاف الجوانب اللغوية التي يوليها اللساني عنايته، فالمنهج (الوصفي البنوي) يهتم ببنية ووصف اللغة، والوظيفي يهتم بوظيفة اللغة، والتوليدي يهتم بكيفية توليد الجمل اللغوية غير المتناهية من قواعدها المحدودة، والتداولية (التخاطبية) تُعنى بتجليات اللغة في المقام الخطابي<sup>(٣)</sup>.

إنّ التأسيس الذي سنتحدث عنه يتمثل بما يأتي:

أ - أصول وصفية بنوية .

ب - أصول توليدية تحويلية .

ج - أصول وظيفية تداولية.

أ - أصول وصفية بنوية في التراث اللغوي العربي:

اللسانيات البنوية هي الصيحة النظرية والمنهجية التي جمعت مدارس مختلفة في دراسة اللغة في القرن العشرين<sup>(٤)</sup>، أو هي: طريقة للنظر إلى الأشياء<sup>(٥)</sup>.

ويقصد بالمنهج الوصفي وصف اللغة كما هي فعلاً في حقبة زمنية محددة دونما معايير مسبقة<sup>(٦)</sup>.

(١) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : ٧ .

(٢) مكانة البحث اللغوي القديم من علم اللغة الحديث، د. هيام كريدية، مجلة الفكر العربي، العدد ٨ - ٩، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٩م : ٦٧ .

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م : ٥٨ .

(٤) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون لاينز، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٠م : ٦٥، وللتفصيل أكثر ينظر: في اللسانيات العامة (غلفان) : ١٨٣ - ٢٢٦ .

(٥) شظايا لسانية، د. مجيد الماشطة، دار السياب، لندن، ط ١، ٢٠٠٨م : ٧٥ .

(٦) ينظر : شظايا لسانية : ٥٧ ، و الدراسات اللغوية عند العرب ( آل ياسين ) : ٣٧٤ فما بعدها .

وقد شاع مصطلح (الوصفية) مرتبطاً باللسانيات حتى أصبح التفريق بينهما عسيراً، وقد يستعمل مصطلح (البنوية) للإشارة إلى الدراسات اللسانية التي تعتمد المنهجية الجديدة في اللسانيات الأوروبية والأمريكية، وقد يرد الوصفان - البنوي والوصفي - جنباً إلى جنب، فيقال: اللسانيات البنوية والوصفية البنوية<sup>(١)</sup>

ويكون التحليل اللساني بنوياً حينما يقوم على النظر إلى مكونات الظاهرة اللغوية المدروسة كبناء قائم على العلاقات بين العناصر المكوّنة لهذا البناء. فالظواهر اللغوية، أو اللسان في مستوياته المختلفة بنية (Structure) تتألف من عناصر داخلية تتدرج في شبكة من العلاقات التقابلية التي تضبط مواقعها وآليات اشتغالها<sup>(٢)</sup>. ويكون التحليل وصفيّاً (analyse descriptive) حينما يقتصر الباحث في معالجة الظواهر اللسانية المدروسة على الوصف فقط في حالة تزامنية محددة، أو بتعبير بنوي في سانكرونية synchronie معينة، من دون اعتبار الجوانب التاريخية والمعطيات الخارجية التي تصاحب الظواهر المدروسة<sup>(٣)</sup>. وقد بلورت البنوية الأمريكية المنهج الوصفي للغة، ووضعت حدّاً للأسلوب المعياري الذي ساد الدرس اللغوي الغربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ويشكل التحليل (الوصفي البنوي) منطلق لسانيات التراث في الكشف عن توافق واضح بين اللغويين العرب القدماء والوصفيين، فقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أنّ النحويين العرب نهجوا منهج الوصفية التي يباهي بها المحدثون<sup>(٤)</sup> فضلاً عن تصريحه بأنّ "اللغة بنية منظمة متكاملة، فيعني بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإسنادية والإصاقية، من حيث الفصل والوصل، مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة distribution، وما يترتب على ذلك من الاعتماد على فكرة المعاقبة substitution في الموقع المعين، ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام...ولكن النحو العربي عرف هذا الاتجاه كذلك وبخاصة في الدراسات الصرفية للصيغ وعلاقاتها وتصريفاتها والمتصل والمنفصل من الضمائر ونسبة المعاني (الوظيفية) إلى الصيغ المجردة حتى قبل أن تُصاغ الكلمات على نمطها". وبيّن الدكتور عبده الراجحي أنّ العرب درسوا لغتهم على أساس المنهج الوصفي<sup>(٥)</sup> ، فقد اعتمد النحاة على الملاحظة المباشرة لقراءة النص وهو عمل وصفي محض<sup>(٦)</sup> ؛ إذ عُرف عن سيبويه أنّه عالج الظواهر اللغوية بالمنهج الوصفي معتمداً عليه لحل القضايا اللغوية ، فتلك هي الطريقة

(١) ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠١٣ م: ٣٣ - ٣٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٩ .

(٣) ينظر : الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقاً - دراسة بنيوية ، د.جلال شمس الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م : ١٣/١ فما بعدها .

(٤) ينظر : اللغة العربية و الحداثة ، د.تمام حسان ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ١٩٨٤ م : ١٣١/١ .

(٥) ينظر : النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج ، د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م : ٥٥ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

العقلية التي قادته إلى الهدف الذي كان يسعى إليه ، فضلاً عن جانب الأسس الواقعية التي اعتمدها في تحقيق ذلك ، وهي نفسها التي شاعت في الغرب فيما بعد<sup>(١)</sup> .

وتعدُّ تجربة الدكتور تمام حسان من أهم التجارب - في نظري - إذ تمثل آراءه اللسانية صورة واضحة المعالم لإلتقاء الفكر اللساني العربي الأصل بالنظرية النحوية الغربية الحديثة في محاولة توفيقية بين منهجي النحاة العرب القدماء واللسانيين المعاصرين البنويين منهم بشكلٍ خاص. قصد التأسيس لنظرية نحوية عربية حديثة<sup>(٢)</sup>، عُرفت باسم: نظرية تضافر القرائن.

إذ تبنى وجهة النظر الوصفية في نقد التراث النحوي العربي في كتابه الموسوم بـ(اللغة بين المعيارية والوصفية)، إذ يرى أنّ النحويين قد اكتفوا بدراسة المادة اللغوية القديمة (الفصيحة) دون أدنى محاولة لتجديدها باعتماد اللغة المتطورة<sup>(٣)</sup>. فضلاً عن عرضه في كتابه (مناهج البحث في اللغة) لدراسة البنية اللسانية على وفق منهج التحليل البنوي الغربي المطبق على اللغة العربية الفصحى<sup>(٤)</sup>، عن طريق تمثيله لكل مستوى من اللغة العربية وتسلط المصطلحات والأدوات الخاصة بالمنهج البنوي في عملية الوصف كالقيم الخلافية، والفونيم والوظيفة والتوزيع والعلاقة<sup>(٥)</sup> ، وفي مستوى الدرس النحوي يُبنى التحليل العلمي على تصنيف العناصر المكوّنة لها شكلياً ووظيفياً وهو تصنيف تجريبي مبني على الاستقراء بالحس<sup>(٦)</sup>، ويهتدي بفضل هذه الرؤية الشكلية الوظيفية إلى تقسيم الكلمة في العربية إلى اسم وفعل وأداة وضمير وخالفة. بيد إنّه في الحقيقة احتفظ بالتسميات الموروثة عن الفكر اللغوي القديم ولم يترشح عنها، على الرغم من زعمه بأنّه يُقدّم في مشروعه تحليلاً للغة العربية<sup>(٧)</sup>. أما كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) فقد خصصه لوصف اللغة العربية باعتماد مقولات المنهج البنوي الحديث محاولاً قراءة التراث النحوي في ضوء النظرية السياقية الفيرثية<sup>(٨)</sup> .

ولعل مما ينبغي الوقوف عليه قبل بسط القول في نظرية القرائن النحوية هو أنّ يُذكر مفهوم النحو عند الدكتور تمام حسان ، إذ ينبني على طائفة من المعاني النحوية العامة ، كما في الجمل أو الأساليب، ومجموعة من المعاني النحوية الخاصة ، كالفاعلية والمفعولية ، ومجموعة من العلاقات السياقية التي تربط بين هذه المعاني ، وهذه بمثابة قرائن معنوية . فضلاً عن أنّ هذا النظام ينبني على قرائن لفظية من جانبي الأصوات والصرف والقيم الخلافية<sup>(٩)</sup> .

(١) ينظر : المنهج الوصفي في كتاب سيوييه ، دنوزاد حسن أحمد ، دار دجلة ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٣٧ .  
(٢) ينظر: نظام الجملة في شعر العطفات، د. محمود احمد نحلة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م : ٨٠ وما بعدها ، و اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ٢١٩ ، والكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأسيس الإسلامي للمنهج : ٧ فما بعدها .  
(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، القاهرة، دار الكتب، ط١، ٢٠٠١م : ٢. لا يذ من التنبيه على أنّ توجهات (الوصفيين العرب) لم تكن وصفية خالصة، بل إنّ معظمهم كانت لهم دراسات في أطر مناهج أخرى كالمنهج التقليدي... والوظيفي، وهذا يستلزم بدايةً أنّ الوصفيين العرب قد راحوا في دراساتهم بين المعيارية والوصفية، ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، د. عطا محمد موسى، دار الإسرائ للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠م : ٢٢٩ .  
(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة ، د.تمام حسان : ١٣ .  
(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٤ - ١٥٨ .  
(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٩ - ٣٣٠ .  
(٧) ينظر : اللسانيات العربية الحديثة : ١٩١ .  
(٨) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، د.تمام حسان : ٩ فما بعدها .  
(٩) ينظر : اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٢٧٠ .

ولو عدنا إلى سيبويه - على سبيل المثال - نجد أنه يعدُّ الجملة بؤرة التحليل اللغوي ؛ إذ استند في وصفها وتحليل بنيتها إلى القواعد التي يحرص المنهج الوصفي الحديث وهي المباشرة بتحليل الجملة إلى مكوناتها بطريقة الإعراب والإسناد وقواعد العلاقات النحوية ( المعنوية منها واللفظية ) ، وقواعد الاستبدال والتحويل في وصف مكونات الجملة (١).

لقد اعتمد تمام حسان في رؤيته اللسانية الوصفية على فكرة التعليق ، تلك الفكرة التي يُدين بها لعبد القاهر الجرجاني (٢) (ت ٤٧١هـ) ، ومقتفياً منهج العلماء الإنجليز وفي مقدّمهم فيرث (Firth) الذي أقام نظريته على فكرة السياق ، رابطاً البنية الشكلية بالدلالة ، والسبب الموضوعي لهذا التبني ما يوجد من توافق منهجي بين العرب ، ولاسيما عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، وما تدعو له النظرية السياقية الفيرثية من ضرورة الاهتمام بالسياق اللغوي وسياق الحال لدراسة الكلام المنطوق (٣) .

ويذهب الدكتور عطا موسى إلى أنّ الدكتور تمام حسان يتبنى منهجاً توليفياً بين الوصفية والوظيفية فيما تطور لاحقاً تحت إطار الوظيفية الجديدة التي هيكل أسسها وفعلها إجرائياً الدكتور احمد المتوكل ؛ ودليل ذلك عنايته بالوظيفة اللغوية في مستويات اللغة المختلفة في ضوء مفهومي المقال والمقام (٤).

إنّ فكرة (تضافر القرائن) (٥) من أهم المحاولات الحديثة في الكتابة اللسانية العربية التي ساعدت على فهم النظام اللغوي للعربية القديمة ، إذ وصفها الدكتور تمام حسان بأنها أجراً محاولة وصفية للغة العربية بعد سيبويه (٦).

وقد بنى الدكتور تمام حسان فكرته هذه على أنّ كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنّه يُعنى أولاً وأخيراً بالإجابة عن (كيف) تتم هذه الظاهرة أو تلك فإذا تعدّى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن (لماذا) تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا منهجاً علمياً ؛ بل لا مفرّ من وصفه بالحدس والتخمين (٧) ، ولذا لا يعنيه السؤال ب(لماذا) لأنّه يعتمد على الحدس والتخمين ، وفي سبيل

(١) ينظر : المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠٧ .

(٢) ينظر : اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٢٧٠ .

(٣) ينظر : مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، جيفري سامسون ، ترجمة : محمد زياد كبة ، السعودية ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٩٧م : ٢٢٦ - ٢٣٨ .

(٤) ينظر : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين : ٢٢٩ .

(٥) يختلف الباحثون المحدثون في إطلاقهم المصطلح الأكثر تلامساً مع مصطلح (القرائن) لدى الدكتور تمام حسان - على الرغم من هذا الاضطراب في المصطلح فإننا لا ننكر أننا أمام فكرة لها أبعادها المعرفية ولم يغطها النحويون حقها بل جاءت متناثرة في كتبهم أستلهمها الدكتور حسان وأستنطقها وأعاد صياغتها مُفكراً في أبعادها وأقسامها - فقد أطلق عبد الرحمن العارف اسم النظرية وقال : احتوى كتاب تمام حسان على أهم نظرية في اللغة كنظرية القرائن النحوية ، ينظر : تمام حسان راندا لغوياً ، د. عبد الرحمن عارف ، ط١ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٢م : ١٨ ، ونعتها باحث آخر بمصطلح (منهج القرائن) وهو منهج وصفي يهدف إلى تحديد المباني والوظائف النحوية ، ينظر : منهج القرائن وأثره في التحصيل المدرسي ، جميل حمداوي ، المجلة التربوية ، الكويت ، مجلس النشر العلمي ، العدد الأربعون ، المجلد العاشر ، ١٩٩٦ : ١٧٦ ، و المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية ، د. محمد محمد يونس علي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٧م : ٣٥١ .

(٦) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠ ، والأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د. تمام حسان ، القاهرة ، ١٩٨٢ : ٥ .

(٧) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٤٢ .

هذه الفكرة عرض حسن لنص لا معنى لكلماته، ولكنها مصوغة على شروط العربية<sup>(١)</sup>، وقد أشار إلى أنّ القارئ يستطيع أن يعرب كلمات ليس لها معنى في المعجم، ولا يدل نصها المذكور على معنى دلالي خاص، وذلك "لأنّ هذه الكلمات الهراثية تحمل في طيها معنىً وظيفياً"<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر أنّ الصلة وثيقة بين الإعراب والمعنى الوظيفي؛ لأنّه هو الذي يحدد الفهم صوتياً من حيث أن الحروف مقابل استبدالسي، وصرفياً من حيث إنّ المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة<sup>(٣)</sup>.

أقام الدكتور تمام حسن منهجه على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية وهي الفكرة المركزية في النحو العربي، وقد استلهمها من الجرجاني، متأثراً بأستاذه (فيرث) الذي أقام نظريته على فكرة السياق على الرغم من أنّ هذه الفكرة قد عالجها علماء اللغة قديماً من خلال فهمهم للمعنى وقرينه المعنى، إذ إنّ الفكر النحوي لا يمكن أن يفهم إلا إذا كان قائماً على أسس معنوية كثيرة ومتشعبة تكتنفها قرائن معنوية تقيد في تحصيل الحكم النحوي من مجموع هذه الأسس وتلك القرائن، والحكم النحوي هو استخلاص المعنى المراد الذي قصده المتكلم بدلالة حركات أو حروف أو حذف حروف أو إثباتها<sup>(٤)</sup>.

إنّ فكرة (تضافر القرائن) كانت محور الكتب والمقالات والدراسات اللغوية عند الدكتور تمام حسن، محاولاً - من خلالها - تفسير العلاقات النحوية التي تعتمد على القرائن المعنوية واللفظية لتوضح المبنى النحوي<sup>(٥)</sup>، وذكر أنّ "فهم التعليق على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي و العوامل النحوية؛ لأنّ التعلق يحدّد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسّر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية"<sup>(٦)</sup>. فقد عدّ العامل النحوي خرافة، وأنّ التعليق الذي يبنى عليه نظريته الذي استلهمه من الجرجاني كافٍ للقضاء على خرافة العامل، والغريب أنّه يقرن هذا الرأي بعبد القاهر الجرجاني، في قوله: "وفي رأيي - كما في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال - أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأنّ فهم التعليق على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العامل النحوي"<sup>(٧)</sup>، مما يوحي بأنّ الجرجاني يعدّ التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، إذ اعتمد الجرجاني عليه في بناء نظريته، يقول: "لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبر

(١) النص هو "حنكف المستعص بقاحته في الكحظ فعنذ التراف تعنيذا حسيلا، فلما اصطف التران، وتحنكف شقله المستعص بحشله فانحز سحيلاً سحيلاً حتى خبز"، ثم قال بعد ذلك: "لكاني بالقارئ الآن قد بدأ في إعراب هذا النص وكأني أسمعه يقول: حنكف فعل ماضٍ، والمتعص فاعل... إلى أن يتم الإعراب الصحيح". مناهج البحث في اللغة: ١٩٣.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٣ فما بعدها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٤.

(٤) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٦:

٢١١.

(٥) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ٣٥١، و اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر: ٢٧٠.

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٩.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أو صفة أو حالاً<sup>(١)</sup>، وهذا ما يؤيده قول الدكتور تمام حسان نفسه من أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، ومركزية التعليق ارتباطه بالبؤرة (العامل)، مع أنه يتبع هذا بقوله: "إنّ التعليق يحدد بوساطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل لهذه المعاني الوظيفية النحوية"<sup>(٢)</sup>، ويقول في موضع آخر موضحاً مفهوم التعليق عند الجرجاني: "وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية"<sup>(٣)</sup>، وكأنه هنا قد انتبه إلى أنّ هذا الكلام يؤخذ عليه فتدرك ذلك بقوله إنّ: "عبد القاهر لم يقصد قصداً مباشراً إلى شرح ما يعنيه بكلمة (التعليق)، ولكن إشارات عامة..."<sup>(٤)</sup>، ويذكر في موضع آخر أنّ "أذكي محاولة لتفسير العلاقات السياقية... هي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني صاحب مصطلح (التعليق)... فأما النظم فقد جعله عبد القاهر للمعاني، أي أنّ النظم في معناه عند عبد القاهر هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله"<sup>(٥)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الدكتور كريم حسين الخالدي يذهب إلى أنّ "عبد القاهر لم يبتدع شيئاً جديداً، ولم يخلق خلقاً غير موجود لكّنه نال فضل الدعوة إلى العودة إلى ما أصله النحاة وما وضعوه في أحكام وقواعد لكي يستقيم الكلام وتصح العبارة، ويتم التعبير عن القصد بأحسن وجه"<sup>(٦)</sup>، وفي نظري أنّ ما ذهب إليه الدكتور كريم هو عين الصواب؛ ذلك لأنّ الممعن النظر في التراث اللغوي العربي يجد أنّ ما ذهب إليه الجرجاني ليس جديداً بمعنى الجدة وإنّما كان مُدركاً تمام الإدراك من علمائنا العرب القدماء منذ زمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. فالمتتبع للكتاب يلحظ اهتمام سيبويه بالمعنى المعجمي - على سبيل المثال - في توجيه الإعراب، فالفعل (رأى) عالجه معالجة معجمية سياقية، فإذا كان بمعنى الإبصار الحسي (الرؤية الحقيقية) يتعدى إلى مفعول واحد، وإذا كان بمعنى العلم الضمني يتعدى إلى مفعولين، يقول الدكتور نهاد موسى: "إنّ سيبويه يمتحن الفعل (رأى) فيرى له عمقين دلاليين: فهو يأتي على معنى الإبصار الحسي (رؤية العين) وعلى معنى العلم الضمني، ويرى له معنيين نحويين... ويفزع سيبويه في البيان عن فرق ما بين المعنيين إلى المجال الاجتماعي، و مجرد من معطياته موقفاً ساطع الدلالة هو موقف المتكلم إذا كان أعمى"<sup>(٧)</sup>، فيقول متسائلاً: "ألا ترى أنّه يجوز للأعمى أنّ يقول: رأيتُ زيداً الصالح"<sup>(٨)</sup>. وهذا التوجيه نجده عند عبد القاهر الجرجاني الذي لم يفصل بين معاني النحو والمعاني المعجمية خلاف ما ذكره تمام حسان من عدم الاهتمام بالمعنى المعجمي عند القدماء.

(١) دلالات الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، مراجعة: محمد رشيد رضا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م: ٣١٤.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٨.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه: ١٨٦.

(٦) نظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٣١٥.

(٧) نظرية النحو العربي: ٩٤.

(٨) الكتاب: ٤٠/١.

ورأى الدكتور تمام حسان أنّ الوظائف التي تؤديها القرائن اللفظية هي السبك (cohesion) ، والوظائف التي تؤديها القرائن المعنوية هي الملائمة (coherence) ، وإذا اضطرب السبك (التركيب اللغوي) لم يكن له كفاءة إعلامية<sup>(١)</sup>، وهذا الذي ذكره الدكتور حسان تحت عنوان السبك والكفاءة الإعلامية تناوله سيبيويه ومن تبعه من النحويين عند حديثهم عن قوانين العربية وما انحرف عن أقيستها ونعوته بالقبّح وهو لا يُغتفر، وما نعته بالمحال؛ لأنّ أوله يناقض آخره، وما نعته بالكذب...<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب الدكتور تمام حسان إلى أنّ الدراسات اللغوية عند العرب قد اهتمت بالمبنى أساساً ولم يهتموا بالمعنى إلا على استحياء<sup>(٣)</sup>، وهذا الوصف غير دقيق لأنّ مبدأ المعنى الذي بنى عليه حسان قراءته الجديدة في التراث اللغوي مبنوث بصور متعددة في ذلك التراث من تفسير وأصول وبلاغة ونحو وصرف؛ وقد لاحظ أحد الباحثين المعاصرين<sup>(٤)</sup> أن الدكتور تمام حسان ينقض في موضع آخر ما ذكره سابقاً حيث يثبت لعلماء البلاغة العرب إدراكهم لنظرية المعنى، وسبقهم لعلماء اللغة المحدثين في إدراك نظرية السياق<sup>(٥)</sup>.

وبذلك يتضح أنّ النحو العربي قائم بشكلٍ أساسي على العلاقات بين الكلمات في التركيب، وليس قواعداً وألغازاً ، وإنما هو نوع من التصور العقلي، وتتضح أهميته في نمو الدلالات اللغوية وتناميها<sup>(٦)</sup>. وهذا ما نلاحظه عند سيبيويه في الكتاب، إذ اهتم بالتركيب ومباني الألفاظ واختلافها باختلاف معانيها، ولذا لا نجده يقتصر على النحو الشكلي الذي يهتم بأواخر الكلمات إعراباً وبناءً وإنما أراد بالنحو انتحاء سبيل العرب في بنية ألفاظها وأساليبها، وما يتطلبه المقام ومقتضى الحال من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف أو فصل ووصل أو قصر وإطلاق، أو تعريف وتكثير. وإن كان قد اهتم بالإعراب وتعليقاته فإن اهتمامه به جاء فطرياً ميسوراً لتعليل مباحثه النحوية وتفسيرها، ولم يصل إلى تلك الدرجة من التعقيد والشكلية التي عُهدت في كتب المتأخرين<sup>(٧)</sup>.

فما جاء به سيبيويه والجرجاني يمكن تلمسه في النهج الذي ارتأه دي سوسير؛ "ذلك أنّ فكرة النظم تعتمد في أساسها على اتباع قواعد النحو من حيث وضع الكلام في مواقعه ، ومن حيث النظر في العلاقات بين وحدات التركيب و مدى موافقة ذلك لقواعد النحو"<sup>(٨)</sup>، ولو أمعنا النظر في مؤلفات الجرجاني لوجدناه استعمل عدداً من المصطلحات التي تدل على التنسيق والتأليف والنظام في قوله: "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعمد إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب.

(١) ينظر: اجتهادات لغوية ، د.تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧م ، ٣٦٦، وتمام حسان رانداً لغوياً : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) ينظر: الكتاب، سيبيويه : ١١٤ / ٣ ، والخصائص، ابن جني : ٣٩٠ / ١ - ٣٩١ .

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ١٨٢ .

(٤) هو الدكتور حلمي خليل في كتابه (العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨ .

(٥) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث: ٢٢٣ - ٢٢٥ ، واللغة العربية معناها ومبناها : ١٨٢ .

(٦) ينظر: تمام حسان رانداً لغوياً : ٣٦٨ .

(٧) ينظر : بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٢٣١ / ١ .

(٨) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ٢٤٥ .

فلو أنك عمدت إلى بيت شعر... فعددت كلماته كيف جاء وانتق، وأبطلت نضده و نظامه الذي عليه بني ، وفيه أفرغ المعنى وأجري ، وغيّرت الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد ، وبنسقه أبان المراد <sup>(١)</sup>. ونجد مصطلح التأليف (للجرجاني) يلتقي مع مصطلح التركيب (لدي سوسير) إذ يقول سوسير : "إنّ مفهوم التركيب لا ينطبق على الكلمات و حسب ، بل على مجموع الكلمات و الوحدات المعقدة من المقاييس و الأصناف كافة - الكلمات المركبة والمشتقة ، أقسام الجملة ، والجملة الكاملة - و لا يكفي العلامة الرابطة بين مختلف أجزاء التركيب بل يجدر بنا أيضاً أن نعتبر العلاقة التي تربط الكل بأجزائه" <sup>(٢)</sup> ، وهذا عين ما ذكره الجرجاني عند تعريفه لمصطلح التعليق إذ قال : "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض" <sup>(٣)</sup> و قد وظّف الجرجاني مفهوم التعليق في تفسير العلاقات السياقية التي طرحها في فكرة النظم ؛ إذ أشار إلى وجوب رعاية التأخي والتآلف بين لبنات أو مكونات الكلام فضلاً عن معيار الإبانة و إحراز المنفعة بتطبيق هذا الكلام على مقتضى الكلام بمراعاة سياق الحال <sup>(٤)</sup> ، فنلاحظ له عبارة في كتابه عميقة المعنى والدلالة إذ قال : "النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام" <sup>(٥)</sup> ، وهذا الذي ذكره عبد القاهر ورد في نصوص أخرى منها قوله : "أنتك إذا قلت : ضرب زيداً عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدّة معانٍ كما يتوهمه الناس ؛ وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها و إنّما جنّت بها لتفيده وجوه التعلّق التي بين الفعل الذي هو ضرب و بين ما عمل فيه و الأحكام التي هي محصول التعلق . وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من عمرو و كون (يوم الجمعة) زماناً للضرب ، وكون (الضرب) ضرباً شديداً ، وكون (التأديب) علة للضرب ؛ أيتصور أن تقرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة ، وهو إسناد الضرب إلى (زيد) و إثبات الضرب به له حتى يعقل كون (عمرو) مفعول به ، و كون (يوم الجمعة) مفعولاً فيه و كون (ضرباً شديداً) مصدرًا ، وكون (تأديب) مفعولاً له ؛ من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلاً للضرب ؟ و إذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور لأنّ عمراً مفعولاً لضرب وقع من زيد عليه و يوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد و ضرباً شديداً بيان لذلك الضرب كيف هو وما صفته و التأديب علة له و بيان أنّه كان الغرض منه. وإذا كان كذلك بان منه و ثبت أنّ المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدّة معانٍ و هو إثباتك زيداً فاعلاً ضرباً لعمرو في وقت كذا و على صفته كذا و لغرض كذا ، ولهذا المعنى تقول إنّه كلام واحد" <sup>(٦)</sup>.

(١) أسرار البلاغة : ١٠ فما بعدها .

(٢) محاضرات في الألسنية العامة ، دي سوسير ، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان الثقافية ، بيروت، ١٩٨٤م : ١٥٠ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٢٣٤ .

(٤) ينظر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ٣٧٠ .

(٥) دلائل الإعجاز : ٢ .

(٦) المصدر نفسه : ٣١٧ .

ومما تقدّم يتبيّن لنا أنّ الدكتور تمام حسان حاول تطبيق المبادئ والمفاهيم الوصفية ولاسيما النظرية الفيرثية على التراث اللغوي العربي ، وبعمله هذا يمكن عدّه توافقياً على الرغم من محاولته في بادئ الأمر أن يكون حدثياً ،ويمكن أن نستدل على صحة ما ذهبنا إليه هو أنّ النظرية التي قدّمها (تضافر القرائن) لا تكشف عن أيّ تجديد حقيقي في مقارنة اللغة العربية، وأنها ليست انموذجاً جديداً يقف بإزاء نماذج العلماء القدماء وإنما هو دراسة نقدية شاملة مع إعادة الترتيب للدراسات اللغوية العربية على وفق المنهج الوصفي البنوي ليس إلا<sup>(١)</sup>، وأتّاه لم يتوصل إلى وضع وصف جديد كامل للعربية بل جدّد فيه بعض التجديد<sup>(٢)</sup>، غير أننا لا ننكر أنّ المؤلف اتبع في عمله هذا اتجاهاً توافقياً بين التراث النحوي والبلاغي معتمداً على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث ،وبذلك تتضح لنا الأصول الوصفية البنوية في التراث اللغوي العربي متمثلة بتجربة الدكتور تمام حسان

### ب - أصول توليدية تحويلية في التراث اللغوي العربي:

ترجع نشأة النظرية التوليدية التحويلية إلى اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي وأتباعه منذ أواخر الخمسينيات، وتعتمد هذه النظرية على استخدام ما يُعرف بالقواعد التوليدية التحويلية، وبلغ تأثيرها في النظريات النحوية حدّاً يُمكن معه القول بأنّ النحو التوليدي التحويلي هو النحو السائد في الدراسات اللسانية، إذ تعدّ سنة ١٩٥٧م - وهي السنة التي نُشر فيها كتاب البنى النحوية (Syntactic Structures) لتشومسكي - نقطة تحول في لسانيات القرن العشرين<sup>(٣)</sup>.

إنّ الفكرة الأساسية التي تُوجّه النظرية التوليدية هي سمة الإنتاجية في اللغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلّم أن يؤلّف ويفهم جملاً جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل، فالمتكلم يمتلك قدرة لغوية هي معرفته بنحو اللسان الذي يتكلمه، معرفة تجسّدّها استعداده الدائم لإنتاج وفهم ما لا حصر له من الجمل، وهي السمة التي تُميّز الإنسان من الآلات والحيوانات<sup>(٤)</sup>. وبعبارة أخرى، فإنّ الهدف من أي قدرة لغوية هو الترجمة الفعلية للنظرية التوليدية في شقّها الهادف إلى تفسير ظاهرة الإبداع اللغوي الذي يتم بكيفية لا واعية، فهو طبيعي لكونه خاصية مشاعة بين جميع المتكلمين، ثمّ لكونه غير مشروط بشروط غير طبيعية، كالثقافة والانتماء الاجتماعي والسلطة..، ولذلك فإنّ أهم ما في القدرة اللغوية هو الإقناع بضرورة التمييز بين ما ينتمي إلى القدرة وما ينتمي إلى الإنجاز<sup>(٥)</sup>.

أما القواعد التحويلية هي " أية قواعد تعطي لكلّ جملة في اللغة تركيباً باطنياً وتركيباً ظاهرياً وترتبط بين التركيبين بنظام خاص يمكن أن تكون قواعد تحويلية ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف. إنّ وصف العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري يسمي تحويلاً أو قانوناً تحويلياً. والعلاقة بين التركيبين

(١) ينظر: العربية وعلم اللغة البنوي : ٢٤٠ .

(٢) ينظر: النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠ .

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات (يونس) : ٨٢ - ٨٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٨٣ .

(٥) ينظر: الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية البنوية والتوليدية، د. محمد محمد العمري، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط١،

٢٠١٢م : ٢٢٣ .

تشبه عملية كيميائية يتم التعبير بمعادلة أحد طرفيها المواد قبل تفاعلها، والطرف الآخر هو الناتج بعد التفاعل. إنَّ التركيب الباطني يعطي المعنى الأساسي للجملة. وهذا التركيب هو تركيب مجرد وفرضي يتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تصبح تركيباً ظاهرياً. وبذلك يكون التركيب الظاهري حقيقة فيزيائية ملموسة ونستعمله إذا تكلمنا أو كتبنا...<sup>(١)</sup>.

إنَّ النظرية التوليدية التحويلية تعود في أصولها إلى التراث اللغوي الغربي القديم، إذ أفادت " من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي، فأخذت نقاط القوة منهما وانتقدت نقاط ضعفهما. ولئن كان تشومسكي قد اعترف ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي، فإنَّه انتقد على الخصوص شكله العام، وتعريفاته وقواعده الغامضة"<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى أنَّ تشومسكي عالم لغوي يهودي وله إطلاع على اللغات السامية كالعربية والعبرية وغيرهما، وقد كتب رسالته للماجستير عن الصيغ الصرفية في العبرية<sup>(٣)</sup>، فليس من المستبعد أن يكون تشومسكي قد استلهم بعض معطيات نظريته من مناهج البحث اللساني والنحوي لنحاة العربية القدماء فضلاً عن البلاغيين العرب وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني، الذي له الأثر الواضح، إذ نكاد لا نجد اختلافاً بين ما قال به العلماء العرب منذ قرون، وبين ما جاء به تشومسكي في حديثه عن المركب الاسمي، المركب الفعلي، البنية السطحية والبنية العميقة وعناصر التحويل وغيرها .

وقد ظهرت دراساتٌ عدَّة عُيّنت بإثبات ريادات تحويلية وما يقترب منها عند النحاة العرب، فقد جهد الباحثين في دراساتهم المختلفة في الوقوف على نظراتٍ في النحو العربي وتأصيلات للنحاة تقترب من النظرية التوليدية التحويلية، ولهم في ذلك مناهج مختلفة<sup>(٤)</sup>.

ولابدُّ من الإشارة إلى أنَّ أول من أشار إلى وعي العرب لمفاهيم توليدية تحويلية هم الغربيون أنفسهم، فقد رصدت (موزل) في دراستها حول كتاب سيويوه جملة من هذه الملامح نوّه بها الدكتور نهاد الموسى في دراسته<sup>(٥)</sup>.

وقد تلمس عدد من الباحثين جوانب من مبادئ النظرية التوليدية قائمة في النحو، " فالجوانب التحويلية فيه هي - في الحق - أغلب عليه؛ لأنَّ هناك أصولاً مشتركة بين المنهجين، أهمها صدور النحو العربي، في معظمه - عن أساس عقلي"<sup>(٦)</sup>.

(١) قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط١، ١٩٨١م : ٢١ وما بعدها .

(٢) اللسانيات النشأة والتطور، احمد مومن : ٢٠٣

(٣) ينظر: تأثير الخليل بن احمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، د. جاسم علي جاسم، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، العدد ١١٦، دمشق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ٧٠ .

(٤) ينظر: نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية الحديثة، د. كريم عبيد عليوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م : ٦٧ .

(٥) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : ٥٧، ونظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية الحديثة : ٦٨ .

(٦) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي : ١٤٣ .

فقد وجد الدكتور عبده الراجحي أنّ " طريقة النحو التوليدي تتبع عدداً من (العمليات النحوية) تشبه شبيهاً غير بعيد كثيراً مما جاء في النحو العربي"<sup>(١)</sup>، كما انتهى باحث آخر إلى أنّ " نظرة مقارنة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليديّة التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب، لتؤكد لنا أنّ النحو العربي لم يكن بعيداً عن هذه الأسس والأفكار"<sup>(٢)</sup>.

ومن الجوانب التي رآها اللسانيون العرب المحدثون متوافقة بين التراث والنظرية التوليديّة التحويلية هي:

### ١- الحذف:

يُقدّم المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف، نفس الطريقة التي قدّمها النحاة العرب، فقد "التفت النحاة القدماء إلى ظواهر الحذف ووضعوا لها قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي، و ليس على مجرد التقدير المتعسف"<sup>(٣)</sup>، فقد ذكر سيبويه: " واعلم أنّه ليس كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل، ولكنك تضمر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهرها، وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفسه الكلام، ومما هو في الكلام على ما أجبروا، فليس كل حرفٍ يُحذف منه ويثبت فيه نحو يَكُ ويَكُنْ، ولم أبلِ وأبالِ، ولم يحملهم ذلك على أنّ يفعلوه بمثله ولم يحملهم إذا كان يثنون فيه فيقولون في مر أو مر أن يقولوا خُذ أو خذ وفي كل أو كل فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم قس بُعْدُ"<sup>(٤)</sup>. فقد يفرض المقام وطبيعة الكلام أنّ يحذف أحد أركان الجملة، وقد يفرض ذكر كافة أركان الجملة"<sup>(٥)</sup>.

### ٢- البنية العميقة والبنية السطحية:

تعدّ البنية العميقة والبنية السطحية من أكثر القضايا إدراكاً عند عبد القاهر الجرجاني، بل أجاد في ذلك "أيما إجادة، عندما جعل النظم، وهو ما يطلق عليه البنية العميقة في النظرية التوليديّة التحويلية، جعله يقتضي في نظمه آثار المعاني، وترتبها على حسب المعاني في النفس"<sup>(٦)</sup>.

وكما ذكرنا سابقاً بأنّه قد يكون تشومسكي قد تأثر بالنحويين العرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نظريته التوليديّة التحويلية؛ وذلك من خلال اللغة العبرية وترجمتها للغات الأوربية"<sup>(٧)</sup>، وكان لهذا الرأي معارضون ومؤيدون"<sup>(٨)</sup>، فمن المؤيدين أبو ديب إذ قال عن البنية العميقة والسطحية لدى الجرجاني و تشومسكي - الترجمة للمزني - : " وربما كان نوع التحليل الذي أتى به الجرجاني في هذا الفصل أول، بل أفضل تحليل في اللغة العربية لـ(البنية السطحية "المنجزة") و(البنية العميقة "الشجرية")". وإيضاح التماثل بين المفاهيم التي طورها الجرجاني، وطورها تشومسكي مؤخراً، سهل جداً... ولتوضيح الفرق بين البنيتين

(١) النحو العربي و الدرس الحديث : ١٤٠ .

(٢) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : ٣٠ .

(٣) النحو العربي والدرس الحديث : ١٥٠ .

(٤) الكتاب : ١ / ١٣٤ .

(٥) ينظر: نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجوّاري، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠٦م : ٦٣ .

(٦) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : ٣٩ .

(٧) ينظر: تأثير الخليل بن احمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي : ٧٠ - ٧١ .

(٨) ينظر: تفصيله في المصدر السابق : ٧٢ - ٧٤ .

فقد أعاد الجرجاني صياغة كل واحدة منهما بالطريقة نفسها التي يستعملها تشومسكي الآن من أجل الكشف عن البنى العميقة للتركيبات التركيبية المماثلة<sup>(١)</sup>.

والبنية العميقة والسطحية في النحو العربي القديم ماهي إلا ظاهرة التقدير أو التأويل للمعنى. ونلاحظ ذلك في شرح عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) عن التقديم والتأخير، إذ قال: "ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشكُّ بالفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت : أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشكُّ في الفاعل مَنْ هو، وكان الترددُ فيه. ومثال ذلك أنك تقول: أبنيت الدارُ التي كنت على أن تبنيها؟، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل، لأنَّ السؤال عن الفعل نفسه والشكُّ فيه؛ لأنك في جميع ذلك مترددٌ في وجود الفعل وانتقائه، مُجَوِّزٌ أن يكون قد كان، وأن يكون لم يكن. وتقول: أنت بنيت هذه الدار؟، فتبدأ في ذلك كله بالاسم، ذاك لأنك لم تشكِّ في الفعل أنه كان. كيف؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية، وإنما شككت في الفاعل مَنْ هو؟ ومما يُعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك تقول: أَقُلْتُ شِعْراً قَطُّ؟ فيكون كلاماً مستقيماً. ولو قلت: أنت قلت شِعْراً قَطُّ؟ وذاك أنه للسؤال عن الفاعل مَنْ هو في مثل هذا، لأن ذلك إنما يُتصوَّر إذا كانت الإشارة إلى فعلٍ مخصوص نحو أن تقول: مَنْ قال هذا الشعر؟ وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينصَّ فيه على معيَّن. فأما قِيلَ الشعر على الجملة، فمحال ذلك منه، لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عينِ فاعله"<sup>(٢)</sup>.

فهذا تحليل لغوي يعتمد على المنطق والأسلوب الفلسفي الفكري الذي تأثر به تشومسكي في تحليله للجملة الإنكليزية.

ولتوضيح ذلك نأخذ مثلاً مما ذكره تشومسكي، إذ فرَّق بين الجملتين:

\* John is easy to please.

\* John is eager to please.

هذان المثالان متشابهان تشابهاً كبيراً، من حيث الشكل والمبنى النحوي، ولكنهما مختلفان من حيث المعنى الذي لا يتضح إلا بالتقدير والتأويل.

فالبناويون يقولون إنَّ هاتين الجملتين لهما البناء النحوي ذاته (same sentence structure)، تتألف الجملتان من خمس كلمات ولهما التركيب ذاته، وأطلقوا على هذا التركيب مصطلح نوع الجملة أو طَرزها sentence pattern لا فرق بين الجملتين من حيث طَرزهما أو نوعهما، يرى تشومسكي أن هاتين الجملتين مختلفتان من حيث الشكل، وعليه فإن التحليل الذي اعتمده البناويون غلط، لماذا؟؛ لأن

(١) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبان المزيني، صحيفة الرياض السعودية، ٢٥ / ٨ / ١٤٢٠ هـ : ١ - ٢، والغنوان الإلكتروني هو:

<http://www.Hmozainy.Com/Itshomesky2.htm>

(٢) دلائل الإعجاز : ٨٧ .

ذاك التحليل مبني على ظاهرة الجملة وسطحها الذي يتجلى في ترتيب كلماتها من الخارج أو في الظاهر؛ لأن المعنى النحوي مختلف في كل جملة، كيف؟

في الجملة الأولى (John is easy to please) جون يسهل أن يرضى. جون سهل إرضاءه. جون ليست فاعلاً حقيقياً فيها، مع العلم أنها جاءت في موقع الفاعل والمبتدأ. وهذا يعني: أن جون ليس هو الذي يقوم بالإرضاء. والسبب في ذلك: أنه يمكننا أن نقدر أو نؤول هذا المعنى كما يلي<sup>(١)</sup>:  
(It is easy for us to please John) من السهل علينا إرضاء جون، أو: إرضاء جون أمرٌ يسير لدينا... الخ.

وهذا التأويل والتقدير جائز في النحو الإنكليزي من ناحيتين:  
أولاً: لأن كلمة جون أتت وراء الفعل يرضى، الذي يتعدى إلى مفعول به.  
ثانياً: لأن (easy) يمكن أن يكون فاعلاً (It)؛ وبناءً على هذا فقولنا: It is easy (هو سهل)، و (It is easy to) ... (من السهل أن)، كله جائز.  
وعلى هذا الأساس تكون وظيفة (جون) مفعولاً به. فيكون معنى الجملة: من السهل (لأي أمرئ) أن يرضى جون.

وأما في الجملة الثانية: (جون) فاعل حقيقي: أي هو الذي يقوم بالإرضاء وعليه لا يمكننا تأويل:  
(John is eager to please) (جون متشوق ليُرضى (كم)، بقولنا It is eager to please John (من الشوق أن يرضى جون)، كما في الجملة السابقة.  
وعلى الرغم من أن (جون) جاءت في المكان نفسه بعد يرضى. والسبب أن (eager) لا تقبل (It) فاعلاً لها. فقولنا: It is eager غير جائز؛ ففاعلها يجب أن يكون اسماً عاقلاً، وإلا فلا. بينما كلمة (easy) قد يكون فاعلاً اسماً عاقلاً أو غير عاقل.  
ولذلك تختلف الجملتان في بنائها النحوي، ولا يمكن عدها ذاتي بنية نحوية واحدة - كما قال البنائيون - .

فمن طريق التأويل استطاع تشومسكي أن يصل إلى المعنى الدقيق، إذ قال: لكل جملة تركيبان أو بناءان (Two structures)، أحدها مبني ظاهري أو سطحي (Surface structure) وهذا يتعلق بظاهر الكلمات وترتيبها، أو تصنيفها في الجملة ولفظها أو نطقها فقط. والآخر: مبني عميق أو باطني (underlying or Deep structure)، وهذا يمثل المعنى الحقيقي أو الفعلي للجملة. فالمثالان السابقان لهما بنية سطحية واحدة:  
(فاعل + فعل كون + صفة/ تابع + حرف نصب + فعل).

(١) ينظر: البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. يويل يوسف عزيز، مراجعة د. مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م: ٩١.

ولكن بنيتهما الباطنية أو معناهما مختلفان، فمعنى (جون) في الجملة الأولى مفعولاً به، وفي الثانية فاعلاً. والمقصود هنا المعنى النحوي، وليس الدلالي أو المعجمي<sup>(١)</sup>

ونجد سبقاً وتوقفاً للجرجاني على تشومسكي، فقد تنبّه الجرجاني لأهمية (الدلالة) في البحث اللغوي، إذ حسم الجرجاني قضية (ربط النحو بالدلالة) وبين أهمية هذا الربط، وضرورة اعتماد المكوّن الدلالي، تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها، إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني (مظاهر النظرية النحوية)، والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات إذ أدرك تشومسكي ضرورة إدخال المكون الدلالي بعده مكوناً تفسيريّاً من أجل إلقاء الضوء على المكونات التركيبية التي يحدث فيها خرق في قواعد تصنيفها الجزئي، بخروجها عن قواعدها المألوفة، وصورها البنائية المألوفة. من أمثلة التراكيب المجازة على شتى أنواعها، والتراكيب الملتبسة التي تحتل أكثر من مدلول واحد بنيتها السطحية، إذ حسم الجرجاني هذه المسألة، كضرورة الربط بين النحو والدلالة<sup>(٢)</sup>.

فعللاقة الجرجاني بالنظرية التوليدية علاقة لا تخفى، فقد " ألحق الجرجاني الظواهر المجازية بنظرية النظم وأرجع تلك الظواهر إلى مبدأ الاختيارات الترتيبية التي للمتكم حق إنجازها، وهذا قريب كل القرب من نظريات التوليديين على الخصوص، فهم يميزون بين نظرية النحو. ونظرية الإنجاز. والجرجاني كذلك يميّز بين نظرية النظم ونظرية النحو، وما النظم إلا إنجاز عرّفه الجرجاني والنحاة المعاصرون بشكل متقارب جداً<sup>(٣)</sup>.

وصفوة القول: إنّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد نحا بمنهجه التحليلي منحىً جديداً، فبيّن أثر النفس والتأمل الباطني في دراسة الأثر اللغوي، فالتركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثانٍ ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالات الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة، وأوضح أنّ التراكيب النحوية الصحيحة والأساليب اللغوية السليمة، يستتبعها حتماً معانٍ ثانية ودلالات إضافية هي التي يبحث عنها العلماء<sup>(٤)</sup>.

### ج - أصول وظيفية تداولية في التراث اللغوي العربي:

تُعَدُّ الوظيفية<sup>(٥)</sup> (fonctionnalisme) ثالث اتجاهات البحث اللساني المعاصر. وتسعى إلى إبراز

(١) ينظر: البنى النحوية: ٩٢ - ٩٥، و١٢٦. و التحويل في النحو العربي - مفهومه أنواعه - صورة البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، د. رباح بو معزة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط١، ٢٠٠٨م: ١٦٧.

(٢) ينظر: النحو بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، د. محمد عبد المطلب، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد الأول، ١٩٨٤م: ٣٤، و اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: ١٨٣، وأهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث: ٣٧.

(٣) قضايا إبستمولوجية في اللسانيات: ٢٣١.

(٤) ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، عبد الفتاح لاشين، الرياض، د. ط، ١٩٨٠م: ٥٣.

(٥) النموذج الوظيفي من النماذج اللسانية الحديثة التي اهتمت بدراسة اللغة، وتعود الأصول الأولى للسانيات الوظيفية إلى جملة من الأعمال الحديثة أهمها مدرسة براغ التي هيمنت على اللسانيات لمدة طويلة من الزمن، إذ ركّز أصحابها على الطابع الوظيفي للغة سواء من الناحية النحوية أو الصوتية أو الدلالية، فضلاً عن الجانب الاجتماعي التواصلي للغة، ومنذ الستينيات حاول بعض اللسانيين استثمار ما جاءت به مدرسة براغ من مفاهيم وتوصلوا إلى مفهوم مركزي سمّوه (ديناميكية التواصل)، وهو مفهوم يحيل الذهن أنّ الجمل التي يتكلمها الإنسان ليست مجرد فعل لغوي فحسب، وإنما هو مواقف إزاء واقع معين، مما يعني أنّ اللغة ليست مجرد عملية إنجازية وإنما هي تفاعل لتجارب يمكن إدراكها من خلال العلاقة بين المتكلم والسامع، وانطلاقاً من هذا التصور سعت الوظيفية جاهدة لدراسة القدرة الانجازية لمتكلم اللغة وما يحكمها من ملابسات اجتماعية وغيرها. ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: ٢٥٣، ومدخل إلى اللسانيات: ٦٩ - ٧٠.

الوظيفة *function* التوصيلية للغة، وتعنى بدراسة الدلالة<sup>(١)</sup> *semantique* من حيث قيمة تتطلب تنظيمياً خاصاً في المبنى، فالوظيفية لا يكتفون بدراسة المباني وحدها، وإنما ينظرون في علاقة تلك الأنماط والصور بما يمكن أن تدل عليه، وباقتضاء منها كان ترتيب العناصر النحوية، فـ " النظام النحوي هو معنى وظيفي، أي: أن ما يسمى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفية المبنى التحليلي"<sup>(٢)</sup>.

لقد اهتم عدد من اللسانيين (أوستين وسيرل، وغرايس) بدراسة الجوانب الدلالية والتداولية للغات الطبيعية، مؤكداً ضرورة الاعتماد على التداول والاستعمال في عملية التحليل اللساني، ويُطلق على هؤلاء اللسانيين - فلاسفة اللغة العادية - مصطلح (الوظيفية الجدد)؛ لأنهم حققوا بمراعاتهم مقامات القول البعد الوظيفي للغة<sup>(٣)</sup>. وبذلك يتبين لنا "أن مصطلح (التداولية) لا يختلف عن مصطلح (الوظيفية) من ناحية الإجراء؛ لأن كليهما يراد به دراسة اللغة في التواصل أو الاستعمال، حتى أن الدكتور احمد المتوكل يستعمل في أبحاثه مصطلحي (تداولي) و(وظيفي) بمعنى واحد"<sup>(٤)</sup>، ويقصد باللفظين حين يوردهما عند وصف نموذج لغوي ما "أن هذا النموذج يعتمد ضمن أسسه المنهجية أن اللسان الطبيعي بنية تُؤدي وظيفة أساسية في اتاحة التواصل داخل المجتمعات، وأن بين البنية والوظيفة علاقة تبعية، بحيث تتحدد السمات البنوية للعبارة اللغوية (صرف، تركيب، تنعيم) حسب الأغراض التواصلية التي تُستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها"<sup>(٥)</sup>.

والواقع أنه قد أُقترح نماذج عدّة في إطار اللسانيات الوظيفية، منها ما يرتبط بدراسة المعاني من حيث هي صور نمطية لا تخرج عن حدود اللغة، مثلما تصورها سوسير وأندريه مارتيني ضمن ما سماه بعض اللسانيين بـ(الوظيفية الضعيفة)؛ لأنها تُركّز اهتمامها أساساً على تناول البنى الشكلية المفترضة للمعاني في نطاق ما يسمى في اللسانيات بالنظام المغلق *systeme close*. ومنها ما يتصل بدراسة معاني الكلمات ووظائفها داخل التركيب في نطاق ما يسمى في لسانيات الكلام بالنظام المفتوح *system over* وذلك حين انفتاح الجمل والتراكيب على اختيارات تتصل بمقاصد المتعلمين<sup>(٦)</sup>.

وهناك أنموذج ثالث للوظيفية ممثلة في أعمال أوستين وسيرل وسيمون ديك وغيرهم، ممن يسمون بالتداوليين، وهؤلاء تتجاوز الوظيفية عندهم مجالي اللغة والكلام إلى مجال آخر هو لسانيات المقام

(١) تُعدّ الدلالة أمراً مهماً في كل اللغات، إذ لا بد لأي لغة أن تستخدم تقنيات وآليات وأساليب لتبليغ الخطاب تبليغاً بعيداً عن الغموض والاحتمالات، وتتفاوت اللغات فيما بينها لتفاوتها في أسلوب وطريقة تأطير هذه التقنيات والآليات، فيفقد تحري الدقة في انتقاء العناصر اللغوية تكون الفصاحة والأسلوب الأمثل. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود احمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م: ١٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٢.

(٣) ينظر: مناهج درس النحوي في العالم العربي: ٣٠٧ - ٣٠٨، والتفكير الدلالي في درس اللساني العربي الحديث: ٢٥٩.

(٤) التفكير الدلالي في درس اللساني العربي الحديث: ٢٦٠.

(٥) آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، د. احمد المتوكل، كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٣م: ٢١ (الهامش)، ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، د. احمد المتوكل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٣م: ٢٨.

(٦) ينظر: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، د. احمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م: ١٤ - ١٥ و ٤٠ - ٤١، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: ٣٤٤ - ٣٤٦.

linguistique de la situation وذلك حين يكون في الخطاب الإبلاغي عناصر غامضة، إذ لا يستمد الخطاب وظيفته من الجمل والتراكيب، وإنما من الظروف المقامية والسياقية المحيطة بإنتاج تلك النصوص<sup>(١)</sup>.

ونجد في الانموذج الذي يُمثله اللساني الهولندي سيمون دِكْ له مساحة في اللسانيات العربية، بفضل جهود الدكتور احمد المتوكل<sup>(٢)</sup> الذي سنعتمد قراءته التأصيلية للتراث.

لقد ركّز سيمون دِكْ<sup>(٣)</sup> على دراسة القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية وحاول الخروج بضوابط مميزة لهذه القدرة عن طريق تحديدها بخمس ملكات<sup>(٤)</sup> :

- ١- الملكة اللغوية: وهي الملكة التي تُمكن مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل العديد من العبارات اللغوية في مواقف تواصلية مختلفة.
- ٢- الملكة المنطقية: تُمكن المتكلم من اشتقاق معارف جديدة عن طريق الاستنباط على اعتباره مزوداً بمعارف معينة سلفاً.
- ٣- الملكة المعرفية: وهي التي تُمكن المتكلم من تكوين رصيد من المعارف المنظمة واستحضارها في التأويل في أثناء عملية التواصل.
- ٤- الملكة الإدراكية: يستطيع المتكلم من خلالها إدراك المحيط، وأن يكون منه الكثير من المعارف، التي يستحضرها في أثناء العملية التواصلية.
- ٥- الملكة الاجتماعية: تُمكن المتكلم من اختيار الكيفية التي يريد المتكلم بها قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

ويمكننا القول: إنّ اللسانيات الوظيفية تعطي الجانب التداولي الأولوية، على الرغم من إقرارها بأهمية الجانبين التركيبي والدلالي؛ إذ يعدّهما آليات لخدمة الجانب الأول لتحقيق التواصل<sup>(٥)</sup>، فقد حددت النظرية الوظيفية موضوع الوصف اللغوي بـ(القدرة التواصلية) التي تُمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم عن طريق اللغة، وكان مفهوم القدرة التواصلية يشمل منذ البداية القدرة اللغوية والقدرة التداولية معاً، أي معرفة مستعملي اللغة الطبيعية نسق اللغة والقواعد التي تضبط استعمال هذا النسق في مختلف أنماط التواصل<sup>(٦)</sup>؛ لأنّ الوظيفيين لاحظوا أنّ مستعمل اللغة الطبيعية يستعمل في أثناء عملية

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم - الأصول والامتداد، د. احمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط ٢٠٠٦ م : ٤٩، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري : ٤٠ - ٤١.

(٢) إنّ الحديث عن اللسانيات الوظيفية في اللغة العربية يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الأعمال التي قدّمها الدكتور احمد المتوكل، إذ يُعتبر من الأعلام العرب الذين قرأوا التراث قراءة منصفه في تجربته، وهو من القلائل الذين استطاعوا أن يجمعوا من التمهيد للنظرية (ترجمة الخطاب الوظيفي الغربي) وتطبيقه على اللغة العربية بطريقة منهجية وعلمية منصفة.

(٣) سَابِقُ المبادئ العامة التي تقوم عليها النظرية النحو الوظيفي عند سيمون دِكْ دون غيره من اللسانيين الغربيين؛ لأنّ انموذجه من أكثر النماذج تطبيقاً على اللغة العربية.

(٤) ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي : ٨ - ٩.

(٥) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٣٤٦.

(٦) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : ٥٥٢ - ٥٥٣.

التواصل فضلاً عن ملكته اللغوية ملكات طبيعية غير لغوية تسهم في إنجاح هذه العملية<sup>(١)</sup>، وهي الملكات الخمس الأنفة الذكر.

إن الحديث عن الاتجاه الوظيفي التداولي في اللسانيات العربية لا بد أن يكون مقروناً بالحديث عن أعمال الدكتور احمد المتوكل الذي تبنى نظرية النحو الوظيفي في الإطار النظري، وهو اختيار تحكمه مجموعة من المسوّغات عبّر عنها بقوله: "يعتبر النحو الوظيفي Functional Grammar الذي اقترحه سيمون دك في السنوات الأخيرة - في نظرنا - النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابةً لشروط التنظير من جهة، لمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره، فهو محاولة لصهر بعض مقترحات نظريات لغوية: النحو العلاقي Relational Grammar، نحو الأحوال Case Grammar، الوظيفية Functionalism، ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية) Speech Actes theory أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث"<sup>(٢)</sup>.

تعدّ تجربة الدكتور احمد المتوكل في اللسانيات الوظيفية، تجربة مهمة في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية، التركيبية والمعجمية والصرفية والدلالية، من خلال تبني رؤية امتدادية أو استمرارية يتوثق فيها العرى بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي، إذ حاول تطعيم نظرية النحو الوظيفي بمجموعة من المعطيات الواردة في التراث اللغوي العربي، وزيادة ما يمكن من آليات تحليل تسهم في تطوير هذا الانموذج<sup>(٣)</sup>، فقد استثمر اقتراحات الفكر اللغوي والبلاغي العربي في معالجة الكثير من الظواهر المتعلقة باللغة العربية، مما رسخ لديه قناعة مفادها أنّ الفكر اللغوي العربي وظيفي في عمقه، مما سيسهل إمكانية دمج في نحو الخطاب الوظيفي<sup>(٤)</sup>.

فقد ارتكزت تجربة المتوكل على قراءة التراث العربي قراءة يمكن من خلالها تحديد العلاقة التي تربطه بالدرس اللساني الحديث خاصةً فيما يتعلق بجوانبه الوظيفية، فضلاً عن أنّه حاول مدّ جسراً بين الفكر اللغوي العربي القديم ونموذج النحو الوظيفي، مكنّه وهو بصدد معالجة قضايا تداولية في اللغة العربية أن تستعير من مؤلفات اللغويين القدماء ما مسّت الحاجة إليه و ما رآه وارداً مناسباً<sup>(٥)</sup>.

لقد تبنى الدكتور احمد المتوكل فكرة (التوفيق المعرفي) في أولى دراساته التي بدأها في العام ١٩٨٢م، وذلك في أطروحته للدكتوراه (تأملات في نظرية المعنى في الفكر العربي القديم)<sup>(٦)</sup>، التي سعى

(١) ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي : ٨ - ٩، والخطاب وخصائص اللغة العربية - دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. احمد المتوكل، ط١، منشورات الاختلاف ولبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م : ١٣ - ١٤ .

(٢) الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. احمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م : ٧ .

(٣) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٣٤٨ .

(٤) ينظر: الخطاب وخصائص العربية : ١٢ .

(٥) ينظر: استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة : الوظيفية أنموذجاً، د. احمد المتوكل، مجلة المناظرة، العدد ٦، ١٩٨٧م : ٤٩ -

٥٠ .

(٦) كتبت هذه الأطروحة بالفرنسية، ونشرت ضمن منشورات كلية الآداب، في الرباط، و كانت بإشراف غريماس، وهو لساني من أصول ليثوانية، درس في السوربون، وتولى إدارة الدراسات الدلالية في المدرسة التطبيقية العليا في باريس، ينظر: الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، ط٥، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٦م : ١٩٩ - ٢٠٠ .

فيها إلى البحث في التراث اللغوي العربي وتحديدًا البلاغي منه، والموازنة بالنظريات اللسانية المعاصرة مع دمج تحليلات القدماء بالخطاب اللساني المعاصر، فكانت فكرة التوفيق المعرفي هاجسه في جميع مؤلفاته، ولعلَّ العنوان الذي اختاره لأحد كتبه (المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول و الامتداد) خير دليل على تبنيه لهذه الفكرة<sup>(١)</sup>.

ويُصنّف الدكتور المتوكل جهوده في ضمن الاتجاه الذي يروم التوفيق بين القديم والحديث (التوافقي) ، وهو الاتجاه الأقرب لدراسة معطيات اللغة العربية .  
وتكمن أهمية الاتجاه في قدرته على بلوغ ثلاثة أهداف متكاملة:

" - صوغ النظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين النظريات الحديثة.  
تطعيم النظرية اللسانية الحديثة والعامّة بروافد نظرية جديدة قد تثبت ما اتفق عليه في الغرب، وقد تدحضه.

- خلق أنموذج لغوي عربي (أو نماذج عدّة) يضطلع بوصف اللغة العربية انطلاقاً من النظريات اللغوية القديمة بعد أن تقولب وتمحص في إطار النظريات اللسانية الحديثة، وأن تحتك بما تفرع، وما يتفرع عنها من نماذج لغوية"<sup>(٢)</sup>.

إنّ تحقيق هذه الأهداف تجعلنا نخلق حواراً معرفياً علمياً بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة ممثلة في اللسانيات الوظيفية، بل أكثر من هذا يرى المتوكل " أنّ الفكر اللغوي التراثي في عمقه فكر وظيفي من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه"<sup>(٣)</sup>.

ومن الأصول التراثية في التفكير اللغوي العربي القديم، والتي تعامل معها الدكتور المتوكل في طروحاته هي دراسته للمكوّنات التي تستند إليها الوظائف التداولية : البؤرة، الذيل، المحور، المنادى، الاستلزام التخاطبي، التقديم والتأخير وغيرها، وسنتناول بعضاً من هذه المكوّنات والتي لها أصول وجذور في التراث اللغوي العربي.

(١) التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث : ٢٧٩ فما بعدها .

(٢) الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٩٢ ، و ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٣٨٣ .

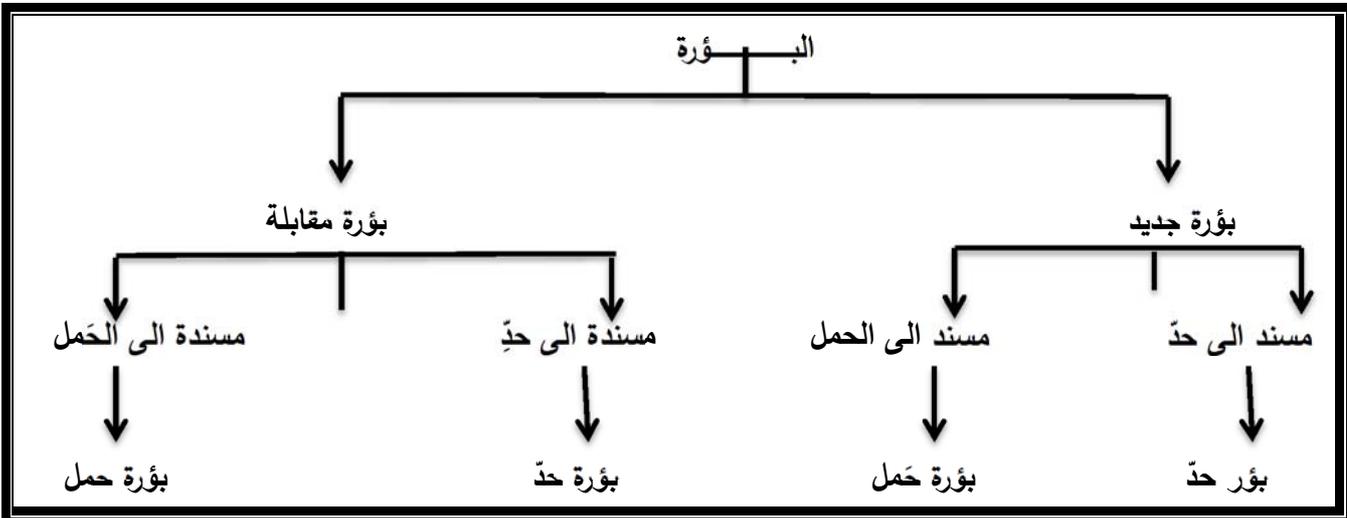
(٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي : ١٥ .

## ١- البؤرة :

يُعرّف الدكتور المتوكل البؤرة بأنها الوظيفة المسندة إلى المكوّن " الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة" (١). وقد ميّز بين نوعين من البؤرة:

بؤرة الجديد: وهي الوظيفة التداولية التي تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة (الجديدة) بالنسبة للمتكلم (في حالة الاستفهام) أو للمخاطب (في حالة الإخبار) (٢).  
وبؤرة المقابلة: وهي الوظيفة التداولية التي تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة المتردد في ورودها أو المنكر وورودها (٣).

وقد أشار المتوكل إلى أنّ كلاً من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة يمكن أن تُسند إلى حدّ من حدود الحمل أو إلى الحمل برمته، يمكن توضيحه بوساطة المخطط الآتي (٤):



وقد أشار المتوكل في إطار حديثه عن (البؤرة)، وعلى وجه التحديد (بؤرة الجديد) إلى الجُمْل الاستفهامية المصدّرة بأداة الاستفهام، والجُمْل الحصرية الداخلة عليها أداة الحصر (إنّما)، ومما انتهى إليه أنّ أداة الاستفهام (الهمزة) تدخل على الجملة المسندة إليها (بؤرة المقابلة) ولا تدخل على الجُمْل المسندة إليها (بؤرة الجديد)، وتكون (بؤرة المقابلة) في الجُمْل المصدّرة بأداة الاستفهام الهمزة مسندة إما إلى مُكوّن من مكوّنات الجملة كما يظهر من المثالين (٥):

١- أَعْدَأْ أَلْقَاكَ ؟ أم بعد غد؟.

٢- أَحَصَرَ الضيوف؟ أم لا؟

(١) الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٢٨ .

(٢) اللسانيات الوظيفية : ٢٥٥ ، والوظائف التداولية في اللغة العربية : ٢٨ - ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٦ .

(٥) ينظر: اللسانيات الوظيفية : ٢٥٦ - ٢٥٨ ، والوظائف التداولية في اللغة العربية : ٣٠ .

وقد انتهى المتوكل في هذه المسألة إلى أنه متفقاً مع ما قصده النحاة العرب القدماء حين قالوا إنّ (الهمزة) تستعمل لطلب (التصور) كما تستعمل لطلب (التصديق)، بخلاف (هل) التي تستعمل للتصديق<sup>(١)</sup> فقط، نحو: هل زيد قائم؟.

أما (هل) "فإنها تدخل على الجمل التي تكون فيها البؤرة (بؤرة جديد) من حيث نوعها وبؤرة جملة من حيث مجالها"<sup>(٢)</sup>، مثل: هل عاد زيد من السفر؟

نخلص مما سبق أنّ استعمال أداتي الاستفهام (الهمزة) و(هل) خاضع للقاعدتين الآتيتين:

١- تدخل همزة الاستفهام على بؤرة المقابلة، سواء أكانت بؤرة مكون أم بؤرة جملة.

٢- تدخل (هل) على بؤرة الجديد المسندة إلى الجملة.

## ٢ - المنادى:

يُعرّف الدكتور المتوكل (النداء): بأنه فعلاً لغوياً شأنه في ذلك شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار والسؤال والالتماس<sup>(٣)</sup>.

ويُميّز بين النداء بعده فعلاً لغوياً، والمنادى بعده مكوّناً من مكونات الجملة يدلّ على الذات محط النداء، فالنداء فعل لغوي في حين أنّ المنادى وظيفته، أي علاقة تقوم بين مكوّن من مكونات الجملة و باقي المكوّنات التي تُورده<sup>(٤)</sup>.

وقد انطلق المتوكل في تقديمه للمنادى مما ورد في كتب النحو العربي حول المنادى مع اعتماده إطار النحو الوظيفي. فقد ميّز النحاة بين (المنادى) و(المندوب) و(المستغاث)<sup>(٥)</sup>. وهو تمييز يعده المتوكل وارداً؛ لأنّ كل من المكوّنات الثلاثة خصائص ينفرد بها، وإن كان لا يعتبر (المنادى) و(المندوب) و(المستغاث) وظائف مختلفة بل يعتبرها أنواعاً ثلاثة للوظيفة ذاتها (وظيفة المنادى)، ويصطلح على (المنادى) و(المندوب) و(المستغاث): (منادى النداء) و(منادى الندبة) و(منادى الاستغاثة)<sup>(٦)</sup>، حتى يتمكن من الوصول إلى الكفاية النمطية<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية : ٣٣ .

(٢) اللسانيات الوظيفية : ٢٥٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٥٠ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥١ .

(٥) ينظر: شرح المفصل : ٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٦) ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية : ١٦٤ .

(٧) ويقصد بها: أن يحصل للنحو الكفاية حين يستطيع أن يبني أوصافاً للغات تنتمي إلى أنماط مختلفة وأن يُقصد في الوقت نفسه ما يُؤلف بين هذه اللغات المتباينة نمطاً وما يخالف بينها، ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ٢٩ .

وقد عُني المتوكل بشكل خاص بـ(مُنَادَى النداء)<sup>(١)</sup>، وعرض لرأي النحاة فيه: فَهْمٌ يَعْتَبِرُونَ الْمُنَادَى مَنْصُوباً فِي الْحَالَاتِ الْآتِيَةِ<sup>(٢)</sup>:

١- إذا كان نكرة غير مقصودة، نحو:

- يا قاسياً أرفق بي

- يا طالعاً جبلاً احذر.

٢- إذا كان مضافاً، نحو: - يا صديقَ خالدٍ ساعد صديقك.

٣- أو شبيهاً بالمضاف، نحو:

- يا طالعاً جبلاً احذر.

ويُبنى على ما يُرفع به إذا كان<sup>(٣)</sup>:

١- نكرة مقصودة، نحو:

- يا رجلُ حان وقت الذهاب.

٢- أو معرفة، نحو:

- زيدٌ لا تغتر.

إنَّ المُنَادَى المَنْصُوبَ فِي الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ تَقْدِيرًا، وَيُفَسَّرُ بِكَوْنِهِ مَفْعُولًا بِهِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرًا: (أَدْعُو) أَوْ (أُنَادِي)<sup>(٤)</sup>.

ويذهب المتوكل إلى ما ذهب إليه النحاة العرب القدماء في اعتبارهم الحالة الإعرابية المكوّن المُنَادَى هي النصب، سواءً تحقق النصب أو لم يتحقق، لكنه يُخالفهم من جهة اعتبارهم المكوّن المُنَادَى يأخذ الحالة الإعرابية النصب، لا بمقتضى تقدير فعل ناصب، بل بمقتضى وظيفته التداولية نفسها طبقاً للمبدأ العام المعتمد في إسناد الحالات الإعرابية كما تنص على ذلك مبادئ النحو الوظيفي<sup>(٥)</sup>.

(١) جدير بالذكر أنّ النحاة القدماء كانت عنايتهم منصبّة - أيضاً - على (المُنَادَى)؛ لأنّه الأصل في (المنسوب - المنادى المنسوب) و(المستغاث - المنادى المستغاث)، فقد بنوا معظم أحكامهم النحوية على أساس (المُنَادَى)، ينظر: الكتاب : ٢ / ١٨٤ - ١٨٩، وشرح المفصل: ١ / ٣١٥ - ٣٣١.

(٢) ينظر: الكتاب : ٢ / ١٨٤، وشرح المفصل : ١ / ٣١٦ - ٣١٩.

(٣) ينظر: الكتاب : ٢ / ١٩٠ - ١٩٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢ / ١٨٥.

(٥) وظائف التداولية في اللغة العربية : ١٧٥ - ١٧٧.

## ٣- التقديم والتأخير:

ذكر الجرجاني ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، يقول الجرجاني: "واعلم أنّ من الخطأ أنّ يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره على قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنّه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرّد لهذا قوافيه ولذلك سجعه. ذلك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى فمتى ثبت في تقديم المفعول، مثلاً، على الفعل في كثير من الكلام، أنّه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أنّ تكون تلك القضية في كلّ شيء وكل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنّه كذلك في عموم الأحوال فأما أن يجعله بين بين فيزعم أنّه للفائدة في بعضها، وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فمما ينبغي أن يرغب عن القول به"<sup>(١)</sup>، وقد ركّز الجرجاني بشكل خاص على مبدأ العناية والاهتمام، يقول: "كأنهم يقدمون الذي بيّنه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كان جميعاً يهملهم ويعنيانهم"<sup>(٢)</sup>.

وتعقيباً على رأي الجرجاني يستخلص المتوكل أنّ للتقديم أيّاً كان دلالة، وأنّه ليس هناك تقديم "مفيد (ذو دلالة)" وتقديم "غير مفيد"، وهذا يعني حسب رؤية المتوكل أمرين:

١- ترتيب المكونات داخل الجملة محكوم دلالياً (اقرأ: إخبارياً)

٢- ليست هناك قواعد تقديم (نحوية) وقواعد تقديم (أسلوبية) .

إذا استثنينا عمليات التقديم التي يقتضيها (الإيقاع) في النصوص الشعرية مثلاً<sup>(٣)</sup>...

ويعدّ المتوكل المبدأ الذي ينطلق منه الجرجاني في وصفه، لظاهرة التقديم سليماً في عمومها، فضلاً عن ملاحظته أثناء تفسيره الذي يُبرّر به الجرجاني تقديم المفعول على الفاعل حين يُراد الاهتمام والعناية به، أنّ المفهوم الذي يمكن أن يقابل مفهوم (الاهتمام) هو مفهوم (البؤرة)، غير أنّه عدل عن هذا التأويل بعد إعادة النظر فيما ذهب إليه الجرجاني وتدبره، يقول: "يُفهم من النص أن المهتم به هو ما ينقسم المتكلم والمخاطب معرفتهً ويُشكّل محط اهتمامهما. هاتان الخاصيتان من مقومات التعريف الذي يعطى في الدرس الحديث للوظيفة التداولية المحور"<sup>(٤)</sup>.

لقد انطلق المتوكل من رأي الجرجاني وبين جوانب الاتفاق، ثم استدل بالملاحظات التي ساقها على أنّ المكوّن الذي يتوسط في اللغة العربية، بين الفعل والفاعل، مكوّن يحمل - فضلاً عن وظيفته

(١) دلائل الإعجاز : ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٠ .

(٣) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، د. احمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦ : ٧٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٧٣ .

الدلالية (أو وظيفته الدلالية والتركيبية) - الوظيفة التداولية (المحور). وبناءً على هذا الاستدلال يورد عاملاً آخر يوجب توسط مُكوّن ما بين الفعل وفاعله، وهو عامل التعقيد المقولي Complexity Categorial الذي يؤدي دوراً في ترتيب المكوّنات داخل جُمَل اللغات الطبيعية، فالمكوّنات الأبسط مقولياً الضمائر، والمركبات الاسمية، تنزع إلى أن تقدّم على المكوّنات الأعد (المركبات الاسمية المعقدة، الجمل) ويتجلى هذا المبدأ في سُلْمِيَّة من النوع الآتي<sup>(١)</sup>:

ضمير لاصق < ضمير منفصل < مُرْكَب اسمي معقد < مُرْكَب حرفي < مُرْكَب اسمي متعدد < جُمَلَة.

فيتضح مما سبق، أنّ المتوكل في حديثه عن ظاهرة التقديم والتأخير قد انطلق من رأي الجرجاني، ثم استدل على صحة ما ذهب إليه هذا العالم الجليل، فضلاً عن عرضه للجوانب التي يمكن أن نتدارك بها بعض من تصورات القدماء، مُستلهماً - في ذلك - معطيات النحو الوظيفي، كما هو الشأن بالنسبة لمقولة (التعقيد المقولي)، وهذا ينبئ عن وعيه بأصالة آراء النحاة القدماء، فضلاً عن جمعه بين ما هو قديم وما هو حديث.

#### ٤- الاستلزام التخاطبي<sup>(٢)</sup>:

يُعدُّ الاستلزام التخاطبي واحداً من أهم الجوانب في الدرس التداولي، فهو ألقها بطبيعة البحث فيه، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، وعلى الرغم من ذلك فليس له تاريخ ممتد<sup>(٣)</sup>.

إنّ التواصل اللغوي يَتِمُّ في حدود إدراك المرسل لواقعة معينة تتضمن قيمة لموضوع ما، يحاول من خلال التواصل اللغوي تحقيق إتصال أو إنفصال بالموضوع من خلال علاقته بالمتلقي؛ ذلك المتلقي الذي يتمتع بحالة ما من الإتصال أو الانفصال بتلك الواقعة ذات القيمة المتصلة بموضوع ما، فضلاً عن أنّ عملية التواصل تلك تتم في ضوء (التعاون حب الذات) يُظهر المرسل تعاوناً ما، إما بشكل ظاهري أو بشكل فعلي، ومهما يكن من أمر يفترض المتلقي تعاوناً ما لا يتصل بمقول قول المرسل؛ بل يتصل بما يقصده المرسل<sup>(٤)</sup>، وهو ما عُرف بـ(الاستلزام التخاطبي أو الحواري).

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ٧٧ .

(٢) ترجم الدكتور احمد المتوكل مصطلح (conversations Implicature) بـ "الاستلزام التخاطبي" وأحياناً يترجمه "الاستلزام الحواري"، ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ٩٤، في حين ترجمه باحث آخر بـ(التلويح أو التعريف الحواري)، ينظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام عبد الله خليفة : ١٥٨، وترجمة الدكتور عادل فاخوري بـ(الاقتضاء التخاطبي)، ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني : ١٤٢. (بحث).

(٣) الاستلزام التخاطبي ظاهرة قُدمت في إطار نظريات لسانية حديثة ذا طابع فلسفي (فلسفة اللغة العادية)، قُدمها كلٌّ من (غرايس وسيرل وجوردن ولاكوف)، فقد لاحظ غرايس أن حُمَل اللغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات أن تدل على معنى يختلف عن المعنى الذي يوصي به محتواها الحرفي، ذلك أنّ الممارسة اللغوية بحسب غرايس نشاط عقلائي يهدف إلى التعاون بين المتخاطبين، لذلك كان لابد من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة عن اعتبارات عقلية، تتدبر السلوك التخاطبي وتجعله فعلاً وناجحاً، ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني : ١٤٦، وتعمل هذه التوجيهات في ضوء مبدأ شامل سمّاه غرايس (مبدأ التعاون)، ينظر: اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري : ٢٢ - ٢٣، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٩، وفرق غرايس بين معنى الجملة الذي يقابل عند اللغويين العرب المعنى الأول، ومعنى المتكلم الذي يقابل عندهم المعاني الثواني. ينظر: نظرية الفعل الكلامي : ١٥٨ - ١٥٩ .

(٤) ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٤ - ٣٥ .

إذاً الاستلزام التخاطبي: هو خروج التركيب عن معناه الحرفي التقريبي إلى معنى آخر يستلزمه ويفرضه المقام<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أنه لا يُقيم حدوداً فاصلة بين المكوّنات الدلالية والتداولية، وإنّما تتضافر كلّها لتشكيله لفكّ شفرة الرسالة اللغوية، ففي ضوء الطبيعة الإنجازية للخطاب يحدد المكوّن الدلالي الإرجاعات المحتملة للعلامة اللغوية، بينما يقوم المكوّن التداولي بإبراز مقصد المتكلم<sup>(٢)</sup>.

وقد مثّل الاستلزام التخاطبي نظرية متكاملة عند غرايس حاول الباحثون إيضاحها بأمثلة كثيرة مما قدمت، كما حاول تطويرها و استكمال جوانب النقص والقصور فيها<sup>(٣)</sup>.

ومن الباحثين العرب الذين حاولوا أن يُقدّموا دراسة للكشف عن المعالم الرئيسة لهذه النظرية هو الدكتور احمد المتوكل، إذ وجد أنّ النظرية قريبة جداً مما ورد في التراث اللغوي العربي عند البلاغيين وعلماء أصول الفقه، إذ اعتمد في وصفه على ما قدّمه السكاكي في مفتاحه؛ لأنّه وجد تناوله يتجاوز الملاحظة المجردة إلى التحليل الملائم للظاهرة، الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقامياً، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة<sup>(٤)</sup>.

فقد وجد المتوكل أنّ اقتراحات السكاكي تمتاز "عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنّها تتجاوز الملاحظة الصرف، وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقامياً، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني وضع قواعد استلزامية واضحة. هذا فضلاً عن ميزة أخرى وهي أنّ تعديد السكاكي للاستلزام التخاطبي وارد مؤطر داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية (أصوات، صرف، نحو معاني، بيان...)"<sup>(٥)</sup>.

لقد انطلق السكاكي من الثنائية الواردة في الفكر اللغوي العربي بوجه عام، والتي ينقسم الكلام بمقتضاها على (خبر)، و(إنشاء)، وقد اقتصر بالنسبة إلى الشق الثاني من تلك الثنائية على (الطلب) الذي يضعه مقابل (الخبر)، فيفرع كلاً من القسمين إلى أنواع يضع لكلّ نوع منها شروطاً مقامية تتحكم في إنجازها، أي في أجزائها مطابقاً لمقتضى الحال. ويتفرع من هذه الأنواع نفسها أغراض (تتولد) في حالة إجراء الكلام على خلاف ما يقتضيه المقال.

وقد ركّز المتوكل على الجهاز الواصف عند السكاكي إذ يقول: "يتألف الجهاز الواصف عند السكاكي، من أنساق القواعد الآتية: قواعد صوتية - صرفية تضطلع بتكوين المفردات وقواعد نحوية تتكفل

(١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي : ١٥٩ .

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، و اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٤٦٧، والتفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث : ٢٩١ .

(٤) عنوان البحث هو: (اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام الحوارية) وقد نشر أولاً في : البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب - الرباط ١٩٨٤، ثم أعيد في كتاب له بعنوان : دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة - الدار البيضاء ١٩٨٦ : ٩٣ - ١٠٣ .

(٥) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ٩٦ .

بتأليف المفردات فيما بينها لتكوين الجملة وقواعد تداولية (علمي المعاني والبيان) تضطلع برصد الترابط القائم بين الجملة خُرج القواعد النحوية والطبقات المقامية الممكن أن تتجز فيها "مطابقة المقال لمقتضى الحال"<sup>(١)</sup>.

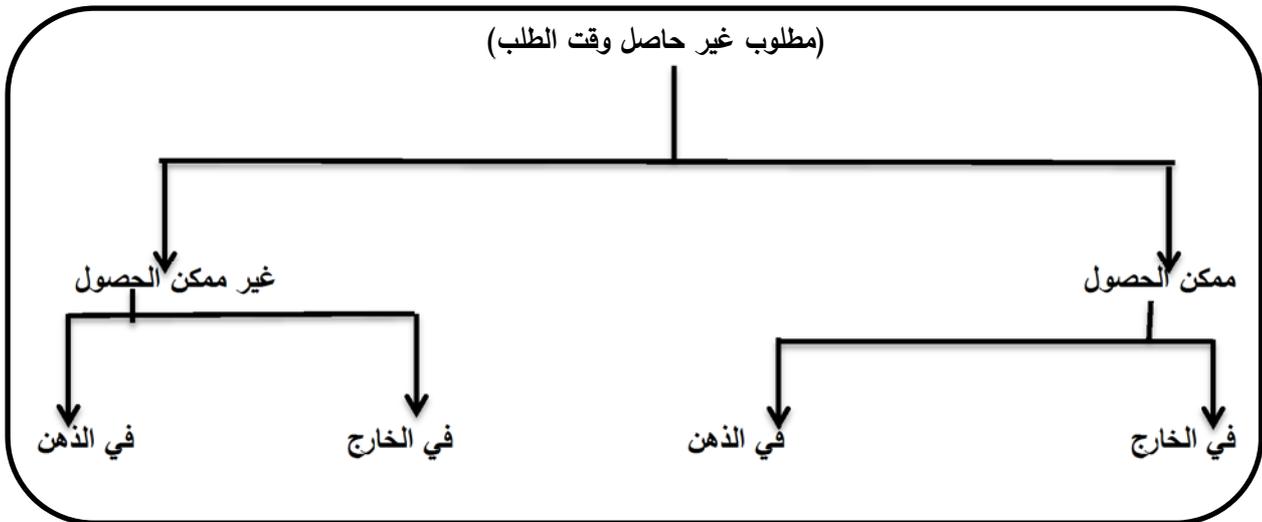
وقف المتوكل على تمييز السكاكي بين (الأغراض) اللاصقة بالصيغ الجُمليّة والأغراض التي تدل عليها الصيغ في طبقات مقامية معينة، " فمن المعلوم أنّ الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر) ( الإنشاء) التي تشبه إلى حدّ بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف)/(الإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء. فالجملة الخبرية عندهم، هي الجملة التي (تحتل الصدق أو الكذب) في حين أنّ الجملة الإنشائية هي الجملة المتوفرة فيها خاصيتان:

أ - أنّها لا تحتل الصدق أو الكذب .

ب - أنّ مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها،

ويصل الشبه بين الثنائية القديمة والثنائية الحديثة إلى أنّ اللغويين العرب القدماء اقترحوا تقليص الجمل اللغوية برد الجمل الخبرية والجمل الإنشائية إلى جملٍ خبرية أو جملٍ إنشائية كما فعل أوستين نفسه"<sup>(٢)</sup>.

وقد قسّم المتوكل الأغراض عند السكاكي إلى فئتين: الأولى أطلق عليها مصطلح (الأغراض الأصلية)، والثانية (أغراضاً فرعية) . وتضمنت الأغراض الأصلية: الاستقهام، والتمني، والنداء، والأمر، والنهي. هذه الأغراض تُجرى على أصلها إذا كان (المقام) ملائماً لشروط إجرائها على الأصل، وتكون شروط هذه الأغراض على أصلها نسقاً متماسك العناصر، يمكن توضيحه عن طريق الرسم الآتي<sup>(٣)</sup>:



(١) اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري : ٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٢ .

(٣) ينظر: اقتراحات من الفكر اللغوي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي: ١٩ (بحث)، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري : ٤٢ .

ومن المهم التنويه هنا أنّ السكاكي استعمل مصطلح (الطلب) قسيماً للخبر وأصلاً من أصلي  
 خواص تركيب الكلام، ولم يستعمل مصطلح (الإنشاء)، يقول: "وإنما السابق في كلام العرب شيئان  
 الخبر والطلب"<sup>(١)</sup>، وهما في نظره يستغنيان عن التعريف، فهما إنّما يفترقان "باللزام المشهور وهو احتمال  
 الصدق والكذب"<sup>(٢)</sup>. ومن اللافت للنظر أنّ شُراح (المفتاح) اعتمدوا الإنشاء للدلالة على ما ينقض  
 الخبر<sup>(٣)</sup>، ويبدو أنّ شُراحه قد أخذوا هذا المصطلح عن النحاة، فقد استعمل ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)  
 مصطلح (الإنشاء) استعمالاً خصّ به ما يعمل المتكلم بفعل التعجب وأفعال المدح والذمّ، يقول: "فعل  
 التعجب ما وُضِعَ لإنشاء التعجب"<sup>(٤)</sup> و"أفعال المدح ما وُضِعَ لإنشاء مدح أو ذم"<sup>(٥)</sup>. وهناك من النحويين  
 من يُفرّق بين الإنشاء والطلب فيستعمل مصطلح الإنشاء للدلالة على الكلام الذي يتحقق بمجرد التألف  
 به، نحو قول السيد لعبده: أنت حُرٌّ، في حين يطلق مصطلح الطلب على الكلام الذي يتأخر تحقيق  
 معناه عن لفظه نحو قولك: (اضرب)، وهو رأيٌ رفضه فريقٌ من النحاة، يقول السيوطي (ت ٩١١هـ):  
 "والمحقّقون على دخول الطلب في الإنشاء، وأنّ معنى (اضرب) مثلاً وهو طلب الضرب مقترنٌ بلفظه،  
 وأمّا الضرب الذي يوجد بعد ذلك معلّق الطلب لا نفسه"<sup>(٦)</sup>، وعليه فإنّ الطلب يدخل في الإنشاء، ويصبح  
 الكلام قسامين: خبرٌ وإنشاء.

وفي عَرَض المتوكل لإقتراحات السكاكي ركّز على نوع أصلي واحد (الاستفهام)، فيخلص إلى أنّ  
 قيمة ما يقترحه بالنسبة إلى الوصف الكافي لظاهرة الاستلزام التخاطبي (ولكلّ ظاهرة لغوية على  
 الإطلاق)، يقتضي أنّ يستجيب التحليل لمجموعة من الشروط النظرية والتجريبية، غير أنّه يكتفي من  
 تلك الشروط بشرط ضروري يُمكن من الإجابة عن السؤالين الآتيين الذين يُشكّلان صلب الإشكال  
 المطروح:

١- كيف تتم عملية الاستلزام في حدّ ذاتها؟

٢- ما المعنى المستلزم؟ أي كيف يتم التنبؤ بماهية المعنى الذي تستلزمه الجملة حوارياً<sup>(٧)</sup>.

بخصوص السؤال الأول أجاب السكاكي أنّ ظاهرة الاستلزام الحوارية تتولّد من خلال (خرق) أحد  
 شروط معاني الطلب الخمسة (الاستفهام، والنداء، والتمني والامر، والنهي)، بإجراء هذه المعاني في  
 مقامات غير مطابقة، ومبدأ (الخرق) هذا هو أساس عملية الاستلزام، وبذلك يقترب تحليل السكاكي لهذه

(١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) : ٧٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٩ .

(٣) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٤) شرح الرضي : ٢٢٧ / ٤ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٣٧ / ٤ .

(٦) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م :

٧٥ .

(٧) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ١٠٠ .

الظاهرة من اقتراحات الفلاسفة واللغويين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة، فقد تصدى اللغويون العرب القدماء والفلاسفة لدراسة ما سُمي في الدرس اللغوي الحديث بالأفعال اللغوية والاستلزام الحواري<sup>(١)</sup>.

أما فيما يخص جواب السؤال الثاني، فقد أشار المتوكل إلى آراء جوردن ولاكوف، وسيرل، وهي آراء تسعى إلى الوصول إلى الغاية نفسها (أي كيفية ضبط المعنى المستلزم)، ليصل بعد ذلك إلى عرض موقف السكاكي في هذا الشق من السؤال، فتوصل إلى أنه " يكتفي في الغالب الأعم من الأحوال بذكر المعاني المتفرعة عن المعاني الطلبية الأصلية (زجر، إنكار، وعيد، تهديد، استبطاء... الخ) مع إعطائها أوصافاً عامة مثل (ما يناسب المقام) أو (ما يتولد بمعونته قرائن الأحوال)<sup>(٢)</sup>.

بناءً على ما تقدّم من اقتراحات السكاكي، تمكّن المتوكل من استثمارها في وضع قواعد انطلاقاً من التعميمات الآتية:

تعميم ١: "تنتقل الجملة من الدلالة على معناها الأصلي (س) إلى آخر (ص) بالانتقال، خرقاً، من أحد شروط إجراء (س) إلى ما يقابله من شروط إجراء (ص)، ويمكن اشتقاقاً من هذا التعميم الكلي، صوغ تعميمات جزئية تخص الانتقال من معنى مُعَيَّن نورد منها، على سبيل المثال، التعميم الآتي:

تعميم ٢: تنتقل الجملة الاستفهامية من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على التمني بالانتقال، خرقاً، من شرط (طلب ممكن الحصول) إلى شرط (طلب غير ممكن الحصول)<sup>(٣)</sup>.

إنّ اقتراحات السكاكي - بهذا المعنى - تعادل اقتراحات اللسانيات الوظيفية الحديثة مع غرايس وسورل وغيرهم؛ لأنها تمتاز: بدقتها وبقدرتها التنبؤية. ولا يكتفي المتوكل بوصف اقتراحات السكاكي بالدقة وقدرتها التنبؤية، بل يفترض إمكانية طرح هذه الاقتراحات بديلاً للتحليلات الحديثة شريطة أن يعمل على استيفائها الشروط المقتضاة<sup>(٤)</sup>.

فيتبين لنا مما تقدّم - من خلال كتابات المتوكل - أنّ العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الوظيفية هي علاقة أصول وامتداد لا علاقة انفصال وقطيعة، فكلاهما وظيفي في عمقه وأصوله؛ بل إنّ دمج اقتراحات لسانيات التراث في نحو الخطاب الوظيفي ستمكّن الباحثين من تدقيق تعريفات المفاهيم التي تناولها النحاة والبلاغيين العرب القدماء، فقد استطاع المتوكل قراءة الفكر اللغوي العربي القديم لاستثمار كنوزه، وما يزخر به من أفكار تُعيد لللسانيات العربية قوتها ومناعتها الداخلية، فضلاً عن تطوير النماذج الوظيفية الحديثة باقتراحاتها، مما سيسهم في فهم أعمق لقواعد اللغة العربية.

(١) ينظر: اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري : ٤٦، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ١٠٠ .

(٢) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي : ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٠١ .

## المبحث الثالث

## اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين

تمخضت عن قراءة التراث اللغوي العربي بمنظور اللسانيات المعاصرة عنوانات ودراسات كثيرة، لا ترد خالية من خلفية ثقافية ترتبط بوظائف معينة وتؤكد قراءة التراث اللغوي العربي وتسمى - كما ذكرنا - (لسانيات التراث) .

ويمكن أن نُميّز في التوافق بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة ثلاثة اتجاهات من القراءة<sup>(١)</sup>:

أ - اتجاه القراءة الشمولية،

ب - اتجاه القراءة القطاعية،

ج - اتجاه قراءة الأنموذج الواحد.

وهذه القراءات كُلُّها تحاول "شرح و تنظيم المادة الموجودة في التراث"<sup>(٢)</sup>، محاولةً "الربط بينه وبين ما هو موجود حالياً من درس وبحث بغية الخروج إلى الحاضر والمعاصرة"<sup>(٣)</sup>. وقراءة التراث "هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلا موجود لغوي قائم الذات بعده كتلة من الدوال المتراففة، وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده، فكما أنّ الرسالة اللسانية عند بثها قد تصادف أكثر من مستقبل واحد، فيفككها كلٌّ حسب أنماط جداوله اللغوية، فتتعدد القراءة أنياً للرسالة الواحدة حسب تعدد المستقبلين، وكذلك تتعدد القراءة زمانياً بتعاقب المتقبلين للرسالة والمفكرين لبنائها عبر محور الزمن والتاريخ"<sup>(٤)</sup>.

أ - اتجاه القراءة الشمولية:

يتجه هذا النوع من القراءة "حول التراث اللغوي في كليته ما يتصل به من قضايا"<sup>(٥)</sup>. وهناك أمثلة كثيرة تُمثّل هذا الاتجاه في قراءة التراث، منها<sup>(٦)</sup>:

- النظرية اللغوية في التراث العربي، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم .
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مذكور.

(١) اعتمدت هذا التقسيم الذي يعود إقراره بهذا الشكل للدكتور مصطفى غلفان، ينظر: اللسانيات العربية الحديثة : ١٣٦ - ١٣٧، و اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) لسانيات الظواهر و باب التعليق، د. عبد القادر الفاسي الفهري، ضمن البحث اللساني السيميائي، سلسلة رقم (٦)، منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٤م : ٣١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٢ .

(٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٢ - ١٣ .

(٥) اللسانيات العربية الحديثة : ١٣٦، و ينظر : اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٣٦ .

(٦) ما نورده من عنوانات على سبيل المثال لا الحصر .

- التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، د. حسام البهنساوي .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي .
- علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد هلال.
- أصول تراثية في علم اللغة ، كريم زكي حسام الدين

فضلاً عن قراءة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح للتراث، إذ تعدُّ قراءته (شمولية)، وسُنْبِين ذلك خلال فصول الاطروحة القادمة إن شاء الله.

إنّ الأمثلة كثيرة في هذا النوع من التوجّه لقراءة التراث ومعظمها تحاول ايجاد التوافق بين (لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة) ، ومن أبرز الباحثين الذين توجهوا إلى قراءة التراث قراءة شمولية هو الباحث الدكتور عبد السلام المسدي، إذ درس التراث العربي بعين المعاصرة في كتابه<sup>(١)</sup> الموسوم (التفكير اللساني في الحضارة العربية)<sup>(٢)</sup>، إذ نجد لمحات لسانية مضيئة. ويُعدُّ الدكتور المسدي من أبرز الباحثين في هذا المجال؛ ونظراً لأهمية تجربته وشموليتها ارتأيتُ أن أتخذه انموذجاً للاتجاه الشمولي في قراءة التراث<sup>(٣)</sup>.

يُعبّر الدكتور المسدي في الصفحات الأولى من الكتاب بقوله: " هذا الكتاب مراهنه على مشروع حضاري فكري إذا تحقق تسنى للذات العربية أن تضع غداً علمياً لها وللمن سواها، وليس حظ الفرد من كل مشروع متعاطف إلا حظ الجزء النزير من الكل المتشامخ"<sup>(٤)</sup> . ونجد في كلامه هذا أنه يرى أنّ في تراثنا العربي ما يمكن أن يُسهم في بناء الحضارة العربية أولاً، ودفع ركب الحضارة الإنسانية إلى الأمام ثانياً<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر الدكتور المسدي في فقرة (اللسانيات والمعرفة المعاصرة) أنّ اللسانيات أصبحت مركز استقطاب للعلوم، ولاسيما الإنساني منها؛ لمناهجها العلمية من جهة، ولأنّها تهتم بدراسة اللغة العنصر

(١) أصل الكتاب أطروحة دكتوراه الدولة في اللغة والآداب مُقدّمة إلى الجامعة التونسية، بإشراف الدكتور عبد القادر المهيري، نوقشت في ١٢ / يناير / ١٩٧٩ م.

(٢) يقسم البحث إلى ثلاثة فصول:

(الفصل الأول: الإنسان واللغة، الفصل الثاني: المواضع، أما الثالث: مقومات الكلام) . كل فصل ينتهي بخاتمة فيها جماع ما تناثر فيه من أفكار، ثم تجتمع الخواتيم في خاتمة عنوانها (نحو إخصاب الفكر اللساني) فيها خلاصة ما انتهى إليه البحث .

(٣) البحث في اللغة عن طريق اللغة، هو العنوان لهذا الموضوع الشمولي الواسع، والذي يتمنى صاحبه أن يفضي لا فقط إلى سد الثغرة الاعتباطية في تاريخ الفكر اللغوي البشري، بل عساه أن يكشف عن جوانب مغمورة من (لسانيات العرب) إذ ليست اللسانيات في حاجة اليوم إلى شيء مثلما هي في حاجة إليه (لسانيات التراث)، فاللسانيات اليوم موكول لها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية، لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضاً من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعاً، ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٦ .

(٥) اعتمد الباحث في قراءته على ثلاثة أركان رئيسية هي:

أ - التراث اللغوي بما يحتويه من مصنّفات النحو، وأصول النحو، والموروث البلاغي، وجملة المعاجم،

ب - والتراث الأدبي بمفهومه الواسع ابتداءً من الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).... والجرجاني (ت ٤٧١هـ) .

ج - ثم التراث الديني، من كتب أصول الفقه إلى التفاسير وإلى علم الكلام، و هو نقطة تقاطع الثقافة الإسلامية عقيدة وتشريعاً ومنطقاً.

الثابت في فروع العلم والمعرفة من جهة أخرى، وقد كان لها فضل تأسيس جملة من القواعد النظرية والتطبيقية كالنزعة العلمية الموضوعية، وتمازج الاختصاص، وقاعدة التقرد والشمول إذ أصبحت علماً شمولياً ومفتاح كل حادثة<sup>(١)</sup>.

ويؤكد عند حديثه عن (الحدثة والتراث) " أن الفكر الغربي قد شقَّ طريقه من المعاصرة إلى الحدثة دون قفز مؤدِّ للقطيعة وقد تسنى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير رواده العلمانيين فكان الصراع المنهجي خصيباً إلى حدِّ الطفرة أحياناً، ولكن المنظور العربي ما زال يتصارع والحدثة من حيث هي موقف مبدئي"<sup>(٢)</sup>، ويُزِدُّ موضحاً "أنَّ هذا الاقتضاء مداره قضية التراث من حيث هو يدعوهم اليوم إلى قراءته - على حدِّ تعبير المنهجية الراهنة - ومعنى ذلك أنَّ العرب يواجهون تراثهم لا على أنه ملك حضوري لديهم ولكن على أنه ملك افتراضي يطلُّ بالقوة ما لم يستردَّوه"<sup>(٣)</sup>، واسترداده هو استعادته له، واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد وحملُ الرؤى النقدية المعاصرة عليه"<sup>(٤)</sup>.

وأود أن أشير إلى أنني لا أرى في هذه الرؤية بأنها (ضيقة) أو (تعصبيّة عمياء) كما وصفها الباحث صلاح الدين زرال الذي يعتقد بأنَّ نظرة المسدي إلى التراث "رؤية ضيقة للتراث، أو رؤية مبنية على نظرة تعصبية عمياء، ترى أو تعتقد أنَّ التراث موجود بالقوة ويفرض نفسه علينا سواء أقبلنا ذلك أم رفضناه"<sup>(٥)</sup>.

وأقول: إنَّ صنيع الدكتور المسدي في كتابه كان انطلاقاً من مبدأ استلهام التراث العربي الذي يُعدُّ ذا قيمة كبيرة في تأصيل أمتنا العربية، ففي هذا الاستلهام خلق لفكرنا العربي المعاصر، وتأسيس للمستقبل على أصول الماضي، ولقد كان من مظاهر اكتمال علم اللسانيات، على الرغم من قصر الزمن الذي قطعه، أنَّ رواده عكفوا على التراث اللغوي القديم يدرسونه ويستلهمون منه ما يُسهم في إرساء دعائم لسانيات حديثة، تأخذ مكانها اللائق ضمن العلوم الإنسانية<sup>(٦)</sup>.

وفي حديثه عن النظرية اللغوية عند العرب، يذكر أنَّ الأمة التي تفكر في قضايا الظاهرة اللغوية العامة لا بدَّ لها من الانطلاق من نظرتها في لغتها النوعية، كما نرى في نحو تشومسكي التوليدي أحدث التيارات اللسانية اليوم، فكأنَّه يقول: إنَّ حديث العرب عن لغتهم لا يعني أنهم لم ينظروا في اللغة بوصفها ظاهرة بشرية كونية تقتضي الفحص العقلي، والواقع أنهم بلغوا في هذا النظر مرتبة التفكير

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣) فكرة الاسترداد هنا يفسرها المسدي على أنها استعادة للتراث، واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد، وحمل الرؤى النقدية المعاصرة عليه، حتى لكانَّ الاستعادة عند العرب اليوم مقولة قائمة بنفسها تكاد لا تعرف وجوداً عند سواهم على النحو الذي هي عليه عندهم، ينظر: المصدر نفسه : ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ٢٠ - ٢١ .

(٦) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢١ - ٢٢ .

المجرد، بغية الكشف عن قوانين الكلام، ولئن بدا هذا التفكير جزئياً في علوم اللغة العربية، إلا أنه يبدو على نحو واضح في تراثهم غير اللغوي، وبخاصة الفلسفة وعلم الكلام، ولكن حاجز الاختصاص هو الذي جعل اللغويين قلماً يتطرقون إلى التراث الفلسفي، كما أنّ دارسي الفلسفة أنفسهم لا ينتبهون عادة إلى آراء الفلاسفة اللغوية<sup>(١)</sup>

فضلاً عن أنّ العقل العربي عكف منذ القرن الثالث الهجري وحتى نهاية القرن الخامس على تطوير نظرية لغوية لا تختلف في مكوناتها كثيراً عن مفردات (علم اللغة الحديث) الذي أسس له سوسير في بداية القرن العشرين. والاختلافات - قائمة - بين علم اللغة العربي وعلم اللغة الغربي الحديث خلافاً منطقية، فقد طوّر العرب مدرستهم اللغوية قبل الغرب بعشرة قرون على الأقل<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار الدكتور المسدي عند حديثه عن (حظ الموضوع من الدراسة) إلى أنّ البحث النوعي في علوم العربية وخصائصها غني، ولكن البحث في ظاهرة الكلام بعامة قليل، ثم صنف الدراسات الراهنة التي تشير إلى البحث في هذه الظاهرة أصنافاً خمسة منها - مثلاً - دراسة أحد أعلام الحضارة في اللغة أو البلاغة أو الدين كابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، ومنها محاولات فردية لا تهدف إلى تقييم التراث العربي في حدّ ذاته، ويغلب عليها الاجتهاد والاستقلال بالرأي والتقدير، فهي - كما يرى المسدي - إما استشفاف لنظرة شخصية تبحث عن ركائزها النظرية، أو محاولات تبسيطية تعرف القارئ العربي بأسس اللسانيات في مختلف فروعها، وتوجهه في ضوئها إلى إعادة وصف اللغة العربية بممارسات مستحدثة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أنّ الدكتور المسدي أراد القول إنّ بحثه في التفكير اللساني العربي دفعه إليه قلة ما دون في هذا الموضوع، وكان بحثاً شاملاً يسعى إلى تلافي عيوب الدراسات الراهنة، وإن لم يُصرّح بهذا .

ومن الجدير بالتنويه إلى أنّ من سبق الدكتور المسدي إلى نقد هذه المؤلفات هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي وصفها بـ (المتماوتة) في القمة وقليلة العدد وذات صفات مذمومة<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن إشارته إلى أنّ هناك خطراً كبيراً من تطبيق هذه المناهج والنظريات وتقبّلها جُزافاً دون أي نظر فيها وأي تمحيص، فتؤديهم اللذة بالجديد - أو ما يبدو أنه جديد - إلى نبذ كل ما أبدعه علماءنا قديماً في علوم اللسان، ومن ثمّ يحاول بعض الباحثين تطبيق النظريات والمناهج الحديثة - التي قد تكون موضع

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٣٥ - ٣٧ .

(٢) ينظر: المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية: ٢٤٣، ويشير المسدي في نفس السياق إلى أنّ العرب بحكم اندراج نصهم الديني في صلب لغتهم، فقد دعوا إلى التفكير في اللغة ونظامها... فأفضى بهم هذا النظر إلى درس شمولي كوني للغة، فضلاً عن الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية، مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين، ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٣٨ - ٣٩ .

(٣) جعل من النوع الأول محاولات إبراهيم أنيس وعثمان أمين وكمال يوسف الحاج: ومن النوع الثاني محاولات كمال بشر وتمام حسان وأنيس فريحة وريمون طحان، ينظر: التفكير اللساني والحضارة العربية: ٤٢ - ٤٣ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث، د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر، ١٩٧١م: ١٠/١ .

جدال في البلدان الغربية نفسها - على اللغة العربية تطبيقاً عشوائياً، لا لشيء، إلا لأنها حديثة وأنتنا من تلك البلدان<sup>(١)</sup>.

ويذكر الدكتور المسدي مسألتين في المصادرات المنهجية<sup>(٢)</sup>:

أولهما: أنّ التراث عنده مقصود بذاته ولذاته لجلاء خصائصه وقراءته في ضوء مقولات اللسانيات المعاصرة، فلا تعسف في استنتاج النصوص ولا اعتبار في التأويل، ولا مقارنة بين العرب والغرب.

وثانيهما: فحص مادة التراث، إذ أدرج ضمن التراث كل ما انصهر فيه من ثقافات سابقة له نقلت إليه، فتمثلها الفكر العربي، و تجاوزها بعد أن طبعها بطابع الإسلام في ميدان اللغة وعلم الكلام.

وتقوم بنية البحث عنده على جدلية ثلاثية سعى إلى التحرك طبقاً لها في كل خطوة من خطوات بحثه، هي: أولاً التحديد واقتفاء أثر التعريفات وتأسيس القواعد الأولية في المنطق، ثم استكشاف خصائص البناء العضوي في مشكلة اللغة انطلاقاً من الأجزاء الداخلة والمتفاعلة في تركيب الكل المتكامل، وأخيراً الدلالة بوصفها الوظيفة المركزية في كل ما يتصل بالظواهر الإبلاغية<sup>(٣)</sup>.

لقد قام منهج البحث عند الدكتور المسدي على المنهج الوصفي الذي يأتي في مُقدِّمة المناهج في الدراسات اللسانية الحديثة<sup>(٤)</sup>، وهو منهج قامت عليه الكثير من الدراسات اللسانية المعاصرة، بعد أن أرسى دعائمه اللغوي المشهور سوسير، ويُعنى هذا المنهج بالنظر إلى اللغة في ذاتها، يدرس نظامها في حالة تطورها، وفي زمن معين، دون النظر إلى التحولات التي تطرأ على جزيئتها عبر الزمن، فذلك شأن المنهج التاريخي<sup>(٥)</sup> الذي كان يبدي بين الحين والحين بعض الضوء منه يُنير للمؤلف بعض النقاط المعينة على مناقشة المسائل المطروحة، فقد قال في خاتمة بحثه: " جاء بحثنا عائماً على صحيفة هذا الجدل الثنائي: الآنية هي قطب الرحي، والزمانية مصباح كاشف بالسلب والإيجاب، ما إن يلتجئ إليه البحث حتى يعود منه إلى مدار الفحص الآني ليرتقي بالاستخلاص إلى مستوى التجريد الكلي"<sup>(٦)</sup>.

وقد حدّد في مدخل كتابه الأركان الثلاثة التي قام عليها بحثه وهي: التحديد، وتأسيس القواعد الأولية في المنطق، ثم كشف خصائص البناء العضوي اللغوي، وأخيراً الدلالة<sup>(٧)</sup>.

ويلحظ بوضوح أنّه انطلق من التمييز بين اللغة والكلام على نحو ما تفعل اللسانيات المعاصرة

(١) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٧٤ .

(٢) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٥٢ - ٥٥ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٥٥ - ٥٧ .

(٤) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين: ١٠، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، د. نعمة

رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١م : ٩٤ .

(٥) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ٩٠ .

(٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٤٣١ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٥٦ - ٥٧ .

التي ترى أنّ اللغة هي ذلك الكنز الذي فيه مجموعة الكلمات ودلالاتها، ومجموعة القواعد التي تحدد استعمال الأصوات والأشكال ووسائل التعبير النحوي، وكل ذلك مختزن في ذهن المتكلمين، أما الكلام فهو الانحياز اللغوي الفردي الذي يختار منه المتكلم من ذلك الكنز ما يعينه على التواصل الاجتماعي والتفاهم مع الآخرين، ومن الكلام نستشف نظام اللغة<sup>(١)</sup>، وكان بحث الدكتور المسدي من خلال تفاعل المفهومين، يقول في هذا الصدد: "... نتعامل مع الظاهرة اللسانية عضويّاً من خلال متصور اللغة ومن خلال متصور الكلام، ثم من خلال تفاعل هذين المتصورين إذ إنّ تجليات اللغة تُعين على مُكاشفة ناموس الكلام، ومن ثمّ فإنّ ارتسام حقائق اللغة في فكر الإنسان يؤدي إلى انتقاش رسوم الكلام من حيث هو المنال الكلي الذي يُميّز الإنسان عن سائر الموجودات"<sup>(٢)</sup>. وقد تنبّه القدماء على أنّ الإنسان في كينونته الجوهرية موجود متكلم وأنّ علاقته بالكلام علاقة طبع واقتضاء لا علاقة عرض واتفاق<sup>(٣)</sup>. وفي ارتباط الإنسان بالكلام وجهتان اثنتان هما<sup>(٤)</sup>: كونية الظاهرة بمعنى أنّ الكلام ملازم للوجود البشري مهما تباعدت الأمكنة أو تعاقبت الأزمنة، ومهما تنوعت الألسنة واختلفت اللغات، وهذا ما أشار إليه أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٠هـ)، إذ يُفسّر معنى اللغة بأنّها: وجود مطلق لازمة الحضور مع الإنسان، وفي ذلك طبعها الكوني<sup>(٥)</sup>، والوجهة الثانية هي استعداد الإنسان الخلقي للقيام بحدث التصويت<sup>(٦)</sup>، كما يرى ابن جني استعداده بالفطرة لاكتساب اللغة، إذ قال ابن جني في معرض حديثه عن المراتب الزمنية في وضع القوم للغتهم: "وذلك أنّهم ورّنوا حينئذٍ أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم، فعلموا أنّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأنّها لا بدّ لها من الأسماء والأفعال والحروف، فلا عليهم بأيّها بدأوا، أ بالاسم، أم بالفعل أو الحرف؛ لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهنّ جُمع، إذ المعاني لا تستغني عن واحدٍ منهنّ"<sup>(٧)</sup>.

وقد حدد الدكتور المسدي صنيعة في الكتاب بأبعاد ثلاثية هي<sup>(٨)</sup>:

١- الطول (قراءة التراث)،

٢- والعرض (قراءة مادة الفكر اللغوي)،

٣- والعمق (اللسانيات العامة).

فقرأ مادة التراث اللغوي في مظانه المختلفة، معتمداً على كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، لغناها بالفكر اللغوي، ولاسيما موضوع أصل اللغة، وهذا يعني تداخل الدراسة اللغوية عند العرب في

(١) ينظر: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، د. حسن ظاظا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٢، ١٩٩٠م : ٢٧ .

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٨٩ .

(٣) هذا ما أقرّه أبو نصر الفارابي في كتابه الحروف : ٧٧ .

(٤) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٦٧ .

(٥) ينظر: الامتاع والموانسة، أبو حيان التوحيدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٣م : ١ / ١١١ .

(٦) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٦٧ .

(٧) الخصائص : ٣٠ / ٢ .

(٨) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٤٣٢ .

غيرها من الموضوعات<sup>(١)</sup>، وليس هذا التداخل خاصاً بهم، فقد كانت الدراسات اللغوية عامة جزءاً لا يتجزأ من التفكير الفلسفي، ولكنها بدأت تنفصل في القرون الأخيرة بوصفها فرعاً خاصاً من فروع المعرفة<sup>(٢)</sup>.

ومن اللافت للنظر أنّ الدكتور المسدي أقام فصلاً كاملاً في كتابه تناول فيه أصل اللغة ونشأتها<sup>(٣)</sup>، وهي قضية خلافية قديمة أثّرت قبل الميلاد عند الإغريق "رأى بعضهم - ومنهم أفلاطون - أن اللغة ظاهرة طبيعية، وأنّ الكلمات وأصواتها جزء لا يتجزأ من المعنى، ورأى الفريق الآخر - ومنهم أرسطو - أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنّ أصواتها رموز اصطلاحية لا علاقة طبيعية أو مباشرة لها بالمعاني"<sup>(٤)</sup>.

وقد تركت هذه المشكلة أثراً واضحاً فيما تلاها من دراسات لغوية ونشأت من الاختلاف فيها نظريتان، عُرفت الأولى بالنظرية التوقيفية والثانية بالنظرية الاصطلاحية أو التوضعية، وامتد الجدل فيهما حتى عصرنا الحاضر، وشغلت بال الكثير من علماء اللغة منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى زمن قريب، دون أن يتوصلوا إلى حلٍ للمشكلة، مما دعا الجمعية الفرنسية إلى سنّ قانون يمنع القاء محاضرات في موضوع أصل اللغة<sup>(٥)</sup>.

وقد اختلف الباحثون اللغويون العرب المحدثون في مدى جدوى البحث في أصل اللغة، وهل يدخل في مجال اللسانيات أم لا؟، فيذهب بعضهم<sup>(٦)</sup> إلى أنّه لا فائدة من بحث لا نستطيع الوصول فيه إلى حقيقة مقننة، ويُجدر إلحاقه بالبحوث الفلسفية؛ لأنه ليس من البحث العلمي، وليس أمراً لغوياً صرفاً، لذا فهو يخرج عن مجال البحث في علم اللغة.

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة : ١٧ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ .

(٣) الفصل الثاني تحت عنوان (المواضعة) .

(٤) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، الكويت، ١٩٧٨م : ٩٦ .

(٥) ينظر: نظريات في اللغة، د. أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م : ١٦، إن أصل اللغة من أقدم المشكلات الفكرية التي جابهت العلماء العرب القدامى فقد تناولها غربيون وشرقيون، فقهاء ومتكلمون وأصوليون ولغويون، وقد تعددت النظريات التي ناقشها العلماء، وذهبوا إلى أنّ أقرب النظريات إلى المعقول هي النظرية القائلة بأنّ " أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء وشحيج الحمار... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد" . الخصائص : ١ / ٤٦ - ٤٧ . ويذهب الدكتور مهدي المخزومي إلى أنّ الخليل (ت ١٧٥هـ) قد سبق ابن جني وكان من الأوائل الذين قالوا بهذه النظرية، فهو صاحب هذا الرأي بين علماء العربية، ينظر: تفصيل ذلك في: عبقرّي من البصرة، د. مهدي المخزومي، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، ١٩٧٢م : ٥٢ - ٥٦ . وللاستزادة أكثر في تفاصيل أهل اللغة عند العرب القدامى ينظر: اللسان والإنسان : ٤٧ - ٦٦، ودراسات في فقه اللغة (صبحي الصالح) : ٣٣ - ٣٧ .

(٦) ينظر: على سبيل المثال: مشكلات حياتنا اللغوية، د. أمين الخولي، ط٢، مصر، ١٩٦٥م : ٣٢، وعلم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط١ : ١٢، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، د. محمود فهمي حجازي، مصر، ١٩٧٠م : ١٨، ومناهج البحث في اللغة : ١٥ .

ومنهم من يرى "أن من المفيد بيان أهمية اللغة وقدم مشكلتها أن يتساءل اللغوي عن نشأتها مهما تكن عسيرة على التصور، فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل، ولإثارة خيال الدارسين حولها، وهو أمر لا يخلو من فائدة، كما أنه ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها"<sup>(١)</sup>.

ومن تتبع بحث الدكتور المسدي يرى أنه من الذين ذهبوا إلى أن البحث في نشأة اللغة يدخل في علم اللسانيات الحديث، وقد علل لهذا في أثناء حديثه عن اللسانيات والشمول، بأن الموضوعية نفت في البداية البحث في مسائل ما وراء الطبيعة، وعزلت فلسفة اللغة عن مباحثها العامة والخاصة، إلا أن صراعاً قام بين هذه النزعة و نزعة الاستيعاب لخصائص الظاهرة، فتغلب اقتضاء الشمول، وصار من حق اللسانيات أن تبحث في المسائل التي ألحقت بالفلسفة، ومنها أصل اللغة<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن هذا هو السبب الذي دفعه إلى الحديث عن أصل اللغة في اللسانيات العربية، فضلاً عن أن المنهج الذي رسمه لدراسته اقتضى منه هذا، فمضى يستعرض النظريات في هذا الموضوع، ويلج خاصة على نظرية المواضع، وإذا قيل: "لم يعد أحداً يناقش كون اللغة توقيفاً ووحياً أم تواضعاً واصطلاحاً، بل يدور البحث حول الدلالة وكيفية اكتساب اللفظ للدلالة وإيحائه بها"<sup>(٣)</sup>، قلنا: إن الدكتور المسدي لم يناقش نظريات أصل اللغة ويؤمن ما صح منها وما بطل بل عرضها كما هي في واقع التراث اللغوي العربي، وألح إلى جانب هذا على الدلالة<sup>(٤)</sup>.

ولا يخفى ما كان لنشأة اللغة من أهمية في كتب علمائنا العرب القدامى فمشكلة أصل اللغة ونشأتها أثارها التفكير البشري اللغوي عبر تاريخنا الطويل، وتجاذبها الفلاسفة وعلماء الدين والباحثون في تاريخ الإنسان وأصل نشأة العالم، كما كانت من المشاغل الرئيسية في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، فقد دار الجدل عند العرب حول اللغة أتوقيف هي أم اصطلاح، من أواخر القرن الثاني الهجري<sup>(٥)</sup>، واختلاف آرائهم في أصلها، فضلاً عن الصراع الجدلي الذي قام في تاريخ الفكر العربي بين النزعة العقلية والنزعة النسبية الغيبية، ويبدو فيها اختلاف النظرة إلى الموضوع، فهي إما زمانية أو آنية وصفية، وقد غلبت النظرة الثانية التي بدت فيها نظرية الاصطلاح أو المواضع هي المستقطبة للتصورات الأخرى، وآية هذه الغلبة أمران<sup>(٦)</sup>:

(١) في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م : ١٢.

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٦ .

(٣) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ٨٥ .

(٤) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٧٤، و ٨٧ - ٨٨ .

(٥) ينظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث، د. عبد الرحمن الحاج صالح : ٤٥ / ١ .

(٦) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٧٤، وأود أن أشير إلى أن موضوع نشأة أصل اللغة من الموضوعات التي أخذت حيزاً كبيراً في الدرس اللساني العربي فقد أشبعت بحوثاً ودراسات، لذلك أرى أنه لا داعي للتفصيل فيه و الاستطراد، إذ أنه ليس من غايات البحث، ينظر: تفاصيله في - على سبيل المثال لا الحصر - : فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي : ٣٤ - ٤٦، وعلم اللغة - مقدمة للقرائ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط، د. ت : ٥٢ - ٥٥، ومولد اللغة، الشيخ احمد رضا، دار اليراند العربي، بيروت، ١٩٨٣م : ٢٩ - ٣٨ .

الأول: اجتماع المفكرين في تاريخ الحضارة العربية على القول بمبدأ التطور المطلق في ظاهرة اللغة. والثاني: أنه ليس هناك من قال بالتوقيف دون أن يستطرد إلى الاصطلاح بوجه ما، في الوقت الذي استغنى من قال بالاصطلاح عن الأخذ بالتوقيف أصلاً.

على أن هناك من يعدُّ مسألة اكتساب المواضعة من موضوعات علم النفس اللغوي، ولم يفت الدكتور المسدي أن يُشير إلى هذا، وإن يحتج لعنايته بالاكتساب مقارناً بالماضي بالحاضر في قوله: "لا مجازفة إن قلنا إنَّ الفكر اللغوي قد كان دوماً حريصاً على أخذ اللغة في وجودها الآني دون تفكيك زمني لها منذ نشأتها وتكوينها على مراحل الاكتساب لدى الطفل أو لدى الكهل، أما اللسانيات المعاصرة فيما أتت قامت أساساً على مبدأ الشمول المعرفي ودك حواجز الاختصاص كنمط تفكيري مفروض عنوة، فإنها قد اقتحمت حوزة الاكتساب ما اتصل منه باللغة ذاتها أو ما ارتبط بالمعرفة والإدراك جملة.... والذي مكنها من هذا الاقتحام أمور ثلاثة هي: ازدهار اللسانيات التطبيقية وبخاصة في ميدان تعلم اللغات، وبروز علم النفس اللغوي، وكذلك بروز علم التحكم الآلي"<sup>(١)</sup>.

ويبدو لي أن الدكتور المسدي يأخذ بنظرية المواضعة<sup>(٢)</sup>، إذ إنِّي لم أجد في أثناء مناقشته لها - المواضعة - في فصل كامل ما ينقدها أو ما يدل على أنه رفضها. غير أن هناك من الباحثين من يدل على رفضه لهذه النظرية، فالدكتور علي عبد الواحد وافي - مثلاً - يقول: "ليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي بل إنَّ ما نقره ليتعارض مع النواميس العامة التي تسيّر عليها النظم الاجتماعية"<sup>(٣)</sup>.

ومن الموضوعات الأخرى التي تأخذ بها اللسانيات المعاصرة هي (التفاضل بين اللغات)، إذ أولاهها اللسانيون العرب أهمية في بحوثهم ومنهم الدكتور المسدي، إذ كانت موضع نقاش لديه.

وجديرٌ بالتنويه إلى أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد تطرّق قبل الدكتور المسدي إلى مناقشة هذه المسألة وعرض لآراء القدامى فيها، إذ يرى أنه لا تفاضل بين اللغات وأي شيء من هذا القبيل فهو من محض العصبية<sup>(٤)</sup>، وإن صح ما بدا لي فإن الدكتور المسدي يتفق مع الحاج صالح في مسألة ألا تفاضل بين اللغات، وأنّ تفضيل اللغة العربية ليس تفضيلاً لها في المنشأ والبدء لخصائص تتمتع بها دون غيرها من اللغات، بل لما لابسها من ظروف، فلقد كان العرب أهل فصاحة وبلاغة،

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٥٠ .  
 (٢) يؤكد الدكتور المسدي أن القول في نشأة اللغة انتهى إلى نظرية المواضعة التي كان للمعتزلة نصيب الصدارة في بلورتها، ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٨٥ .  
 (٣) علم اللغة، ٣٨، ويرفضها أيضاً أمين الخولي، فضلاً عن رفضه للعلم الذي يعنى بوضع اللغة ويسميه علم الوضع، ينظر: مشكلات حياتنا اللغوية : ٣٧ - ٣٨ .  
 (٤) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١١١، وما دار حول هذا الموضوع كان في الأصل بحث نشر في مجلة اللسانيات، العدد الأول، المجلد الثاني، ١٩٧٢م، وهذا دليل أسبقية الحاج صالح.

وللغة عليهم سلطان قوي، ثم أتت معجزة الرسول (ﷺ) من جنس تميزهم الحضاري، فأكد القرآن هذا التميّز، وبهذين البعدين الحضاري والديني اكتسبت العربية تميزها<sup>(١)</sup>.

ويناقش الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هذه المسألة مناقشة علمية و موضوعية مستدلاً بأراء العلماء العرب القدامى في ذلك، فقد اعتقد بعض اللغويين أنّ اللغة اليونانية أو اللاتينية هي أكمل اللغات، أو أنّ العبرية هي أقدمها وأقدسها؛ ولذلك لأسباب دينية - في تصورهم -<sup>(٢)</sup>، وفيما يخص تقضيلهم للغاتهم القومية الحديثة أو القديمة فهو من محض العصبية وذلك كتفضيل الشعوبية قديماً للفارسية واليونانية على سائر اللغات وما رد عليهم بعض الأدباء العرب<sup>(٣)</sup>، فأدهم ذلك إلى تعصب مماثل لتعصب العجم وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

ويُفقد الدكتور الحاج صالح ما نقله جورج مونان في تاريخه للسانيات قبل القرن التاسع عشر عن بعض المستشرقين من "أنّ النحاة العرب كانوا يجعلون من اللغة العربية أم اللغات وأنها لغة أهل الجنة بل لغة الله. أما القول الأول والثاني فما رأينا أحداً من النحاة الأولين الحقيقيين المجتهدين يقوله أو يجزم به، بل وجدناه عند بعض المؤرخين والمفسرين ممن كان يجمع كل ما يسمعه من دون أي نقد - مثل ابن إسحاق - فاعتمدوا الأساطير الفلكلورية التي كان يروجها القصاص. وكان أشد الناس كراهية للقصاص لعدم تخرجهم هم النحاة أنفسهم<sup>(٥)</sup>، وكان في ضمن هذه القصص والخرافات ما نقل أيضاً من الإسرائيليات. أما النحاة واللغويون فكانوا يمسون عن ذكر مثل هذه الأشياء وقصارى ما قال بعض منهم هو أن " أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل"<sup>(٦)</sup>. والمراد المبينة هذه التي نزل بها القرآن.... " أما القول الثاني فهو شنيع وأشنع من هذا أن ينسب إلى علماء العرب، فإن هذا لم يقله أحد من العلماء المسلمين؛ لأنه تجسيم محض. فإذا جاز للمسلم أن يقول عن القرآن إته كلام الله أي خطاب Message موجه إلى البشر وأن يعتقد بالتالي أن فعل الكلام صفة لذات الله كسائر الصفات التي يذكرها سبحانه في كتابه العزيز، فإنه لا يجوز أن يقول إنّ العربية أو الآرامية هي لغة الله لمجرد نزول الوحي بهاتين اللغتين؛ لأنّ اللغة في ذاتها وسواء قلنا إنها من تواضع البشر أم إلهام من الله فهي آلة مسخرة للتبليغ ومن ثم فهي خلقت لينتفع الناس بها. فإذا خاطب سبحانه الناس بوساطة أنبيائه فإنه تعالى يخاطبهم بما يفهمون"<sup>(٧)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٣٨، ويتفق مع المسدي أمين الخولي إذ اعتمد في هذه القضية على نص لابن حزم

الأندلسي، ينظر: مشكلات حياتنا اللغوية : ٦٧ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١١١ .

(٣) قصد هنا ابن فارس في كتابه الصحابي : ١٢ .

(٤) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١١١ .

(٥) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق : عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م : ١ / ٩٥ .

(٦) البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون : ٢ / ٢٩٢ .

(٧) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١١١ - ١١٢ .

(٨) سورة إبراهيم : من الآية (٤) .

ومن المقاربات اللسانية التي نلاحظها عند الدكتور المسدي ما جاء في حديثه عن (عقد المواضعة) ذكر أنّ " فكرة العقد كمفهوم نظري تتحدد به الظاهرة اللغوية من المعطيات التي حام حولها سوسير ولم يدركها الإدراك المباشر، فقد عرف اللغة أساساً بكونها مؤسسة اجتماعية وفي ذلك فكرة العقد"<sup>(١)</sup>.

ومبدأ العقد بين المتخاطبين إنما يقوم مقام الموجود بالقوة الذي يخرج إلى حيز الفعل في كل تحاور لغوي، ويشير الفارابي إلى هذه الخاصية بمفهوم (الشركة)، وهي شركة رصيدها مجموعة من العلامات<sup>(٢)</sup>.

وفي قول الفارابي: بأنّ اللغة مجموعة من العلاقات تصبح منبهات تتمثل الاستجابة إليها في استحضار دلالاتها<sup>(٣)</sup>، صلة قوية بالنظرية السلوكية<sup>(٤)</sup>، التي عمل بلومفيلد Bloomfield فيها على جعل اللسانيات علماً اختبارياً مستقلاً، فعرف الظاهرة اللغوية بكونها سلسلة من المنبهات تتلوها استجابات تتحول هي نفسها منبهات تقتضي بدورها استجابات أخرى حسب المعادلة الرمزية<sup>(٥)</sup>:

منبّه=====ردّ فعل.....منبّه=====ردّ فعل  
م=====ر.... م=====ر .

ولا يخفى ما في تحليل الفارابي من ثراء تنظيري يمكن الباحث أن يربط بينه وبين الاستخلاص العلامي، فضلاً عن ربطه بالأبعاد النفسية، ذلك أنّ تحديد اللغة بكونها مجموعة من العلامات "من شأنه أن يُنزلها منزلتها الموضوعية وهي أنّها نظام علامي وظيفته الإبلاغ والتخاطب، فتتفي بذلك عن اللغة كل الشحنات الماورائية وينعدم التفاوت والتفاضل بين اللغات إذ تتساوى جميعاً في أنّها سجلّ من الترامز"<sup>(٦)</sup>.

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره الدكتور المسدي إشارات سريعة إلى بعض ما عند اللسانيين من نظرات لسانية حديثة، فمبدأ النسبية اللغوية الذي ذكره همبولت، وهو أنّه ليس للفظ نسخة للشيء المدلول عليه بل للصورة التي أثارها هذا الشيء في النفس، مبدأ ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ) في المزهري<sup>(٧)</sup>، والعرب هم أول من لجأ إلى التقدير العقلي الضروري لتفسير الأبنية والتراكيب التي تعترتها بعض التحولات في

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٨٤ .

(٢) شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة، أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، نشر ولهم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م : ٢٥ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٨٨ .

(٥) ينظر: علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م : ١٣٤ .

(٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٨٩ .

(٧) ينظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث : ٢٥ / ١ .

سعة الكلام ونظمه كالحديث والتقديم والتأخير وغيرها<sup>(١)</sup>، وقد سبق النحاة العرب الغربيين في تحليلاتهم الدقيقة ولاسيما في مناهج الوصف البنوي الذي تأثر بها العلماء الغربيون في القرن التاسع عشر<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن بذور علم اللغة الجغرافي الذي يوجد عند العرب ويدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها، وإن لم تكن على نحو علمي صارم، وتبدو في أخذهم رواية اللغة عن الأعراب في البوادي ووضع الحدود بين اللهجات وقبائلها<sup>(٣)</sup>.

ويذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ الثقافة العلمية والفلسفية العربية التي وصلت إلى أوروبا في العصر الوسيط عن طريق الكتب المترجمة إلى اللاتينية، قد غزت أذهان الكثيرين من الأساتذة والشباب المثقفين، فعرفوا فيها ما زاد العرب على الفلسفة اليونانية من لطائف المفاهيم ودقائق المناهج، وبخاصة في علم اللسان وفنونه، فكان هذا سبباً في نهضة علم اللسان عندهم<sup>(٤)</sup>.

وقد كان للدكتور المسدي طريقته الخاصة في استنطاق النصوص اللغوية بغية الوصول إلى الكليات، وقبل الاستشهاد بالنص - في الغالب - كان يذكر طريقة صاحبه في معالجة القضية المشروحة، على سبيل المثال قوله: "حل أبو علي الجبائي مبدأ اقتران الكلام بالنية بتحليل مستفيض قام على الحجة والاستدلال"<sup>(٥)</sup>، وفي موضع آخر نجده يقول: "يتفحص فخر الدين الرازي خطبة الكلام باستقراء دقيق يعضده التجريد الاصطلاحي إذ يهتدي إلى جملة من المفاهيم التأليفية مما يتصل عضواً بالتشريح الاختباري لقضية الحال"<sup>(٦)</sup>، وقد يوازن بين طريقة مفكر وطريقة آخر كمقارنة ما استقرأه ابن حزم وابن رشد في مجال دلالة الألفاظ والتعاقد على المواضع<sup>(٧)</sup>. وقد يعمم فيذكر طريقة أحد أعلام التراث في الحديث عن القضايا اللغوية العامة، فمنهج التوحيد مزيج من النظر التجريدي الخالص والإفضاء الأدبي الغزير<sup>(٨)</sup>. ويصطبغ منهج ابن حزم التحليلي بالمرامي العقائدية<sup>(٩)</sup>، وعند الزجاجي حيرة اختبارية معهودة<sup>(١٠)</sup>، وقد يخطو خطوة أخرى أبعد في التعميم فيتحدث عن منهج المفكرين العرب في معالجتهم لقضايا اللغة كقوله: "والمتتبع لصفحات الفكر اللغوي عند العرب لا يتسلح بمتصورات النظر اللساني حتى يهتدي إلى نسيج دقيق لحمته التحقيق اللغوي الخالص، وسداه البحث في حكمة الأشياء ليربط حقائقها بإفرازات المعرفة ومواصفات الوجود"<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٩ / ٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٩ / ١ .

(٣) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ٢١٧ .

(٤) ينظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث : ٥٦ / ٢ - ٥٧ .

(٥) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٨٠ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٩٨ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٢ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه : ١٥٥ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه : ٣٣١ .

(١٠) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٣٥٧ .

(١١) المصدر نفسه : ٣٣٩ .

والدكتور المسدي لا يتردد في إظهار إعجابه ببعض المفكرين العرب وخاصةً الجرجاني رائد الفكر البلاغي، إذ قال عنه: "يعد بحق عالماً من أعلام التركيز اللساني في الحضارة العربية؛ لأنه ربط كل مخاضه البلاغي بقواعد التأسيس اللغوي البحت، فكان في نظرياته البيانية لا يصدر أبداً إلا عن استكشاف لغوي صرف يتمخض فيه النظر خالصاً لضوابط المعطيات اللسانية الأولى مما يتركب به جهاز الكلام"<sup>(١)</sup>.

أما النصوص، فكان الدكتور المسدي يمعن في مقوماتها الأصلية بمجهر الحداثة في العلم والمعرفة وعدسة المعاصرة في المنهج وطرق المقاربة<sup>(٢)</sup>، فبعد تصنيفها حسب المقولات المعاصرة نجد أنه أخذ نفسه بصرامة منهجية في استنتاج مباشر دونما إكراهها على قول ما ليس فيها، وهذا ما أشار إليه في أكثر من موضع، وفي خلال ذلك يبين ما وضح وما غمض من القضايا التي تتناولها هذه النصوص، محللاً عباراتها، شارحاً ما تعقد من أساليبها، خاصة عندما يكون النص فلسفياً أو من نصوص علم الكلام<sup>(٣)</sup>، وفي خلال تحليل مضامين النصوص، قد يصوب رأياً شائعاً عند بعض الباحثين، كما فعل حين تحدث عن فكرة المقطع، فعند كثير من الناظرين في علم الأصوات كما عرّفه العرب وبلوره، أنّ العرب لم يعرفوا المقطع<sup>(٤)</sup>، وفي رده عليهم يقول: "الاحساس بفكرة المقطع بعده حجماً صوتياً متطابقاً مع كم زمني متواتر لدى جُلّ الذين نظروا في أمر اللغة سواء من أبقى على تصويره الوصفي أو من حصروا متصوره في مصطلحه المخصوص"<sup>(٥)</sup>، ويستشهد بنصوص لعبد الجبار المعتزلي وابن رشد والفارابي.

وأته استطاع من خلال استنتاج النصوص إلى عدد من القوانين التي تخص قضايا لغوية معينة، وعدد من المبادئ العامة تشمل التفكير اللغوي العربي فمن نصوص للقاضي عبد الجبار - خاصة - استنبط عدّة قوانين تنسحب على اللسانيات العامة الحديثة، منها: قانون التناسب الطردي بين اعتبارية النظام العلامية وسعة إبلاغه<sup>(٦)</sup>، وقانون الحتمية في التقبل اللساني<sup>(٧)</sup>، وقانون الاقتصاد اللغوي<sup>(٨)</sup>، وعن الجرجاني أخذ قانون الترابط بين مادة اللغة وموضوعها<sup>(٩)</sup>، وعن ابن فارس قانون التناسب الطردي بين الاقتضاءات الحضارية والتحول الدلالي<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٠٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٩٨ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال هوامش الصفحات : ١٧٨، ٢٥٢، ٣٤٨، ٣٧٣ .

(٤) من هؤلاء الدكتور محمود فهمي حجازي، ينظر: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: ٥٧، فضلاً عن إشارة المسدي إلى عدد منهم،

ينظر: تفصيل ذلك في : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٣٩١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٩١ .

(٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٤٦ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٣٣٠ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه : ٥٨٢ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه : ٣٥٤ .

(١٠) ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٦ .

وقد ذكر المبادئ العامة للتفكير اللغوي العربي، فمما ذكره النظرة الشمولية في تحديد الظاهرة اللغوية<sup>(١)</sup>. ومبدأ صرامة الجدل وحدّة الترابط المنطقي<sup>(٢)</sup>، ومبدأ نفاذ هذا الفكر إلى هوية الكلام انطلاقاً من طابعه البنائي التكاملي<sup>(٣)</sup>. ومبدأ التغيير في الظاهرة اللغوية وهو العمود الفقري في الحضارة العربية إطلاقاً<sup>(٤)</sup>.

ونخلص من ذلك إلى أنّ قراءة الدكتور المسدي للتراث قراءة شمولية، فضلاً عن كونها موضوعية غير أنّه لم يشر إلى من سبقه من اللسانيين العرب<sup>(٥)</sup> في الموضوعات التي تطرق إليها، إذ نجد في كتابه من المضامين اللسانية الحديثة المهمة، إذ إنّ تتبع التراث العربي موضوع شائك متشابك الأطراف، لكنّه استطاع أن ينفذ إلى أعماق تراثنا اللغوي العربي يستنتقه بعين المعاصرة، ليثبت أن العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمٍ طويل .

### ب - اتجاه القراءة القطاعية :

يتجه هذا النوع من القراءة إلى التركيز على "قطاع معين من التراث اللغوي كأن يتناول المستوى النحوي أو الصرفي أو الدلالي لكونها مستويات تحليل تشكل في حدّ ذاتها نظرية محددة المعالم تقوم على مبادئ منهجية خاصة بها"<sup>(٦)</sup>. ومن الدراسات المعبرة عن هذا النمط من القراءة:

- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث/ د. نهاد الموسى.
- التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث/ د. صلاح الدين محمد قناوي.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث/ د. احمد محمد أبو الفرج.
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر/ د. عبد القادر مرعي الخليل.
- نحو النص بين الأصالة والحداثة/ د. احمد محمد عبد الرازي.
- التفكير الدلالي عند المعتزلة / د.علي حاتم الحسن

وقد تعددت الدراسات اللسانية التي تهدف إلى إقامة توافق بين فروع التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، فقد توصل الدكتور عبده الراجحي إلى أنّ دراسة القدماء "لم تقتصر على مستوى واحد، وإنما شملت ما يدعو إليه المنهج الحديث، فدرسوا الأصوات والصرف والنحو والدلالة"<sup>(٧)</sup>. وفي السياق نفسه أشار الدكتور كمال بشر إلى أنّ علماء العربية "تناولوا في بحوثهم كل فروع المعرفة التي نعدها اليوم

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٨٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٣ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣٧٩ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٢٢ .

(٥) على سبيل المثال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وقد أشرت إلى أسبقيته في بعض اللحات .

(٦) اللسانيات العربية الحديثة : ١٣٦ ، و ينظر : اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ١٣٧ .

(٧) فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م : ١٨٣ .

جوانب متعددة لعلم اللسان<sup>(١)</sup>، وهذا ما يؤكد الدكتور إميل يعقوب الذي لاحظ أنّ دراسة فقهاء اللغة شملت مستويات اللغة كافة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهذا ما يدعو إليه المنهج الحديث<sup>(٢)</sup>. وكما لا يخفى فهي جوانب تكشف عن توافق واضح بين فروع الدرس اللغوي القديم وفروع الدرس اللساني المعاصر. ومن الفروع التي أولاها اللسانيون العرب أهمية واضحة في دراساتهم هي<sup>(٣)</sup>:

### ١- الدراسات التركيبية:

تُعَدُّ البحوث التركيبية من أهم مجالات البحث اللساني التي حظيت باهتمام كبير، إذ نجد توافقاً واضحاً بين علم التركيب (syntax) وعلم النحو، فقد " كان كتاب سيبويه حجر الأساس الذي قام عليه الدرس اللغوي العربي، وتجددت من خلاله معالم علوم اللغة، فعلم النحو عنده يعني علم التراكيب الذي يختص بدراسة القواعد التي تحكم بناء الجملة وتركيبها، والضوابط التي تضبط كل جزء منها، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، وطريقة ربط هذه الجمل وأنواعها، وهذا النوع من الدرس يعرف في علم اللغة الحديث باسم syntax ، أي دراسة بنية التراكيب structures أو الجمل"<sup>(٤)</sup>.

وقد ظهرت دراسات عديدة للنحو العربي في ضوء الدرس اللغوي المعاصر، صنفها الدكتور احمد محمود نحلة إلى ثلاثة اتجاهات<sup>(٥)</sup>: الاتجاه النحوي القديم أو التقليدي عند النحاة القدماء ومن حذا حذوهم من المحدثين؛ اتجاه يربط النحو العربي القديم باتجاهات البحث اللغوي المعاصر في أوروبا وأمريكا بحثاً عن منهج جديد يُعيد صياغة النحو القديم على أسس أكثر علمية...؛ اتجاه يعيد النظر في التراث النحوي والبلاغي القديم في ضوء نتائج البحث اللغوي المعاصر.

وقد اخترت أنموذجاً لهذا الاتجاه من القراءة - القراءة القطاعية - هو الدكتور نهاد الموسى<sup>(٦)</sup>، من خلال كتابه الموسوم بـ(نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث) والذي يصنف كتابه - في نظري - في الاتجاهين الثاني والثالث، فضلاً عن اتجاهه في كثير من النظريات اللسانية التي لها نظير في النحو العربي<sup>(٧)</sup>. بدليل قوله: "وتشكّل اتجاه البحث في نفس صاحبه تشكُّله الأول على هيئة إحساس قويّ بأن كثيراً من الأنظار التي وجدها في كتب المحدثين من الغربيين، ولائسها في محاضراتهم

(١) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م : ٢١ .

(٢) ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢ : ٩٥ .

(٣) دراستي لهذه الفروع ليست على سبيل الجمع والاستقصاء، وإنما هي نماذج مختارة لغرض بيان التوافق بين فروع علم اللغة عند علمائنا القدماء واللسانيين العرب المحدثين، ومدى تطبيقهم لهذا التوافق في دراساتهم .

(٤) أصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين : ٢٤ .

(٥) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية : ٦٨ . وافاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٩ - ٦٠ .

(٦) يُعتبر أحد أعلام اللسانيات في الوطن العربي، وله منهج واضح في درس اللغة، تناول من خلاله ظواهر موضوعية منهجية في اللغة العربية، فأسهم إسهاماً فعّالاً في تشكيل النظرية اللغوية الحديثة، وأضاف الكثير إلى أهداف تعلمها وتعليمها وطرق تناولها، وقد عرض في كتابه لوجوه الانتلاف والاختلاف بين أنظار النحاة العرب وأنظار النحاة الغربيين .

(٧) من هذه الدراسات : النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، ١٤٣ - ١٥٨ .

ومقاساتهم، يوافق عنده عناصر كثيرة، منه ما قرأ عند النحويين العرب مصرحين به حيناً وصادرين عنه - في ما يقدر الباحث - كثيراً من الأحيان<sup>(١)</sup>. وقد تركزت جهوده في محورين:

الأول: درس أعمال النحاة العرب درساً منهجياً تحليلياً، استطاع من خلاله إغناء اللغة العربية بأصول أضافت إلى بنيان النظرية اللغوية العربية الحديثة .

والثاني: حاول قراءة النحو العربي قراءة مقرونة برؤية منفتحة على اللسانيات الحديثة من أجل الإبانة عن وجوه استثمارها والانتفاع بها، وهو يتمسك بثوابت في الدرس اللغوي تتجلى في قراءات مستأنفة لظواهر العربية وتحليل عميق لقضاياها على نحو يُسهّل عليه الانتفاع بما طوره اللغويون الغربيون. فضلاً عن نظريته للعلم بأنه عبارة عن سلسلة من الحلقات، كل حلقة ترتبط بأختها السابقة واللاحقة.

ويقرر الباحث أنّ المزهو بنفسه في العصر الحديث الذي يعثر على نظرية يعتقد أنّه غير مسبوق إليها، فيه من الزهو العلمي أكثر من الموضوعي، فالمنظرون المعاصرون " أصبحوا يقررون أن نظرياتهم ذات البريق لم تنبثق من الفراغ، ويحاولون أن يلتمسوا أصولها في التقليد الغربي، ويعترفون بأنهم لم يقفوا على جهود اللغويين غير الغربيين، مع أنهم موقنون بأنّها تنطوي على أنظار قيمة"<sup>(٢)</sup>، فأغلب من كتب عن تاريخ اللسانيات يقفز على الحقبة العربية، أو يُشير إليها إشارة خاطفة، والعييب ليس في النظر الغربي، وإنما العيب في أنظار النحاة العرب المحدثين الذين لم يرتبطوا بحلقات نحوهم القديم وتطويره بما تتناسب والعلوم التقنية المعاصرة<sup>(٣)</sup>، وإنما يرى كل لساني عربي باسم الحداثة أو المعاصرة يتمركز حول نظرية لسانية غريبة يستلهم منها مفهوماتها وطرقها الاجرائية، وإن لم تتجانس مع اللغة العربية؛ فالنظرية التوليدية التحويلية عندما " ظفرت بمنزلة متميزة فذة بين مناهج النظر اللغوي في العالم قديماً وحديثاً، أصبحت كل نظرية لغوية أخرى تحاول أن تحدد موقعها وفقاً على وفق درجة علاقتها بأنظار تشومسكي في مسائل بأعيانها"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان البشر جميعاً متشابهين في نتاجهم اللغوي التشابه الفعلي لا التشابه النسقي؛ لأن لكل أمة لساناً تعبّر به، فإن الباحثين اللسانيين متشابهون في طرق النظر النحوي التي لا تخرج - في نظر المؤلف - عن السلسلة الآتية: معطيات لغوية/ قواعد نحوية تمثلها كتب النحاة/ أصول نظرية يستخلصها المنظرون من كتب النحاة. وهي لا تسير بشكل خطي وإنما هي بمثابة دوائر متداخلة يصعب الفصل

(١) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠ م : ٩

(٢) نظرية النحو العربي : ١٤ .

(٣) نجد في عصرنا الحالي كثيراً من الباحثين يحاولون تطويع اللغة العربية والنحو لإدماجها في الحواسيب بفضل مجهودات الباحثين، ينظر: على سبيل المثال: العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، د. نهاد الموسى ، و الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في بحثه حول حوسبة التراث اللغوي العربي .

(٤) نظرية النحو العربي : ١٦ .

بينها على مستوى التطبيق، ولكن المنهج يفرض هذا التقطيع القسري، وهذا التقطيع المنهجي هو الذي يسمح بالمقارنة بين الدراسات اللسانية المعاصرة والنحو العربي القديم<sup>(١)</sup>. يقول الدكتور موسى: " فإنني أقمت مقابلاتي في مواضع كثيرة على أمثلة من معالجات للنحويين العرب قدرت أنها متلاقية مع أصول في مناهج النظر اللغوي الحديث"<sup>(٢)</sup>.

والباحث على وعي تام بالمقابلة بين منهج النظر النحوي عند العرب، ومناهج الدرس اللغوي الحديث، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف المناخ الثقافي والسياق التاريخي والنظر المعرفي.

وتتجلى مقابلات الدكتور موسى بين الدرس اللساني الحديث والنحو العربي في كثير من الرؤى، نتناول بعضاً منها:

- المؤلفات المباشرة: هو مصطلح أطلقه بلومفيلد ليعني به أنّ الكلمات غير متسلسلة على شكل خطي، وإنما هي عبارة عن وحدات دنيا تتجمع لتكون مؤلفات، وهذه المؤلفات تتجمع لتكون مؤلفات أعلى منها، وهكذا حتى تصل إلى المؤلفين الرئيسيين اللذين يكونان الجملة، المؤلفات المباشرة - الموضوع، والمؤلفات المباشرة - المحمول، وقد وازن الدكتور موسى بين هذا التقسيم وتقسيم النحاة العرب القدماء<sup>(٣)</sup>. الذين يرون أنّ الجملة الاسمية
- مكوّنة من مبتدأ وخبر، وكيفما كان توسيع المبتدأ أو الخبر فيظل منطق الجملة واحداً:

المبتدأ	الخبر
العلم	نور
معرفة الحق	نور
معرفة الحق	غاية العقل...

والملاحظ أنّ الدكتور موسى اعتمد الجملة الاسمية، مهماً الجملة الفعلية مع أنّ النحو العربي يرى أنّ الجملة العربية تنقسم على قسمين<sup>(٤)</sup>: جملة اسمية وجملة فعلية، الجملة الأولى يتصدرها الاسم، والثانية يتصدرها الفعل.

(١) ينظر: الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج: ١٣.

(٢) نظرية النحو العربي: ١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦.

(٤) هذا هو التقسيم الشكلي للجملة، وزاد ابن السراج (ت ٣١٦هـ) الجملة الظرفية، ثم ذكر ابن هشام (ت ٧٦١هـ) نوعاً رابعاً وهو الجملة الشرطية، وهي جملة قائمة برأسها، لمزيد من التفصيل، ينظر: نظرات في الجملة العربية، د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥: ٢٢ - ٢٥.

أما النحو الغربي فليس له إلا الجملة الاسمية فقط، التي بنى عليها جميع تحليلاته اللسانية، والمكونة من موضوع محمول، وعدم الاهتمام بالجملة الفعلية هو الذي أدى بأحد الباحثين إلى الانزلاق في التحليل اللساني كأن يتحدث عن (يحملُ التلميذُ الكتابَ)، وعندما يريد تحليلها على وفق المؤلفات المباشرة يفرض على اللغة العربية (التلميذُ يحملُ الكتابَ)<sup>(١)</sup>، وهذا مرتبط بالرتبة في اللغة العربية، هل هي: فعل وفاعل ومفعول به؟ أم هي: فاعل وفعل ومفعول به؟ أم هي: فعل ومفعول به وفاعل؟.

يقول ابن جني: "وذلك أنّ المفعول قد شاع عندهم وأطرد في مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال: إنّ تقدم المفعول على الفاعل قسمٌ قائمٌ برأسه، كما أنّ تقدم الفاعل قسمٌ أيضاً قائمٌ برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر"<sup>(٢)</sup>.

وعند تناوله لأصول من نظرية التحويل والتوليد، يرى الدكتور الموسى أن نقد تشومسكي للبنويين يماثل نقد ابن هشام للمعريين؛ لأنّ البنويين قبل تشومسكي لم يهتموا بالمعنى، كما أنّ المعريين في إعرابهم لا يهتمون بالمعنى<sup>(٣)</sup>.

والنحو عند التوليديين نظام من القواعد قائم في عقول المتكلمين، ويسعى الباحث التوليدي إلى وصف هذه القواعد المكونة لسليقة المتكلم وتفسيرها، وهذا في نظر الدكتور الموسى يماثل ما كتبه الخليل (ت ١٧٥هـ) وابن جني، ويتجلى كلام الخليل فيما أورده عنه الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) في مؤلفه (الإيضاح في علل النحو)، عندما شبه اللغة بدار البناء، عجيبة النظم والأقسام، دخل إليها رجل فبدأ يعلل أقسامها على وفق ما يراه هو، قد يكون الباني أراد ذلك أو لم يُرد، "فالعرب على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل عنها"<sup>(٤)</sup>، فالباحث اللساني يريد أن يقتدي بالمتكلم في تعليقه، وقد يصيب هذا الباحث الهدف وقد يخطئ، مما يجعله مسهماً باستمرار في تطوير نماذجه، والرأي نفسه نجده عند ابن جني حين يقول: "فما تنكر أن يكون ذلك شيئاً طبعوا إليه، من غير اعتقاد منهم لعلله ولا لقصده من القصد التي ننسبها إليهم في قوانينه وأغراضه، بل لأنّ آخراً منهم هذا على نهج الأول فقال به"<sup>(٥)</sup>.

وحريراً بالذكر أنّ الدكتور الموسى كان من المؤيدين لفكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي فهو يتجاوز القول بتشابه النحو العربي مع النظرية اللسانية التوليديّة إلى النظر في إمكان أخذ تشومسكي عن النحو العربي<sup>(٦)</sup>، فهو يقول: "وليس تقرير الشبه بين ابن هشام وهو مبلت ثم تشومسكي من هذه الجهة

(١) ينظر: قضايا لسانية وحضارية : ١٢١ .

(٢) الخصائص : ٢٩٥ / ١ .

(٣) ينظر: نظرية النحو العربي : ٤٦ .

(٤) الإيضاح في علل النحو، الزجاجي : ٦٧ .

(٥) الخصائص : ٢٣٨ / ١ .

(٦) ينظر: تأثير الخليل بن احمد الفراهيدي في نظرية تشومسكي: ٧٤، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي: ٢٩٥ .

محتاجاً إلى أن يُتكلّف له التأويل<sup>(١)</sup>، ثم يعلق في الهامش قائلاً: "إنّ التشابه يغري بالتأمل، ويقوي معه الهاجس بأنّ هذه المسألة قد تكون بعض ما ورد على الغرب من العرب في إطار (انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني). وذلك أن (المستعرب) سلفستردى ساسي - كان متضلّعاً من علوم العربية -، وما أنتجه من الدراسات في نحو العربية وما ترجمه إلى الفرنسية من كتب النحو والتجويد القديمة يدل بوضوح على أنّه أدرك إدراكاً لا بأس به مفاهيم ومناهج النحاة العرب. ودي ساسي هو الذي كوّن... فون هومبالت وغيره، وأهم شيء اكتسبه هؤلاء من دروس دي ساسي هو اطلاعهم من خلال دراستهم للعربية واللغات السامية الأخرى على المفاهيم اللغوية والنحوية العربية التي كانت تنقصهم في ثقافتهم الفيلولوجية التقليدية، وكذلك كان الأمر بالنسبة للنحو والصوتيات. وكان دي ساسي متشعباً بمبادئ النحو الوصفي التعليلي، وهو يمثل في زمانه ذلك المذهب الذي تناقله عدد من العلماء منذ القرن الثالث عشر عن طريق جيمس هارس وسنكتيوس الإسباني عن النحاة العرب مباشرة أو عن لغويّ السكولاستيك عن فلاسفة العرب. وتلا دي ساسي في العمل بهذه المبادئ تلميذه فون هومبالت<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ من الباحثين من يرى أنّ الدكتور الموسى كان في تتبعه مسار المفاهيم النحوية حتى وصلت إلى تشومسكي حذراً جداً، فقد أطرّ كلامه بأدق ما يكون من التحفظ<sup>(٣)</sup>، وفي نظري أنّ الدكتور الموسى لم يكن متحفظاً نهائياً في أنّ تشومسكي قد تأثر بالنحو العربي، فنّصه - السابق الذكر - واضح وصريح وبعبارات مباشرة من دون حذرٍ أو تحفّظ .

وفي حديث الدكتور الموسى عن الجواني والبراني أو العميق والسطحي، يرى أنّ تشومسكي قدّم مجموعة من الانتقادات للبنوية، منها: عجزها عن تفسير الجمل الملبسة التي تحتل أكثر من معنى، فمجمله (نقد تشومسكي نقد مبرر)، ترد إلى بنيتين عميقتين، والمقرر عند تشومسكي في نماذجه الأولى، أنّ الدلالة تتكلف بها البنية العميقة، أما الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية فلا يكون إلا على شكل إجراءات تقنية يطلق عليها التحويلات، وأنّ هذه الملاحظات تعرض لها النحاة العرب في إضافة المصدر إلى فاعله أو إضافته إلى مفعوله<sup>(٤)</sup>، وإن كانت هذه الظاهرة تنسب عند تشومسكي إلى ملاحظاته حول التأسيس<sup>(٥)</sup>؛ لأنّ للمصدر الخصائص نفسها في الفعل.

وجديرٌ بالذكر أنّ الدكتور الموسى استعمل مصطلحات مثل: البعد الخارجي، والعناصر غير اللغوية، والمقام، والحال المشاهدة، وسياق الحال، وغير ذلك من المصطلحات التي تدلّ على البعد

(١) نظرية النحو العربي : ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٤ - ٥٥ .

(٣) ينظر: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبان المزيني : ٢ .

(٤) ينظر: نظرية النحو العربي : ٧٣ .

(٥) ينظر: اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية : ١٦٨ .

التداولي عنده. وعلى الرغم من عدم استعماله مصطلح (التداولية)<sup>(١)</sup>، إلا أنه اهتم كثيراً بالبعد الخارجي، وذهب إلى أنّ النحاة العرب اعتمدوا هذا البعد أصلاً من أصولهم، صدروا عنه في تحليلاتهم النحوية، وإن لم يُصرحوا بذلك تصريحاً مباشراً.

ومن ملامح التداولية عنده وأثرها في وضع القاعدة النحوية (الحال المشاهدة)، ويقصد بالحال المشاهدة: الوسط واللحظة اللذين يقع فيهما الحدث الكلامي وسائر الظروف التي تحيط بهذا الحدث<sup>(٢)</sup>.

وقد نوّه الموسى إلى تداوليتها في حديثه عن سيبويه بقوله: "على نحو ما يُلاحظ سيبويه أنّ الكلام يتألف من عناصر لغوية، يُلاحظ أنّها قد تقوم على عناصر غير لغوية، وعناصر أخرى من العالم الخارجي نراها أو نسمعها أو نحسّها أو نشمّها أو نذوقها، وتصبح هذه الأشياء الواقعة في مجال خبرة الحواس عنده كأنّها أجزاء في بناء اللغة تقوم مقام العناصر اللغوية الخالصة من الألفاظ"<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة التي يوردها على الحال المشاهدة أنك تقول: "إذا رأيت رجلاً قد سدّد سهماً فسمعت صوتاً: القرطاس والله، أي: صاحب القرطاس، أو رأيت قوماً يتوقعون هلالاً، ثم سمعت تكبيراً قلت: الهلال والله، أي رأوا الهلال"<sup>(٤)</sup>. فحواس المخاطب أهمية كبيرة في الفهم، إذ تكون "معيناً لمدلول الفكرة التي يراد إبلاغه بها فالسمع والبصر يغنيان عن ذكر بعض الألفاظ التي لا طائل من ذكرها"<sup>(٥)</sup>.

وهكذا تكون الحال المشاهدة عندهم بمثابة الإطار الخارجي الذي يقف بمختلف معطياته عنصراً يوازي في دلالاته العناصر اللغوية المكوّنة للتركيب، فيغني في أحيان كثيرة عن بعض تلك العناصر ويحل مكانها في الدلالة على المعنى المراد<sup>(٦)</sup>.

ومن ملامح التداولية الأخرى التي يمكن تلمسها عند الدكتور الموسى (موقف الإشارة)، إذ إنّ فهم اللغة والوقوف على مقاصدها محكوم بأبعادها المختلفة، سواء أكانت أبعاداً داخلية أم أبعاداً خارجية. و(موقف الإشارة) من الأبعاد الخارجية التي نوّه إليها الدكتور الموسى، بوجودها عند سيبويه؛ فهو يذكر أنّ سيبويه يخطئ من يقول: (هذا أنت) معتمداً على بُعد خارجي محض<sup>(٧)</sup>. إذ يقول في تعليل ذلك:

(١) تُشكل التداولية درساً جديداً وغزيراً لم يمتلك بعد حدوداً واضحة، انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة، بيد أنّه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وهو مصطلح لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يُعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث، ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م: ١٥ .

(٢) ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى: ٣٩٤ .

(٣) نظرية النحو العربي: ٩٠ .

(٤) المقتضب، أبو العباس المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت، عالم الكتب، ١٩٦٥ م: ١٢٤/٤، وينظر: الكتاب: ٢٥٧ / ١ - ٢٥٨ .

(٥) مراعاة المخاطب في النحو العربي، د. بان صالح مهدي الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٨ م: ٦٠ .

(٦) ينظر: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، لطيفة النجار، دار العالم للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٣ م: ١٠٥ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣ .

"لأنك لا تُشير للمخاطب، إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير إلى غيره، ألا ترى أنك لو أشرت إلى شخصه فقلت: هذا أنت لم يستقم"<sup>(١)</sup>.

فهذا التعليل عنده قائم على تحليل موقف الإشارة، وقد لاحظ الدكتور موسى أنّ موقف الإشارة عند سيبويه "يقوم في المواضيع المتعارفة على جهاتٍ ثلاث: المتكلم (المشير)، والمشار إليه، والمخاطب (المشار له) ولاحظ وأنّ المخاطب جهة لازمة من هذه الجهات، ولكنه جهة واحدة، فلا يجوز في حكم التحليل الخارجي للعبارة أن يكون المخاطب مشاراً إليه ومشاراً له في آنٍ واحد معاً، ولو وقف سيبويه عند حدّ النظرة الداخلية المجردة لكان حقاً عليه أن يُجيز قول القائل: هذا أنت، كما يُجيز قولنا: هذا سور القدس، هذا جوابهم..."<sup>(٢)</sup>.

**وختاماً أقول في هذه الجزئية:** إنّ تجربة الدكتور موسى من التجارب التي نبهت المتلقي العربي إلى ما يجري في العالم الغربي من مناهج حديثة، وأبان له ما يكتنزه التراث النحوي من ظواهر صالحة لإظهارها، فضلاً عن توضيحه المشترك من المفاهيم، وهو ما هجست به - على حدّ تعبيره - نظرية تشومسكي - منطلقاً من أهمية دراسة الأنحاء الأجنبية في إمكانية تحديث النحو العربي، وتغذيته بمفاهيم جديدة، قد تثمر بعد زمنٍ في تعديل بعض التصورات الرائجة المتعلقة بمنظومته الداخلية، وكذا سبل عرضه ولاسيما في المستوى التعليمي والإفادة منه في جوانب متعددة من اللسانيات التطبيقية التي حاول الباحث اقتحامها على عجلٍ في دراسته (العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية).

## ٢- الدراسات الدلالية:

مجال البحوث الدلالية من أهم المجالات التي شملها التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين بين الدراسات اللسانية القديمة والمعاصرة، ويظهر التوافق بين هذه الدراسات من خلال مفاهيم تتدرج في الدلالات المنفتحة على التداوليات، فلا يخفى أنّ لعلماء العربية جهوداً نبيرةً وذكيةً في الدرس اللغوي عموماً والدلالي أو علم المعنى semantics - كما يسمى الآن في الدراسات اللسانية - خصوصاً.

إنّ علم الدلالة - في رأينا - علمٌ قديم وإنّ بدا أنّه حديث . فما من أمة من الأمم إلا وبحثت في ألفاظ لغتها<sup>(٣)</sup>، محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً، وبيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب. هو علمٌ قديم باعتبار أنّ البحث في المعنى من حيث الوضوح والغموض والصحة وعدمها<sup>(٤)</sup> وما تتعرض له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر وأسباب هذا التحول ومظاهره، مشاهد ومُلاحظ في أقدم ما وصل إلينا من التراث.

(١) الكتاب : ٤ / ١٤١ .

(٢) نظرية النحو العربي : ٩٢ .

(٣) ينظر: علم اللغة (السعران) : ٢٦١، ودلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس : ٥ - ٧ .

(٤) ينظر: الكتاب : ٢ / ١ .

ثم هو علم مستحدث بفضل أن مناهج اللسانيات المعاصرة طوّرت نظرياته، ووضعت أصوله، ووضحت معالمه، وبيّنت صلته بالعلوم الأخرى، فغداً علماً قائماً بذاته له منهجه ونظرياته، بعد أن كان في ضمن العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس<sup>(١)</sup>.

ومن مباحث علم الدلالة في العصر الحديث والتي نلمس فيها التقارب والتوافق العلمي مع جانب من مباحث التراث المعرفي والمضامين الدلالية<sup>(٢)</sup>، ما يأتي:

### أ - الوحدة الدلالية:

لعلم الدلالة مصطلحات ترد عند الدارسين المحدثين، منها ما يسمى بـ(الوحدة الدلالية)، وهي ترجمة للمصطلح semanticunit ولا نريد أن نخوض في تفاصيل وتفسيرات وتقسيمات المحدثين لها.

فهي في أبسط تعريف لها بأنها: الوحدة الصغرى للمعنى<sup>(٣)</sup>.

إنّ الوحدة الدلالية عند علمائنا العرب القدامى هي (الكلمة)، سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، فهي التي تمثل المكونات الأساسية للكلام منطوقاً ومكتوباً. إذ أنه من دون ذلك ينعدم الكلام. ويظهر هذا جلياً عند تحدث سيبويه في (باب علم ما الكلم من العربية). إذ بيّن أنّ "الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"<sup>(٤)</sup>.

من هذا المنطلق أصبح اللفظ موضع اهتمام العلماء فقامت الدراسات ببيان وتوضيح هذه الوحدة من حيث<sup>(٥)</sup>:

١- معرفة نطقها نطقاً صحيحاً كما جاء عن العرب.

٢- بيان صيغها.

٣- بيان معناها.

٤- معرفة وضعها الوضع الذي يقتضيه علم النحو.

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر): ١٥ - ٢٠، وعلم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م: ٢٠.

(٢) تناول الباحثون العرب المحدثون جوانب عديدة من مباحث علم الدلالة، وسأذكر في بحثي هذا ما تلمسته من - بعض - جوانب التوافق بين مباحث علم الدلالة مع التراث العربي، وللتفصيل أكثر، ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان، ط٢، ٢٠٠١م: ١٦٠ - ١٧٢، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م: ٢٧١ - ٣٧٣، وعلم الدلالة دراسة وتطبيقاً، د. نور الهدى الوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م: ٥٥ - ٥٨، وعلم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م: ٥٩ - ٧٠، والمعنى وظلال المعنى، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٧م: ٣٧٦ - ٣٩٣.

(٣) ينظر: علم الدلالة (عمر): ٣١ - ٣٥، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية: ٢٦٢ - ٢٦٦، والمعنى وظلال المعنى: ٢٧١.

(٤) الكتاب: ١٦/١.

(٥) ينظر: اللسانيات (استيتية): ٢٦٢ - ٢٦٦، والمعنى وظلال المعنى: ٢٧١.

٥- بيان الأسباب التي تؤدي إلى تعدد معناها .

هذا الاهتمام يؤكد أنّ الكلمة في نظر علماء العرب تمثل أهم الوحدات الدلالية؛ لأنها أساس الكلام. فهي الوحدة الدلالية الصغرى التي تنشأ منها الوحدات الدلالية الأخرى. وهذا ما يراه علماء الدلالة المحدثون<sup>(١)</sup>. فالكلمة لها دلالة ولكن لا يتحدد معناها حتى توضع في تركيب . هذا التركيب يُقسّم على الآتي<sup>(٢)</sup>:

أ - تركيب إضافي: وهو إضافة كلمة إلى كلمة أخرى (اسم إلى اسم) ينشأ عنه معنى جديد،

كقولنا: أمّ الخبائث، الخمر سوق المال.

ب - التركيب عن طريق الوصف: وهو أن تأتي باسم عام ثم تحدده عن طريق الوصف مثل: الأرض الزراعية، المجال العسكري.

ج - تركيب العبارة وغالباً ما تكون قولاً يدل على حكمة أو مثل أو تجربة، مثل: "الصيف ضيقت اللبن"<sup>(٣)</sup> أي: فات الأوان .

د - تركيب الجملة: وهي التي تمثل الإسناد فيها عنصراً أساسياً وهو " تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"<sup>(٤)</sup>، فإذا قلت: (محمدٌ كريمٌ) فقد أسندت الكرم لمحمد، وكذلك قولك (خرج زيدٌ) أسندت الخروج لزيد، وقد وضّح عبد القاهر الجرجاني ذلك بقوله: "إنّه لا يكون كلام من جزء واحد وأنّه لا بدّ من مسندٍ ومسندٍ إليه"<sup>(٥)</sup>. وجديرٌ بالتتويه أنّ الباحث احمد مختار عمر لم يتحدث عن جذور الوحدة الدلالية عند علمائنا العرب القدامى.

### ب - سياق الحال:

ظهرت نظريات متعددة تعنى بدراسة المعنى، ومنها النظرية السياقية تعود لفظة (context) إلى اللفظة اللاتينية (contexere) وتعني ربط رباطاً وثيقاً، وهي في الاصطلاح اللغوي تعني علاقة لغوية، أو خارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر) : ٣٣ .

(٢) ينظر: علم الدلالة عند العرب، د. عليان بن محمد الحازمي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٥، ع ٢٧، ١٤٢٤هـ : ٧٠٨ .

(٣) أمثال العرب ، للمفضل الضبي: ٥١ .

(٤) دلائل الإعجاز : ٤ .

(٥) المصدر نفسه : ٧ .

(٦) ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية : ١٥٧ .

وقد قامت النظرية السياقية على مفهوم السياق الذي يُعرّف بأنه " الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة"<sup>(١)</sup>، أو هو مجموعة الظروف الاجتماعية، وتعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، أو سياق الحال "Contexte desituation"<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالتنويه أن الباحث احمد مختار عمر ذَكَرَ أنَّ مدرسة لندن عُرِفَتْ بما سُمِّي بالمنهج السياقي Contextual Approach أو المنهج العلمي Operaional Approach ، وكان زعيم هذا الاتجاه Firth الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة... ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو (استعمالها في اللغة)<sup>(٣)</sup>.

فيتضح من ذلك أنَّ النظرية السياقية Contextualtheory قد ارتبطت باللساني البريطاني فيرث، وتقوم النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق.

وقد ارتبط مصطلح المعنى السياقي مع مصطلح المقام، يقول الباحث محمد احمد أبو الفرج - موضحاً المصطلح الأول :- "تقصد بالمعنى السياقي ما يوضحه سياق الحال، وأنا استعمل سياق الحال بالمعنى الفني الذي استعمله أستاذنا فيرث وقد كان يأخذ في الاعتبار الأقوال والأشخاص والأفعال..."<sup>(٤)</sup>، والمعنى المقامي: معنى يُفهم من الموقف الخارجي الذي فيه الخطاب أو من القرائن الخارجية التي تصحب اللفظ من الموقف الاجتماعي الذي قيل فيه النص، فالمقام " هو العالم الخارجي الذي أنتج فيه النص، ويدخل في تحديد دلالاته والمراد به، فقد نعجز عن فهم المراد إذا اجْتُنْتُ النص من سياقه الخارجي، وسوء التفسير من عدم النظر في القرائن الخارجية، مثل: المكان والزمان والأفراد المشاركين في الحدث، والمناسبة التي قيل فيها، وقناة التواصل"<sup>(٥)</sup>.

ويشمل سياق الحال جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر المكوّنة للحال الكلامية<sup>(٦)</sup>:

- ١- شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.
- ٢- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، و كالموضع السياسي، وكمكان المتكلم...

(١) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ٣٨٠ .

(٢) Jeanatubois, dictionnaire de linguistique, 120 – 121 .

(٣) علم الدلالة (عمر) : ٦٨، وينظر: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، د.ت : ١٥٧، والمعنى وظلال المعنى : ١٢٠، واتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٣٨٦ .

(٤) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد احمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٦ : ١٥ .

(٥) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ٣٨١ .

(٦) ينظر: علم اللغة (السعران) : ٣١١ .

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاتماتع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك...

وبذلك يتشكل سياق الحال من مجموع الظروف التي تحيط بالكلام، ولا يخفى ما للعلماء العرب القدماء من وعي تام بدور سياق الحال في بيان الدلالة، فقد أعطوه - سياق الحال أو سياق المقام - أهمية كبيرة في تفسير النص القرآني، وفي استنباط الأحكام الشرعية، فبحثوا في أسباب النزول والظروف الخارجية التي تتعلق بالنص، واللفظ يعطي أكثر من دلالة، ويحددها السياق اللغوي والسياق الخارجي... وهناك سياق خارجي يُفسر في ضوءه المعنى... فقد عرف علماء العربية سياق الحال منذ مدة مبكرة جداً، فالمفسرون اشتروا لمن يقوم بتفسير القرآن أن يكون عالماً بالقراءات، متقناً للتصريف و الاشتقاق، والنحو، وعلوم البلاغة، والمعجم، وأسباب النزول... إلخ، وكل هذا يندرج تحت مفهوم السياق<sup>(١)</sup>.

ومن اللسانيين العرب المحدثين الذين بحثوا في هذا المجال - سياق الحال عند المفسرين - هو الدكتور هادي نهر، فقد أشار إلى أنه لا بُدَّ " للمفسر من الوعي بالسياق والمقام قبل مباشرته تفسير النص القرآني الكريم"<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن الوعي بأسباب النزول التي هي من أهم النقاط التي يجب الإلمام بها لتفسير النص القرآني الكريم<sup>(٣)</sup>. فعدم الوعي بأسباب النزول يؤدي إلى فقدان المعنى المراد من الآية، ومن ذلك - على سبيل المثال - قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup>. فقد جاء في سبب نزولها أن الرسول (ﷺ) قد آخى بين أصحابه فجعلوا يتوارثون بذلك حتى نزلت الآية الكريمة فتوارثوا بالنسب.

فلولا الاعتماد على سبب النزول - سياق الحال - ما كان ليظهر المعنى المراد منها، إذ السياق اللغوي وحده هنا لا يكفي بياناً للدلالة المطلوبة.

وقد أدرك اللغويون العرب معنى (سياق الحال) في مؤلفاتهم، فقد لاحظوا (سياق الحال) أو (المقام) الذي تجري فيه اللغة نشاطاً تواصلياً، فقد أكد الدكتور هادي نهر " أن بعض اللغويين والنحويين العرب تمكنوا من بناء نظرية متكاملة سياقية دلالية، تؤكد وعيهم في وقت مبكر لأهمية تركيب الكلام على وفق السياق الذي يربطه بمقام استعماله"<sup>(٥)</sup>.

وقد بدأ الدكتور هادي نهر يُعصّد ما ذهب إليه بنصوص من التراث العربي، منها ما ذكره من أهمية (نظرية النظم) ورائدها عبد القاهر الجرجاني الذي أسس " لنظرية متكاملة لم يسبق للغويين العرب فيها أحد من اللغويين القدامى من غير العرب وأنّ هذه النظرية لتؤكد وعي لغويينا العرب القدامى

(١) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر: ٣٨٩.

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٠.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٧٥).

(٥) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢٣٤.

لمستويات النظام اللغوي وعياً دقيقاً، وإدراكهم الأثر المعنوي" فضلاً عن "إدراكهم للمواقف الاجتماعية وأحوال المتكلمين، ومقاصدهم، وغاياتهم وأحوال السامعين، والمواضع التي يدور حولها الكلام"<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالتنويه أنّ الدكتور هادي نهر قد ردّ على بعض المعاصرين في دعواهم التي ترى أنّ اللغويين القدامى " قد ضيّقوا دائرة علم النحو فقد حصروه في البحث عن أواخر الكلم إعراباً وبناءً، ثم أولوا جُلّ عنايتهم لظاهرة الإعراب، وتفصيل أحكامها"<sup>(٢)</sup>. إذ يرى الباحث - الدكتور هادي نهر - أنّ الإدعاء بُدأ عن الحقيقة... إذ إنّ كثيراً مما بين أيدينا من صنيع هؤلاء العلماء يدل تأكيدهم على جملة من الأمور... منها: تأكيدهم على أنّ بكُلِّ موقف ومقتضى حال تركيباً يتلاءم معه<sup>(٣)</sup>، "فلا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، و تجعل هذه بسبب من تلك ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس"<sup>(٤)</sup>.

ومن اللغويين العرب الذين أدركوا معنى سياق الحال ابن جني الذي كان "على إدراك واضح بهذا الجانب فعرض له في أكثر من موضع، منها ما قرر فيه المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها، ومن ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي يحيط بظروف الكلام"<sup>(٥)</sup>.

فالحال المشاهدة التي يقع فيها الحدث الكلامي عنصر مهم من عناصر تحديد الدلالة، فضلاً عن كونها - عند ابن جني - مسوّغاً لحذف أحد مكونات التركيب المفيد<sup>(٦)</sup>، فيكون له تأثيره - الحال المشاهدة - في بيان المعاني النحوية التي تترتب عليها المعاني الدلالية، كقوله: "نعم وقد يمكن أن يكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عتاً، ألا ترى إلى قول سيبويه: (أو لعلّ الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر)، يعني أنّ الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية. والآخر لبعده عن الحال - لم يعرف المسبب للتسمية، ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته: قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشقّ هذا، بأن تجمع بين معنى الصوت، وبين معنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت. وأصله أنّ رجلاً قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته، فقال الناس: رفع عقيرته. وهذا ممّا ألزمه أبو بكر أبا إسحاق فقبله منه، ولم يردّه"<sup>(٧)</sup>.

ونلاحظ هنا أنّ ابن جني قد أشار إلى أنّ "الحال يقوم مقام كلامٍ محذوفٍ ويدلّ دلالته والحذف الذي يشير إليه علماءنا القدماء هنا إنما أتى في مواقفٍ محدّدة، وأحوالٍ معلومة بين عنصرين رئيسيين من عناصر سياق الحال، وهما المتكلم والمستمع وفي مثل هذه المواقف الشديدة التحديد Highly

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : ٢٣٥ .

(٢) إحياء النحو: إبراهيم مصطفى : ٣٦ .

(٣) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : ٢٣٦ .

(٤) دلالات الإعجاز : ٦١ .

(٥) فقه اللغة في الكتب العربية : ١٦٨ .

(٦) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : ٢٣٩، والدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٣ .

(٧) الخصائص: ٧١ / ١ - ٧٢، ولابن جني نص آخر في نفس الموضوع، ينظر: الخصائص: ٢٤٨ / ١، والدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٤ .

determinate يعمد الناس إلى الاقتصاد بواسطة الحذف والاختزال في وقائع البنية التعبيرية السطحية، واستخدم أيضاً مصطلح شاهد الحال...<sup>(١)</sup>، وقد وضّح الباحث فريد عوض حيدر ما ذكره في قوله السابق بقوله: "بيّن عالمنا في هذا النصّ أمرين في غاية الأهمية، الأوّل: أنّ من يشاهد سياق الحال، الذي يُقال فيه الكلام، يستطيع أنّ يدرك الأسباب الحقيقية لارتباط الألفاظ بمعانٍ معيّنة. الثاني: أنّ سياق الحال يعطي للكلمات دلالاتٍ لا تمتّ إلى أصل الدلالة اللغوية لمادّتها"<sup>(٢)</sup>.

ويلفت انتباهنا ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب من " أنّ هناك مجموعة من الألفاظ والتعبيرات اللغوية في العربية، يبدو لمن لا يعرف السبب في منشئها، أو الحادثة التاريخية التي أفرزتها، أنّها بمعناها الذي تستخدم فيه عادةً، منقطعة الصلة بالأصل الاشتقاقي الذي أخذت منه... وقد وقعت في الحيرة أوّل الأمر، في اختيار المصطلح المناسب، الذي يمكن أن يطلق على هذه المجموعة من الألفاظ والتعبيرات. وتقلّبت بين مصطلحات: (الحدث التاريخي) و(الدلالة التاريخية) و(الأصل التاريخي) و(التفسير التاريخي) و(سياق الحال) Context of situation . وذكر في هذا المصطلح الأخير، بإطلاق ابن جني عبارة: (شاهد الحال) على شيء قريب مما نحن فيه، فرأيت فيه مصطلحاً عربياً قديماً أولى بالرعاية والإحياء"<sup>(٣)</sup>.

يتضح مما سبق أنّ شاهد الحال هو عنصرٌ من عناصر (سياق الحال) كما أقرته النظرية السياقية أو كما قدّمها ابن جني، وبناءً على ذلك فإنّ من الصعب أن نُقرّ باستبدال هذا المصطلح بالمصطلح الغربي (سياق الحال)، فمثلاً يقول ابن جني: "... ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة من ذلك أن ترى رجلاً قد سدّد سهماً نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتاً فنقول: القرطاس والله أي أصاب القرطاس. وأصاب في حكم الملفوظ به البتة وإن لم يوجد في اللفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به وكذلك قولهم لرجلٍ مهوٍ بسيفٍ في يده: زيداً، أي اضرب زيداً، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به"<sup>(٤)</sup>.

فالحال المشاهدة، إرسال السهم والهويّ بالسيف، حدثان غير كلاميين ناب مناب الحدث الكلامي؛ لأنهما جزء من سياق الحال فاستغنى بهما عن الفعل الناصب، إذ كانت لهما نفس الدلالة ونفس العمل. ويمكن عدّ ابن جني - دون تحيّر - أنّ الأصالة في سياق الحال إنما لابن جني من اللغويين العرب<sup>(٥)</sup>. فضلاً عن أنّ اللغويين المحدثين العرب قد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية (فيرث) السياقية؛ لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه - بشكل مباشر أو غير مباشر- ومن أمثلة هؤلاء،

(١) فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠٠٥م : ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٠ .

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلته وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م : ١٥٥ .

(٤) الخصائص : ٢٦٤ / ١ .

(٥) ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٤ .

الدكتور تمام حسّان، والدكتور كمال بشر، والدكتور محمود السعران... وغيرهم، ويظهر ذلك بجلاء في مؤلفاتهم العلمية<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أنّ الدكتور تمام حسّان عند عرضه للنظرية السياقية، يحاول تلخيص نظرية أستاذه فيرث، مبيناً أنّ الفكرة المركزية في هذا النظرية هي (الماجريات)، وهو مصطلح استعمله الباحث مقابلاً عربياً للمصطلح الإنجليزي (Context of situation)، ويراد به "مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص، ويدخل في حسابها الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا الاصطلاح - بالنسبة لعلم اللغة - قُصِدَ به دائماً سياق النص، أما في السياق الكلامي العادي فكلُّ وضع - مهما كان - يعتبر عنصراً من عناصر الماجريات"<sup>(٢)</sup>.

إنّ حديث الدكتور تمام حسّان عن سياق الحال أو الماجريات هو أول حديث عن هذا المفهوم في الثقافة العربية، وقد عني به كُلاً ما يحيط بالموقف الكلامي، بحيث يشمل المتكلم والسامع، والكلام وجميع ما يحدث في أثناء الكلام من انفعالات، وكل ما يتصل بالموقف الكلامي، ويؤثر فيه<sup>(٣)</sup>.

ومن الجدير بالتنويه إلى أنّ الدكتور تمام حسّان لم يُشر إلى فيرث من قريب أو بعيد على الرغم من حديثه عن نظرية السياق، يقول: "الغاية التي أسعى إليها أن أُلقي ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي كلّهُ منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار الدكتور تمام حسّان في أكثر من موضع إلى تعرض البلاغيين العرب لسياق الحال في إطار معالجتهم لفكرة (لكل مقام مقال) فوجد أنّهم سباقون في ذلك للدرس الأوربي بزمان كبير، يقول: "لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال، بعدهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعد الآن من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>(٥)</sup>.

وفي السياق نفسه يقول: "إذا علمنا أنّ علم المعاني يتناول المعنى الوظيفي وأنّ البيان يتناول المعنى المعجمي، وأنّ علم البديع يتناول صنعة فنية يتحتم فيها أن تتصل بالمعنى، علماً أنّ البلاغة العربية لا تتناول المعنى الاجتماعي تناولاً مقصوداً ولكنها - على الرغم من ذلك - قدمت لدراسة المعنى الاجتماعي أو المعنى الدلالي، كما أسميه في هذا البحث فكرتين تُعدّان اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي: وأولى هاتين الفكرتين فكرة المقال Speech event والثانية فكرة المقام Context of situation، وأنبل من ذلك علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعاراً يهتف به كل ناظر في المعنى: العبارة الأولى (لكل مقام مقال)

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة : ٢٥١، ودراسات في علم اللغة، : ٦٤ - ٦٦، وعلم اللغة (السعران): ٣٣٧ - ٣٤١ .

(٢) مناهج البحث في اللغة : ٢٨٦ .

(٣) ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث : ١٦٤، واتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٣٧٥ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٤٠ .

والعبارة الثانية (لكل كلمة مع صاحبها مقام)<sup>(١)</sup>. فنجده يطابق بين (سياق الحال) عند اللسانيين، و(المقام) عند البلاغيين، وبذلك أسهمت البلاغة العربية فكرة هي أنبل ما وصل إليه علم اللسان. ويتضح مما سبق أن الباحث خلال معالجته لمسألة الدلالة، " قد تخلى عن مصطلح (الماجريات) الذي صاغه في كتابه (مناهج البحث في اللغة) مقابلاً للمصطلح الإنجليزي Context of situation، واتكأ على التراث اللغوي، ولاسيما البلاغي، مفضلاً مصطلح (المقام)، ثم سعى بعد ذلك إلى تأصيل فكرة سياق الحال اعتماداً على عبارتين وردتا عن البلاغيين العرب، هما (لكل مقام مقال) و(لكل كلمة مع صاحبها مقام)\*، فقد فطن البلاغيون العرب إلى أن صورة المقال (Speech event)، تختلف بحسب المقام Context of situation " (٢) فقد "فطنوا - البلاغيون - إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلاً منها مقاماً، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء، وهلم جرا"<sup>(٣)</sup>.

والناظر في التراث البلاغي العربي يجد بوضوح تام موقف البلاغيين والأدباء والنقاد من السياق الحالي أو المقامي، فمقامات الكلام متفاوتة على ما يُصرّح به الخطيب القزويني (ت ٧٣٨هـ)، " فمقام التذكير يُباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يُباين مقام التقييد، ومقام التقديم يُباين مقام التأخير، ومقام الذكر يُباين مقام الحذف، ومقام القصر يُباين مقام خلافه... ومقام الإيجاز يُباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا الذكي يُباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام... وارتقاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا أعني: تطبيق الكلام على مقتضى الحال"<sup>(٤)</sup>. وهذا عين ما ذهبت إليه الدراسات اللسانية المعاصرة .

**ونخلص إلى القول :** إنّ أغلب دراسات اللسانيين العرب المحدثين اتجهت إلى الجانب التطبيقي ، تعريفاً، وتقسيمياً، فضلاً عن الجانب التطبيقي إذ نجد نماذج توضيحية وقف عندها الباحثون ، فعلى سبيل المثال اتسمت معالجة الدكتور تمام حسان الدلالية بوضوح الهدف من خلال تركيزه على مسألة أساسية هي (سياق الحال)، محاولاً الدمج بين الفكر اللساني الغربي والتراث اللغوي العربي في محاولة توفيقية مهمة، غايتها التأسيس لنظرية لسانية عربية جديدة تربط المبنى بالمعنى ،فضلاً عن بلورته لنظرية السياق تطبيقياً في كتابه ( البيان في روائع القرآن) .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠ .

(\* مفتاح العلوم : ٨٠ فمابعدا

(٢) التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث : ١٧٥ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧ .

(٤) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع، الخطيب القزويني، المكتبة العلوية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م : ٤٢ .

## ج - الحقول الدلالية:

هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادةً تحت لفظ عام يجمعها<sup>(١)</sup>، وأهم غايات الحقل الدلالي في اللسانيات "دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي"<sup>(٢)</sup>.  
ويجد لسانيو التراث أنّ فكرة الحقول الدلالية لم تكن غائبة عن اللغويين العرب القدماء - وإن لم يطلقوا عليها المصطلح نفسه - وذلك من خلال تصنيفهم لمجموعة من الرسائل الدلالية المتنوعة التي اقتصر على مجالٍ دلالي واحد<sup>(٣)</sup>، فقد أفرد الدكتور هادي نهر فصلاً في كتابه للحديث عن (الحقول الدلالية) تناول فيه : المفهوم والنشأة، وأهميته في الدراسات الدلالية، فضلاً عن إفراده مبحثاً لمنهج وتطبيق الحقول الدلالية<sup>(٤)</sup>.

ومن اللافت للنظر أنّ الباحث قد أشار في أكثر من موضع إلى أنّ "تراثنا العربي ينطوي على جهود علمية مرموقة تصبّ في صلب الحقول الدلالية"<sup>(٥)</sup>. وجهودهم تعدّ النواة الأولى لمعاجم المعاني أو معاجم الموضوعات التي ظهرت في التراث العربي بمئات السنين قبل الحضارة الأوروبية، ويمثل معجم (المخصص) لابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) أضخمها على الإطلاق وأكمل صورة لفكرة الحقل الدلالي في التراث العربي، وذلك بتبويب الكلمات على وفق مجموعات يتصل بعضها ببعض دلالياً بحيث يتمكن الناطق بالعربية من إيراد اللفظة المناسبة للتعبير عن الدلالة المعينة بما يتحدّد في ضوئه الفروقات الجزئية التي تفصل دلالة الكلمات التي تنتمي إلى حقلٍ دلالي واحد بعضها عن بعض<sup>(٦)</sup>.

ولم يذهب الباحث كريم زكي حسام الدين بعيداً عما ذهب إليه الدكتور هادي نهر، إذ خص إلى أنّ اللغويين المسلمين قد اهتموا "إلى فكرة المجال الدلالي وفتنوا إليها، وسبقوا الأوربيين بعدة قرون، وإن لم يعطها أحد منهم الاسم، وكما رأينا محاولات الأوربيين المحدثين من الفلاسفة أو اللغويين لتصنيف قطاع من المعجم يشمل عدداً معيناً من الكلمات أو المعاني المتصلة بموضوع واحد، فإننا نرى الرسائل التي قام بتصنيفها اللغويون المسلمون اقتصر بعضها على مجال دلالي واحد كخلق الإنسان والإبل، والخيول، والشاة... واشتمل بعضها الآخر على أكثر من مجال دلالي، كما وصل بعض هذه المؤلفات إلينا تحت عناوين مختلفة مثل كتب الصفات، أو الغريب أو الألفاظ"<sup>(٧)</sup>.

(١) الحقل الدلالي عند أولمان (Ullmann) "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال من الخبرة"، ينظر: Meaning and Semantics, Ullmann, Oxford, 1973 : 26 - 27. ويعتبر لاينز الحقل الدلالي: "مجموعة جزئية لمفردات اللغة"، ينظر: J.loyons, Vol.1, Cambridge University. Press, 1977 : 268. والكلمة، د.حلمي خليل : ١٩١ .

(٢) علم الدلالة (عمر) : ٧٩ .

(٣) على سبيل المثال، رسائل خلق الإنسان: لكل من أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ) والأصمعي (ت ٢١٣هـ)، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ). وقد دونوا فيها أسماء أحوال الإنسان المختلفة من الناحية العضوية وسعوا دائرة بحثهم لتشمل النواحي الأخلاقية والاجتماعية، ورسائل الخيل : لكل من النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، قطرب (ت ٢٠٦هـ) وأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١٠هـ)

(٤) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٤٦٥ - ٤٨٢.

(٥) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : ٤٦٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٤٦٩ .

(٧) أصول تراثية في علم اللغة : ٢٩٨ - ٢٩٩ .

وقد أشار كثير من اللسانيين العرب المعاصرين إلى سبق علماء العربية القدماء لتطبيق هذه النظرية في مؤلفاتهم اللغوية، والمعجمية، على النحو الذي يُلَمَس في تلك الرسائل الصغيرة التي أُفردت لحقل دلالي واحد، كما في رسائل المطر، والسحاب، والإبل، والغنم، والنبات، والنخل، واللبن... إلخ. كما تتمثل في تلك المعجمات الموضوعية التي اشتملت على حقولٍ دلالية متعددة، مثل: المخصص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وغيرها من المؤلفات التي سبقت مثيلاتها من الأعمال الأوروبية الحديثة بقرونٍ عدّة<sup>(١)</sup>.

ونخلص من أقوال اللسانيين العرب إلى أنّ اللغويين العرب القدماء أول من خاض غمار معاجم الموضوعات القائمة على مفهوم الحقول الدلالية فوضعوا لها رسائلهم المستقلة، وبذلك سبقوا علم اللغة الحديث في التنبه إلى هذه الفكرة، والتأليف فيها، وإذا كان هناك بعض الجوانب المتميزة للأعمال الحديثة؛ فذلك لتطور التقنية الحديثة، فضلاً عن الجهد الجماعي لهذه الأعمال، وهذا كله يجعل التكافؤ بين الأعمال قديماً و حديثاً حكماً عادلاً، كما يجعل التمايز فيما بينها أمراً طبيعياً لا يُقلل من قيمة عمل، أو يرفع من شأن آخر.

### ج - اتجاه قراءة الانموذج الواحد:

تتجه القراءة هنا إلى دراسة "شخصية لغوية عربية قديمة يدرس فكرها اللغوي، وطريقة تصورها، وكيفية تناولها لقضايا اللغة العربية في مجال من مجالات البحث اللغوي"<sup>(٢)</sup>.

ويتجلى هذا النوع من القراءة في الكثير من تجارب الباحثين العرب على سبيل المثال:

- النظرية اللغوية عند ابن جني في ضوء منهج اللسانيات الحديثة/ د. بوشتي العطار.
- الأسس الإيستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه/ د. إدريس مقبول.
- البحث الدلالي عند ابن سينا دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات/ د. مشكور كاظم العوادي.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني/ د. محمد عبد المطلب.
- التفكير اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني/ د. نور الدين محمد دنياجي.
- الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون \_ دراسة ألسنية / د. ميشال زكريا .

وغيرها من الدراسات اللسانية في هذا الاتجاه من القراءة للتراث العربي، التي تقف عند عالم من العلماء القدماء، أو تقف عند قضية من القضايا اللغوية، فضلاً عن أننا نجد في كتب اللسانيين العرب المحدثين مَنْ يُفرد فصلاً من كتابه لقراءة وتأسيس هذه القضايا.

على سبيل المثال نجد الدكتور حسام البهنساوي يُفرد في كتابه (التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث) فصلين خصّ أحدهما: لدراسة كتاب الخصائص لابن جني وبيان القيمة اللغوية لهذا الكتاب ومؤلفه،

(١) للمزيد ينظر: المعجم العربي، د. حسين نصار ١٢٣-١٣٤، و٢٠٦-٢١٣، و الأصول (د. تمام حسان): ٢٧٣، فما بعدها، وعلم الدلالة (عمر): ١٠٨، فما بعدها، وأصول تراثية في علم اللغة: ٢٩٨-٣٠٣، والكلمة، د. حلمي خليل: ١٩٣، واتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر: ٣٨٤.

(٢) اللسانيات العربية الحديثة: ١٣٧.

والآخر: دراسة اللغوي الشهير احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) عنونه بـ (القضايا اللغوية الحديثة)<sup>(١)</sup>، فقصده من خلال ذلك تقديم بعض الجهود لبعض الأعلام، وتقديم هذه الدراسات التراثية العربية الأصيلة في ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة، للوقوف على ما تتميز به هذه الدراسات عند العلماء العرب من خصائص وسمات وما توصل إليه هؤلاء العلماء من درجة عالية من الدقة العلمية والمنهجية تضعهم على قَدَم المساواة في كثير مما توصلوا إليه مع ما توصلت اليه الدراسات اللغوية الحديثة من نتائج ونظريات<sup>(٢)</sup>.

ونجد أنّ الباحث يُنبّه على ضرورة قراءة التراث عند العرب ويصفه بأنه أمرٌ واجب، يقول: " إنّ إعادة قراءة التراث اللغوي عند العرب أمرٌ واجب على الدارسين والباحثين اللغويين من أبناء العربية في كل مكان وزمان، لتبقى هذه الأعمال منبعاً ثرياً، ومعيناً لا ينضب، وتأسيساً للدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وإحياءً لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمن"<sup>(٣)</sup>.

فتناول قضية (الأصل والفرع) التي تُعدّ من القضايا المهمة في البحث اللغوي الحديث وبالخصوص عند علماء النظرية التوليدية التحويلية، وفي أحدث مراحلها على الرغم من الفارق الكبير بين مفهوم ابن فارس الذي يركز على موضوع اللغة العربية ومنشئها وحدها، في حين يتعلق هذا المفهوم عند التوليديين بالملكة اللغوية الإنسانية، ومحاولة تفسيرها في عقول المتكلمين بوجه عام<sup>(٤)</sup>.

فقد ذكر ابن فارس إنّ " لعلم العرب أصلاً وفرعاً... والناس في ذلك رجلان: رجل شُغِلَ بالفرع، فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه المرتبة العليا"<sup>(٥)</sup>.

فتقسيم ابن فارس للباحثين على هذا النحو "يتفق مع ما يُنادي به العالم اللغوي تشومسكي عن مراحل التطور في البحث اللغوي، فثمة مرحلة الكفاءة الوصفية، التي ركّز فيها الباحثون على مجرد الوصف والتحليل اللغوي للغة، التي أطلق عليها تشومسكي: اللغة المجسدة"<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>.

كما تناول في كتابه (أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث) نماذج متعددة من التراث اللغوي العربي، في محاولة منه لربط التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الحديث؛ إذ - بحسب البهنساوي - سيُظهر هذا الربط مدى استمرارية الفكر اللغوي العربي عبر الزمن، فضلاً عن "إمكانية العودة إلى مؤلفات القدماء، وملاحظة الجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة و العناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة و لمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامة،

(١) ينظر: التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م: ١٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨.

(٣) المصدر نفسه: ٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦.

(٥) الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢.

(٦) يذكر تشومسكي أنّ النحو في الاستخدام الشائع، وصف للغة أو نظرية حولها: هو مادة يؤلفها اللغوي... وأن الدراسات اللغوية البنوية، واللغويات الوصفية، وكذا علم النفس الإدراكي وغيرها من المداخل المعاصرة، فقد اتجهت إلى تصور اللغة كمجموع من الأحداث أو المنطوقات أو الأشكال اللغوية (كالكلمات والجمل) يزواج بينها وبين المعاني أو كنظام من الأشكال أو الأحداث اللغوية، ينظر: الكفاية اللغوية: ٧٧.

(٧) التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث: ١٣.

بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة التي اتوا بها و التي من الممكن مقارنتها ببعض المفاهيم اللسانية<sup>(١)</sup> .

ويرى البهناوي " أن نظرة موازنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية ،وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب لتؤكد لنا أن النحو العربي لم يكن بعيداً عن هذه الأسس والأفكار"<sup>(٢)</sup> . وقد اتجه البهناوي إلى قراءة التراث اللغوي والبلاغي العربي عن طريق إيجاد التوافق بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي ؛ إذ لا يخفى سبق الجرجاني إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق و غير العميق من عناصر الجملة ، وذلك عند تفريقه بين النظم والترتيب والبناء والتعليق ، فجعل النظم للمعاني في النفس ،وهو تماماً البنية العميقة عند تشومسكي . أما البناء فهو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب عن طريق الكلمات ،كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات في السياق<sup>(٣)</sup> .

وهناك أمور كثيرة نجد فيها توافقاً واضحاً بين عبد القاهر وتشومسكي ، وقد أشار البهناوي إلى بعض منها، على سبيل المثال في حديثه عن ( القدرة اللغوية )<sup>(٤)</sup> يذكر أن " القدرة اللغوية التي تمثلها الكفاءة الذاتية الكامنة التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغة ، والتي من شأنها أن تسمح لصاحبها بتوليد عبارات وجمل لا نهائية، والتي تعدّ من أساسيات النظرية التوليدية التحويلية ، لم تكن - هذه القدرة اللغوية - خافية عن إدراك عبد القاهر أو عن إدراكه لمدى أهميتها"<sup>(٥)</sup> . فهو يقول : "إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تُخلُ بشيءٍ منه"<sup>(٦)</sup> . فيتضح بذلك لإدراك عبد القاهر لقواعد الكفاءة الذاتية التي ينبغي أن تتوفر لكل متكلم ومستمع جيد للغة.

فضلاً عن إشارته إلى تقارب مفهوم التحويليين للنحو مع مفهوم السليقة عند أهل اللغة ، فالجمل التي يتم توليدها وفقاً لقواعد الكفاءة الذاتية، هي "جمل أصولية ؛ لأنها تنتمي إلى الكفاءة الذاتية الصحيحة ، وينبغي على المتكلم أن يراعي قواعد صحتها لكي يكون كلامه صحيحاً وجمله سليمة"<sup>(٧)</sup> ، وقد عدّ

(١) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : ٣١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٠ .

(٣) ينظر: تعليم النحو بين النظرية والتطبيق: ١١٤ .

(٤) تدرج القدرة اللغوية ضمن تقسيمات (الملكة اللغوية)، إذ ميّز تشومسكي بين ثنائيين هما: (الأداء) و (القدرة اللغوية)، فلأداء هو انعكاس محدود للمعرفة الضمنية بقواعد اللغة المسؤولة عنها القدرة اللغوية الذاتية، فقد أكد أن القدرة اللغوية هي موضوع البحث وهي المسؤولة عن الاستعمال الخلاق والابداع وعن اكتساب اللغة في الوقت نفسه، ينظر: كليات المعرفة عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، د. كريم عبيد علوي، منشورات ضفاف ، بيروت، ط١، ٢٠١٣م: ٤٤ .

(٥) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث: ٣٢ .

(٦) دلائل الاعجاز: ٨١ .

(٧) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث: ٣٣، وينظر: نظرية النحو العربي: ٥٠، ونظرية النحو التحويلي: ٨٦ .

الدكتور ميشال زكريا "الجملة الأصولية" من المفاهيم الأساسية في النظرية اللسانية التوليدية التحويلية ، وعرفها بأنها "الجملة المبنية على نحو جيد موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاية اللغوية لمتكلم اللغة، أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم والتي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية حين ينتج جملة".<sup>(١)</sup> وتتجلى هذه الفكرة في قول عبد القاهر الجرجاني : " وذلك أنا لا نعم شيئاً بيتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ ينطلقٌ ، وينطلقٌ زيدٌ ، ومنطلقٌ زيدٌ ، وزيدٌ المنطلقٌ ، والمنطلقٌ زيدٌ ، وزيدٌ هو المنطلق ، وزيدٌ هو منطلق"<sup>(٢)</sup> ، فهذه جميعها جمل أصولية صحيحة استوفت قواعد الكفاءة الذاتية وجاءت متوافقة مع القاعدة النحوية التي وضعها العلماء في باب الخبر، وتكون الجملة أصولية عندما يأتي تركيبها تركيباً سليماً جيداً ، وتكون هذه الجمل مركبة وفق قواعد ألسنية ضمن عملية التكلم ويطبقها المتكلم بصورة لا شعورية، فضلاً عن أنه يجب ألا تتحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تعين توافق العناصر اللغوية في مستويات اللغة : الصوتي ، والتركيبي ، والدلالي<sup>(٣)</sup> .

نخلص من ذلك إلى أن الاتفاق بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي " في أن المتكلم يمتلك قدرة لغوية - أتيحت له عن طريق النحو - تسمح بتوليد عبارات لا نهائية . ذلك أن معاني النحو - عند عبد القاهر - تقوم على فروق ووجوه ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، وكلها من إبداع صاحب اللغة، الذي يتوخى معاني النحو فيما يقول .

وبالمثل رأى تشومسكي أن المنهج الرياضي الذي يؤكد ميكانيكية التركيب يساعد على وجود أنماط لا نهائية . وليست المسألة مجرد تلاحم بين الصيغ أو رصد كلمات ، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائماً الصلات المعقدة ، متجاوزة كانت أو غير متجاوزة"<sup>(٤)</sup>

ومن علمائنا العرب القدامى الذين قدّموا لمحات دقيقة للدرس اللغوي العربي (ابن جني)، إذ نجد كثيراً من دراساته تحمل نبض علم اللغة الحديث، إذ نجد لابن جني نظرات ثاقبة ومنهجاً محكماً في البحث، فقد عمد إلى تنظيم الدراسة اللغوية تنظيمًا دقيقاً معتمداً على العقل والمنطق في التحليل، كما تطرق إلى جوانب متعددة من مستويات الدراسة اللغوية: صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، بلاغية... وهو في جلّ تجلياته ونظرياته يوافق إلى أبعد الحدود منهج اللسانيين المحدثين<sup>(٥)</sup> .

وقد جاد ابن جني أيما إجادة في مجال الدراسات الصوتية، إذ اتسمت جهوده بالدقة والوضوح، "واستطاع بعقله ودراسته العلمية الصحيحة أن يُقيم عمد الدراسة العلمية اللغوية، وأن يوطد أركان علم اللغة بدراسة الصوتيات، وسبق الأوربيين في ما وصل إليه من نتائج في هذا الباب، كأصوات اللين،

(١) بحوث السنية عربية: ٤٩٠ .

(٢) دلائل الاعجاز: ٨١، وينظر أمثلة تخص القدرة اللغوية في: ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) ينظر: السنية عربية: ٤٩٠ فما بعدها.

(٤) ينظر: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي: ٣٤ .

(٥) ينظر: الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي، د. جعفر دك الباب، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ٣٤، ١٩٨١م : ٤٧ .

ومقاييسها، التي جاء بها دانيال جونز الإنجليزي، ومعرفته للفونيم ونظريته قبل هذا العلم الأوربي، كما وصل إلى نتائج قيّمة في دراسة اللهجات، وصراعتها، وطرق انقسامها وأسبابه، ونتائجه، وحين يتلاقى العربي مع أخيه، وتفرق بينهما عوامل البيئات الصحراوية والحضرية، وذلك واضح في أهم كتبه الخصائص وسر صناعة الإعراب<sup>(١)</sup>.

وجديرٌ بالتتويه إلى أنّ ما نوّد الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدلالية للصوت أي (الفونيم) كونه - الفونيم - له الدور الأساسي في تحديد دلالات الكلمات<sup>(٢)</sup>.

والفونيم هو: أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني<sup>(٣)</sup>، والفونيم نوعان<sup>(٤)</sup>.

النوع الأول: قطعي Segmental ويشمل الصوامت والصوائت .

أما النوع الثاني: فو قطعي Suprasgmental ويشمل النبرات والأنغام.

ونظرية الفونيم نظرية من نظريات علم اللغة الحديث، وقد اختلف الدارسون فيها، فقد تعددت الآراء واختلفت المناهج بين مؤيدين ورافضين لها<sup>(٥)</sup>.

إنّ مسألة القيمة الدلالية للصوت مسألة قديمة في التفكير اللغوي، غير أنّ خير من فصل القول فيها - في نظري - هم علماء العربية القدماء الذين كانت لهم في ذلك لفات طريفة، ونظرات بارعة تنمّ على وعيهم وإدراكهم لها.

وتتمثل القيمة الدلالية للصوت في جوانب عدّة، ومنها التبديل Substitution ، وما نقصده ليس (الإبدال) بمفهوم القدماء، والذي يعني إقامة حرف مكان حرفٍ آخر في كلمة واحدة والمعنى واحد، والذي يكون في الغالب الأعم إما ضرورة وإما صنعة واستحساناً، ويقابله في اللسانيات الحديثة مصطلح Mutation<sup>(٦)</sup> . بل نعني بالتبديل إحلال صوت مكان صوت آخر بحيث يؤدي إلى حدوث تغير في دلالة الكلمة، وهذا النوع نجده بكثرة في مؤلفات اللغويين القدماء، - على الرغم من أنهم لم يُشيروا إلى ذلك بصريح العبارة - ويعدّ ابن جني واحداً من العلماء الذين اشتهروا بالبحث في الأصوات ومالها من دور في تحديد دلالات الكلمات؛ وذلك نتيجة تعامله مع هذه الأصوات التي طبعت في ذهنه دلالات مختلفة.

وطريقة ابن جني في معالجة الأصوات تشبه إلى حدّ بعيد منهج اللسانيين المحدثين: فقد تطرق إلى مضمون عدد من المصطلحات كالفونتيك، والمورفولوجي، والفونيم... بالتحليل والتشريح، كما أنّ تحليلاته تنطبق على مجموعة من اللغات الإنسانية<sup>(٧)</sup>.

(١) علم اللغة بين القديم والحديث (هلال): ٥٥.

(٢) ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩م: ١٣٢ فمابعدها.

(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤م: ١٦١، وهناك خلاف حول تعريفه، لكن أقرب تعريف ما ذكرناه.

(٤) المصدر نفقسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: تفصيل ذلك في: دراسة الصوت اللغوي (عمر): ١٦٦ - ٢٠٢ .

(٦) ينظر: التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي: ١٠٦ .

(٧) ينظر: النظرية اللغوية العربية الحديثة، د. جعفر دك الباب: ٢٢ .

ويرى الدكتور جعفر دك الباب أنّ ابن جني قد أدرك بعبقريته الفذة أنّ لفونيمات دوراً أساسياً في تحديد دلالة الكلمات، ناهيك عن أن إبدال الصوامت ينتج عنه تغيّر في الدلالات، وإن كان ابن جني لم يُشير إلى ذلك بصريح العبارة إلا أنّ في كلامه ما يوحي بذلك. يقول في الخصائص "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأوم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعد لونها بها ويحتذون عليها. وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره. من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح، قال الله سبحانه: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾<sup>(١)</sup>. فجعلوا الحاء لرققتها - للماء الضعيف، والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه"<sup>(٢)</sup>.

فما توصل إليه ابن جني في نظر لسانيي التراث - ومنهم جعفر دك الباب - عملٌ مهمٌّ، إذ إنه أدرك ما يتولد من دلالة جديدة عند تغيير الفونيمات، و نلاحظ ذلك في: خضم وقضم، ونضح ونضخ. وقد حاز ابن جني شرف السبق إلى مثل هذا التحليل، متقدماً بذلك جميع علماء اللغة المحدثين، فهذا الفيلسوف الهولندي POS بوس، يذهب إلى ما ذهب إليه ابن جني بخصوص القيمة الدلالية للصوت الفونيم<sup>(٣)</sup>. إذ "إن الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه إلى الكلمة التي تدل على شيء آخر لا يعد انتقالاً كبيراً، وبخاصة إذا وضع الإنسان في اعتباره - ولأول مرة - أنّ الكلمات تتألف من فونيمات، وأنّ المعاني الناتجة عن وضع الكلمات في تراكيب معينة تختلف اختلافاً جذرياً عن معاني الكلمات وهي مفردة"<sup>(٤)</sup>.

فما توصل إليه ابن جني لم يكن بمحض الصدفة التي تحدث في بعض مجالات البحث الإنساني، بل كانت نتيجة لمنهجية الدقيقة في البحث التي لا تقل شأنًا وسلوكاً عن طريق المحدثين في دراسة اللغة، فهو يجمع بين المادة اللغوية ويبدأ في مناقشتها، ثم بعد استيفائه البحث فيها يستنتج منها القوانين التي تحكم الظاهرة اللغوية التي يتحدث عنها<sup>(٥)</sup>.

فضلاً عن أنّ ما توصل إليه ابن جني يماثل في نواحٍ عدداً من أبحاث الصوتيين المعاصرين، وهذا ما حاول أن يثبته الدكتور كمال بشر، يقول: "ولسوف يفخر الإنسان حين يعلم أنّ ابن جني قد استعمل في كتابه سرُّ صناعة الإعراب المصطلح علم الأصوات للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو ما جاء في الدرس الصوتي الحديث، يقول: ولهذا العلم - علم الأصوات

(١) سورة الرحمن : الآية (٦٦) .

(٢) الخصائص : ١٥٧ / ٢ - ١٥٨ .

(٣) ينظر: النظرية اللغوية العربية الحديثة : ٣١ فما بعدها .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر : علم اللغة بين القديم والحديث (هلال) : ٤٠ ، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد : ٤٠٨ .

والحروف - تعلق ومشاركة الموسيقى لما فيه من صيغة الأصوات والنغم. وفي ظننا أنّ هذا المصطلح بهذه الصورة و هذا التركيب قد جاء سابقاً للمصطلح الأوربي المقابل له هو Phoneties<sup>(١)</sup>. ولو أردنا تقصي كل جوانب التوافق والتقارب بين فكر ابن جني والأفكار القائمة في الدرس اللساني المعاصر ، لما أنهينا كلامنا في هذه الجزئية .

ونخلص إلى أنّ هذا الاتجاه يقوم على قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء ما تعرضه اللسانيات المعاصرة وموازنته بنتائجها، مما يثبت التوافق أو التقارب بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، بشرط ألا نُجَرِّد النتاج الفكري عن زمانه وعن الحضارة التي أنتجته، فهذا يُجَرِّده عن معناه ومغزاه، مع وجوب التنبّه إلى الاختلاف الزمني والفوارق الحضارية والثقافية ، وأنّ نحاول التوفيق بين ما أدى إليه علم القدماء وجهدهم في خدمة لغة القرآن ، وما عندنا اليوم ، ونخرج من كل ذلك بمنهج يكفل مواصلة الحفاظ على هذه اللغة الكريمة ، واستمرار تطورها .

**وأخيراً أقول:** بعد أن وقفنا على جهود بعض اللسانيين العرب المحدثين الذين تميّزت تجاربهم بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي ، إذ حاولوا إلقاء الضوء على مدى التوافق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة ، إذ لم يقصدوا بهذه القراءة أو (إعادة القراءة) إسقاط للمناهج أو النظريات اللسانية المعاصرة على تراثنا اللغوي ؛ بل لوجود مجموعة من المفاهيم والتصورات العلمية ، فضلاً عن المناهج التحليلية عند أقدم النحاة العرب والتي لا تقل أهمية عما أثبتته اللسانيات المعاصرة ، ومن أجل هؤلاء العلماء وأكثرهم دقة هم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، والفارابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، والرزي الاستريادي .

فترائنا لا يخلو من التحليلات والملاحظات الجديدة بأنّ تُعاد قراءتها عن طريق ربطها بمناهج البحث اللغوي المعاصر، ولعلنا في هذا الإطار (الاتجاه التوافقي) بين القدماء والمحدثين لانعدم من اللسانيين العرب من يولي اهتمامه في هذا الاتجاه وهذا ما حاولنا توضيحه في هذا الفصل عن طريق تجاربهم المميزة ، وإذا أمعنا النظر في هذه التجارب يمكننا أن نقول: إنّها توضيح وإظهار للأسس التي تقوم عليها الدراسات القديمة، وهي دليل في الوقت نفسه على توفر مقومات البحث العلمي الصحيح في الدرس اللساني العربي القديم والحديث في الوقت نفسه ، فقد أدرك الباحثون العرب المحدثون جوانب النظرية المهمة لدراسة اللغة العربية على وفق النظريات اللسانية القديمة، مما جعل أعمالهم أكثر وضوحاً وسهولة وبساطة بالنسبة للدرس اللساني.

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ٣٥ .

# الفصل الثاني

## النظرية الخليلية الحديثة

- المبحث الاول: النشأة والمفهوم.
- المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة.
- المبحث الثالث: النظرية الخليلية الحديثة وعلاقتها بالتيشير النحوي.
- المبحث الرابع: منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل الخطاب التراثي.

## توطئة:

عُرِفَ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللساني الجزائري منذ بداية السبعينيات - وهي مدة ليست قصيرة - باهتمامه بالكتابة اللسانية ذات المنحى التجديدي والتوفيقي في ضوء ما اكتشفه من رؤى ثاقبة للنحويين العرب القدماء في النظرية اللغوية العربية، بعد قراءة مستفيضة في نصوص الخليل (رحمه الله) - التي وصل إلينا بعضاً منها عن طريق سيبويه - وفي نصوص سيبويه نفسه، فضلاً عن ابن السراج، وابن جني، والجرجاني والرضي الاستربادي، مُحاولاً صياغة هذه الرؤى في نظرية نسبها إلى الخليل وسميت هكذا بالتغليب؛ لأنَّ الخليل وإن كان هو العِماد فيها إلا أنَّه قد أخذ كثيراً عن شيوخه، وكذلك سيبويه فهو لم يكن من المُقلِّدين أبداً<sup>(١)</sup>، وقد عُرِفَت هذه النظرية في الفكر اللغوي العربي باسم (النظرية الخليلية الحديثة)<sup>(٢)</sup>.

وعندما سُئِلَ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إحدى محاضراته، هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: لستُ مُحافظاً ولا مُجدِّداً، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئاً عظيماً لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به<sup>(٣)</sup>. وبإجابته هذه يكون منهجه في النظرية اللغوية لا المحافظة على التراث اللغوي العربي القديم، ولا تجديداً فيه، إذ هو سيرورة للعلم اللغوي وصناعة فيه، هذه الصناعة لا تفرضها أفكار تبعية حتمية لا للقديم، ولا للجديد، بل هي نمذجة خاصة مبنية على الاكتشاف لا التقليد الأعمى. فقد قرأ الدكتور الحاج صالح التراث اللغوي العربي قراءةً دقيقةً معمقةً، فضلاً عن تتبعه لما توصلت إليه أبحاث اللسانيات الغربية، واكتشف السبل العلمية، والرياضية التي ميزت النظرية اللغوية العربية القديمة، فاقتنع بفكرة إعادة إحيائها من جديد، وآثر أن تكون النظرية الخليلية الحديثة، وتُعدُّ هذه النظرية امتداداً مباشراً للنظرية الخليلية القديمة التي وضعها الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل<sup>(٤)</sup>. فنظريته من باب التجديد في النحو. وقد نافس بها صاحبها - الحاج صالح - ما استجد من نظريات غربية وعربية فضلاً عن ترسيخ المفاهيم النحوية العربية الأصيلة، ومسايرة العصر، وإظهار ما فيها من روح العلمية، والمنطق الرياضي الذي مكَّنها من أن تُستَعَلَّ في مجال اللسانيات الحاسوبية، وتعليمية اللغات.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٠/١.

(٢) ظهرت هذه النظرية سنة ١٩٧٩م في أطروحة نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس والتي كانت بعنوان:

Linguistique arabe et linguistique generale essaide methodologie et de pisemologie du ilmal - Arrabiyya These

dactylographie, Parise, Sorbonne 1979. وقد ضمت عدد من الباحثين - بعد أن طرحها الحاج صالح - إذ دعى اللسانيين والباحثين في العالم العربي إلى قراءة التراث بمنظار علمي بعيداً عن التعسف في الاستنتاج للنصوص، ويفضل جهود بعض الباحثين ومنهم الحاج صالح وتجربته الرائدة، عرِّفت هذه النظرية بخصائص علوم اللسان العربي، ومضامينه النوعية انطلاقاً من مقولات اللسانيات الحديثة، فأثبتت الحلقة المفقودة التي تجاهلها الغربيون عندما أرخوا للفكر اللساني البشري، والتي تتمثل في مستخلصات ثمانية قرون أو تزيد من مخاض التفكير اللغوي عند العرب، لاسيما القرون الخمسة الأولى من الهجرة، التي أفرزت نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، ومنهم الدكتورة شفيقة العلوي، والدكتورة خولة طالب الإبراهيمي، والدكتور مازن الوعر، والدكتور شريف بو شحدان، والدكتور بشير ابرير وغيرهم من الباحثين.

(٣) ينظر: المفاهيم الأساسية للنظرية الحديثة، د. محمد صاري، مجلة كلية اللغة العربية وأدائها، جامعة عنابة، العدد الثامن، ٢٠١٠م: ٢.

(٤) ينظر: مبادئ في اللسانيات، د. خولة طالب الإبراهيمي، دار القصب للنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦: ١٣٥.

## المبحث الأول

## النشأة والمفهوم

قبل البدء بالحديث عن نشأة ومفهوم النظرية الخيلية الحديثة، أود أن أشير إلى مفهوم النظرية عموماً، فالنظرية هي تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدمها العلماء في استنباطهم للأنظمة التي يدرسونها<sup>(١)</sup>. ويقول بعض اللغويين في تعريف النظرية العلمية: أنها "مجموعة من الفروض متماسكة بشكلٍ كبيرٍ أو قليل يُراد به شرح مدى الظواهر"<sup>(٢)</sup>.

وإذا راجعنا اللفظ معجمياً واصطلاحياً وجدناه يرد معجمياً كما يأتي: "وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكيراً فيه وتدبراً بالقلب.... والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني"<sup>(٣)</sup>. ومن هنا كان (النظري) عند الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) "هو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كصور النفس والعقل والتصديق بأن العالم حادث"<sup>(٤)</sup>.

ويصطلح على أن النظرية هي: فَرْضٌ عِلْمِيٌّ يَرْبُطُ قَوَانِينِ عِدَّةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَيُرَدُّهَا إِلَى مَبْدَأٍ وَاحِدٍ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَنْبِطَ مِنْهُ أَحْكَاماً وَقَوَاعِدَ<sup>(٥)</sup>.

والحقيقة أن النظرية هي الوجه المقابل للنظام؛ ذلك أن العلماء يستنبطون الأنظمة التي تشتمل عليها الظواهر، فيقدمون مجموعة من الفروض التي تصف هذه الأنظمة. وقد نصَّ اللغويون المعاصرون على علاقة النظرية بالنظام وكونها جهداً ذهنياً وفكرياً للغويين أنفسهم، إذ يؤكد هيلمسف Hyelmsle أن النظرية اللغوية (استنتاجية) فهي نظام استنتاجي يستخدم فقط لتقدير الاحتمالات التي تنتج من مُقَدِّمَاتِهَا<sup>(٦)</sup>.

وقد وقف تراثنا على مختلف الأنظمة التي تقوم في الظاهرة المدروسة نفسها عن النظرية التي تقوم في أذهان العلماء إذ تتمثل في تصورات العلماء عن هذه الأنظمة، يقول الرضي الاستريادي عن الأصول أو الأنظمة أو القواعد الكلية في الصرف - مثلاً - التي تحكم أفراد الظاهرة الصرفية: "يعني بها القوانين الكلية المنطبقة على الجزئيات، كقولهم مثلاً: كل واو أو ياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قُلبت

(١) ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي : ١٧ .

(٢) Syntactic Theory ,N.chomsky ,cambride ,MitParis, 1972; 15. نقلاً عن النظرية اللغوية في التراث العربي : ١٨ .

(٣) لسان العرب : ٢١٧ / ٥ - ٢١٨ (مادة نظر) .

(٤) التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : نصر الدين تونسي، القاهرة، ط١، شركة القدس المتحدة، ٢٠٠٧ : ٣٨٢ .

(٥) ينظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٩م، دار الثقافة، ط٢ : ٢٠٢ .

(٦) ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي : ١٩ .

ألفاً، والحق أنّ هذه الأصول هي التصريف لا العلم بها<sup>(١)</sup>، وهو - في الحقيقة - ينص على أنّ الأصول شيء يوجد في الظاهرة المدروسة - كالتصرف مثلاً . وأنّ تصوّر هذه الأصول يقوم في أذهان الدارسين، وهو بتعبير البحث الحالي النظريات التي تقوم في الأذهان والتي تقدم في مقابلة الأنظمة التي توجد في الظواهر نفسها.

أما ما يخص الأصول في النظرية الخليلية الحديثة فيتمثل في جملة الخصوصيات المميزة للسانيات الخليلية الحديثة من حيث المبادئ ومستويات التحليل وتجلياتها في مفاهيم أساسية أقيمت عليها وما نتج عنها من تأصيل، والأصالة في اللسانيات الخليلية تكمن فيما تميّزت به من نزعة علمية واتجاه منهجي وعبقريّة في الاكتشاف والاختراع.

والأصالة في الفكر الخليلي تعني - كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أن يكون الإنسان مبدعاً مهماً كان عصره؛ أي أن لا يكون نسخة لغيره فيما يخص الأفكار التي ينتجها، فالأصلي هو من ليس نسخة لغيره مهما كان الزمان، وقد تكون أصالة في زمنٍ قديمٍ وقد تكون أصالة في زماننا هذا، وقد يكون الرجل فريداً من نوعه في ميدان خاص أو استعماله لبعض الوسائل العقلية وهذا ينطبق على الخليل: لم ير مثله قط في استعماله الوسائل العقلية الرياضية في ميدان اللغة..."<sup>(٢)</sup>.

ويشير الدكتور الحاج صالح إلى التناسب الوضعي بين علم اللسان الحديث وعلم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري، إذ يقول: "إنّ هذا التناسب الغريب الذي وجدناه بين الأوضاع النظرية والمنهجية التي امتاز بها فكر الخليل ومنّ تابعه، وبين الأوضاع العلمية الحديثة .. وقد أيقنا أنّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أي شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن احمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقرى بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيبويه وشروحه... وبالرجوع ثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي على الفارسي وابن جني والرضي الاستربادي. ويحبّذا لو درسوا في الوقت نفسه نظريات علم اللسان الحديث؛ لأنّه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروا لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة، وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضاً لديهم من نظريات النحو العربي"<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على ذلك استطاع الدكتور الحاج صالح تأسيس نظرية جديدة هي امتداد لنظريات النحو العربي الأصيلة (النظرية الخليلية القديمة)، إذ تقرّد بها على الساحة اللغوية العربية، فعُدّت معلماً بارزاً له، إذ إنّها "نظرية على نظرية تمّ عرضها لأول مرة عام ١٩٧٩م"<sup>(٤)</sup>، فهي في واقع الأمر نظرية ثانية

(١) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستربادي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م: ١/٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١/٢١٠.

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان: ١٠.

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١/٢٠٨.

(حديثة) بُنيت على نظرية أولى (قديمة)، إذ حاول الدكتور الحاج صالح " منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن يحل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة ولاسيما ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمون إلى المدرسة الخليلية. وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية"<sup>(١)</sup>، ويذكر الحاج صالح أنّ الغاية من النظرية الخليلية الحديثة هي التعريف بالنظرية التي تُوصَف بأنها امتداد منتقى للآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة الأولون ولاسيما الخليل، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة في البحث اللساني في أحدث صورته ولاسيما البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة<sup>(٢)</sup>.

وتُعدُّ النظرية الخليلية الحديثة امتداداً مختاراً من الآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأوائل فهي في الواقع نظرية ثانية؛ لأنها في الوقت نفسه تنظير ويبحث في الأسس للنظرية الخليلية الأولى<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن أنها قراءة جديدة للتراث وإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية وموازنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية.

إنّ النظرية الخليلية الحديثة - في نظر الحاج صالح - تتبوأ مكاناً وسطاً بين توجهين، أحدهما: يتجاهل تماماً ما تقدّمه اللسانيات الحديثة من رؤى مهمة في فهم النظرية اللغوية، والآخر: يتجاهل التراث على الرغم من معرفته به فضلاً عن جعل التراث كُله واحداً، وبعض أصحاب هذا التوجه مقتنعون اقتناعاً تاماً أنّه قد تجاوز زمانه أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات الغربية<sup>(٤)</sup>.

أما الاتجاه الذي سلكه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة هو التأسيلي فضلاً عن التوافقي<sup>(٥)</sup>، إذ ينتهج أصحاب هذا الاتجاه في سعيهم للتأصيل بين جوانب من النظرية اللغوية العربية، وجوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث<sup>(٦)</sup>.

وقد انطلق الدكتور الحاج صالح من تجربته اللسانية من خلال (النظرية الخليلية الحديثة)، وهي نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا العلماء العرب القدماء، ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس في ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنما بدراسة ابستمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم وطرق تحليلهم، ومن دون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها<sup>(٧)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٠٨ / ١

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: محاولات تيسير النحو قديماً وحديثاً: دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات، محمد صاري : ١٣٨ . (اطروحة دكتوراه)

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٥) ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د.حسن خميس الملح : ١٤١ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣١٦ .

وتتطلق هذه النظرية في قراءتها للتراث وتأصيل أفكارها من منطلقين أساسيين هما<sup>(١)</sup>:

١- لا يُفسّر التراث إلا التراث: فكتاب (سيبويه) لا يُفسّره إلا كتاب (سيبويه). ومن الخطأ أن تُسقط على التراث مفاهيم وتصورات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.

٢- أنّ التراث العربي في العلوم الإنسانية عامةً واللغوية خاصةً ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع، فهناك تراث وتراث.

فالتراث الذي قصدته النظرية الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم الإنسانية. وأما الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالمةً عليهم، إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة، واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى تأملية<sup>(٢)</sup>، مع بقاء الألفاظ نفسها التي تدل عليها في الغالب<sup>(٣)</sup>.

أما سبب تسميتها بـ(النظرية الخليلية) أو (اللسانيات الخليلية)، نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي - تغليباً له ، إذ يعتبره - الخليل - الدكتور الحاج صالح المؤسس الحقيقي لهذه النظرية اللغوية لما له من سبق المعرفي في العلوم العربية إذ لهُ فضلُ سبق في استعمال المفاهيم الرياضية لضبط نظام اللغة ووضع علم العروض، فقد بني علومه على أسس منطقية علمية وذلك كمفهوم العامل، والزمر، وقسمة التركيب... الخ. كما له سبق في ابتكار معجم العين الذي يُعدُّ مدرسة اتبعتها كثيراً من العلماء<sup>(٤)</sup> لا يزال معتمداً إلى يومنا هذا - فضلاً عن العلماء العرب القدماء ممن شافهوا العرب الأقحاح ابتداءً من القرن الثاني الهجري - وهي المدة الخصبة في الفكر اللغوي العربي الأصيل المبدع - وحتى القرن الخامس الهجري.

فشكلت له العلوم الخليلية اللبانات الأولى لقراءة التراث اللغوي من جانب علمي، فضلاً عن الدراسات العلمية التي سارت على طريقه، إذ يقول الدكتور الحاج صالح: "لابدُّ من ملاحظة مهمة فإنّ الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين؛ فهناك من عاصره وكان عبقرياً مثله ومن جاء بعده وكان عبقرياً مثله من هؤلاء الإمام الشافعي، فهو في أصول الفقه بمنزلة الخليل في النحو وعلوم اللسان..."<sup>(٥)</sup>، إذ يعتمد الحاج صالح على طائفة من العلماء العرب الذين عاصروا الخليل

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٦٨ .  
(٢) المقصود بالجانب التأملي، هو الذي يمت بصلة إلى الفلسفة والمنطق اليوناني، والتقسم والتصنيف الأرسطي الذي اهتم به النحاة المتأخرون .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٦٩ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٠٨ .

(٥) المصدر نفسه : ١ / ٢٠٩ و ١٦٥ .

أو جاءوا بعده، فلهم الأهمية الكبرى في إعطاء التراث الصورة العلمية التي نعرفها الآن، إذ استلهم الدكتور الحاج صالح من معالم المدرسة الخليلية من القرن الثاني للهجرة وحتى القرن الخامس للهجرة مع عبد القاهر الجرجاني، ماراً بطائفة من اللغويين منهم: الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، وابن السراج (ت ٣١٦هـ)، والرماني (ت ٣٨٤هـ)، وابن جنبي، والاستريادي (ت ٦٨٧هـ) وهو من أرسن العلماء وأكثرهم أصالة ويُعدُّ نادراً في عصره<sup>(١)</sup>. وبهذا المزيج من العلماء تشكلت معالم النظرية الخليلية الحديثة استناداً إلى اللغويين العرب القدماء.

ومما لا يخفى أنَّ المتتبع للنظرية الخليلية الحديثة يرى أنَّ خلفها الكثير من الأهداف العلمية، لعلَّ أبرزها ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من " أنه لا بُدَّ من الرجوع إلى التراث العلمي العربي الأصيل ... والنظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب"<sup>(٢)</sup>، فهي تعكس الفكر الخليلي المبدع الخلاق في أسسه ومبادئه النظرية ومفاهيمه واجراءاته التطبيقية<sup>(٣)</sup>.

وبذلك تؤكد النظرية الخليلية الحديثة دور الفكر العربي الأصيل، وموازنتها مع المناهج اللسانية المعاصرة، فهي تسعى لبناء مقومات عدّة تتمثل في: " تحليل اللغة ونظامها آلياً، وهي تقوم على إحياء المبادئ التي وضعها النحو الخليلي... إحياء اجتهادياً لا تقليدياً أعمى يعكس الجوانب المحورية لهذه المدرسة"<sup>(٤)</sup>، إذ إنَّ هذه الجوانب هي الأسس العلمية التي شكلت لنا أركان هذه النظرية وقدمتها بعرض لغوي جديد يُنمُّ عن الإبداع والفكر اللغوي المتطور، فقد سعى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح منذ ظهور النظرية الخليلية إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب<sup>(٥)</sup>. ويُمكننا تقسيم القراءات التراثية، باعتبار هدفها المنشود على ثلاث قراءات أساسية، يلخصها الدكتور مصطفى غلفان في<sup>(٦)</sup>:

١. قراءة تفاعلية، تحاول تأسيس مكانة للفكر اللغوي في اطار الفكر اللغوي العام.
٢. قراءة تمجيدية، تنوّه بالتراث اللغوي العربي وتضعه فوق اللسانيات الحديثة.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١١ / ١ و ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٩ / ١ .

(٣) ينظر: أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، د. بشير ابرير، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، ٢٠٠٥م : ١٣ .

(٤) العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، د. شفيقة العلوي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، ٢٠٠٧م : ٣ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٦٣ .

(٦) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: ١٣٧-١٣٨ .

٣. قراءة اصلاحية هدفها تخليص النحو العربي من كل ما تعلق به من شوائب كالتجريد والتعليل والحذف والعامل والتقدير..

وبالعودة الى تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فإنه يمكننا تصنيف تجربته - النظرية الخليلية الحديثة - ضمن القراءة التفاعلية التي تسعى الى الإفادة من المزوجة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، اذ تقوم بتحديث الفكر اللغوي العربي والنهوض به الى واجهة اهتماماتنا اللغوية، أما من ناحية الاهتمامات اللسانية فإننا نُعني الفكر اللغوي عامة من خلال مدّه بروافد عربية، فضلاً عن تعميق تفهّمنا للسانيات عبر تحليل المسائل اللغوية في التراث اللغوي العربي، كما تؤمّن بُعداً تراثياً للسانيات العربية تهتم بقضايا لغتنا العربية وتحلّل مسائلها. (١)

فضلاً عن أنّ الدكتور الحاج عبد الرحمن يذكر أهم المزايا التي انمازت بها هذه النظرية - الخليلية ، وهي: (٢)

١. الموضوعية العلمية : فهي تعتمد على المشاهدة ، وهي بذلك علمٌ محض وليست مجموعة اختيارات تعسفية تفرض معياراً لغوياً معيناً، وتهدر المعايير الأخرى.
٢. التمييز بين ماهو راجع الى التغيير الزمني، اي التاريخ عبر الزمان، وبين ماهو آني (Synchronic) خاص بالنظام الباطني للغة.
٣. اللجوء الى الصياغة المنطقية الرياضية.. وهذا من أهم ما تمتاز به العلوم الانسانية عن غيرها كالأداب والفلسفة.

وتجدر الإشارة الى أنّه نَبّه على الباحثين - في العصر الحديث - بعدم جعل اللسانيات الغربية الحديثة مقياساً مطلقاً يجب اتّباعه والاحتذاء به ولا يجوز الخروج عنه؛ اذ إنّ هذ اللسانيات لم تبلغ من الرقي ما بَلَغته العلوم الفيزيائية والبيولوجية وغيرها، أما العلوم الانسانية - وخاصةً اللسانيات - فلم تبلغ بعد هذا الشأن، بحيث يصعب على الباحث العربي أو غير العربي أن يدحض بعض مبادئها الأساسية ويأتي بالبديل. وهذا لا يعني أنّها لم تأتِ بجديد، على العكس فقد كانت نتائج البحوث فيها رائعة، لكن هذا لا يبرر الخضوع لكل ما جاءت به خاصة تصوراتها وفرضياتها (٣).

ولا يخفى ما للخليل وأتباعه من أهمية لا يمكن تجاهلها ، بيد أنّ كثيراً مما أبدعه هؤلاء العلماء قد اختفى واستغلق فهمه على المحدثين، وأنّ خطورة هذا التراث الخليلي العظيم هي على قدر خطورة ما

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٦٣/١-٢٦٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤/١.

سيصير اليه مستوانا العلمي واتجاهنا الفكري " فإما أن نبقي عالة على تراث المتأخرين<sup>(١)</sup> كما هو الحال في الوقت الحاضر ويستمر تجاهلنا للنحاة الاولين بل وجهلنا المطبق لمفاهيمهم ومنهجيتهم مع التقليد الأعمى لا لهؤلاء المتأخرين فقط، بل أيضاً لما يقوله اللسانيون الغربيون من دون أي تمحيص، وإما أن نحاول المقارنة التقويمية العلمية بين كل هذه الاتجاهات بقصد الوصول الى مفاهيم دقيقة أصيلة ذات نجاعة كبيرة في الميدان العلمي والتكنولوجي ، وهذا الاختيار الأخير هو الذي اختارته النظرية الخيلية الحديثة"<sup>(٢)</sup>.

مما تقدم يتبين لنا دعوة الدكتور عبد الرحمن الباحثين الى ترك النظرة الخاصة بمذهب من مذاهب اللسانيات - او غيرها - فللباحث الحق في أن يختار المذهب الذي يرتثيه. وإنما المطلوب من الباحثين العرب أن يقوموا بتمحيص ما يأخذونه، وألا يُسلموا الى شيءٍ أو نظرية معينة، ما تكن قضية أُخْتِرت صحتها أو نجاحها عند التطبيق وأُجمِعَ على ذلك، ولا بأس أن يتبنى الباحث أية فكرة أو مذهب كان إذا لم يمنعه ذلك من أن يتعرف على غير هذه الفكرة وغير هذا المذهب. فعلى الباحث أن يقيم حواراً سهلاً، فهذا الحوار ضروري على قدر ما يقتضيه كل بحث متعدد التخصصات ، وسيزيد الحوار سهولة لو حاول كل باحث أن يُوسّع دائرة معارفه بالنظر في النظريات اللسانية - غير تلك التي تبناها - بما فيها النظرية العربية القديمة.

(١) المتأخرون هم من جاءوا بعد القرن الخامس الهجري، غير أن الحاج صالح استثنى بعض المبدعين من أمثال الخليل وسيبويه وابن السراج وابن جني والرضي الاستربادي.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٥٣/٢.

## المبحث الثاني

## المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة

تُمثّل المفاهيم خلاصة الأفكار والنظريات وأحياناً نتائج خبرات وتجارب العمل فيه في النسق المعرفي الذي يعود إليه وينتمي إلى بنائه الفكري؛ ولذلك فإن تحليل المفاهيم الأساسية لأي فرع أو حقل معرفي (إبستمولوجي) يُعدّ المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل بشكل يسمح بتشخيصه وتحديد وضعيته ومعرفة مبادئه ومدخله<sup>(١)</sup>.

والمفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة هي اللبنة الرئيسة لتحليل الظاهرة اللغوية، إذ اعتمدها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في نظريته؛ ولأنّ هذه النظرية اتجهت إلى إعادة قراءة التراث اللغوي الأصيل والبحث عن خباياه؛ لذا كانت المفاهيم والمبادئ التي اعتمدها الحاج صالح هي المفاهيم نفسها التي اعتمدها علماءنا العرب القدماء، إذ لها دور عظيم في تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة وراء اللغة، ومن ثمّ في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية<sup>(٢)</sup>. ومن الغريب جداً - كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - أن تكون هذه الأعمال التي لا تضاهيها إلا ما أبدعه العلماء الغربيون في أحدث أعمالهم، مجهولة تماماً في كنهها وجوهرها عند كثير من الدارسين والاختصاصيين المعاصرين<sup>(٣)</sup>، واستحضر في مقامنا هذا ما ذكره أستاذنا الفاضل الدكتور كريم حسين الخالدي من أنّه ما زالت هناك إشارات مضيئة في كتب علمائنا القدماء - ولاسيما كتاب سيبويه - لم نقف عندها الوقفة التي تستحق، ومثّل لها بأنّها تُمثّل مثلث معنوي دلالي يربط بين العلماء العرب<sup>(٤)</sup>، على سبيل المثال المثلث المتكوّن من سيبويه (ت ١٨٠هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) والجرجاني (ت ٤٧١هـ).

والمفاهيم الأساسية التي بنى عليها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نظريته (الخليلية الحديثة) هي

كالآتي:

(١) ينظر: بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، د. طه جابر العلواني وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م: ٧/١.

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١/١٦٩.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

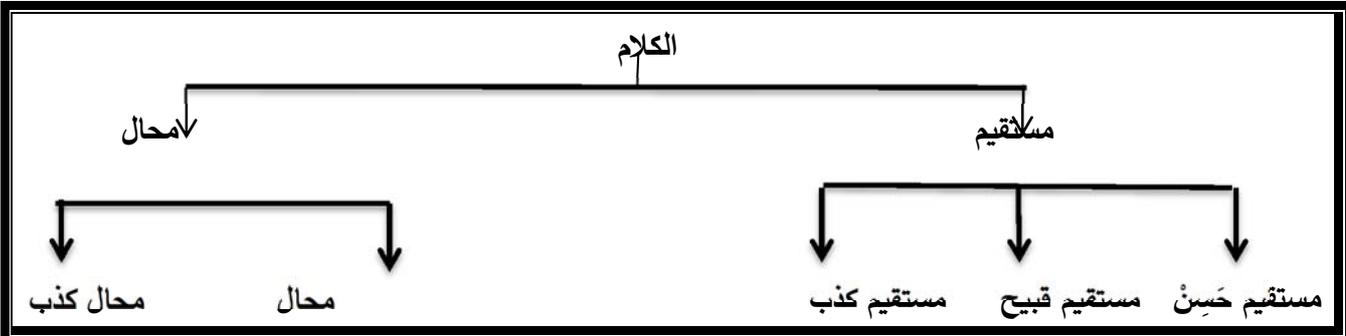
(٤) مدونتي في الدكتوراه، محاضرة الدكتور كريم حسين الخالدي على طالبات الدكتوراه، في السنة التحضيرية، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية: بتاريخ ٢٠١٢/٤/٨.

## ١- مفهوم الاستقامة:

عقد سيوييه - في مطلع كتابه - باباً سماه " باب الاستقامة من الكلام والإحالة " (١) استعمل فيه مصطلحي (الاستقامة والاحالة)، للإبانة على أصناف الجمل العربية والتفريق بين ما يجوز من أوجه التراكيب النحوية وما لا يجوز منها؛ لي طرح ما لا يصلح كلاماً، وينسج على منوال ما يحسن منه (٢)، فقال: " فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن؛ فقولك: أتيتك أمس، وسأتيتك غداً. وأما المحال؛ فأنت تنقض (٣) أولَ كلامك بآخره، فنقول: أتيتك غداً وسأتيتك أمس. وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملتُ الجبل، وشربتُ ماءَ البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح، فأنت تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيتُ، وكى زيداً يأتيتك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب؛ فأنت تقول: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمس " (٤).

في النص السابق وهو نصٌ موجز - على الرغم من أهميته - تكمنُ بذور نظرية نحوية دلالية، إذ تندمج قوانين النحو مع قوانين الدلالة، ويُمكن أن يسمى " المعنى النحوي الدلالي " (٥). فهذه التقسيمات - التي قدّمها سيوييه - تدور حول الاستقامة والإحالة، والكلام (٦) عنده قسمان:

أحدهما: أطلق عليه بأنه مستقيم، والآخر: المحال، وتحت كل منهما فروع، كما يتبين من الشكل الآتي:



(١) الكتاب: ٢٥ / ١ . ورد في لسان العرب: "الاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر... وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَزْهَرَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، معنى قوله (استقاموا) عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه (ﷺ)... والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه". مادة (قوم)، وعلى ذلك فالاستقامة تعني الاعتدال والاستواء والالتزام، فالكلام المستقيم إذاً هو الكلام غير المنحرف الذي لا ينقص بعضه بعضاً. وورد فيه أيضاً: المحال من الكلام: ما عُذِلَ به عن وجهه. وحوله: جعله محالاً... ويقال: أخلتُ الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته". مادة (حول) وعليه فالكلام المحال هو الكلام المنحرف الفاسد الذي لا معنى له؛ لنقض آخره لأوله.

(٢) أشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الصناعتين) إلى الهدف من دراسة هذا الباب فيبين أن للخطأ صوراً نبيه على أشياء منها ليقف المتكلم عليها فيتجنبها ويعرف مواقع الصواب فيعتمدها، فمن لا يعرف الخطأ كان جديراً بالوقوع فيه، فكان لزاماً التنبيه على خطأ المعاني وصوابها؛ ليتبع من يريد العمل بمواقع الصواب فيرتسمها، ويقف على مواقع الخطأ فيتجنبها. ينظر: كتاب الصناعتين - الكتاب والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد النجا ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دت: ٧٥ - ٧٦ .

(٣) ورد في لسان العرب: "النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء... والنقض اسم البناء المنقوض إذ هدم مادة (نقض)، وعليه فنقض الكلام إفساده.

(٤) الكتاب: ٢٥ / ١ - ٢٦ .

(٥) النحو والدلالة - مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣ م: ٦١ .

(٦) لمصطلح الكلام في كتاب سيوييه معانٍ كثيرة، منها (الجملة)، ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٣٢٤، نظرات في الجملة العربية: ١٤-١٨، وبناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، عبد اللطيف، دار القلم، القاهرة، ١٩٨٢ م: ٢٦-٢٧ .

ومن نص سيبويه المتقدّم نلاحظ أنّه لم يُقدّم تعريفاً إلا للمحال وللمستقيم القبيح، تاركاً فهم المراد من الأمثلة التي صرّبها لكل نوع، مما فتح الباب على مصراعيه أمام محاولات تفسير هذه المصطلحات - من القدماء والمحدثين - واكتشاف الأسس والمعايير التي ارتكز عليها سيبويه في وصف هذه الجُمَل بالاستقامة أو الإحالة.

ويبدو لي أنّ سيبويه استقى هذا التصنيف لأقسام الكلام من أستاذه الخليل - على الرغم من عدم تصريحه بذلك في الكتاب -، فقد نقل ذلك ابن منظور (ت ٧١١هـ) في (لسان العرب) إذ قال: "وروى ابن شُميل عن الخليل بن احمد أنّه قال: المحال: الكلام لغير شيء، والمستقيم كلام لشيء، والغلط كلام لشيء لم تُردّه، واللغو كلام لشيء ليس من شأنك، والكذب كلام لشيء تغرّ به"<sup>(١)</sup>.

ويذكر أحد الباحثين المحدثين<sup>(٢)</sup> أنّ سيبويه تجاهل أنواعاً من الكلام كالغلط والخطأ واللغو<sup>(٣)</sup>، مُستنداً في ذلك الى قول الأعمى الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) في بيانه معنى أقسام الكلام الواردة عند سيبويه، إذ قال الأعمى الشنتمري: "قوله في هذا الباب...فإنّما حصّ (حملتُ الجبل) و(شربتُ ماء البحر)؛ لأن هذا يدل على كاذب قائلها قبل التصفح والبحث، وإلا فكل كلام تكلم به مخبره على خلاف ما يوجب الظاهر، كذب علم أو لم يعلم."

وأما قوله: (المستقيم القبيح). إنّ قال قائل: كيف جاز أن يُسميه مستقيماً قبيحاً؟ وهل هذا إلا بمنزلة قولك: حسنٌ قبيح؛ لأنّ المستقيم هو الحسن؟ فالجواب أنّ الكلام على ضربين: كلام ملحون، وكلام غير ملحون، والملحون هو الذي لُجِنَ فيه عن القصد، أي عدل عن وجهه إلى غيره. وما لم يكن ملحوناً: فهو على القصد وعلى النحو، فالمستقيم من طريق النحو، هو ما كان على القصد سالماً من اللحن، فإذا قلت: قد زيداً رأيتُ، فهو سالم من اللحن، فكان مستقيماً من هذه الجهة وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فهو قبيح من هذه الجهة. قال الأخفش\* : ومنه الخطأ، وهو ما لا يتعمده نحو قولك: ضربتُ زيداً. هذا من جهة اللفظ مستقيم، ويقال فيه على قياس ما مضى من الباب: مستقيم كذب ومستقيم قبيح، إلا أنّ سيبويه لم يذكر هذا القسم؛ لأنّ لفظه لا يدل على أنّه خطأ، وإنّما ظاهره أنّه صواب، وإنما حكى سيبويه أقساماً ظاهرها دال على ما قُصِد بها فاعلم<sup>(٤)</sup>.

مما تقدّم يبدو لي أنّ الدكتور محمد سالم لم يكن دقيقاً فيما ذهب إليه؛ ذلك أنّ سيبويه لم يغفل هذا القسم (الخطأ) في كتابه، بل دليل ما ذكره في أبواب عدّة، منها ما جاء في (باب مجرى النعت على

(١) لسان العرب، مادة (حول) .

(٢) هو الدكتور محمد سالم صالح، يَعمَلُ مُدرّساً بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

(٣) ينظر: الدلالة والتفعيد النحوي - دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م : ١٤٣ . \* هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، ينظر: ترجمته ومصادرها في: إنباه الرواة على أنباه النحاة : ٣٦/٢.

(٤) النكت في كتاب سيبويه، الأعمى الشنتمري، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م : ٣٣ / ١ - ٣٤ .

المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك)، إذ نجد توجيه سيبويه لأحد التراكيب على الغلط في القصد، حين يتكلم الإنسان ليقول شيئاً فيُخالفه لسانه فيقول شيئاً آخر، يقول سيبويه: "ومنه أيضاً: (مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ) و(ما مررتُ برجلٍ كريمٍ بل لئيمٍ)، أبدلتُ الصفة الآخرة من الصفة الأولى، وأشركتُ بينهما (بل) في الإجراء على المنعوت. وكذلك (مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ)، ولكنه يجيء على النسيان أو الغلط، فيتدارك كلامه؛ لأنه ابتداءً بواجب"<sup>(١)</sup>.

فسيبويه لما وجد نطقاً لا يُسائر عُرف اللغة، إذ لا بُدَّ للجملة التي تحتوي على (بل) أن تبدأ بنفي، غير أنه جرى خالياً من النفي، وذلك يحدث حين يتدارك الإنسان خطأه .

وجديرٌ بالذكر أن أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) يذكر أن الأخبار<sup>(٢)</sup> تنقسم على ثمانية أقسام: "الصحيح السليم، والقبيح النظم القريب من الفهم، والخطأ، والكذب المقرون بدليل الخلل فيه، والكذب العاري من الدليل على موضع عيبه، والمختل، والمُلغى، والمقلوب"<sup>(٣)</sup>. ويبدو من تقسيماته هذه أنه فصل أقسام الكلام بعمق أكثر، والحق أن تقسيماته هذه لها أهمية كبيرة، فهي محاولة لتحليل نص سيبويه بطريقة عميقة فضلاً عن دقة في اختيار المصطلحات وما يدل عليه كل مصطلح، فقد جمع أبو علي الفارسي ما قاله الخليل وسيبويه فضلاً عن أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) الذي قام بشرح (الكتاب) لسيبويه، فمحاولته كانت محاولة رائدة وجادة لاكتشاف خبايا هذا النص العميق.

وكان السيرافي أبرز من تعرضوا لهذا النص بالشرح والتحليل - من النحويين القدماء -، إذ حاول استنباط المعايير التي وضع عليها سيبويه هذا التقسيم، فقال: "فأما المستقيم الحسن: فقولك أتيتك أمس، وسأتيتك غداً، وهذا كما قال؛ لأنَّ ظاهره مستقيم اللفظ والإعراب غير دالٍ على كذب قائله، وكذلك كل كلام تكلم به مُتَكَلِّم فأمكن أن يكون على ما قال ولم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو، فهو كلام مستقيم في الظاهر، وقد يتبين في مثل هذا أن قائله كاذب فيما قاله فيحكم على كلامه أنه كذب... إلا أنه مستقيم اللفظ، ويلحق بقوله: حملتُ الجبل، وشربتُ ماءَ البحر، وصعدتُ السماء، في أنه كذب، غير أن الذي استعمله سيبويه في المستقيم أن يكون مستقيم اللفظ والإعراب فقط، وعنى بالمستقيم اللفظ والإعراب أن يكون جائزاً في كلام العرب دون أن يكون مختاراً... ومعنى المحال أنه أحيل عن وجهه المُستقيم الذي يُفهم المعنى إذا تُكَلِّم به، وزعم قومٌ أن المحال إنما هو اجتماع المتضادات.. أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكبي زيداً يأتيتك، وإنما قبح هذا؛ لأن من

(١) الكتاب : ١ / ٤٩٩، وينظر أيضاً : - على سبيل المثال - : (هذا باب من الفعل يُستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول): ١ / ١٥١، و(هذا باب بدل المعرفة من النكرة، والمعرفة من المعرفة، وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة): ١٦ / ٢

(٢) قصد الأخبار أي الكلام.

(٣) أقسام الأخبار، أبو علي الفارسي، تحقيق: د. علي جابر المنصوري، مجلة المورد، العدد الثالث، المجلد السابع، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م : ٢٠٢ .

حُكْم (قد، أن يليها الفعل ولا يُفارقها؛ لأنها جُعِلت مع الفعل بمنزلة الألف واللام مع الاسم...و(كي) قد جعلت بمعنى (أن) أو بمعنى (اللام)... فحكم الفعل أن يليها دون الاسم إذ كانت بمحل (أن)، فأبلاؤهم إياها الاسم وضع الكلام في غير موضعه.. وأما المحال الكذب، فهو أن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس، فهو محال كذب، فأما استحالته فلاجتماع سوف وأمس فيه وهما يتناقضان ويتعاقبان، وأما الكذب فيه فإننا لو أنزلنا عنه أمس الذي يوجب المناقضة والإحالة لبقى كذباً. وكان الأخفش يُنكر أن يُقال في المحال صدق أو كذب، فأما إنكاره الصدق فيين، وأما إنكاره أن يكون كذباً فلأن الكذب نقيض الصدق، والمحال لا يجوز أن يكون صدقاً بحال، فإذا استحال أن يُقال فيه صدق بوجه من الوجوه استحال أن يُقال كذب<sup>(١)</sup>.

مما تقدم عرضتُ - على الرغم من الإطالة - إلى مفهوم الإستقامة في كتاب سيبويه فضلاً عن الخليل وغيره من العلماء القدماء.

وقد حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن يجعل (مفهوم الإستقامة) من المفاهيم الأساسية في النظرية الخيلية الحديثة، إذ يذكر أن "سيبويه - على إثر الخليل \* - هو أول من ميّز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم الحسن، القبيح)، والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم/ المحال، ثم ميّز أيضاً بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يُميّز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم/ حسن. فعلى هذا يكون التمييز بهذه الكيفية:

- مستقيمٌ حسن = سليمٌ في القياس والاستعمال.

- مستقيمٌ قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل.

- محال = قد يكون سليماً في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لي أن ما قصده الدكتور عبد الرحمن من أن "المستقيم الحسن = سليم في القياس والاستعمال" بأنه ما كان مستقيماً في اللفظ والتركييب (الإعراب)، وهو في الوقت نفسه لا يدل على كذب قائله، فالحكم بالإستقامة يأتي من جهة اللفظ والإعراب، يقول السيرافي في ذلك: "وكذلك كل كلام تكلم فأمكن أن يكون على ما قال - أي هو حسن غير كذب - ولم يُكُنْ في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو فهو كلام

(١) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م: ٢ / ٨٩ - ٩٤ . \* هذا دليل آخر على أن ما ذهب إليه من أن سيبويه إستقى أقسام الكلام من أستاذه الخليل صحيح، بما استدليت عليه مما نقله ابن منظور، ينظر: ص (١٢٠) من الأطروحة

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢١٨ / ١ .

مستقيم" (١)، ثم يحسم معيار الاستقامة بشكلٍ قاطع بقوله: "غير أنّ الذي استعمله سيبويه في المستقيم يكون مستقيم اللفظ والإعراب فقط" (٢).

فيتضح لنا أنّ معيار الاستقامة عند الحاج صالح - وعلى خطى القدماء - هو استقامة اللفظ والإعراب، أو - بعبارة - القياس والاستعمال، ومن ثمّ فصل بين أن يكون التركيب مستقيماً وبين كونه محالاً الذي قد يكون سليماً في القياس والاستعمال لكنه غير سليم من حيث المعنى، أعتقد أنّ الذي يقصده د. عبد الرحمن الحاج صالح من أنّ المحال = "غير سليم من حيث المعنى" هو ما يخص افتراضات النحاة أنفسهم وليس عدم السلامة في كلام العرب، ويُسميه السيرافي "مستقيماً محالاً" (٣).

أما "المستقيم القبيح" = "غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل"، فقد قصد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّه لم يحدث تصادم بين الوظائف النحوية في علاقاتها مع دلالة المفردات التي شغلها غير أنّ بعض هذه العناصر قد فصلت عن بعضها الآخر فلم تُوضع الموضع الصحيح، فاختل بها شرط الورود النحوي (الرتبة)؛ ولهذا السبب وُصف هذا النوع من الكلام بالقبيح مع كونه مستقيماً. وبذلك يمكننا القول: إنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليله - السابق - لنص سيبويه يمثل اتجاه النحاة الذين يرون أنّ الإستقامة والإحالة تعود إلى معايير دلالية ونحوية معاً (٤)، فهناك تواءم بين الوظائف النحوية والمفردات بدلالاتها الأولية، فضلاً عن أنّه يمكن أن نستشف من كلام الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أمرين (٥):

(١) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: ٩٠/٢

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه: ٩١. يُفصي بنا ما ذكرناه إلى الحديث عن مفهومين مهمين في نظرية تشومسكي - وهو من اللسانيين الغربيين المحدثين - وهما: الأول مفهوم السلامة النحوية شديد الاتصال بالبنية التركيبية إذ أنّه يشترط في الجملة أن تكون سليمة من حيث تركيبها النحوي، متماشية وقياس اللغة، أما الاستحسان فإن تكون الجملة مقبولة من الناحية الدلالية أي أنّ تكون مناسبة لمدلولات اللغة المعينة. ولتوضيح هذين المفهومين يورد تشومسكي الأمثلة الآتية:

- 1 Colourless green ideas sleep furiously.
- 2 furiously sleep ideas colour less green.
- 3 John arrives later to school.

فعند تأملنا لهذه الأمثلة نلاحظ أنّ الجملة (١) سليمة من ناحية التركيب النحوي الإنجليزي، أما من ناحية الاستحسان (المعنى) فهي غير مقبولة في الحديث اليومي فضلاً عن المعقول والمنطق إذ لا يعقل أنّ للأفكار ألواناً وأن تكون في الوقت نفسه غير ملونة ثم تنام بغضب، أما الجملة (٢) فإنّها تجمع بين عدم السلامة النحوية وعدم الاستحسان المعنوي، أما الجملة (٣) فنجدها سليمة من حيث المعنى والتركيب النحوي، فهي تتحقق على وفق لما تقتضيه أوضاع اللغة الإنجليزية. ينظر: Structures syntaxiques, Noamchomsky, Ieseuil, Paris, 1969: 54، ومبادئ في اللسانيات (خولة الإبراهيمي): ١٠٥، إذ نجد تشومسكي يميّز بين الجمل النحوية (القواعدية) والجمل غير النحوية، فالمتكلم والسامع المثالي في لغة ما يدرك من خلال قوانين محددة هي (المعرفة اللغوية) أو قواعد إنتاج الكلام وفهمه أو الآلة المولدة - كما يسميها تشومسكي - الجمل المستقيمة المحالة، والجمل غير المستقيمة في القياس والاستعمال، وللمزيد من التفصيل، ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، د. خليل احمد عمارة، عالم المعرفة، السعودية، ١: ٥٦ - ٥٧، وبحوث ألسنية عربية، د. ميشال زكريا: ٤٧ - ٥١، فمفهوم السلامة عند تشومسكي يشبه كثيراً مفهوم الاستقامة عند نحائنا العرب القدماء كما رأينا في نص سيبويه الذي ذكرناه أعلاه.

(٤) مثل هذا الاتجاه عدد من الباحثين المحدثين ومنهم الدكتور نهاد الموسى، ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: ١٠٢ - ١٠٣، والدكتور محمد حماسة، ينظر: النحو والدلالة: ٦٤ - ٦٦ .

(٥) ينظر: آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، د. بشير ابرير، مجلة كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة، العددان العاشر و الحادي عشر، ٢٠١٢ م .

أولهما : بنوي شكلي حسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وتقبله .

و ثانيهما : خطابي إعلامي إخباري ، و هو في أمثلة سيبويه المذكورة في نصه السابق من خلال السياقات اللغوية والمقامات التخاطبية التي ترد فيها ، وهذه ميزة أساسية في كتاب سيبويه فهو يميز بين ما يقتضيه القياس بالنظر إلى النظام العام الذي يميز لغة عن أخرى ، وبين ما يقتضيه الاستعمال بحسب الأوضاع والمقاصد والأغراض التي يريدها المتكلم وهذا ما أراده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح .

ثم يُميّز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، فإذا حُدِّد اللفظ أو فُسِّر بالجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو (معنوي)، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ دون الاهتمام بالمعنى فالتحليل هو (لفظي)، إذ يقول: "ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى. وأعني بذلك أنّ اللفظ إذا حُدِّد أو فُسِّر بالجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي (Semantiquo) لا غير . أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى، فهو تحليل لفظي نحوي (Semiologico grammatical) ، والتخليط بين هذين الاعتبارين يُعدّ خطأ أو تقصيراً"<sup>(١)</sup>. ويقصد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فيما ذكره - أي التفريق بين اللفظ والمعنى - أنّ الفهم الذي يحدث عند اللغويين وليس عن كلام العرب، فهو تحدث عن (الفهم النحوي)، ونقده هذا موجه إلى (الفهم اللغوي)، فهو يلفت انتباهنا إلى ما قاله اللغويون في ذلك<sup>(٢)</sup>، ومن خطتهم العشوائي بين اللفظ والمعنى، والذي يؤدي أحياناً إلى فساد التركيب فضلاً عن المعنى فلا ينبغي أن نقتصر على المعنى أو على اللفظ فقط، على سبيل المثال ما جاء في حدِّ الفعل بأنّه: " ما دلّ على حدثٍ وزمان"<sup>(٣)</sup>، فهذا التحديد على المعنى وهذا جيد ولكنه من وجهه المعنى، أما التحديد على اللفظ فهو " ما تدخل عليه من زوائد معينة ك قد والسين..."<sup>(٤)</sup>. فالاستقامة - في نظره - مرتبطة (ببنية الكلمة) فضلاً عن ارتباطها بالجانب المعنوي والدلالي، فالحكم على هذه الاستقامة بالحسن أو الكذب يتعلق بالمعنى الذي تُقيد عناصر الجملة عندما تترايط نحويّاً، مما يعني أنّ الصواب السياقي هو الذي يُحدّد الوجه النحوي الأكثر ملائمةً للسياق الكلامي. فقد بنى النحاة القدماء تحليلهم على هذا الأساس، يقول د. الحاج صالح: " وقد بنى على ذلك النحاة أنّ اللفظ هو الأول؛ لأنّه هو المتبادر إلى الذهن أولاً، ثم يُفهم

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٨ /١ .

(٢) توصلت إلى ذلك من خلال مناقشتي لهذه الجزئية مع أستاذي الدكتور كريم حسين الخالدي بتاريخ : ٢٠١٤/٣/٣١ م .

(٣) شرح المفصل: ٢/٧، وينظر: الجملة الفعلية، د.علي ابو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م: ٤١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٢/٧، و الجملة الفعلية: ٤٤.

منه المعنى ويترتب على ذلك أنّ الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الأصل الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يُبنى عليه<sup>(١)</sup>.

نُخْص من ذلك إلى القول: إنّنا لو طبقنا المعيار الذي فهمناه من تحليل السيرافي لنص سيبويه في هذا الباب، لوجدنا فيه حلاً لجميع المشكلات التي واجهت محاولات تحليل هذا النص وخاصة الكلام "المستقيم القبيح" فقد جعل السيرافي معيار الاستقامة والإحالة معياراً نحويّاً تركيبياً، ولكنه بمفهومه الواسع الذي أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وهو الذي يتم فيه التفاعل بين المستوى الوظيفي النحوي واختيار المفردات اللغوية المناسبة بدلالاتها لأداء تلك الوظائف، فالتلاحم بين المفردات ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معاً، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنّ المفردات من غير نظام نحوي يحكمها لا يتأتى لها اجتماع إلا في التنظيم المعجمي فحسب والنظام النحوي من غير مفردات تقوم به وتحقق وجوده العقلي وعاء فارغ ولا يقوم إلا في عقول أبناء اللغة<sup>(٢)</sup>.

## ٢- مفهوم الإنفراد أو (الانفصال والابتداء):

يُعدُّ مفهوم (الإنفراد) من المفاهيم المهمة في النظرية الخليلية الحديثة، إذ يُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ منطلق النحاة الأوائل في تحليل اللغة هو من (الاسم المنفرد)، باعتباره النواة أو الأصل الذي تنفرع منه أشياء أخرى.

فقد أطلق الخليل على هذا المفهوم مصطلح (الاسم المظهر)، إذ سيبويه نقلاً عن الخليل: "إنّه لا يكون اسم مظهر على حَرْفٍ أبداً؛ لأنّ المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء"<sup>(٣)</sup>. فالذي يسكت عنده وليس قبله شيء هو الاسم الذي "ينفصل ويبتدأ"<sup>(٤)</sup>. كما أطلق عليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وابن يعيش والرضي الاستربادي مصطلح (اللفظة).

عرّفها الزمخشري - الكلمة - بقوله: "هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع..."<sup>(٥)</sup>. فاللفظة جنس للكلمة؛ لأنّها تشتمل المستعمل والمهمل ودلالاتها على معنى مفرد بالوضع حدد كونها كلمة؛ ولذا كانت كل كلمة لفظة وليس كل لفظة كلمة كما ذكر ابن يعيش<sup>(٦)</sup>. كما عرّفها الرضي الاستربادي بأنّها: لفظ وُضِعَ لمعنى مفرد<sup>(٧)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٩ / ١ .

(٢) ينظر: النحو والدلالة : ١٦٦ .

(٣) الكتاب : ٣٠٤ / ٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٦ / ١ .

(٥) المفصل : ٢٣ .

(٦) ينظر: شرح المفصل : ١٩ / ١ .

(٧) شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستربادي، تحقيق: احمد السيد احمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت : ١٢ / ١ .

واللفظة في النظرية الخليلية تعتمد على مقياسين، أولهما: مقياس (الانفصال والابتداء) أو (الوقف والابتداء)، فهي أقل ما يُنطق به مما ينفصل فيُسكت عنده ولا يلحق به شيء أو يبتدئ فلا يسبقه شيء، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "كان المنطلق - عند النحاة - عندهم كل ما ينفصل ويبتدأ وهي صفة الانفراد، ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه؛ ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطق به مما ينفصل ويبتدأ (=ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية. وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته، ولهذا سمي النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد... وأطلقوا عليها (اللفظة) وترجمناها بـ(lexie)"<sup>(١)</sup>.

فيمكن ترتيب القطع اللغوية بالنظر إلى قابليتها للانفصال والابتداء إلى المراتب الآتية:

أ - وحدات يبتدئ بها ولا يوقف عليها (ما يبتدئ ولا ينفصل)، مثل (حروف الجر)، إلى، في: (في الدار صاحبها)، (إلى القسم).

ب - وحدات لا يبتدئ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ولا يبتدئ)، مثل (تاء الفاعل) في: دخلت، وخرجت.

ج - وحدات يبتدئ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ويبتدئ) مثل: (رجلٌ) للجواب عن (مَنْ دَخَلَ؟).

ونستطيع بعد ذلك أن نحصي جميع القطع الصغرى التي تنفصل عما قبلها يمينا، وما بعدها يساراً

فيبنى بها الكلام، وقد تبين بعد الاستقراء الدقيق أن اللفظة هي أصغر قطعة في الكلام مما يمكن أن تبتدئ وتنفصل<sup>(٢)</sup>.

أما المقياس الثاني فهو مقياس التمكن<sup>(٣)</sup>، إذ تتمثل في قابلية اللفظة على تحمل الزيادة يمينا ويساراً على محور التعاقب، والاسم في العربية أكثر الكلمات تمكناً، إذ يقبل عدداً كبيراً من الزيادات على اليمين و اليسار. فقد حدّد الدكتور الحاج صالح (التفريع) من (النواة = اللفظة) - من خلال ما حدده النحاة القدماء - فتفرع إلى زيادات قبلية وبعديّة عليها، دون أن تخرج عن كونها (لفظة) (أي قطعة واحدة) وقد سمي النحاة هذه القابلية (الزيادة) بـ(التمكن)، ولاحظوا أن لهذا التمكن درجات تترتب كالاتي<sup>(٤)</sup>:

أ - اسم الجنس المتصرف، وهو المتمكن الأمكن .

ب - الممنوع من الصرف، وهو المتمكن غير الأمكن.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٩ / ١ .

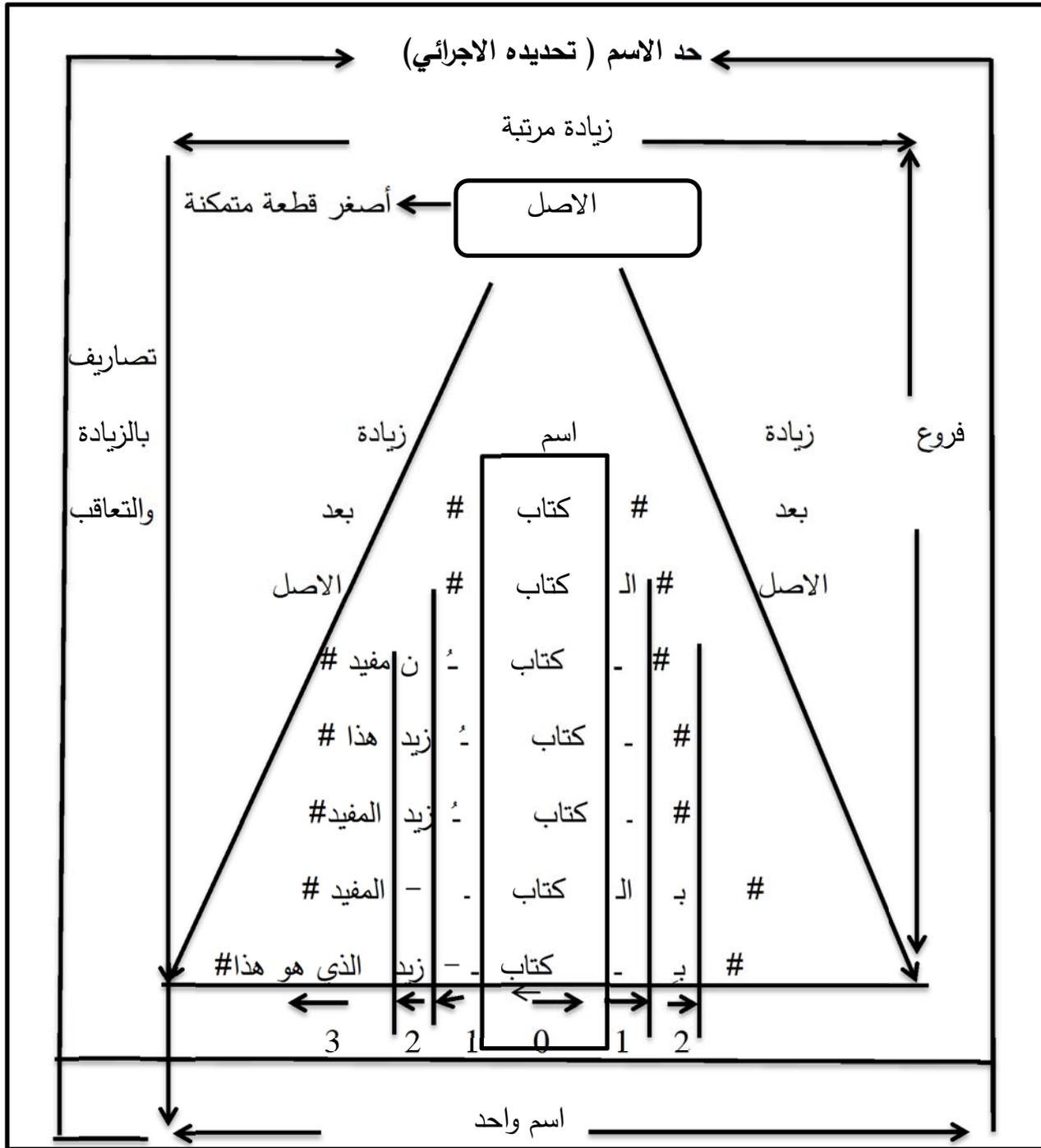
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٤٩ / ١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٠ / ١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ج - المبني، وهو غير المتمكن ولا أمكن.

وبهذا يُحدّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللفظة تحديداً إجرائياً، إذ قدّم مثلاً واحداً لتوضيح هذا المفهوم وهو مثال (اللفظة الإسمية) إذ ذكره كما تصوره صاحب النظرية الخيلية على الشكل الآتي<sup>(١)</sup>:



(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٢٠ / ١ و ٢٥٠. ولا بد من الإشارة الى أن الرمز ( - ، # ) الواردة في الشكل تمثل علامة الابتداء والوقف أو علامة الانفصال والابتداء

يتبين من خلال التحديد الإجرائي السابق للاسم ما يأتي<sup>(١)</sup>:

أ - إنَّ التحويل بالزيادة والتعاقب هو الذي يحدد الوحدات في النظرية الخيلية.

ب - إنَّ الوحدات المحمولة بعضها على بعض تُكوّن مجموعة ذات بنية تسمى في الاصطلاح الرياضي بالزمرة (structure de groupe).

ج - إنَّ كل الوحدات المحمولة بعضها على بعض بعمليات التحويل هي نظائر منواة من حيث إنها وحدات تتفرد أولاً ومتفرعة عنها بالزيادة ثانياً.

فضلاً عن أنّ هذه اللفظة - الإسمية - والعلاقات التي يربط فيها الاسم بما يدخل عليه من علامات ومخصصات ضمن علاقات وصلية، أما أن تكون العلاقة علاقة تخصيص للاسم بمثل دخول أداة التعريف عليه أو تكون علاقة عمل كالتالي تقع بين حرف الجر والاسم المجرور به، فكل وحدة موضعها في اللفظة محددة لا يتغير، إذ إنَّ الترتيب فيها ثابت لا نستطيع أن نقدّم أو نؤخر عنصر من العناصر، وتتعاقب هذه العلامات على الاسم أي أنّ دخول وحدة منها يقتضي خروج الأخرى فإذا دخلت أداة التعريف (ال) ذهبت علامة التنكير أي (التتوين) فهما إذاً يتعاقبان مثلما يعاقب (التتوين) (الإضافة) التي تُعرّف الاسم المضاف وتخصصه على حدّ تعبير سيبويه في ذلك؛ لأنَّ المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتتوين<sup>(٢)</sup>.

أما الموضع الأخير فهو موضع المخصصات (التي موضعها على يسار الاسم) فإنها تضيف معنى آخر لللفظة، والجدير بالذكر أنّ هذا الموضع ليس محصوراً مقيداً من حيث الطول، بل يمكن أن نطوّرها إلى ما لا نهاية كأن نقول: الكتاب في المكتبة التي توجد بالقرب من قاعة المسرح التي عُرضت فيه آخر مسرحية للكاتب المشهور... الخ، إلا أن الاستعمال ينفر من هذا التطويل ولا يستطيع المتكلمون تذكر هذه اللفظة الطويلة التي تجهد المتكلم الذي يتلفظ بها فضلاً عن السامع الذي يتعب عند تتبعها وربما في إدراك معناها. والاسم يخصص بالنعته والبدل والمضاف إليه وبتركيب الصلة والموصول واسم الإشارة، وقد يأخذ المخصص شكل بنية كلام مستغني عن النعت والبدل...، مثل قولنا: كتابك رأيتُه على الطاولة<sup>(٣)</sup>.

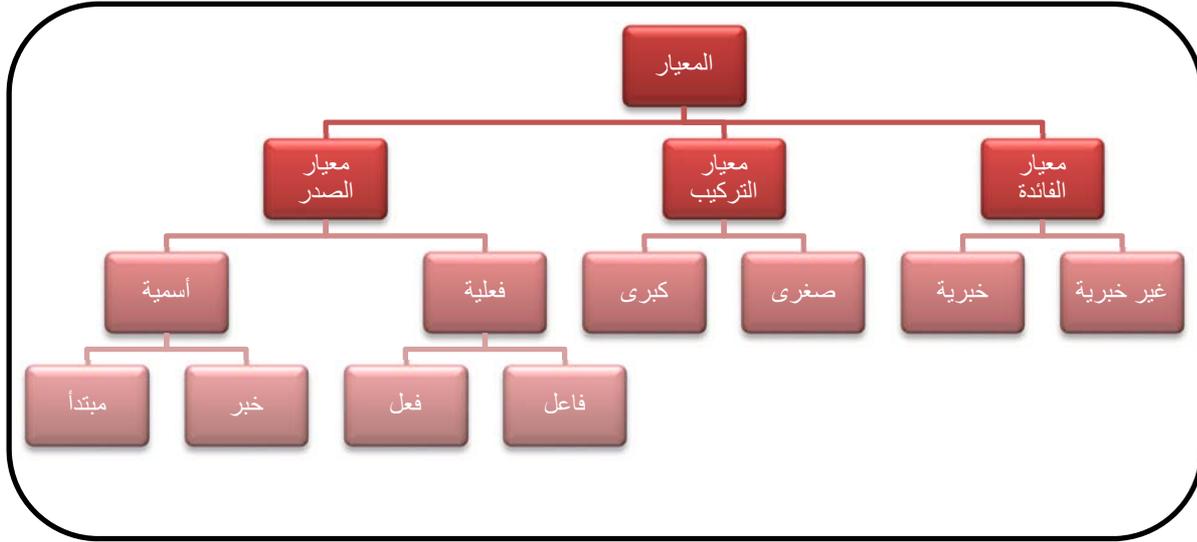
ولابدّ من التنبيه أن مفهوم (الانفصال والابتداء) يُعدّ منطلق التحليل العلمي الرياضي في النظرية الخيلية الحديثة، إذ يمكننا أن نبني انطلاقاً من مقاييس (الانفصال والابتداء) معايير عدّة في تحديد بنية

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١ / ٢٢١ .

(٢) الكتاب: ١ / ١٤ .

(٣) ينظر: مبادئ في اللسانيات: ٩٩ .

الجملة، فالنحاة العرب القدماء انقسموا على فرق<sup>(١)</sup>، فمنهم من انطلق من: معيار الفائدة فقسماها - الجملة إلى خبرية وغير خبرية، أو من معيار التركيب، فقسماها إلى صغرى وكبرى، أو من معيار الصدر، فيقسماها إلى فعلية ذات فعل وفاعل أو اسمية ذات مبتدأ وخبر، ولعلّ المخطط الآتي يوضح انطلاقات العرب في تقسيمهم للمعايير على وفق تقسيماتهم لبنية الجملة:



ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى الفرق بين اللسانيات الخيلية والنظرية التوليدية فضلاً عن البنيوية من خلال مفهوم (الانفصال والابتداء) إذ يُشير إلى أنّ البنيويين يعتمدون على تحليلهم للكلام البشري على مبدأ التقطيع والاستبدال (Sementation/Commutation)، إذ يجزئون المدونة الكلامية إلى قطع ويستبدلون بعضها بأخرى، فإذا بقي الكلام مستقيماً مفيداً، كان دليلاً على القطعة الأولى بأنها وحدة من وحدات هذا الكلام، وأما التوليديون فإنهم يفترضون أنّ كل جملة تنقسم إلى تركيب اسمي وتركيب فعلي (Verb-phrase/Noun-phrase) فهم ينطلقون من شيئين ويمثلون هذه البنية بمشجرين الأول للبنية العميقة والثاني للبنية السطحية<sup>(٢)</sup>.

أما منطلق النظرية الخيلية الحديثة مغاير تماماً، إذ ينطلقون من واقع الحدث الكلامي أي من الخطاب نفسه، ويعتمدون مفهوم (الانفصال والابتداء) أي ما يُكوّن قطعة منفردة في السلسلة الكلامية المفيدة لا يسبقها ولا يأتي بعدها شيء من الزوائد ويمكن الوقوف عليها، فالانفصال والابتداء " يُمكن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام، وبهذا ينطلق الباحث من اللفظ أولاً ولا يحتاج إلى أنّ يفترض أي افتراض كما يفعله التوليديون وغيرهم حينما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها. ولا بُدّ من الملاحظة أنّ هذا المنطلق هو في الوقت نفسه وحدة لفظية (unite Semilogique) لا

(١) ينظر: معني اللبيب : ٢ / ٤٩٠ - ٤٩٧، وشرح المفصل : ١ / ٨٨ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٤٨ .

يُحدِّدها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء ووحدة إفادية unite Communicationnelle؛ لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة... وعلى هذا فهي تحتل مكاناً يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الفعل أو حد الفعل له المقاييس نفسها التي تخص الاسم (اللفظة الإسمية) - الانفصال والابتداء والتمكن -، إلا أن العلامات تتغير وعناصر اللفظة مختلفة؛ إذ إنَّ للفعل علاماته الخاصة، فإنَّه تتصل به زوائد تُغيِّر بنائه، وتحوله إلى قطعة لغوية جديدة قابلة بدورها للانفصال والابتداء، وهي: تاء التأنيث، ونون النسوة، وأداة الجزم والنصب وأحرف المضارعة<sup>(٢)</sup>.

### ٣- مفهوم الموضع والعلامة العدمية:

يرد كثيراً في كلام النحاة القدماء مجيء عبارات فيها لفظة (موضع)، على سبيل المثال ما جاء في الكتاب: " هذا موضع لا يدخله..."<sup>(٣)</sup>، و " موضعه اسم منون"<sup>(٤)</sup>، ويقول المبرِّد (ت ٢٨٥هـ): " فمن ذلك الأسماء كم وأين وكيف وما ومتى وهذا هؤلاء وجميع المبهمة، ومنها الذي والتي ومنها حيث، وأعلم أنَّ الدليل على أنَّ ما ذكرناه أسماء وقوعها في مواضع الأسماء وتأديتها ما تؤديه سائر الأسماء"<sup>(٥)</sup>. فنلاحظ أنه لا تكاد تخلو فصول كتب النحاة القدماء من لفظ (الموضع) أو ما يشتق منه؛ إذ إنَّ النحويين يعتمدون على (مفهوم الموضع) في تفسير كثيراً من الأبواب النحوية، فما هو الموضع عند النحاة القدماء؟ وهل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية (اللفظة) في مدرج الكلام أو شيء أكثر من ذلك تجريداً؟ وهل يوجد ما يماثل أو يقارب هذا المفهوم في اللسانيات الحديثة؟

ونجد فيما ذكره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أجوبة للأسئلة الآتية الذكر، إذ نجده يؤصِّل لمفهوم المصطلح عند النحاة القدماء، فضلاً عن وجود ما يقاربه أو يماثله في اللسانيات الحديثة من خلال النظرية الخليلية الحديثة، إذ إنَّه باعتماده على ما ورد في كُتب القدماء يوضِّح لنا هذا المفهوم - الموضع - وما يعنيه عندهم.

يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنَّ النحويين القدماء قد استعملوا مفهوم (الموضع)، كمقياس لمعرفة جنس العنصر اللغوي وحكمه<sup>(٦)</sup>، وهذه المواضع جاءت على مستويات عدَّة كما يأتي<sup>(٧)</sup>:

(١) بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٢١٩ / ١ .  
 (٢) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ٩٩ .  
 (٣) الكتاب : ٢٢٦ / ١ .  
 (٤) المصدر نفسه : ٢٧٦ / ١ .  
 (٥) المقتضب : ١٧٢ / ٣ .  
 (٦) ينظر: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ١٠ / ٢ .  
 (٧) ينظر: المصدر نفسه : ١٠ / ٢ - ١٦ .

أ - الموضع في مستوى التركيب:

ويقصد به أنّ "الوحدات اللغوية مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فإما أن يقبح ذلك في غير الشعر وإما أن يكون لحناً لم تتكلم به العرب، والموضع تعرف به أجناس هذه الوحدات، فكل وحدة تستطيع أن تدخل في موضع الأسماء أو موضع الأفعال أو موضع حروف المعاني، فمعنى ذلك أنّها تتدرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها وحكمها (= مسلكها واحوالها) مثل مجراها وحكمها.. وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع فيتحول حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجري مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع"<sup>(١)</sup>.

ويستشهد بآراء لعلمائنا القدماء، إذ يُورد أقوالاً لهم ليستدل بآرائهم إلى ما هو صواب، إذ يذكر قول المبرّد في هذا الصدد: أما مَنْ فتكون فاعلة ومفعولة وغير ذلك... وموقعها في الكلام في ثلاثة مواضع: تكون خبراً معرفة إذا وصلت، ونكرة إذا أنكرت، وتكون استفهاماً وجزاء<sup>(٢)</sup>. ففي قول المبرّد السابق يشير الحاج صالح إلى أنّه "قد يقع الاسم موضع الحرف فيبنى ولاسيما إذا لزم هذا الموضع وهذا هو سرّ بناء كل الأسماء التي تقع في موضع الحرف ويقضي ذلك أنّها تُضمّن معناه، دون أن يخرجها من كونها أسماء؛ لأنّه - وهذا شيء امتاز باكتشافه العرب - قد يقع الشيء في موضعين أو أكثر في العبارة نفسها ومعنى ذلك أنّه يستطيع أن يغطي أكثر من موضع في عبارة واحدة، وذلك مثل (مَنْ) - التي هي الأصل في الاستفهام - ... فإنّها تقع في موضع الحرف، تكون بمنزلة الهمزة... فتقدم وجوباً وتكون في التركيب نفسه في موضع الخبر... وليس من الضروري أن يكون مجرى الشيء مماثلاً تماماً لمجرى الباب المنقول إليه موضعه"<sup>(٣)</sup>.

ويستنتج الحاج صالح بأنّ الموضع شيء ومحتواه - أي ما يدخل فيه - شيء آخر، ويرى بأنّه هناك أمراً مهماً جداً قد فات عدد من اللسانيين الغربيين وأتباعهم من العرب وهو أنّ "موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها"<sup>(٤)</sup>، ويوضّح ذلك بقوله: "إنّ الاهتمام بما ظهر في اللفظ وموقعه أي الموقع الذي تقع فيه في كلام محصّل (actualized) في مكان محسوس من كلام ملفوظ بالفعل هو جوهر المذهب الذي اختص به المنتمون إلى المدرسة الاستغراقية أو القرائنية الأمريكية. فالـ (Distribution) عندهم هو استغراق القرائن التي يمكن أن تكتنف بها الوحدة أي جميع مواقعها الممكنة في الكلام أو كما يقول عنها الرمانى: (قسمة المواقع)"<sup>(٥)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١٠/٢ - ١١.

(٢) ينظر: المقتضب: ٥٦٥/٢، و٥٦٧ - ٥٦٩، و٥٧٣ - ٥٧٧.

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١١/٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه: ١٢/٢.

ب - الموضع في مستوى اللفظة:

يُشير الدكتور الحاج صالح إلى أنّ الموضع في الألفاظ (الأسماء أو الأفعال) تدخلها الزوائد وتخرج منها بعمليات الوصل Simple concatenation<sup>(١)</sup>، إذ إنّه كثيراً ما يُشير سيبويه إلى مثل هذه المواضع أي: الأشياء الداخلة على اللفظة، مثل: "هو من اسمه"<sup>(٢)</sup> وقد ينفي ذلك بالنسبة إلى أشياء لا تدخل عليه فيقول: "ليست من اسمه"<sup>(٣)</sup> أو "هو منفصل عنه"<sup>(٤)</sup>، وعليه فاللفظة تقتضي عدداً من المواضع يكون كل واحد منها موضعاً خاصاً لإحدى الزوائد التي تدخل على اللفظة (اسم أو فعل) في تصوّر الخليل وسيبويه أي كبنية ومثال، وتُمثّل هذه الزيادات (التحويلات التفرعية) التي يتم من خلالها الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع أو العكس (ردّ الفروع إلى أصلها)، وعلى الرغم من الاختلاف الموجود، من حيث الطول والقصر بين العبارات التي تظهر بالتحويل التفرعي في داخل المثال المولد للفظّة scheme generateur؛ (كتاب، الكتاب، بالكتاب، كتابُ زيدٍ، الكتابُ الذي قرأته أمس... الخ)، إلا أنّها تُعدّ عبارات متكافئة باصطلاح الرياضيات، ولا يخرجها ذلك عن كونها لفظة، وبهذه العمليات التحويلية الخيلية يتحدد موضع كل عنصر في داخل المثال، كما في الشكل الآتي<sup>(٥)</sup>:

حروف الجر	أداة التعريف	النواة الاسمية	علامة الاعراب	التنوين او المضاف اليه	الصفة
2	1	0	1	2	3

ج - الموضع في مستوى الكلم:

إنّ الموضع في مستوى الكلم يتحدد من خلال (الكلمة = اللفظة)، فالكلمة المفردة المتصرفة تتحلل إلى مادة أصلية ومثال أو وزن، على سبيل المثال: (كَتَبَ، كتاب، مَكْتَبٌ، ... الخ) فلكل حرف موضع هو رتبته<sup>(٦)</sup>. وقد التقت العلماء القدماء إلى وزن الكلمة، وقد حدّدها الرضي الاستريادي بقوله: "عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه"<sup>(٧)</sup>. فجزر الكلمة (ف ع ل) موضعه متغيرة، ومواضع الزوائد وهي الثوابت بالنسبة للوزن، ويُشير الدكتور الحاج صالح إلى أنّ الموضع - هنا - اعتبارياً؛ لأنّه "موضع الفاء أو العين أو اللام مثلاً قد يكون خالياً، وذلك مثل (ف) في صيغة الأمر من (وفى) فموضع الفاء وموضع اللام خاليان"<sup>(٨)</sup>. ثم يبيّن الفرق بين هذا

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٢٢ / ١ .

(٢) الكتاب: ٤٤ / ١ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٢ / ١ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٨ / ١ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٢٢ / ١ و ١٤ / ٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٥ / ٢ .

(٧) شرح كافية ابن الحاجب: ١٤ / ١ .

(٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١٥ / ٢ .

المستوى (مستوى الكلم) والمستويات السابقة هو أنّ "الخلو هنا قسري واضطراري وهو لعارض صوتي، أما مستوى اللفظة وما فوقها فهو من محض اختيار المتكلم... ثم هناك فرق آخر بين مستوى التراكيب وما تحته وهو أنّ العناصر الداخلة في اللفظة والداخلة في الكلمة لا يمكن أن يحصل فيها تقديم وتأخير، أما المستوى الأعلى فيمكن ذلك في بعض الأوضاع لكن بشروط معينة"<sup>(١)</sup>.

د - الموضع في مستوى الخطاب:

يرتبط الموضع في مستوى الخطاب بالكلام وحكمه ما إذا كان استفهاماً أو خبراً أو أمراً أو نهياً أو غير ذلك<sup>(٢)</sup>، وهذا الموضع أشار إليه النحاة القدماء، يقول المبرّد: "وإنما تنظر في هذه المصادر إلى معانيها فإن كان الموضع بعدها أمراً أو دعاءً لم يكن إلا نصباً"<sup>(٣)</sup>. فضلاً عن أنّ هذا المستوى مرتبط ارتباطاً مباشراً بالمستويات السابقة (التركيب، اللفظة، الكلم).

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ المواضع التي هي حول النواة (الإسمية أو الفعلية) يميناً ويساراً تدخلها الزوائد (العناصر اللغوية) وتخرج منها بعمليات الوصل، وقد تكون فارغة، أي خالية من العنصر؛ لأنّ الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر. وهذا الخلو من العنصر مع بقاء أو ثبات الموضع هو ترك للعلامة وخلو منها، ويطلق الدكتور الحاج صالح على هذا المفهوم العلامة العدمية (Expression zero)<sup>(٤)</sup>، ويرمز لها بالعلامة ( Ø ) وتعني عدم وجود الكلام جملة جملة، وقطعة بعد قطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية كما هو الشأن عند البيهقيين (الانطلاق في التحليل من ظاهر الكلام فقط)، بل يحملون هذا النحو على ذلك حتى يظهر الترتيب والنظم (لا الصفات الذاتية فقط).

ويخلص الدكتور الحاج صالح إلى أنّ مفهوم الموضع والمثال لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً؛ وذلك لأنّ التحليل عندهم يقتصر على ظاهر الكلام، والعرب أيضاً ينطلقون من الكلام في ظاهره، لكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة فيقابلونها لإظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية... فيتمكنوا بذلك من استنباط المواضع في داخل المواضع، وهذا الحمل هو عملية رياضية<sup>(٥)</sup>، وهذا هو أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي عن اللسانيات الغربية الحديثة<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن تنبيهه - الدكتور الحاج صالح - على أنّ الموضع شيء ومحتواه أي ما يدخل العلامة الظاهرة شيء

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦ / ٢ .

(٣) المقتضب: ٢٢١ / ٣ .

(٤) أشار الحاج صالح إلى ما ذكره سيبويه وهو "الخلو من العلامة" أو "تركها"، الكتاب: ٧/١ و ٣٤٠.

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢١ / ٢ - ٢٢، و ٢٥١ / ١ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩ / ٢ .

آخر، والواقع أنّ عدم وجود العلامة هي في حدّ ذاتها علامة، فضلاً عن أنّها رمز رياضي محض<sup>(١)</sup>، وتختفي هذه العلامة في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، فعلمة التذكير العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المؤنث (باحث - باحثة)، وعلامة المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في التثنية والجمع، وعلامة الابتداء العدمية (التجرد من العوامل)<sup>(٢)</sup> تقابلها علامات لفظية ظاهرة وتنطبق العلامة العدمية أيضاً على التقابل بين الحروف الصوتية، كعدم غنة الباء في مقابل غنة الميم وكلاهما له مخرج واحد.

إنّ هذه الطريقة في تحليل الكلام، واكتشاف البنية الجامعة للكمية الكبيرة من الأثناء، قد بناها النحاة القدماء على عدد من المفاهيم والتصورات، وعدد من الأساليب في علاج الكلام، فالنحاة العرب - كما يقول الدكتور الحاج صالح - ينطلقون من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون عليه شيء آخر، وأنّ موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها، وهذا مما فات على الكثير من اللسانيين الغربيين والعرب المحدثين<sup>(٣)</sup>، فنجد - على سبيل المثال - من الباحثين المحدثين<sup>(٤)</sup> من يعدّ الموضع والموقع شيئاً واحداً، إذ يردّ عنده مصطلح (الموقعية) بمعنى (الموضع)، فعرفها: بأنّها (الكلمة الموقعية) تشير إلى قيمة الموقع، والمعروف أنّ الموقع لا يكون منسوباً إلى الكلمة المفردة، وإنما يكون حين توجد الكلمة في سياق يربطها بكلماتٍ أخرى في الجملة، فكلمة (الموقع) عبارة عن مكان الكلمة بالنسبة لما يصاحبها من الكلمات<sup>(٥)</sup>.

#### ٤- مفهوم العامل:

لا تكاد تخلو كتب القدماء والمحدثين من (مفهوم العامل)<sup>(٦)</sup>، إذ يعدّ العامل أو العمل النحوي<sup>(٧)</sup> الفكرة التي تأسس عليها (النحو العربي)، إذ " تأتي أهمية هذه الفكرة من كونها أساساً لفهم معاني النحو،

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٢٢ / ١، وتجدر الإشارة إلى أنّه على الرغم من أنّ اللغويين اقتبسوا مفهوم (العلامة العدمية) من مفهوم المجموعة الفارغة المستعمل في الرياضيات الحديثة إلا أنّ هذا المفهوم معروف منذ عصور خلت عند الهنود القدماء والعرب، ينظر: مبادئ في اللسانيات : ٩١ .

(٢) التجرد من العوامل يدخل أيضاً في (العلامة العدمية) أو كما يسمى (نظرية الصفر الإعرابي)، فعلى سبيل المثال كلمة (زيد) من غير أن تكون متأثرة بأي عامل (لفظي أو معنوي) لا يمكن الحكم عليها بأنها مرفوعة أو مجرورة أو منصوبة، لهذا نفترض أنّ القيمة الإعرابية لها صفر (ورمزها Ø)، فإذا أدخلناها في جملة - مثلاً - (زيد مجتهد) أصبحت قيمتها الإعرابية (الرفع)، أي أنّ الكلمة المعربة تنتقل من حالة الصفر الإعرابي إلى حالة الإعراب عندما تدخل الجملة. ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين : ١٥١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١١ / ٢ .

(٤) هو الباحث حسين رفعت حسين في كتابه: الموقعية في النحو العربي - دراسة سياقية.

(٥) ينظر: الموقعية في النحو العربي - دراسة سياقية، حسين رفعت حسين، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٥م : ١٩ .

(٦) يطلق عليه الدكتور فاضل السامرائي مصطلح (نظرية)، إذ يقول: " من المعلوم أنّ النحو قام على أساس نظرية (العامل)". الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، د. فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١ : ٦٣ .

(٧) يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ الأوربيين قد ترجعوا في القرن الثالث عشر الميلادي مصطلح (عمل) العربي إلى اللاتينية Regere بمعنى عمل في اللفظ الإعراب، ومنها جاءت كلمة Rection في النحو الأوربي، ثم قلّ اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتى أحياء تشومسكي من جديد باسم Government وهي أيضاً تسمية قديمة. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٦ / ١ .

تُفسّر كثيراً من ظواهره تفسيراً تعليمياً، وتقود إلى معرفة أسرار التراكيب اللغوية، وما تتضمنه من علاقات ترتبط بالمعنى، يستدل عليها بأصول استقراها العلماء من النصوص وجعلوها أشبه بالنظرية<sup>(١)</sup>.

فقد انطلق منه سيبويه في أقدم أنموذج في النحو العربي وصل إلينا، وتطوّر بعد ذلك بتطور أساليب صوغ قواعد النحو العربي، حتى ترسّخ في التراث النحوي (مفهوم العامل) الذي من خلاله تضبط العلاقات النحوية بين عناصر الجملة العربية، وتفسّرها ظاهرة الإعراب. ويعني القدماء بالعامل: "العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظاً ومعنى على غيره كجميع الأفعال العربية وما يقوم مقامها، فهو معقول من منقول"<sup>(٢)</sup>، وقد سلك نحاة العربية في تعريفه مسلكين<sup>(٣)</sup>:

الأول: عدّ العمل جالباً لأثرٍ إعرابي على المعمول لأجل المعنى.

والثاني: قصر دور العامل على جلب الأثر الإعرابي من غير قرن العامل والمعمول بالمعنى بصفة مطرّدة.

والمسلك الأول أكثر دقة في فهم فكرة العامل؛ ذلك أنّ القدماء أدركوا أنّ العوامل اللفظية أمارات ودلالات<sup>(٤)</sup> وليست ألفاظاً يُؤثر بعضها في بعض وقد عبّر ابن جني عن هذا الرأي بقوله: "ومثله اعتبارك باب الفاعل والمفعول به بأن تقول رفعت هذا لأتّه فاعل، ونصبت هذا لأتّه مفعول فهذا اعتبار معنوي لا لفظي، ولأجله ما كانت العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة إلى أنّها معنوية، إلا تراك إذا قلت: صرّب سعيداً جعفرًا فإنّ (صرّب) لم تعمل في الحقيقة شيئاً، وهل تحصّل من قولك: صرّب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة (فعل) فهذا هو الصوت والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل. وإنّما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي ليرؤك أنّ بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم إنّما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنّما قالوا لفظي ومعنوي، لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح"<sup>(٥)</sup>.

(١) نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٨١ .

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي (ت ٩١١هـ) : ٣ .

(٣) ينظر: تسلط العامل وأثره في الدرس النحوي، احمد علي محمد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩١م : ٢١ ، ودلالة الإعراب لدى النحاة القدماء ، د.بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٩م ، والعامل النحوي بين مؤيديه ورافضيه ودوره في التحليل اللغوي ، د.خليل عميرة ، جامعة اليرموك ، د.ط ، د.ت : ٤٩ فمابعدا .

(٤) أود أن أشير إلى أن العامل الحقيقي هو (المعنوي)، بدليل قول أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، إذ قال: " فالعوامل اللفظية ليست مؤثرة في المعمول حقيقة وإنما هي أمارات وعلامات، فإذا ثبت أنّ العوامل في محل الإجماع هي أمارات وعلامات فالعلامة تكون بعدم الشيء كما تكون بوجود شيء... وإذ ثبت هذا جاز أن يكون التعري من العوامل اللفظية عاملاً". أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: بركات يوسف هبؤد، دار الأرقم بن أبي الأرقم : ٦٨ - ٦٩ .

(٥) الخصائص : ١٠٩ / ١ - ١١٠ .

فكل حركة من الحركات الإعرابية التي تظهر على أواخر الكلم، وكذلك كل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما يجيء تبعاً لعامل في التركيب، فلا نجد معمولاً إلا وتصور له العلماء الأوائل عنصراً لفظياً أو معنوياً مهماً هو العامل الذي يكون مع معموله زوجاً مرتباً Coupleordonne ، وينطلق النحاة من العمليات الحملية الإجرائية (حمل الشيء على الشيء) فيحملون مثلاً أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة وينطلقون من الجملة التي تتكون من عنصرين، نحو: زيدٌ منطلقٌ، ثم يشرعون في تحويلها بالزيادة مع إبقاء النواة (كما فعلوا باللفظة) للبحث عن العناصر المتكافئة أي البنية التي تجمع وتشارك فيها الأنواع الكثيرة بل اللامتناهية من الجمل<sup>(١)</sup>. ويُصِرَّح (سيبويه) في (الكتاب) أنّ عنصرين اثنين لا تكاد تخلو منهما أبداً البنية اللفظية للجملة، وهما العامل والمعمول الأول<sup>(٢)</sup>.

والعامل في النظرية الخيلية الحديثة نوعان<sup>(٣)</sup>:

أ - ما أثر نحويّاً كالنواسخ والأفعال.

ب - ما أثر دلاليّاً، وهو المسمى بمستوى التصدير وما فوق العامل.

ولهذين النوعين ثلاثة أشكال، " فقد يكون الابتداء (العلامة العدمية) المؤثرة في البناء التركيبي الإسنادي الاسمي، أي في المبني و المبني عليه، أو اللفظة المفردة ذات خاصية الاستقلال في التركيب كالأفعال أو التركيب الجملي المؤثر في المنصوبين، نحو: حَسِبْتُ الولدَ ناصحاً. وهو يشمل الأفعال التي تنصب مفعولين<sup>(٤)</sup>. وتجدر الإشارة الى أنّ موضع العامل ليس له مكان معين في مدرج الكلام، بل هو موضع في داخل المثال أو الحد. فالعامل شيء و محتواه شيء آخر. فقد يكون في موضع العامل (فعل تام) أو (فعل ناسخ) أو (إنّ وأخواتها) أو تركيب آخر، كما في المصنوفة اللفظية (التركيبية) الآتية<sup>(٥)</sup>:

موضع العامل	موضع المعمول الاول	موضع المعمول الثاني
-------------	--------------------	---------------------

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٢٢ / ١ - ٢٢٣ .  
(٢) ينظر: الكتاب : ٢٣ / ١ . وأود أنّ أشير إلى أنّ هناك بعض الدراسات ترى أنّ الخليل بن احمد هو الذي نفذ إلى فكرة العامل من ملاحظة التفاعل بين الحركات والحروف والكلمات، وما بين الأصوات من تآلف وتنافر وأثر الاستعمال في كثير من الأبنية والجمل . ينظر: مدرسة الكوفة، د. مهدي المخزومي : ٢٧٤ .  
(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥١ / ٢ ، والعامل بين النظرية الخيلية الحديثة والربط العاملي لنعم تشومسكي : ١٣ .  
(٤) المصدر نفسه : ٨٧ / ٢ - ٨٩ .  
(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٢٣ و ٨٨ / ٢ .

→ الاصل والنواة	منطلق	زيد		← الابتداء (الخلو من العوامل اللفظية)
	منطلق	زيداً	إن	
	منطلقاً	زيد	كان	
	منطلقاً	زيداً	حسب	
الاصل	منطلقاً	زيداً	أعلمت عمراً	
	.....	زيد	قام	
	عمراً	زيد	ضرب	
	عمراً	ث	ضرب	

### عمليات تحويلية للبحث عن العناصر المتكافئة

فلاحظ في الجدول السابق أو كما يسميها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (المصفوفة اللفظية) ملاحظات عدة منها<sup>(١)</sup>:

١- إنَّ الأصل يتحدد بعدم الزيادة عامة فموضع الزيادة على الأصل فارغ، ويشير إليه الدكتور الحاج صالح بالعلامة الرياضية (  ) .

٢- إنَّ العامل هو العنصر الذي يتحكم في التركيب الكلامي ويؤثر فيه بل هو المحور الذي يبني عليه وقد يكون مساوياً لـصفر - كما رأينا - وهذا الذي يسميه القدماء بالابتداء. يعمل العامل في المعمول الأول والمعمول الثاني لفظاً ومعنى، إذ يكون سبباً في إعرابهما وسبباً في تغيير المعنى ولكن الأهم هو أنَّه سبب بناء الكلام فلا كلام مفيد بدون بنية يكون أساسها العامل.

٣- العامل والمعمولان (الأول والثاني) والمخصص - إن وجد - هي الوحدات المجردة التي تبني عليه أبنية الكلام (التركيب) وليست اللفظة وحدها أو تركيبها مع ألفاظ أخرى. فالعامل - مثلاً - هو كيان اعتباري، فهو موضع في داخل بنية (وليس موقعاً في تسلسل الكلام)، والدليل على ذلك أنَّ محتواه قد يكون كلمة واحدة (إنَّ)، وقد يكون لفظة (حسبُ)، وقد يكون تركيباً بأكمله (أعلمتُ عمراً)، والأهم من كل هذا أنَّه قد يكون... "لاشيء" بالمعنى الرياضي أي صفراً، وهو عند العرب الخُلُو؛ لأنَّ هذا الموضع قد يخلو ويتجرد من العامل الملفوظ.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٨٨ - ٩٠ .

٤- لكل تحويل أو تفرع عملية تعتبر نظيرة له، يمكن أن تردّ كل وحدة في هذا(المثال المولّد) إلى ما كانت عليه فيما سبقها.

٥- يمكن أن يُشار إلى هذه الكيانات وعلاقاتها بعضها ببعض بهذه الصيغة:

$$[ع ← م١ ± م٢ ± خ]$$

(ع= العامل، م١= المعمول الأول، م٢= المعمول الثاني، خ= المخصص).

(م١ — م٢) هو زوج مرتب يُشير إلى أن م١ لا يمكن أن يتقدّم أبداً على ع(العامل).

فالدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يُثبت امتناع تقديم المعمول الأول على عامله، إذ إنّ عبارة سيوييه: "أول ما تشغل به الفعل"<sup>(١)</sup> تستلزم - كما يقول الحاج صالح - شيئاً آخر وهو استحالة تقدّم المعمول الأول على عامله مهما كان، فإذا تقدّم تغيّرت بنية الجملة دون معناها الوضعي<sup>(٢)</sup>.

نستنتج مما ذكرنا أن العامل في النظرية الخيلية الحديثة نوعان<sup>(٣)</sup>:

١- عامل تركيبى ويسميه الحاج صالح لفظي أو بنائي يهيمن على بناء الجملة.

٢- عامل معنوي يحدد المعاني النحوية كالمفعولية والفاعلية والحالية... الخ، المتعاقبة على اللفظ بتعاقب العامل اللفظي.

فمفهوم العمل إذاً، هو مفهوم إجرائي يمكن أن تفرع عليه وبه جميع الإمكانيات التعبيرية الخاصة بالوضع اللغوي العربي. وقد لاحظ (تشومسكي)(مفهوم العامل النحوي) في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيراً على الصورة التي جاءت في النحو العربي<sup>(٤)</sup>، فالعامل كمفهوم موجود في التراث اللساني العربي والغربي على حدّ سواء؛ إلا أنّه يتميز فيهما ببناءً، قانوناً ودلالة<sup>(٥)</sup>، لتمايز البيئة والحضارة ومنهج المعالجة.

(١) الكتاب : ٨٠ / ١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٢٥ / ١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٥ / ١، و العامل بين النظرية الخيلية الحديثة و الربط العملي لنوع تشومسكي : ١٧ .

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث : ١٤٨ .

(٥) مقدّمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر : ١٤٨ .

والنظرية الخليلية الحديثة باعتمادها مفهوم العامل - كما اعتمده النحاة القدماء - تسعى لإخضاعه - مفهوم العامل - إلى العلاج الآلي، للغة العربية من أجل إبراز ما قدّمه العلماء الأولون، وكشف أسرارهم اللسانية وإعادة الاعتبار للعامل؛ "لأنه ليس من المعقول أن يُجهل كل الذي تركوه لسبب واحد وهو قدّمه وعدم ظهوره في عصرنا الحاضر"<sup>(١)</sup>.

إنّ كتاب سيبويه ذا الطابع العلمي والتعليمي لم يلتق مع اللسانيات الغربية فحسب، بل إنّه طرح أيضاً مفاهيم أساسية وأسس في المدرسة الخليلية الممتدة عبر الزمن، إذ يُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ (مفهوم العامل) هو من أهم ما أبدعته (المدرسة الخليلية القديمة)، خلافاً لما يدّعيه المدّعون، يقول الحاج صالح: "فإنّ نظرية العامل هي من أروع ما أبدعه الخليل بن احمد وأصحابه (رحمهم الله) ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية؛ وذلك لأنّ مفهوم العمل هو المفهوم الدينامي الذي يبني عليه المستوى التركيبي للغة، فبفضله يستطيع اللغوي أن يرتقي إلى مستوى أكثر تجريداً من المستويات السفلى التي تحتوي على الوحدات الخطابية ومقوماتها القريبة. وهذا هو في الواقع أعمق بكثير من القول بأنّ مستوى التركيب Syntax هو ناتج عن تركيب الوحدات الدالة التي هي المورفيمات في اصطلاح الغربيين. وأول دليل على ذلك هو إمكانية استغلال العمل... في معالجة النصوص بالحاسب. فنظرية العامل يستطيع بها اللغوي أن يمثل بها أبسط الكيفيات وأنجحها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية؛ لأنّها تصوغ التركيب في قالب رياضي دقيق ويرتقي بها من مستوى مادي معقد إلى مستوى صوري مجرد قابل للصياغة ومن ثم للاستخدام في الحاسبات الإلكترونية"<sup>(٢)</sup>؛ لذا توجب إعادة هذا المفهوم العاملي، إذ ليس من المعقول أن يُجهل لقدمه، بل يتوجب إحياء التراث العاملي كمفهوم حديث في الوقت الحاضر، وليكن إحياء هذا المفهوم خطوة مهمة من خطوات التجديد، إذ لا تجديد إلا بعد فهم التراث اللغوي القديم وتمثله، وإنّ كل تجديد لا يجعل من دراسة القديم أولى خطواته هو تجديد أبتّر إن لم يكن هدماً وإفساداً، وما أكثر النفائس القيّمة من كتب اللغة وعلومها<sup>(٣)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٩٠ / ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٠ / ١ - ١٧١ .

(٣) ينظر : النحو العربي - العلة النحوية نشأتها وتطورها ، د.مازن المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٤م : ١٦٤ .

## ٥- مفهوم الأصل والفرع:

إنّ النظام اللغوي عند العرب القدماء مبني كُله على أصولٍ وفروع، فميّز العلماء بين الأصل والفرع كمفهومين؛ فالأصل: " ما يُبنى عليه ولا يبنى على غيره، ويمثل النواة أو العنصر الثابت الذي يستقل بنفسه ولا يتغير"<sup>(١)</sup>، أما الفرع أو الفروع بذاتها: " فمتغيرات متعددة يتعلق وجودها بالأصل وبصفاتھا الذاتية"<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل علماءنا العرب القدماء<sup>(٣)</sup> النظام اللغوي كُله أصولاً وفروعاً، - فكما ذكرنا - الفرع هو الأصل مع زيادة، أي مع شيء من التحويل، ويحصل ذلك بتقريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها ومن ثم أصولاً لها.

ويُبيّن ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمي هو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها، وهو البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل، ومثال ذلك هذه المتتاليات المستقاة من التراث اللغوي العربي وهي ما أوردها سيبويه في كتابه<sup>(٤)</sup>:

- مررتُ برجلٍ راكبٍ وذاهبٍ.

- مررتُ برجلٍ راكبٍ فذاهبٍ.

- مررتُ برجلٍ راكبٍ ثم ذاهبٍ.

- مررتُ برجلٍ راكعٍ أو ساجدٍ (بمنزلة إما و إما...).

- مررتُ برجلٍ راكعٍ لا ساجدٍ (إما غلط فاستدرك وإما نسي فتذكر)... الخ.

فهذا ما انطلق منه اللغويون العرب القدماء (الجملة الأصل) فيحملون عليها جملاً أخرى فيها زيادة فتكون الفرع للجملة الأصل البسيطة، بحيث تظهر بذلك تحوّل النواة بالزوائد، وهي في الحقيقة مقارنة بنوية أساسها تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طرداً وعكساً. فالمذكر مثلاً أصل والمؤنث فرع، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرع عليه، والجملة المبنية للفاعل أصل والمبنية للمفعول فرعٌ عليها.

(١) أصالة الخطاب في اللسانيات الخيلية الحديثة : ١١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ولاسيما (الخليل وسيبويه).

(٤) ينظر: الكتاب : ١ / ٤٢٩ - ٤٣٠ .

وهذا التحليل يُعدُّ الأقرب إلى الإجراءات الرياضية الحاسوبية وأكثر دقة من التحليل التركيبي الذي يعتمد على التقطيع والاستبدال، إذ ينطلق الخليليون من أقل ما ينفرد ويمكن التخاطب به، ويولدونه بعملية تفريعية تحويلية أي بالزيادة على الأصل<sup>(١)</sup>، كما رأينا في أمثلة سيبويه التي جاء بها.

وقد استدلت الدكتورة عبد الرحمن الحاج صالح على تميّز النحو العربي عما عرفته اللسانيات الغربية من مفاهيم، بمفهوم (الأصل والفرع)، فقد كَثُر استعماله عند النحويين العرب، فقد جاء في كتاب سيبويه: "لأنَّ الأسماء كُلَّها أصلها التذكير"<sup>(٢)</sup>. وكذلك "المفرد أصل للمثنى والجمع"<sup>(٣)</sup>؛ وذلك لأنَّ المؤنث يتحصل بزيادة شيء على المذكر، وكذلك المثنى والجمع بالنسبة للمفرد<sup>(٤)</sup>.

فالعناصر اللغوية مراتب؛ أي أنّ كل كيان لغوي إما أصل يبني عليه غيره، أو فرع يبني على أصل، وما يسمى بالاشتقاق: فهو تفريع خاص بالكلم، والتصريف هو العمليات التحويلية التي تجري على اللفظ (زيادة، حذف، قلب، تقديم... الخ)، أما التراكيب فأقلّها عناصراً تُعدُّ أصولاً بما هو أكثر منها<sup>(٥)</sup>.

إنَّ مفهوم (التفريع) من المفاهيم التي انفرد بها النحو العربي، فالألفاظ أو الجمل قد تتفرع إلى أنماط جديدة بزيادات (أي تحويلات)<sup>(٦)</sup>، وهذا مفهوم قار في اللسان؛ لأنَّ اللغة - وكما يؤكد علماءنا العرب - كلُّها أصول وفروع<sup>(٧)</sup>، فالتحويل - إذاً - هو الذي يحدد الوحدات في النظرية الخليلية الحديثة.

ولابدُّ من الإشارة إلى أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد نفى أن يكون (مفهوم التفريع) معمم في اللسانيات الغربية، واستثنى من ذلك تشومسكي وربطه بالمنطق الرياضي، إذ يقول: "لم يعمّم الغربيون مفهوم التفريع في كل الكيانات اللغوية وفي جميع مستوياتها (إلا في آخر ما توصل إليه الباحث تشومسكي) وأكثر من هذا فإنَّ المنهج العربي هو أقرب إلى المنهج الأكسيوماتيكي في المنطق الرياضي؛ لأنَّ الأصول هي بمنزلة المسلّمات (والمعطيات عامة)، التي ينطلق منها الباحث فيحوّلها بعدد من العمليات بضوابط هي المثل السابقة"<sup>(٨)</sup>.

(١) العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعم تشومسكي : ٦ .

(٢) الكتاب : ٢٢ / ١ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: الكتاب : ٢٢ / ١، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٢١ / ١ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٢١ / ١ .

(٦) تنبّه التوليديون إلى هذا التحويل التفريعي الذي تتسم به اللغات البشرية، إلا أنّه تحويل عكسي يرد الفرع للأصل؛ لا بتفريع الأصل كما في النحو العربي أما عمل النحاة (تركيبي - تفريعي) وعمل تشومسكي (تحليلي - تقطيعي)، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٨٣ / ٢ و ٣٢٢ / ١

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٨٣ / ٢

(٨) المصدر نفسه : ٣٢٢ / ١ .

فقد أدخل تشومسكي في التحليل مفهوم التفريع والتوليد والتحويل، كما حوّل الهدف من البحث اللساني في حدّ ذاته من التعليق السكوني البسيط على بعض التركيبات اللغوية إلى الاهتمام بتحديد المعرفة اللغوية عند المُتكلّم والسامع وشرحها<sup>(١)</sup>.

والنحو العربي العلمي، لا التعليمي أو الفلسفي، هو مجموع المُثُل و القواعد التي يمكن أن تفرع بها وعليها جميع الإمكانيات التعبيرية الخاصة بالوضع العربي، فهذا الجانب الديناميكي للغة تجهله اللسانيات البنوية التقليدية؛ لأنها تُركّز كل اهتمامها على تشخيص الوحدات في ذاتها وبالاعتماد على تقابل الصفات الذاتية التي تميّزها عن غيرها<sup>(٢)</sup>.

لقد هيمنت فكرة (الأصل والفرع) على مجمل التفكير اللغوي العربي منذ القديم، وحتى العصر الحديث ففي كل جهة من جهات الدراسة اللغوية حالة أولى هي الأصل، ثم يعرض لها ما يُغيّر هذا الأصل فيكون فرعاً أو طائفة من الفروع.

ويُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ (الأصل) هو منطلق كل تحويل، فيقول عنه العرب أنّه: " ما يُبنى هو على غيره" أو " ما تفرع عليه الفروع". فالبناء هنا أو التفريع هو العملية التحويلية. ويُعرّف الأصل بقوله: " هو الشيء غير المسبّب الثابت المستمر؛ لأنّه يوجد في جميع فروع مع زيادة، ولذلك لا علامة له بالنسبة لفروعه فهي تحتاج إلى علامة، مثل المذكر بالنسبة إلى المؤنث، والمفرد بالنسبة إلى المثنى والجمع... والمضارع بالنسبة إلى الماضي، وغير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

فالوحدات اللغوية والبُنى التي تدخل فيها تُؤلّدها - عند العرب - التحويلات نفسها بل المجموعات من التحويلات هي نفسها بُنى بسبب ترتيبها، ومجموع العمليات التحويلية (التفريعات بالزيادة) تُكوّن مجموعة بالمعنى الرياضي ويُسميها الرياضيون المحدثون (زمرة<sup>(٤)</sup> Group). وهذه (الزمرة) لها عمليات عدّة مترابطة فيما بينها، وهي<sup>(٥)</sup>:

١- عملية داخلية: وهي التحويل بالزيادة (الموجهة يميناً أو يساراً).

٢- وهذه العملية تجميعية: (كتاب + ن) = (كتاب) + (ن).

٣- ولها عنصر محايد وهو عدم الزيادة (تحويل مساوٍ لصفر).

(١) ينظر: حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات، العدد السادس، الجزائر، ١٩٨٢م: ٧١ - ٧٢.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١ / ١٥٨.

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢ / ٤٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٨٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها (الهامش).

٤- ولكل عنصر (أو تحويل) فيها نظير، وهو التحويل برّد الشيء إلى أصله.

وهذه الزمرة هي التي (تولّد) <sup>(١)</sup> الاسم في العربية، وكذلك الفعل له مثل مولدة، فضلاً عن أنّ جميع مستويات اللغة (الصوتي و الصرفي والتركيبي) يتكون من مثل مولدة كل واحد منها يُكوّن زمرة <sup>(٢)</sup>.

## ٦- مفهوم الباب:

يُشير النحاة كثيراً إلى لفظة (باب)، وهذا دليل - كما يقول الحاج صالح - على أنّ هذه الكلمة هي من (المفاتيح) التي تُمكن الباحث من فهم الغرض الحقيقي مما قالوه حول العربية <sup>(٣)</sup>.

ولا يُستبعد أن يكون النحاة قد استعاروا لفظة (الباب) من (باب المنزل)؛ لأنّه يُدخَلُ إلى المنزل، قال الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ): "الباب هو الأصل مدخل، ثمّ سُمِّيَ به ما يتوصّل إلى شيء" <sup>(٤)</sup>، فإذا قلنا: (باب الفاعل) فكأننا قلنا: الباب الذي يُدخَلُ إلى قضايا الفاعل ومساائله. وقضايا الفاعل ومساائله - على تنوعها - ينتظمها خيطٌ منهجيٌّ واحدٌ يُحدّد مفهوم الفاعل أو القاعدة الكلّية لباب الفاعل. وهناك شروط عدة لبناء الباب، منها:

١- أن يكون موصلاً إلى قاعدة كلّية عامّة تدرجُ تحتها مسائل مختلفة تتعلق بالحكم النحوي، وبالموقع الإعرابيّ ضمن الجملة، وبالتقديم والتأخير، وبال حذف والذكر، وبالعمدة والفضلة... الخ، وقد يُسمّي النحاة المسألة الجزئية باباً تسامحاً في العبارة وتساهلاً، فيقولون: هذا باب تقديم الفاعل، وهذا باب تأخير... الخ <sup>(٥)</sup>.

٢- كثرة الاستعمال والتصرف <sup>(٦)</sup>، فلا يمكن أن تُبنى الباب على المثال الواحد أو الشاهد الواحد، إذ لا تُبنى عليه القاعدة الكلّية، فلا يصلح أن يكون باباً، قال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ): "البيت والبيتان لا يُبنى عليهما القواعد" <sup>(٧)</sup>.

(١) التولّد - في الاسم أو الفعل أو غيرهما - هو ما يدخل على النواة (الأصل) ويخرج من الزوائد، ويُشير الحاج صالح إلى أن لمصطلح (تولّد) معنى رياضي (Togenerat) وقد استخدم تشومسكي هذا المصطلح للدلالة على التوليد الإندراجي (قواعد إعادة الكتابة)، وليس التوليد عند العرب اندراجياً بل تركيبياً، فالشجرة عند تشومسكي ترسم تحليلاً يتبيّن فيه كيف تدرج المكونات القريبة بعضها في بعض. فضلاً عن إشارته - الحاج صالح - إلى إمكانية رسم المثال المولّد العربي بشجرة، غير أنّه يصير بذلك تحليلاً فلا تتبيّن فيه الحركية التحويلية التركيبية، وهذا التشجير يُفيدنا ببيان كيفية تداخل الوحدات وتجمعها في الكلام أي على مستوى الكلام المنطوق لا على مستوى نظام اللغة في حدّ ذاته. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٨٧ / ٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٧ / ١ .

(٤) الكلّيات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م: ٢٤٩ .

(٥) ينظر: التفكير العلمي في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط ١، ٢٠٠٢ م: ١٥٠ - ١٥١ .

(٦) ينظر: روى لسانية في نظرية النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط ١، ٢٠٠٧ م: ٢٢٨ .

(٧) همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠: ١٢٠ / ٢ .

٣- الجمع والمنع<sup>(١)</sup>، ويُقصد به أن يَجْمَعَ البابُ أمثلةً يمتنع حَمْلُها على أيِّ بابٍ آخر ولو على سبيل الاحتمال؛ لأنَّ ما حاز فيه الاحتمال بطل به الاستدلال<sup>(٢)</sup>، قال ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ): "الباب لا يثبت بالاحتمال"<sup>(٣)</sup>. أما إن استحال حَمْلُ مسائل الباب كُلِّها أو جُلِّها على باب آخر أو أبوابٍ آخر مُلاقية لها في الحكم النحوي، فيستحق أن يكون باباً مستقلاً بين أبواب العلم الذي ينتمي إليه.

وقد صاغ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هذه الشروط صياغة رياضية مجردة، فقال: "الباب مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة"<sup>(٤)</sup>. فضلاً عن أنه فصل القول وحدده في لفظة (الباب) مستشهداً بما ذكره سيبويه، إذ يرى أن مصطلح (الباب) يطلق على<sup>(٥)</sup>:

أولاً: المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل: (ض ر ب - ر ب ض) وغيرهما.

ثانياً: تُطلق على أبنية الكلمة، أي على أوزانها: باب فَعَلَ وباب فَعَلْ وغيرهما.

ثالثاً: تُطلق على أنواع التراكيب، إذ ذكرها سيبويه كما في باب "لقياً وحمداً"<sup>(٦)</sup>، "ويجعلون باب قلت أجمع مثل ظننت"<sup>(٧)</sup>. وقد يقصد سيبويه من الفصول التي قسم بها كتابه هذا المعنى بالذات عندما يقول: "هذا باب ما جرى من الأمر والنهي فيه بأسماء مضافة"<sup>(٨)</sup>، و "هذا باب ما يُضمَر فيه الفعل"<sup>(٩)</sup>. وغيرها من الأبواب .

فضلاً عن أن (الباب) لا يخص مستوى من مستويات اللغة ولا جانباً واحداً من جوانبها، بل ينطبق على اللفظ والمعنى إفراداً وتركيباً وما هو أعلى من هذه المراتب، فهي مجموعة (باب) بالمعنى المنطقي لا مجرد جنس بالمعنى الأرسطي وهو أن أفراد الباب تجمعها صيغة أو مجرى لا صفة فقط كما هو الشأن في الجنس<sup>(١٠)</sup>. هذه العملية هي عملية رياضية، وقد أطلق عليها القدماء حمل الشيء على الشيء أو إجراءه عليه<sup>(١١)</sup>، وبالتعبير الرياضي الحديث تطبيق مجموعة على مجموعة أخرى تؤدي إلى إظهار بنية تشترك فيها جميع عناصرها.

(١) ينظر: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : ٢٢٩ .

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت: ٧٢٦ / ٢

(٣) الإيضاح في شرح المفصل، جمال الدين بن الحاجب، تحقيق : موسى بناي العلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م : ٥٤٤ / ١

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣١٨ / ١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) الكتاب : ١٨٦ / ١ .

(٧) المصدر نفسه : ٦٢ / ٢ .

(٨) المصدر نفسه : ١٢٨ / ١ .

(٩) المصدر نفسه : ٢٥٨ / ١ .

(١٠) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣١٨ / ١ .

(١١) ينظر: الخصائص : ٢٠٠ / ٢ .

ففي فئة اسم المكان الثلاثي (مَكْتَب، مَلْعَب، مَجْمَع، مَعْمَل) وزنه (مثاله) (مَفْعَل)، فالفاء تُمَثَّل أي حرف صامت من الأبجدية العربية، والعين كذلك، أما الثوابت فهي الحركات، والسكنات، والزوائد<sup>(١)</sup>.

#### ٧- مفهوم المثال:

هو مفهوم لا مقابل له في اللسانيات الغربية إلا عند Jean Galpin ، وهو متخصص في الأفازيا بجامعة (ران) بفرنسا، فقد تقطن إلى أن المريض يفقد القدرة على التعرف وعلى الانتقال مثلاً من (كتاب) إلى (بالكتاب) أو (الكتاب المفيد)<sup>(٢)</sup>. ويُعرَّف المثال: أنه ما يُذكر لإيضاح القاعدة بتمام إشارتها<sup>(٣)</sup>.

فالمثال النحوي<sup>(٤)</sup> - على سبيل المثال - تركيب مصنوع يضعه النحاة تطبيقاً لقاعدة نحوية ومثالاً عليها<sup>(٥)</sup>، ففي التمثيل على تكوّن الجملة الإسمية من (مبتدأ وخبر) يُمكن أن يقولوا: (العِلْمُ مفيدٌ) أو (الكرْمُ محمودٌ) أو أي أمثلة أخرى تدلُّ على تطبيق القاعدة النحوية على التركيب المستعمل.

واختيار المثال اختياريّ قصديّ<sup>(٦)</sup>، غالباً في بُعده غير النحويّ؛ لأنه يحمل فكرة، كالحديث عن العلم في جملة (العِلْمُ مفيدٌ)، ومن هنا ينشأ ارتباط وثيق بين المثال النحوي ودلالته غير النحوية؛ لأنّ دلالة المثال النحوي - في كتاب سيبويه على الأقل - بنتُ عصرها اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

وتتضح أهمية المثال في النظرية اللغوية العربية القديمة والحديثة كونه إشارة ورسالة<sup>(٧)</sup>، فهو إشارة؛ لأنه يحمل دلالة تاريخية اجتماعية على عصر معين أحياناً، فلا يوجد في كتب النحو القديمة - مثلاً - مثال يدلُّ على أسلوب (الحال) بجملة (انطلقت السيارةُ مسرعةً)؛ لأنّ السيارة بمفهوم العربية الآلية التي نعرفها لم تكن موجودة قبل عدّة قرون، كما تُشير الجملة الفعلية (أعتق زيدٌ جاريتَه) إلى ظاهرة الجوّاري والعبيد، وهي الظاهرة التي لم يعُد لها وجودٌ فعليٌّ في عصرنا.

وأما كونه - المثال - رسالة؛ فلأنّه يرتبط غالباً بالقيم و المعاملات، أي: الحياة بتعبير أدق، مثل الحديث عن الكرم والوفاء واللقاء والرؤية والمساعدة وغيرها من مضامين الحياة المختلفة، فالمثال النحويّ في كتاب سيبويه - مثلاً - يرسم بعض أبعاد مجتمع البصرة<sup>(٨)</sup> في القرن الثاني الهجري، ذلك المجتمع

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣١٩ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥١ / ١ و ٤٨ / ٢ .

(٣) ينظر: التعريفات، للجرجاني (ت ٨١٦هـ) : ٣١٨ .

(٤) قد يكون المثال نحويّاً أو صرفياً أو صوتياً أو معجمياً .

(٥) ينظر: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : ١٤٤ .

(٦) ينظر: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م : ١٤٦ .

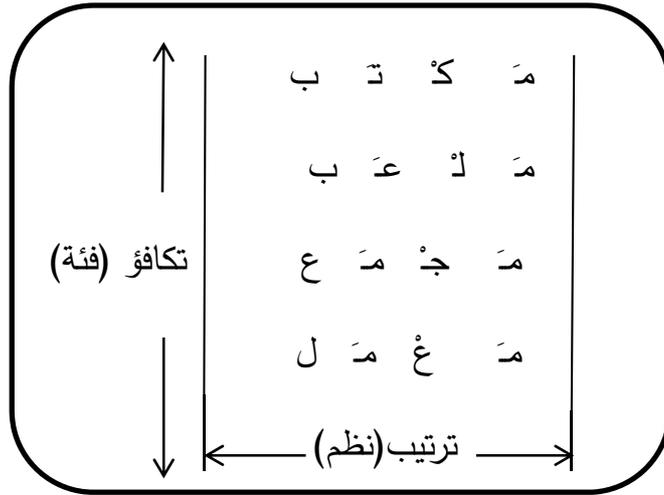
(٧) ينظر: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : ١٤٤ .

(٨) ربط المثال النحوي بمجتمع البصرة عند سيبويه مبنيٌّ على أن سيبويه ابنُ مجتمع البصرة، يعيش فيه، ويتعامل مع أهله، فيتخير أمثله غالباً وفق العرف العام عندهم.

الذي تشكل على فم البادية، فيه الإعرابيُّ القُحُّ الذي يقول فيُعربُ، والعربيُّ الحضريُّ الذي يشوب لسانه أثر التحضُّر، والأعجمي الذي لا يكاد يبين العربية.

ويُعدُّ المثال في النظرية الخليلية الحديثة حداً صورياً إجرائياً تتحدد به العناصر اللغوية وترتسم العمليات التي يتولد بها العنصر اللغوي في واقع الخطاب، فهو مفهوم منطقي رياضي محض ينطبق على جميع مستويات اللغة في أدناها ك(مستوى الكلمة)، وفي أعلاها ك(مستوى التراكيب)، فمثال الكلمة" هو مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها كلُّ في موضعه وهو البناء أو وزن الكلمة(مثال الكلمة) وفي مستوى اللفظة: مجموع الكلم الأصلية والزائدة مع مراعاة دخول الزوائد وعدم دخولها(العلامة العدمية) كلُّ في موضعه. وهو مثال اللفظة اسمية كانت أم فعلية"<sup>(١)</sup>.

فالمثال هو مجموع الرموز المرتبة التي تمثل بنية الباب، وغايته علمية، وهي الكشف عن صيغتها المشتركة لا صفتها. وهذه البنية يستتبطها المحلل، ويمكن أن نرسم ذلك كالاتي<sup>(٢)</sup>:



فهذه (فئة) اسم المكان الثلاثي أي باب (مَفْعَل).

تكاوؤ ← فئة + ترتيب (أو نَظْم) = فئة اسم المكان أي باب مَفْعَل ومثاله (مَفْعَل).

ففي مثال (مَفْعَل) توجد متغيرات هي الحروف الأصول؛ (ف ع ل)، أما الثوابت فهي الحركات والسكنات والزوائد.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن المثال يحصل بتركيب عمليتين<sup>(٣)</sup>:

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٥٢ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣١٩ / ١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣١٩ / ١ .

الأولى: تجريدية: تؤدي إلى فئة تسلط عليها هي نفسها عملية أخرى.

الثانية: ترتيبية: يحصل فيها بناء معيّن يسمى مثلاً.

ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ مفهوم الوزن (المثال) هو مفهوم يخص النحو العربي لا يعرفه اللسانيون الغربيون إطلاقاً وإنّ عرفه بعضهم فعن طريق ما كتبه المستشرقون عن بنية العربية وقد أخذوا ذلك كلّه عن النحاة العرب<sup>(١)</sup>. فضلاً عن إشارته إلى أنّ " الذي درس النحو العربي التقليدي فإنّه غالباً يجهل شيئين مهمين جداً:

أولاً: أنّ مفهوم المثال هو مفهوم رياضي محض، وهذا مخالف تماماً للمنطق غير الرياضي.

ثانياً: أنّ المثال غير منحصر في مستوى المفردات... بل يتجاوزها إلى ما هو أعلى منها. فالتراكيب أيضاً مثل يُبنى عليها الكلام وليست هي الترتيبات المختلفة الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر كما يعتقد بعض الحاسوبيين، بل هي مثل أكثر تجريداً. فلجمل المفيدة بُنى لا تتمثل في ترتيب عناصرها، بل في مثال اعتباري يخص في مستوى أعلى من التجريد الإنشائي"<sup>(٢)</sup>.

#### ٨- مفهوم القياس:

يُعدّ القياس من أهم ركائز الدرس اللغوي العربي القديم فضلاً عن الدرس اللغوي المعاصر؛ إذ لا يقلُّ أهمية لدى علماء علم اللغة الحديث.

وتظهر أهمية القياس في الدرس اللساني جليّةً عندما نحاول دراسة تلك النظريات في التراث العربي في ثوبها الجديد المنبثق من النظريات اللسانية المعاصرة؛ ومن هنا ينطلق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بالإسهام في إجراء دراسة موازنة في مفهوم القياس وتطبيقها بين نحاة العرب، وبين المدارس اللسانية المعاصرة فضلاً عن بعض المفاهيم الرياضية، فمحاولة إقامة دراسة موازنة بين المدرستين (العربية والغربية) تُمكن من كشف الغطاء عن قوة التراث اللغوي العربي.

فقد زامنت نشأة القياس عند لغويّ العرب مرحلة وضع الدراسات اللغوية وتكوينها؛ فكانت مصاحبة لنشأة النحو العربي؛ إذ بدأت بأبي الأسود الدؤليّ (ت ٦٩هـ)، ف" كان أوّل من أسّس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها"<sup>(٣)</sup>، ثم تطور على يدّ ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ)؛ الذي ولع بالقياس فـ

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٢١ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢١ / ١ .

(٣) إنباه الرواة على أبناء النحاة، جمال الدين أو الحسن علي بن يوسف الففطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ : ٤٩ / ١ .

كان أول من مدّ القياس والعلل، و... كان أشد تجريداً له<sup>(١)</sup>، وكان سبب هذا الظهور المبكر في درس اللغوي العربي منذ هذه المرحلة للعلاقة الوثيقة التي ربطت الدراسات اللغوية بالعلوم الإسلامية؛ فاللغة والنحو هما ركنان أساسيان في الدراسات الإسلامية وفي الوقت نفسه كان النحوي يعتمد في دراسته النحوية النصوص اللغوية وأهمها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف... ومن هذا التداخل في عمل كل النحاة والمشتغلين بالعلوم الإسلامية نتج التأثير بين النحو وتلك العلوم في طرق التفكير، ومناهج البحث، ومناهج التأليف، والمصطلحات، والأساليب المتبعة في مناقشة تلك العلوم<sup>(٢)</sup>، فلما كان القياس معتبراً في الشرع، كان اعتباره في دراسات اللغة من باب أولى؛ لأنها نشأت خدمة له، ومن هذا المنطلق رأوا أن إنكار القياس يعني إنكار النحو؛ لأن النحو قياسٌ كُله<sup>(٣)</sup>.

وعند تتبع تاريخ البحث اللغوي عند العرب، فسند أن ثمة ثلاثة اتجاهات بارزة:

أ - اتجاه (القياس المقيد): وتمثل في مدرسة البصرة، التي تقيّدت بالقياس على المطرّد الغالب في السماع<sup>(٤)</sup>، وقد أرجع بعض الباحثين إلى هذه المدرسة نشأة القياس قبل أن يظهر في محيط الدراسة اللغوية بعد ذلك<sup>(٥)</sup>.

ب - اتجاه (القياس المطلق): وهو اتجاه تجسّم في مدرسة الكوفة، التي اتسمت بالتوسع في عملية القياس لتشمل القياس على القليل والكثير والنادر والشاذ<sup>(٦)</sup>، فقد روي عن الكسائي (ت ١٨٩ هـ) أنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورات، ويجعله أصلاً يقيس عليه، ومنه قول الفراء في قوله تعالى: ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾<sup>(٧)</sup>: "ولو نصبت (الخالص) و (الخالصة) على القطع... والنصب في هذا الموضع قليل لا يكادون يقولون: عبد الله قائماً فيها، ولكنه قياس"<sup>(٨)</sup>، ومن هنا خالفت هذه المدرسة اتجاه مدرسة البصرة في منهج تطبيق القياس وطرق الإفادة منه.

(١) أنباه الرواة : ١٦٥ / ٢ .

(٢) أصالة النحو العربي، د. كريم حسين الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٥ م : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) ينظر: لمع الأدلة، الأنباري : ٩٥ - ٩٩ .

(٤) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، دار راجعي للنشر، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧ : ١٢، وتطور الدرس النحوي، برجشتراسر، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧ م : ٢٧٠ .

(٥) ينظر: تطور الدرس النحوي، والقياس اللغوي وتنمية الألفاظ، د. حامد صادق قنيني، مجلة اللسان العربي، العدد ٣٧، ١٩٩٣ : ١٩ - ٢٠ .

(٦) وللوقوف على أمثلة احتجاج الكوفيين بالنادر، ينظر: معاني القرآن، للفراء : ١ / ٤٦٥، ومعنى اللبيب : ١ / ٣٠٦ و ٣١٤ و ٣١٥ .

(٧) سورة الأنعام : من الآية ( ١٣٩ ) .

(٨) معاني القرآن : ١ / ٣٥٨، وينظر: ١٤٨ / ٢ .

ج - اتجاه (إنكار القياس): وظهر على يد المدرسة الظاهرية التي تزعمها ابن مضاء القرطبي (ت ٥١٣هـ) متأثراً بمذهبه الظاهري في العلوم الشرعية<sup>(١)</sup>، وقد ظهر هذا الاتجاه كردة فعل للإفراط وتحكيم أساليب المنطق والجدل الذي ظهر على يد بعض متأخري النحاة<sup>(٢)</sup>.

ولفظ (القياس) في الأصل هو "تقدير شيء بشيء"<sup>(٣)</sup>، لكن استعاره اللغويون العرب الأوائل للدلالة على اطراد الظواهر اللغوية المسموعة والمروية، ثم اعتبار ما يطرّد منها قواعدٌ يلتزم بها دون غيرها، وهذا ما كان عليه الأمر في وقت جمع اللغة، وبدايات الدرس النحوي<sup>(٤)</sup>.

ويُفهم القياس عند العرب من مجموع تعريفات قدّمها نحاة العربية لتوضيح حقيقة القياس وتحديد أبعاده، وكان أشهرها<sup>(٥)</sup>: تعريف أبو البركات بن الأنباري: "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"، وقيل هو: "عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل"، وقيل هو: "حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع"، وقيل هو: "اعتبار الشيء بالشيء بجامع".

ويُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحديد القياس النحوي عند النحاة القدماء، ويخص أبا البركات ابن الأنباري، إذ أخذ تحديد الفقهاء الأصوليين للقياس وجعله مماثلاً لقياس النحو، فيذكر الباحثون ما ذكره ابن الأنباري في أنّ القياس يتكون من أربعة أركان: المقيس عليه وهو الأصل، والمقيس وهو الفرع، والحكم والجامع أو العلة أو الشبه، "ولا يتطرقون إلى أهم صفة للقياس النحوي وهو أنّه يخص (البنى اللغوية) إفراداً وتركيباً. فإن اشترك القياسان النحوي والفقهي في صفات أساسية يفترقان فيها عن القياس الأرسطي، فإنّ للقياس النحوي خصوصية مهمة وهي أنّ مجاله هو المثل اللفظية من أوزان للكلم وتراكيب الجمل، فبنية الكلمة وبنية الكلام هو مجاله الوحيد." فحمل شيء على شيء في الحكم لجامع بينهما<sup>٦</sup> هو تحديد ينطبق على القياسيين - لعمومه وعدم تقيده بمفهومي الأصل والفرع والعلة والشبه - فلا تدل كل لفظة فيه في قياس النحو على ما تدل عليه في مقياس الفقهاء، وخاصة لفظة الجامع فهي أعم لفظة في هذا التحديد<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البناء، القاهرة، دار الاعتصام، ط ١، ١٩٧٩م: ٣٥ - ٤٠.  
(٢) هذا الأمر أعرف من أذكره هنا فقد تناوله كثيراً من الباحثين، فضلاً عن أنّه ليس مما يهم موضوعنا التوسع فيه، وللمزيد من التفصيل فيه ينظر: أصالة النحو العربي، د. كريم الخالدي: ٩٥ - ٩٩.  
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، مادة (ق و س).

(٤) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: ١٠٧.  
(٥) ينظر: هذه التعريفات في: لَمَع الأدلة: ٩٣، والاقتراح في أصول النحو: ٥٩، والأصول، د. تمام حسان: ١٧٤ ومن تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية، السيد محمد تقي الحكيم، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م: ١٢٨ وما بعدها.  
(٦) لَمَع الأدلة: ٩٣.

(٧) منطق العرب في علوم اللسان: ١٥٩، وللتفصيل في تفريق الحاج صالح بين القياسيين النحوي والفقهي، ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧ - ٣٣٠.

ويعرّف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح القياس: بأنه " تسمية للعملية الطبيعية التي يقوم بها كل متكلم في كلامه دون ما شعور منه، فهو مسار توليدي (Generative process) ينتهجه المتكلم عند إحداثه لكلامه ليكون كلامه هذا موافقاً لما يقتضيه نظام اللغة التي ينطق بها. فجانبا مهمة من جوانب سلامة كلامه متوقف على مجموع عملياته القياسية اللاشعورية"<sup>(١)</sup>.

فالقياس عنده - الحاج صالح - هو عملية منطقية رياضية تفريعية من الأصل، فهو حمل شيء على شيء لجامع بينهما؛ أي حمل الكلم بعضها على بعض إذا كانت تنتمي إلى جنس واحد وهو الذي يُسمى في المنطق الرياضي النظر على النظر، وبذلك تبرز البنية التي تجمع كل الكلمات المحمولة بعضها على بعض<sup>(٢)</sup>.

وقد لجأ اللغويون العرب إلى القياس في جميع مجالات اللغة، فطبقوا القياس في مجال الأصوات، والصرف (الصيغ)، والتركيب النحوي، والدلالة.

وقد تطرق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى تطبيق القياس على كافة مجالات اللغة: الصوتي والصرفي والتركيبية فضلاً عن الدلالي<sup>(٣)</sup>.

ففي مجال الصرف - على سبيل المثال - (الكلمة المفردة) فقد درس ما يحدثه القياس عند النحاة القدماء في (بنية الكلمة)، إذ تطرق إلى مفهوم القياس عند القدماء وموازنته بالمدارس الغربية.

فمن تعريفه للقياس اهتم بالقياس " كمصدر للفعل قاس"، وقصد به العملية المنطقية الرياضية التفريعية من الأصل على مثال سابق. وكاسم وتعني " التوافق في البناء نفسه"<sup>(٤)</sup>.

أما من حيث المنطق الرياضي هو "تكافؤ العناصر في البنية/ وهو نتيجة لتطبيق مجموعة على مجموعة بشرط أن يكون التطبيق من نوع التقابل النظيري Bijection لا غير"<sup>(٥)</sup>.

وتوصل إلى وجود تكافؤ في القياس، وهو ما يُسميه الرياضيون الغربيون بالايزومورفيزم Isomorphism<sup>(٦)</sup>، وسماه في موضوع آخر " القياس الأعلى تجريداً"<sup>(٧)</sup>، وقصد به التكافؤ بين العمليات أو الإيزومورفيزم.

(١) المصدر نفسه : ١٦٠ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٢، و ٢ / ٤٩ .

(٣) يُنظر: تفصيله في: منطق العرب في علوم اللسان: ١٧٢ - ١٧٨، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١ / ٣٢٢ - ٣٢٤ و ٢ / ٣٩ - ٤٢ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٣ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها . يلجأ الحاج إلى التحليل الرياضي؛ لأنّ القياس نفسه هو مفهوم رياضي؛ لهذا يصعب التكلم عنه بلغة غير لغة الرياضيات ومناهجها ورسومها، ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٦٨ . والمنطق في اللسانيات : ١٥ فما بعدها.

(٧) منطق العرب في علوم اللسان : ١٧٨ .

فقد مثل لهذا - الحاج صالح - التكافؤ بما جاء عند النحاة العرب القدماء المبدعون بين بناء التصغير والتكسير للرباعي، فكلاهما يمثلان مجموعة من العمليات التحويلية، تحوّل صيغة المكبر الرباعي إلى صيغة المصغّر، وصيغة المفرد الرباعي إلى صيغة الجمع المكسر منه.

فالمصدران: (تصغير) و(تكسير) يدلان على حصول عمليات معينة تؤدي إلى صيغتين معيّنتين<sup>(١)</sup>.

قال ابن يعيش بهذا الصدد: "قوله التكسير والتصغير (من واحدٍ واحد) يريد العمل فيها واحد، وذلك أنك تغيّر الأول منهما إلا أنّ تغيير أول المكسر بالفتح وتغيير أول المصغر بالضم، فإذا قلت: مساجد فليست الفتحة في الميم هي الفتحة في ميم مسجد يدلك على ذلك قولك: يُرْتُنُّ برائن ورُبْرُج زيارج، وتريد فيهما حرفاً من حروف المدّ ثالثاً إلا أنّ المزيد في المكسر ألف وفي المصغّر ياء. وتكسر ما بعد الياء في المصغّر كما تكسر ما بعد الألف في المكسر. فلما كان بينهما من المناسبة ما ذكرنا قيل إنهما من وادٍ واحد"<sup>(٢)</sup>.

ويُعبّر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن هذه المجموعة من العمليات، أي الانتقال من المكبر الرباعي إلى المصغّر منه، ومن المفرد الرباعي إلى المكسر منه، وتجريد مفاعلٍ وفَعِيلٍ إلى ما فوق مستوى الوزن بأنها "تسوية اعتبارية بين الوزنين وهو مجال التحويل"<sup>(٣)</sup>. وهذا التجريد - كما يرى الحاج صالح - يُمكن المحلل من أن يُدرج في كيان واحد: قَمَطَرٌ وحُلْجُلٌ وجعفر زيادة على مَفْعَلٍ ومَفْعَالٍ وغيرهما، فضلاً عن أنه يمكن حمل وزن المصغّر على وزن المكسر، أي: أن نقابل بينهما أو نقيم تطبيقاً من أحدهما على الآخر<sup>(٤)</sup>.

ويُمثّل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهاتين العمليتين بمنحنيات رياضية، وهاتان العمليتان هما<sup>(٥)</sup>:

١- العملية الأولى: التسوية بالتجريد بين المصغّر الرباعي(ص) والتكسير الرباعي(ك)، ويُمثّل لها بالشكل الآتي:

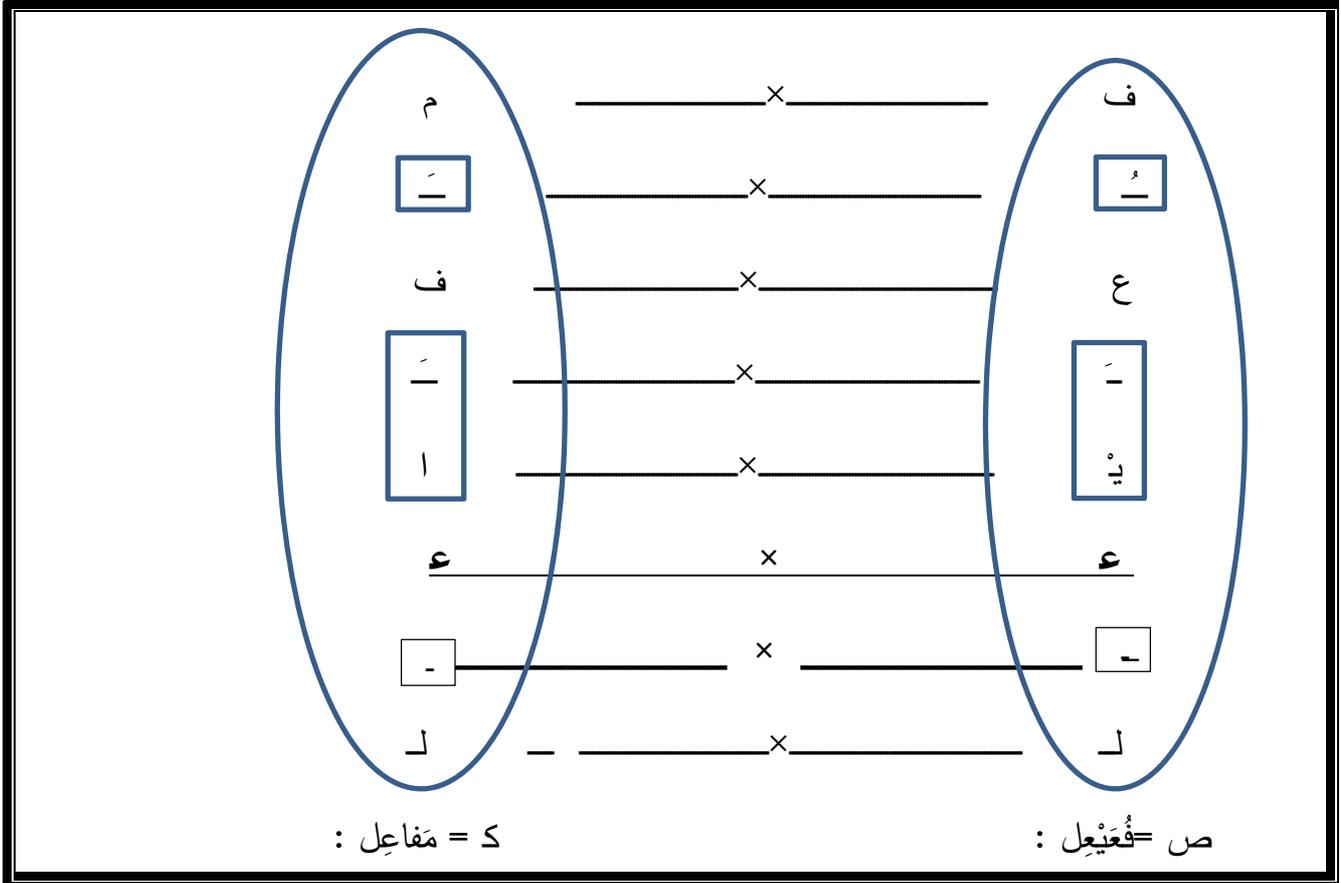
(١) منطق العرب في علوم اللسان : ١٧٨ .

(٢) شرح المفصل : ١ / ١١٨ ، و ٣ / ٣٩٧ .

(٣) منطق العرب في علوم اللسان : ١٧٩ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٠ - ١٨٢ .



فالصيغ المجردة التي نحصل عليها من هاتين الصيغتين المجردتين هما:

| ف-ع-ل | ↔ | م-ف-ع-ل |

فقد حدث تقابل بين المكونات للوزن وصارت هذه المكونات مجردة من محتواها، كما كانت في المستوى التجريدي الأول.

٢- تكافؤ العمليات بين ص و ك:

ويُمثِّل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهذا التكافؤ في العمليات في أربع عمليات تحويلية وهي الانتقال من المكبِّر إلى المصغَّر ومن المفرد إلى المكسر، وهذه العمليات هي<sup>(١)</sup>:

العملية الأولى هي تحويل حركة الأول ولتسمِّها: ت ١ ولنسمِّ الحركة الأصلية ح ١.

والثانية: هي تحويل حركة الحرف الثاني ولتسمِّها: ت ٢ والحركة الأصلية ح ٢.

(١) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٨٠ فما بعدها .

والثالثة هي زيادة ياء في المصغّر وألف في التكسير ولنسمّها: ت٣.

والرابعة هي تحويل الحرف ما قبل الأخير: ت٤ والحركة الأصلية ح٣.

ويُخصّر التكافؤ بين هذه التحويلات في: حصول نفس التحويل من المكبّر إلى المصغّر ومن المفرد إلى الجمع في نفس الموضع في أربعة مواضع من الصيغة المجردة وهي:

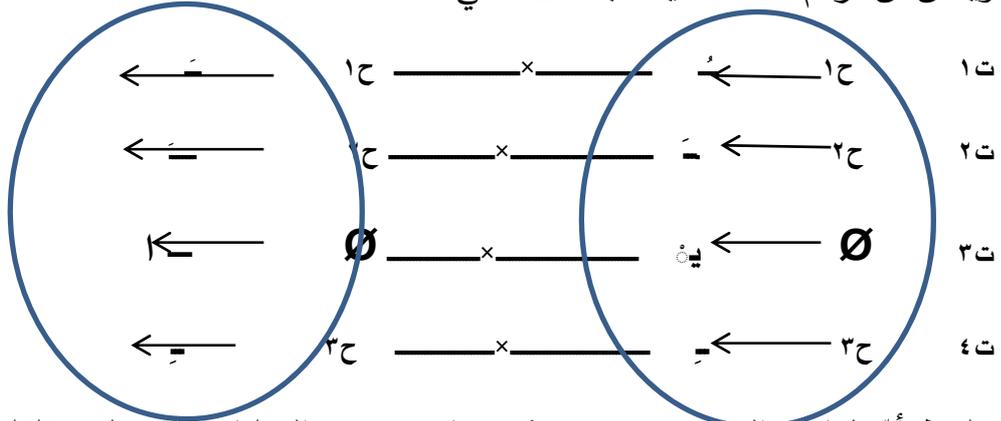
١- حصول تحويل حركة(مهما كانت): فيما بعد الحرف الأول؛

٢- حصول تحويل حركة(والفتحة في المفرد وغير الفتحة في الجمع): فيما بعد الحرف الثاني؛

٣- حصول نفس التحويل وهو زيادة حرف ليس(ألف أو ياء) بعد الحرف الحركة الثانية؛

٤- حصول تحويل حركة إلى كسرة بعد الحرف الثالث.

ويمكن أن تُرسم هذه العمليات بالشكل الآتي:



فلنحظ أنّ لهاتين المجموعتين ص وك عناصر وهي العمليات التحويلية، فلكل عنصر منها في ص نظير في ك؛ لأنّ كل عملية لها ما يساويها في المجموعة الأخرى، وفي كلا المجموعتين يوجد نفس الزيادة للتحويلات، وهذا يُعبّر عنه "في الرياضيات الحديثة: أنّ هناك تطبيقاً من ص على ك وهو تقابل = أو Application biunivoque Bijection ، فهذا تكافؤ بالتناظر التام وهو الذي يسمى عند الرياضيين بالإيزومورفيزوم Isomorphism ، وهذا في غاية الأهمية؛ لأنّ مثل هذا القياس هو من النوع العالي للتجريد إذ يخص المجموعات من العمليات لا المجموعات من الوحدات اللغوية فقط، ثم هو توافق في بنية هاتين المجموعتين وهما يخصان صيغتين: المصغّر الرباعي والمكسر الرباعي وهما في أصلهما مختلفان" (١).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يُقيم موازنة بين القياس الصوري في النحو العربي ( ما ذكره النحاة العرب القدماء) والمنطق الرياضي الحديث، إذ يقول: " هو عند النحاة

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ١٨٢ .

الأولين توافق البناء أو المجرى أو العمل التحويلي بين أفراد الباب وهي نظائر لهذا التوافق نفسه. وقد يكون هذا التوافق جارياً بالفعل في الاستعمال أو غير جارٍ<sup>(١)</sup>، ويستدل على ذلك بأراء للنحاة القدماء مثل سيبويه<sup>(٢)</sup>، وابن جني<sup>(٣)</sup>، وابن السراج<sup>(٤)</sup>.

أما من وجهة نظر المنطق الرياضي الحديث: "فإن ما يُسميه النحاة العرب الأولون قياساً هو الذي يحصل بين عناصر بمقتضى انتمائها إلى مجموعة تحددها علاقة تكافؤ في البنية أو المجرى يكون دائماً: إمّا خاصاً بالسلاسل الكلامية أو بين بايين فأكثر (Isoschemism)، وإمّا تكافؤ خاص بمجموعتين فأكثر من العمليات التحويلية (Isomoyphism)"<sup>(٥)</sup>.

وبذلك يكون القياس من الأمور الضرورية لنماء اللغة، إذ كيف يمكن أن تزداد اللغة وتنمو لتساير التطور إن لم يكن لها ضوابط قياسية نسير عليها.

**خلاصة القول:** استطاع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق إعادة قراءة التراث، أو كما يسميها هو "القراءة الجديدة"<sup>(٦)</sup>، أن يوازن بين مفاهيم العلماء العرب القدماء وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة، وفي المنطق العلمي، فقد تضمن تراث علمائنا القدماء مفاهيم تكوّن - في الحقيقة - نظرية دقيقة، وهذه المفاهيم جديدة بأن يكشف عنها وعن حقيقتها وقد تمكن الحاج صالح من أن يأتي لكل مفهوم بدليل قاطع عند القدماء والمحدثين، فضلاً عن أنه لم يُحمِل أقوال القدامى أكثر مما تحتمله، فقد إتبع طريقة علمية دقيقة للكشف عن أوجه الشبه فضلاً عن الفوارق التي قد تُضِل الباحثين فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلا بالطرق التحليلية الدقيقة كالطُرُق المنطقية الرياضية، فضلاً عن تنبيهه إلى بعض المصطلحات التي لا مقابل لها في اللسانيات الغربية مثل مفهوم (المثال) و (اللفظة).... وغيرها.

ونتج عن موازنته بين مفاهيم العلماء القدماء - ولاسيما الخليل وسيبويه - والمنطق الرياضي الحديث، أن اتضحت أيضاً العلاقات الوثيقة القائمة بين بعض المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق العربي، مثل: مفهوم القياس، ومفهوم النظير و مفهوم الباب... الخ. فتمكن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من قراءته للتراث أن حصل لديه نوع من التحديث لنظرية الخليل (رحمه الله) إذ ترجمها إلى لغة العلوم الحديثة بالعربية واللغات الأخرى، فلم يخطئ حين أطلق على تسميتها بـ(الحديثة)؛ لأنها نظرية على نظرية سابقة.

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ١٨٣ .

(٢) ينظر: الكتاب : ٢ / ٢٥٣ .

(٣) ينظر: الخصائص : ١ / ١١٦ .

(٤) ينظر: الأصول في النحو : ٢ / ٧٨ .

(٥) منطق العرب في علوم اللسان : ١٨٤ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٨١ .

## المبحث الثالث

## النظرية الخليلية الحديثة وعلاقتها بالتيشير النحوي

لقي موضوع إصلاح النحو وتيسيره لدى المتعلمين حيزاً كبيراً في السنوات الأخيرة، ولاسيما بعد النتائج الإيجابية التي حققتها الدراسات اللغوية الحديثة على صعيد البحث اللساني النظري والتطبيقي.

وقد بحث في هذا الموضوع، وكتب فيه عدد كبير من العلماء واللغويين والتربويين، وعقدت من أجله الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات في أنحاء مختلفة من العالم العربي. وعلى الرغم من ذلك، ظل مفهوم التيسير<sup>(١)</sup> يشغل تفكير الباحثين، ويثير عدداً من الإشكاليات النظرية والتطبيقية، ولاسيما عند ناقد التراث الذين زعموا أنّ النحو العربي فيه عيوباً ونقائص تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة، ومهمة أساسية في عصر يتلقى فيه التلميذ العربي الفصحى صناعة وتعلماً لا طبعاً واكتساباً.

وقد تباينت الآراء في تشخيص العيوب وطرق العلاج، فضلاً عن النقد الذي ذهبوا فيه مذاهب شتى<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال تحليل كثير من المحاولات التي اشتهرت في الوطن العربي، تبين فشل - إن صح التعبير - أغلبها؛ لأن أصحابها انطلقوا في قراءاتهم النقدية للتراث من منطلقات قاصرة، تنم عن غياب تصور واضح للعلم وما تقتضيه التطبيقات التربوية من مبادئ أساسية في صناعة التعليم. إذ تحولت خاصية الوضوح والبساطة والسهولة إلى مقاييس يُعتمد عليها في تقييم التراث النحوي. وأصبح - في نظر بعضهم - كل أصل من أصول النحو، أو مسألة من مسائله، أو باب من أبوابه، لا يُفيد مباشرة في التعليم ترفاً لا فائدة منه، ولغواً ينبغي تجنبه، واقتنع أنّ نظام العوامل هو المسؤول عن ذلك، وافترضوا أنّ ما عاب به اللسانيون الغربيون وتراثهم اللغوي ينسحب انسحاباً كلياً على النحو العربي الأصيل، و كانت حاجة اللغة العربية - في زعمهم - إلى منهج وصفي تماثل حاجة الأنحاء الأوربية القديمة<sup>(٣)</sup>.

إنّ محاولات التيسير جعلت كثير من الميسيرين يخلطون بين مقتضيات البحث اللغوي ومقتضيات التدريس، ولعل هذا الخلط هو الذي دفع ببعضهم إلى نقد مفاهيم النحو الإجرائية، واعتبار نظام العوامل

(١) هناك مجموعة مصطلحات شاعت في العصر الحاضر لتدل على مفهوم التيسير، لكن المعاصرين لم يتفقوا على مدلولاتها، وثمة فرق بين مدلول كل مصطلح، وإن كانت تصب كُلاً في معنى ومفهوم تيسير الدرس النحوي، ومن هذه المصطلحات: التيسير، والتجديد، والإصلاح، والإحياء، والتعديل، والتقريب، والتبسيط، والوضع وغيرها، وأورد الدكتور حسن منديل مفهوم كل مصطلح يخص تيسير الدرس النحوي، يُنظر: تفصيل ذلك في: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، د. حسن منديل العكيلي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م: ٧٩ - ٨٢.

(٢) للتفصيل أكثر، يُنظر: الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، وإحياء النحو، إبراهيم مصطفى. ومناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير و الأدب، أمين خولي، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، و د. مهدي المخزومي في كتابه: في النحو العربي نقد وتوجيه، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق. وأود أن أشير إلى أنّ الدكتور زهير غازي زاهد أفرد فصلاً في كتابه (موضوعات في نظرية النحو العربي) تحدّث فيه عن موضوع التيسير النحوي وما لاقاه من نقد قديماً وحديثاً، يُنظر: ١٧٧ - ٢١٦.

(٣) يُنظر: المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة: ١١ - ٤٨، ومحاولات تيسير تعليم النحو قديماً وحديثاً: ٨٥.

مجموعة من الأحكام المسبقة، والمسلمات التي فُرِضَتْ على الدرس اللغوي، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بخصوص (العامل): "إنَّ نظرية العامل هي من أروع ما أبدعه الخليل بن احمد وأصحابه (رحمهم الله) ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية؛ وذلك لأنَّ مفهوم العمل هو المفهوم الدينامي الذي يبنني عليه المستوى التركيبي للغة... فنظرية العامل يستطيع بها اللغوي أن يُمثِّل بها أبسط الكيفيات وأنجعها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية ؛ لأنها تصوغ التركيب في قالب رياضي دقيق وترتقي بها من مستوى مادي معقد إلى مستوى صوري مجرد قابلة للصياغة ومن ثم قابل للاستخدام في الحاسبات الإلكترونية"<sup>(١)</sup>، فالواقع أنَّ اللغة العربية بحاجة ماسة إلى هذا النظام لترتيب مادتها وانسجامها وإطرادها والسيطرة على شتات المعطيات اللسانية، واقتصاد وصفها وصياغتها. فضلاً عن أنَّ الصعوبة والسهولة ليستا دليلاً علمياً على عدم كفاية هذا النظام، وعلى عدم قدرته على وصف اللغة وتفسير ظواهرها<sup>(٢)</sup>.

ومن اللافت للانتباه أنَّ كثيراً من أمهات المسائل التي طُرحت كأفكار بديلة ليست جديدة على النحو والنحاة بل إنها للقدماء. ففكرة الحركة الخفيفة عند الوصل ودرج الكلام هي لقطرب (ت٢٠٦هـ)، وفكرة إعراب الأسماء الستة بحركاتٍ مطولة فكرة قالها المازني (ت٢٤٩هـ)، وفكرة المُتَكَم الذي يُحدث الإعراب فكرة ابن جني (ت٣٩٢هـ)، وفكرة القرائن والتعليق هي للجرجاني (ت٤٧١هـ)، وفكرة الرفع علم الفاعلية والجر علم الإضافة فكرة الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وفكرة العمدة والفضلة فكرة الرضي الاستريادي (ت٦٨٤هـ)، وصاحب فكرة إلغاء نظرية العامل هو ابن مضاء<sup>(٣)</sup>.

فضلاً عن أنَّ تصور القدماء لموضوع التيسير، يختلف تماماً عن تصور المحدثين، فالتبسيط في نظرهم وأعمالهم قائم على الانتقاء من جملة النحو العلمي، وتجنب الإطالة والتعمق في ذكر القواعد، والاستعانة على توضيحها بالأمثلة والتقليل من الشواهد، والوقوف عند حدود العلة الأولى، وتجنب الشاذ والنادر والتميز بين المستويات العلمية... فضلاً عن أنَّهم كانوا على وعي بضرورة وجود مستوى من المؤلفات النحوية المختصرة والميسرة إلى جانب مطولاتهم وموسوعاتهم العلمية، وهو ما توحى به عشرات العنوانات من متونهم ومختصراتهم. فبعضها يسمى الواضح، وبعضها يدعى الوجيز، ويعرف بالمقدمة أو المدخل... الخ. وغير ذلك من العنوانات التي توحى في وضوحٍ لا يقبل الشك أنَّ تلك العصور لم تحلَّ من نحاة ومُربين ومعلمين ألقوا ما قَرَّبَ الطريق إلى حدِّ ما على المتعلمين. ولعل ما يؤخذ على هذا النوع

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٠ / ١ - ١٧١ .

(٢) ينظر: المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة : ٤٨ .

(٣) ينظر: النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، محمد احمد عرفة، مطبعة السعادة، القاهرة، د. ت، د. ط. ويُعدُّ هذا الكتاب من أهم الكتب التي ردت على إبراهيم مصطفى رداً علمياً، إذ تعرضت تجربة الأستاذ إبراهيم مصطفى لنقدٍ كبير من قِبَل العلماء والباحثين الذين بيَّنوا فساد الأصول التي انتهى إليها الباحث، وعدم استقامة أحكامها، واطرادها في كلام العرب. كما أثبتوا أنَّ الأفكار التي زعم إبراهيم مصطفى أنَّها جديدة على الناس ليست كذلك، فكثير من المسائل التي ذكرها وأجهد نفسه في الاحتجاج لها والبرهنة عليها أصلها للقدماء.

من التأليف، أنّ بعضه لم يَكُنْ منظماً بشكل يصلح مباشرةً للتدريس، وأنّ بعضه الآخر موجز، بل مفرط في الإيجاز حتى كاد يَعدّ من جملة الألغاز<sup>(١)</sup>.

ومما هو جديرٌ بالذكر إشارة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ أي حذف عشوائي (غير مدروس) لأي باب من أبواب النحو، أو جزء من أجزائه، سيؤدي دون شك إلى إفساده. وإنّ أزمة النحو التي تشكّلت في الميدان التربوي التعليمي، في منظور النظرية الخليلية الحديثة، لا تكمن في النحو ذاته من حيث هو علم، وإنما في تجاهل المناهج المدرسية للطرق الحديثة في الانتقاء والتخطيط والعرض والترسيخ، وإهمال التمرس اللغوي، والجانب الترسخي المنظم في تعليم العربية، واقتصار أكثر المربين والمعلمين على الأنواع القليلة جداً من التمارين، ولاسيما التحليلية (التي تخص الإعراب)، وفوق ذلك كله، اتخاذ النحو والصرف في صورتيهما النظرية والبحثية وسيلة مجردة من كل تكليف لإكساب المتعلمين الملكة اللغوية، وإعطاء هذا الجانب من القواعد النظرية، والتعليق عليها حصة الأسد<sup>(٢)</sup>.

إنّ تيسير النحو العربي على الناشئة والمتعلمين سيظل واجباً قائماً في الحاضر والمستقبل كما كان قائماً في الماضي، ولاسيما ونحن في عصر تتجه فيه اللسانيات التعليمية إلى التجميع المستنير والافادة من الخبرات والدراسات النظرية والميدانية الحديثة التي أثرت مجالها بشكل لافت للإنتباه<sup>(٣)</sup>.

لكن التيسير في هذه المطالب الخطرة والمستعصية لن يكون على غير قاعدة، وإنما هو جهد ضائع، أو طريق مضلة لا تعرف لها حدود، ولا تتضح لها غاية إذا أخطأنا الوجهة من فاتحة الطريق<sup>(٤)</sup>. وبذلك وجب تحديد المفهوم الإجرائي لمصطلح تيسير النحو، وهذا المفهوم يحدده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح كالاتي: هو تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين، فعلى هذا، ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو، لا في النحو ذاته<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري، د. علي أبو المكارم، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤م : ٨٤ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٨١ .

(٣) لقد طبقت هذه الدراسات على نحو اللغات الأجنبية فنجحت في تيسيره إلى حد كبير، وعليه، لقد حان الوقت ليستنير معلم اللغة العربية بما تمده به اللسانيات، وإن إطلاعه على ما يثبته اللسانيون باستمرار في حقل تخصصهم واجب حتمي للارتقاء بالتعليم، وليس من قبيل الترف. ينظر: اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، محمد الأوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠م : ٥٩ - ٦٠ .

(٤) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، دار المعارف، ط٨، القاهرة، ١٩٧٠م : ٥١ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان: ٢٣٦. تجدر الإشارة إلى أنه تمخضت عن النظرية الخليلية الحديثة مجموعة مهمة من الأبحاث التي تناولت رؤية الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية التجديدية في أساليب التعليم للغة العربية، لعل أهم هذه البحوث هي: اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، وعلم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، وأثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، والأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، و العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية، والكتابة العربية ومشاكلها، والأسس العلمية واللغوية لبناء منهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، فضلاً عن عدد من البحوث اللسانية والصوتية باللغتين الفرنسية والإنجليزية جمعت في كُتبه: (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزئين) و(بحوث ودراسات في علوم اللسان).

هذا هو المفهوم الإجرائي الذي تبنته النظرية الخليلية الحديثة، ونبته المصلحين والمجددين إلى هذا المفهوم منذ أكثر من ثلاثين سنة تقريباً، كما دعت الدارسين إلى نوعين من النحو: النحو العلمي (النظري)، والنحو التعليمي (التربوي) .

إذ يُفَرِّق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بينهما (العلمي، والتعليمي)، فالنحو العلمي هو ممارسة للبحث العلمي في ميدان خاص، أما التعليمي هو تعلّم واكتساب لمهارة معينة<sup>(١)</sup>، وهما ميدانان مختلفان والذي يربطهما هو محاولة استثمار التعليم لما يأتي به البحث العلمي في اللغة (أي النحو العلمي) من جديد المعلومات. ويتم ذلك بتكليف هذه المعلومات الجديدة بما تقتضيه قوانين التعليم للغات. فما يبحث عنه ويحاول إثباته الباحث شيء، وما يقوم به معلم اللغة من علم لإكساب المهارة في اللغة شيء آخر .

فهذا النحو التعليمي، وهو جزء مما يستعين به المعلم في عمله، يجب أن تتحسن طرائقه باستغلال ما يكتشفه النحو العلمي وهو جزء مهم من علوم اللسان. ولا فرق في ذلك بين علم الفيزياء في مختلف فروعها كالصوت والكهرباء والإلكترونيك وغير ذلك وما تستفيد منه الصناعات من كل ما تكتشفه وتثبته هذه العلوم من قوانين علمية مما لم يُعرف بعد أو لم يُدقق. وتعليم اللغات هو صناعة، فعندما تجري بحوث في كيفية استثمار ما يثبته علم اللسان تصبح هذه الصناعة علماً تطبيقياً هو علم تعليم اللغات (language Teaching) أو (Didactiques des langues).

فالنحو العلمي التحليلي (Grammaire scientifique analytiae) : يقوم على نظرية لغوية تنتشد الدقة في الوصف والتفسير، وتتخذ لتحقيق هذا الهدف أدق المناهج. فهو نحو تخصصي ينبغي أن يكون عميقاً مجرداً، يدرس لذاته، وتلك طبيعته. وهذا المستوى من النحو - كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - يُعدُّ نشاطاً قائماً برأسه، أهدافه القريبة الخاصة به هي الاكتشاف المستمر والخلق والابداع، وهذا هو الأساس والمنطلق في وضع نحو تعليمي تراعى فيه قوانين علم التدريس<sup>(٢)</sup>.

أما النحو التربوي التعليمي (Grammaire pedagogique) : فيمثل المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان، وسلامة الخطاب، وأداء الغرض، وترجمة الحاجة، فهو يركز على ما يحتاجه المتعلم، يختار المادة المناسبة من مجموع ما يُقدِّمه النحو العلمي، مع تكييفاً مُحكماً طبقاً لأهداف التعليم وظروف العملية التعليمية<sup>(٣)</sup>. فالنحو التربوي يقوم على أسس لغوية ونفسية وتربوية، وليس مجرد تلخيص للنحو العلمي، فعلى هذا المستوى ينبغي أن تنصب جهود التيسير والتبسيط.

(١) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٣ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٧٩ .

(٣) للمزيد من المعلومات حول هذين المستويين (النحو العلمي التخصصي والنحو التعليمي التربوي) ينظر: البحث اللغوي، د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت) : ١٤٢ - ١٤٥ .

إذاً، فالنحو العلمي شيء، والنحو التعليمي شيء آخر ونمط خاص، يتكون من مادة تربوية مختارة على غرار أسس ومعايير موضوعية، تراعي أهداف التعليم، وحاجات المتعلمين، وظروف العملية التعليمية. لذا فقد "أخطأ كثير من المعلمين حين غالو بالقواعد، واهتموا بجمع شواردها والإلمام بتفاصيلها، والإتقان بهذا كله على كاهل التلاميذ ظناً منهم أنّ في ذلك تمكيناً لهم من لغتهم، وإقداراً لهم على إجادة التعبير والبيان"<sup>(١)</sup>.

إنّ الواقع يثبت أنّ المعرفة النظرية للقواعد، واستظهارها بعيداً عن الممارسة والاستعمال "قليلة الجدوى في صيانة اللسان من الخطأ بدليل أنّ أكثر التلاميذ حفظاً لها، واستظهاراً لمسائلها يخطئ في كلامه أخطاء فاحشة... وأنها كذلك عديمة الجدوى في إقدار التلاميذ على التعبير. فكثير منهم يحفظون القواعد ولكن أسلوبهم ركيك، وعباراتهم رديئة، وإنشاءهم ضعيف بوجه عام"<sup>(٢)</sup>. فما النحو إلا وسيلة لضبط الكلام وصحة الكتابة، هذه غايته التعليمية التي أقرها العلماء منذ القديم، "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق مَنْ ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شُدَّ بعضهم عنها ردّ به إليه"<sup>(٣)</sup>. وقد بذل العلماء القدماء جهوداً كبيرة لحل هذه المسألة، فقد أدى حرصهم على تعليم العربية إلى تمييزهم الواضح بين مستويين من النحو؛ مستوى نظري تحليلي، ومستوى تربوي تعليمي، وهو الغالب.

ويُفَرِّق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بين النحو العلمي والنحو التعليمي عند القدماء، إذ كان النحو عند نشأته علمياً وتعليمياً في الوقت نفسه"<sup>(٤)</sup>، فقد كان علمياً؛ "لأنّه كان تدويناً - لأول مرة في التاريخ - لأصول العربية، ولأنّ الذين وضعوه قاموا باستقراء النص القرآني لاستنباط هذه الأصول بمجرد ما تم إثباتها بهذه الكيفية. ثم احتاج الباحث فيه أن يبرّر ما يُجيزه من الكلام فأضطرّ أن يأتي بأدلة علمية من قبيل التفسير العلمي. وظهر ذلك في زمان عبد الله بن أبي إسحاق<sup>(٥)</sup> حتى بلغ الغاية في كتاب سيبويه: وما جاء في هذا الكتاب يدل على وجود نشاط علمي سابق واسع وعميق استمر ثمانين سنة بعد انتهاء الفترة الأولى وهي فترة تأسيس النحو"<sup>(٦)</sup>.

(١) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف، ط ١٣، القاهرة، دت : ٢٠٣ .

(٢) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية: ٢٠٤ .

(٣) الخصائص : ٣٤ / ١ .

(٤) منطق العرب في علوم اللسان: ١٤ .

(٥) هو عبد الله بن زيد بن الحارث بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، وهو الذي مدَّ للقياس وشرح العلل، توفي عام (١٢٧هـ) عن ثمانين وثمانين سنة أو قيل عام (١١٧هـ)، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م : ٨٣ / ٢، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء : ٢٧ .

(٦) منطق العرب في علوم اللسان : ١٤ .

أما النحو التعليمي " فهو ما كان يُعَلِّم الصبيان وكل من كان يرغب في تحسين مهارته اللغوية، وكان لهم اهتمام كبير جداً بتعليم أبنائهم العربية. وكان مرجعهم، كأصول مدونة، ما وضعه النحويون واعتمدوا على ما تعودوا عليه منذ القديم مَنْ وضع أولادهم في بيئات فصيحة ومن تحفيظهم الشعر خاصة"<sup>(١)</sup>. قال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في البيان والتبيين عن النحويين: "كأسمى النحويون فذكروا الحال والظروف... لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القروقيسين على العروض والنحو..."<sup>(٢)</sup>.

فالقدمات كانوا على وعي تام بضرورة وجود مؤلفات نحوية تعليمية واضحة تناسب الفئات المختلفة من الناشئة والمتعلمين، وقد دفعهم هذا الوعي بالمشكلة إلى إعداد مختصرات يضم الواحد منها - أحياناً - موضوعات النحو الأساسية في صفحات معدودة، تقتصر على ما يُلبى حاجة المتعلم في عبارة مبسطة، وموجزة، معتمدين في ذلك على مبدأ التدرج والانتقاء، فتجنبوا كثيراً من المسائل النحوية الخلافية، ولم يتعصبوا لمدرسة نحوية معينة، بل ركزوا على الموضوعات المذهبية (التي استقرت عند جمهور النحاة). وهكذا فقد خلت مؤلفاتهم من الإسراف في التفصيل والتفسير والولوع بالاستشهاد والاحتجاج والتعليل؛ وذلك أنّ مهمهم هو تقريب النحو من المتعلمين. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب الجمل للزجاجي (ت ٢٣٨هـ)، والواضح للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) واللّمع لابن جني؛ وقطر الندى لابن هشام الأنصاري... الخ.

وجديرٌ بالذكر أنّ التأليف التعليمي الذي ظهر مبكراً منذ القرن الثالث الهجري<sup>(٣)</sup>، واستمر زمنياً دون انقطاع، قد تجاوز دائرة المتخصصين في النحو، إذ شارك فيه علماء، ولغويون، ومناطقية، وفلاسفة، وفقهاء، ومفكرون. وحسبنا أن نُلقى نظرة على قائمة العناوين التي أسهمت في مجال التأليف التعليمي، لنعرف حجم المجهودات التي بذلها العلماء لنشر العربية وتيسير تعليمها، فمن هذه المؤلفات العناوين الآتية<sup>(٤)</sup>: مختصر في النحو، المختصر في العربية، الموجز في النحو، مُقدِّمة في علم النحو، المدخل إلى علم النحو، المُهذَّب في النحو، والتفاحة في النحو، الإقناع في النحو، الواضح في النحو، التلقين في النحو، الأنموذج في النحو، القانون، المصباح، الإشارة، الكافية، الشافية، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، الهداية الربانية إلى مقاصد العربية... الخ.

وعلى الرغم مما تميزت به بعض المختصرات النحوية من مبادئ تربوية مفيدة في عصرها كانتقاء الموضوعات والتدرج في عرضها، وترتيبها، وتهذيب مسائلها، إلا أنّه يُمكن أن تؤخذ عليها مجموعة من

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ١٤ .

(٢) البيان والتبيين : ١ / ١٤٠ .

(٣) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٤ .

(٤) قام الدكتور على أبو المكارم بإحصاء العناوين التي تضم فحوى التيسير، للتفصيل أكثر ينظر: النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري، د. علي أبو المكارم، مجلة معهد اللغة العربية، العدد ٢، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٤ .

المؤاخذات، إذ إنّ " لهذا الاتجاه في التعليم والتأليف آثاره التي لا تُحمد؛ لأنّه اتجاه يعتمد الحفظ والتلقين والتكرار"<sup>(١)</sup>، ومن أهم هذه المآخذ:

١- اهتمامها بالنحو الإفرادي على حساب النحو التركيبي، إذ يبدو النحو فيها مفردات متناثرة، لا نحو تراكيب وجمل وأساليب.

٢- أمثلتها جافة ومصطنعة لا تعبر عن احتياجات المتعلم، ولا تستجيب لمتطلبات عصره وبيئته.

٣- لم تكن ترمي إلى خلق المهارات الأساسية وتنميتها (كالتعبير الشفوي والكتابي)، بل كانت تهدف إلى التحليل الإعرابي وتزويد المتعلم بمعلومات نظرية عن اللغة تهم السلامة اللغوية، ولا تُفيد التبليغ.

٤- هذا النوع من التأليف (المختصرات) لم يُكن منظماً بشكل يصلح مباشرة للتدريس، حيث لم يبرأ من آثار الطابع الفلسفي النظري، ولا سيما عند النحاة المتأخرين الذين وقع عندهم خلط بين العلم والتعليم وبين تعليم النحو وتعليم اللغة؛ ولذا فإنّ المادة التعليمية الموجودة في بعض المختصرات مفيدة جداً، ولكنها تحتاج إلى تكييف على وفق ما تقتضيه التربية الحديثة.

٥- هذا الاتجاه يصفه الدكتور مهدي المخزومي بـ(الجدب)، إذ يرى أنّ هؤلاء العلماء كانوا يصنعون كتباً مختصرة مشتقة من كتب الأقدمين ويسمونهم مقدّمات أو متوناً ثم يشرحونها ويوسعونها بالتعليقات والتأويلات والردود والمناقشات<sup>(٢)</sup>، وهذا بالتأكيد لا يُعدّ تيسيراً، بل تعقيداً، فالتيسير ليس اختصاراً، ولا هو حذف للشرح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو، يتم من خلاله تحويل المادة الخام الجافة التي تتضمنها مختصرات النحو إلا مادة تربوية حية صالحة للتدريس والفهم. بيد أنّ لهذا النمط من التأليف كان استجابة لحاجة تعليمية، في إيجاد مؤلفات تيسيرية تشبه إلى حدٍ ما (الكتب المدرسية) في عصرنا هذا<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن أنّه له دوافعه التي حفزت النحاة على اتباع هذا المنهج من التأليف النحوي<sup>(٤)</sup>.

وفي ظل موجة الحداثة والمعاصرة التي تغلغت في الميادين المختلفة للعلوم، شَعَرَ أهل العربية - في العصر الحديث - بضرورة تجديد النحو، وإعادة النظر في تصنيفه من جديد، ومنها ما قام به الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في قضية مهمة وهي صعوبة النحو العربي على المتعلّمين، وما انعكست عليه من نتائج سلبية ظهرت في المستوى المتدني لتحصيل المتعلّمين في (تعلّم النحو العربي).

(١) مناهج التأليف النحوي، د. كريم حسين الخالدي، دار صفاء للنشر، عمان، ط، ٢٠٠٧م : ٥٤ .

(٢) ينظر: الدرس النحوي في بغداد، د. مهدي المخزومي، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٤م : ١٦٠ .

(٣) ينظر: مناهج التأليف النحوي : ٥٥ .

(٤) يُجمل أستاذنا الدكتور كريم حسين الخالدي أهم هذه الدوافع، وللتفصيل أكثر يُنظر: مؤلفه: مناهج التأليف النحوي : ٤٩ .

ويُقَدِّم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح آراء قيِّمة في تيسير تدريس اللغة عموماً، والنحو خصوصاً، إذ يقول: "مما يلاحظ من ضعف الملكة في اللغة العربية الذي يتصف به كثير من الأفراد، وقلة إقبال الطلبة على أقسام اللغة العربية"<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أنه يرى هذه المشكلة من وجهة نظر تربوية، حيث يقول: "ونحن لا نتهم اللغة في ذاتها إنما الذي نستضعفه هو كيفية استعمال المرين لها"<sup>(٢)</sup>.

وهذه المشكلة قد تطرق لها عدد كبير من الباحثين المحدثين الذين اهتموا بمسألة التيسير، إذ نجد الدكتور علي أبو المكارم يقول: "لعلَّ من المسلم به عند كثير من الباحثين، والدارسين أنّ النحو العربي بقدر من الصعوبة كبير، ولقد أدرك هذه الصعاب شيوخ النحو وأعلامه كما أحسّها تلاميذه"<sup>(٣)</sup>.

وقال الدكتور احمد عبد الستار الجوارى: "ما زال نحو العربية عند أهلها عسيراً غير يسير، وعزَّ غير ممهد منحرفاً إلى غير قصده، لا يخلو من تعقيد، ولا سلِّم من انحراف، وما زال هذا النحو مثار الشكوى من المعلِّمين والمعلَّمين على سواء"<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مشكلة الضعف في العربية، (ولاسيما النحو)، ويرى أنّ السبب يعود إلى مشكلة تدريس هذه المادة من جهة، واستعمال الناس لها في حياتهم اليومية من جهة ثانية<sup>(٥)</sup>. وهذه المشكلة التي يكون المُعلِّم والمتعلِّم وطريقة التدريس للمادة العلمية أطرافها، أي تقوم على مثلث ثلاثي في العملية التعليمية يُعرَّف بـ(الديداكتيكي)<sup>(٦)</sup> وهي طريقة تعليمية ظهرت حديثاً تعمل على نقل تدريس المواد التعليمية من صبغته الفنية التي تعتمد على مواهب المدرسين واجتهاداتهم وتجاربهم الفردية، ليكسبه طابعاً علمياً تحليلياً<sup>(٧)</sup>. ويُحدِّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أطراف هذه المشكلة في تعليم مادة النحو، ومن أهمها:

#### أ - ما يخص المعلم والمتعلِّم وتحليل الاحتياجات:

يرى عدد من الباحثين المحدثين - ومنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - أن المسؤولية الكاملة في ضعف الطلبة في مادة اللغة العربية ونحوها تقع على المُعلِّم، وإلى ذلك أشار الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى إلى أنه يجب إعداد المُعلِّم الإعداد الجيد عند إسناد مهمة التدريس له بقوله: "علينا إعداد

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٥٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٦٠ .

(٣) أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب، ط١، ٢٠٠٧م : ٧ .

(٤) نحو التيسير - دراسة ونقد منهجي، د. احمد عبد الستار الجوارى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، ١٩٨٤م : ٩ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٩١ .

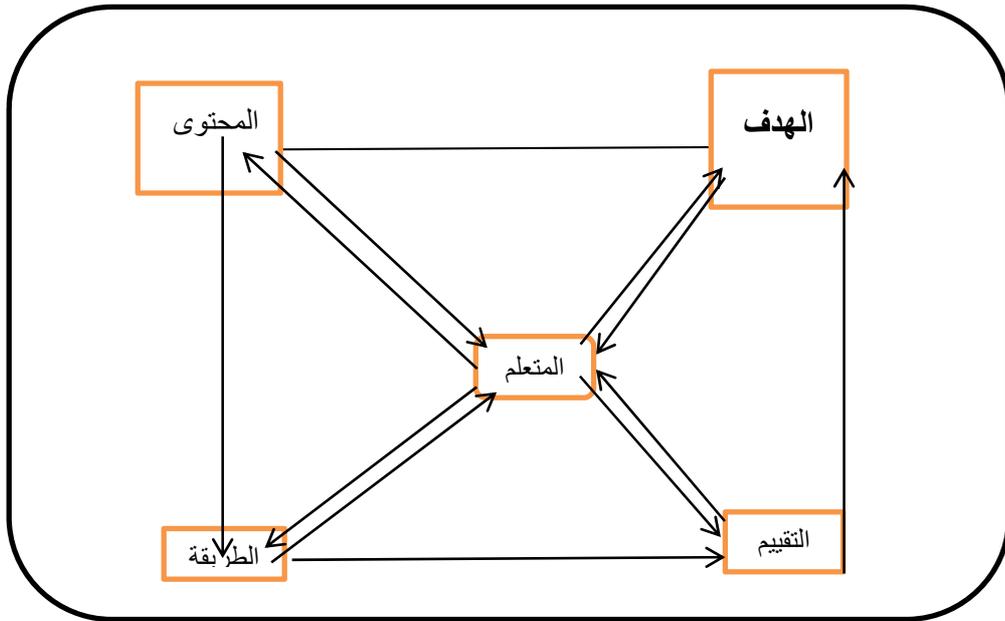
(٦) مصطلح أنجليزي ويعني(تعليمية النحو)، ينظر: معجم المصطلحات اللسانية : ٧٩ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٨٠ .

الذين يقومون على تدريس النحو، وتعليمه إعداداً يشتمل على فقه، ومعرفة واعية بالنحو، وسائر علوم العربية، حتى لا يبقى النحو مادة غريبة عن الأفكار فلا ينتفع به" (١).

ويقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه " لا يمكن لمدرس اللغة اليوم أن يجهد ما أثبتته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ومن معلومات مفيدة، ومناهج ناجحة في التحليل اللغوي". فضلاً عن إشارته إلى حاجة المعلم والمدرس إلى العلم النظري أكثر من الطالب، إذ يقول: " إنَّ الذي يحتاج إلى العلم النظري هو المعلم والمدرس لا التلميذ، وحاجته إليه إنما هي ناتجة عن حاجته المسيسة إلى تصور صحيح للمادة التي يُدرِّسها، تصور سليم لا تشويه الانطباعات الذاتية أو الأوهام الشائعة" (٢).

كما يُنبه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على حاجة المتعلمين ويُعدّها خطوة أساسية أولية لأبداً منها، فتحديد محتوى التدريس تحديداً علمياً لا يكون بتحليل المادة التعليمية فحسب، بل يتعداها إلى جمهور المتعلمين وقدراتهم واستعداداتهم وأهدافهم، والأهم من ذلك كُله تحليل احتياجاتهم اللغوية Les besoins langagieres، فتدريس النحو - بل اللغة بشكل عام - إلى (ز) و (ع) <--- (زيد وعمرو)، يقتضي قبل كل شيء معرفة من هو (ز) ومن هو (ع)، وماذا يريد كل منهما أن يتعلم من اللغة؟ ولماذا؟ (٣). وبناءً على هذا، فإنَّ تحديد الأهداف التعليمية ومحتوى التدريس والطريقة التي يعرض بها ذلك المحتوى يستلزم تحديداً أولياً لمركز الاهتمام وبؤرة العملية التعليمية، ألا وهو المتعلم. والشكل البياني الآتي يوضح هذا الاقتراح (٤):



(١) نحو التيسير : ١٥ .

(٢) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٨١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٢٨ / ٢ - ١٢٩ .

(٤) ينظر: من البيداغوجية إلى الديدانكتيك، دراسة وترجمة د. رشيد بناني، الحوار الأكاديمي والجامعي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١ م :

## ب - الانتقاء والترتيب والعرض:

يطرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح استراتيجية أكثر نفعية، وإجرائية، استوحاها من التراث اللغوي العربي الأصيل، وحمل المعلم المسؤولية في تطبيقها، ورأى "أنه ينبغي على المعلم أن ينبه المتعلم وجود وجهين على الأقل في تأدية الأغراض"<sup>(١)</sup>، فضلاً عن إشارته إلى هذين الوجهين بالنسبة لمستعمليه وهما<sup>(٢)</sup>:

١- حالة انقباض المتكلم وشدة عنايته بما يتفوه من ألفاظ وما يحدثه من صياغة، وهذا تقتضيه حرمة المقام. ويُطلق عليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "التعبير المنقبض المُرْتَل"<sup>(٣)</sup>، ويُسميه في موضع آخر "الإجلالي"<sup>(٤)</sup>، ويقصد به أن اللغة العربية كيفية واحدة في التعبير، وهذا غير صحيح فالعربية مرنة؛ والسبب في هذا الاعتقاد هو أن المعلم أهمل المستوى العفوي وهو - على سبيل المثال - ما أجازته العرب من تسهيل للهمزة وإدغام كثير من الحروف بين كلمتين، وإخفاء الحركات واختلاسها وتسكين بعض المتحركات، وحذف ما يستغني عنه في حال الخطاب المرئية، إذ كان همّ المعلم هو الإعراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة<sup>(٥)</sup>.

٢- حالة تبذل واسترسال وعفوية التعبير؛ وهذا يحصل في مواضع الأُنس والاسترخاء، وقد ذكر الجاحظ هذه الألفاظ، إذ قال: "هم أجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواقع انقباضهم"<sup>(٦)</sup>.

ويُشير أيضاً إلى أنه على الرغم من الثقل على ذاكرة المتعلم فأعطائه أكثر من وجه في الأداء، إلا أنه يُحمل المسؤولية للمعلم في ذكر جميع الأوجه، فضلاً عن أن ما يُذكر للمتعم من هذا التعبير أو ذلك - المنقبض أو الاسترسالي - الذي أُصيب بالتخفيف فهو فصيح، فإذا نطق به في مقام الأُنس فهو بذلك خاضع لما تقتضيه لغة العرب ولم يخرج عنها، وهذا من شأنه إحياء الفصيح في لغتنا اليومية<sup>(٧)</sup>.

فضلاً عن ذلك فإن الانتقاء الموضوعي والجيد لمحتوى التدريس كما وكيفاً يضمن تعليماً جيداً لتلك المادة؛ لأن الاختيار العلمي خطوة مهمة لا بدّ منها، ولكن الأهم من ذلك هو طريقة عرض ذلك المحتوى

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٦٣ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٧٠ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٦٣ / ١ .

(٤) المصدر نفسه : ٧٥ / ١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٦) البيان والتبيين : ١١٤ / ٣ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٦٣ / ١ .

على المتعلم وترسيخه في ذهنه، بعد توزيعه على المستويات المختلفة والدروس، وإعطائه صبغة التدرج المناسب الذي يتقدم المتعلم على أساسه في مسيرة التعلم<sup>(١)</sup>.

### ج - المادة اللغوية المختارة:

المحور المهم من محاور العملية التعليمية (التيسيرية) هو المادة اللغوية، والتي كانت في النحو مثار شكوى من قبل كثير من النحاة المجددين (دعاة التيسير) لهذه المادة وتجديدها، والذين رأوا في صعوبة تعلم النحو بأنها تعود إلى قدم هذه المادة، وتعمدها، وعدم إيفائها لحاجات المتعلم، وعدم مناسبتها لقدراته، وقد اختلفت الآراء في ذلك بين من يُطالب بتيسيرها وتجديدها، وآخر يُطالب بتخفيفها وإعادة صياغتها، وفريق ثالث يريد الحفاظ عليها كما هي وثار ضد محاولات التيسير والتجديد<sup>(٢)</sup>.

فقد اقترح الدكتور إسماعيل احمد عمايره اقتراحاً يُشير فيه إلى أن ينبغي للأستاذ إن يُعطي لطلبته قدرًا من القواعد، وليكن ذلك عن طريق كتاب متميز سهل، وليس مهماً أن يكون قديماً أو حديثاً، ولعل الأولى أن يكون حديثاً؛ لأن جملة سوف تكون أسهل معنى، وأقرب إلى واقع المتعلم من الكتاب القديم، فالقواعد واحدة في الكتاب القديم أو الحديث<sup>(٣)</sup>.

لكن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يرى خلاف ذلك، فهو يُفضّل أن يكون الاعتماد على كتب التراث وحدها، وطالب بالرجوع إلى كتابات الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري فضلاً عن بعض العباقرة الذين عاشوا في القرن السادس الهجري أمثال الرضي الاستريادي، وعلى الطالب تفهم ما قالوه، وأثبتوه من الحقائق العلمية، ويُبين ما اتصفت به أقوال هؤلاء الرواد من علمية تنافس ما وصلت إليه النظريات اللسانية الغربية الحديثة، وذلك أنهم عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية العفوية، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الميدانية الواسعة لاستنباط القوانين النحوية والصرفية والبلاغية<sup>(٤)</sup>.

ومما تقدم يتبين لنا أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد قصد من الرجوع إلى كتب الفطاحل من العلماء كالخليل وسيبويه وابن السراج وابن جني وغيرهم من العلماء، الطبقة المتمكنة من القواعد النحوية فضلاً عن العلماء، وفي ذلك نظر، إذ أنه لم يشير إلى الطبقات المبتدئة من المتعلمين الذين ارتقوا قليلاً على سُلّم المعرفة، فلو أنه ذكر - على سبيل المثال - ابن هشام الذي تميّز بأسلوب رائع

(١) ينظر: اعتبارات نظرية وتطبيقية في تدريس القواعد لمتعلمي العربية من غير الناطقين بها، د. عيسى الشريفوني، المجلد ١٨، العدد ٢، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ١٩٩٨م : ٤٧ .

(٢) هذه الآراء أشبعت دراسات وبحوث؛ لذلك ارتأيت عدم ذكرها لنلا أطيل في عرض موضوع قد عُرض في أكثر من دراسة، وللتفصيل يُنظر: - على سبيل المثال -: النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، محمد عرفة، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د. نعمة رحيم العزاوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د. ط، ١٩٩٥ وغيرها من المؤلفات .

(٣) ينظر: تطبيقات في المناهج اللغوية، د. إسماعيل احمد عمايرة، دار وائل، ط١، ٢٠٠٠م : ٢٦٨ .

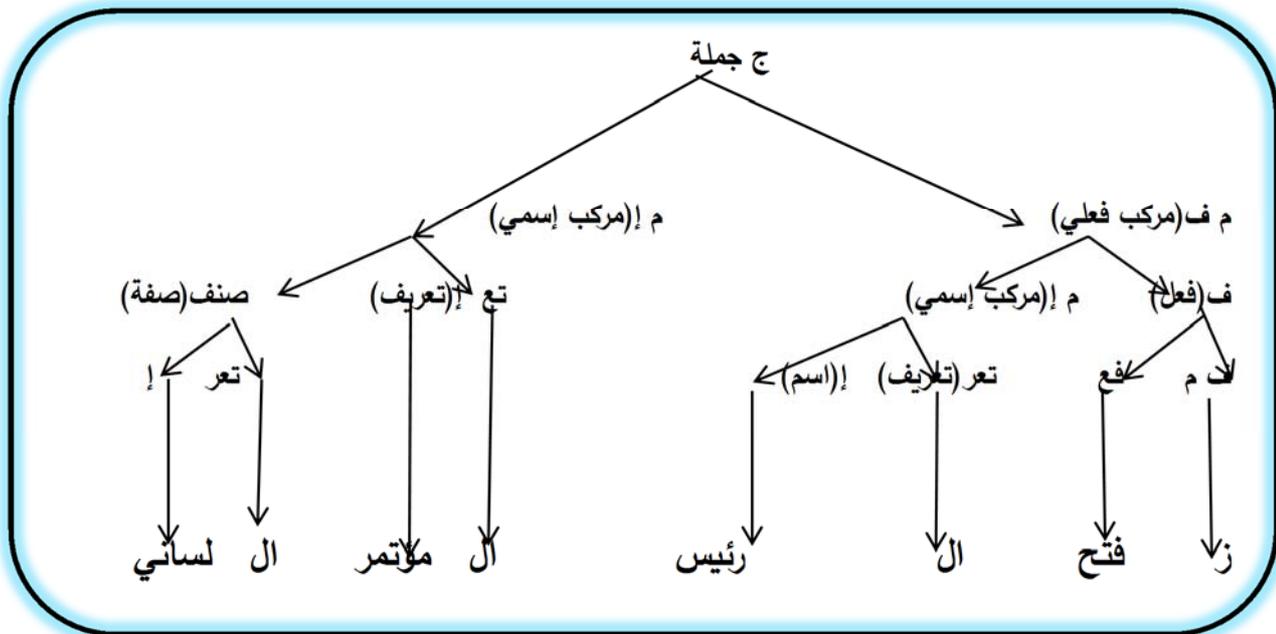
(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٦٩ .

وَمُتَدَرِّجٌ فِي مَوْلَفَاتِهِ لَكَانَ أَكْثَرَ دَقَّةً، فَالْمَطَّلَعُ عَلَى كُتْبِهِ يَتَلَمَّسُ بوضوحٍ وجلاء هذا الأسلوب، يقول في ذلك أستاذنا الدكتور كريم حسين الخالدي: "إنَّ الأسلوب الذي يخاطب به النحوي العلماء وأرباب العلم يتسم بسمات لا يمكن أن نلمسها في أساليب الكُتُب التي تولف للمبتدئين أو مَنْ حاز على قدر متوسط من المعرفة، ويستطيع المرء أن يتلمس ذلك بجلاء في أساليب كتب ابن هشام (قصر الندى وبل الصدى) وشرحه، وكتاب شذور الذهب وشرحه، ثم كتاب المسالك إلى ألفية ابن مالك، ثم كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) وهي أمثلة لمؤلفاته الكثيرة، فسيجد أنَّ الأول ألفه للمبتدئين والثاني للمتعلمين الذين ارتقوا قليلاً على سَلَم المعرفة، والكتاب الثالث لمن تمكَّن من تلك القواعد النحوية، والرابع للعلماء والمتعلمين، ومن هذا نعرف أنَّ ابن هشام كان في كل كتاب يُغيِّر أسلوبه ليلائم طبيعة المخاطب به"<sup>(١)</sup>.

#### د - تعليم النحو والوسائل التربوية:

من أهم الوسائل التربوية التي تقترحها - حالياً - التعليمية على المشتغلين بتدريس اللغة عامة والنحو خاصة التمارين البنوية (Les exercices structuraux) (والمشجرات les arbres).

أما التمارين البنوية، فهي تقنية جديدة نشأت في ظل مدرستين: مدرسة لسانية وصفية (البنوية)، وأخرى سلوكية نفسية (behaviorisme) كرد فعل على إفراط المعلمين في الشروح النظرية عند تعليمهم للغة<sup>(٢)</sup>. وأما المشجرات، فإن الهدف منها هو رسم التركيب الباطني المستتر للجملة، وهو رسم تجريدي أفضل من الإعراب، يمثل البنية التركيبية للجملة، ويساعد المتعلم على تصور هيئات التركيب في يسر وبساطة. وتبين هذه القواعد من خلال المُشجَّر الآتي<sup>(٣)</sup>:



(١) مناهج التأليف النحوي : ١١٧ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢١٤ .

(٣) ينظر: النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية: محاولة لسبرها وتطبيقها على النحو العربي، مجلة اللسانيات، العدد ٦، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، ١٩٨٢م : ٣١ .

فهذا التركيب المشجر يعين الطالب على إدراك الوحدات المكونة للجملة، دون حاجة إلى حشو دماغه بمصطلحات وتعريفات مجردة.

وقد حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن يفيد من النظرية الخليلية في مجال تيسير النحو وتجديده فضلاً عن تعليمه، وهذه الافادة تَكْمُنُ في المبادئ الآتية:

### ١- التمييز بين ملكتين:

إنّ اللغة هي ملكة لسانية - كما قررها ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، " فلا يُدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان"<sup>(١)</sup>، فاللغة التي هي نتاج ثقافي وفعلٌ صنّع، تصير ملكة لسانية قائمة عند متكلّمها. أي تصير مقدرة على التكلّم، وتستقيم في ذات المتكلّم أداة تعبير وتواصل<sup>(٢)</sup>.

ويُميّز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بين ملكتين في كيفية اكتساب اللغة وهما "الوضع والاستعمال"<sup>(٣)</sup>، فالملكة اللغوية هي ملكتان: "القدرة على التعبير السليم، والقدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في أحوال خطابية معينة، ولكل واحدة منها قوانين تختص بها"<sup>(٤)</sup>.

والى مثل هذا الذي ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نجد ابن خلدون يُميّز بين هذين النوعين، إذ قال: " ملكة هذا اللسان غير صناعة النحو"<sup>(٥)</sup>، فالملكة عنده هي الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة فهي القدرة التي يكتسبها الإنسان التي يحكم بها أفعاله الكلامية وهي غير علم النحو، " فمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة عملية غير نظرية، أما علم النحو قائم بذاته فهو نتيجة لإعمال الفكر في بنية اللغة واوزاعها"<sup>(٦)</sup>.

### ٢- اكتساب ملكة السلامة اللغوية:

ويعني بها - الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - التحكم في القواعد والمعجم، ويبني على إحكام التصرف في مثل اللغة، والذي يكون بإكساب القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفروع، والعكس<sup>(٧)</sup>. ومثاله (اللفظة)<sup>(٨)</sup>، فهي عبارة عن أصل تتفرع عليه كل الفروع التي تقتضيها اللفظة الاسمية

(١) المُقَدِّمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م : ١٠٧١ .

(٢) يُنظر: بحوث ألسنية عربيّة، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م : ٦٤ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٤ / ٢ .

(٤) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٥) المُقَدِّمة : ١٠٧٣ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٦٦ / ١ .

(٧) يُنظر: المصدر نفسها : ٥٤ / ٢ .

(٨) يُنظر: المبحث الثاني من هذا الفصل : ص (١٣٢) .

أو الفعلية، وإحكام التصرف فيها معناه تطبيق القواعد بعد أن تكتسب، والذي يتم في وقت قصير بالنسبة للدرس النحوي الذي ينطلق من القاعدة وتطبيقها، أو العكس<sup>(١)</sup>.

### ٣- اكتساب القدرة على التبليغ:

هي عملية مكملة للتصرف في البنى والمُثل بما يقتضيه المقام أو حال المخاطب، فالانتقال من غرض إلى آخر - مع حصر الأغراض - مع التصرف في محتوى المُثل يضمن اكتساب هذه الملكة في وقتٍ أقصر بكثير من تطبيق قواعد النحو والبلاغة<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن أنّ هذه النظرية - الخليلية الحديثة - يمكن تطبيقها على ميادين مختلفة مثل شرح النصوص وتحرير المقالات وبصفة عامة التعبير والفهم الشفاهي والكتابي<sup>(٣)</sup>.

والنتيجة التي نخلص إليها من هذا المبحث أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد اتبع منهجاً حدثياً تجديدياً وتيسيرياً، فقد ساير الحداثة، فضلاً عن التيسير في النحو العربي، مما يجعلنا نصفه من رواد التجديد والتيسير في النحو العربي، وقد اختلف منهجه عن كثير من معاصريه ممن ضربوا في أصالته بدعوى التجديد والتيسير فيه.

فعلَى العكس من ذلك وجدناه - الدكتور عبد الرحمن - قد استند إلى التراث النحوي العربي الأصيل، ليلبور أفكاره النحوية التجديدية فيه والمحافظة عليه بإعادة إحيائه من جديد. فكانت النظرية الخليلية التي أسسها، والتي تبنت أفكار ومبادئ النظرية الخليلية القديمة - والتي تعني نحو الخليل وسيبويه ومن تبعهم - كسيرورة لهذه النظرية، فضلاً عن كونها حركة من حركات التجديد والتيسير في النحو العربي.

غير أنّ هناك من يرى من الباحثين<sup>(٤)</sup> عدم جدوى مثل هذه المحاولات في النحو العربي، إذ قال: "إنّ محاولات التيسير والتجديد قد تعاملت مع النحو الواصل إلينا من النحاة، بمعنى أنّها محاولات توقفت عند النحو العلمي كما هو مدوّن في كتب النحاة، ولم يُجرّب أصحاب هذه المحاولات خوض غمار (النحو العملي) بما يدل عليه من قوانين وسنن تجري وفقه الألسنة"<sup>(٥)</sup>، وقال أيضاً: "إنّ حركة التيسير والاصلاح كانت خاضعة خضوعاً تاماً للتفكير اللغوي التقليدي... ولا يظهر في أعمالهم أدنى أثر لعلم اللغة إلا بطريق غير مباشر"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٥ / ٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها. وسنتطرق إن شاء الله إلى هذا المفهوم في الفصل الثالث من هذه الأطروحة .

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) هو الباحث عمر يوسف عكاشة .

(٥) النحو الغائب، عمر يوسف عكاشة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م : ٤١ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ويدحض هذا الرأي ما أبدعه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تجربته (النظرية الخيلية الحديثة)، والتي لم يهدف فيها إلى إصلاح النحو العربي القديم وما علق به من شوائب وتعقيدات بأن يجعله مختصراً أو يُعيد ترتيب أبوابه على غرار ما وجد عند بعض النحاة المحدثين، بل وجدنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يُحيي مفاهيم عربية أصيلة، ويُصحح أخرى طُمِسَ معناها نتيجة قصور فهمنا لما قصده منها الأوائل. فضلاً عن تنبيهه على الكشف عن نظريته اللغوية الحديثة التي منبعها أنموذجاً عربياً أصيلاً في محاولة لخلق هذا التمازج بين الفكر النحوي العربي القديم، والفكر اللساني الحديث، والتطور العلمي المعاصر، بجعله الأفكار النحوية للخليل وسيبويه ومن تبعهم كأصل يُستند إليه في كل هذا، مع موازنتها بما أتى به الغرب من نظريات لغوية حديثة. هذه النظرية التي قامت في ذهنه بعد القراءة المتأنية لمفاهيم النحو العربي، فضلاً عن سعيه إلى إعطاء منهج حديثي تيسيري لدراسة النحو العربي، إذ إنَّ نظريته أسهمت بشكلٍ كبير وفعال في (تيسير تعليم النحو) فضلاً عن (تيسير النحو)، فقد وجد في ذلك ضرورة ملحة تقتضيها حاجات المتعلمين في كل زمان.

كما أنه لا يخفى في أثناء دراسته كشف لنا عن منهجه في تصوّر الحلول اللازمة لمعالجة تعليم النحو العربي من خلال اهتدائه إلى فكرة جديدة حاول فيها أن يُحصّن النحو العربي ويعفيه من أن يقف جامداً في مكانه، وهذا خير دليل على قدرته على التحويل فضلاً عن التفريق بين (النحو العلمي، والنحو العملي).

## المبحث الرابع

## منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل الخطاب التراثي

لَقِيَ التراث اللغوي العربي اهتماماً كبيراً من قبل اللسانيين العرب، وحينما نقول (تراث)، فالأكيد أنّ المقصود من ورائه كل ما خَلَفَه القدماء من أعمال لغوية، سواء أكانت من صنيع النحاة أنفسهم، أم من صنيع علماء الأصول والفلسفة والكلام.

ويحاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح سبر أغوار هذا التراث اللغوي الثري، فينتقي من بين جواهره بعض الموضوعات الهامة، التي يرى إمكانية إقامة توفيق بينها وبين اللسانيات المعاصرة.

تُعَدُّ النظرية الخليلية الحديثة أول عمل تراثي يُقَدِّمه المؤلّف، معالجاً من خلاله أهمّ الأفكار المرتبطة بالنحو العربي عند نحائنا العرب القدماء، محاولاً إبراز مواطن الاتفاق بينها وبين الفكر اللساني الحديث، فضلاً عما تفرّد به علماءنا القدماء.

وقد تمخضت عن النظرية الخليلية مجموعة من البحوث و المقالات، عالج عن طرقها جوانب عديدة من التراث اللغوي العربي، إذ شمل كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - جزئين -) موضوعات عدّة تخص النظرية الخليلية الحديثة، منها: (تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل)، و (الجملة في كتاب سيبويه)، و (أول صياغة للتراكيب العربية: نظرية العمل العربية)، و (التحليل العلمي للنصوص)، و (مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي)، و ("تعال نحي علم الخليل". أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل و سيبويه)، و (دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية). فضلاً عن بحوث أخرى تخص النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية من خلال النظرية الخليلية الحديثة<sup>(١)</sup>.

تُشكّل هذه الأعمال الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وقد حاول المؤلّف جعلها فضاءً برهن عن طريقه على تميّز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجّهاته.

وقبل الوقوف على أهم خصائص الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تجربته (النظرية الخليلية الحديثة) أود أن أشير بعجالة إلى (مفهومي المنهج والخطاب)، وأنواع الخطاب وأهم آلياته في التحليل اللساني العلمي.

(١) وقفنا بالتفصيل عند هذه المجموعة من البحوث في (المبحث الثالث من هذا الفصل).

## مفهوم المنهج:

**المنهج في اللغة:** هو الطريق الواضح، فقد وردت مادة (نَهَج) في كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي وتعني: واسع، واضح... ومنهج الطريق: وصّحه، والمنهاج: الطريق الواضح<sup>(١)</sup>.

والمنهج: هو " الخطة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما"<sup>(٢)</sup>، وقد أجمعت جُلّ المعاجم على أنّ المنهج هو الطريقة أو الأسلوب، ويستعمل هذا المصطلح أيضاً للدلالة على طريقة البحث عن المعرفة.

أما اصطلاحاً: فهو: " خطة منظمة لعدّة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"<sup>(٣)</sup>. ويراد" بمنهج البحث الطُرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض"<sup>(٤)</sup>. ويشار أيضاً اصطلاحياً بالمنهاج إلى "الأصول التي تتبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية"<sup>(٥)</sup>.

وقد اختلفت دراسة المناهج(قديمًا وحديثًا)، وحجر الزاوية في هذه الاختلافات تُلخصه كلمة واحدة هي scientific العلمية، والجانب الهام في علمية المناهج هو: "استعمال الأساليب العملية التي يعتمد عليها الموضوع أي المنهج العلمي scientific method ، والذي يتمثل في ملاحظة الظواهر، ثم إقامة الفرض النظري الذي يفحص بعد ذلك منهجياً عن طريق التجريب وتحقيق الفروض، كما يهتم بوضع أصول نظرية علمية ومصطلح علمي ثابت وواضح"<sup>(٦)</sup>، وهذا ما تقوم به النظرية الخيلية الحديثة.

## مفهوم الخطاب:

يختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف وجهات النظر وتتوّعها، ويتداخل مفهومه - بوجه خاص - مع مفهوم النص<sup>(٧)</sup>، الذي يرى بعض من الباحثين ترادفهما، والبعض الآخر تمايزهما عن بعضهما وتشكّل زاوية الكتابة والمشافهة نقطة حاسمة في التفريق بينهما، إذ يُعدّ الخطاب إنجازاً شفهيّاً يوجّهه المخاطب إلى المخاطب الحاضر، في حين يُعدّ النصّ إنجازاً كتابياً موجهاً للمخاطب الغائب.

(١) العين : ٣ / ٣ . (مادة نهج) .

(٢) المعجم الوسيط : ٩٥٧ / ٢ (مادة نهج).

(٣) المصدر نفسه : ٩٥٧/٢

(٤) علم اللغة (وافي) : ٣٣ .

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية : ١٩١ .

(٦) مقدّمة في علوم اللغة، زهران البدرابي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٦م : ١٧٥ .

(٧) تُعرّف جوليا كريستيفا النص بقولها: " نحدد النصّ كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلية يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، أو المترامنة معه. فالنصّ إذاً إنتاجية، وهي ما يعني: أ - أنّ علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة)، ولذلك هو قابل عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب - أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى". ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة : فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م : ٢١ .

ولن نتوسع في مقامنا هذا، في طرح هذه الآراء والاتجاهات المختلفة، بل سنكتفي برأي ميشال فوكو Michel Foucault الذي يعده "مصطلحاً لسانياً يميّز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشمله لكلّ إنتاج ذهني سواء كان نثرًا أو شعراً، منطوقاً أو مكتوباً، فردياً أو جماعياً ذاتياً أو مؤسسياً، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد، وللخطاب منطوق داخلي وارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو مدة زمنية أو فرع معرفي ما"<sup>(١)</sup>. إذًا، يمكننا القول: إنّ الخطاب مجموعة مترابطة من الملفوظات الصادرة عن الأفراد والجماعات والمؤسسات المختلفة باختلاف المتكلمين والعصور أيضاً. ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تُعدّ خطاباً"<sup>(٢)</sup>.

هذا يعني أنّ النصوص التي تشترك في المحتوى أو الطرح أو اللغة أو الهدف أو التخصص أو حتى الفئة المتكلمة، تشكّل باتحادها خطاباً له مميّزاته الخاصّة، أو هو "مجموعة من الآليات الخطابية التي تحدّد ما يمكن أن يقال وبأية صيغة يمكن أن يقال، وما هو جدير بالمعرفة، وما هو مهمّ تذكره واسترجاعه"<sup>(٣)</sup>.

يتضح مما تقدّم أنّ الخطاب يرتبط بقائله ومتلقّيه و الموضوع المطروح والوضع الذي يحتويهم، أو المؤسسة الثقافية أو الاجتماعية أو العلمية التي ينتمي إليها طرفا الخطاب. وهو ما يجعل من "مجموعة من العبارات المباركة التي لها قوّة مؤسّساتية، أي أنّ لها تأثيراً عميقاً على الطريقة التي يفكر بها الأشخاص وعلى الكيفية التي يسلكون بها"<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن أنّ لها تأثيراً على اللغة التي يوجّه بها الخطاب، والتي تختلف بدورها من قائل إلى آخر، ومن تخصص إلى آخر، كما تختلف باختلاف المناسبة أو الموقف وطبيعة المتلقي والهدف المقصود من وراء إصدار الخطاب، وعليه يمكن تحديد الخطاب بوصفه مجالاً بعينه من الاستخدام اللغوي تُحدّد بنيته بتمازج العناصر السابقة التي تفرز باختلافها أنواعاً جديدة من الخطاب"<sup>(٥)</sup>.

صفوة القول: "تختلف أنواع الخطابات باختلاف المؤسّسات والممارسات الاجتماعية التي تتشكّل فيها هذه الخطابات، وباختلاف أوضاع أولئك الذين يوجّه إليهم الحديث"<sup>(٦)</sup>، فهناك الخطاب السياسي، والخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب اللساني...<sup>(٧)</sup>، إذ يرد لفظ (الخطاب) مقترناً مع صفات

(١) نظام الخطاب، ميشال فوكو، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ١٩٨٤م : ٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسّان، عالم الكتب، مصر، ط١، ١٩٩٨م : ٧٢ .

(٣) الخطاب والأيدولوجيا، سارة ميلز، ترجمة : يوسف بغول، حولية مختبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، مطبعة البعث، عدد ١، ٢٠٠٢م : ١١٠ - ١١١ .

(٤) المصدر نفسه : ١١٠ .

(٥) ينظر: المُقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم، د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، ٢٠٠١م : ٦٨ .

(٦) المقدمة في نظريات الخطاب : ٦٧ .

(٧) استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م : ٣٤ .

أخرى. وبما أنّ موضوع بحثنا يدور في فلك اللسانيات، وتحديدًا بغرض تحليل نموذج من نماذج الخطاب اللساني العربي الموجه للقراء العرب باختلاف مستوياتهم، فإن المؤسسة اللسانية بتموقعها العربي ستفرض وستستدعي في الوقت ذاته حضوراً خاصاً للخطاب.

ومن أنواع الخطاب التي يُمكن تلمسها في النظرية الخليلية الحديثة ما يأتي:

#### أ - الخطاب العلمي:

يتنوع الخطاب العلمي بتنوع العلوم، ويختلف باختلاف طبيعة الحقيقة التي يطرحها، ويتميّز الخطاب العلمي بلغة خاصة، لا مجال للعاطفة والجمال فيها، فهي لغة موضوعية تستند إلى سجل مصطلحي خاص، تتحدد من خلاله مدلولات الدوال بشكلٍ دقيق، لا مجال فيه لتعدد الدلالات للمصطلح الواحد، ولا لتعدد القراءات للفكرة الواحدة. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أما البحث اللغوي فينبغي أن لا يتصف بالمعيارية، أي لا يفضل اللغوي لهجة على أخرى أو كيفية في الأداء على أخرى لسبب من الأسباب غير العلمية، بل يجب أن يكتفي بالوصف الموضوعي لكل ما ورد في مدونته وإلا فإنه سيهدر كثيراً مما هو موجود، ويفرض ما يستحسنه، فيكون له بذلك موقف ذاتي بعيد عن العلم"<sup>(١)</sup>. ولا شك "أنّ الخطاب العلمي - كغيره من الخطابات - يتحدّد تبعاً للمخاطب والمخاطب ووضع الخطاب، إلا أنّ الخطاب العلمي - في جوهره - خطاب نظري يمكن تصوّره كبنية تفسيرية تربط عدداً من الظواهر بعددٍ من المفاهيم والمسلّمات والمبادئ عن طريق استنتاجي.. وتحدّد البنية التفسيرية بصفة أدق بالنظر إلى مجال البحث ومجال التفسير مجال الاحتجاج. فمجال بحث الخطاب تحدده مفاهيم ذلك الخطاب، وهذه المفاهيم تخصّص مجموعة من الظواهر"<sup>(٢)</sup>.

#### ب - الخطاب اللساني:

الخطاب اللساني خطابٌ علميٌّ موضوعه اللسانيات بوصفها "الدراسة الموضوعية للظواهر اللسانية العامة الوجود منها والخاصة بكل قومٍ والغاية منها هو الكشف عن أسرارها وقوانينها سواء أكان في مستوى النظام المتواضع عليه أم في مستوى الكلام وتأدية المتكلمين لوحدها وتركيباته في المخاطبات الشفهية والكتابية"<sup>(٣)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٣ / ١ .

(٢) عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني في المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٩٣م : ٤٣ .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٧٤ .

## ج - الخطاب التربوي:

الخطاب التربوي أو التعليمي هو الخطاب الذي يُعنى بنقل المعارف والمعلومات بشكلٍ بسيطٍ يضمن سهولة اكتسابها من قبل القارئ أو المتعلم<sup>(١)</sup>، ويتم ذلك باعتماد منهج واضح يقوم على مجموعة من الوسائل التبسيطية مثل: التلخيص، التكرار، المخططات والرسوم البيانية وغيرها.

والهدف الأساسي من الخطاب التربوي أو التعليمي هو تيسير بناء الرصيد المعرفي للقارئ لتأهيله لسبر أغوار تلك المعرفة، والانتقال به من مرحلة التخزين إلى مرحلة الإخراج، أي من مرحلة تقبل المعلومة إلى مناقشتها ونقدها ودحضها أيضاً<sup>(٢)</sup>، وعليه يمكننا القول: إنّ للخطاب التربوي هدفين: قريب وهو التسهيل، وبعيد وهو التأهيل، فهو يُسهّل المعلومة حتى يؤهل القارئ لإعادة قراءتها في سياق علمي أكثر تعقيداً.

## د - الخطاب التراثي:

يُعرف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح التراث اللغوي العلمي أنه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمالٍ جليّة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعجام والنقط لتصحيح القراءة"<sup>(٣)</sup>.

إذ يُشير لفظ(تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خلفاً لسلف<sup>(٤)</sup>.

وجدير بالذكر أنّ الجانب الأهم من التراث هو الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها<sup>(٥)</sup>. والرصيد اللغوي القديم الذي خلفه أسلافنا مادّةً وبحثاً، جزءاً لا يتجزأ من هذا التراث، وعليه، يُمثّل(التراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكرية القديمة المتعلقة بتحليل الظواهر اللغوية بشكلٍ عام وظواهر اللغة العربية بشكلٍ خاص.

نخلص من هذه التقسيمات إلى أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد وقف عند هذه الأنواع من الخطاب، إذ كان خطابه تراثياً فضلاً عن جمعه بين الخطاب العلمي والتربوي فضلاً عن اللساني، إذ نلاحظه - في المباحث السابقة - يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث وما

(١) ينظر: خصائص الخطاب اللساني. أعمال ميشال زكريا نموذجاً، هبة خياري، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١١م : ٦٨.

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٨٠ .

(٣) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٧ .

(٤) ينظر: التراث والحداثة، د. محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م : ٢٤ .

(٥) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٧ .

توصلوا إليه من أفكار ومناهج، وما يقوله المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم اللسانية، كالنحو التوليدي والتحويلي وكنظرية الخطاب وغيرها.

### آليات تحليل الخطاب العلمي:

تتمثل آليات تحليل الخطاب العلمي في:

#### ١- مقومات الخطاب العلمي:

يقوم الخطاب العلمي على أربعة مقوماتٍ أساسية هي:

##### أ - الوضوح:

نقصد بالوضوح في الخطاب العلمي، الابتعاد عن الغموض أو الإبهام، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال حُسن اختيار العبارة ودقة قصدها وتفرّد دلالتها، وعدم قابليتها لتعدّد القراءات " فلا ينبغي أن يجعل للفكرة الواحدة أكثر من كلمة أو تعبير يحتمل معنيين أو أكثر"<sup>(١)</sup>. وهكذا يرتبط وضوح الخطاب العلمي بوضوح و دقة عبارته أو صيغته اللسانية، فضلاً عن إنّه يخضع لصياغة لسانية صارمة، لا مكان فيها للمجاز والعبارة الذاتية كالتّي تتضمن التعجب أو المدح أو الذم...<sup>(٢)</sup>، إلا بما تقتضيه المعلومة، كطرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من الأسئلة المبدئية حول قضية ما<sup>(٣)</sup>، والتي يكون القصد منها عموماً، إثارة الإشكاليات لدى القارئ، وجذب انتباهه إلى تفاصيل الموضوع، وينبع وضوح الخطاب في النظرية الخليلية، من بساطة أسلوب المؤلف، ومباشرته والتزامه باستخدام مفردات بسيطة، سهلة، عادةً ما تُرافق الخطاب العلمي، مثل: التّحديد والتلخيص، والتعريف والدراسة والمفهوم والمصطلح، ...

##### ب - الموضوعية:

يقتضي الخطاب العلمي - على عكس الخطاب الأدبي - إقصاء شخصية المؤلف، فهو مطالب بوضع حد فاصل بين ذاته وموضوعه، وأن تكون الغلبة في بناء الخطاب للموضوع، الذي هو إما عرض للمعلومات أو استثمار للمناهج أو استخلاص للنتائج أو تحليل للقضايا، أو تفسير للظواهر بشكلٍ لا مجال للذات أو الحكم الشخصي<sup>(٤)</sup>.

(١) واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي - الخطاب اللساني أنموذجاً، د. شريف بو شحّدان، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد السادس، ٢٠٠٢م : ٢٦٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: على سبيل المثال: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٩ / ٢ - ١٠ .

(٤) ينظر: خصائص الخطاب اللساني : ٧٠ .

ويلتزم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الموضوعية في طرح مواضعه التراثية، فهو لا يُبدي من خلال أعماله انحيازاً لآراء القدماء، ولا مبالغة في الإشادة بها، ولا محاولةً لتخطئة ما يُخالفها، ولا تصغيراً لجهود المحدثين بحجة أسبقية الآراء عند القدماء، إنّه عمل مُنظم موضوعي، يعتمد أسلوباً توافقياً يسعى من خلاله الباحث إلى استخلاص الآراء اللغوية المتطورة في التراث العربي.

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "المقصود من هذا<sup>(١)</sup> ليس هو أن نأخذ ما يقوله المحدثون من علماء اللسانيات وننتقل منه كأصول ثم ننظر ما الذي يوافق ذلك فيما جاء به العلماء القدامى من أقوال فنحكم على بعضها بالصحة لموافقتها لها وبعضها بالخطأ (بل بالبدائية) لمخالفتها، فهذا تعسف محض؛ لأن النظريات والمذاهب ليست هي الحقائق العلمية التي يجتمع على صحتها كل العلماء. ومن جهة أخرى فهناك أصول علمية مجمع عليها في زماننا بين جميع العلوم لا في علوم اللسان فقط فهي التي يجب أن تكون كالمحك في اختبار الصفة العلمية لأي فكرة ولأي مذهب ولأي منهج لعمومها وانطباقها على جميع المعارف ولعدم الخلاف فيها... كما أنّ المقصود ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة... وكل يعرف أن لكل عصر نظرة خاصة وتصوراً خاصاً للظواهر وكيفية خاصة للكشف عن أسرارها. والمنظور العربي يتميز بلا شك في هذه العلوم اللسانية عن المنظور الغربي الحديث، ثم لا بُدَّ أن نعرف أنّ الكثير مما هو موجود عند الغربيين ورثوه عن الحضارة اليونانية"<sup>(٢)</sup>. وهذا دليلٌ قاطعٌ على موضوعية المؤلف، والتزامه بهدفه وهو ربط الفكر اللغوي العربي بالفكر اللساني الحديث.

#### ج - الانتظام:

يتعلق الانتظام ببناء الخطاب، وكل بناء لا بُدَّ له من تخطيط مسبقٍ لتنظيم مادته، "إذ كلما أخذت الحقائق والمعلومات التجريبية، وهي المادة الأولية للخطاب العلمي، حظاً في التنظيم والترابط والتماسك كلما تميّز هذا الخطاب عن غيره، وكان أقرب إلى روح العلم"<sup>(٣)</sup>، فكثرة المعلومات دون تنظيمها، وتعدّد الظروف دون تماسكها لا يمكن أن يؤدي إلى بناء خطاب علمي حقيقي.

ويتمثل انتظام العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من انتظام الأفكار التراثية واللسانية المعروضة ضمن النظرية الخيلية الحديثة، فهو ينطلق - في أغلب الأحيان - من القديم، ثم يعود إلى الحديث، مؤسساً بذلك موازنات تنتظم فيها آراء القدماء من ناحية كما تنتظم آراء المحدثين من الناحية الأخرى.

(١) قصد دراسته التوافقية بين علوم اللسان العربية وعلوم اللسان الغربية .

(٢) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٨ .

(٣) واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

وتتماسك هذه الأفكار جميعاً لتخدم الفكرة العامة التي يطرحها المؤلف ويسعى لتأكيدتها، دون خلط للآراء، أو إسقاط تامٍ للحديث على القديم - كما ذكر - ويتجسد ذلك بوضوح من خلال اعتماده المصطلحات التراثية للتعبير عن مفاهيم القدماء، فضلاً عن اعتماده المصطلحات الحديثة للتعبير عن مفاهيم المحدثين، وإن كان المفهوم متقارباً بينهما، من ذلك مثلاً اعتماده مصطلح (قسمة التراكيب) مقابل التوزيعية في المدرسة الاستغراقية<sup>(١)</sup>، هذا وتوجد أمثلة أخرى مثل مفهوم (اللفظة) التي لا يوجد في اللسانيات الغربية واقتراح - المؤلف - ترجمتها بـ (lexai)، والعامل والاستقامة... وغيرها. إنها مصطلحات أصيلة تُعبّر بدقة وصرامة ووضوح على مفاهيم لسانية خليلية أصيلة وتُحيط بها إحاطة جامعة مانعة، فضلاً عن وعيه بالمصطلح الغربي الحديث والعمل على توطينه في اللسانيات العربية بما يتلائم مع السياقات المعرفية التي نشأ فيه المصطلح، مثل مصطلح الإيزومورفيزم Isomorphism وقصد به (التكافؤ بين العمليات) أو (التكافؤ في القياس)<sup>(٢)</sup>.

#### د - الاقتصاد:

الخطابُ العلمي خطابٌ دقيقٌ لا مجال للخيال أو الإيحاء فيه؛ و لذلك فإن عباراته موجزة، محدّدة الفكرة، تحمل دلالةً واحدةً ولا تطرح فرصاً تتعدد قراءاتها، ويلجأ المؤلف لتحقيق الاقتصاد في الخطاب العلمي إلى وسائل عدّة، على سبيل المثال: تلخيص المسائل في شكل نقاط<sup>(٣)</sup>، وصياغته النتائج والقوانين ووضع المخططات واستخدام الرموز<sup>(٤)</sup>، وكُلّ ذلك لتجنب الإطناب والحشو الذي قد يؤدي إلى سوء تبليغ الموضوع، ومن ثمّ سوء فهمه من قبل المتلقي.

وقد تبني الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة أسلوباً علمياً دقيقاً، يُعالج الأفكار بشكل بسيط جداً سهل الفهم، دقيق القصد، مختصر يُركز فيه على المعلومة كما تبيّننا، سواء أكانت تراثية أم حديثة، عاملاً على إجراء الموازنات بينها، دون توسّع في الأفكار والاسترسال في الحديث، وهو ما يجنبه جعل الموضوع كبير الزوايا، فيبتعد بذلك عن كل ما ليس له علاقةً بالموضوع.

#### ٢- مستويات تحليل الخطاب العلمي:

##### أ - البنية التقنية (la structure Technique) :

تعني هذه البنية فهم الموضوع، وتتجلى من خلال "القابلية لتحليل المعلومة الكبرى إلى أجزاء أصغر منها قابلة - هي بدورها - للفهم، من أفكارٍ أو أحداثٍ، والبحث عن نوعية الترتيب المنطقي

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٠ / ١ .

(٢) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٧٨ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠٦ / ١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٣١٩ / ١ .

لأفكار والمعلومات، مثل: الترتيب الاستدلالي (من الخاص إلى العام) والترتيب الاستنتاجي (من العام إلى الخاص)، والترتيب التاريخي... وبعبارة أوضح، فإنّ أيّ نص يُمكن وصفه بالسردى أو الوصفى أو البرهاني أو التوضيحي، تبعاً لنوعية الترتيب المنطقي الغالب الذي يظهره الخطاب<sup>(١)</sup>.

فضلاً عن أنّ للمفاهيم دوراً فاعلاً في بناء الخطاب وفهمه وتحليله، فهي مفاتيح الخطاب، ومن أدركها تمكّن من فتح مستغلقاته وما يزيد المفاهيم العلميّة دقّة ووضوحاً تفرّد دلالاتها، إذ لكلّ مصطلح علمي مفهوم واحد وعلاقات خاصّة يؤثر ويتأثر بها في إطار بناء الدلالة العامة للخطاب، وهذا ما وجدناه واضحاً وجلياً في النظرية الخيلية الحديثة.

### ب - البنية التنظيمية (la structure Dorganisation) :

تهتم الملكة التنظيمية ببناء الخطاب، ويظهر ذلك من حيث الكتابة في فقرات، كلّ فقرة تحمل فكرة رئيسية أو خطوة مهمة في تقديم الحجج والبراهين التي يحتويها الخطاب العلمي، بالنظر إلى ترابطها عضويّاً، بحيث يجعل الشكل العام للخطاب أعلى درجة من الانسجام والتناسق<sup>(٢)</sup>، وينقسم الخطاب العلميّ - في إطار البنية التنظيمية - على مستويين من التحليل هما: الخطاب الأساسي والخطاب الثانوي. الخطاب الأساسي: يرتبط بمادّة الخطاب المطروحة، ويحتوي على الأدلة المركزية للخطاب أو فرضياتها وآراء الكاتب والنتائج التجريبية المدعّمة للبراهين<sup>(٣)</sup>، ويمكننا القول: إنّ الخطاب الأساسي يتجسّد بشكلٍ عام في متن الخطاب أو النص المؤلّف.

أما الخطاب الثانوي: فإنه عادةً ما يُرافق متن الخطاب العلمي هوامش تشرح وتحيل وتثبت الأقوال المستخدمة كوسيلة لدعم دقّة الخطاب الأساسي وتحقيق الأمانة العلمية. وهكذا تكون المقولات المأثورة والمراجع والإحالات المرجعيّة في الهوامش أو الحواشي... الخ، كلّها عناصر مكوّنة للمستوى الثاني الذي يمكن أن نسميه الخطاب الثانوي<sup>(٤)</sup>.

### ج - البنية اللسانية (la structure linguistique) :

ترتبط البنية اللسانية بلغة الخطاب، و" تعني مدى قدرة الكاتب في ميدان العلم - تعليمياً وبحثاً - على التحكم في اللغة بفاعلية واختصاص كمكوّن أساسي من مكوّنات الموضوع وما يقتضيه من معجم وصيغ وتراكيب ودلالات كامنة في الخطاب<sup>(٥)</sup>.

(١) في تعليمية الخطاب العلمي، د. بشير إبرير، مجلة التواصل، دراسات في اللغة والأدب، عنابة، العدد الثامن، ٢٠٠١م : ٨٠ .

(٢) في تعليمية الخطاب العلمي : ٨١ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) في تعليمية الخطاب العلمي : ٨١، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٦ / ٢ - ٣٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٨٢ .

فضلاً عن أنّ الخطاب العلمي يفترض اعتماد معجم خاصّ ينبع من صميم التخصص، كما تتميز الصيغ والتراكيب بوضوحها وقيامها على دقة القصد والإشارة المباشرة للمعنى.

هذه هي لمحة عن الخطاب اللساني المعاصر، فضلاً عن أهم تقنيات التحليل التي يُمكن اعتمادها في دراسة الخطاب اللساني، والتي يمكن تلمسها عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من صلب المادة المطروحة - النظرية الخليلية الحديثة - من قبل المؤلف والتي تدور حول تحليل الخطاب التراثي عنده، وبنية الخطاب فضلاً عن لغة الخطاب التراثي التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

### تحليل الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

١- من حيث الموضوع:

يجمع الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بين شكلين من التفكير اللغوي: التفكير اللغوي العربي القديم والتفكير اللساني الحديث. وسعيًا منه إلى التوفيق بين التفكيرين، يُقدم المؤلف بعض القراءات المتنوّعة بتنوّع مجالات البحث اللغوي.

يُقسّم الدكتور مصطفى غلفان القراءات التراثية على ثلاثة أصنافٍ أساسية<sup>(١)</sup>:

- (١) قراءة شمولية.
- (٢) قراءة قطاعية.
- (٣) قراءة النموذج الواحد.

فيما يخص للقراءة الأولى، تُقدّم تجربته (النظرية الخليلية الحديثة)، قراءة شمولية لجميع مستويات اللغة (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة)، إذ يعرض أفكار وآراء علمائنا القدماء ثم يوازنها مع ما يماثلها في التفكير اللساني الحديث. فقد أسس النظرية الخليلية مستنداً إلى تحليلات اللغة، طبقاً للمستويات أو المراتب الآتية<sup>(٢)</sup>:

(١) ينظر: اللسانيات العربية الحديثة : ١٣٦ - ١٣٧، واود أن أشير إلى أنني قد تطرقت إلى هذه القراءات عند اللسانيين العرب المحدثين في المبحث الثالث من الفصل الأول من الأطروحة تحت عنوان (اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين) ينظر: ص (٧٠-١٠٦).

(٢) يُقسّم د. عبد الرحمن الحاج صالح هذه المستويات على: ١- مستوى النظام الحرفي الصوتي. ٢- مستوى الدوال الأربعة. ٣- مستوى الكلم وأبنيتها. ٤- مستوى الأسماء والأفعال كعناصر لأبنية الكلام. ٥- مستوى أبنية الكلام. ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩٢ (الهامش)، و أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية : ١٧.

المستوى (٦)	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى (٥)	↑	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى (٤)	↑	اللُّفُطَات (جمع لفظة)
المستوى (٣)	↑	الكَلِم أو الكلمات
المستوى (٢)	↑	الدوال
المستوى (١)	↑	الحروف
المستوى (٠)	↑	الصفات المميزة

وانطلق العلماء في تحليل اللغة من مستوى اللفظة *lalexie* وهو "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية"<sup>(١)</sup>. ثم يبدأ المستوى (٠) الذي يخص الصفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحلق إلى الشفتين، والصفات مثل الجهر والهمس والغنة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

ثم يتدرج إلى المستوى الأول كما تدل العلامة ↑ المتمثل في الحروف، فقد اقتصرَت العربية على ثمانية وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد). وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكوّن المستوى الثاني المتمثل في (الدوال) أو العناصر الدالة وهي أربعة:

أولاً: المادة الأصلية المكوّنة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب).

ثانياً: الوزن أو الصيغة المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية.

ثالثاً: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافياً غير المعنى الأصلي لهما، ويُعرّفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنها: "كلمة محسوسة بنيت بناءً لازماً وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى والإفادة، فتعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبني بناءً لازماً كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول"<sup>(٣)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٤ .

(٢) سنتطرق إلى المستوى الصوتي بالتفصيل ضمن الفصل الثالث إن شاء الله .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩١ .

رابعاً: العلامة العدمية أو ترك العلامة كما سماه العرب القدماء، ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض، وذلك مثل: طويل (للمذكر)، وكتبت (للمتكلم) وطويلة (ة التأنيث) وكتب (Ø للغائب)<sup>(١)</sup>.

وأما المستوى الثالث من التحليل فيبنى على المستويين السابقين ويتمثل في (الكلم) وتتدرج فيه الأسماء والأفعال، وقد عرّف سيبيويه الوحدات في هذا المستوى بقوله: "فالكلم اسم وفعلٌ وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"<sup>(٢)</sup>.

إنّ الكلم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها، وغير متمكن ويتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنية؛ فالكلم المتمكنه يبدأ بها ويوقف عليها؛ لأنها تتفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة، وأما غير المتمكنه فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصيغة"<sup>(٣)</sup>.

أما مستوى التحليل الخاص باللفظة فينتظم انتظاماً معقداً، يقول عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ الكلم... لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النحاة المتأخرين، فإنّ الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوماً من أدوات مخصصة به ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج) يسمى عند نحائنا القدامى بالتعاقب، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل المضاف إليه والتركيب المسمى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة - من حيث الإفادة فقط - جُملاً"<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب، كتابُ التلميذ، بالكتاب، الكتاب المفيد الذي اشتراه التلميذ أمس... الخ، تُعدُّ بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سماها الرضي الاسترّابي "لفظة"<sup>(٥)</sup> لا كلمة. ومن هنا اقترح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على علماء اللسان الغربيين أن تسمى (lexie) لفقدان هذا المفهوم عندهم<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ٩٦ .

(٢) الكتاب : ١٢ / ١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩٢ - ١٩٣ .

(٤) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩٢ .

(٥) شرح كافية ابن الحاجب : ١٢ / ١ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩٢ .

تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات " كالأسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد"<sup>(١)</sup>، كما قال سيبويه: " فأما النعت الذي جرى على المنعوت فقولك: مررتُ برجلٍ ظريف، فصار النعت مجروراً مثل المجرور لأنّه كالأسم الواحد... أما لا النافية للجنس واسمها فجُعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد"<sup>(٢)</sup>.

أما المستوى المتعلق بأبنية الكلام فيعني التراكيب والجمل وهو أعلى من اللفظة، ويبحث عن المثال المجرد الذي يبني عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه<sup>(٣)</sup>.

بمعنى أنّ الانطلاق في التحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل،" بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريداً وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التركيب فيعمل فيه الرفع والنصب، فهو الذي يحدد العلامات الإعرابية في التركيب"<sup>(٤)</sup>.

وقد أوجز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في العربية بقوله: " إنّ أصغر ما يُبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل(ع) ومعمول أول(م١) ثم معمول ثانٍ(م٢)"<sup>(٥)</sup>. وهكذا يُعدّ العامل أو العمل النحوي الفكرة الجوهرية التي تأسست عليها نظرية النحاة العرب... فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنّما يجيء تبعاً لعامل في التركيب، فلا تجد معمولاً إلا وتصور له العلماء العرب الأوائل عنصراً لفظياً أو معنوياً هاماً هو العامل الذي يكوّن مع معموله زوجاً مرتباً Coupleodonne<sup>(٦)</sup>.

وأما المستوى الأخير من التحليل فيتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظرية لغوية متميزة فرقوا فيها بين النظرة إلى الكلام بعده خطاباً والنظرة إليه بعده بنية ومن أهم المبادئ التي بُنيت عليها هذه النظرية التمييز الصارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومُخاطب، وبين جانبها اللفظي الصوري، أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية<sup>(٧)</sup>. فضلاً عن أنّ اللغة وضع واستعمال أي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام لهذا النظام وليست نظاماً فقط ينظر فيه

(١) الكتاب : ٤٢١ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٣) أبنية الكلام تختلف عن أبنية الكلم في كون أبنية الكلم تخص الأوزان والقوالب التي تفرغ فيها المفردات مثل فَعَلَ بالنسبة لـ(كَتَبَ)، بينما أبنية الكلام هي القوالب التي تفرغ فيها الكلمات لتكوّن وحدات أكبر تسمى تراكيب أو جملاً. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٢٦ / ١ .

(٤) مبادئ في اللسانيات : ١٠٠ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٠ / ٢ .

(٦) مبادئ في اللسانيات : ١١٣ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٩١ / ٢ .

الباحث دون أن يُفكر في كيفية استخدام المتكلم له كوسيلة تبليغ أولاً، و كوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً<sup>(١)</sup>. فاللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بُنى جزئية وهذا يسمى الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقاتها الرابطة وبين العمليات المُحدثة لتلك العناصر على شكل تقريعي أو توليدي، أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاج من الدوال للتعبير عن أغراضه فيُميّز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب؛ لأن قوانين الاستعمال هي قوانين الوضع أو القياس ولذلك فإن اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال<sup>(٢)</sup>.

وبخصوص القراءة الثانية التي تُركّز على (القطاعية)، فأعتقد أن بحثه الموسوم بـ(الجملة في كتاب سيبويه)<sup>(٣)</sup> يُمكن تصنيفه ضمن هكذا نوع من القراءة؛ وذلك لأنه لا يعالج قطاعاً بأكمله - وهو المستوى النحوي - بل يعالج أفكاراً جزئية فيه: هي الجملة عند سيبويه، والتميز بين الكلام كخطاب وكبنية<sup>(٤)</sup>. ومن أجل ذلك أفتتح تسميتها بالقراءة الجزئية أو التفصيلية، التي تتمحور حول نقطة جزئية في قطاع عام أو نظرية خاصة وهي: النظرية الخليلية الحديثة.

أما ما يَخُص القراءة التي تُركّز على النموذج الواحد، فيُعَدّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة - بعنوان: (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال)<sup>(٥)</sup>، يعرض من خلاله أهم الأفكار التي يطرحها العالمان الجليلان - سيبويه والرضي - بالتفصيل، ومشيراً إلى ما اتفق منها مع التفكير اللساني الحديث، وما يفترق عنها، إذ إن (مفهوم الموضع) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً<sup>(٦)</sup>؛ والسبب في ذلك أن التحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللفظ المسموع وحده كما هو الشأن عند البنويين، والنحاة العرب ينطلقون - أيضاً - من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينها من حيث صفاتها الذاتية بل يحملون هذا النحو على ذلك... والمثال الناتج عن هذا الحمل هو الصورة الجامعة<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٩٠ / ٢ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩٥ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٠ / ١ - ٣٠٣ .

(٤) سأتطرق إلى هذه المفاهيم بالتفصيل في الفصل الثالث إن شاء الله .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٩ / ٢ - ٢٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٢١ / ٢ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٢ / ٢ .

ويُورد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً آخر - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة - بعنوان: (تعال نحى علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)<sup>(١)</sup>، إذ تعرض المؤلف فيه إلى عرض موضوعات ذكرها في مواضع سابقة<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن إته بين ما للخليل من "تصور علمي وأدوات تحليلية لا يضاهيها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من الناحية المنهجية فقط، بل أيضاً من الناحية المنهجية التجريبية منها والنظرية"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر أنّ النحو العربي الأصيل في جوهره إجرائي وقصد بذلك: "أنّه يُحدّد ويولّد<sup>(٤)</sup> في الوقت نفسه الكيانات النحوية بتحديد كيفية حصولها وتحقيقها، ويتم ذلك بحصر الأصول أولاً ثم بتفريع الفروع على الأصول مع إمكانية ردّ الفروع إلى أصولها"<sup>(٥)</sup>. فالاسم - مثلاً - يبحث فيه النحوي أولاً عن أقل ما يمكن أن ينطق به من اللفظ ويكون في الوقت نفسه كلاماً مفيداً مثل (كتاب)، فهذا أصل يمكن أن تفرع عليه فروع بعملية تسمى الزيادة، وهو تحويل في اللسانيات التحويلية التوليدية<sup>(٦)</sup>. وهكذا يتمحور العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حول ثلاثة موضوعات قرآنية، نلخصها في الجدول الآتي:

نوع القراءة	العمل التراثي
قراءة شمولية	- المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي. - المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.
القراءة القطاعية	- الجملة في كتاب سيبويه
قراءة الانموذج الواحد	- "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال - "تعال نحى علم الخليل" أو الجوانب العلمية - المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٨ / ٢ - ٧٩ .

(٢) كمفهوم الأصل والفرع مثلاً .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٩ / ٢ .

(٤) التوليد اصطلاحاً للرياضيين يستعمله تشومسكي وغيره من اللسانيين المحدثين .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٧٨ / ٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٧٨ / ٢ .

مما تقدّم يتضح لنا أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التراثية بالمعالجة العامة، بل يعتمد إلى المسائل الدقيقة فيحلّها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتفق معها في النظريات اللسانية الحديثة.

إنّ هذا المنطق يدل على أنّ المؤلّف لا يستند في أعماله على إخضاع التراث اللغوي لتيار لساني محدّد، فلم يُقلّ إنّ التراث اللغوي العربي بنوي أو توليدي، بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابها سواء أكان بنوياً أم توليدياً أم غير ذلك. وبذلك تُصبح الموازنة لديه موازنة مفهومية جزئية، لا موازنة نظريّة عامة. وهذا يعني أنّه يتجنب إصدار الأحكام العامة التي تُخضع التراث اللغوي العربي لتيار لساني محدّد، بل يحاول تناول الموضوعات بدقة موضوعية وعلى وفق منهجية علمية يزواج بين القدماء العرب واللسانيات الحديثة.

٢. من حيث المنهج:

تُعَدُّ دراسة التراث وربطه بالفكر اللساني الحديث، عمليةً دقيقةً وصعبة التحقيق، خاصةً وأنّ تراثنا اللغوي العربي يميّز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلميّة المتعدّدة الاتجاهات، لذا تأخذ عمليّة دراسته بعدين:

البُعد الأول: جمع نتاجه وحصر مادّته لتفسيرها وفهم أبعادها.

البُعد الثاني: وضعه موضعه الصحيح من الدراسات اللسانية الحديثة.

إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفردية المبدولة من قبل بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر مجهودات اللسانيين العرب لتغطية أكبر عددٍ ممكنٍ من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطوّرة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثمّ ربطها بالتراث اللغوي العالمي<sup>(١)</sup>.

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بدراسة التراث اللغوي العربي، مقدّماً عدداً من المحاولات لكشف ذلك التقارب القائم بين التّفكيرين، ولردّ على التهميش الذي شهده التراث اللغوي العربي في مسيرة التّاريخ للسانيات، إذ لا نبالغ إذا قلنا: إنّ هناك ظلماً طال التراث اللغوي العربي في هذا المجال<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٠٠ / ١ - ١٠١ .

(٢) ينظر: الملكة اللسانية في مقدّمة ابن خلدون، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م : ٧ .

إنّ محاولة العودة إلى الأعمال التراثية التي قدّمها المؤلف تُبرهن على صحة ما ذهب إليه، إذ إنّه اتخذ وضعاً وسطياً، فهو لم يتفوق في التراث عازلاً إياه عن مستجدات البحث اللساني العالمي، وفي المقابل لم ينسلخ عن هذا التراث، منجرفاً وراء اللسانيات الحديثة وما تحتويه نظرياتها ومناهجها، فضلاً عن إنّه لم يكتفِ بعرض أفكار القدماء، ولا منهجهم في الدرس اللغوي، بل سعى في أكثر من موضع إلى مقارنة هذه الآراء بآراء المحدثين، وإظهار نسبة التقارب القائمة بينها.

ويُعبّر المؤلف عن هذا المنهج قائلاً: "إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التحليل... هو التناصب الوضعي الذي يوجد بين علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري... فهذا التناصب لجدير بالدراسة"<sup>(١)</sup>.

إذاً يتضح لنا مما تقدّم أنّ المنهج الذي تبناه الدكتور الحاج صالح في عمله التراثي هو (التوافقي) فضلاً عن كونه (مقارن)، وهو ذات المنهج الذي يعتمده أغلب دراسي التراث العربي<sup>(٢)</sup>، وإن كانوا لحدّ الآن غير متفقين على أسسه وخطواته العامّة. يتبادر إلى الذهن سؤال، أين تكمن مواطن الإبداع في منهجيته المعتمدة في تحليل الخطاب التراثي في النظرية الخليلية الحديثة؟ بصيغة أخرى، هل يمكننا عدّ الخطاب التراثي في النظرية الخليلية الحديثة خطاباً أصيلاً؟

يرتبط مفهوم الأصالة - هنا - بمجموعة الصفات أو المميّزات الخاصة بالخطاب التراثي، كما تمثّلته تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، من حيث طريقتة في معالجة ما اختار من التراث العربي، وما تعلّق بهذه المعالجة، من مفاهيم ومبادئ ومصطلحات. وهو ما يقودنا إلى تحديد معالم النموذج المقترح من قبله في دراسة وإعادة بث التراث اللغوي العربي من جديد، في هيئة جديدة، بهدف استثمار أفكاره في بناء صرح لسانيّ عربيّ يتسم بالأصالة والتجديد في الوقت ذاته.

وتتحدد الأصالة بنظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال قوله: "أن يكون الشيء أو الإنسان مبدعاً مهما كان عصره، أي أن لا يكون نسخة لغيره بالنسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخة لغيره مهما كان الزمان، وقد تكون أصالة في زمنٍ قديم وقد تكون أصالة في زماننا هذا، وقد يكون الرجل فريداً من نوعه في ميدانٍ خاصٍ أو استعماله لبعض الوسائل العقلية"<sup>(٣)</sup>. وهذه الأصالة التي ذكرها المؤلف وجدناها بوضوح تام في النظرية الخليلية الحديثة، فقد تفرّد في طرح

(١) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٠ .

(٢) اعتمد كثير من الباحثين العرب المحدثين على الاتجاه التوافقي فضلاً عن المقارن في دراسة التراث العربي، ومنهم الدكتور نهاد الموسى واحمد المتوكل، وعبد السلام المسدي، وميشال زكريا، ومازن الوعر، وبوشتي العطار، والقائمة تطول في ذكر هؤلاء الأعلام، وقد وقفت عند بعض تجاربهم في الفصل الأول من هذه الأطروحة.

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١١ / ١ .

الموضوعات فضلاً عن اختلاف هذا الطرح في كل مرة، وباختلاف الطروحات تُكْتَشَفُ أشياء جديدةً وهذا الاكتشاف هو ما يُمكننا وصفه بالأصالة.

فقد تَمَيَّز طرَح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بخصائص قَلَّ التطرق إليها عند غيره من الباحثين العرب، إذ إنَّ عودة المؤلف إلى التراث اللغوي العربي وسعيه إلى تعريف الآخر به، أول عنصر دال على أصالة الخطاب عنده، فهو على الرغم من دراسته للسانيات الغربية، ومحاولاته الجادة لجعلها مقوماً من مقومات ثقافة العربي، فإنَّه لم يتوقف عندها، وكأنَّها شيءٌ من نوعه، لا سابق له ولا مثيل.

لقد أوضح مؤلّف النظرية الخليلية الحديثة من خلال عمله هذا، سعيه لربط الماضي بالحاضر، وإظهار استمرارية الفكر اللغوي؛ لأنَّ اللغة متطورة أبداً، واللغوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها<sup>(١)</sup>، وما قدّمه الحاج صالح دليلٌ قاطع على أنَّ اللغة متطورة، فقد تفرّد علماءنا القدماء بأرائهم الدقيقة والعلمية، لدرجة جعلها تضاهي أفكار المحدثين. فبعد تقديمه مفهوم (اللفظة) في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية)<sup>(٢)</sup>، يخلص إلى أنَّ هذا المفهوم لم يذكره اللسانيون الغربيون واقترح ترجمتها (lexie)<sup>(٣)</sup>.

وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما موجود في اللسانيات البنوية والتوليدية التحويلية<sup>(٤)</sup>، وخلّص إلى أنَّ هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً<sup>(٥)</sup>.

فأصالة الخطاب عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تبرز في اعتماده المطلق على أقوال القدماء، فهو يعتمد منهجاً قوامه طرح الأدلة الفعلية المستقاة من أقوال القدماء، فهو ينتهج منهجاً واحداً، قوامه الموازنة بين آراء القدماء وآراء المحدثين في المفاهيم والأسس .

إنَّ النظرية الخليلية الحديثة قامت في ذهن مؤلّفها بعد القراءة المتأنية الدقيقة لمفاهيم النحو العربي، ثم سعى عن طريقها إلى إعطاء منهجٍ حدائقي لدراسة نحو العربية، فضلاً عن سعيه إلى ترسيخ مبادئها بإعطائها ما يُميزها من مفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل خاصة بها على غرار ما تُعرَف به النظريات اللسانية الحديثة. وفي هذا المجال فإنَّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وقف مع الكثير من المفاهيم والمصطلحات النحوية العربية الأصيلة والتي استغلق فهمها عند بعض الباحثين أو أُسْقِطَ عليها مفاهيم أرسطية فطمسَ معناها، فحاول تصحيح هذه الرؤية وبيان ما فيها من العلمية والدقة المتناهية إذا فُهِمَت على أصلها الذي وُضِعَتْ له.

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٢ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١٩ / ١ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١١ / ٢ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢١ / ٢ و ٢٢ / ٢ و ٩ / ٢، و ص (١٣٠) من الأطروحة .

ويمكن أن نُقسِّم منهج الحاج صالح الحدائوي على مستويين:

الأول: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحيائه للمفاهيم والمصطلحات العربية الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقية، والرياضية، والتي جاءت بمنهجية وعلمية مستقلة عند النحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئ لنظرية لغوية نحوية.

والثاني: المستوى التقني: استثمارة لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقية بصورة عملية في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها و استمراريتها.

فهو في منهجه هذا يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنية كبيرة، وعلمية بأن وضع المفاهيم في موضعها الصحيح، وهذا راجع إلى طبيعة دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانية الحديثة، وإطلاعه على علوم الفلسفة، والمنطق، والحاسوب.

بنية الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

#### ١- العنوان:

إنّ طبيعة العناوين عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخيلية الحديثة تتمثل في حضور كلّ من التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة.

إذ تعكس العناوين التي اختارها د. عبد الرحمن أصالةً واضحةً لديه، فهو لم يربطها - العناوين - بالمفاهيم الغربية الحديثة بقدر ما أسسها على المفاهيم التراثية، فبينتها كآلاتي:

عنوان الموضوع التراثي	الكتاب أو المقال
- عنوان الكتاب(نفسه).	منطق العرب في علوم اللسان
النظرية الخيلية الحديثة، وفيها: - المدرسة الخيلية والدراسات اللسانية الحالية - المدرسة الخيلية ومشاكل علاج العربية بالحاسوب - تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصلي - منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات- مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخيلي.	بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.

تُعبر هذه العناوين عن جملة من الأفكار نلخصها فيما يأتي:

١- ينطلق المؤلف في طرح موضوعاته بذكر العرب أولاً، مستخدماً مصطلحاتهم التراثية، مثل: (المدرسة الخيلية...، ومنطق النحو العربي...).

٢- يحصر المؤلف بعض العنوانات في جهود العرب فقط، ولا يُشير إلى مقارنتها بالدرس اللساني الغربي، على رغم من اعتماده ذلك المنهج في عمله، ويتجلى ذلك في أعماله<sup>(١)</sup>:

\_ "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيوييه والرضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال.

\_ أول صياغة للتراكيب العربية: نظرية العمل العربية.

\_ منطق العرب في علوم اللسان.

خلاصة القول: يمكننا أن نلاحظ أن هذه العنوانات وُضعت بهذا الشكل للفت انتباه القارئ العربي إلى التراث اللغوي العربي بشكلٍ خاص، وهو ما يعكس رغبة المؤلف في إظهار أفكار القدماء إلى الباحثين وإلى العالم اللغوي.

هذه العناوين لم تَحُلْ من وظائف من أهمها:

أ - الوظيفية الاتصالية:

تظهر هذه الوظيفة عن طريق رغبة المؤلف في إقامة تواصلٍ بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث، ومن ثمَّ إفادة القارئ أو الباحث من الاتصال بالتفكيرين وتحفيزه لممارسة نوعٍ جديدٍ من القراءة، يفكِّ فيها رموز القديم في ضوء المفاهيم الحديثة.

ب - الوظيفة المرجعية:

تتعلق هذه الوظيفة بالمقام situation ، وسياق حديثنا هنا، هو التراث اللغوي العربي وما قابله من فكرٍ لسانيٍّ حديث. وتتجه عناوين الموضوعات التراثية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، إلى الإحالة على التراث اللغوي العربي بشكلٍ عامٍ متمظهرة في صيغتين أساسيتين:

١- الإحالة التامة:

وتكون على التراث اللغوي العربي فقط، مثل:

(١) ينظر: ذلك بالتفصيل في كتابيه: (منطق العرب في علوم اللسان) و(بحوث ودراسات في اللسانيات العربية).

- الجملة في كتاب سيبويه.

- "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال.

- البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي.

٢. الإحالة المزدوجة:

ويجمع فيها بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة، مثل:

- المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.

- تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل.

- النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي.

- الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه.

٢- المقدمة:

تُعَدُّ مُقَدِّمَةٌ كتاب (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة)، أول مُقَدِّمَةٌ يوجهها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إطار التراث العربي إلى القارئ<sup>(١)</sup>، يقول: "إنَّ هذا الكتاب الذي تُقَدِّمُهُ للغويين العرب كافة وكل مَنْ له اهتمام بالتراث اللغوي العلمي العربي هو أول حلقة لسلسلة من الدراسات في النظريات والمفاهيم الأساسية التي بُني عليها هذا التراث وما يرتبط بذلك من المناهج الأصيلة في تدوين اللغة وفي التحليل اللغوي"<sup>(٢)</sup>. ثم يُرَدِّفُ موضحاً منهج دراسته، إذ يقول: "وأردنا أن لا تكون دراستنا للجانب الأهم من هذا التراث وهو الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها، مقطوعة الصلة عما ظهر في زماننا من النظريات العلمية في العلوم اللسانية... فحاولنا القيام بمقارنة بين ما قاله العلماء العرب القدامى وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج التحليل وما يقوله العلماء المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم كالبنوية المعاصرة الأوروبية منها والأمريكية، وكانحو التوليدي والتحويلي وكنظرية الخطاب وغيرها"<sup>(٣)</sup>.

(١) أول كتاب في سلسلة الكتب التي أصدرها د. الحاج صالح هو كتاب (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة)، وهي موجهة إلى أهل الاختصاص في علوم اللسان وتاريخ العلوم وإلى جمهور المثقفين العرب الذين لهم اهتمام بالتراث اللغوي العلمي وعلوم اللسان القديمة والحديثة. ينظر: منطلق العرب في علوم اللسان : ٧ .  
(٢) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٧ .  
(٣) المصدر نفسه : ٧ فما بعدها.

وتحتوي مُقدِّمة كتاب (بحوث ودراسات في علوم اللسان) دعوة إلى الباحثين اللسانيين العرب للرجوع إلى كتب تراثنا اللغوي العربي وفهم مقاصد العلماء، إذ إنَّ الدراسات اللسانية لن تبلغ شأناً مهماً ما لم يرجع أصحابها إلى نحاتنا القدماء، يقول: "إنَّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أي شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن احمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليقاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولاً إلى كتاب سيوييه وشروحه... وبالرجوع ثانياً إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي وابن جنبي، وذلكم العالم الفذّ: الرضي الاستريادي"<sup>(١)</sup>. فضلاً عن تركيزه على قراءة التراث قراءة معاصرة، والموازنة بين علم اللسان القديم وعلم اللسان الحديث، إذ يُعَدُّه من ضروريات البحث العلمي، يقول: "وياحبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث؛ لأنَّه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروا لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة، وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضاً لديهم من نظريات النحو العربي"<sup>(٢)</sup>.

#### • وظائف المُقدِّمة:

أ . الوظيفة الاتصالية: يحاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مدّ جسور التواصل بين القارئ أو الباحث والكتابة التراثية، عن طريق ما يطرحه من موضوعات، وما يُشير إليه في مقدّماته، من ضرورة الربط بين الفكر العربي القديم والفكر اللساني الحديث.

#### ب . الوظيفة الانفعالية:

تتمثل هذه الوظيفة في المقدمات التي وضعها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، عن طريق الإشارة إلى أهمية الآراء اللغوية العربية القديمة، وتقاربها مع كثير من النظريات اللسانية الحديثة، وفي المقابل، إهمال الغرب لهذا الإرث الضخم الذي امتدَّ عطاؤه على مدى قرون من الزمن، وتجاهله في التّاريخ لمسيرة اللسانيات، إذ يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ موقف (الأب فلايش) من التراث العلمي اللغوي عند العرب، كان سلبياً إذ وصف أعمال العرب بـ(البدائية أو الخطأ)<sup>(٣)</sup>، فهذا بالتأكيد يُضيف شحنة عاطفية إضافية توتّر، وتولّد بداخله دافعاً علمياً وحضارياً لممارسة القراءة.

#### ٣- الطرح العام:

تُركز في هذا الجزء من الدراسة على شكل النصوص والوسائل التبسيطية المساعدة.

(١) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٠ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٨. وقد ذكر د. عبد الرحمن الحاج صالح المصدر الذي اعتمده عند أخذه

المعلومة الخاصة بـ(الأب فلاش) وهو: laconception phonetique des Arabes d:après le sir al- sina,ad Ibn Djinni,H.fleish,Z.D.M.G,1958,74-10b.

Djinni,H.fleish,Z.D.M.G,1958,74-10b.

أ - شكل النصوص:

تأخذ الموضوعات التراثية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تجربته (النظرية الخليلية الحديثة) شكلين أساسيين:

١- مجموعة أبحاث تطرح فكرة أساسية تتجزأ إلى أفكارٍ ثانوية تحت مسمى واحد وهو النظرية الخليلية الحديثة.

٢- بحث يعالج موضوعاً عاماً أو جزئياً.

يندرج ضمن الشكل الأول، ما تضمنه كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية) إذ تعلق بطرح نظريته (الخليلية الحديثة) كما تمثلها الخليل وسيبويه ومن تبعهما من خلال دراسته لمفاهيمها، محاولاً ربطها بما يقابلها من الفكر اللساني الحديث. وينقسم الموضوع عموماً إلى المحاور الآتية:

عنوان الكتاب	بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (بجزئين)
عدد البحوث	عناوين البحوث
البحث الأول	المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي.
البحث الثاني	المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.
البحث الثالث	تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل.
البحث الرابع	الجملة في كتاب سيبويه.
البحث الخامس	منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.
البحث السادس	"أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي...
البحث السابع	دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية.

يُقدّم المؤلف في إطار النظرية الخليلية الحديثة بحوث متنوعة، يُعالج فيها موضوعات عامة تشمل كثيراً من آراء القداماء والمحدثين، منها بحثه الموسوم بـ(النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي)<sup>(١)</sup>، (مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي)<sup>(٢)</sup>، ويندرج ضمن الموضوعات الجزئية بحثه الموسوم بـ(الجملة في كتاب سيبويه)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٣ / ٢ - ٤٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٤٤ / ٢ - ٥٧ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٩٠ / ١ - ٣٠٣ .

ب - الوسائل التبسيطية المساعدة:

١- استخدام الجداول والمخططات:

إذ يُلخّص المؤلّف بعض القضايا في مخططات وجداول، تُلخّص ما تمّ عرضه من أفكار، مثال ذلك، ما ذكره عن مفهوم العامل والعمل والمعمول في مستوى التراكيب، إذ يُلخصها في الجدول الآتي<sup>(١)</sup>:

	قائم	زيد	
هنا	قائم	زيداً	إنّ
أمس	قائماً	زيدٌ	كان
غلطاً	قائماً	زيداً	حسبُ
حالاً	قائماً	زيداً	أعلمتُ عمراً
إكراماً	عمراً	زيدٌ	أكرم
كثيراً	عمراً	تُ	أكرم
المخصّص	المعمول ٢	المعمول ١	العامل

الزوائد على النواة

نواة التركيب

٢- طرح الأسئلة:

يقوم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - أحياناً - بطرح جملة من الأسئلة لتشكّل تمهيداً للقارئ لولوج الموضوع وتدقيق الانتباه في القضايا المطروحة. مثال ذلك ما ذكره في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية) عند حديثه عن (مفهوم الموضوع إذ يطرح مجموعة من الأسئلة، هي<sup>(٢)</sup>): ما هو الموضوع عند النحويين القدماء؟ وهل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام أو شيء من ذلك تجريباً؟ وهل يوجد الآن في علوم اللسان الحديثة (اللسانيات) شيء يماثل هذا المفهوم العربي الهام أو يقاربه؟ ثمّ إنّ كان في هذه العلوم الحديثة تصور قريب من هذا، ففي ماذا يلتقيان، وفي ماذا يختلفان؟

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢ / ٨٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٩ - ١٠ .

٣. اعتماد التكرار:

يمكننا أن نلاحظ تكرار بعض الأفكار التي يطرحها الحاج صالح عند عرضه للنظرية الخيلية الحديثة، إذ نجده - على سبيل المثال - يُكرر (مفهوم اللفظة) في أكثر من موضع<sup>(١)</sup> من كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية). فضلاً عن (مفهوم القياس)<sup>(٢)</sup> إذ ذكره في كتابه الأنف الذكر ضمن (المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة)، فضلاً عن تخصيص فصل كامل في كتابه (منطق العرب في علوم اللسان) فصل القول في القياس وأنواعه وأهميته<sup>(٣)</sup>.

٤. صوغ القواعد اللغوية:

يظهر ذلك بشكلٍ واضح عند حديثه عن مفهوم (الإطالة أو التثنية) في نظرية العمل، فقد يحتوي (الموضع) على كلمة أو لفظة أو تركيب، وقد يكون المعمول الأول أو الثاني تركيباً أيضاً، ممثلاً إياه بالقاعدة الآتية<sup>(٤)</sup>:

ع ← م ١ (أن تصوموا) م ٢ (خير لكم)،

← و ع ← م ١ (زيد) م ٢ (رأيت)،

و ع (ظن) م ١ (زيد) م ٢ (أن عمراً قائم)،

و ع (أرد) م ١ (ت) م ٢ (أن أقوم)، وكذلك الحال بالنسبة إلى المخصص : ع(جاء) م ١ (زيد) خ (وهو يركض) .

خلاصة القول: إن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد اعتمد الوسائل التبسيطية في عرضه للموضوعات التراثية وإن كان اعتماده محدوداً، ويرتبط ذلك بطبيعة الخطاب التراثي إذ يختلف من موضعٍ لآخر، من حيث كونه علمياً أو تعليمياً.

كما أن خطابه التراثي يتحدد بكونه محصلة تقاطع مجموعة خطابات: الخطاب التراثي والخطاب اللساني الغربي، وخطابه الخاص، المتمثل في تحليلاته واستنتاجاته وموازناته التي يُقيّمها بين المفاهيم العربية والمفاهيم الغربية. وهكذا، فإن " هناك تقاطعاً في دلالة الخطابات المختلفة، ناتجاً جزئياً عن

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢١٩ و ٢٥٠، ٢ / ٨٥ .

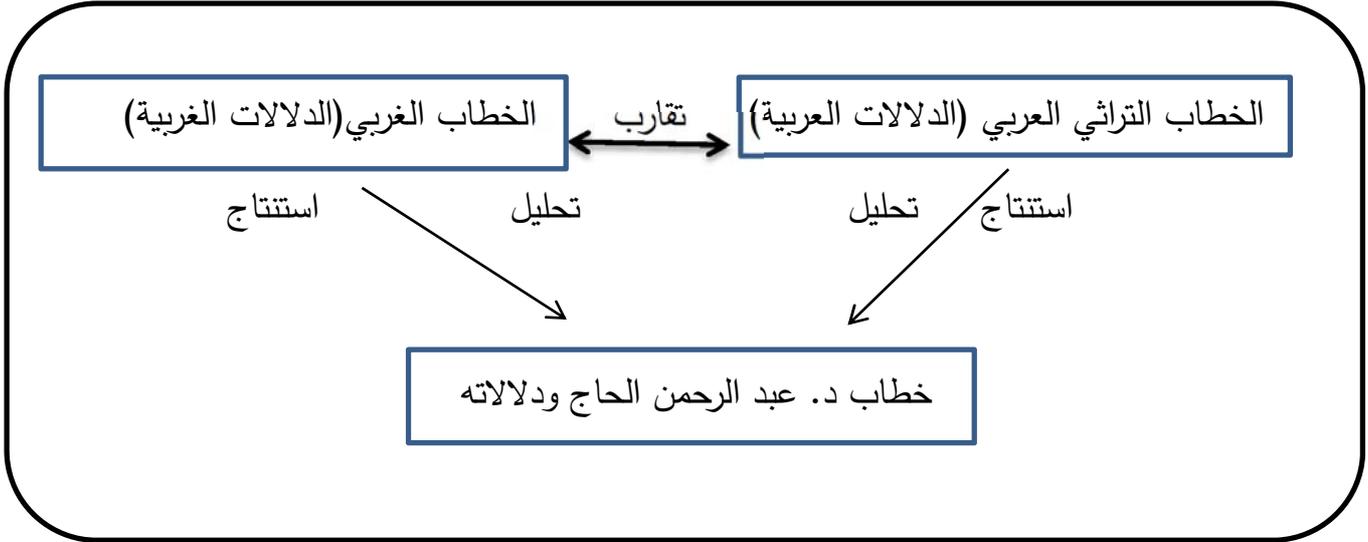
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٣) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٥٧ - ١٧٨ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٩٠ .

العلاقة السليمة بين الخطابات. وهو يُتيح الاتصال بين النتائج المعرفية التي يُفرزها كل خطاب، وكذلك بين الأساسيات التي يركز عليها كل خطاب على حدة"<sup>(١)</sup>.

من هنا تتقارب الدلالات العربية والدلالات الغربية وتجتمع في خطاب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لتتجسد في بنية تحليلية وبنية استنتاجية خاصة. ويمكننا تلخيص هذه الفكرة في المخطط الآتي:



(١) عن أساسيات الخطاب اللساني (الفهري) : ٤٣ .

# الفصل الثالث

## اللسانيات النظرية

- المبحث الاول: المستوى الصوتي.
- المبحث الثاني: المستوى النحوي والتركيبى.
- المبحث الثالث: المستوى الدلالي والتداولي.

## توطئة:

نتناول في هذا الفصل ما أسميته بـ(اللسانيات النظرية) (theoretical linguistics) ، أو تسمى بـ(اللسانيات المحضة) (pure linguistics) ، أو (اللسانيات التخصصية) (specialization linguistics)، وهي مصطلحات تعني البحث في اللغة عن طريق مناهجها ومدارسها ومستوياتها، فالجهاز البحثي جهاز لغوي خالص، وهذه اللسانيات تختص بالمنهج اللغوي، والبحث فيه، وتشمل المستويات اللغوية الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية والتداولية ،

ويتسم البحث فيها بالصفات الآتية: (١)

- ١- التخصص الخالص في المجال اللساني الذي يعطي استقلالية له بوصفه علماً من العلوم.
- ٢- تطبيق المناهج اللسانية التي هي من صميم البحث اللساني.
- ٣- الانطلاق من دراسة اللغة سواء أكان الانطلاق من الكل إلى الجزء (تركيب - تحليل) أم من الجزء إلى الكل (تحليل - تركيب) للوصول إلى معرفة أسرار اللغة.
- ٤- الغاية من اللغة هي الكشف والتحليل والتفسير للظواهر اللغوية للمساهمة في تطوير البحث اللساني، فضلاً عن أمورٍ أخرى منها تعليم الناشئة اللغة.
- ٥- يتناول هذا النوع من اللسانيات آراء المختصين في اللسانيات على مختلف مستوياتها قديماً وحديثاً.
- ٦- المصطلحات تتسم بأنها مستقلة وواضحة؛ لأنها نابعة من استقلالية العلم غير متأثرة بغيرها من العلوم.

والمقصود باللسانيات النظرية: تناول المستويات اللغوية تناولاً نظرياً من دون توظيفها توظيفاً عملياً تطبيقياً. (٢)

وبعد الوقوف على التعريف والشرح المبسط لمصطلح (اللسانيات النظرية) أودُّ بيان مجال البحث الذي يتناول ثلاثة مستويات هي:

(١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس : ١٥ ، واللسانيات المجال، والوظيفة والمنهج (استثنائية) : ٥١٣ ، ومعجم اللغة واللسانيات : ٤٤١ .  
(٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ١٥ ، والفكر اللساني عند الدكتور مازن الوعر، محمود حمد سماري : ١٦ . (رسالة ماجستير).

١. المستوى الصوتي Phonetic level .
٢. المستوى النحوي التركيبي Syntax level .
٣. المستوى الدلالي التداولي Semantic and pragmatics level .

واعتمدت في ذلك على جهود الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، إذ نلاحظ غياب المستوى الصرفي - في هذا الفصل - لأسباب عدّة ومن أهمها: عدم تناول الحاج صالح له بصورة مستقلة، فنجده يُشير إلى أمورٍ صرفية في المستوى الصوتي أو النحوي، لكنه لا يُفرد له موضوعات مستقلة، ويبدو أنّ الدكتور الحاج صالح كان متأثراً بالنظرية التوليدية التي حاولت إبعاد المكون الصرفي من أنموذجها بانصرافها إلى المعجم.

## المبحث الأول

## المستوى الصوتي

الصوت ظاهرة طبيعية تستعملها الكائنات الحية على اختلافها، فتُدرك وتتعامل معها من دون أن تعي كُنْهها، والصوت وسيلة من وسائل التواصل عندها، تُعبر به عن ألمها، وجوعها، وحبها، وحزنها والخطر الداهم الذي يدور حولها.

والذي يهمننا هنا هو الصوت الإنساني، فالكلام الذي أنعم الله به على الكائن البشري، من دون غيره من المخلوقات أصوات تحيط بالإنسان من كل جانب، وهي أهم ما لديه من وسائل التواصل بينه وبين الجماعات.

وإذا كان اللسان كما يرى القدماء: " هو المَقُول ..، واللِّسَانُ، واللُّغَةُ، واللِّسُنُ: الكلامُ واللُّغَةُ" (١)، واللُّغَةُ كما قال ابن جني: " أصواتٌ يُعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم" (٢). أو كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأن اللسان: " صوتٌ ملفوظ" (٣)، ويرى أيضاً أن الصوت هو: " اضطراب اهتزازي للهواء، بل ولكلِّ مادة" (٤). ولكن دراسة الصوت اللغوي بالطرق العلمية الحديثة لم ترَ النور في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر، على يد دارسي علم اللغة المقارن، ورائدهم في ذلك العالم السويسري الأصل دي سوسير، وله الفضل في إرساء أسس اللسانيات الحديثة، على ركائز علمية ثابتة.

وقد تمخضت عن تلك الدراسات ولادة علمين يدرسان الصوت اللغوي، ولكنهما يختلفان من حيث التنظير، هما:

١- علم الأصوات العام أو النطقي phonetics .

٢- علم الأصوات التشكيلي أو الوظيفي phonology .

وقد تطورت هذه الدراسات في عصرنا، حتى شملت مراحل إنتاج الصوت، وانتقاله، وتلقيه، وتخصّص لدراسة كل مرحلة من مراحل الثلاث فرع من فروع علم الأصوات، وعلى وفق ذلك فإن دراسة الصوت اللغوي تمرُّ بمراحل أساسية هي (٥):

١- علم الأصوات الفسيولوجي physiological phonetics .

٢- علم الأصوات الفيزيائي أو الاكوستيكي Acoustic or physical phonetics .

٣- علم الأصوات السمعي Auditory phonetics .

وجميع هذه الفروع الثلاثة تقع في مجال علم الأصوات العام أو النطقي (phonetics) هو المختص بدراستها، والنظر فيها، من دون غيره من فروع علم اللغة .

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده : ٤٩٧ / ٨ .

(٢) الخصائص : ٨٧ / ١ .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٤٣ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١ .

(٥) ينظر: علم اللغة (السعران) : ١٠٠، ومبادئ في اللسانيات : ٤٣ .

وقد بينتُ فيما تقدم من أطروحتي المكانة المرموقة للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح واطلاعه الواسع على الفكر اللغوي ولاسيما الصوتي عند العرب وعند الغربيين، فهو يجلُّ العلماء القدماء ويعجب بأرائهم كالخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا وعلماء القراءات والتجويد كمكي بن أبي طالب القيسي وأبي عمرو الداني وغيرهم.

ولأجل ذلك نجد أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد بنى فكره اللساني على التراث اللغوي العربي القديم، وجعله يعجب بفكر الخليل وبآراء من سار على نهجه من القدماء، فظهر إعجابهم لهم في محاضراته وفي المقالات اللغوية التي نشرها بعنوان "مدخل إلى علم اللسان الحديث" في مجلة اللسانيات وفي أعدادها الصادرة بين سنة (١٩٧١ - ١٩٧٤) بمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر. فقد تبين له أن الخليل وهو المؤسس الحقيقي للنظرية اللغوية العربية، قد أدرك بعبقريته الفذة أن اللغة تتألف من مجموع المفردات، والمفردات تتألف من أجزاء، وهذه الأجزاء هي الحروف، والحروف ينتجها الجهاز النطقي، فكان ترتيبه للحروف بحسب مدارجها في الحلق إلى الشفتين ترتيباً علمياً اعتمد فيه على الملاحظة الذاتية، فوجد مثلاً أن العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، وكان الخليل إذا أراد أن يحدد مرتكز الصوت أو مخرجه فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف نحو: أف، أخ..، واستطاع بذلك الحصول على كثير من النتائج العلمية الدقيقة، التي انتهى إليها المحدثون بالاستعانة بالتطور العلمي للمختبرات والآلة، وفي ذلك قال الدكتور مهدي المخزومي: "ومن الطريف حقاً أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل وهي قريبة منها كل القرب، بل كان كثير منها يشير إلى أنها مصطلحات الخليل ترجمت ترجمة تكاد تكون (حرفية) فمثلاً: مصطلح (المجهور) يقابله بالإنكليزية مصطلح (voiced)، ومصطلح المهموس يقابله مصطلح (voiceless) (١)".

وفي النظرية الخليلية التي طورها فيما بعد. ورأى أنها تمثل أهم الملامح الرئيسية لدراسة القدماء للأصوات اللغوية، وهي دراسة نالت في المستشرقين إعجاباً كبيراً، وحظيت من المعاصرين بالثناء والتقدير البالغ.

ويتضح من المباحث الصوتية التي أفردها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في ثنايا مؤلفاته أن هناك مبادئ انماز بها الخليل بن احمد الفراهيدي عن غيره من العلماء فضلاً عن سيبويه، ونستطيع أن نجمل أهم هذه المبادئ:

١- ارتباط الدرس الصوتي العربي مع بداية تدوين اللغة ومعرفة قواعدها. إذ إن أول معجم وضع في العربية وهو العين للخليل قامت منهجيته على أساس صوتي. ومعنى هذا الأساس إنَّ ترتيب ألفاظه وعباراته قد تمَّ على وفق عمق مخارج الحروف، فكان ترتيبه لها بحسب مخارجها من الحلق إلى الشفتين ترتيباً مبنياً على أساس علمي واضح، وصار هذا الوصف أول نظرية صوتية وضعها في معجم العين.

(١) عبقري من البصرة : ٤١ .

٢- تبني الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لبعض مصطلحات القدماء وتفضيله إياها على غيرها من مصطلحات علم اللغة الحديث؛ كمصطلح علم اللسان الذي فضله على المصطلحات التي ظهرت عند العرب في العصر الحديث<sup>(١)</sup>.

٣- رأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ان الدراسات المرتبطة بالقدماء ظلت تشكو الدقة . على الرغم من أن المنتبع لها، والناظر إليها بعين الإنصاف يشعر باطمئنان أنها جمعت بين أمرين: أولهما: العمل اللغوي النقدي الاستدراكي، وثانيهما: العمل المعجمي الإحصائي، وبإحاطة عالية في علوم اللغة كافة، ومنها العمل الصوتي.

٤- يجدُّ المنتبع أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، قد ارتكز في منهجه الصوتي على الأساس النطقي (الфизиولوجي)، وهو: ملاحظة تكوّن الصوت بوساطة أعضاء النطق على أساس سمعي، وهو الصفة الموضوعية الشخصية للسمع<sup>(٢)</sup>. وهو بذلك تأثر بالخليل (رحمه الله) الذي كان مرهف الأذن، دقيق الحس بالأصوات.

٥- يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إن الجانب التطبيقي للدرس الصوتي عند العرب نضج كثيراً على أيدي القراء والمجودين الذين حاولوا تطبيق الجوانب الصوتية في القراءات بصورة دقيقة وصحيحة، ثم تطبيقها على الإداء القرآني<sup>(٣)</sup>.

يتضح مما تقدّم أن نظرة معرفية إلى الدرس الصوتي في التراث العربي القديم، من أفق لساني حديث، تبين لنا أن هذا الدرس يُقسّم علم الأصوات الحديث على قسمين كبيرين هما<sup>(٤)</sup>:

١- الدرس الصوتي المعادل للفوناتيكا (phonetics) .

٢- الدرس الصوتي المعادل للفونولوجيا (phonology) .

أما الدرس الأول فمعنيّ بالأصوات من جهات متعددة، كالجبهة النطقية، والسمعية، والفيزيائية، والتجريبية، في حين يُعنى الدرس الآخر بالتشكيل الصوتي في مقاطع وأبنية، ويعرض لما يتألف من الأصوات وما يختلف.

فضلاً عن أنّ واقع النظرية اللسانية العربية الحديثة ذات البعد التراثي، والبعد المعاصر أن يكون ذا نوعية لغوية عربية ذات أبعاد واضحة، ومنها: نظرية عربية صوتية غنية قادرة على تفسير الظواهر الصوتية للغة العربية، ثم شرح هذه الظواهر الصوتية بأبعادها النطقية، والفيزيولوجية، والسمعية، والفيزيائية<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: في التمهيد : ص (١٠-١٢) من الأطروحة .

(٢) ينظر: علم اللغة (السعران) : ٩٤ - ٩٥ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٠٥ - ٢٢٠ .

(٤) ينظر: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي : ٦٣ .

(٥) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ٣٥٨ - ٣٦١ .

ولا نخال أن أحداً ممن درس الأصوات قديماً وحديثاً ولا سيما الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لم تخلُ مباحثه من القسمين المتقدمين، حتى أضحت جملة من الثوابت، أجمع الباحثون على تأثيرها المباشر في العملية الإنتاجية للأصوات، على ألا ننسى أن هناك اختلافاً في طريقة عرض هذه المادة بين الباحثين، وهذا ما سأفصل القول فيه في هذا المبحث.

### أولاً: الجانب الصوتي الفيزيائي والفيزيولوجي للكلام:

يعدُّ الصوت الركيزة والمقوم المادي للسان وهو حد التحليل اللغوي، وعناصره اللغوية تكمن في ثلاثة أقسام هي كما يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح<sup>(١)</sup>:

- ١- الفيزيائية وإحداثها في الجهاز الصوتي.
  - ٢- الفيزيولوجية وإدراكها عن طريق السمع.
  - ٣- نفسانية صوتية تدل على معانٍ وأغراض، وللناطق بها سلوك خاص في ذلك.
- ومن المعروف أن لكل لسان نظاماً خاصاً به من حيث الأصوات والمعاني التي تدل عليها، والأنظمة النحوية والصرفية التي تنتظمها. وتختلف الألسنة من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر، فما بين دراسة الصوت اللغوي وهو مفرد (phone) في مخرجه، وإعطاء خصائصه وصفاته من جهر وهمس إلى دراسته وهو مستعمل مركب، وما حدث من تغيير وظيفي أو تعاملي تركزت الدراسات الصوتية الحديثة، لذا يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أن كل واحد من هذه الجوانب يمكن أن تخصص له دراسة على حدة ويستعان من ذلك بمناهج وتقنيات خاصة، إلا أنّ هذه الدراسات يحتاج القائمون بكل واحدة منها أن يكونوا على علم واسع بما يجري من البحوث، وما تمّ من اكتشاف وما ظهر من أفكار واتجاهات في كل الدراسات الأخرى التي تهتم بظاهرة اللسان"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يمكن القول: إنّ الأصوات اللغوية ينماز بعضها عن بعض، بمعرفة ثلاثة أمور هي<sup>(٣)</sup>:

- ١- مكان التدخل في طريق الهواء.
  - ٢- طريقة هذا التدخل.
  - ٣- ما إذا كان هذا التدخل مصحوباً بذبذبة الأوتار الصوتية.
- وتبعاً لذلك فإن طبيعة التدخل، ونوع العضو الذي تحدث عنده الأصوات المختلفة تكون على وفق نقطة معينة في المجرى الهوائي، عندها يتكون الصوت وتسمّى بـ "المَخْرَج"<sup>(٤)</sup> وهي المنطقة التي يتولد منها الصوت اللغوي، وأطلق عليها الخليل تسميات أخرى فضلاً عن (المَخْرَج) هي: (الدرجة، والحيز، والمبدأ)<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٠ / ١ .

(٣) الكلام إنتاجه وتحليله د. عبد الرحمن أيوب : ٢١ .

(٤) ويسمى أيضاً بـ "المحبس" - valve - ، وهو النقطة التي يجري عندها الانسداد لإحداث صوت ما، وهي تسمية اختص بها المحدثون من دون القدماء.

(٥) العين : ١ / ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ .

ويتفق كذلك البحث الصوتي الحديث مع البحث الصوتي في التراث العربي في اعتماد المخرج أساساً من أسس التصنيف، وإن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدراس اللغويين. وقد تسابق الباحثون منذ القرن العشرين إلى استخدام الآلات فيه، فمن المعروف أن الصوت: هو اضطراب اهتزازي للهواء - بل ولكل مادة<sup>(١)</sup>. أو كما قال علماءنا القدامى: "أنه تموج الهواء أو كيفية تعرض للهواء عند التَمَوِّج"<sup>(٢)</sup>.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه يمكننا أن نشاهد تتبع تحولات الصوت الحنجري، مع تحولات صوت الخياشيم والصوت الصادر من الفم، وكذلك ضغط الهواء، كل ذلك في آن واحد فنستطيع أن نتبين بدقة متناهية اقتران هذه الأحداث الصوتية بعضها مع بعض في حدوثها (أو عدم اقترانها) وكذلك التفاعل الذي يحدث بسبب تأثير المخارج بعضها على بعض في أثناء تسلسلها<sup>(٣)</sup>. وتتفرع الدراسة الصوتية تبعاً لهذه العملية، أي الأحداث الصوتية، وتتم هذه الأخيرة على ثلاث مراحل<sup>(٤)</sup>:

- ١- إحداث الأصوات اللغوية.
  - ٢- إرسال هذه الأصوات بوساطة موجة واهتزاز صوتي عبر الهواء.
  - ٣- إدراك هذه الأصوات بوساطة الأذن (العملية السمعية)<sup>(٥)</sup>. أو كما سماها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بـ "الإدراك السمعي"<sup>(٦)</sup>.
- وتختص بكل مرحلة دراسة خاصة، وعلم خاص بها فرع من فروع علم الأصوات، فالمظهر الأول وهو المظهر التوليدي الإحدائي أو الصوتيات الفيزيولوجية<sup>(٧)</sup>، وسماه طائفة من الباحثين بـ "علم الأصوات الفسيولوجي" "physiological phonetics"<sup>(٨)</sup>.
- والمظهر الثاني المتمثل في الجانب الفيزيائي المحض تختص بدراسته الصوتيات الفيزيائية<sup>(٩)</sup> وسماه طائفة من الباحثين بـ "علم الأصوات الفيزيائي أو الجانب الاكوستيكي Acoustic or physical phonetics"<sup>(١٠)</sup>.
- أما المظهر الثالث الذي يدرسه علم الأصوات فهو الجانب "الإدراكي السمعي النفساني"<sup>(١١)</sup>، وسماه طائفة من الباحثين بـ "علم الأصوات السمعي" Auditory phonetics"<sup>(١٢)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١ .

(٢) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا : ٥٦ - ٥٨ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧١ / ١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧٠ - ٢٧٧ .

(٥) أغفل بعض الباحثين أهمية العملية السمعية في إحداث الصوت. ينظر: مناهج البحث في اللغة : ٥١ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٦ / ١ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧٠ / ١، ومبادئ في اللسانيات : ٤٤ .

(٨) علم اللغة (السرعان) : ١٠٠، علم الأصوات، د. كمال بشر : ٤٢ .

(٩) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١، مبادئ في اللسانيات : ٤٤ .

(١٠) علم اللغة (السرعان) : ١٠٠، علم الأصوات، د. كمال بشر : ٤٢ .

(١١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١، و٢٧٦، ومبادئ في اللسانيات : ٤٤ .

(١٢) علم اللغة (السرعان) : ١٠٠، علم الأصوات، د. كمال البشر : ٤٢ .

وفي هذا المظهر الأخير قال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أما استكشاف الآلة لأصوات الكلام فهذا ليس له مقابل إنما هو مثل إدراك الإنسان لما يسمعه وهو أشدُّ الظواهر غموضاً إلى يومنا هذا، فما دام الباحث لم يضبط بعد القوانين الفيزيولوجية الكاملة للإدراك السمعي فإنه سيبقى عاجزاً عن الإتيان بآلة تستطيع القيام بذلك"<sup>(١)</sup>.

أما الصوتيات الفيزيائية، فتعمل على اكتشاف الخصائص الفيزيائية للظواهر الاهتزازية والتموجية الموجودة في الأصوات اللغوية، ويهتم بها حين خروجها من الجهاز النطقي وانتشارها في الهواء، أي من زمن الإنتاج والحدوث إلى زمن الوصول والاستقبال.

وهناك آلات كثيرة تستعمل عند تحليل الصوت تحليلاً فيزيائياً، ذكرها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ومن ذلك المهزاز (oscillograph)، وفائدتها عظيمة إذ لا يحدث احتكاك في رسم الذبذبات فتكون بذلك الرسوم أدقُّ بكثير، ويمكن المهزاز من تحليل الكلام إلى مكوناته الصوتية وتتبع تحولاتها في أثناء حدوثها وفي آن واحد<sup>(٢)</sup>. وجهاز آخر هو المشباح أو المطياف (sonagraph) ويعدُّ من أبداع ما اخترع في هذا الميدان، إذ به تقدمت العلوم الصوتية، حتى توصلوا بفضلها إلى اصطناع الكلام كما يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح<sup>(٣)</sup>.

واليوم تستخدم فضلاً عن هذه الآلات، آلات متطورة تجمع مثلاً بين المشباح أو المطياف والحاسب الآلي لتحلل الصوت وتعيد تركيبه، مستغلةً آخر ما وصل إليه العلم في هذا المجال<sup>(٤)</sup>، إذ تمكن الباحثون عن طريقها من ضبط بعض القوانين الفيزيائية للصوت اللغوي، وعلى أساسها استطاعوا أن يعكسوا عملية التحليل التي يقوم بها المطياف، فتوصلوا إلى التركيب الاصطناعي للكلام، أي التركيب لعناصر الصوت الإنساني<sup>(٥)</sup>.

أما في مجال الصوتيات الفيزيولوجية، فقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "أنه توجد الآلات كثيرة للفحص الفيزيولوجي ولرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الإنساني كمجوف الحنجرة (Laryngoscope) والسينما المجوافية وهي التي تمكنا بالأشعة السينية أن نبصر ما يحدث في داخل هذه التجاويف من الحركات العضوية المحدثة لأصوات اللغوية<sup>(٦)</sup>، وكذلك "الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها، والتي تقيس ضغط الهواء، أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية"<sup>(٧)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٦ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧١ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٢ / ١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧٥ / ١ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٧٥ / ١ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٧٧ / ١ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٧ / ١ .

ولابد لي من أن أذكر أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اهتم بالبحوث الصوتية المخبرية والتي أجادها، وعرض فيها لما جاء في تراث الأقدمين، ولاسيما ما رواه الخليل، وتلميذه سيبويه، وهما يتحدثان عن مخارج الحروف وصفاتها، فتبين له أن كثيراً من نتائج دراساتهم قد بلغت الدقة في طرحها، حتى أصبح هذا الدرس يُمَثَل جانباً مستقلاً، ومستوىً خاصاً من جوانب البحث اللغوي ومستوياته، وجعل نتائجهم تقارب النتائج التي توصلت إليها الآلات.

### ثانياً: الجانب الفوناتيكي والفونولوجي للكلام اللغوي:

كانت الدراسات اللسانية الحديثة قبل منتصف القرن التاسع عشر تطلق على الدراسات الصوتية مصطلح (الفوناتيكي phonetics)، ثم بدأ اللسانيون المعاصرون يُفرّقون بين هذا المصطلح ومصطلح آخر هو (الفونولوجيا phonology)، وكلاهما يبحث في أصوات اللغة.

ويعود الفضل في هذا التفريق إلى حلقة براغ اللغوية التي تأثرت بأراء دي سيوسير في تفريقه بين اللغة والكلام<sup>(١)</sup>، أو بمعنى آخر بين الشكل اللغوي والنشاط الكلامي الفعلي، فالفوناتيكي يهتم بالجانب المادي في الكلام الإنساني، أما الفونولوجيا فيهتم بالشكل الوظيفي الذي تؤديه الأصوات في النظام اللغوي، إذ قال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح متحدثاً عن علماء هذه الحلقة: "ان اشتهار هذه الحلقة بدأ يوم قدّم هؤلاء العلماء الثلاثة<sup>(٢)</sup> بياناً هاماً إلى العلماء الذين شاركوا في أول مؤتمر دولي للغويين (في لاهاي ١٩٢٨) وكان قد حرر ياكوبسون مجموعة من المبادئ لدراسة أصوات اللغة، ووقع عليها رفيقاه وسموا العلم الجديد بالفونولوجية تمييزاً له عن الفوناتيكي، وهذه التسمية الأخيرة هي التسمية التي اشتهرت قبل ذلك للدلالة على علم الأصوات اللغوية"<sup>(٣)</sup>. لذا تميزت آراؤهم بالفصل التام بين هذين الفرعين، الأمر الذي جعل هذه النظرة تجابه بالنقد الكبير، فقد وصف اللغوي (برتيل مالمبرج) عملهم بالغلطة الكبيرة<sup>(٤)</sup>.

وعموماً فالفوناتيكي هو علم أصوات الكلام، وهو بهذا المعنى لا علاقة له بعلم اللغة، أما الفونولوجيا فهو علم أصوات اللغة، وعليه فهو جزء رئيس منه.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بعض المبادئ التي اقترحت في مؤتمر لاهاي بقوله: "إن الوصف العلمي للأصوات الخاصة بلغة من اللغات يجب أن يشمل قبل كل شيء الميزة التي يمتازها نظامها الفونولوجي أي المجموعة الخاصة بهذه اللغة من الميزات التي تتمايز بينها الصور الحركية الصوتية<sup>(٥)</sup> فيها مما لها دور في التمييز بين المعاني"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) أسست حلقة براغ اللغوية في عام (١٩٢٦)، على يد جماعة من اللغويين التشيكيين واشتهرت بدخول ثلاثة لغويين من أصل روسي وهم: نيكولاي تروباتزكوي، ورومان ياكوبسون، وكريستيفسكي .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤١ .

(٤) علم الأصوات، ترجمة د. عبد الصبور شاهين : ٢٢٧ .

(٥) أي الفونيمات.

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤١ .

وقال أيضاً: " وكروسفكسي هو أول من دعا إلى التمييز بين دراسة الأصوات اللغوية في ذاتها الفسيولوجي والفيزيائي وبين وظائف هذه الأصوات بالمعنى"<sup>(١)</sup>.

أما (دي سوسير) فلم تتضح عنده فكرة التفريق هذه، وكان يطلق مصطلح الفونولوجي على الدراسات الصوتية لصفة عامة، وهو في نظره فرع ثانوي مساعد لعلم اللغة، في حين أن الفوناتيكا كان يعني الدراسة التاريخية للأصوات فهو بهذا فرع أساسي من فروع علم اللغة<sup>(٢)</sup>.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن حلقة براغ اللغوية، قد اختاروا لفظة فوناتيكا (phonetics) لدراسة الأصوات اللغوية من حيث كيفية حدوثها في المخارج، ومن حيث كونها ظواهر اهتزازية لها قوانينها مثل كل الأصوات، ومن حيث أنها ظواهر تخصُّ السمع، وأطلقوا لفظة فونولوجيا (phonologie) على دراسة الأصوات اللغوية لا كأصوات بل كوحدات لغوية لها تلك الوظيفة التمييزية<sup>(٣)</sup>. فضلاً عن نقله نصاً للغوي الروسي (تروباتزكوي) بهذا الصدد إذ ذكر: ينبغي أن ننشئ لا علماً واحداً لأصوات اللغة بل علمين: يكون موضوع الأول فعل الكلام، وموضوع الآخر اللغة، فكما أن موضوع كل منهما مختلف عن الآخر، فكذلك يجب أن يلجأ في كل منهما إلى مناهج للعمل العلمي تختلف كل الاختلاف، فإن علم أصوات الكلام المنطوق بما أنه يعالج ظواهر طبيعية ملموسة فيجب أن يلجأ إلى مناهج العلوم الطبيعية، أما علم أصوات اللغة فإنه يجب أن يلجأ إلى مناهج لغوية محضة ونفسانية واجتماعية<sup>(٤)</sup>.

وإذا ما أتينا إلى اللسانيين العرب نجدهم يختلفون في الرؤية واستعمال المصطلحات عند الغربيين في هذين الفرعين ويبدو ذلك واضحاً عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ففي حديثه عن البحوث اللغوية المتعلقة بأصناف الأصوات ومقاييسها وضعها تحت مسمى (فيزيولوجية الأصوات اللغوية)<sup>(٥)</sup>. درس فيه كيفية حدوث الأصوات في المخارج وطريقة اهتزازها، والصفات التي تعتمدها. وأطلق لفظة فونولوجيا وإراد بها الشكل الوظيفي<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أنه في بعض بحوثه قد أدرج المصطلح الذي تبحث موضوعاته في فعل الكلام، وهو الفوناتيكا عند غيره، في ضمن الفونولوجيا<sup>(٧)</sup>.

أما اللغويون العرب القدماء فقد اهتموا بالجانب الخاص بالفوناتيكا وبالجانب الفونولوجي، ففي الأول درسوا الصوت حالة لكونه معزولاً عن سياق الكلام، فحددوا طبيعته ومصدره، وبيّنوا مخرجه وصفته، وفي الجانب الثاني اهتموا به في داخل السياق والتشكيل الوظيفي، فذكروا ما يصيبه من تغيرات، متمثلة في

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٦ .

(٢) ينظر: دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرون : ص ٦١ - ٦٢ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٦ .

(٤) ينظر: 3 : principe de phonologi ، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٦ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢ / ٦٠ - ٦٣ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٦ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢١١ .

ظواهر عدة كالإعلال والإبدال والإدغام والحذف، كما نرى ذلك في أعمال الخليل وسيبويه وابن جني وفي أعمال القراء والمجودين والذي يمثل الجانب التطبيقي لما ذكرت آنفاً.

وإذا ما استعرضنا مباحث الفوناتيک عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نجد أنها تشمل وصفاً دقيقاً لمخارج حروف العربية وصفاتها، فضلاً عن دور الجهاز الصوتي البشري واكتشاف الخصائص الفيزيولوجية للأصوات، وغير ذلك مما سأعرضه فيما يأتي من البحث.

### مخارج الحروف العربية:

تعدّ المشاهدة الدقيقة في ميدان فيسيولوجية الصوت اللغوي مهمة، ولاسيما ما اكتشفه الخليل في حدوث الصوت اللغوي، وهو دقيق جداً، يوجد منه جزء كبير في باب الإدغام من كتاب سيبويه وبعض الأبواب التي يتطرق فيها إلى الظواهر اللغوية الصوتية، كالإمالة والوقف وغير ذلك. ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الباب " إن العرب امتازوا بنظرة خاصة بهم لا يوجد مثلها في الصوتيات التي صدرت عن علماء الهند قبلهم، وتتحصر فيما يسميه العرب بالحركة والسكون، وكذلك مفهوم الفضيلة (أو فضل الحرف)<sup>(١)</sup>، فهو شيء لا يوجد مثله حتى في الصوتيات الحديثة"<sup>(٢)</sup>.

فضلاً عن أن الخليل وسيبويه تناولوا الأصوات اللغوية من مبدأ صحيح " وهو دراستها دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعيدة عن الافتراض والتأويل"<sup>(٣)</sup> فبني على هذه الملاحظة الذاتية المقاربة بين القديم والحديث، إذ ما تزال الدراسات الصوتية الحديثة تعدّ منهج الملاحظة المباشرة "الأداة الأساسية في البحث الصوتي"<sup>(٤)</sup>، وبذلك شكل مبدأ الملاحظة المباشرة أحد ثوابت لساني التراث في الموافقة بين الدرس الصوتي القديم والحديث.

فضلاً عن أن من أوجه التوافق التي تعقد على مستوى البحوث الصوتية أيضاً، وجود أسس مشتركة بين الصوتيات في بحوث اللغويين وبحوث اللسانيين المعاصرين. وسيتجلى ذلك في عرضي لمباحث الفوناتيک و الفونولوجيا.

ولا يخفى على الباحثين المختصين في مجال الصوتيات الدور الذي تؤديه أعضاء الجهاز الصوتي البشري في تحديد مخارج الأصوات اللغوية وصفاتها، لذا اختلف علماء العربية في عدد مخارج الأصوات، فهي عند الخليل تسعة مخارج<sup>(٥)</sup> هي:

١- الحلق ٢- اللهاة ٣- شجر الفم ٤- أسلة اللسان ٥- نطح الغار الأعلى ٦- اللثة ٧- ذلق

اللسان ٨- الشفتان ٩- الجوف .

(١) وهو مفهوم مبني على أساس أن صفات الحروف ليست متساوية فهناك صفات ذاتية وأخرى عرضية، ونستطيع ان نشير الى صفة الحرف الذاتية بكلمة الفضيلة كما فعل النحاة العرب. فيقولون مثلاً: ان فضيلة الصاد على السين هي الاطباق والتفخيم، وفضيلة الواو والياء اللين وغير ذلك. ينظر: شرح الشافية للرضي الاسترابادي: ٢٧٠/٣.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦١ / ٢ .

(٣) فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي : ١٣١ .

(٤) علم الأصوات ، د. كمال بشر : ٥٣ .

(٥) العين : ٥٧ / ١ - ٥٨ .

أما أشهر ترتيب للأصوات العربية على وفق مخرجها فهو ترتيب سيبويه<sup>(١)</sup>، وتابعه فيه جمهور العلماء<sup>(٢)</sup>، وأكثر علماء القراءات والتجويد<sup>(٣)</sup>، وعددها ستة عشر مخرجاً، وفي ذلك قال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "وفي تحليلهم - أي القدماء - لهذه الحروف حدّوا ما سموه بالمخارج كما أثبتوا أيضاً ما سموه بالصفات فأحصوا كل ذلك، فهي عند سيبويه (١٦) مخرجاً، ونحو (١٦) صفة، فالأولى صفة تخص حيّز الحرف<sup>(٤)</sup>، والثانية هي فصل للتمييز بين الحروف في داخل المخارج، فمن الحلقي واللهوي والشجري والنطعي واللثوي والشفوي ثم المجهور والمهموس والشديد والرخو والمستعلي والمستقل والمطبق والمنفتح وغير ذلك"<sup>(٥)</sup>، ويرى أيضاً: "إن مثل هذا التمييز الدقيق كالجهر والهمس لم يكتشفه الغربيون إلا بعد اطلاعهم في القرن التاسع عشر على ما كتبه العرب والهنود"<sup>(٦)</sup>.

أما طريقة ترتيب المخارج، فالمشهور عند علماء العربية القدماء، أنهم بدأوا في وصف مخارج الأصوات من أقصى الحلق حتى الشفتين، أما رأي الأصواتيين المحدثين في مخارج أصوات العربية الفصحى، فقد بدأوا من الشفتين حتى الحنجرة، وقد سلك القدماء أسلوباً علمياً في تحديد المخارج، أقرّ به المحدثون ورأوا أنه موافق لترتيبنا، فقال (جان كانتينو) "وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جليّة ملحوظة، وموافق تقريباً لترتيبنا"<sup>(٧)</sup>. إذ تتبع القدماء الهواء من أسفل صعوداً إلى أعلى، أي من أبعد نقطة مخرجة في جهاز النطق حتى الشفتين والتجويف الأنفي، وقد عزف كثير من المحدثين عن هذا الترتيب فعكسوا العملية واتبعوا الترتيب الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بأقصى الحلق (الحنجرة)<sup>(٨)</sup>، وهذا يتأتى من تصنيف الأصوات تبعاً لنطقها الفموي أي تبعاً لمكان النطق وهذا ما أكدته اللسانيات الحديثة؛ "لأنّ هناك دائماً منفذ أو فتحة ما (Aperture) ، أي درجة من الانفتاح تقع بين الحدين، الانغلاق التام، والانفتاح الأقصى.. وبالتدرج من الانفتاح الأدنى إلى الانفتاح الأقصى.."<sup>(٩)</sup>.

وبغض النظر عن دقة نسب الحروف (أي الأصوات) إلى مخرجها، فإن الخليل قد قسم الحروف تقسيماً قائماً على وفق مخرجها الصوتية، ثمّ ترتيبها على هذا الأساس من أقصى الحلق إلى حروف الشفة، فكان ترتيبه كالآتي<sup>(١٠)</sup>:

- ١- حلقيّة ( ع ح ه خ غ ) .
- ٢- لهويّة ( ق ك ) .
- ٣- شجريّة ( ج ش ض ) .

(١) ينظر: الكتاب : ٥٧٣ / ٤ .

(٢) ينظر: سرّ صناعة الإعراب لابن جني : ٦٠ / ١ - ٦١ ، وشرح المفصل، لابن يعيش : ٥١٦ / ٥ .

(٣) ينظر: التحديد في الإقنات والتجويد، لأبي عمرو الذاني : ١٠٢ ، والنشر في القراءات العشر : ١٥٨ / ١ .

(٤) سار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على نهج العلماء العرب في تسميتهم للصوت اللغوي بالحرف، مخالفاً بذلك اللسانيين المعاصرين.

(٥) منطق العرب في علوم اللسان : ٢١٤ .

(٦) المصدر نفسه : هامش رقم (٢٨٩) .

(٧) دروس في علم أصوات العربية : ٣٢ .

(٨) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر : ١٣٤ - ١٤٥ ، ودراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر: ١٠٩ - ١١٠ .

(٩) فصول في علم اللغة العام، دي سوسير : ٨٥ .

(١٠) ينظر: العين : ٥٧ / ١ - ٥٨ .

- ٤- أسليّة ( ص س ز ) .
- ٥- نطعيّة ( ط د ت ) .
- ٦- لثويّة ( ظ ذ ت ) .
- ٧- ذلقية ( ر ل ن ) .
- ٨- شفويّة ( ف ب م ) .
- ٩- هوائية ( و أي ) .

وقد سلك الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مؤلفاته وبحوثه الترتيب نفسه؛ إذ رأى "أن وصف الخليل وسيبويه النظام الصوتي العربي على شكل مصفوفة<sup>(١)</sup> لها مدخلان هما المخارج وصفات الحروف التي ليست مخارج، وفضل التركيب لهذين المدخلين يكمن في أنه يحصر جميع الأحرف المستعملة والمهملة في حالة معينة من تاريخ اللغة، ويظهر ذلك في المصفوفة في وجود خانات كثيرة فارغة - نشم في ذلك رائحة الخليل - وهكذا يفعل علماء الصوتيات في زماننا"<sup>(٢)</sup>.

وقد مثل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح للنظام الصوتي بجدول وضح فيه وضع الحروف وتصنيفها بحسب ما جاء عند الخليل وسيبويه، محدداً فيه الحروف مخرجاً وصفةً، مع الفروع الستة المستحسنة التي وردت عند سيبويه<sup>(٣)</sup>، وقال عنها: "وهي كثيرة يُؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار"<sup>(٤)</sup>، وهذه الفروع كثيرة الورد في الكلام وهي أصواتٌ غير عربية شاعت في البيئة العربية في القرن الثاني الهجري<sup>(٥)</sup>، وتمتاز هذه الفروع بسمات صوتية، ينجم عن استبدالها بوحدة أخرى في مورفيم معين، تغيّر في المعنى، ويربط الدكتور محمود فهمي حجازي ربطاً وثيقاً بين الفونولوجيا من جهة والفونيم (الوحدة الصوتية) والألوفون (الصورة الصوتية) من جهة ثانية<sup>(٦)</sup>. ويرى الدكتور تمام حسان " أن من الواضح أن سيبويه مع تقريقه بين أصول الحروف وفروعها، لم يكن يفرق بين اصطلاحي (الحرف) و(الصوت) على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي (Sound and Allophone) and (phoneme) فالحرف لديه يشمل كلّ ذلك"<sup>(٧)</sup>. أما الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فقد رأى أن مصطلح الحرف هو الأنسب إذ قال: "أما لفظة (حرف) فهي مناسبة جداً لأنهم يريدون به العنصر من اللغة الذي لا يدل على معنى، وقد يستعمل كذلك لما يدل على المعنى في العناصر وهي الكلم وعلى ما يسمونه بالهجاء أي المكتوب منه، وكان السياق كافياً لرفع اللبس في كتب العلماء القدامى"<sup>(٨)</sup>.

(١) المصفوفة (Matrice) : من المصطلحات الرياضية التي استعملها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مؤلفاته وبحوثه ويعني بها: جدول يتألف من كذا صف وكذا عمود وبه تستفرغ جميع التراكيب التي يمكن أن تصاغ عليها العناصر المدخلة على الجدول. ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٢١٩ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٧ / ٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٥٩ / ٢ .

(٤) الكتاب : ٥٧٢ / ٤ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ٤٩ .

(٦) ينظر: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ٢٨ - ٣٢ .

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٧ .

(٨) منطق العرب في علوم اللسان : ٢١٤ .



كثيرة الدوران كالتالي ذكرناها زائد الشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي<sup>(١)</sup>، ثم قال " وهكذا هي الحروف الأصول التسعة والعشرون؛ إلا انها مطّردة في الاستعمال وهذه أقل منها، وأحصوا سبعة أحرف لا تدخل في نظام العربية"<sup>(٢)</sup>، وقصد بالسبعة أحرف الفروع غير المستحسنة التي ذكرها سيبويه بقوله " غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته"<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أن هذه الأعضاء الفرعية " يختلف بعضها عن بعض كما تختلف جميعاً عن العضو الرئيس، إما من حيث المخرج وإما من حيث طريقة النطق أو من حيث واحدة أو أكثر من الصفات"<sup>(٤)</sup>. ومهما يكن من أمر فإن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يرى أن النحاة استطاعوا التعرف على مخارج الحروف أصولها وفروعها وما كان شائعاً منها وما كان أقل من ذلك بكثير فهو من أعجب ما حققوه، وهو دليل آخر على كثرة التنقيب الذي قاموا به لتحقيق ذلك<sup>(٥)</sup>.

### صفات الحروف:

تناول اللغويون والنحويون والقراء صفات الحروف بصورة قد تختلف أحياناً، وتتشابه في أحيانٍ أخرى، إذ إنها متعلقة بالكيفية التي يخرج بها الصوت من الجهاز الصوتي البشري، وتبقى الاختلافات عاملاً مهماً في الدرس الصوتي قديماً وحديثاً، للتوصل إلى نتائج علمية دقيقة صحيحة قدر الإمكان.

ويرى الدكتور (مازن الوعر) أن الاختلاف في الصفات يستند إلى المبدأ الذي يُعتمد فيها، فهناك مبدأ سمعي يقع في أذن السامع، وهناك مبدأ لفظي، وآخر يعتمد على تقسيم اللسان إلى طرف ووسط وأقصى<sup>(٦)</sup>.

ولو أقدم المرء على تقييم إسهام اللغويين العرب في هذا الميدان، لما وجد أي حرج في الاعتزاز به؛ لأن نتائج الدراسات الصوتية الحديثة، تكاد تتفق إلى حدّ كبير مع المعلومات التي ورثناها عن التراث العربي القديم، وهذا ما أكده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: " أما الصفات فتمتاز بميزة لا نجد ما يماثلها في الصوتيات الغربية التقليدية إلا وهو تصنيف الحروف على درجات: من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً، ويتميز حرف عن آخر بفضيلة أي بزيادة صفة لا توجد في مقابله..<sup>(٧)</sup>.

ويشترك في الحرف الواحد من حروف الهجاء من خمس إلى سبع صفات، وأقدم دراسة لصفات الحروف في العربية، وأهمها ما ورد في كتاب سيبويه، أما ما ورد في كتاب العين للخليل، فقليلٌ قياساً إلى ما جاء في الكتاب . وتعتمد الصفات بشكل أساسي على ذكر مخرج الحرف، وطريقة خروج الهواء عند إنتاجه، وما إذا كان الصوت مجهوراً أو مهموساً؛ " فقد أيدت الدراسات الفيزيائية والسماعية هذا الوصف.

(١) منطق العرب في علوم اللسان: ٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٤ .

(٣) الكتاب : ٥٧٢ / ٤ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٧ .

(٥) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٢١٤ .

(٦) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ٦٣٨ - ٦٣٩ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٧ / ٢ .

فمن ناحية قاسوا حجم الهواء، وقوة اندفاعه، وربطوا ذلك بالصفات اللغوية المختلفة كالنبر (Stress) وشدة الصوت (intensity)، وجهره (voicing) إلخ.. وبهذا لم تعدّ هذه الأمور مجرد انطباعات إدراكية، بل أصبحت أموراً مادية يمكن قياسها بدقة<sup>(١)</sup>.

ويمكن تقسيم الصفات بشكلٍ عام على: صفات متضادة، وغير متضادة أما المتضادة فمنها بحسب ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

### ١- الجهر والهمس.

قسم العلماء العرب الحروف تبعاً للأثر السمعي، أو تصنيفها بحسب حالة الأوتار الصوتية<sup>(٢)</sup> من الاهتزاز وعدمه، ففي الحروف المجهورة يكون الصوت ذا قوةٍ ووضوح سمعي (sonority)<sup>(٣)</sup> سببه اندفاع الهواء بقوة خلال الحنجرة واهتزاز الأوتار الصوتية، أو سببه حصر النفس وامتناعه من الجريان، ويستشف ذلك من ملاحظة الخليل للأصوات المجهورة والمهموسة، ففي بعضها يظل النفس جارياً لا يعوقه عائق، ولا يجد المتكلم صعوبة في جريانه، وفي بعضها يتعثر النفس، ويقف عند درجة معينة من مدارج الفم، فلا يتأتى للمتكلم أن يتابع نفسه<sup>(٤)</sup>. وقد كان لسببويه السابق في عرض هذين المفهومين بشكلٍ واسع استناداً إلى ما قدمه الخليل، لذا فالجهر على حدّ تعبير سببويه هو: "أنها حروف أشبع الاعتماد في موضعها حتى منع النَّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت.."<sup>(٥)</sup>، أما الهمس فعنده: "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفس معه"<sup>(٦)</sup>. وبهذا يشير من خلال تعريفه الهمس، إلى أنه صوتٌ ضعيفٌ، لا إشراب فيه من صوت الصّدر، وبعبارة المجهور. ومن هذه المفاهيم تطرق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى معرفة الفروق القائمة بين هذين النوعين من الحروف؛ إذ تمكن من تبيين وجود اهتزاز للأوتار الصوتية وإحداث صوت حنجري مع الحروف المجهورة، في حين يختص ذلك الصوت مع الحروف المهموسة<sup>(٧)</sup>.

وهذا صحيح وقد أشار إلى ذلك السيرافي في شرحه للكتاب بقوله "لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصّدر"<sup>(٨)</sup>، وصوت الصدر هو الصوت الحنجري بدليل مقابلته للنفس<sup>(٩)</sup>. ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأن مثل هذا التمييز الدقيق بين الجهر والهمس لم يكتشفه الغربيون إلا بعد إطلاعهم في القرن التاسع عشر على ما كتبه العرب والهنود<sup>(١٠)</sup>.

(١) الكلام انتاجه وتحليله : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) سمى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الصوت الصادر عن اهتزاز الأوتار الصوتية بالصوت الحنجري. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٥ / ١ .

(٣) سمى الدكتور (سلمان العاني) الأصوات التي تتميز بهذه الخاصية بالجهورات، وشبهها بالحركات في وضوحها وقوتها، ينظر: التشكيل الصوتي في العربية : ٥٨ - ٥٩ .

(٤) ينظر: الخليل بن احمد - أعماله ومنهجه : ١١٣ .

(٥) الكتاب : ٥٧٤ / ٤ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٥ / ١ .

(٨) ٤٦٢ / ٨ .

(٩) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٥ / ١ .

(١٠) منطق العرب في علوم اللسان : ٢١٤ .

## ٢- الشدة والرّخو وما بينها:

قال سيبيويه: الشدید من الحروف " هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، ألا ترى إنك لو قلت: الحقّ، والشطّ ثم رُمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً"<sup>(١)</sup>، ويعتقد الدكتور مهدي المخزوم أن ما ذكره سيبيويه يعود للخليل؛ "لأنّ وضع المصطلحات الخاصة من عمله، ومما هو أشبه بعقله"<sup>(٢)</sup>، أما الرّخو: " فهو الحرف الذي يجري فيه الصوت إلا ترى أنك تقول: المسّ والرّشّ والسحّ، ونحو ذلك، فتجدُ الصوت جارياً مع السين والشين والحاء"<sup>(٣)</sup>.

أما المحدثون فيسمون الحروف الشديدة بالانفجارية أو المتفجرة (plosives)<sup>(٤)</sup>، وتتكون: " بأنّ يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس، أو الوقف أن يضغط الهواء؛ ثمّ يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً"<sup>(٥)</sup>. أما الحروف الرّخوة فتسمى عند المحدثين بـ" الاحتكاكية (fricatives)<sup>(٦)</sup> وتتكون " بأنّ يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً"<sup>(٧)</sup>. في حين أن مفهوم التوسط بين الشدة الرّخوة فهو: " خروج الصوت دون انفجار، أو احتكاك عند المخرج.."<sup>(٨)</sup>.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن سبب حصول هذ الحروف عضوي، وذلك عن طريق حصول احتكاك من عدمه. إذ قال أن الأصوات اللغوية عند القدماء تنقسم على قسمين كبيرين، " ما فيه اتساع المخرج أي انفتاح للقناة الصوتية، وقد بيّن العلماء في عصرنا بتدخل العضلات التي تفتح هذه القناة فقط، ثم تأتي الحروف التي ليس فيها هذا الانفتاح، بل فيها على العكس اعتراض الأعضاء على الصوت الصادر من الحنجرة وهي الرخوة والشديدة وما بينها"<sup>(٩)</sup>، ثم ذكر من هذه الحروف حرف العين فقط وقال عنه " حرف بين الشديد (stop) والرخوة (fricative) "<sup>(١٠)</sup> وذكر كيفية حدوثها إذ قال: " أن العين تحدث في فضاء اسطواني ويتم ذلك بانقباض هذا المكان من الحلق مثل ما يحدث في الحاء، ولذلك تشبه العين الحاء بإمكان التردد فيها أي جريان صوت مخرجها؛ إلا أنه جريان فيه شيء من الحصر؛ لأنّه مرفوق بالصوت الحنجري"<sup>(١١)</sup>.

(١) الكتاب : ٥٧٤ / ٤ .

(٢) الخليل بن احمد - أعماله ومنهجه ١١٦، وينظر: عبقرى من البصرة : ٣٧ - ٣٨ .

(٣) الكتاب : ٥٧٤ / ٤ .

(٤) علم اللغة، للسعران : ١٥٢، وعلم الأصوات، مالمبرج : ١١٣ .

(٥) علم اللغة، للسعران : ١٥٣ .

(٦) المصدر نفسه، و علم الأصوات، مالمبرج : ١١٣ .

(٧) علم اللغة، للسعران : ١٧٢ .

(٨) علم الأصوات مالمبرج : ١١٣ .

(٩) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٧ / ٢ .

(١٠) المصدر نفسه : ٦٣ / ٢ .

(١١) المصدر نفسه و الصفحة نفسها ، والصوت الحنجري هو صوت الصدر عند سيبيويه ويقابل عنده صوت الفم أو صوت المخرج .

وقد عدَّ حرف العين من الأصوات البيئية في التراث العربي القديم<sup>(١)</sup>، وذلك " لعدم وضوح الاحتكاك في نطقها وضوحاً سمعياً - sonority -"<sup>(٢)</sup>. لذا وجدنا من المحدثين من يعده صوتاً بينياً بين الشدة والرخو، ومنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ويبدو أن السرَّ في ذلك هو: "ضعف ما يُسمع لها من حفيف إذا ما قورنت بالغين، وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام، ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين"<sup>(٣)</sup>، وهناك من رأى أن التجارب الصوتية الحديثة، لم تقطع بالحكم على صوت العين، بالشدة أو الرخاوة أو التوسط<sup>(٤)</sup>. واعتقد أن هذا مما قد استوحاه اللسانيون من مقولة المستشرق الألماني (برجستراسر)، إذ قال: " وأما العين..، فصعبٌ تكييفها، ونطقها متنوع، فهي أحياناً متمادة - أي رخوة - وأحياناً أنية - أي شديدة -، والدُّوي الممازج لها أحياناً قوي، وأحياناً ضعيف"<sup>(٥)</sup>، ورأى الدكتور (تمام حسان) أن التسمية القديمة للأصوات المتوسطة - ومنها العين - غير دقيقة<sup>(٦)</sup>؛ لأنه يرى أن " صور الأشعة قد أوضحت أن في نطق العين تضييقاً كبيراً مما يحتم جعلها رخوة لا متوسطة"<sup>(٧)</sup>.

### ٣- الإطباق:

انمازت اللغات السامية ومنها العربية أنها تتفق في عموم خصائصها النطقية العامة، وتختلف في وضع اللسان في داخل الفم، فالفرق مثلاً بين التاء من جانب، والطاء من الجانب الآخر، هو أن الأول صوت غير مطبق، والثاني صوت مطبق، والإطباق كما عرفه سيبويه وتابعه ابن جني هو: " أن ترفع ظُهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مطبقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الصاد من الكلام؛ لأنه ليس من موضعها شيء غيرها، فتزول الصاد إذا عُدمت الإطباق البتة"<sup>(٨)</sup>. وقد انتبه علماء التراث إلى أنه لولا صفة الإطباق في الأصوات الأربعة لتغير صوتها إلى صوت آخر نتيجة لتغير مخرجها، وهذا يفهم من عبارة "ولولا الإطباق لصارت الطاء .." وتتخلص العبارة التي أوردها سيبويه بالجدول الآتي:

غير مطبق	د	س	ذ	لا شيء
مطبق	ط	ص	ظ	ض

وواضح من كلام القدماء على معنى الإطباق: أن مناطه بانطباق ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى، وقد وصف بعض المحدثين هذا التحديد بأنه " بعيدٌ عن الوضوح"<sup>(٩)</sup>. في حين ان الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رأى أن غالبية النحاة والقراء من المتأخرين لم يدركوا بالضبط ما أراد سيبويه من معنى

(١) ينظر: الكتاب : ٤ / ٥٧٤، وسر صناعة الإعراب : ١ / ٥٧ .

(٢) مناهج البحث في اللغة : ١٠٢ .

(٣) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس : ٧٧ .

(٤) ينظر: التشكيل الصوتي في العربية : ٩٧ .

(٥) التطور النحوي للغة العربية : ١٥ .

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة : ١٠٤ .

(٧) المصدر نفسه : ١٠٢ .

(٨) الكتاب : ٤ / ٥٧٥، وسر صناعة الإعراب : ١ / ٧٦ .

(٩) دروس في علم أصوات العربية : ٣٦ .

الإطباق، رافضاً تحليلهم لهذه المسألة، إذ ذهب إلى أنه أراد في هذه المسألة (إطباق ظهر اللسان على الحنك الأعلى) بدليل قوله: " انطبق من .. إلى " ترفعه إلى الحنك " فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك" إذ بيّنت التكنولوجيا الحديثة إن هناك فضاءً بين اللسان والحنك يحصل الإطباق<sup>(١)</sup>، وكان التحليل الإشعاعي الذي أجراه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق (السينما المجوفية) قد بيّن " أن أقصى اللسان يذهب نحو مؤخر الفم ( وهذا معنى الارتفاع في مقابل الانخفاض والاستقال)<sup>(٢)</sup>، ونحو الحلق ( وهو سبب التفخيم) مع بقاء طرف اللسان في موضع الحرف غير المفخم"<sup>(٣)</sup> وهذا ما فسّره المحدثون، وكمثال: س+ تفخيم = ص.

وهذا يسبب انطباق اللسان، وقد لاحظ القدماء ذلك. إذ قال ابن سينا " ويحدث في اللسان كالتقعر، وذلك في حرف الصاد"<sup>(٤)</sup>، وهذا ما ذهب إليه بعض المحدثين إذ رأوا أن الإطباق أحد العناصر المكونة لظاهرة التفخيم<sup>(٥)</sup>. وهناك من ذهب إلى التفريق بين المفهومين، إذ رأوا أن الإطباق وصف عضويّ للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، والتفخيم هو الأثر السمعي الناتج عن هذا الإطباق<sup>(٦)</sup>.

#### ٤ - اللّين :

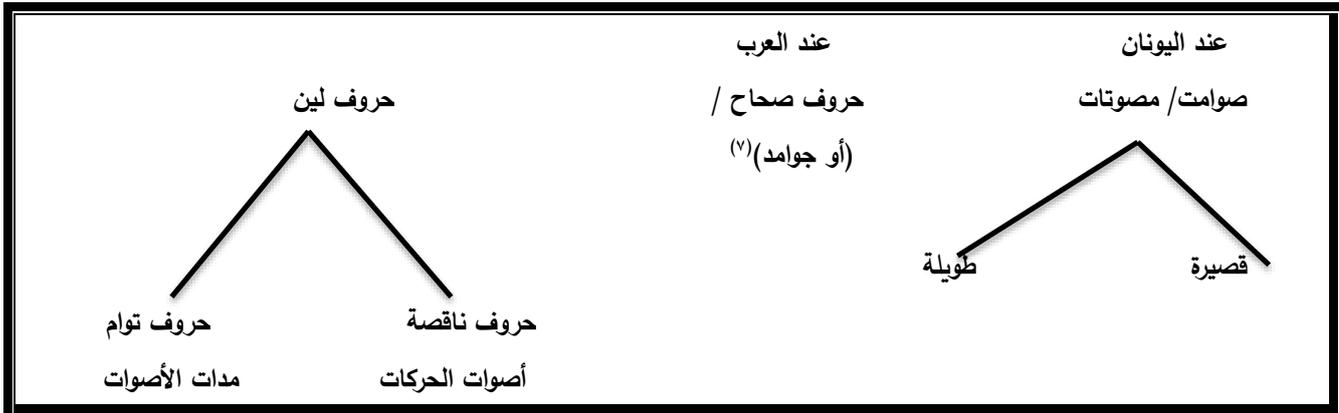
أصوات اللّين هي: الألف والواو والياء، وتسميتها في البحث الصوتي الحديث (Vowels) ، ومخرج هذه الأصوات الثلاثة هو الجوف بحسب منهجية الخليل، وهو قريبٌ من منهج المحدثين، إذ قال الدكتور مهدي المخزومي: " إن تقدير الخليل، إذ اعتبر مخرجها الجوف كلّهُ قريبٌ من اعتبار المحدثين إياه، وإن مخرجها الجوف، مع تدخل اللسان والشفيتين في إنتاجها"<sup>(٧)</sup>. ورأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه ما كان يتمكن لعقبري مثل الخليل وأمثاله أن يغفلوا عن هذه الظاهرة العامة الوجود الناتجة عن تقطيع الصوت الطبيعي في المخارج<sup>(٨)</sup>. واللّين من مصطلحات الخليل، قصره على حرف الألف<sup>(٩)</sup>. وهو أول من وضع لأصوات اللين القصيرة (الحركات) رموزها التي تمتاز بها، بعد أن كانت الكتابة العربية تخلو من صور لأصوات اللين.

وتسمى أيضاً بـ " حروف المدّ"، وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "قسّم العرب الأصوات اللغوية إلى حروف صحاح وحروف لين، ثم قسموا هذه الأخيرة إلى حروف توائم وهي حروف المدّ، وحروف ناقصة وهي الحركات، وبهذا التقسيم الأخير يفارقون التحليل اليوناني"<sup>(١٠)</sup>. ولعل أهم ما يميز حروف اللّين أو المد، هو دورها الفعال في إحداث المقطع الصوتي.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٦ / ١ .  
(٢) سمى بعض القدماء في مقابل الحروف المستعلبية بـ " الحروف منخفضة" في حين ذهب آخرون إلى أنها " مستغلة"، ينظر: سرُّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٦، المحكم والمحيط الأعظم : ٣٥٢ / ٢ .  
(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٦ / ١ .  
(٤) أسباب حدوث الحروف : ١٢٠ .  
(٥) ينظر: مناهج البحث في اللغة : ٩٠ .  
(٦) ينظر: علم الأصوات، الممبرج : ١١٧، وعلم الأصوات، د. كمال بشر : ١٢٧ .  
(٧) الخليل بن أحمد - أعماله ومنهجه - : ١٠٨ .  
(٨) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٨ / ٢ .  
(٩) ينظر: العين : ٣ / ٣٥٢ .  
(١٠) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٨ / ٢ .

وقد استعمل سيبويه صفة (اللينة)؛ خاصاً بها صوتي الواو والياء غير المدتيين؛ من دون الألف، إذ قال: "ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما.." (١) هذا مع اختلاف نطقهما (الواو والياء)، وتباين حركة اللسان مع كلٍ منهما، فهما متشابهان، وهذا ما أكدته الدراسات اللسانية الحديثة، إذ قال (جوزيف فندريس): "الكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان، لأنهما من أصوات اللين الضيقة" (٢)، وفرّق (د. سلمان العاني) بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة؛ فالمستعلية الأمامية كالكسرة والياء والمستعلية الخلفية كالضمة والواو، وما بينهما المتوسطين المنخفضين أي: الفتحة القصيرة والألف (٣).

أما ابن جني فقد قال: "إن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو.." (٤)، ويبدو أن هذا ما أستقاه من وحي أفكار الخليل (٥)، ولكنه - أي ابن جني - يفرق بين الأصوات الثلاثة، ولا يخص أياً منها بصفة اللين. كما فعل الخليل مع الألف، وفعل سيبويه أيضاً مع الواو والياء، وهذا ما وافق فيه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح علماء التراث، ولخصّه بجدولٍ مع موازنته بما جاء في تراث اليونانيين وعلى الشكل الآتي (٦):



ويبدو أن هذا التقسيم يستند إلى مبدأ عضوي حراكي، إذ رأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أن حراكية الكلام ناتجة عن توالي الحركات والسكنات، أي من حركات عضوية وهوائية صوتية تحدث الحروف وتصلها بالتي تليها، وسكنات عضوية أي ايقافات للهواء الصائت توقف هذه الحركات" (٨). لذلك

(١) الكتاب : ٥٧٥ / ٤ .

(٢) اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، د. محمد القصاص : ٨٣ .

(٣) التشكيل الصوتي في العربية : ٤٢ .

(٤) سرُّ صناعة الإعراب : ٢٠ / ١ - ٢١ .

(٥) ينظر: الخليل بن أحمد - أعماله ومنهجه - : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٩ / ٢ .

(٧) يسمى بعض أهل الأداء القرآني بعد القرن الرابع الهجري حروف المد بالذوائب في مقابل الجوامد وهي الحروف الصحاح، إذ رأى أحد الباحثين أن حروف المدّ واللين، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد، وما عداها جامد، لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد. ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٤ .

(٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٦ / ٢ .

سمّاها اليونان بـ" أشباه المصوتان " أو " أشباه الصوامت"<sup>(١)</sup>، لذا نجد هذا " أقرب إلى التحليل الصوتي الذي ظهر عند المهندسين منه إلى التحليل اليوناني التقليدي الذي يقطع الكلام إلى مقاطع والمقطع إلى صوامت ومصوتات، فهذا تحليل صحيح لكنه غير كافٍ لأنه غير حراكي.."<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الباحثين قد أجمعوا فيما يبدو على التفرقة ما بين (الواو والياء) المدتين في (يدعُو)، (القاضي)، فهما حركتان خالصتان من ناحية النطق والوظيفة معاً، وهي حروف المد، وبين (الواو والياء) غير المدتين في (وَلد، يترك) فهما أشباه حركات (Semi vowels) بالمفهوم الصوتي الحديث، وبين (الواو والياء) في (حَوْض، بَيْت) وهما من الأصوات الصامتة (صاح)، وقد سمّاها علماء التراث أصوات لين.

### \* الفونولوجيا (Phonology)

لاحظ العلماء أن الأصوات المستعملة في الكلام تعدّ ذات تنوع غير محدد، وتخضع من هذه الناحية إلى قوانين تعمل بموجبها، لأجل الكشف عن العلاقات التي تربطها ببعضها بعضاً في داخل النظام اللغوي، وأن يُحدد منزلتها من هذا النظام والوظيفة التي يؤديها عند التبليغ.

و هذا الموضوع جزء مهم من دراسة الأصوات يسمى في بعض الأحيان بـ(علم الأصوات التعملي أو علم التشكيل الوظيفي أو علم وظائف الأصوات)، وغير ذلك من المسميات، والمقصود بها: " دراسة الأصوات بوصفها وحدات تركيبية، وما يترتب على ذلك من ظواهر صوتية مختلفة للسلسلة المنطوقة"<sup>(٣)</sup>، فنختلف من هذه الناحية عن علم الأصوات النطقي أو السمعي، والذي يعنى بوصف مخارج الأصوات وصفاتها ووصف الجهاز النطقي. لكن من دون الاهتمام بوظائفها التعملية التواصلية.

وتتسع دائرة البحث في الصوتيات الوظيفية لتشمل دراسة الأصوات المركبة فتتحدث عن المقطع والنبرة والتنغيم، " ولكن القدماء لم يكونوا يفرقون بين هذين النوعين من الدراسة"<sup>(٤)</sup>، لذا بات من الضروري للباحث المعاصر " أن يبدأ بوصف الأصوات، ثم يحدد أقسامها بعد ذلك عن طريق التخارج في الموقع"<sup>(٥)</sup>. وقد ارتأيت الإشارة إلى بعض المباحث والحقائق الصوتية التي جاءت في مؤلفات وبحوث الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والتي تندرج في الجانب الفونولوجي وكما يأتي:

### أولاً- مفهوم الحرف (Segment minimal)

من الحقائق التي أقرتها الصوتيات فيزيولوجية الصوت اللغوي؛ إذ أن مخارج الحروف متعددة، وكذلك الحال فيما يخص الصفات، أي كيفية حدوثها في الجهاز الصوتي.

(١) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ٥٨ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٥٦ / ٢ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي : ٤٧ .

(٤) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد احمد أبو الفرج : ص ٦١ .

(٥) المصدر نفسه : ٦٠ .

وقد ركز الدرس اللغوي العربي على الحرف، بعده الأساس لصياغة الكلمة، ويشغل النظام اللغوي الامكانيات التي تحصل الفائدة بها في التبليغ أي بعبارة أخرى، " تنتقي اللغة من بين الإمكانيات الصوتية عدداً محدوداً من التقابلات التي تميز الأدلة اللغوية فيما بينها وينتج عنها فائدة وتبليغ"<sup>(١)</sup>، وهذه التقابلات التي تحصل على مستوى الأصوات مبنية على مبدأ مهم جداً في الدراسات اللسانية الحديثة " هو مبدأ الفضيلة الذي تميز بوساطته الحقائق الصوتية البنوية عن الحقائق الصوتية المادية، الحقائق الحرفية عن الحقائق الصوتية"<sup>(٢)</sup>، فالشيء الذي يميز الحرف أو ذات الحرف ينحصر في صفات خاصة يختص بها حرف دون الحروف الأخرى تسمى الصفات الذاتية بهذا الحرف المميزة له عن بقية الحروف ولا تزول هذه الصفات، فإذا زالت زال الحرف وهي التي تتدخل في التبليغ وتميز بين المعاني"<sup>(٣)</sup>.

والحرف كأصغر عنصر من عناصر الكلام، فسر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ووضح مقاصد علماء التراث العربي وما أرادوه من لفظة " حرف" ولاسيما فيما يخص الكلام والكلمة، ثم إلى الصوت والمخرج، وما هي أصنافه عندهم، وصفاته المميزة له عن الحركة وغيرها.

فقد تبين له بعد عرضه لكلام سيبويه إذ قال: " أقلُّ ما تكون عليه الكلمة حرف واحد"<sup>(٤)</sup>، وابن جني إذ قال: " يجوز أن تكون سُميت حُرُوفاً لأنها جهات للكلم ونواح، كحروف الشيء وجهاته المُحدِّقة به"<sup>(٥)</sup>. أن الحرف هو أصغر مكون للكلام"<sup>(٦)</sup>، وأن الكلمة التي هي مكوّن آخر للكلام يمكن أن تتكوّن من حرف واحد، وأن ابن جني كان ينظر إلى أن هذا المكوّن الأصغر للفظ على أنه جهة وناحية الكلمة ولا يقول أن الحرف جزء أو قطعة منها، واستدل على ذلك بالمعنى الجامع الذي تدل عليه مادة (ح ر ف)"<sup>(٧)</sup>، وقد فطن الفارابي إلى هذا الفارق؛ إذ نراه في مقابله للوحدات النغمية والوحدات اللفظية قد ميّز النظرة العربية لهذه المفاهيم"<sup>(٨)</sup>. وبما أن الصفات الذاتية هي التي تميز بين العناصر الصوتية فتجعل منها أجناساً من الأصوات المتميزة فإنه يمكن حينئذٍ لصوتين مختلفين أن يدخلوا في جنس واحد من العناصر الصوتية ولا ينجز عن ذلك تغيير في المعنى ولا في الاستعمال مثل صوت القاف والقاف في كلمة قال وقال خلافاً للكلمتين التاليتين قليت وقلبت اللتين تعيدان معنيين وهما القلي في الزيت والشواء على النار، فكل هذه التآدبات تدخل في جنس واحد، كل هذه المخارج تندرج في جنس واحد في حرف واحد"<sup>(٩)</sup>. والحرف في اللسانيات المعاصرة هو صورة وهيئة لجميع الأصوات التي تندرج في جنس واحد من الإداء الصوتي المادي، وهذا ما فسره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ قال: " أما تحديد الحرف من حيث هو صوت،

(١) مبادئ في اللسانيات : ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه : ٧٣ .

(٤) الكتاب : ٣٣٩ / ٤ .

(٥) سر صناعة الإعراب : ٢٩ / ١ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٧ / ٢ .

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٨) ينظر: كتاب الحروف : ٧٨ - ٨٤ .

(٩) مبادئ في اللسانيات : ٧٣ .

فاتفق الجميع على أنه ناتج عن تقطيع الصوت الحنجري (أو النَّفس) في جهات معينة من الجهاز الصوتي أي باعتراض عضو على هذا الصوت جزئياً أو كلياً في زمان وجيز، فيكون له بذلك جرس خاص<sup>(١)</sup>، وقد رأى أن علماء التراث العربي قد سبقوا علماء الفونولوجية المعاصرين إذ قال: "أما الحكماء فإن لابن سينا تحديداً فونولوجياً محضاً سبق به أهل الفونولوجية بقرون"<sup>(٢)</sup>، يقول - أي ابن سينا -: "الحرف هيئة للصوت عارضة يتميز بها عن صوت آخر في الحدة والثقل تميزاً في المسموع"<sup>(٣)</sup>، وهذا التحديد يؤكد أن وظيفة الحروف في الخطاب هو التمييز بين المعاني بتمييزها بعضها عن بعض"<sup>(٤)</sup>.

وقد أكد اللسانيون المعاصرون أن الحرف صوت، ويؤيد ذلك ما أثبتته العلماء العرب القدماء، إذ قال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "التقت النحاة العرب منذ الخليل إلى الجانبين الصوتي والتلفظي في تحليل أصوات اللغة، فتحليل الصوت اللغوي من الناحية الاكوستيكية فقط غير كافٍ، أو هي جديرة بأن يعتد بها بجدية في المخابر، أما لفظة حرف فهي مناسبة جداً لأنهم يريدون به العنصر من اللغة الذي لا يدل على معنى، وقد يستعمل كذلك لما يدل على المعنى من العناصر وهي الكلم وعلى ما يسمونه بالهجاء أي المكتوب منه، وكان السياق كافياً لرفع اللبس في كتب العلماء القدامى"<sup>(٥)</sup>.

ويتحدث كذلك عن الفرق بين الحروف الصوتية والحروف الخطية أي الفرق بين الصوت اللغوي وبين ما يقوم مقامه ويمثله من الرموز الخطية إذ قال: "فالأول - أي الصوت اللغوي - هو الأصل لأن الكتابة تابعة للفظ، لأنها رموز له، والصوت اللغوي هو الذي بنيت عليه الكتابة الهجائية، فكان يجب أن تتناسبه مناسبة تامة، ولهذا قيل في قياس الكتابة إن حق كل حرف صوتي أن يصور بحرف خطي يختص به، وحق كل حرف خطي أن ينفرد بحرف صوتي واحد..."<sup>(٦)</sup>، ويجري مقارنة بين المصطلحين عند الأوربيين وعند العرب فيقول: "أما علماء أوربا قديماً فكانوا يستعملون لفظتين مختلفتين كما في الفرنسية (letter) الحرف الصوتي و (caractere) - الحرف الخطي، ولما صارت الأولى تلتبس في الاستعمال بالثانية وضعوا كلمة جديدة لمعنى الأولى فقالوا (phoneme) عوض lettre ، أما العرب قديماً فما كان يشتبه عليهم هذا الأمر، وكلما أراد اللغوي منهم الجانب الخطي نبه على ذلك وقال مثلاً أما صورة الحرف في الخط... أو هذا موجود لفظاً وخطاً، ولهم تمييز آخر فقد استعملوا للدلالة على اسم الحرف كالباء والميم والياء مثلاً لفظة الهجاء"<sup>(٧)</sup>، ولهذا استعمل مفهوم الحرف للدلالة على أصغر القطع اللفظية وأصغر القطع الخطية مما يمثلها ويرمز بها إليها"<sup>(٨)</sup>.

ثانياً- مفهوم الحركة والسكون:

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٧ / ٢ - ١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٨ / ٢ .

(٣) أسباب حدوث الحروف : ٦٠ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧٨ / ٢ .

(٥) منطق العرب في علوم اللسان : ٢١٤ .

(٦) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ٥٠ .

(٧) بحوث ودراسات في علم اللسان : ٥٠ - ٥١ .

(٨) المصدر نفسه : ٥٠ .

اختصت بهذه المفاهيم اللغة العربية دون غيرها من اللغات، إذ لا يوجد بديل لها في الدراسات الغربية. هذه هي الفكرة الجوهرية التي انطلق منها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لإبراز هذين المفهومين، فقد استقى هذه القضية العلمية من التراث اللغوي العربي، ولاسيما عند الخليل، الذي بنى أوزانه العروضية عن طريقهما، إذ فطن إلى أن توالي المتحرك والساكن أو المتحرك والمتحرك والساكن يحدث منه إيقاع في الشعر، ورأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح " إنهما مفهومان اختص بهما النحاة ولا يوجد ما يماثلهما في الصوتيات الغربية التقليدية إلا فيما أثبته المهندسون المختصون في العلاج الآلي لأصوات اللغة"<sup>(١)</sup>.

ورأى أيضاً أن الخليل بنى أوزان العروض كله اعتماداً على ما استنبطه من مفهومي الحركة والسكون. وعلى كيفية إدراج الحروف المتحركة والساكنة في سياقات خاصة يحدث منها إيقاع، واتضح له أن أقل ما يمكن أن ينطق به من الوحدات الخاصة بوزن الشعر هو حرف المتحرك المتلو بحرف ساكن وسمّاه سبباً<sup>(٢)</sup>، ولم يجعله الحرف المتحرك وحده؛ لأنه يستحيل الوقوف عليه<sup>(٣)</sup>. بل وبنيت النظرية اللغوية العربية كلها على ذلك؛ لأنه هو منطلق التحليل للكلام إلى وحدات<sup>(٤)</sup>.

ويلحظ ان الدرس اللغوي العربي أهمل مفهوم الحركة قياساً بمفهوم الحرف، وهذا ما عدّه اللسانيون المعاصرون عيوباً تلحق بالدرس الصوتي عند العرب، إذ إنهم اهتموا بالرسم الإملائي، وأهملوا سلسلة الأصوات المسموعة<sup>(٥)</sup>. هذا على الرغم من دور الحركات في تنوع المعاني من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحركات تؤدي وظيفة مهمة جداً تتصل بوضوحها السمعي (sonority) الذي يعتمد عليه المقطع؛ لأن الصوامت تعتمد عليها لكي تُسمع<sup>(٦)</sup>.

وقد عدّ المحدثون السكون ذا طبيعة سلبية نطقاً إيجابية عملاً ووظيفة، لذا فهي واحدة من الحركات في وظيفتها اللغوية، ولكنهم قيّدوا ذلك بقيدين<sup>(٧)</sup>:

١- اقتصار ذلك على الجانب الوظيفي لا الصوتي.

٢- وجوب التفريق بين السكون، والحركات الأخرى.

لذا اقترح المحدثون أن يسمى السكون بـ(الحركة الصفر)<sup>(٨)</sup>، ويبدو أن هذا مما استوحوه من التراث اللغوي العربي حين قالوا إن: "السكون ضدّ الحركة"<sup>(٩)</sup>، بل هو خلو من الحركة عند النطق بالحرف، ولا يحدث بعد الحرف صوت، فينجزم عند ذلك، أي ينقطع، فلذلك أيضاً سُمي الجُزْم بـ"إسكان الحرف عن

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٤ / ٢ .

(٢) السبب وهو: من مقطعات الشعر: حرف متحرك وحرف ساكن..، المحكم والمحيط الأعظم : ٢٤ / ٨ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨٨ / ٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث الطيب البكوش : ٢٢ - ٢٣، والمنهج الصوتي للبنية العربية : ٣٤ - ٣٧ .

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي : ١٣٦ .

(٧) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر : ٢٢٢ .

(٨) ينظر: دراسات في علم اللغة : ٢٢٢ .

(٩) المحكم والمحيط الأعظم : ٧١٨ / ٦ .

حركته من الإعراب، من ذلك لقصوره عن حظه منه وانقطاعه عن الحركة ومدّ الصوت بها للإعراب، فإن كان السكون في موضوع الكلمة وأوليئها لم يُسمَّ جزءاً؛ لأنه لم يكن لها حظٌّ فقُصرت عنه<sup>(١)</sup>.

وقد أغفل بعض الباحثين وظيفة السكون المقطعية؛ إذ هي تميّز نهاية المقطع دائماً، وهذا يعني نطق الحرف غير متبوع بحركة، وهذا النطق يختلف عن نطق الحرف المتبوع بحركة<sup>(٢)</sup>. وبناءً على ما تقدم فليس صواباً مقولة الأستاذ (إبراهيم مصطفى): "إنّ الفتحة أخفّ من السكون أيضاً، وأيسر نطقاً"<sup>(٣)</sup>، فكيف يكون قطع الحركة وذهابها أثقل من الحركة ووجودها. فضلاً عن أن النظام المقطعي العربي نظام متوازن" إذ لا يوجد في المقطع سوى مصوت واحد، كما أنه لا يبدأ إلا بصامت واحد، ولا ينتهي إلا بصامت واحد في الغالب، بصرف النظر عن حال الوقف فهو مفطنة السكون"<sup>(٤)</sup>.

ويوصف الحرف غالباً بأنه متحرك أو ساكن، فقد ذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية يكتفون في تحديدهم لهما بقول مثل هذا " الحرف لا بد وأن يكون إما ساكناً أو متحركاً ولا نريد به حلول الحركة والسكون فيه لأنهما من صفات الأجسام بل المراد أنه يوجد عقيب الصامت صوت مخصوص"<sup>(٥)</sup>، قال سيبيويه: "إذا أردت إجراء الحروف، ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمدّ، أو بما فيها منها. (أي الحركات) وإن شئت أخفيت"<sup>(٦)</sup>، ويقول ابن جني: "لا يجري الصوت في الساكن، فإذا حرّك انبعث الصوت في الحركة، ثم انتهى إلى الحرف"<sup>(٧)</sup>، فهذا التسلسل المتداخل للحروف الذي تحدّثه الحركة هو الذي يسمّونه بـ(الإدراج)<sup>(٨)</sup> قال ابن جني: "أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سبباً له وعوناً عليه"<sup>(٩)</sup>، وفسر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ذلك حين قال: "ويعني اللغويون العرب بذلك أن الكلام الطبيعي متصل ببعضه ببعض ولا انقطاع فيه ولا مقاطع تحصل فيه.."<sup>(١٠)</sup>، ثم إن " للحركة التي بها يتم الإدراج تأثيراً كبيراً على الحرف الذي تحدّثه لأنه (يتقوم بها) وبما أن لها مخرجاً كمصوت (أو نفس) فتجذب الحرف إلى مخرجها"<sup>(١١)</sup>، وذكر ابن جني لأنها تُقلّق الحرف - أي الحركة - تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها"<sup>(١٢)</sup>.

وهذا يعني أن الحرف لا يمكن أن يحدث إلا حين يوصل مع غيره، فيذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن الوصل عند القدامى يعني الإدراج والاحتواء مع التنقل أي أن: "الحرف لا يحدث إلا

(١) المصدر نفسه : ٣٠٢ / ٧ .

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة : ٢٠٧ - ٢٢٠ .

(٣) إحياء النحو : ٨١ .

(٤) النقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث ، صباح عطوي عبود : ٩ . (أطروحة دكتوراه) .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨١ / ٢ .

(٦) الكتاب : ٥٧٤ / ٤ .

(٧) الخصائص : ٣٥٥ / ٢ .

(٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨١ / ٢ .

(٩) الخصائص : ١٢٢ / ١ .

(١٠) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨١ / ٢ - ١٨٢ .

(١١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨٢ / ٢ .

(١٢) ينظر: سر صناعة الإعراب : ١٩ / ١ - ٢٠ .

في مدرج صوتي أي: في سياق متسلسل من الحروف، والحركة هي التي تمكّن من إخراج الحرف<sup>(١)</sup>، ومن هنا كانت الحركة قبل كل شيء الدفعة والنقطة العضوية والهوائية التي يتم بها الإدراج فهي إطلاق بعد حبس ثم إن القدماء في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أطلقوا على المصوت (vowel) لفظ (الحركة)، ويمكن سبب تسميتهم في أن المقصود منها عند الخليل " هو الحركة العضوية الهوائية التي تحدث الحرف من جهة، وتكمن من الانتقال من مخرج إلى مخرج آخر"<sup>(٢)</sup>، وهذا ما جعل الدكتور الحاج صالح يرى أن الحركة هي التي تمكن من إحداث الحرف وفي الوقت نفسه تستلزم الانتقال من مخرج هذا الحرف إلى مخرج حرف آخر، وإن هذه الحركة ليست بالضرورة مصوتاً فهي غالباً ما تكون مصحوبة به فقط<sup>(٣)</sup>.

والدليل على ذلك - بحسب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - هو: " ظاهرة الإخفاء (الخاصة بالحركة لا بحرف النون) فإنّ الحركة المخففة هي التي يتم توهين صوتها حتى يظن أن الحرف المتحرك بها ساكن وذلك مثل (اسم موسى) و(دلو واقد) فهنا لا يجوز إسكان الميم والواو (لسكون ما قبلهما)..<sup>(٤)</sup>. وفي هذا الموضوع اقتضى أن تكون الحركة منطلقاً لتعريف السكون؛ إذ إن ما نلاحظه من تغير دلالي ناجم من تغير في البنية المقطعية للمفردة أحدثه إسقاط الحركة. أي أن: للسكون قيمة فونيمية خاصة به، وذلك من خلال قدرته على التمييز بين المعاني؛ لأنّ له وظيفة تقارن بوظائف أصوات المدّ القصيرة، ولكن هذا الفونيم يتصف بأنه فونيم ثانوي (Secondary phoneme) أو فونيم خارج التركيب؛ لأنه - أي السكون - لا يملك تحققاً صوتياً (Ralizator phonetic) في الواقع النطقي<sup>(٥)</sup>. ولوضوح العلاقة الوظيفية بين السكون وأصوات المد القصيرة أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح صوت مد صفر (Zero vowel)<sup>(٦)</sup>، وهو أمر قد يذكرنا بالرمز العربي لهذا السكون، إذ إن العرب رمزوا له برمز دائرة صغيرة، هي الدائرة التي تعبّر عن الصفر أيضاً<sup>(٧)</sup>.

وقد عُومل خلو المواضع من الحركة القصيرة في اللسانيات الحديثة، وكأنه يمثل وحدة صوتية رابعة، فضلاً عن الضمة والكسرة والفتحة، إذ إنّه أصبح أمكانية رابعة - أي السكون - تعرض للصوامت في التأليف الفونولوجي العربي، أي أمكانات الضم والكسر والفتح وبذلك صارت هذه الأمكانية الرابعة ذات قيمة على المستوى الوظيفي - أي التشكلي أو التعاملي -<sup>(٨)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٤ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٤ / ٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٨٤ / ١ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) ينظر: دراسات في علم اللغة : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٦) ينظر: دراسات في علم اللغة : ٢٢٨ .

(٧) ينظر: المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني (٤٤٤ هـ) : ٤٠ .

(٨) ينظر: دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطليبي : ٢٣٥ .

في حين يرى علماء التراث اللغوي العربي؛ أن الحركة في الحرف تقويه والسكون يضعفه<sup>(١)</sup>، إذ إنّه: ضدّ الحركة.

وتتصف الأصوات العربية بأنها ذات طابع صرف، فإذا كان الصرف هو حركة الحرف، فالجرس هو: "الحركة والصوت من كل ذي صوت"<sup>(٢)</sup>، أي: "الصوت في سكون الحرف"<sup>(٣)</sup>، فكانت هذه هي النقطة الرئيسية التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لتعريف السكون فقال عنها هي: "حبس بعد إطلاق وهو وقف لا يلزم منه الانتقال أي التحرك إلى مخرج آخر"<sup>(٤)</sup>. وهذا قاده إلى دراسة عملية التركيب للكلام الاصطناعي، فقد أكد: أن للخليل تحليل عظيم يخص أصوات اللغة، وقد بنى كل ذلك على أساس مفهومي الحركة والسكون، فقد وضع صيغة للنظام الصوتي هو إلى حدّ بعيد مصفوفة بالمعنى الرياضي لها مدخلان: المخارج والصفات، ثم لاحظ أن حركية الكلام ناتجة عن توالي الحركات والسكنات، أي من حركات عضوية وهوائية صوتية تحدث الحروف وتصلها بالتالي تليها، وسكنات عضوية أي إيقافات للهواء الصائت توقف هذه الحركات<sup>(٥)</sup>، وهذا دليل واضح على أن الأبحاث التي جاء بها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ماهي إلا اتجاهات تجريبية لتكنولوجيا حديثة تتادي بإجراء اختبارات تطبيقية بطرق عصرية، تشجع كل محاولة ترمي إلى النهوض بالبحوث العلمية التي تكون امتداداً للبحوث القديمة مع اعتبار كل ما طرأ من جديد يمكن الاستفادة منه.

### ثالثاً- المقطع الصوتي (Syllable)

يُعرّف المقطع بأنّه: "أصغر قطعة يمكن أن تنفصل"<sup>(٦)</sup>، أو "أصغر وحدة في تركيب الكلمة"<sup>(٧)</sup>، أو أنه: "مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي"<sup>(٨)</sup>، أي أنه: لا يوجد أبداً مقطع من دون مصوت، ورأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن الأصواتيين المحدثين انتقدوا هذا التحليل واستبعدوا التصور المتعلق بكيفية توالي هذين العنصرين في النطق وماذا يجوز من ذلك في داخل المقطع<sup>(٩)</sup>، بيد أن الوحدة الصوتية أكبر من وحدة الصوت المفرد وتتألف من صوت صائت - حركة - قصيراً أكان أم طويلاً معه صوت صامت واحداً أو أكثر نحو (مال) فيها مقطعان؛ الأول طويل مفتوح، والثاني قصير مفتوح، أي: م / - ل / - .

ومن هنا رأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن التراث اللغوي العربي سمي (Syllabe) مقطعاً "لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح، إذ هو الموضع من الكلام الذي يمكن أن يوقف عليه"<sup>(١٠)</sup>،

(١) ينظر: المنصف، لابن جني : ٢٢٣، والخصائص : ١٣١ / ١ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم : ٢٦٤ / ٧ .

(٣) تهذيب اللغة، الأزهرى : ٤٦ / ١ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨٤ / ١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٥٦ / ٢ .

(٦) المصدر نفسه : ١٨٩ / ٢ .

(٧) دراسة الصوت اللغوي : ٢٨٥ .

(٨) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٣٨ .

(٩) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨٩ / ٢ - ١٩٠ .

(١٠) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨٢ / ٢ .

وذهب إلى أن هذا القول " هو لجميع اللغويين العرب، بيد أنه يخالف تماماً النظرة اليونانية التي بنى عليها تقسيمهم لأصوات اللغة إلى مصوتات وصوامت، فقد لاحظ الفلاسفة اليونانيون ثم نحاتهم أن بعض الأصوات لا يمكن أن ينطق بها في الكلام دون أن يرافقها صوت من جنس آخر، قسموه (aphona) - غير مصوت - أو (symphona)، وأما هذا الذي يكون دائماً معه في الكلام فيقدر الناطق أن ينطق به منفرداً، وسموه (phoneenta)، ومن ثم نشأ في الوقت نفسه مفهوم المقطع (Syllabe) .." (١).

ويرتبط التقسيم المقطعي للكلمات ارتباطاً وثيقاً بالمفصل (Juncture) الذي هو: " عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر" (٢)، ويحده (دي سوسير) بقوله: " إن الانتقال من الانفجار الداخلي إلى الانفجار الخارجي في السلسلة الصوتية؛ يحدث أثراً مميزاً، والذي يحدد أو يشار إليه بالحدّ المقطعي...، ويظهر في بعض الأحيان عند نقاط مختلفة مجموعة الوحدات الصوتية.."(٣)، ذلك إن المفصل يسمى أيضاً بـ " الانتقال" (٤) (trausition). وهذا ما عبّر عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بـ " الانتقال الذي تتحول فيه البواني (Transition)" (٥)، ثم ذكر أن أصحاب مناهج تركيب الكلام الصناعي استخرجوا من آلاف الأطياف كيفية تحول هذه البواني واستنبطوا ما سمّوه بـ (LOCUS) وهي النقطة التي تتحو نحوها البواني الأساسية للمصوت - أي الحركة - الذي يأتي بعد الصامت أو المصوت السابق (٦). غير أن المقطع ليس مجرد اقتران حروف مفردة (مصوت وغير مصوت) مركبة من كمية صوتية أكبر من الصوت المفرد، كالكدس المجموع من حبوب كثيرة، وإنما هو شيء زائد على الحروف مثل المقطع الذي هو قولنا باء أو لام (٧). ثم قال: " واستخراج النقلات (transition) من التحليل الطيفي للمصوت في هذا الموقع، ثم تركيبها بجهاز مهياً لذلك مع الحصول على كلام سليم يفهم بسهولة، يبيّن أن أصل الأصول في إحداث الكلام وإدراكه يكمن في كيفية إدراج الحروف لا في صفاتها المميزة، إحداث الحرف مقيد بما يحدث بعده وقبله من الحركة.."(٨). ثم أن " الحركة كمفهوم دينامي لا يوجد مثله في أي نظرية إلا في نظرية (Transition) وهو مفيد جداً؛ لأن إطلاق الهواء الصائت للانتقال من مخرج إلى آخر هو أفيد كمفهوم من التصور اليوناني غير الحراكي؛ إذ الذي كان يهتم الفلاسفة منهم هو الأشياء في حدّ ذاتها لا الحركة المحدثة لها ولا إدراجها الطبيعي في الكلام" (٩). وإن تنوع أصوات المقطع هو السبب الأساس في تنوع المقاطع، وهذا مؤداه " إن المقطع وأن استطعنا نظرياً أن نفضله إلى أجزائه المركبة له فإنه في ذاته ظاهرة ذات هوية متفردة، لأنه كالكائن الحسي

(١) المصدر نفسه : ١٧٥ / ٢ .

(٢) أسس علم اللغة، ماريوباي : ٩٥، ودراسة الصوت اللغوي : ٢٣١ .

(٣) فصول في علم اللغة العام : ١٠٦ .

(٤) أسس علم اللغة : ٩٥ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٩٧ / ٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) ينظر: مدارج النطق الصوتي في النظرية اللغوية عند العرب ، د. عبد السلام المسدي : ٧٧ .

(٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٩٧ / ٢ .

(٩) المصدر نفسه : ١٩٨ / ٢ .

ليست هويته مجرد حصيلة أجزائه، وإنما هو في حقيقة أمره حاصل مجموع العناصر المركبة له مع شيء آخر<sup>(١)</sup>، إذ إن اللغات جميعاً لا تكاد تخلو من نوع من المرونة في ترتيب كلماتها، وواجب اللغوي الحديث؛ أن يفرق بين اللغات التي يرتبط نظامها برباط لغوي أو نحوي (Syntactic)، وبين تلك التي لا تكاد نلاحظ فيها مثل هذا الربط<sup>(٢)</sup>. كما أن ما نلاحظه من تغيّر دلاليّ ناجم من تغيّر من البنية المقطعية للمفردة أحدثه إسقاط الحركة، " فكلمة (الضرب): /ء - ض/ض - /ر - ب/ بثلاثة مقاطع وفقاً، ولكن إسقاط القمة من المقطع الثالث جعل بنية المفردة مقطعين اثنين: /ء - ض/ض - /ر - ب/<sup>(٣)</sup>.

ولعل ممّا ينبغي الإشارة إليه أن تجاور هذين المقطعين في " العربية الفصحى جائز؛ " إذ يشكل الأول نهاية مقطع، والثاني بداية مقطع جديد في حشو الكلام، نحو تجاور الضاد والراء في فعل الأمر (إضرب): /ء - ض/ض - /ر - ب/... . ولكننا إذا عرفنا أن المقطع هو عبارة عن مجموعة من الأصوات تمثل قاعدة وقمة وقاعدة وتكون القاعدة السكون السابق على الكلام أو السكون اللاحق له<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما سمّاه اللسانيون بـ" المقطع المقفل"<sup>(٥)</sup>، في حين يرى (جان كانتينو): " أن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت سواء أكان الغلق كاملاً أم جزئياً هي التي تمثل المقطع"<sup>(٦)</sup>، وذلك إذا ما عرفنا أن الصوامت ثابتة لا تتغير، وهي القواعد، أما المتغير فهو المصوتات، وهي القمم، ومن هنا كان الارتباط بين المصوت المتغير، والصامت الثابت، وعلى وفق قانون يطلق عليه " قانون المغايرة"<sup>(٧)</sup>، ويؤسس أكثر اللغويين نظرية المقطع على نسبة الوضوح السمعي (sonority)، ومعنى هذا أننا نعطي لقمة المقطع الصوتي الأكثر إسماعاً أو تصويتاً، ونلحق الأصوات الأقل إسماعاً بمركز التابع<sup>(٨)</sup>، أي القاعدة.

وتقتصر العربية وبعض اللغات الأخرى موضع القمة على المصوتات، وهذا ما أكده (دي سوسير)؛ إذ نكر: أن القمم الصوتية صوائت - حروف علة - وكل الأصوات الأخرى في نفس المقطع صوامت - الحروف الساكنة -<sup>(٩)</sup>. والمقطع قد يؤلف بنفسه كلمة مستقلة، وقد يكون جزءاً من كلمة<sup>(١٠)</sup>. أما في اللغات الأخرى، فيحكمون على الصوامت بأنها تكون كالمصوتات في داخل المقطع<sup>(١١)</sup>.

#### رابعاً- التنوع الصوتي (Variante phonetic)

(١) مدارج التقطيع الصوتي في النظرية اللغوية عند العرب : ٧٧ .

(٢) من أسرار اللغة : ٢٥٣ .

(٣) التقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث : ٤ .

(٤) محاضرات في اللغة، د. عبد الرحمن أيوب : ١٤١ .

(٥) العربية الفصحى، هنري فليش: ٤٤، ودراسة الصوت اللغوي : ٣٠٣ .

(٦) دروس في علم أصوات العربية : ١٩١ .

(٧) ينظر: التغيّر التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، د. أمّنة الزعبي : ٨ - ٩ .

(٨) دراسة الصوت اللغوي : ٢٩٢، وعلم الأصوات، مالميرج : ١٥٧ .

(٩) فصول في علم اللغة العام : ١٠٧ .

(١٠) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية : ٤٣ .

(١١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٩٠ / ٢ .

الصفات التي تتميز بها الأصوات عند تنوع ادائها صفات عرضية لا تؤدي وظيفة تبليغية بل تزول إذا زالت شروط وجودها؛ إذ إن " كل نظام صوتي في أي لغة كان يتكون من وحدات صوتية تحدد هويتها بمجموعة من المميزات لا أي مميزات بل تلك التي تسهم وحدها أو مع غيرها في التمييز بين معاني الكلام، وهذه الصفات المميزة بين معاني الكلم هي التي يجب الاعتداد بها في التحليل؛ لأنها هي التي تساهم في البيان عن المعاني أما غيرها من الصفات فليس لها هذا الدور"<sup>(١)</sup>، " فحرف الجيم مثلاً في العربية هو جملة الصفات الذاتية التي يتحدد بها ويتميز بها عن غيره، فمقصودهم من المساهمة في التمييز بين معاني الكلام وهو دور الفونيم الأساسي هو التأكيد على أن الفونيم (أو الحرف الصوتي في الاصطلاح العربي القديم) غير أنواعه الأدائية.."<sup>(٢)</sup>، وهذا التمييز والاختلاف في تأدية الأصوات " يحصل في النطق لا يمس كيان اللسان ولا يخل بالعلاقات الوظيفية البنوية لا ينتج عنه تميز في المعنى"<sup>(٣)</sup>، إلا أنهم زادوا على ذلك "أن النظام اللغوي لا يتحدد إلا بهذا الدور الذي يقوم به الفونيم وهو التمييز بين الكلم، وهذا لا يتم إلا بتحديد المميزات الصوتية التي بها تتمايز معاني الكلم فجعلوا مقياس التمييز، ومن ثم وظيفة البيان هو الأساس في الدراسة العلمية للألسنة البشرية"<sup>(٤)</sup>.

لذلك رأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح " أن هذا التصور ناتج عن تصور الفلاسفة ولاسيما ارسطو في تقسيمهم لكل محسوس إلى مادة وصورة، فلا غرابة أن نجد عند الفلاسفة العرب تحديداً قد تقاضى اللغوي الأوربي لأنها سبقت تروباتسكوي بعشرة قرون"<sup>(٥)</sup> وذلك كتحديد ابن سينا للحرف فهو عنده " هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر في المسموع"<sup>(٦)</sup>، ثم قال: "أما القراء فقد نجد عندهم أيضاً هذا التمييز واضحاً وهم لا يدينون بشيء من ذلك للفلاسفة والدليل على ذلك هو عدم استعمالهم في الأكثر للتعاقب بين الصورة والمادة"<sup>(٧)</sup>، وذلك مثل ما جاء في النشر لابن الجزري ما يلي: أما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرّوم والإشمام.. فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً"<sup>(٨)</sup>، والتنوع نوعان<sup>(٩)</sup>:

١- تنوع حر (Variante libre) .

٢- تنوع تركيبى (Variante combinatoire) وعند علماء التراث اللغوي العربي هو بدل ضروري

أو واجب<sup>(١٠)</sup>.

(١) المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٢٤٣ .

(٣) مبادئ في اللسانيات : ٧٥ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٣ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) أسباب حدوث الحروف : ٦٠ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٣ .

(٨) ينظر: النشر : ٣٠ / ١ .

(٩) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٣ .

(١٠) ينظر: سر صناعة الإعراب : ١ / ٨٣، وشرح المفصل : ٥ / ٣٤٧ .

أما التنوع الحر: " فيرجع ظهوره إلى استعمال الفرد أو الجماعة أي تأدية الفرد أو الجماعة للغة" (١)، وينقسم على قسمين (٢):

أ - تنوع لهجي (Variante dialectale) وهو اللغات (من حيث النطق) عند علماء التراث اللغوي العربي، وهذا التنوع خاص بجماعة من الناطقين قليلة الأفراد أو كثيرة إذا تؤدي هذه الجماعة صوتاً من الأصوات بطريقتها الخاصة، وغالباً ما ترجع أسباب هذا التنوع إلى عوامل: اجتماعية وتأريخية (٣)، ومن أمثلة التنوع اللهجي: " القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان، وبعض القبائل في جنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين" (٤)، وهو يعني بذلك " تطورها إلى كاف مجهزة في نطق العامية، وقد يكون ذلك أن صوت الكاف يلي مخرج القاف، وتوصفان بأنهما " لهويتان" (٥). إذ إن اختلاف بعض القبائل هو ما كوّن لنا الدليل الأول على التنوع اللهجي، فابتعدت سمات هذه اللغات واختلطت السمات بين اللهجات حتى أصبحت الأسس اللهجية هي التي: " تنسب إلى إحدى المجموعتين" (٦) ما اشتركت في استعماله مجموعة كبيرة جداً من العرب..، وأن الواقع اللغوي العربي لم يكن بالبساطة التي تصورها معاصروننا، فإستيعاب أوصاف اللغويين الأولين لهذه التنوعات حقيقة تأريخية إذ لا يزيد على ذلك ما جاء في القراءات والأشعار وما روي من المنثور (٧)، ومن ثم قال: " إن أكبر دليل على هذا الاهتمام الكبير بالتنوع اللهجي وغير اللهجي هو تصفحهم الكامل لما جاء من ذلك في القراءات وفي الشعر، زيادة على ما سمعوه في لغة التخاطب" (٨) إذ إن وجود هذه اللهجات في التخاطب عند كل العرب دليل على التنوع اللغوي الفصيح الذي كون هذه اللهجات، وهي في الواقع: " جزيئه؛ إذ لم تشكل أية واحدة منها مع غيرها من التنوعات نظاماً صوتياً كاملاً خاصاً بقبيلة معينة" (٩) ليتكوّن عن طريق هذه التنوعات اللهجية ظواهر صوتية متنوعة، كالإبدال، والإدغام، والإمالة وغيرها. وسيأتي الحديث عنها لاحقاً.

ب - تنوع فردي (Variante individuelle) وهذا التنوع " إمّا أسلوبية (Stylistique) ، وإما انحراف خاص بالأفراد وهو اللثغة عند العرب قديماً" (١٠).

ويتمثل هذا التنوع في " النطق الخاص بفرد واحد، والواقع ليس هناك ناطق يؤدي الأصوات بنفس الطريقة التي يؤديها غيره، وهذا شيء أو ظاهرة طبيعية، فلكلّ إنسان عاداته اللفظية" (١١)، غير أن " هناك

(١) مبادئ في اللسانيات : ٧٦ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٤ .

(٣) مبادئ في اللسانيات : ٧٦ .

(٤) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس : ٧٤ .

(٥) دراسة الصوت اللغوي : ٣٤٢ .

(٦) قسم اللغويين القدامى الخارطة اللغوية العربية على مجموعتين من القبائل: قبائل نجد وقبائل الحجاز، وتعودوا أن يطلقوا على الأولى اسم (بني تميم)، وعلى الثانية (أهل الحجاز)، أو (أهل العالية) أحياناً.

(٧) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٢٦ .

(٨) السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة : ٢٢٧ .

(٩) المصدر نفسه : ٢٢٩ .

(١٠) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٤ .

(١١) مبادئ في اللسانيات : ٧٦ .

كيفيات لا تحصى حسب الأقاليم واللهجات وحسب الأفراد بل وحسب الفرد الواحد؛ لأنه لا تثبت أحواله في مخاطباته مع غيره على حالة واحدة في حياته اليومية<sup>(١)</sup>، ولا سيما الحالة النفسية.

ومن أمثلة هذا التنوع عدم نطق بعض الحروف حسب الأصول، كالنطق بالسين وكأنها ثاء، وذلك أما لعجز كلامي، أو بسبب التقليد أو الطفولة، وقد تكون اللثغة بالقاف، أو الراء، أو اللام..، نحو (طلت له) أي: (قلت له)، و(يأيت) أي: (رأيت)<sup>(٢)</sup>.

وهنا يؤكد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: أنّ علماء التراث اللغوي العربي قد: "أولوا هذه التنوعات اللغوية في جميع المستويات الصرفية والصوتية والتركييبية والدلالية المعجمية عناية كبيرة جداً، ولم يتهاونوا في ذلك، ولم يحتقروا أبداً ما كان يجري في ذلك على ألسنة الفصحاء"<sup>(٣)</sup>، وأكد أيضاً: "أن التنوعات اللغوية في داخل رقعة الفصاحة كانت في أغلبها صوتية، وحتى الصرفية منها..<sup>(٤)</sup>".

### خامساً - ظواهر صوتية متنوعة

يطرأ على الأصوات اللغوية تنوعات تضاف إلى ظواهر صوتية كثيرة، إذ إنها تسهم في تدعيم انسجام الكلام، وفي الوقت نفسه تساعد على التعرف على مواقف المتكلمين، وسلوكهم، وعواطفهم، ومن ثمّ تشخيص الوظائف الأخرى للسان من خلال تنوع ظهورها من لسان إلى آخر، منها ما هو في داخل الأصوات المعزولة، ومنها ما يقع حال تركيب بعضها مع بعض في السياق الصوتي.

وهناك نوعان من التغيرات الصوتية الناجمة عن التنوعات، الأول يختص بتلك التغيرات التي تحدث على مرّ التاريخ اللغوي، دون أن تكون مشروطة بمواقع صوتية محددة، أما النوع الثاني فيعنى بما يطرأ على الأصوات من تغيرات ناتجة جراء التقاء الأصوات في سياقات صوتية معينة<sup>(٥)</sup>. وتسمى أيضاً في اللسانيات الحديثة بـ(تغيرات مشروطة وتغيرات غير مشروطة)<sup>(٦)</sup>.

ومن هذه التغيرات تلك القوانين التي توضح المقابلات الصوتية في العربية الفصحى، وكذلك اللهجات العربية، ويبدو أنها سنة قد جرت عليها العربية، سعياً وراء السهولة والخفة في النطق، وابتعاداً عن الثقل في بناء التركيب اللغوي، ومن ثمّ الاقتصاد في النظام الصوتي.

وقد أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في غير واحد من مؤلفاته وبحوثه إلى التغيرات الصوتية في ظواهر عدة إذ قال: "إن النظام الصوتي الفصيح واحد إلا في شيء طفيف..، وهذا لم يمنع من أن يختلف الاستعمال من الجانب الصوتي بين اقليم وآخر وبين الجماعات في الاقليم الواحد، وهذا الاختلاف يحصل بحصول الحوادث الصوتية التي يحدثها الاستعمال مثل إبدال الحروف بعضها من بعض، وتعاقب

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٥ .

(٢) المعجم المفصل في علوم اللغة (الأسنيات) : ١ / ٤٩٦ .

(٣) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٢٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٢٥ .

(٥) ينظر: اللغة، جوزيف فندريس : ٦٢ - ٩٦ ويسمى النوع الأول بـ(علم الأصوات التاريخي) أما النوع الثاني فيسمى بـ(علم الأصوات الوصفي).

(٦) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي : ٤٨ - ٥١ .

الحركات في اللفظ الواحد، وحذف الحروف والمد والقصر والإدغام والقلب المكاني وغيرها من التغيرات الصوتية<sup>(١)</sup>، ورأى أنه لا تعارض بين علم الأصوات التاريخي وعلم الأصوات الوصفي إذ قال: "إن النظريتين التاريخية والوصفية غير متعارضتين؛ لأن التعارض الحقيقي يكمن في النظر إلى الظواهر منعزلة مفككة والنظر إليها ككل، أما التتبع التاريخي لها فكالنصف لها في زمان واحد من حيث صحة المنهج"<sup>(٢)</sup>. وهذا يماثل ما يسمّى في البحث اللساني بـ "آلية النطق"<sup>(٣)</sup> (Les Dents) وهو ما أشار إليه (جوزيف فندريس) بقوله: "لما كان التغيير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النطق نفسها، فإن جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق، تتغير بنفس الصورة"<sup>(٤)</sup>. ومن ثمّ فإن "النظرية التي تعد التحولات الصوتية كأحداث محتومة يستحيل على الناطقين أن يتدخلوا فيها، وهي نزعة قديمة تنتمي إلى النحاة المحدثين...، والنظرية التحليلية الذرية أي التي تعد العناصر اللغوية وأطوار تحولاتها كأشياء منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض..."<sup>(٥)</sup>.

وسأتناول فيما يأتي ظواهر صوتية وردت عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في ضوء التنوّعات الصوتية وصورها في النظام الصوتي الفصيح، ومن هذه الظواهر:

### أ - ظاهرة الإبدال

المقصود بالإبدال: "تعاقب الحروف أو الحركات في اللفظ الواحد، مع بقاء المعنى"<sup>(٦)</sup>، وهو ما يماثل ما جاء به التراث اللغوي العربي، فيرى ابن فارس وبعض اللغويين أنّ "من سُنن العرب، إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض"<sup>(٧)</sup>، من دون أن يؤدي ذلك إلى المساس بالمعنى<sup>(٨)</sup>؛ لأنه يقوم بالأساس على التغيير الصوتي مع بقاء المعنى واحداً، وإقامة حرف مقام حرف ضربان. إما ضرورةً، وإما صنعةً واستحساناً<sup>(٩)</sup>. وأشار إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "هو بدل ضروري أو واجب"<sup>(١٠)</sup>. ورأى أيضاً أن ذلك "يحصل بسبب تنوّع الاستعمال بين جماعة وأخرى وهو في هذه الحال أي إذا اختص به إقليم معيّن إبدال لهجي وقد يكون غير لهجي أيضاً إذا كان التنوّع منتشراً في جماعات تنتمي إلى أكثر الأقاليم"<sup>(١١)</sup>، إذ إن "اللهجة في مفهومها العلمي هي لغة إقليمية أو قبلية تختلف عن لغات إقليمية أخرى تقاربها، وعن اللغة المشتركة التي لها قرابة بها أيضاً...، وهي بذلك مثل أي لغة أخرى: لا بد لها من

(١) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٣ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٥٣ .

(٣) ينظر: علم اللغة (السرعان) : ١٤٠ .

(٤) اللغة : ٧٢ .

(٥) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٩ .

(٦) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٣ .

(٧) الصاحبى في فقه اللغة : ٣٣٣، وفقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي (٤٢٩ هـ) : ٢٨٠ .

(٨) ينظر: الإبدال، ابن السكيت : ٤٨ .

(٩) ينظر: سر صناعة الإعراب : ٨٣ / ١، وشرح المفصل : ٣٤٧ / ٥ .

(١٠) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٤٣ .

(١١) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٣ .

نظام لغوي خاص" (١) وما وقع ذلك إلا بظواهر صوتية كثيرة كان الإبدال على رأسها، إذ أننا إذا درسنا هذه الظاهرة عند علماء التراث اللغوي العربي وجدنا أن سبب وقوعها لهجي محض. ولا بد أن نلاحظ " أن التغيرات هنا لا تمس الحروف والحركات في صفاتها الذاتية أي في مخارجها وصفاتها فهذه الحروف والحركات التي تبدل بعضها من بعض، كل واحد فيها هو وحدة قائمة بنفسها من النظام الصوتي، وليس تتوَعاً للصوت الواحد" (٢)، إذ يبدو أن التغيّر الصوتي والإبدال يحدث بسبب تغير الكلام، ولا سيما إذا ما علمنا أن الكلام واللغة متلازمان؛ وذلك لأن اللغة ضرورية لتكوّن الكلام وحدثه، كما أن الكلام ضروري لتكوّن اللغة، فيصبح من البديهي سبباً في تطور اللغة (٣). ولهذا لا يجوز في نظر بعض اللسانيين عند البحث في اللغات أن نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا أن ندرس الأصوات اللغوية، محاولين في كل حالة أن نتيّن الواقع الصوتي للغة، ومراعين مدى الاختلاف باعتبارها ظاهرة صوتية (٤).

والسبب في حدوث الإبدال عند المحدثين هو: التغير التاريخي الذي يصيب أصوات اللغة في أطوارها التدريجية حتى يظهر أثرها واضحاً جلياً، هذا التطور الذي يحدث بصورة غير إرادية ولا قصدية، فحين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب، يخيل إليه دائماً إنه ينطق بالصوت الأصلي من دون تغيير (٥). إذ إن التتبع التاريخي للظواهر الصوتية كالتصفح لها في زمان واحد من حيث صحة المنهج (٦).

وغالباً ما يقع الإبدال بسبب تفاعل الأصوات فيما بينها، وتأثير بعضها في بعض في الكلام المتصل (٧)، وقد قسم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الإبدال على نوعين (٨):

١ - اللغوي المعجمي: وهو تعاقب حرفين في موضع واحد مع بقاء المعنى، لتجانسهما مثل: النون واللام في: (هَتَّتِ السماء وهَتَّتِ)، أو الباء والميم في: (أَزَمَدَ وَأَزِيدَ)، أو بدون تجانس مثل: الفاء والكاف في (حسيفة وحسيكة) .. وفيه اللهجي وغير اللهجي وكثير منه غير خاص بجهة معينة ولا سيما إذا لم يغيره أي لغوي (٩)، وهذه الحال ليست ناتجة عن تهاون اللغويين في عزو الألفاظ، فإن كان سكت أحد العلماء عن عزو لغة من اللغات إلى أصحابها فلا بد أن يكون لغوي آخر من بين العشرات قد قام بذلك بشرط أن تكون اللغة لهجية خاصة بإقليم، فهذه هي اللغة ولا تتصف بأنها لهجة (١٠).

وهذا النوع من الإبدال اشترط فيه علماء التراث اللغوي أن تكون هناك علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه، إذ قال ابن سيده " ما لم يتقارب مخرجاه البتة فليل، على حرفين غير متقاربين، فلا يسمى

(١) المصدر نفسه : ٢٤٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٣٣ .

(٣) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير : ٣٧ - ٣٨ .

(٤) ينظر: اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي : ٤٤ .

(٥) ينظر: الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث، د. إسماعيل الطحان : ٥٠ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٥٣ .

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية : ٢٠٠ - ٢٠٢، والتطور النحوي للغة العربية : ٣٠ .

(٨) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٣ .

(٩) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٣ .

(١٠) المصدر نفسه : ٢٣٤ .

بدلاً<sup>(١)</sup>، وهذا ما اشترطه علم اللغة الحديث<sup>(٢)</sup>. إذ لا بد من تقارب مخرجين بين الحرفين اللذين يحل أحدهما مكان الآخر.

٢- الإبدال الحاصل بتفاعل الأصوات وبسبب الميل إلى التخفيف، وقال عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح " يحصل بسبب الميل إلى التخفيف وخاصة بتأثير الأصوات المتجاورة بعضها في بعض"<sup>(٣)</sup>، وقد أحصى القدماء والمحدثون الخصائص الصوتية المتعلقة بهذا النوع ولاحظوا أن الاختلاف القائم يخص: تحقيق الهمزة أو عدم التحقيق والإمالة والفتح والإدغام والإتباع وغير ذلك<sup>(٤)</sup>. وضابط القدماء في هذا النوع من الإبدال " أنه لو لم يبدل لأوقع في الخطأ، أو مخالفة الأكثر"<sup>(٥)</sup>، كما أن التنوعات الصوتية التي أساسها التعاقب بين جميع الحروف ولاسيما الصوامت، وعلى الرغم من كثرتها وتوزعها الشامل، فإنها لا تكون في مجموعها وفي أي جزء منها نظاماً منسجماً<sup>(٦)</sup>.

### ب - ظاهرة الإدغام

تعدُّ ظاهرة الإدغام من أبرز مظاهر المماثلة الصوتية، وهو " إدخال حرفٍ في حرف"<sup>(٧)</sup> أو "تقريب صوت من صوت"<sup>(٨)</sup>، هذا كما ورد في التراث اللغوي العربي، أما في علم اللغة الحديث فيُعرف " بأنه إدماج الصوتين المتتاليين، ونطقهما دفعة واحدة"<sup>(٩)</sup>، وعرفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: " الإدغام: أكثر ما يقع إدغام الحرفين في المضعف"<sup>(١٠)</sup>، وهو ليس ببعيدٍ عن قول سيبويه " هذا بابُ الإدغام في الحرفين: اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه"<sup>(١١)</sup>، إذ إن أصل الإدغام إنما هو لحروف الفم واللسان لكثرتها في الكلام، وقرب تناولها، ويضعف في حروف الحلق وحروف الشفتين، لقلتها، وبُعد تناولها<sup>(١٢)</sup>، " وكلما تقاربت المخارج وتداننت كان الإدغام أقوى وما تكافأ في المنزلة من المتقاربين فإدغامه جائز"<sup>(١٣)</sup>.

(١) المخصص : ٢٧٤ / ١٣ .

(٢) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٦٨ .

(٣) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٤٠ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث : ٤٠ .

(٦) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٣٤ .

(٧) المحكم والمحيط الأعظم : ٤٧٢ / ٥ .

(٨) الخصائص : ٤٩٥ / ١، وينظر: شرح المفصل : ٥١٦ / ٥ .

(٩) دراسة الصوت اللغوي : ٣٨٧ .

(١٠) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٤١ .

(١١) الكتاب : ٥٧٦ / ٤ .

(١٢) ينظر: الكتاب : ٥٨٣ / ٤ - ٦٠٧، الخصائص : ٤٩٥ / ١ - ٤٩٨ .

(١٣) الإدغام الكبير، أبو عمرو الداني : ٩٥ .

والغرض الداعي للإدغام هو التخفيف والتقريب، فحقيقته دفن الحرف وإدخاله في مثله أو مقاربه إدخالاً شديداً.<sup>(١)</sup> وذلك كراهةً للاستئصال، لذا كان الإدغام من مميزات اللهجة العربية، حتى ذهب بعض الباحثين إلى القول: إن النحاة العرب لم يعالجوا علم الأصوات لذاته، وإنما لكي يستطيعوا تفسير الإدغام<sup>(٢)</sup>. ويقسم الإدغام بحسب مقدار التشابه والتقارب بين الأصوات على ثلاثة أقسام<sup>(٣)</sup>:

١- إدغام المتماثلين، وهما اتفقا مخرجاً وصفة.

٢- إدغام المتجانسين: وهما ما تقاربا مخرجاً، واختلفا صفةً.

٣- إدغام المتقاربين: وهما ما تقاربا في المخرج، أو في الصفة.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح القسم الأخير وحده، إذ قال: "وأما إدغام المتقاربين فأكثر ما يقع بين كلمتين (في درج الكلام) ولا يخص قبيلة دون أخرى في الكثير من الأحيان وأكثر الحروف تدغم في مقاربتها بعد قلبها إلى مخرج الحرف المدغم فيه..<sup>(٤)</sup> ومن أمثلة هذا الإدغام: مَعْمُ < مَحْمُ، مَعَّ هَوْلَاء < مَحَّا وَلَاء" عند بني تميم<sup>(٥)</sup>. وعبر عنه بعض اللسانيين باستعمال مصطلح (التشابه الكلي) إذا ما تطابق الحرفان تماماً، و(التشابه الجزئي) إذا لم يتطابق الحرفان تماماً<sup>(٦)</sup>.

### ج - ظاهرة الإمالة

الإمالة هي: "صرف الشيء عن ما هو عليه إلى وجه آخر، وهي مختصة من الحروف بالألف، ومن الحركات الفتحة، فالألف تُمال إلى نحو الياء، والفتحة تُمال إلى نحو الكسرة، وذلك في مثل: عالم وسالم من الأسماء، وسارَ وباعَ من الأفعال، وحتَّى وبلَى من الحروف"<sup>(٧)</sup>، وعبر عنها ابن جني بأنها: نوع من التجانس والتقارب الصوتي<sup>(٨)</sup>. والذي يترتب عليه الاقتصاد في الجهد العضلي<sup>(٩)</sup>.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هذه الظاهرة، ونقل لنا كلام سيبويه حين قال: "سِرْبَالٌ، وشِمْلَالٌ، وعمادٌ، وكِلَابٌ، وجميع هذا لا يُمِيلُه أهل الحجاز، ...، وجميع هذا لا يُمِيلُه ناسٌ كثير من بني تميم وغيرهم"<sup>(١٠)</sup>، وعقب الدكتور على ذلك بقوله: "الإمالة في الفعل وفي الرباعي من الأسماء"<sup>(١١)</sup>، ورأى أيضاً "أن لهذا النص دلالة واضحة وحاسمة فإن سيبويه بهذا الوصف الدقيق لواقع الاستعمال يريد أن يبين أن الإمالة ليست أداءً لهجياً محضاً تختص به قبيلة دون أخرى، بل هو أداء غير مطرد<sup>(١٢)</sup>، ويبدو أن الواقع اللغوي الذي يمكن أن يفهم من عبارات علماء التراث العربي أن: تتجه جهة الكسرة، أو أن تميل

(٥) المصدر نفسه: ٩٢.

(٦) ينظر: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، هنري فليش: ٥٣.

(٧) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٨ / ١، والإدغام الكبير: ٩٥.

(٨) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة: ٢٤٢.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٠) التطور النحوي للغة العربية: ١٨.

(١١) كشف المشكل في النحو: ٣٤٧.

(١٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٦٧ / ١.

(١٣) ينظر: اللهجات العربية في التراث، د. احمد علم الدين الجندي: ٢٧٧ / ١.

(١٤) الكتاب: ٢٣٥ - ٢٣٧.

(١٥) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة: ٢٤٣.

(١٦) المصدر نفسه: ٢٤٤.

جهة الكسرة، وكل ذلك محتمل قلب الفتحة كسرة، والألف ياء ذلك القلب الخالص الذي يكرهه القراء، ويستجيزه النحاة<sup>(١)</sup>.

### د: ظاهرتا تحقيق الهمزة وتخفيفها

احتلت الهمزة في كتب التراث اللغوي العربي مكاناً فسيحاً قياساً إلى بقية الأصوات، ويعدُّ هذا الصوت من الأصوات الصعبة نطقاً، لذا فقد لجأ اللغويين إلى حالات نطقية مختلفة بين التحقيق والتخفيف والتلين والحذف وهي حالات منبعها البحث عن السهولة واليسر لدى إصدار الكلام، وتحقيق الهمزة أو تخفيفها ظواهر صوتية التجأ إليها أغلب متكلمي العربية، وقد نسبها أغلب الباحثين كالـدكتور (إبراهيم أنيس) إلى الناطقين ذوي البيئة البدوية الصعبة، لتتسجم بذلك وعورة النطق مع وعورة البيئة<sup>(٢)</sup>. وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حين قال: "فإن تحقيق الهمزة لم ينفرد به أهل نجد إذ أكثر القبائل العربية كان بعض أفرادها أو الجماعات فيها تحقق أو تخفف"<sup>(٣)</sup>. ويعزى ذلك إلى أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق، وتلمس أيسر السبل إلى هذه السرعة<sup>(٤)</sup>.

والهمزة المخففة هي تنوع للهمزة المحققة<sup>(٥)</sup>، وقد أوردت مؤلفات التراث اللغوي العربي عن هاتين الظاهرتين الكثير من المسائل الصوتية، والتي تبين لهجات القبائل فيها، إذ يلاحظ أن القبائل العربية خلطت بين التحقيق والتخفيف، ولم يقتصر الأمر على قبيلة واحدة.

وقد نسب علماء اللغة الأوائل الهمز إلى بني تميم، وتركه إلى أهل الحجاز<sup>(٦)</sup>، فقد مال التميميون إلى تحقيق الهمز في كثيرٍ من الألفاظ التي كانت على وزن (فَعَل) إذا كان في موضع العين من الفعل ألف ساكنة، ما قبلها مفتوح نحو، (رَأَى) و(قَاس)، أو ياء ساكنة ما قبلها مكسور نحو (ذُنِب) أو ساكنة ما قبلها مضموم نحو: (لُؤْم)<sup>(٧)</sup>. وهو ما عبّر عنه بـ"مذهب التحقيق"<sup>(٨)</sup>، بيد أن التحقيق لا ينحصر في (بني تميم) كما يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ قال: "وأن التحقيق لا ينحصر في بني تميم"<sup>(٩)</sup>، فضلاً عن رفضه جعل التخفيف خاصاً بأهل الحجاز، إذ قال: "فحصرهم التحقيق بالإبدال في أهل الحجاز غير دقيق"<sup>(١٠)</sup>، ثم قال: "ووصف سيبويه المستفيض لذلك هو دليل آخر على تشتت اللغات وتداخلها، وقلة انفراد القبيلة كلها بخاصية أو خاصيات هامة تجعلها تتميز هي وحدها عن غيرها بنظام صوتي لهجي

(١) الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د. عبد الفتاح شلبي : ٣٥ .

(٢) ينظر: في اللهجات العربية : ٦٨ - ٦٩ .

(٣) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٤٠ .

(٤) في اللهجات العربية : ١٢٠ .

(٥) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٤٠ .

(٦) ينظر: معاني القرآن للقراء : ٣٥٦ / ٢، وشرح المفصل : ٢٦٥ / ٥ .

(٧) ينظر: الكتاب : ٤ / ٢٤ - ٢٨، وشرح الشافية : ٣٢ / ٣ - ٣٣ .

(٨) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم : ٣٠١ / ٦ .

(٩) السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٤١ .

(١٠) المصدر نفسه .

كامل"<sup>(١)</sup>، وقد وصف ابن جني هذا النوع من الهمز " بأنه عن تطرق وصنعة، وليس اعتباراً"<sup>(٢)</sup>. وعدّ أصحاب المعجمات " تحقيق الهمز وارتفاع الصوت به هو نبرة"<sup>(٣)</sup>، إذ إن الهمزة النابرة هي المحققة بشدة في النطق<sup>(٤)</sup>.

لذا يمكن القول: إن التصور الحديث لفكرة النبر (stress) لم تختلف كثيراً عن تصور القدماء، إذ قال سيبويه: " واعلم أنّ الهمزة إنّما فعلَ بها هذا من لم يخفها؛ لأنّه بَعْدَ مَخْرَجِهَا، ولأنّها نَبْرَةٌ في الصَّدْر تُخْرَجُ باجتهاد"<sup>(٥)</sup>، وعقب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قائلاً: " فعلى أساس هذا الوصف الدقيق وإذا استثنينا " بين بين" وهو نوع واحد من التخفيف، فليس الأمر ببساطة التي وصف بها المتأخرون استعمال العرب للهمزة"<sup>(٦)</sup>، ويبدو أن مثل هذه الأفكار قد دعت بعض اللسانيين إلى عدّ معرفتنا لنبر الكلمة في العربية الفصحى معرفة حديثة، وإن فكرته كانت مجهولة لدى العلماء العرب<sup>(٧)</sup>. ولعل السرّ في مثل هذه الأفكار " أن النبر ليس فونيماً (Phoneme) في اللغة العربية"<sup>(٨)</sup>، ونخلص من ذلك أن الصورة الخاصة بالتحويلات الصوتية بين تحقيق الهمزة أو تخفيفها قائمة كلها على قواعد وضوابط، اجتهد علماء التراث اللغوي العربي في رسمها وإحكامها. وما كان للباحثين المحدثين إلا أن يقرّوها بطبيعتها وخصائصها. ونخلص أيضاً: إن الظواهر الصوتية التي ذكرتها لا يطرّد أكثرها إلا كوجودها ظاهراً في الاستعمال اللغوي.

## المبحث الثاني

### المستوى النحوي التركيبي

قبل أن نعرض ملامح الدرس النحوي المعاصر عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وجب علينا التنبية على أنّ المستوى النحوي استأثر في القديم والحديث بالنصيب الأوفر من الدراسة، ويعود السبب في هذا إلى أنّ النظام النحوي يُعدّ " قمة الدراسات اللغوية، وهو تجسيد لقواعد اللغة في عمومها، من قواعد صوتية، وصرفية، ونحوية"<sup>(٩)</sup>، فالنحو لبُّ الأنظمة اللغوية كلّها، وواسطة العقد بينها، فضلاً عن أنّ

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) الخصاص: ٣٧٠ / ٢ .

(٣) مباحث في علم اللغة واللسانيات: ٨٢ .

(٤) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٧٣ .

(٥) الكتاب: ٢٩ / ٤ .

(٦) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة: ٢٤١ .

(٧) ينظر: العربية الفصحى: ٤٩ - ٥٠، ومحاضرات في اللغة: ١٤٥ .

(٨) الدراسات اللغوية عند العرب - المعطيات والمآخذ - د. هادي نهر: ١٥٥ .

(٩) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر: ٣٤ .

الانموذج القديم هو الحاضر بقوة في كل مقاربة للغة الضاد، بل إن بناء درس لساني معاصر لا يتأتى إلا عن طريق الكتابات النحوية القديمة، إما على سبيل النقد و التقويم، أو على سبيل التبني والشرح.

وقد تناول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح التراث النحوي الذي يَحْمِلُ نتاجاً معرفياً وعلمياً زاخراً، وهذه العودة إلى التراث تَحْمِلُ بُعْداً حضارياً، ومعرفياً تُمَكِّنُ من التعرف على الذات - الذات العربي - ومن ثَمَّ الوصول إلى فهم أهم الإشكاليات، وحلّها بفكرٍ عارفٍ، وواعٍ بذاته وغيره.

وهذا ما تميّزت به تجربته؛ إذ بحث عن العلمية في العلوم اللغوية العربية القديمة، فأعاد قراءة تراثها ووقف عند كل مستوى موقفاً علمياً، وقد تبين من خلال مؤلفاته اللسانية فضلاً عن بحوثه ومقالاته . ودراساته هذه اتسمت بالمحاولة لصياغة النحو صياغةً جديدةً حسب تجربته الشخصية، أو في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. ويمكن التماس هذا في الفقرات الآتية:

### أولاً: منهجه في دراسة المستوى النحوي:

المنهج هو المرتكز الأساس لأي عمل علمي، ولذا فإن تناوله يُعدُّ مقدّمة أولى وبداية طبيعية للدراسة أيّاً كان نوعها.

وقد تمثلت منهجية الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في دراسة النحو العربي - قديماً وحديثاً - بما يأتي:

### ١- إثبات أصالة النحو العربي<sup>(١)</sup>:

من القضايا التي أثارها اللسانيون المعاصرون والتي كانت موضع نقاش وجدال، والتي تُعدُّ مدخلاً للقول بعدم تأثر النحو العربي بعلوم المنطق والفلسفة، قضية نشأة النحو العربي. وقد انحصر حديثهم عن هذه القضية في مسألتين: أحدهما أولية وضع النحو، والأخرى تأثر النحو أو عدم تأثره بالمنطق والفلسفة.

(١) شغلت هذه القضية الباحثين في أرجاء الوطن العربي، وأفرد لها بعضهم مؤلفات مستقلة، على سبيل المثال: المنطق والنحو الصوري، د. طه عبد الرحمن، والنزعة المنطقية في النحو العربي، د. عبد الفتاح الدجني، وأصالة النحو العربي، د. كريم حسين ناصح الخالدي، ومنطق العرب في علوم اللسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، كما أفرد لهذا الموضوع مقالات خاصة، منها: النحو العربي ومنطق أرسطو، د. عبد الرحمن الحاج صالح، وخواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد العاشر، ١٩٧٣م: ٢١ - ٣٦، والنحو العربي ومنطق أرسطو، د. محمد عابد الجابري، وقائع ندوة البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٨٤م: ٢٣٥ - ٢٥٧، كما شغلت هذه القضية المستشرقين، ينظر: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، جيرار تروبو، مجلة اللغة العربية الأردني، العدد الأول، المجلد الأول، ١٩٧٨م: ١٢٥ - ١٣٨ .

فأما المسألة الأولى - أولية وضع النحو -، فمنهم من تناولها تناولاً دقيقاً. مستعرضاً الروايات التاريخية القديمة، محاولاً الخروج برأي محدد، فضلاً عن إبداء رأيه فيه - ومنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ومنهم من حسم القضية من بدايتها، من دون مناقشة أو مداخلة مع تلك الروايات.

إن هذه القضية قديمة قدم النحو نفسه، فقد عرض لها العلماء الأولون، وذكرت أسماء كثيرة لواضع النحو الأول، فمن قائل: إنه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت ٤٠هـ)، وثان يقول: إنه أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وثالث يذكر أنه نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ)، ورابع يذكر أنه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ)، على أن كثيراً منهم يميل إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع العربية (النحو)<sup>(١)</sup>.

ولا أريد أن أقف طويلاً عند هذه المسألة، فقد أشبعت بحثاً ومناقشةً، مما يجعل الخوض فيها تكراراً لا مسوغ له، على أن هذا لا يمنع من تأكيد القول: إن أبا الأسود الدؤلي هو الواضع الأول للنحو العربي، أو بعبارة أخرى هو الرائد الأول في وضع اللبنة الأولى في بناء هذا النحو؛ ودليلنا على ذلك الشواهد التاريخية المستفيضة التي تكاد تبلغ حدّ التواتر في رواية قصة نشأة النحو العربي، فضلاً عن المكونات الشخصية لأبي الأسود الدؤلي<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر - في مقامنا هذا - أن الدكتور كريم حسين الخالدي يناقش الروايات التي وردت في ما يخص نشأة النحو العربي بموضوعية إذ يرى أنه لا بُدَّ من أن تقف هذه الروايات على أرض صلبة في بيان الحقائق، وإزالة الشكوك التي يثيرها عدد من الباحثين حول أصالة نشأة النحو العربي، إذ إن الإيمان بأصالة النشأة الأولى يقود حتماً إلى الإيمان بأصالة النحو العربي في مرحلة النمو والاكتمال<sup>(٣)</sup>.

وأما المسألة الأخرى - وهي المهمة في هذه الجزئية - فقد اختلفت فيها وجهات نظر اللغويين المعاصرين، وكانوا فيه فرقةً مختلفة، ففريق يرى أن النحو عربيّ الوضع والنشأة والتدرج، في جميع مراحلها التي مرَّ بها، ولم يتأثر بأيّ فكرٍ آخر، سواء كان يونانياً، أو سريانياً، أو هندياً، أو غير ذلك. وفريق ثانٍ يرى أنه لم يتأثر ابتداءً، أي في أصل الوضع، ولكنه تأثر جزئياً في فترة لاحقة بالفلسفة اليونانية، وبالنحو السرياني والهندي. أما الفريق الثالث فيرى أنه منذ نشأته الأولى وهو متأثر كلياً بمؤثرات وافدة. ولا بُدَّ من الإشارة إلى أن الفريقين الأخيرين يتراوحان في تحديد مصدر تلك التأثيرات الخارجية، فبعضهم يقصرها

(١) ينظر: - على سبيل المثال - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأثيري: ٤ - ١٣، وقد تتبع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تلك الأقوال تتبعاً تاريخياً، ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: ١٤ - ٢١، وتاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، د. علي أبو المكارم، القاهرة الحديثة للطباعة، ط ١، ١٩٧١م: ٢٣ - ٣١، والنحو العربي - العلة النحوية نشأتها وتطورها: ٧ - ٤٦.

(٢) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: ١٥ - ١٧، والفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، د. علي مزهر الياسري: ٩٩ - ١٠٤، والدراسات اللغوية عند العرب (د. آل ياسين): ٥٧ - ٦٤.

(٣) ينظر: أصالة النحو العربي: ٢٧، ويناقش الدكتور ما إذا كان عمل أبو الأسود الدؤلي وضع النحو العربي، أو تأليف كتاب أو وضع تعليقة مدعماً آراءه بأدلة تاريخية وموضوعية، ينظر: المصدر نفسه: ٢٧ - ٤٧.

على المنطق والفلسفة اليونانية، وبعضهم يقصرها على النحو السرياني وحده، أو النحو الهندي منفرداً، أو النحو اليوناني منفرداً أيضاً، وآخرون يقرنون المنطق اليوناني بالنحو السرياني في هذا التأثير<sup>(١)</sup>.

هذه بصفة عامة اتجاهات الباحثين المعاصرين في دراسة هذه القضية، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من الباحثين العرب الذين وقفوا عند هذه القضية باهتمام، إذ إنها تُشكّل مدخلاً لتحليل الفكر النحوي عند العرب من جهة، كما أنها تُمثّل من جهة أخرى إثبات أصالة النحو العربي.

وقد جاءت دراسة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهذا الموضوع لتُجيب عن أسئلة دارت بين كثير من الألسنة، وشغلت كثيراً من الباحثين، وهي: هل تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني؟ ومتى وقع ذلك؟ فقد بيّن بالأدلة التاريخية والعقلية أنّ النحو العربي في جوهره لغوي محض<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن أنّه ردّ على هذه الشبهات التي حاولت هزّ كيان النحو العربي وجذوره العريقة، إذ ردّ بأدلة قوية تاريخية وعقلية بأسلوب علمي مقنع.

وقد لخصنا في هذا المطب ما اظهره الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من أدلة وبراهين تردّ الشبهات في تأثر النحو العربي بالنحو الأرسطي إلا بعد اكتماله، وهي كالآتي:

### أ - شبهات تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي وأدلة إبطالها:

يُرجح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح سبب هذه الشبهة إلى ما زُعم عن العرب في تقسيمهم للكلام تقسيماً ثلاثياً؛ إنّ مقتبس من أرسطو، مستندي في هذا إلى ما جاء في كُتب أرسطو (العبارة، والشعر، والخطابة) من تقسيم للكلام، وقد يبدو هذا الإدعاء في أوله مقنعاً لما ورد عن أرسطو في كتابه (الشعر) من تقسيم للكلام كما تصوّرها إذ نجد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يذكر فيه قول أرسطو: "عماد المقولة بأسرها وأجزاء الأسطُقسّات"<sup>(٣)</sup> هي هذه: الاقتضاب، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، التصريف،

(١) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٢٠٥ .  
 (٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٢ / ١ ، ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد أفرد باباً تضمّن ثلاثة فصول تناول فيها بالتفصيل مسألة إثبات أصالة النحو العربي.  
 (٣) يعني الحروف الصوتية ورموزها.

القول" (١)، ويستثنى الدكتور الحاج صالح (الاقتضاب) الذي هو (المقطع)، والتصريف ومعناه عند أرسطو التصرف الإعرابي، والقول وهو الجملة، بقي الاسم والكلمة والرباط والفاصلة فهذه أربعة أقسام لا ثلاثة (٢).

ويُفصّل لنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قول أرسطو وما يعنيه كل مصطلح من مصطلحاته، إذ إنّ " الرباط هو ترجمة لكلمة (Conjunction= Sundesmos) وهي صوت مركّب غير مدلول (= غير دال) بمنزلة (إما)... (٣)، ويُعلّق ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) على ذلك بقوله: "الرباط الذي يسمى واصلة وهي لفظة لا تدلّ بانفرادها على معنى وإنما يُفهم فيها ارتباط قول بقولٍ تارةً يكون بأن يُذكر الواصلة أو لا يقول ولا يبتدئ به مثل الواو والفاء وما هو الألف في لغة اليونانيين" (٤).

وفيما يخص الفاصلة " Arthron=Articulation/Article فقد حدّدها أرسطو بأنّها صوت مركّب غير مدلول (= غير دال) إما لابتداء القول وإما الآخرة أو حدّ ذلك بمنزلة الضاء أو (من أجل) أو (إلا)... (٥)، وقد ذكر ابن سينا في كتابه (الشعر) أنّ الفاصلة " هي أداة أي لفظة لا تدلّ بانفرادها لكنها تدلّ على أنّ القولين متميزان وأحدهما مقدّم والآخر تالٍ وتدلّ الحدود والمفارقات مثل قولنا: (إما) مكسورة الألف.. (٦).

فهذه أربعة أقسام للكلام صرّح بها أرسطو ولم يكتفِ بالرباط وحده أو بالفاصلة وحدها، فالدليل على أنّه يعدّ كلّاً منهما قسماً قائماً برأسه هو التقابل الذي أقامه بينهما وامتتاعه من إدراجهما في قسمٍ ثالث، فهذا رباط (أو واصلة) = Sundesmos ، وتلك فاصلة = Arthron (٧).

وعلى هذا فأرسطو قسّم الكلام نصاً على أربعة أقسام لكل منها كيانه الخاص به. وعلمائنا العرب القدماء ما كان يمكنهم أن يأخذوا تقسيمهم من أرسطو لا من كتاب (العبارة) ولا من كتاب (الشعر) لابن سينا حيث نجد أربعة أقسام لا ثلاثة فضلاً عن أنّه لا يوجد في أي كتاب من كتبه أي نص صريح بثلاثية الأقسام .

أما النحاة العرب القدماء فنظرتهم إلى اللغة مغايرة تماماً لنظرة أرسطو. قال سيبويه: " فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" (٨)، ثم قال: "فالاسم رجل وفرس وحائط وأما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع" (٩).

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) منطق العرب في علوم اللسان : ٥٠ .

(٤) كتاب الشعر، في الشفاء، المنطق (٩)، ابن سينا، تحقيق : عبد الرحمن بدوي، د. ط. ١٩٦٦م : ٦٥ .

(٥) منطق العرب في علوم اللسان : ٥٠ .

(٦) كتاب الشعر : ٦٥ .

(٧) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٥١ .

(٨) الكتاب : ١ / ١٢ .

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

فالفعل عند النحاة العرب يدلّ دائماً على حَدَثٍ حَدَثٍ أو هو بصدد الحدوث الآن أو سيحدث مستقبلاً. ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رأياً بهذا الخصوص مفاده أنّ النحاة العرب "هم أول من حدّد معنى الفعل بربطه صراحةً بكلِّ حادثٍ في أثناء حدوثه؛ لأنّ هذا يدلّ أولاً على عدم اكتراثهم تماماً بالفعل كعنصر من عنصري الحكم المنطقي كما جاء عند أرسطو، وثانياً تقطنهم أنّ الفعل دليل على ما يحصل ويقع من الوقائع في أثناء وقوعها وأهم شيء ليس هو الزمان فقط بل الحدث وحدثه في زمان. فإن كان أرسطو تنبّه إلى عنصر الزمان فإنّه لم يهتم بحدوث الحدث وهذا طبعاً لا يكون إلا في زمان معيّن... بل كان همه الوحيد كفيلسوف الجوهر أنّ يحدد هذا العنصر على أنّه ما يُحْمَلُ على الجوهر فما يسميه كلمة ليس فعلاً حقيقياً عنده إذ لا ينظر إليه من حيث هو حدث فقط بل من حيث هو مقول على الجوهر - ويكون في كل اللغات الأوربية فعلاً بالمعنى اللغوي - وتحديدته بأنّه يدلّ على زمان لا دور له ولا تأثير في استغلاله كركنٍ للحكم المنطقي. فهذا لا نشمّ فيه أي راحة له مما جاء في تحديد سيبويه فدلالة الفعل على حدث يحدث في وقتٍ من الأوقات وهو ما عند النحاة العرب الأولين لا توافق دلالة (الكلمة) عند أرسطو وحتى ولو اضطرّوا أن يعترفوا أنّ لا فِعْلَ بدون فاعل يُسند إليه - كما أنّ الاسم المبني على المبتدأ مسندٌ إلى المبتدأ - فالإسناد عند سيبويه وشيوخه ليس هو حمل محمول على موضوع كما يراه أرسطو<sup>(١)</sup>. جاء في الكتاب " فالأسماء المُحدّث عنها والأمثلة دليلٌ على مضي وما لم يمض من المُحدّث به وهو الذهاب و الجلوس والضرب وليست الأمثلة بالأحداث ولا ما يكون منه الأحداث وهي الأسماء"<sup>(٢)</sup>. فيستدل د. الحاج صالح على أنّ النظرية لغوية وخاصة بتبليغ الأغراض فقط هو استعمال سيبويه لكلمة (محدّث عنها) و(محدّث به) "فهو ينظر إلى الكلام كحديث عن حدث(Enonciation) يسنده المتكلم إلى مسمى ومحدّث عنه بقطع النظر عن كونه جوهراً ويجري ذلك بين متكلم (= متحدث) ومخاطب (= المحدّث). ولا يُجري سيبويه أي تحليل لأي كلام إلا في هذا الإطار وهو الحديث على شكل الكلام الملفوظ"<sup>(٣)</sup>.

فضلاً عن إنّ سيبويه عند تعريفه للفعل والحرف لم يُحدّد الاسم، بل مثّل له كما هو معروف، إلا أنّه قال: بأنّ الأسماء هي المُحدّث عنها فحدّد الاسم بوقوعه في موقع خاص في الحديث لا يقع فيه أي قسم آخر من الكلّم أبداً، ولو استعار العرب هذا من أرسطو لقال سيبويه: الاسم هو ما لا يدلّ على زمان<sup>(٤)</sup>.

ويفترض الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ التصور اليوناني حول أقسام الكلام هو لغوي في أصله (في الاسم والكلمة خاصة)<sup>(٥)</sup>، وكان يُمكن أن يتّلع عليه النحاة الأتولون لوجوده بالعربية في تلخيص

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ٦٤ - ٦٥ .

(٢) الكتاب : ١ / ١٤ .

(٣) منطق العرب في علوم اللسان : ٦٥ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٦٦ .

(٥) قد يكون الاسم من التعريفات التي تجمع بين الشكل المنطقي والمضمون النحوي، ينظر: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، د. البشير التهالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م : ٩٧ .

ابن المقفع<sup>(١)</sup> في ذلك الزمان وفي ذلك المكان. وعلى هذا فقد يكون النحاة أخذوا بعض الجوانب منه مثل مفهوم الاسم كلفظ لا يدل على الزمان ومفهوم الكلمة على خلاف ذلك أي كفعل لغوي - وقد مثل أرسطو للاسم بلفظي (إنسان ودابة) وهذا قريب من (رجل وفرس وحائط) في تمثيل سيبويه - مثل الربط بين الاسم والكلمة في الكلام وقد سماه ابن المقفع بالإسناد مثل ما هو موجود في الكتاب. ثم يمكن أن نفسر تعمق البحث وعمق المفاهيم - وكثيراً منها لا مقابل لها عند اليونانيين - بأن العلماء العرب قد اجتهدوا وأبدعوا بعد اقتباسهم المفاهيم الأرسطية المنطقية وتجريدها من كل ما هو منطقي<sup>(٢)</sup>.

ويستمر د. الحاج صالح في افتراضه الذي يرى فيه أنه قد يكون حصل تأثير بالفعل، ويستدرك على افتراضه بطريقة استدلالية عقلية فيما يأتي<sup>(٣)</sup>:

١- لو حصل هذا التأثير بالفعل في أوائل القرن الثاني الهجري أي قبل زمان ابن المقفع؛ لأنه يستحيل أن يصل النحو العربي إلى هذا المستوى العالي جداً، الذي يتصف به كتاب سيبويه، لو بدأ النحاة في الاجتهاد في أواسط هذا القرن، أي بعد اطلاعهم على تلخيص ابن المقفع فقط ثم ينضج هذا النضج في أربعين سنة (بين ١٣٥ و ١٧٥). إن تطوّر المفاهيم العربية كان سريعاً ولكنه تطلّب ما لا يقل عن ثمانين أو مئة سنة. ويستحيل أن تكون هذه المعجزة - في جميع العلوم - خرجت إلى الوجود بـ(كُنْ فيكون). ثم ثبت تاريخياً وبالنص الصريح أن الاجتهاد في النحو لم يبدئ مع الخليل. فقد ذكر سيبويه آراء كثير ممن يأتي ابن المقفع ويُلقن الخليل وزملاءه بتلخيصه مبادئ النحو بهذه البساطة وأنّ أرسطو قد ميّز بين الاسم والكلمة بكذا وكذا من الصفات؟!.

٢- لو ذكر الخليل أو أحد زملائه أو تلميذه سيبويه مصدر اقتباسهم لما قالوه من أقسام الكلم ومفهوم العامل ولو مرة واحدة، ولو بنقل رجل واحد منهم أو بنقل مؤرخ واحد ممن عاصروهم... في ذلك العصر أو بعده مثل ابن المقفع نفسه... كيف يسكت عن التأثير المزعوم كل من عاش في القرنين الثاني والثالث من دون استثناء، ولا يسكت عنه من عاش في القرن الرابع عندما حصل التأثير بالفعل؟

(١) يذهب بعض الباحثين إلى أنّ الاتصال بين العالم العربي والعالم اليوناني كان عن طريق أول كتاب تُرجم لأرسطو ليصل إلى عبد الله بن المقفع (ت ١٣٩هـ)، وتبين أن ابنه محمداً هو الذي قام بهذه المحاولة الأولى من نوعها، فضلاً عن أنّ هناك روايات تذكر أنّ عبد الله بن المقفع قد ترجم كتب أرسطو الثلاثة وهي: (قسطورياس، باري أرميناس، أنولوطيقا)، وقد نفى باحث آخر أن يكون ابن المقفع قد ترجم شيئاً لأرسطو؛ لأنّ اهتماماته أدبية، وكان أيضاً لا يعرف اليونانية، وذهب آخرون إلى أنّ الترجمة تمت بعد تأليف كتاب سيبويه، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٤٣ / ١، والنحو العربي والدرس الحديث: ٧٤، ونشأة الدراسات اللغوية العربية، إسماعيل أحمد عميرة، مطبعة وائل، الأردن، ط ٣، ٢٠٠٢م: ٤٨.

(٢) منطق العرب في علوم اللسان: ٦٦ - ٦٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧ - ٦٨.

(٤) وهم كل الذين ذكرهم ممن أدلى برأى في النحو بدون استثناء كما يدل على ذلك الكتاب. فقد قال سيبويه: "لأنّ ناساً من النحويين يفرقون بين... وهذا قول يونس والأول قول عيسى" : ١ / ٢٢٨. فهو يعتبر يونس وعيسى من جملة من يسميهم بالنحويين. وقال: "فالعرب تنصب هذا والنحويون أجمعون" : ١ / ٣٩١.

٣- لو كانت أمثلة كتاب سيبويه - كثيراً منها أو بعضها - مقتبسة من تلخيص ابن المقفع مثل ما جاء في تلخيصه لكتاب (قاطوغريوس) عند كلام أرسطو عن الجوهر<sup>(١)</sup>، ومنها: سماء، وأرض، وإنسان، ودابة، وطائر، ونار.

٤- لو جاء في كتاب سيبويه أكثر المصطلحات المنطقية التي تخص أقسام الكلام مع أنه لم يجيء فيه إلا كلمة (اسم)، ثم لماذا لم يأت في كتابه ما جاء في التلخيص مثل (الحرف) بمعنى (الفعل)، و(القضية) بمعنى (الكلام المستغني)، و(الحد) بمعنى (الجزء من القضية) وغير ذلك كالجوامع والقوارن والأبدال والحقوق؟

٥- لو كان مصطلح المسند إليه الذي ذكره ابن المقفع خاصاً بالمنطق اليوناني، وليس الأمر كذلك. والدليل الأول على عدم استعارتهم له هو أنهم لم ينبهوا - النحاة الأولون منهم - مثل ما فعل أرسطو بالنسبة إلى غرضه وهو أن غرضهم لغوي وأن المسند والمسند إليه هما أعم من المفهومين اليونانيين. فضلاً عن أنهم لم يُشيروا أبداً إلى أن غرضهم لم يكن أبداً التمييز بين الصدق والكذب في تحليلهم للكلام. فلماذا يُحذر أرسطو من التخليط بين الجانبين اللغوي والمنطقي ويسكت العرب عن هذا وقد زعموا أنهم اقتبسوا من أرسطو هذه المفاهيم؟

ثم كيف نفسّر أنّ مصطلحي (الموضوع والمحمول) موجودان في جميع كتب المنطق بالعربية ولا يوجد المسند والمسند إليه إلا عند النحاة والمسند إليه إلا عند ابن المقفع؟. ولم يحصل هذا لم يفعلوا مثل ما فعل العلماء السريانيون عندما نقلوا الكلمتين اليونانيتين إلى أقرب لفظ سرياني إليهما وكما فعل الذين نقلوهما إلى العربية فقالوا: موضوع ومحمول. ولو كان مصطلحا المسند والمسند إليه هما ترجمة للفظتين المنطقيتين لاستمر استعمالهما عند النحاة والمناطقة ومن المعروف أنّ المترجمين من القرن الثالث الهجري قد استعاروا كثيراً من مصطلحات النحو العربي كالنظائر وقياس النظائر وغيرها.

مما تقدّم يستدل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على أنّ وجود مصطلح (المسند إليه) عند ابن المقفع مقتبس من النحاة العرب الأولين لا العكس، بدليل وجود بعض العبارات الخاصة بالنحو العربي من تلخيصه مثل: (حلية) بمعنى الصفة المميزة، وهذا (الكلام جائز مستقيم) و(يستقيم)، فهذه عبارات يكثر مجيئها في كتب النحو ولم تأت في كتاب منطق قديم<sup>(٢)</sup>.

صفوة القول: ما ادّعا المدّعون من اقتباس النحاة العرب لتقسيم أرسطو للكلام والمفاهيم المتعلقة بذلك التقسيم كالاسم والكلمة والرباط فهو بعيد جداً عن الحقيقة. وأكبر دليل - كما ذكر الحاج صالح - هو

(١) كلمة (الجوهر) تعني (عين) اقتبسها ابن المقفع من المتكلمين المعاصرين له وأهمهم مؤسسو مذهب الاعتزال ويستعملها أيضاً النحاة بالمعنى نفسه. ينظر: بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٧، ٢٠٠٤م : ٢١٢.

(٢) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٦٩.

النص الأصلي الذي ورد فيه التقسيم وهو نص كتاب الشعر . ففيه تقسيم رباعي لا ثلاثي: الاسم والكلمة والرباط والفاصلة - وما قيل بأنَّ الفاصلة قد أُضيفت إلى النص فيما بعد قد ردَّ على ذلك العلماء حديثاً بعدم وجود أي دليل. فضلاً عن أنَّ تصور النحاة العرب للأقسام الثلاثة (الاسم والفعل والحرف) بعيد عن تصور أرسطو وأغراضه. فهم لا يلتفتون إلى ما انتقت إليه أرسطو من الاعتبارات المنطقية، ومن المستحيل أن يكون واضعو النحو العربي - العرب - اقتبسوا هذا التقسيم مجرداً عن هذه الاعتبارات المنطقية، فالاسم عند سيبويه هو المحدث عنه والفعل هو المحدث به، فالإطار المفهومي هو لغوي محض ويتعلق بالحديث وحده أي الخطاب وكل ما يرتبط به من مُتكلِّم ومخاطب وألفاظ ومعانٍ وأغراض ونظام لغة وقرائن وغير ذلك مما يخص التخاطب، فضلاً عن أنَّ الحُكم المنطقي جانب من جوانب عدّة التي يمكن أن يُعبّر عنها الخطاب.

ثم لو فرضنا أنَّ النحاة أخذوا من منطق أرسطو في قسمٍ أو قسمين من أقسام الكلمة، فهل هذا يعني أنَّ النحاة العرب أخذوا نحوهم من اليونان أو السريان؟ هذا الاتفاق من الممكن أن يحدث بين هذه اللغة أو تلك؛ لأنَّه من أساسيات كل لغة، ومن المحدثين الذين قالوا بذلك أستاذنا الدكتور كريم حسين الخالدي الذي يرى أنَّ هذا الاتفاق "من أساسيات كل لغة، ولقد أدرك النحاة العرب منذ بدء التأليف النحوي أنَّ مثل هذا التقسيم قد يرد في اللغة اليونانية أو الفارسية أو السريانية أو العبرية"<sup>(١)</sup>، مستدلاً بقول المبرد: "إنَّ الكلام كلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنى لا يخلو الكلام - عربياً كان أم أعجمياً - من هذه الثلاثة"<sup>(٢)</sup>.

كما نجد إشارة الدكتور احمد مختار عمر الذي يتردد كثيراً في الرأي القائل بوقوع النحو العربي تحت تأثير نفوذ اليونان ومجرد التشابه في التقسيم.. أو في بعض المصطلحات لا ينهض دليلاً لإثبات مثل هذه الدعوى العريضة وقد سبق أن رأينا أنَّ أقسام الكلام موجودة كذلك عند الهنود ولاشك أنها موجودة أيضاً عند شعوب أخرى<sup>(٣)</sup>.

#### ب - آراء بعض المستشرقين والمعاصرين العرب في تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي:

كَتَبَ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً بعنوان (النحو العربي ومنطق أرسطو)<sup>(٤)</sup>، بيّن فيه أنَّ النحو العربي لم يتأثر بمنطق أرسطو لا في نشأته قبل سيبويه ولا بعد ذلك إلى غاية ما حصل بالفعل وأقرَّ بذلك صراحةً النحاة العرب أنفسهم والمؤرخون في بداية القرن الرابع الهجري - كما سيأتي إن شاء الله - . وقد تناول بعض الباحثين هذا الموضوع من المستشرقين ومن المعاصرين العرب، وممن وقف عندهم

(١) أصالة النحو العربي : ١٣١ .

(٢) المقتضب : ٣ / ١ .

(٣) ينظر: البحث اللغوي عند العرب : ٢٣٩، والدراسات اللغوية عند العرب : ٨٨ .

(٤) نُشِرَ هذا البحث في مجلة كلية الآداب /جامعة الجزائر، العدد الأول : ١٩٦٤ ك : ٦٧ - ٨٦، وتم إعادة نشره في كتابه بحوث ودراسات

في اللسانيات العربية : ٤٤ / ١ .

الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: من المستشرقين (أدالبير ميركس) في بحث مطول، ومن المعاصرين العرب هم: الدكتور إبراهيم مذكور، والدكتور مهدي المخزومي والدكتور أحمد أمين.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن أقدم زعم بوجود تأثير يوناني في النحو العربي في بدء نشأته كان من قِبَلِ (أيناس جويدي) و(أدالبير مركس)، غير أنه لم يَقُمْ لزعم (أيناس جويدي) أي وزن؛ لأنه لم يأتِ ببرهانٍ شافٍ<sup>(١)</sup>. وركّز على (ميركس) الذي رأى عنده إفاضة في هذا الموضوع، فضلاً عن قدرته على التأثير في كل من اطلع على آرائه لما يُظهِرُه مِنْ إحكام إستدلال، وحُسْنِ تعليل<sup>(٢)</sup>. وذكر الحاج صالح رأي (دي بوار Deboer) مؤرخ الفلسفة الإسلامية، الذي كثيراً ما يُنسبُ أصالة المنهج النحوي الذي سلكه العرب في مباحثهم إلى أرسطو<sup>(٣)</sup>. يقول في تاريخه DEBOER: "وقد أثر منطق أرسطو في علوم اللسان التي لم يكن من شأنها جمع الشواهد والمترادفات؛ لان هذه تتقيّد بالموضوعات التي تعالجها على ان السريان كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب (العبارة) لأرسطو مع إضافاتٍ ترجع إلى الرواقيين<sup>(٤)</sup> وإلى أهل المذهب الأفلاطوني الجديد، وابن المقفع الذي كان في أول الامر صديقاً حميماً للخليل بن احمد، يَسَّرُ للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية<sup>(٥)</sup> من أبحاث لغوية منطقية<sup>(٦)</sup>.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قول Deboer في موضع آخر مفاده أن الأبحاث اللغوية النظرية التي نشأت عند العرب في زمانٍ مبكر قد أحدثتها المقولات النحوية المنطقية الموجودة في كتاب (باري أرمنياس)، وذلك ما وقع من تأثير الرواقية في هذا النشوء، ومن ثم ظهر القول بانقسام الكلام على الأقسام الثلاثة<sup>(٧)</sup>.

وعلق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على هذه الآراء بأنها أصبحت حقائق متعارفة تقبلها النفوس وتحبذها، ويتداولها الخلف عن السلف، ويؤونها مؤرخو العلوم، وذكر من جملة هؤلاء (جورج سارطون) صاحب كتاب (المدخل إلى تاريخ العلم) إذ يقول: " قال ابن خلكان إن علياً وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم، وفعل، وحرف، ثم دفعه إليه، وقال: تمم على هذا. يذكرنا هذا بما في المنطق الأرسطوطاليسي، إذ أرسطو لم يحصِ هو أيضاً في الكلام إلا ثلاثة أقسام وهي (omoma)<sup>(٨)</sup>،

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٤٤ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٤) الرواقيون : تُعدُّ المدرسة الرواقية أهم مدرسة فلسفية في أئينا بعد أرسطو، وقد أسس هذه المدرسة المفكر (زينون) عام ٣٠٨ ق.م، وسبب نجاحها أن أصحابها كانوا يعتقدون أن الأسلوب القويم يتمثل في الحياة بانسجام مع الطبيعة، وأن المعرفة تكمن في انسجام الأشياء الطبيعية الموجودة في الطبيعة، وأن هذه الأفكار ما هي إلا صور في حد ذاتها. ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، احمد مومن : ٢٠ .

(٥) الفهلوية: تعني اللغة التركية الوسطى، ينظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٤م : ٤٤٤

(٦) تاريخ الفلسفة في الاسلام، دي بوار، ترجمة: محمد عبد الهادي ابوريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م: ٨٤.

(٧) ينظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام : ٨٢-٨٥.

(٨) Omoma: يقصد به الاسم، بما في ذلك الصفة. ينظر: نشأة الدراسات اللغوية العربية : ٥٧ .

(rhema)<sup>(١)</sup>، (sundesmos)<sup>(٢)</sup>. فمما لاشك فيه أنّ العرب حصلوا على هذا بفضل المنطق اليوناني، وأن اجتهادهم في النحو قد تأثر به. ومن الراجح أنّ ذلك لم يحصل إلا بالنحو اليوناني، وعلى كلّ فإنهم حتى ولو كان لهم علم بالنحو اليوناني فإنّ ذلك لم يساعدهم كما ساعد النحاة اللاتينيين معرفتهم بذلك النحو، إذ كانت خصائص كل لغة منهما مفترقة في جوهرها"<sup>(٣)</sup>.

ثم أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ هناك بعض الباحثين - الذين وصفهم بالمنصفين - وقفوا من هذه المسألة موقفاً وسطاً، ولم يسمح لهم تخرجهم وورعهم أن يحكموا على شيء بحكم نهائي ويجازفوا هذه المجازفة الغربية - على حدّ قوله - فقد نقل احمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) عن الأستاذ ( إينو ليطمان) أنّه قال في إحدى محاضراته: " نحن نذهب مذهباً وسطاً، وهو أنّه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنّه لا يوجد في كتاب سيويوه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه. لكن لما تعلّم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو الذي كتبه أرسطوطاليس الفيلسوف"<sup>(٤)</sup>.

ويواصل د. الحاج صالح عرض آراء المستشرقين في هذه المسألة، ليذكر لنا رأياً آخر، هو للمستشرق الفرنسي (لويس ماسينيوس)، وأشاد بقدراته وفضله في آرائه حول طرق النظر عند مفكري الإسلام، وقد غلبت عليه نزعة التصوف التي تأسف لها الحاج صالح؛ لأنها جعلته لا ينظر إلى تلك الطرق إلا من زاوية واحدة<sup>(٥)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك فقد وصفه بالذهن المتقرد في الوصول للأغراض البعيدة، ونقل لنا شهادته التي جاءت في مقالة نشرتها مجلة (arabika) : " أنّه منذ اختفاء مركس حظينا بدراسة وثائقية لطرق الترجمة العربية للأرجانون، وذلك بوساطة السريانية، وقد بيّنت لنا الدراسات أنّ النحو العربي كان أشدّ امتناعاً من السرياني على تسرب اليونانية إلى أوضاعهما. وكان قبل أن يتخذ العرب التقسيم الثلاثي

اليوناني لأقسام الكلام (اسم، فعل، حرف) قد أبدعوا تقسيماً ثنائياً موافقاً للأصول الجدلية السامية (أصل - فرع، عمدة - فضلة، مبتدأ - خبر"<sup>(٦)</sup>.

ويقف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على ما جاء به الأب (فلايش) في كتابه المطول (في فقه اللغة العربية). وقال : إنّها أبحاث جرت حول هذا الموضوع، إلا أنّه لم يتناولها النقد والتمحيص، ولكنه

(١) Rhema : يقصد به الفعل، ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) Sundesmos : يقصد به أدوات الربط، ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المدخل إلى تاريخ العلم، جورج سارطون، طبعة baltimore ، ١٩٢٧م : ١ / ٥٠١ ( نقلاً عن بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٥ / ١ ) .

(٤) ضحى الإسلام، احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ : ٢ / ٢٩٣ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٥ / ١ .

(٦)

لاحظ أنّ القدماء من النحاة لم يعالجوا النحو بعين الفلسفة، ومعنى ذلك - عنده - أنهم عدموا تلك الكفاءة التي توهم الإنسان للتفكير والتحليل، والإشراف على مادة البحث حتى يُمكن بناؤها على هيئة، وكل ذلك لا يبتسر إلا لمن كسب ثقافة فلسفية<sup>(١)</sup>.

كما عرض الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح آراء بعض المعاصرين من العرب في هذه المسألة، ويبدو أنّه اقتصر على القليل منهم؛ قد يكون السبب في ذلك لِقَدَم كتاباته في هذا الموضوع<sup>(٢)</sup>، لذلك نُسَجِّل غياب آراء لبعض المعاصرين منهم - على سبيل المثال - الدكتور تمام حسان<sup>(٣)</sup>، والدكتور عبده الراجحي<sup>(٤)</sup> وغيرهم .

ومن المحدثين الذين كتبوا في هذا الموضوع - وذكره الحاج صالح - احمد أمين، حيث يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: إنّهُ هو الذي نقل ما جاء به (إينو ليمان) من رأيٍ شديد، وزاد عليه أنّ تأثير اليونان، والسُريان في العصر الأول لوضع النحو كان ضعيفاً، وأنّه ربّما كان أكبر الأثر غير مباشر كاستخدام آلة القياس والتوسع بواسطتها في وضع القواعد النحوية<sup>(٥)</sup>.

كما ويذكر من الباحثين المحدثين الأستاذ إبراهيم مذكور في أطروحته (أثر الأرجانون في العالم العربي) بأنّه لم يزد شيئاً على ما قاله علماء الغرب، بل اكتفى بالإشارة إلى التأثير الذي يظنه قد وقع في وضع النحو، فضلاً عن أنّه نشر في عام ١٩٤٨م بحثاً بعنوان (منطق أرسطو والنحو العربي) في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حاول فيه أن يُبين كيف حصل التأثير، ويُعلّق الحاج صالح بأنّ حُججه غير مقنعة<sup>(٦)</sup>.

ويقف د. عبد الرحمن الحاج صالح عند آراء الدكتور مهدي المخزومي في كتابه (مدرسة الكوفة)، إذ يرى - الحاج صالح - أنّ المخزومي قد سلك فيه - كبقية المحدثين - هذه السبيل - أي تأثر النحو بالمنطق الأرسطي - بانياً جميع ما يثبت على القول بتأثير المنطق على النحو ولاسيما مدرسة البصرة<sup>(٧)</sup>. جاء في كتابه المذكور: "... فقد مهّدت هذه الفلسفات للانتفاع بالمنطق اليوناني، (وفي البصرة ظهرت الترجمة الأولى لمنطق أرسطو. ترجمه عن اليونانية أو الفارسية عبدُ الله بن المقفّع، أو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفّع)"<sup>(٨)</sup>. وقال أيضاً: "... والواقع أن تأثير علم الكلام، أو الثقافة البصرية اليونانية، إنّما ظهر في النحو في زمنٍ مبكر، منذ أواخر القرن الأول، وأوائل القرن الثاني، وهي الفترة التي ظهرت فيها الفلسفة الكلامية

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٦ / ١ .

(٢) كتب بحثاً عام ١٩٦٤م بعنوان (النحو العربي ومنطق أرسطو)، ينظر: المصدر نفسه : ٤٢ / ١ .

(٣) ينظر: الأصول : ٤٦ - ٥٣ .

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث : ٦١ - ١٠٥ .

(٥) ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٦ / ١ ، وضحى الإسلام : ٢ / ٢٩٣ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٦ / ١ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٤٧ / ١ .

(٨) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م : ٤٠ .

ظهوراً واضحاً، ولم يكن بن أحمد أول من ظهر في نحوه تأثير هذه الثقافة الجديدة، بميله إلى القياس والتعليل، فقد سبقه إلى ذلك عبد الله بن أبي إسحاق<sup>(١)</sup>. ولا أريد الخوض في هذا الموضوع بين مؤيد له ومُنكِر، إذ وقف عنده كثير من الباحثين<sup>(٢)</sup>. لكن خلاصة القول: - فيما ذكره الحاج صالح - أنّ جمهور من الباحثين والمؤرخين قد قنعوا بوجود تأثير يوناني في نشأة النحو العربي.

### ج - دخول المنطق للنحو العربي:

لا أحد استطاع أن يُنكر دخول المنطق الأرسطي للنحو العربي على الرغم من المقاومة الشديدة له من العلماء العرب، إلا أنه استطاع أن يدخل في الثقافة الإسلامية وعلومها، وهي حقيقة لا يكاد ينفىها أي باحث.

ويؤرخ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهذا الدخول - بعد أن عرّض لنا نقاء النحو العربي من الاثر الأرسطي وغيره بعد تكامله على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، إذ يُعتبر الخليل " الباني الحقيقي لصرح النحو العربي أكمل أبوابه وأنضج مصطلحاته واستقصى شواهدة وتوسع في تعليل مسائله، فلم يجد سيبويه أمامه إلا أن يُدوّن هذا العلم المتكامل وتتضح هذه الحقيقة بشكل جلي بالرجوع إلى عدد المرات التي نقل فيها آراء الخليل في كتابه"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الدكتور علي أبو المكارم أنّ النحو العربي كان آخر العلوم اللغوية متأثراً بالمنطق اليوناني وجوانبه الميتافيزيقية في منهجه، فقد سبق النحاة إلى التأثر بالفكر الإغريقي من الذين يهتمون بالنشاط اللغوي علماء البلاغة والأدب والنقد الأدبي ... فضلاً عن أنّ النحو العربي لم يتأخر تأثره منهجياً بالبحوث الفلسفية والمنطقية الإغريقية عن غيره من العلوم اللغوية فحسب، بل ظل مدة طويلة بمنأى عن هذه البحوث في تفاصيله وجزئيات<sup>(٤)</sup>.

ويبدأ التساؤل من هو أول من اعتمد على مفاهيم أرسطو وطريقة تصنيفه من النحاة العرب بصورة واضحة؟ كان هذا السؤال وغيره مثار جدلاً عند الباحثين المحدثين من خلال طرحهم لهذه الأسئلة وغيرها، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح كان من أحد هؤلاء الباحثين الذي اعترف بدخول المنطق إلى النحو العربي وغزوه إياه، وذلك على أثر ما حصل من تسرب لكثير من المفاهيم المنطقية في نهاية القرن الثالث الهجري، فقد أعجب العلماء بما أُدخل من الحدود على النحو العربي، وخاصةً في كثير مما جاء بعنوان مختصر في النحو والذي أُلّف لتعليم العربية، مثل الموجز لابن السراج، والجمل للزجاجي وغيرهما، يقول

(١) المصدر نفسه : ٤١ فما بعدها .

(٢) ينظر على سبيل المثال: أصالة النحو العربي (د. كريم الخالدي) : ١٣ - ١٥٢، وأصول الفكر اللغوي العربي في دراسات القدماء والمحدثين - دراسة في البنية والمنهج، د. حامد ناصر الظالمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١١م : ٢٥ - ٤٧، والفكر النحوي عند العرب أصوله ومنهجه : ٨١ - ١٤٩، وغيرها من المصادر التي تناولت هذا الموضوع .

(٣) أصالة النحو العربي : ١٧٢ .

(٤) ينظر: تقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم، دار الثقافة، بيروت، د. ط، د. ت : ٦٦ - ٦٧ .

الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "فيهما أثر واضح للمنطق اليوناني، إلا أنّ النظرية الأساسية لم تُمَسَّ، فكأن الحدود وبعض المفاهيم أُضيفت فقط إلى ما عُرف من حدود القدامى. وتقطن كثيراً من العلماء إلى وجود نظريتين مختلفتين في النحو فنبهوا القراء - كما فعل الزجاجي في الإيضاح - ومن جاء بعد ممن استساغ المفاهيم المنطقية، فميّزوا فيما بعد بين الحد بالجنس والفصل وبين الحد بذكر الصفات اللازمة أي الخصائص أو العلامات وهو الحد العربي وسموه "الحد بالرسم" تخليطاً بينه وبين الحد الرسمي المنطقي"<sup>(١)</sup>. يقول ابن يعيش في ذلك: "الفرق بين العلامة والحد أنّ العلامة تكون بالأمر اللازمة والحد بالذاتية"<sup>(٢)</sup>.

ولكارل بروكلمان رأياً يقول فيه: أنّ " للعرب رأياً يتكرر دائماً، هو أنّ علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم، ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي"<sup>(٣)</sup>.

ويُصرّح د. عبد الرحمن الحاج صالح أنّ أبا بكر السراج قد تتلمذ على بعض أساتذة المنطق في بغداد وهو المبرّد، مستنداً في ذلك على رواية صاحب الفهرست إذ روى عن ابن درستويه<sup>(٤)</sup> (ت ٣٤٧هـ) قال: "رأيتُ ابن السراج يوماً قد حضر عند الزجاج مسلماً عليه بعد موت المبرّد، فسأل رجل الزجاج عن مسألة فقال لابن السراج أجبه يا أبا بكر فأجابته فأخطأ، فأنتهره الزجاج... فقال ابن السراج: قد... أدبتي وأنا تاركٌ ما درست منذ قرأتُ الكتاب - يعني كتاب سيبويه - لأنني تشاغلْتُ عنه بالمنطق والموسيقى والآن أنا أعاود فعاود وصنّف"<sup>(٥)</sup>.

ولا يخفى ما لهذا الاتصال الدراسي العلمي المباشر بين أساتذة المنطق وأبرز تلاميذ المبرّد من خطورة عظيمة، إذ تتلمذ على ابن السراج علماء كبار أمثال أبي علي الفارسي والزجاجي وغيرهم، وكان ابن السراج - حقيقةً - أول من أدخل شيئاً لا بأس به من مفاهيم منطق أرسطو في النحو العربي فضلاً عن أنّه لم يكن ابن السراج يحضر وحده في هذه الحلقات التي كان يُشرف عليها المناطقة، فقد ذكر اسم ابن كيسان<sup>(٦)</sup> (ت ٢٩٩هـ) وهو من زملاء ابن السراج<sup>(٧)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧١ / ٢ .

(٢) شرح المفصل : ٧ / ٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ٤٤٤ .

(٤) هو أبو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي، وهو أحد تلامذة المبرّد، أقام في بغداد وحتى وفاته، ينظر: نزهة الألباء : ٢٤٧ .

(٥) الفهرست : ٦٧ وما بعدها .

(٦) هو محمد بن احمد بن كيسان، ممن خلط بين المذهبين البصري والكوفي، ينظر: نزهة الألباء : ٢٠٨ .

(٧) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٠ .

كما أنّ هذا العصر يوصف بأنّه (عصر التلاقي المباشر) فضلاً عن أنّه (عصر التوفيق النسبي) بين مدرستي البصرة والكوفة من جهة وبين الأفكار اليونانية وما أنتجه الفكر العربي من جهة أخرى، وقد أفضى التصادم بين النزعتين - العربية الإسلامية اليونانية - إلى شيء من الاندماج والاهتمام المتبادل بين أصحابهما فحصل بذلك نوع من التوفيق بين المذاهب<sup>(١)</sup>.

وهناك شهادة صريحة جداً لتلميذ ابن السراج وهو أبو القاسم الزجاجي، استند إليها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ليؤكد عن طريقها أن تأثير المنطق في علوم العربية حصل لأول مرة في هذا الزمان - نهاية القرن الثالث الهجري - لا قبل، إذ قال الزجاجي في كلامه عن تحديد الاسم والفعل والحرف: "الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيز الفاعل والمفعول هذا الحدّ داخل في مقاييس النحو وأوضاعه... وإنما قلنا في كلام العرب لأنّنا له نقصد وعليه نتكلم؛ لأنّ المنطقيين وبعض النحويين قد حدّوه حدّاً خارجاً عن أوضاع النحو. فقالوا: الاسم صوت موضوع دالّ باتفاقٍ على معنى غير مقرون بزمانٍ ولا مكان... وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم. إنّما هو من كلام المنطقيين وإنّ كان تعلق به جماعة من النحويين. وهو صحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم؛ لأنّ غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزانا وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح لأنّه يلزم منه أن

يكون كثير من الحروف أسماء"<sup>(٢)</sup>.

ثم قال أيضاً: "وقال أبو بكر السراج: الاسم ما دلّ على معنى وذلك المعنى يكون شخصاً أو غير شخص"<sup>(٣)</sup>. هذا أيضاً حدّ غير صحيح... وكان مما اختاره أبو الحسن بن كيسان عند تحصيله وتحقيقه أنّ قال حاكياً عن بعض النحويين: الأسماء ما أبانت عن الأشخاص وتضمنت معانيها نحو: رجل وفسر... ولا بن كيسان في كتبه حدود غير هذا، هي من جنس حدود النحويين وحدّه في الكتاب المختار بمثل الحدّ الذي ذكرناه من كلام المنطقيين"<sup>(٤)</sup>.

قد يكون الزجاجي شاهدٌ عيان لما طرأ في المجتمع العربي في ذلك الزمان من غزو واسع للمنطق الأرسطي على الفكر العربي المتمثل في عدد من العلماء، إلا أنّ فيما ذهب إليه الدكتور الحاج صالح نظر، ففيما ذكره من تعريف الزجاجي للاسم نسبه إلى المنطقيين وبعض النحويين، تم ردّه ردّاً يُظهر اتجاه النحاة القائم على المعنى وميلهم الواضح إلى التعبير عن المعاني في ضوء موضع الكلمة من الجملة وتركيبها مع غيرها من الألفاظ؛ لأن المفردة وحدها وإنّ كانت اسماً لا تعطي المعنى المطلوب الذي قد يفترق عن المعنى المعجمي لتلك اللفظة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٨٠ .

(٢) الإيضاح في علل النحو : ٤٨ .

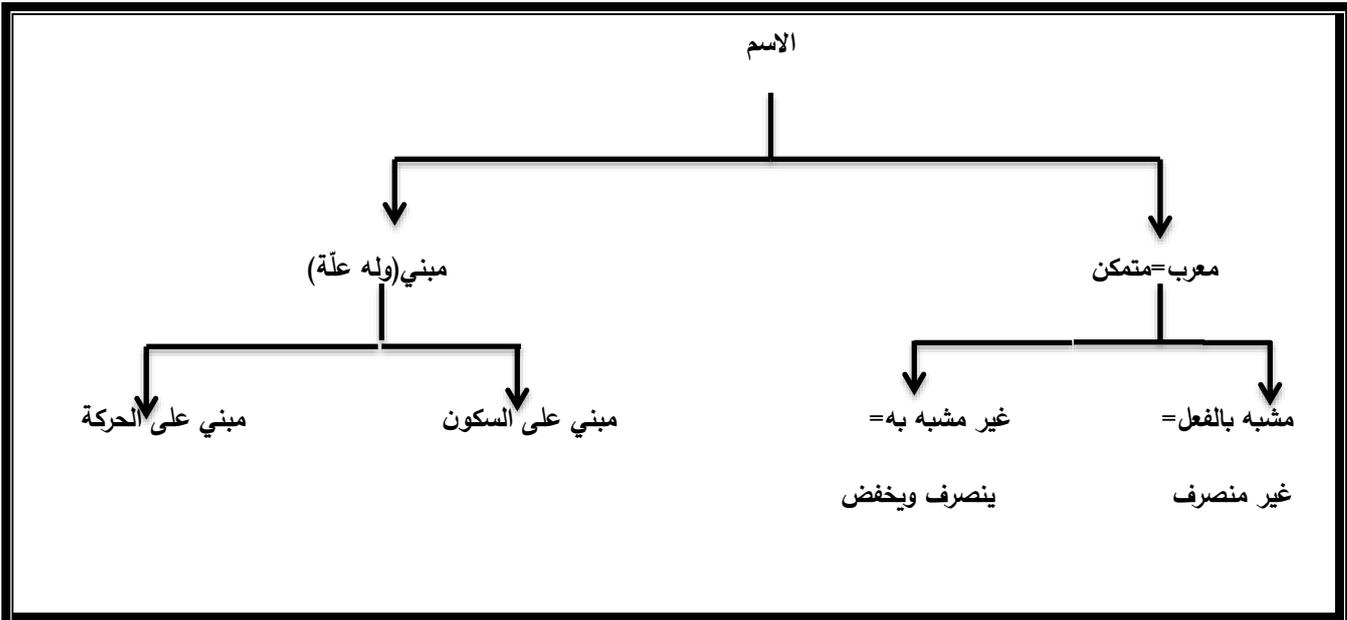
(٣) ينظر: الأصول في النحو: ٣٨ / ١ .

(٤) الإيضاح في علل النحو : ٥٠ .

(٥) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٤٣ .

ويذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ تأثر ابن السراج بالمنطق واضح جداً في كتابه (الأصول في النحو)، ويرى هذا التأثير في مواضع عدّة، منها - على سبيل المثال - لجوئه إلى مفهومي الجنس والنوع وهما من أرسطو ومقولاته<sup>(١)</sup>، إذ قال ابن السراج: "خبر المبتدأ يكون جواب ما وأي، وكيف، وكم، وأين، ومتى. يقول القائل: الدينار ما هو؟ فنقول: حجر، فتجيبه بالجنس، ويقول الدينار أي الحجاره هو؟ فنقول: ذهب، فتجيبه بنوع من ذلك الجنس، وهذا إنّما يسأل عنه من سمع بالدينار ولم يعرفه. ويقول: الدينار كيف هو؟ فنقول: مدور أصفر حسن منقوش، ويقول: الدينار كم قيراطاً هو؟ فنقول الدينار عشرون قيراطاً، فيقول: أين هو؟ فنقول: في بيت المال والكيس ونحو ذلك، ولا يجوز أن نقول: الدينار متى هو، وقد بينا أن ظروف الزمان لا تتضمن الجثث<sup>(٢)</sup> إلا على شرط الفائدة، والتأول"<sup>(٣)</sup>.

وبتتبع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لكتاب (الأصول في النحو)، يجد أنّ تصنيف اللغة ظهر لأول مرة عند ابن السراج، إذ لم يلجأ نحوي إلى التصنيف المبني على القسمة بالإدراج: الأنواع في الأجناس مع كثرة لجوئه إليها ولم يسبقه إلى ذلك أحد في النحو<sup>(٤)</sup>، ومن أمثلة تأثره بالتصنيف الأرسطي وتطبيقه على النحو: هو تصنيفه للاسم تصنيفاً أولياً كما يأتي<sup>(٥)</sup>:



ونجد في تصنيفه لأنواع الأفعال من حيث اللفظ والمعنى نمطاً من القسمة العقلية، إلا أننا لا نُنكر مهارة ابن السراج الفاتحة في تصنيفه لكتابه (الأصول في النحو) وتبويبه على نظام عقلي لم يُسبق إليه، وهذا التقسيم

(١) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٢ .

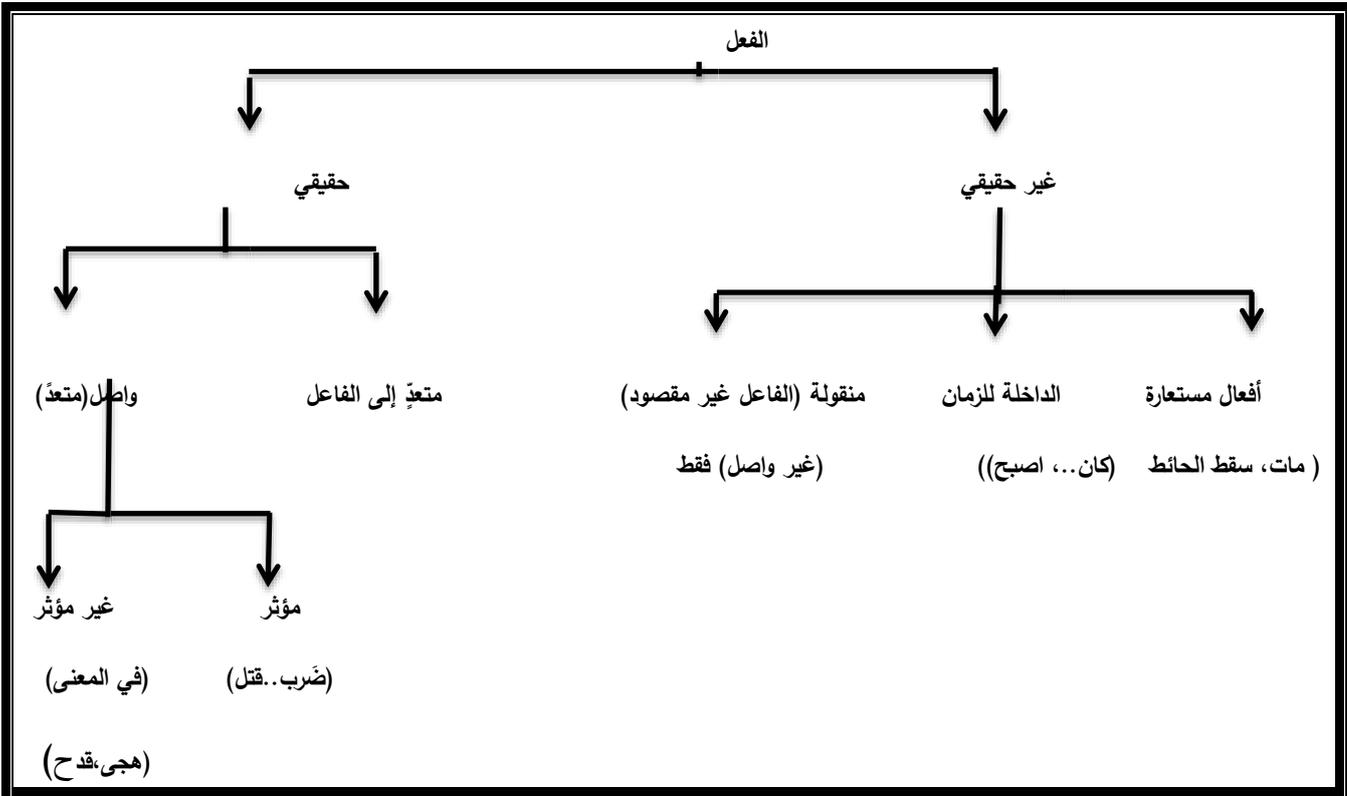
(٢) هذا كلام سيوييه، ينظر: الكتاب : ٦١ / ١ .

(٣) الأصول في النحو : ٧٧ / ١ .

(٤) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٢ .

(٥) ينظر: الأصول في النحو: ١ / ٥٣ - ٥٤، ومنطق العرب في علوم اللسان : ٨٣ .

العقلي جعل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يُشير إليه في ضمن المواضع التي لَمَسَ فيها التأثير بالمنطق الأرسطي، إذ وضَّحَ لنا بالشكل الآتي<sup>(١)</sup>:



وحرى بنا في مقامنا هذا ذكر نص ابن السراج فيما يخص تقسيم الفعل على الرغم من طولهِ، إلا أنه من الضروري بيان دقة ما ذهب إليه هذا الرجل، إذ قال: "الفعل ينقسم قسمين: فمنه حقيقي، ومنه غير حقيقي، والحقيقي ينقسم قسمين: أحدهما أن يكون الفعل لا يتعدى الفاعل إلى من سواه ولا يكون فيه دليل على مفعول نحو قمتُ وقعدتُ، والآخر أن يكون فعلاً واصلاً إلى اسم بعد اسم الفاعل، والفعل الواصل على ضربين: فضربٌ واصل مؤثر نحو: ضربتُ زيداً وقتلتُ بكراً، والضرب الآخر واصل إلى الاسم فقط غير مؤثر فيه نحو: نكرتُ زيداً ومدحتُ عمراً، وهجوتُ بكراً، فإن هذه تتعدى إلى الحي والميت والشاهد والغائب، وإن كنا إنما تمدح الذات وتذمها إلا أنها غير مؤثرة. ومنها الأفعال الداخلة على الابتداء والخبر وإنما تنبئ عن الفاعل بما هجس في نفسه أو تيقنه غير مؤثرة بمفعول، ولكن أخبار الفاعل بما وقع عنده نحو: ظننتُ زيداً أخاك. وعلمتُ زيداً خير الناس.

القسم الثاني من القسمة الأولى: وهو الفعل الذي هو غير فعل حقيقي فهو على ثلاثة أضرب:

فالضرب الأول: أفعال مستعارة للاختصار وفيها بيان أن فاعليها في الحقيقة مفعولات نحو: مات زيدٌ، وسقط الحائطُ، ومَرِضَ بَكْرٌ.

(١) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٤ .

والضرب الثاني: أفعال اللفظ وليست بأفعال حقيقية وإنما تدل على الزمان فقط، وذلك قولك: كان عبد الله أخاك، وأصبح عبد الله عاقلاً، ليست تخبر بفعل فعله إنما تخبر أنّ عبد الله أخوك فيما مضى وأنّ الصباح أتى عليه وهو عاقل.

والضرب الثالث: أفعال منقولة يراد بها غير الفاعل الذي جُعِلت له نحو قولك: لا أرينك هاهنا، فالنهي إنما هو للمتكلم كأنه ينهى نفسه في اللفظ وهو للمخاطب في المعنى. وتأويله: لا تكونن هاهنا، فان (مَنْ) حَضَرَنِي رَأَيْتَهُ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> لم ينههم عن الموت في وقتٍ لأنّ ذلك ليس المهم تقديمه وتأخيرها ولكن معناه: كونوا على الإسلام. فإنّ الموت لا بُدَّ منه، فمتى صادفكم صادفكم عليه، وهذا تفسير أبي العباس (رحمه الله)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يكفي للمتصفح لكتاب (الأصول في النحو) ليتيقن قدرة ابن السراج وعقليته الفذة، إذ إنّه بارعٌ في تفرّعاته لكل موضوع، فهو يُشعّب المعاني ويُنظمها بنظامٍ دقيقٍ متجانس<sup>(٣)</sup>، كما لا يخفى إعجابه بالتصنيف الاندراجي اليوناني فحاول أن يُطبّقه على مواد النحو العربي وربّتها بالفعل على شكلٍ جديدٍ تماماً - مع إبقاء المحتوى هو هو<sup>(٤)</sup> - لأول مرة في تاريخ النحو العربي بل وكان الرائد في ذلك لكل النحاة الذين جاؤوا بعده<sup>(٥)</sup>، فضلاً عن أنّه " كان مستوعباً معاني النحو استيعاباً واسعاً، وكان ذا عقلية راجحة جعلت هذه المعاني تتسق في نُظْمٍ متجانسة متوائمة من الأصول والفروع، ومن الإجمال والتفريع يعرضها بنظامٍ يتفرّد به، فقد درس النحاة السابقون له الفعل مثلاً وأطالوا البحث في أبوابه وأحكامه وأقسامه، لكننا لم نجد مَنْ أدرك تلك الإنشطات الدقيقة المرتبطة بعضها ببعض بما تشترك فيه من معانٍ"<sup>(٦)</sup>.

ويجدر بنا التنبيه على أنّ ابن السراج لم يمسّ أبداً ما وضعه سيبويه وشيوخه من مفاهيم وتحليلات، بل تبنى كل ذلك مقتنعاً أشد الاقتناع بصحته، إلا أنّه باعتباره عالمٍ موضوعي وواسع الاطلاع يذكر أقوال الكوفيين المعارضة لأقوال الكتاب، ولهذا فهو منبع فريد ومهم - وصحيح كل الصحة - لكل مَنْ أراد الاطلاع على تطور النظريات والمذاهب في النحو العربي إلى ذلك الزمان، فضلاً عن أنّه لم يُقلّد المناطق في طريقة تحديده لأقسام الكلام الثلاثة؛ لأنّه - ابن السراج - من أكثر العلماء أصالةً إذ هو الرائد لأفكارٍ عدّة، وله تحليلات دقيقة اختص بها وأخذها منه علماء المدرسة الخليلية القديمة التي تكوّنت على يديه<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة ال عمران : من الآية (١٠٢).

(٢) الأصول في النحو : ٨١ / ١ - ٨٣ .

(٣) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٧٥ .

(٤) ذكر سيبويه تقسيمات الفعل هذه، ينظر: الكتاب : ١ / ١٢٠ .

(٥) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٤ .

(٦) نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٧٢ .

(٧) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ٨٤ .

ومهما بلغ تأثر النحو العربي ببعض المفاهيم الدخيلة، فقد بقيت كل أسسه المفهومية الأصيلة على ما كانت عليه في زمان سيبويه، ويعزوها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح للأسباب الآتية<sup>(١)</sup>:

١- ما يزال يحدد النحوي أقسام الكلام وعناصر اللغة عامةً بمجرداها في الخطاب، أي بكيفية تصرفها بالنسبة إلى غيرها.

٢- ما يزال النحاة يعتمدون في تحديد هذا المجرى على الموضوع الذي يقع فيه اللفظ لا في مدرج الكلام فقط، بل في بنيته أيضاً، وهذا شيء لم يكن معروفاً تماماً قبل مجيء الخليل وسيبويه، ورأينا كيف أنّ مفهوم (الموضوع) وهو أعظم مفهوم علمي لساني جاء به العرب ولم يُسبقوا إليه ولا يَعرفه اللسانيون حتى الان<sup>(٢)</sup>.

٣- بقي النحويون محافظين على أكثر المفاهيم التي ابتدعوها في تحليل بنية الكلام (كالعامل والمعمول) وبنية الكلمة (بناؤها ووزنها)، كما أنّ الوزن لا تعرفه اللسانيات الحديثة الا من درس أو اطلع على النحو العربي.

**خُلاصة القول:** إنّ موضوع تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي تناوله عدد كبير من الباحثين<sup>(٣)</sup>، وإنّ اختلاف هدف الدراسة، فقد تناوله الدكتور تمام حسّان في كتابه (الأصول) واستدل على عدم تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي باعتبار أنّ الثقافة العربية جزء من الثقافة الإسلامية فهي تحتكم إلى النصوص النقلية في أحكامها أكثر من النظر العقلي، فضلاً عن أنّ الأمم التي كان لها الأثر الواضح في ثقافتنا العربية كالفارسية مثلاً كانت لها هذه الثقافة النقلية، إذ لها نصوصاً مقدسة. والدكتور تمام حسّان تطرّق إلى هذا الموضوع، ليس بهدف إثبات الأصالة في النحو العربي، بقدر ما يُريد أن يُثبت شرعية المنطق الطبيعي، وإعمال الفكر في الأحكام النحوية<sup>(٤)</sup>.

كما تطرّق الدكتور عبده الراجحي في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث) إلى هذا الموضوع، بهدف مغاير أيضاً، وهو تحقيق وصفية النحو العربي التي تقتضي وصف الواقع اللغوي كما هو دون أحكام عقلية التي مردّها في النحو العربي إلى تأثيره بالمنطق الأرسطي، فأخذ يُسقط هذه الصفة مستدلاً على ذلك بأدلة تاريخية جمعها حول علماء رفضوا أشكال المنطق، إذ قام بموازنة نصوص لأرسطو مع نصوص عربية ووصل إلى نتيجة عدم تطابقهما<sup>(٥)</sup>.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨٧ وما بعدها .

(٥) ينظر: ص (١٣٠) من الأطروحة .

(٣) المزيد من الآراء، ينظر: البحث اللغوي عند العرب، د. احمد مختار عمر : ٣٤٢ - ٣٥١، وتقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم :

٦٥ - ١٠٥، ١٤٣ - ١٤٥ .

(٤) ينظر: الأصول : ٤٥ - ٥١ .

(٥) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث : ٦١ - ٧٥ .

أما الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فإن هدفه من هذه الدراسة هو تحقيق وتأكيد أصالة النحو العربي، ورأينا كيف دافع عن النحو العربي، وردّه لشبهة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي في نشأته، وأزال هذا التشكيك في إمكانية إبداع العقل العربي وتفوقه، وتصدى لكل مَنْ قال بالتأثر - من المستشرقين والعرب - إذ إنَّ أصالته شاهد على عبقرية الفكر العربي الأصيل - فضلاً عن أنّ ردّ الدكتور الحاج صالح كان على أساس علمي مقبول - كما رأينا ؛ لأنه مُلّم بتقنيات البرهنة، وأساليب الاستدلال المعقولة التي جعلته يتمكن من فحص كل دليل يُقدّمه.

كما أنّه بيّن أنّ المنطق الأرسطي لم يجد مرتعاً مريئاً إلا بعد نشوء النحو واكتماله، ولكي نفهم هذه الظاهرة التاريخية يجب أن ننظر إلى أحداث الزمان لا كأحداث متفرقة لا ارتباط بينها كما يفعله بعض الباحثين، بل على أنّه مجموعة متلاحمة الأجزاء شديدة الاتصال، فالتجزئة والتفريق بينها والنظر فيها كلّ على حدة يُفسد التحليل ويؤدي إلى مشاكل لا حلّ لها.

ويختتم الدكتور الحاج صالح مقتنعاً - ونحن كذلك - بعدم تأثر النحو العربي في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه ولا في مضمونه التحليلي<sup>(١)</sup>.

والذي نرتضيه في هذا المقام هو أنّ الفكر النحوي أصيلٌ في ابتدائه، صادرٌ عن عقلية عربية مَحضٌ، فلما اتصلت هذه العقلية بثقافاتٍ أممٍ أخرى، كان من الطبيعي ألا يبقى منعزلاً عنها، بعيداً عن التأثير الحقيقي، فحدث أن تسرب شيء من معطيات تلك الثقافات، وخاصةً الفلسفة اليونانية، إلى النحو العربي. على أنّ هذا لا يمنع في نهاية هذا المطلب من تقرير الحقيقتين الآتيتين<sup>(٢)</sup>:

الأولى: أنّ التأثير والتأثير أمرٌ مقررٌ سلفاً بين اللغات والآداب والفنون والمختلفة، وعليه فليس هناك ما يُقلل من قيمة لغةٍ من اللغات إنْ هي أخذت من اللغات الأخرى.

والثانية: أنّ هناك أفكاراً تُعدُّ في مقياس العلم من قبيل المشاع بين الثقافات الأُممية، فالالتحاق والتطابق لا يُسوّغ إثبات أصالة تلك الثقافة، كما لا يُسوّغ بتعيينها لغيرها؛ لأنّ الحقيقة واحدة.

## ٢- أصول النحو العربي:

لمصطلح (أصول النحو) مدلول قديم في كتب النحاة القدماء والمحدثين، ويُقصد به: المحاولة المباشرة من النحاة لدراسة الخطوط التي أُتبعَتْ في الإنتاج النحوي<sup>(٣)</sup>. وقد تناول هذا الموضوع عدد من النحاة

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٣ / ١ .

(٢) ينظر: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٢١٢، وأصالة النحو العربي : ١٣١، وتعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، د. البشير التهالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م : ٢٧ .

(٣) ينظر: أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم : ١٧ .

القدماء، يُذكر في مَقْدَمَتِهِمْ كتاب (الإغراب في جدل الإعراب) و(لُمع الأدلة في أصول النحو) لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ومن العلماء القدماء أيضاً - ممن تناولوا أصول النحو العربي - هو جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، إذ أصدر السيوطي أهم ما كُتِبَ في علم أصول النحو في كتابيه: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، و(الأشباه والنظائر في النحو)، فضلاً عن كتابه: (الاقتراح في علم أصول النحو).

كما تناول هذا الموضوع عدد من الباحثين المحدثين ودرسوه دراسة مستفيضة في مؤلفاتهم منهم - على سبيل المثال - سعيد الأفغاني في كتابه (في أصول النحو)<sup>(١)</sup>، والدكتور تمام حسّان في كتابه (الأصول) ، إذ ركزوا تركيزاً مباشراً على دليلي السماع والقياس مع إعطاء إشارات محددة ونماذج في الإجماع واستصحاب الحال. وإذا نظرنا إلى دراسة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من هذا الجانب، نجد أنه أولى الاهتمام بالدليلين الأولين كما هو الحال عند علماء العربية، وقد أعطى السماع جزءاً كبيراً من الاهتمام في تجربته، إذ أفرد له مؤلفاً خاصاً سمّاه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة) .

### أولاً - السماع:

يُعرَف السماع لغةً بأنه ما سَمَعْتَ به فشاع وتُكَلِّم به وكلُّ ما التذته الأذن من صوتٍ حسنٍ سماع، والسماع: الغناء<sup>(٢)</sup>. وقد تنوعت التعريفات اللغوية لمفهوم السماع، ويُعدُّ تعريف ابن منظور الأقرب مفهوماً للمعنى الاصطلاحي، فقد ورد تعريف في المعجم الوسيط بأنه " الحديث من لفظ الشيخ، إملاءً أو تحديثاً، وسواء كان من حفظه، أو القراءة من كتابه وهو أرفع درجات الرواية عند الأكثرين"<sup>(٣)</sup>.

وقد عرّفه السيوطي بقوله: " هو ما ثبت في كلام من يُوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه (ﷺ)، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة... فهذه ثلاثة أنواع، لا بُدَّ في كلٍّ منها من الثبوت"<sup>(٤)</sup>.

وقد تناول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مفهوم السماع مُعْتَدّاً به كثيراً في استقراء أصول النحو العربي وعدّه قائماً على أساس عقلي، فهو مركز الدراسات الواقعية للغة العربية؛ ذلك أنّ النحاة إذا أرادوا تفسير لظاهرة ما عادوا إلى السماع كنقطة انطلاق لهم. فضلاً عن أنّه تميّز بإضافة كلمة (علمي) له، وذلك بدافع إظهار ما تميّز به الموروث النحوي العربي في جانب السماع من علمية تضاهي النظريات اللغوية الغربية - وأحياناً تفوقها -، وقد غابت هذه الحقائق النحوية عن أذهان كثير من الباحثين؛ بسبب ما

(١) طبعته جامعة دمشق عام ١٩٦٤ وهي الطبعة الثالثة.

(٢) ينظر: لسان العرب : ٣٤٣ / ٦ . مادة (سمع) .

(٣) المعجم الوسيط : ٤٩ / ١ .

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو : ١٤٩ .

وُجِدَ من تخليطٍ لكثيرٍ من المفاهيم النحوية العربية الأصيلة، وعدم فهمها فهماً صحيحاً، فضلاً عن إسقاط بعض المفاهيم الأرسطية عليها، وهذا ما ظهر مع مؤلفات أغلب النحاة المتأخرين.

وهذا ما تميّز به الدكتور الحاج صالح الذي بحث عن العلمية في العلوم اللغوية العربية القديمة، فأعاد قراءة تراثها، ووقف عند السماع اللغوي مقطوع الصلة عما جاءت به النظريات الغربية.

وقد استعمل د. الحاج صالح مصطلحاً حديثاً مُتعارف عليه في اللسانيات الحديث وهو "المدونة"<sup>(١)</sup>، ونعت بها السماع اللغوي العربي بأنه أعظم مدونة لغوية عرفها التاريخ<sup>(٢)</sup>. وقد أمدنا بتقسيم جمع فيه العناصر والخصائص بين النصوص المحفوظة والنصوص الحرة العفوية<sup>(٣)</sup>.

### أ - النصوص المحفوظة:

عرّفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنها نصوص نُقلت شفاهياً من جيلٍ إلى جيلٍ، ولم يأخذها العلماء مباشرةً من مصدرها الأصلي، فهي نصوص نُقلت على صورةٍ واحدة، إلا أنّ تأديتها اختلفت لاختلافها في الأصل، أو اختلاف المنشأ اللغوي للناقل<sup>(٤)</sup>.

وتنقسم النصوص المحفوظة على قسمين<sup>(٥)</sup>:

- النص القرآني، (من خلال القراءات القرآنية المتوارثة).

- الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين.

مما تقدّم نلمس عزوف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن ذكر الحديث الشريف كمصدر ثالث للسماع، واكتفى بالقرآن الكريم وكلام العرب؛ قد يكون السبب في ذلك هو الخلاف بين النحاة في مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف وعدم الاستشهاد - وهي سنة القدماء من النحويين - به<sup>(٦)</sup>، على الرغم من

(١) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٥١ . وأود أن أشير إلى أنّ المدونة أو ما يُعرف بلسانيات المدونة في اللسانيات الحديثة تعد من أبرز أنواع اللسانيات في الدرس اللساني بعدها مصدراً للتحليل المعجمي وفهم الرصيد اللغوي ودراسة مظاهر تطوره، فقد نشأت عام ١٩٦١، وأول من استعملها جامعة بروان الأمريكية، وقد ساعدت الحوسبة (اللسانيات الحاسوبية)، على الاستفادة من لسانيات المدونة في دراسة أيّ ظاهرة لسانية دراسة رقمية بواسطة المعالج الآلية للغات الطبيعية، وهذا ما حاول عمله الدكتور عبد الرحمن صالح عن طريق مشروعة (الذخيرة اللغوية العربية)، ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، دار الاوان، الرباط، ط١، ٢٠١٣م: ٣٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٢ . وتجدر الإشارة إلى أنّ معظم علماء اللغة العربية قسّموا السماع على قسمين: مُطرّد وشاذ، فالمُطرّد هو الكلام المنقول عن العرب باستفاضة، بحيث يطمئن إلى أنّه كثير كي يُقاس عليه، أما الشاذ فهو كل كلام عربي أصيل لم تُذكر له قاعدة كلية ولم يحط بالشبوع والكثرة ولا يُقاس عليه. ينظر: موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، مطير بن حسين المالكي: ٦ . (رسالة ماجستير).

(٤) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٣ .

(٦) ينظر: في أصول النحو، إبراهيم مصطفى، مجلة مجمع اللغة العربية : ٨ / ١٣٤، ويُعلّل الدكتور فاضل السامرائي عدم احتجاج القدماء بالحديث الشريف يرجع إلى أمرين: ١- أنّ المحدثين أجازوا نقل الحديث بالمعنى ولم يتقيدوا باللفظ. ٢- وقوع اللحن في بعض الأحاديث؛ لأنّ في الرواية من ليس عربياً بالطبع ولا علم له بصناعة النحو. ينظر: ابن جني النحوي، د. فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٩م : ٢٩، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٣ : ٩٧ - ٩٨، والعربية بين السليقة والتعقيد دراسة لسانية، د. رياض عثمان، دار الكتب، بيروت، ط١، ٢٠١٢م : ١٣٠ - ١٣١ .

استشهاد عدد من النحاة المحدثين، منهم - على سبيل المثال - سعيد الأفغاني إذ يذكر أنّ النحاة كانوا يسمون المادة المسموعة (الفصيح) ويقصدون بذلك النصوص المأثورة التي تتسم بالنقاء اللغوي، وعدم التأثير بلغة الأمم المجاورة وكانت هذه النصوص المأثورة تقع في ثلاثة أنواع وهي: القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب الفصحاء شعراً كان أم نثراً<sup>(١)</sup>.

### ب - النصوص الحرة العفوية:

عرّفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنها "النصوص التي سمعها اللغويون من أصحابها مباشرة فليست بكلامٍ محفوظٍ ومنقول حفظه الناس من غيرهم وليس بتأديةٍ لكلام سبق أن قيل . فأصحابها هم الذين تكلموا بها عفويّاً ولم ينقلوها عن غيرهم. وأكثر هذه النصوص هي من الكلام المنثور... وفيها كثير من الشعر"<sup>(٢)</sup>. ولا يخفى أنّ هذا الكلام المنثور مأخوذ من لغة التخاطب اليومي، إذ كُنَّ مجيئه كشواهد في كتب النحو، فسيبويه يذكر منه مجموعة كبيرة جداً، ويوازن دائماً بين ما يُسميه (الكلام) - وهو الكلام المنثور من كلام العرب - وبين الشعر<sup>(٣)</sup>، إذ يقول: "سمعناهم يتكلمون به في الكلام سمعناهم يقولون: قدي في قَد، ويقولون: أرلي في الألف واللام يتذكر الحارث ونحوه..."<sup>(٤)</sup>، وقال: "وهذا قليل في الكلام كثير في الشعر؛ لأنّه ليس بفعل"<sup>(٥)</sup>.

ويشير الدكتور الحاج صالح إلى أنّ هناك اختلاف بين نحو النحاة القدماء والمتأخرين، فالقدماء عاشوا في زمانِ الفصاحة وشافهوا فصحاء العرب، فضلاً عن تشكيكه في صحة ما جاء به المتأخرون من أمثلة (المجالس) أو (الأمالى) وشكّ في أصلها بأنّه غير صحيح، وانتقد بشدة ما جاءت به الموسوعات الأدبية كالعقد الفريد لابن عبد ربّه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ)، فضلاً عن كتب الطبقات، لما فيه من اختلاط للسمع الصحيح بالزائف<sup>(٦)</sup>.

ومن الأمور التي توقف عندها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هي (مقاييس الصحة لمحتوى المسموع)، إذ اقترح مجموعة من المقاييس لاختبار الكلام المسموع وتأكيد صحة علميته، وهي كالآتي:

### ١- المقاييس العامة:

(١) ينظر: في أصول النحو : ١٩ - ٢٨ .

(٢) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة : ٢٦٢ .

(٣) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب : ٢٦٣ .

(٤) الكتاب : ١ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٥) المصدر نفسه : ١ / ٢٧٧ .

(٦) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب : ٢٦٤ .

حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن يوازن بين ما توصلت إليه اللسانيات الغربية - ولاسيما البنوية - من خلال وصفهم العلمي للغات بما يسمونه بالمدونات اللغوية (Linguistic Corpus)، وبين محتوى المسموع العربي.

إذ اعتمد اللسانيون الغربيون (البنويون Strualists) على فكرة المدونة، وهي "عبارة عن مسموع مسجل يتكون من كلام تكلم به بعض من يُمثّل حق التمثيل اللغة المراد وصفها"<sup>(١)</sup>، وهذه المجموعة لا يجوز أن تُمس بتغيير أو بزيادة أو بحذف ويتوقف وصف اللغة بالاعتماد على ما يوجد فيها ليس إلا<sup>(٢)</sup>.

ويُعرّف الدكتور الحاج صالح المسموع العربي (المدونة العربية) بأنّه: "مجموعة من النصوص جُمعت في داخل ثراب معيّن حدّد العلماء تخومه وسكانه ... غير قابل لأي تغيير من قبل أهل اللغة إذ يجب على اللغوي أن يدونها كما وردت عند أهل هذه اللغة وهم فصحاء العرب"<sup>(٣)</sup>. ونلاحظ من الفوارق بين المسموع العربي واللسانيات البنوية هو تهاون بعض البنويين فيما يخص اللغات الحديثة، فالفصح ليس فصيحاً بلغة من اللغات بل بأي لغة يدعي الناطق بها أنّه يتكلم بلغته الأصلية التي تعلّمها من بيئته الأولى دون أية لغة أخرى، ويبدو صراحةً أنّه لم يتأثر بلغة أخرى فهو بذلك فصيح بالمفهوم العربي عند العلماء القدماء، وهذا الفصح يُسميه اللسانيون بـ (Native Speaker)<sup>(٤)</sup>.

وبمقياس البنوية سجّل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الاعتراض الوحيد المأخوذ على السماع اللغوي العربي وهو الاتساع الكبير لأماكن الفصاحة التي سُمع فيها، أو روي عنهم<sup>(٥)</sup>. ويلتمس الحاج صالح العذر في مثل هذا المأخذ الذي يجعل مسموع العلماء العرب بعيداً عن المدونة اللغوية الحديثة هو "تغطيته لمكان واسع جداً ولزمان طويلاً جداً يتعذر أن تبقى اللغة فيه على ما كانت عليه"<sup>(٦)</sup>، يقول الدكتور تمام حسان في ذلك: "لم يُفرّقوا بين شاعرٍ وشاعر، ولا بين قرنٍ سابق، وآخر لاحق في فترة تمتد قرابة أربعة قرون، ومما يرقى إلى مرتبة اليقين أنّ اللغة الفصحى قد شهدت في هذه الحقبة تطوراً في تراكيبها ومفرداتها، ودلالاتها، وأساليبها، يشهد على ذلك أنّ الذين رَووا اللغة، والذين نظروا في ألفاظها، وطرقها قد أشاروا إلى الغريب، والمهجور الذي بطل استعماله"<sup>(٧)</sup>.

إنّ معرفة الحاج صالح الواسعة باللسانيات الغربية ومبادئها من جهة، وخصائص البحث اللغوي العربي من جهة ثانية مكنته من الرد على الاعتراض المُسجّل على المسموع اللغوي العربي من هذه الوجهة (المدونة)، إذ يرى أنّه غير صحيح أنّه لا يمكن أن تحتوي المدونة اللغوية - في أي وقتٍ كان - إلا على

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ينظر: الألسنية رواد وأعلام : ١٩٦ .

(٣) السماع اللغوي العلمي عند العرب : ٢٦٨ .

(٤) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب : ٢٦٨ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢٦٩ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) الأصول : ١٠١ .

استعمالات مطرّدة منسجمة، وأن لا تكون منها عناصر قديمة أو مُحدّثة، أو بعبارة أخرى ألا تحتوي على تحولات زمانية (دياكرونية)<sup>(١)</sup> بحجة أنّها تختص بحالة أو وضع واحد للغة في زمانٍ واحد، ففي داخل الحالات اللغوية المستقرة يمكن أن نكتشف بقايا من نظام لغوي قديم، وذلك مثل الأسماء لغير العاقل التي تُجمَع جمعاً مذكراً سالماً في العربية، مثل: الأرضين والعالمين، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

ويستمر الحاج صالح بالموازنة بين السماع اللغوي العربي والبنوية، ويُركّز هذه المرة على فكرة (إغلاق المدوّنة)، ورأى وجود مدوّنة مغلقة - وهذا ما نادى به البنوية - غير ممكن التحقيق في النحو العربي؛ وذلك أنّ المسموع اللغوي عند العربي يبقى مفتوحاً ما دام يشتغل بالبحث في اللغة، فاهتمامهم كان كبيراً بالحصول على أكبر المعطيات اللغوية، وكذلك التثبت من صحتها<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ في تجارب اللسانيين المحدثين اختلاف مواقفهم إزاء التراث النحوي والنظر له من وجهة نظر البحث اللغوي الحديث فمنهم من وقف موقفاً محايداً، ومنهم من سلّم تسليمياً تاماً بالنقص والقصور في تراثنا النحوي. ونجد فئة من الباحثين المحدثين دافعوا عن علمائنا الأوائل وما لحقهم من الإدانة في طبيعة مسموعهم اللغوي، فنجد الدكتور تمام حسان يلتمس العذر للعلماء المتقدمين بقوله: "إنّ الفارق الزمني بيننا وبينهم يعطي المحدثين من تجارب القرون السابقة ما لم يتهيأ مثله للنحاة العرب الذين كانوا طلائعاً في هذا العمل، وعذر الطليعة دائماً أنّ حسبه أنّ أنار الطريق ومهداها بوسائله المتاحة له دون أنّ يكون عالة على حكمة موروثه عن السابقين ولو أننا سلّمنا بهذه الحقيقة لبدا لنا قصور النحاة كأنه لم يكن"<sup>(٤)</sup>.

ففي كلامه هذا دفاعاً عن مواقف النحاة، ولكنه ذكر قصورهم في عملهم، وهذا اعتراف صريح منه، وكأنّها حقيقة لا يمكن نكرانها أو إخفاؤها.

أما الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فقد اختلف منهجه في رفض ما قيل عن النحاة القدماء وسماعهم اللغوي، فهو لم يكتفِ بالتماس العذر لهم فيما ورد من نقصٍ أو قصور، بل كان متحدياً في عدم الاعتراف أصلاً بما أُتِّهم به النحو العربي من نقص وقصور، وليس دفاعه هذا بدافع التعصب بل توصل

(١) هو أحد التقسيمات الثنائية عند ديسوسير، إذ يقوم مذهبه على مجموعة من التقسيمات وتسمى (ثنائية التزامن والتعاقب)، وفيها يُدرس اللسان من وجهتي نظر متقابلتين، فإما أن يُدرس اللسان في وضع الثبات، في نقطة معينة من الزمن فيسمى ذلك علم اللغة التزامني (Synchronique)، وأما أن ندرس تتابع حالات تاريخية، مع تطورها أو تغيراتها عبر تطور الزمن ويسمى علم اللغة التعاقبي (diachronique) ويقصد به: العناصر اللسانية منظوراً إليها في علاقتها بالتسلسل الزمني وأثره المتغير، وتعدّ الدياكرونية حقبة تطور، والفعل الدياكروني حدثٌ بما هو طائفة متسلسلة من الأحداث التي تفعل فعلها في العناصر اللسانية. إلا أنّ هذه الوقائع الدياكرونية لا ترمي إلى تغيير النسق، وإنما يلحق التغير بالعناصر المنظمة، فيستبدل عنصر بعنصر، والوقائع الدياكرونية وقائع جزئية لا تشغل الا بطرفٍ واحد؛ لذلك عدّت وقائع جزئية.. ينظر: الألسنية رواد وأعلام: ٨٨ - ٨٩، والنحو في القديم والحديث: ٣٠.

(٢) ينظر السماع اللغوي العلمي عند العرب: ٢٦٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٨.

(٤) الأصول: ١٠٣.

إلى أنّ العلماء العرب كانوا يقصدون هذه العربية بوصفها نظام لغوي خاص ثابت عبر المكان والزمان يُمكن أن يُعرف بمقياسٍ واحد وهو إمكانية التفاهم به إلى أن يصير ذلك ممتنعاً<sup>(١)</sup>.

فضلاً عن أنّ انطلاقه من فكرة المدونة ومميزاتها في اللسانيات البنوية، وموازنتها بمدونة العرب (السماع العربي) يُظهر حقيقة - نحسبه تفرّد بها - وهي أنّ السماع اللغوي العربي علمي حينما وافق البنوية، وعلمي أيضاً عندما خالفها؛ لأنّ ما خالف فيه النحو العربي من مبادئ وهو مما يُميّز هذه النظريات اللسانية الحديثة، لم يمنعه أن يكون علمياً من وجهة نظر مخالفة، وأن يكون المبدأ الذي يُميّز هذه النظريات اللغوية الحديثة، لا يتوفر على شروط العلمية، لذلك لا يجوز أن يُتخذ أداة لقياس العلمية في نحونا وسماعنا اللغوي العربي، أو أن يُنتقص من هذه العلمية فيه.

## ٢- مناهج توثيق النصوص عند النحاة العرب وتحقيقتها:

أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ تحقيق النصوص ونقدها عند العرب ظهر مع ظهور علم العربية، فقد تشددوا في قبول السماع. أما ما يخص رواية الأشعار، فقد تقطن العلماء من أول أمرهم إلى خطر الوضع، واتخذوا مقاييس عدّة في نقدهم، وهي كالاتي<sup>(٢)</sup>:

أ - لا بُدّ من التأكد من وجود النص عند فصحاء العرب، والتأكد من معرفتهم أو عدم معرفتهم للبيت، أو القصيدة المشكوك فيها، واعتبر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الفريق المكوّن من أبي عمرو بن العلاء، والمفضّل الضبيّ (ت ١٦٨ هـ)، ومن يُماثلهم بأنهم قاموا بهذا الدور.

ب - لا بُدّ أن يكون التحقيق والحكم الأخير من عمل العلماء من أهل العلم بالشعر، وكانوا معظمهم من علماء العربية. وقد اتصف العلماء بالدقة في جمع المادة، ومثال ذلك كثير، مثلاً ما جاء في كتاب سيبويه.

هذا عن مصدر الرواية والتأكد من صورتها أو صورها التي سُمِعَت بالفعل، أما ما يخص التأكد من صحّة النسبة إلى قائلٍ معيّن فهذا لا يظهر له أي أثر في كتاب سيبويه، ولا في أي كتاب ألفه النحويون ككتب الأخفش (ت ٢١٥ هـ)، والفراء وغيرهما، وهذا لا يمنع أن يكون العلماء قد اهتموا بالفعل بالبحث عن القائل الحقيقي للشعر الذي سمعوه ودونوه من أمثال أبي عمرو بن العلاء والمفضّل، والسكوت في كتاب سيبويه وغيره عن أسماء الشعراء فقد أثار كثيراً من القلق<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب : ٢٧١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣١٠ - ٣١٣ .

(٣) ينظر: لسماع اللغوي العلمي عند العرب : ٣١٤ .

ويُصِرُّ الحاج صالح بأنه مع مرور الزمن أصبحت الحاجة إلى ذكر القائل لكلِّ شعرٍ مسيسة جداً عند علماء القرن الثالث الهجري؛ لأنَّ الحقيقة التاريخية تقتضي ذلك، وهذا لا ينطبق على زمان سيبويه لأنَّ مصدر السماع عنده موثوق بعريبتهم<sup>(١)</sup>.

### ثانياً - القياس:

هو الأصل الثاني من أصول النحو العربي، وقد اختلفت المعاني اللغوية للقياس باختلاف ورودها في المعجمات اللغوية، فجاءت بمدلولات عديدة، منها أنه: " التقدير والمساواة، قاس الشيء بقيسُه قياساً وقياساً وإنقاسه"<sup>(٢)</sup>. ويُعرف اصطلاحاً بأنه: " مساواة فرعٍ لأصلٍ في علةٍ حكمه، والمراد بالفرع صورة أُريد إلحاقها بالآخر في الحكم لوجود العلة الموجبة للحكم فيها، وبالأصل: الصورة الملحق بها"<sup>(٣)</sup>. وقد جمع هذا التعريف الأركان الأساسية للقياس التي تتمثل في الفرع والأصل ثم العلة فالحكم.

ولا أُريد الخوض كثيراً والتفصيل في موضوع القياس؛ وذلك لأنني تطرقت بالتفصيل لهذا الموضوع في الفصل السابق من هذه الأطروحة<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا القول مما سبق ذكره - فيما يخص السماع والقياس - : إنَّ الحاج صالح لم يولِ الاهتمام بالقياس القدر الذي أولاه للسماع. فقد أشار إلى القياس في ضمن (المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة) ولم يدرسه دراسة شاملة موسعة ، فضلاً عن أنه أفرد له فصلاً في كتابه (منطق العرب في علوم اللسان)<sup>(٥)</sup>، على العكس من السماع الذي خصص له جزءاً كبيراً من دراسته في كتابه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة)، فضلاً عن عنوان الكتاب الذي يدلُّ على تناوله الواسع للسماع في هذا الكتاب تحديداً.

قد يكون السبب في ذلك - الاهتمام بالسماع - هو تقديم علمائنا العرب القدماء للسماع على القياس، وقد وضَّح ابن جني هذا الموقف في الخصائص، إذ قال في (باب تعارض السماع والقياس): "إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسُه على غيره وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾"<sup>(٦)</sup>، فهذا ليس بقياس لكن لا بُدَّ من قبوله لأنك تتطق بلغتهم وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم. ثم أنك من بعد لا تقيس عليه غيره. ألا تراك لا تقول في استقام: استقوم ولا في استباح: استبيع..."<sup>(٧)</sup>، وقال في موضعٍ آخر: "ومما ورد شاذاً عن القياس ومطرذاً في الاستعمال قولهم: الحوكة والخونة. فهذا من الشذوذ

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٣١٥ .

(٢) لسان العرب : ١ / ٣٨٨ مادة (قيس) .

(٣) شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء الفتوحى، مطبعة السنة المحمدية، د. ط، د. ت : ١ / ٤٨٠ .

(٤) ينظر: الفصل الثاني، المبحث الثاني من (ص ١٤٤ - ١٥١) .

(٥) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٥٧-١٨٦، و ٢٩٧-٣٢٢ .

(٦) سورة المجادلة، من الآية ( ١٩) .

(٧) المنصف : ١ / ١٢٧ .

عن القياس ما ترى وهو في الاستعمال منقاد غير متأبٍ ولا تقول على هذا في جمع قائم: قَوْمَةٌ ولا في صائم: صَوْمَةٌ...<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: "وإن شذَّ شيء عن الاستعمال وقوي في القياس كان استعمال ما كَثُر استعماله أولى وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله..."<sup>(٢)</sup>.

وقد حرص الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على بيان الأسباب التي أدت إلى تقديم السماع والتمسك به، إذ يعزوها إلى سببين اثنين هما<sup>(٣)</sup>:

١- كيان اللغة .

٢- المنهجية العلمية.

ففيما يخص كيان اللغة يذهب الحاج صالح إلى أن "اللغة نظام من الأدلة يثبت بثبوت مستعمليه فلا كيان للغة من اللغات إلا بوجود مرجع اجتماعي (جماعة الناطقين بها) أو مرجع نصي أو كلاهما.. والعربية هي لغة القرآن الكريم وقومها هم الذين نزل القرآن بلغتهم ومن ورث منهم هذه اللغة ولم تتغير على ألسنتهم في تخاطبهم العفوي... وموقف النحاة واللغويين العرب كان موضوعياً جداً فهُم لم يفرضوا على أحدٍ معياراً لغوياً معيناً بل قالوا مَنْ يتعلم العربية فلا بُدَّ أن يخضع كلامه بالعربية للمواصفات اللغوية (linguistic Conventious) الخاصة وبهذه اللغة وبعامة العرب الذين سمعوا منهم إذ كانت لغتهم هي هذه العربية التي نزل بها القرآن"<sup>(٤)</sup>.

أما فيما يخص السبب الثاني يقول الحاج صالح "السماع مشاهدة أو نقلاً للمشاهدة أو نقلاً للمعطيات وكل مشاهدة أو نقلاً للمعطيات وكل مشاهدة تدخل في المرحلة الأولى من كل بحث علمي... ولهذه العمليات منهجية علمية دقيقة.."<sup>(٥)</sup>.

نخلص إلى أن السماع هو الدراسة العلمية للغة ولا يمكن الاعتماد على لغة قوم ما لم يخضعوا للغتهم المسموعة، وكيف لا يكون السماع كذلك وهو "أبو الملكات اللسانية"<sup>(٦)</sup>، شرط أن يكون المسموع من كلام العرب الخُص، الذين سلم لسانهم من اللهجات ومخاطر الاختلاط<sup>(٧)</sup>. وهو بذلك يلتقي في هذه الرؤية مع الدراسات اللسانية الحديثة، إذ بالسمع يتمكّن المتكلم من نقل اللغة مباشرة، ولا يحتاج إلى فكّ اللسان، بل يقتصر على الفهم والتأويل، وهما أساس العملة التخاطبية، فضلاً عن أن السماع فيه سرعة في النقل والحفظ تُمكن المتكلم من الاندماج في العملية التخاطبية بجميع جوانبها النفسية واللسانية

(١) المصدر نفسه : ١ / ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٢٤ .

(٣) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٠٤ .

(٤) منطق العرب في علوم اللسان : ١٠٤ .

(٥) المصدر نفسه : ١٠٤ فما بعدها .

(٦) مُقَدِّمة ابن خلدون : ٦٢٤ .

(٧) ينظر: العربية بين السليقة والتفعيد - دراسة لسانية : ٥٥ .

والاجتماعية، وهذا ما استمده علماءنا العرب القدماء من مبدأ السماع، إذ نجد ابن خلدون قد استمده عن طريق نظرة في مفهوم التاريخ، إذ إن التاريخ العربي الاسلامي بُني جزء كبير منه على المشاهدة، وهي أفصح واصفى بالنسبة الى اللسان العربي.

### ثانياً: النحو العربي واللسانيات البنوية :

جرت العادة أن يُنسب ميلاد اللسانيات البنوية إلى اللسانيّ السويسريّ فردينان دي سوسير لتأكيدهِ القوي - في مدة سادت فيها الدراسات التاريخية - على أهمية وصف اللسان وصفاً تزامنياً. وعلى الرغم من ظهور جملة من الأفكار اللسانية الجديدة التي قدّمها سوسير في دروسه الثلاثة بجامعة جنيف في موضوع اللسانيات العامة بين سنوات ١٩٠٧م - ١٩١١م، وتم نشرها سنة ١٩١٦م، فإنّ بعض الدارسين يجعل من سنة ١٩٢٨م سنة ميلاد اللسانيات البنوية، وذلك في المؤتمر الدولي الأول للسانيين المنعقد بمدينة لاهاي الذي قُدِّمَت فيه جملة من التصورات اللسانية التي تدعو إلى منهجية غير مسبوقه في دراسة أصوات اللغة الطبيعية من قبل: تروبتسكوي وجاكسون وكارسفسكي، وهو ما يُعرف في تاريخ اللسانيات الحديثة بالاقترح ٢٢ معلنين ميلاد الفونولوجي phonologie الجديدة انطلاقاً من المفاهيم التي عبّر عنها سوسير في دروسه (١).

فقد وضعت خطوة جديدة وضحت ونظّمت الأفكار العلمية وكان أول من وضعها هو سوسير، إذ يمكننا القول: أنّ سوسير هو أول من أظهر للناس أهمية الدراسة البنوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها واحتجاجة المقنع لصحتها. فالبنية في أصلها اللغوي اشتقت من كلمة (structure) ، ومعناها البناء، ولهذه الكلمة في اللغة الفرنسية (structure) دلالات مختلفة منها النظام (ordre) ، والتركيب (constitution) ، والهيكلية (organization)، والشكل (forme) (٢). وبمعناها الاصطلاحي هي "مفهوم علمي استطاع الإنسان أن يُدرك به الأشياء والظواهر واستعمله لتفسيرها" (٣)، مثلما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "البنية وسيلة من الوسائل لحصر الجزئيات ولولا البنية لما استطاع الإنسان أن يُفكر بل لما استطاع أن يُدرك الإدراك الحسي الظواهر والأمور التي حوله... فالبحث عن بنية الشيء هو البحث عن العناصر التي يتركب منها وعن المقياس الذي ركبت هذه العناصر على أساسه" (٤).

(١) ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣٠ و ١٣٥ - ١٣٦، ومحاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٤م : ٩. ولابدّ من الإشارة إلى أنّه شهدت نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، بالإضافة إلى صدور دروس في اللسانيات العامة لسوسير سنة ١٩١٦م، وانعقاده مؤتمر لاهاي سنة ١٩٢٨م، مجموعة من الأحداث العلمية والفكرية في مجال اللسانيات، منها: تأسيس الجمعية الأمريكية لللسانيات ١٩٢٤م، صدور مجلة اللغة سنة ١٩٢٥م، تأسيس حلقة براغ اللسانية سنة ١٩٢٦م وغيرها من الأحداث، ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣١ .

(٢) ينظر: منهج البحث اللغوي، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د. ط، ٢٠٠٣م : ١١٦، ومعجم المصطلحات اللسانية : ٣١٨ و ٢٣٢ .

(٣) مبادئ في اللسانيات : ١٦ .

(٤) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٢ .

فكان هذا منطلق سوسير العلمي الذي بنى عليه جملة من المميزات أثناء وصفه للسان بصفته موضوع اللسانيات، إذ إنّه بُني على نظامٍ خاص، أي أنّه منّظمت تنظيمياً باطنياً محكماً، و على الباحث اللساني أن يكتشف أسرار هذه البنية التي شكلت مركز الدراسات اللسانية الحديثة<sup>(١)</sup>.

والبنية جهاز يعمل حسب قوانين تحكمه، ولا نمو لهذه البنية ولا بقاء لها إلا بفضل القوانين نفسها. فالبنية علمٌ مكتفٍ بذاته، وهي ليست ركاباً من العناصر التي لا يجمعها جامع، فالعناصر المكوّنة للبنية إنما هي كلّ تُشكّله ظواهر متضامنة بحيث أنّ كلّاً منها يرتبط ارتباطاً عضوياً ببقية الظواهر، ولا قيمة له إلا في العلاقة التي تربطه بها، وبوساطة هذه العلاقة، أي أنّه لا قيمة له في ذاته<sup>(٢)</sup>. معنى ذلك أنّ معطيات اللغة لا يتسنى لها أن تُدرّس بعدّها ظواهرًا منعزلة؛ ذلك أنّها تأتي أن تُحدّد داخل الجهاز الذي ينظمها، ويخضعها لقوانينه، فقيمتها لا تكمن في كونها ظواهرًا منعزلة، ولكنها تكمن في أنّها تُمثّل عناصر بنية ما، فالبنية لا تُحدّد إلا ضمن سلسلة من العلاقات بين العناصر، فليست هي العنصر، ولا هي مجموعة العناصر، ولكنها العلاقات القائمة بين هذه العناصر، ولهذا كلّها كان من طبيعة المنهج أن تُدرّس البنية أولاً إذ إنّها هي الأصل وما عناصرها إلا فروعاً عليها، فالبنية وحدة تقوم على قاعدة<sup>(٣)</sup>.

وبشكلٍ عام فإنّ معظم اللسانيين من دعاة البنيوية، وكما تدل التسمية فالبنيوية تعني أنّ لكل لغة بنية، وبهذا المعنى فإنّ كل اللسانيين بنيويين؛ لأنهم يدرسون بنية اللغة، ويبحثون عن الانتظام، والاطراد، والقوانين التي تحكمها<sup>(٤)</sup>.

وقد اقتدى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بمفهوم سوسير للبنية، التي شكّلت أساساً مهماً لإنتلاق أو تركيب اللسانيات البنيوية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، إذ قدّم جملة من التصورات العلمية التي ردت على النظرية التاريخية التي طغت في الميادين العلمية لمدة من الزمن، ثمّ إن الذي قصده بالبنيوية هو " المذهب اللغوي الذي ظهر في أوروبا وأمريكا في بداية القرن العشرين الميلادي وتطوره بلغ أشدّه في نهاية الأربعينات، وهو يدعو إلى دراسة اللغة كنظام وكنية لها وجود سابق لوجود أجزائها ومكوناتها"<sup>(٥)</sup>. فكان لهذه النظرية الجانب الإيجابي في إطار النظريات الحديثة التي تقوم على دراسة علمية موضوعية تهتم بالألسنة البشرية مثل كل الظواهر، فتتحول من حالٍ إلى حال عبر الزمان حتى تصير ألسنة أخرى، حتى أعلن سوسير أنّ موضوع علم اللغة الصحيح هو اللغة في ذاتها ولذاتها<sup>(٦)</sup>؛ لأنّ هذه المادة الألسنية في بداية تكونها جمعت مظاهر الكلام البشري، وفي هذا المنحنى اتخذ الدكتور عبد الرحمن

(١) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٠ .

(٢) ينظر: شظايا لسانية : ٧٦ - ٧٧ .

(٣) ينظر: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (نور الهدى لوشن) : ٣٠١ .

(٤) ينظر: اللسانيات النشأة والتطور : ٢٠٠ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٣ / ٢ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٩ / ٢ ، وعلم اللغة (السعران) : ٣٣٧ ، وفقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط، ١٩٧٩م : ١٨ .

الحاج صالح مصطلح (علم اللسان) من بين المصطلحات التي ظهرت في العالم العربي والتي تُبيّن هذا العلم.

والدراسة اللسانية خاضعة للتحوّلات الزمانية، فضلاً عن أنّها تحمل في طياتها وظائف أساسية تمثلت خاصةً في الوظيفة البيانية أي التبليغ والبيان، إذ إنّ اللغة وليدة وظيفتها البيانية، هذا من حيث المنهج الوظيفي للدراسة اللسانية (اللسانيات البنوية)، أما من حيث الموضوع فاللسانيات البنوية ذات طابع وصفي، هذا الطابع الذي اعتمدت عليه البنوية، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ أهم ما تفتخر به البنوية هو مذهبها الوصفي، وتعدّه الوحيد الذي يستحق أن يُوصف بأنه علمي"<sup>(١)</sup>. ولم يقف الباحث هنا عند هذه النقطة فقط، إذ إنّ سرعان ما تدارك المغالاة في هذا الوصف من قِبَل البنويين، إذ إنّ هذه النزعة تعرضت بدورها لنزعتين حسب رايه وهما: "النزعة إلى الحكم على العبارات بالصواب والخطأ ومحاولة تعليل الظاهرة اللغوية"<sup>(٢)</sup>.

إنّ اطلاع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وثقافته الواسعة، مكّنته من أن يستمد الفكر البنوي مجموعة من المعارف ذات الجوهر اللساني السوسيري، حصرها فيما يأتي:

#### • الدال والمدلول:

تقوم العلاقة بين هذين العنصرين على أساس الدليل اللغوي الذي يُعنى بتحديد ما يتطلب بناء نظرية الدليل اللغوي Theorie du signe linguistique<sup>(٣)</sup>، ويُعرف الدليل اللغوي بأنّه "أصوات يستعملها الإنسان للإبارة عن المفاهيم والأشياء"<sup>(٤)</sup>، واللغة - كما عرّفها ابن جني - "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(٥)</sup>، فيقصد الناس للتعبير عن أغراضهم بالأصوات قصد الإبارة والإفهام" فلكل واحدة منها لفظ إذا ذُكر عُرِف به مسماه ليمتاز عن غيره ويُعني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره"<sup>(٦)</sup>.

فالدليل اللغوي إذاً بهذا التعريف المبدئي هو ذلك اللفظ الذي يدلّ على شيء أو معنى معين وركيزته المادية الصوت .

والدليل اللغوي يتكون من أمرين هما<sup>(٧)</sup>:

أ - الدال (lesignfant) وهو مجموعة الأصوات القابلة للتقطيع أي الصورة الصوتية.

ب - المدلول (le signifie) وهو المفهوم أو المعنى الذي يُشير للدال.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٢ / ٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٤ .

(٤) مبادئ في اللسانيات : ٢٠ .

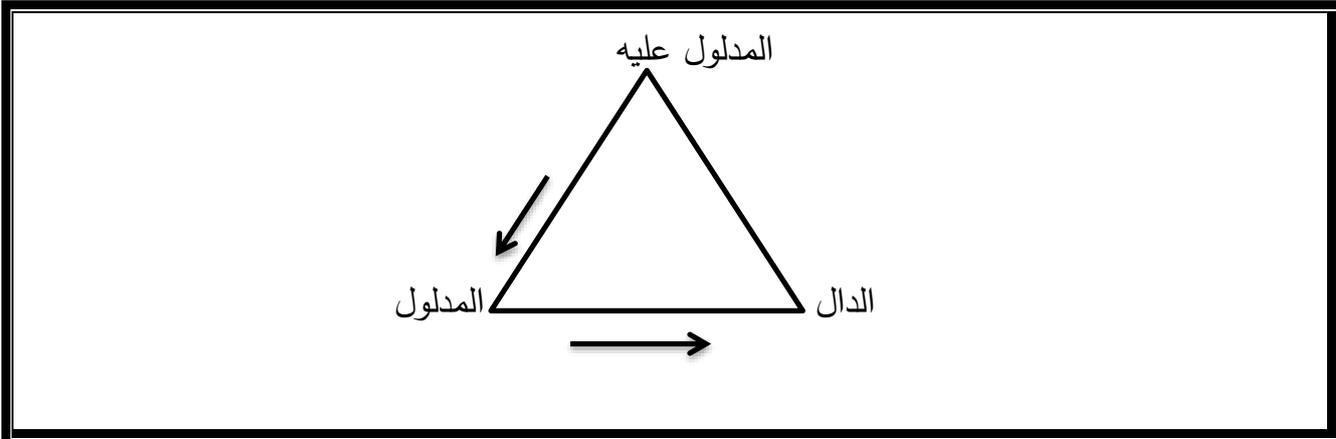
(٥) الخصائص : ١٠ / ١ .

(٦) المصدر نفسه : ١١ / ١ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٠٤ / ١، ومبادئ في اللسانيات : ٢٠ .

فالعلمية التواصلية تتم على وفق الطريقة الآتية:

هناك مفهوم يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي يسمى (المدلول عليه)، ثم يقوم المتكلم باستشارة معلوماته المخزنة في ذاكرته؛ أي يقوم بتشغيل نظامه اللغوي الذاتي ذي الطابع الداخلي لأجل اختيار المفهوم (المدلول) المطابق لذلك المرجع. ثم يربط المدلول بالصورة الصوتية المادية المجانسة له (أي المفهوم). والتي ورثها من مجتمعه أي التمثيل الثقافي/ الحضاري المخزون في ذاكرة الجماعة الناطقة<sup>(١)</sup>.  
فالدليل اللغوي إذاً لا يصل بين المدلول عليه ولفظه، ولا بين المدلول عليه والمفهوم، بل إنه يربط بين الصورة الذهنية للشيء المادي (المرجع) وما يقابلها من أصوات، فهذه الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي؛ لأنه شيء فيزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس، والصورة الصادرة عما تشاهده حواسنا. فالدليل اللغوي إذاً كيان نفساني ذو وجهين هما الدال والمدلول<sup>(٢)</sup>، كما يتضح من خلال الشكل الآتي:



ويتصف الدليل اللغوي بالاعتباطية أي أنّ العلاقة التي تربط الدال بالمدلول علاقة وضعية غير طبيعية غير حتمية<sup>(٣)</sup>. ولا يعني ذلك أنه - الدليل اللغوي - وحده حرة (libre) "فالدليل اللساني ليس وحدة حرة.. بل إنّ المقصود بالاعتباط هو عدم خضوع علاقة الارتباط بين الدال والمدلول إلى التعليل والتبرير العقلين"<sup>(٤)</sup>.

#### • اللسان والكلام:

(١) ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة : ١٣ .  
(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٧، ومبادئ في اللسانيات : ٢١. يشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ هذه الاعتبارات النفسانية هي عند سوسير من مخلفات النزعة النفسانية التي سادت أوساط اللغويين والمناطق والاجتماعيين في أواخر القرن التاسع عشر، إذ كان هناك ميل إلى تغليب وجهة نظر نفسية... أما البنية الحديثة فيحاول فيها العلماء أن يجعلوا المفاهيم (ذهنية mentalistes)، ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٧ .  
(٣) ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة : ١٤، ومبادئ في اللسانيات : ٢٢، والألسنية رواد وأعلام : ٩٠ .  
(٤) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٨ .

يُعرّف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللسان بأنه "نظام من الأدلة المتواضع عليها، فاللسان على هذا الاعتبار ليس مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المُتكلّم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها في حافظته كما أنّه ليس مجموعة من التحديدات الفلسفية للاسم والفعل والحرف أو القواعد المسهبة الكثيرة الشواذ، بل هو نظام من الوحدات يتصل بعضها ببعض على شكلٍ عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة"<sup>(١)</sup>.

فاللسان بهذا الاعتبار ظاهرة تقديرية صورية تتحقق بفعل المُتكلّم فهو: "تلك العمليات التي تُمثّل في الظواهر المادية التي تؤدي من خلالها"<sup>(٢)</sup>، ليُشكّل لنا اللسان نظام ترتبط جميع وحداته بعضها ببعض، مما جعله يُشكل النظام أو الهيكل التقديري عن طريق اتحاد الهويات واختلافها ونقصها بها التباين والتفاعل، من هذا الجانب العلمي اللغوي خَلص الحاج صالح إلى أنّ اللسان هو "رصيد (Tresor) يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمعٍ واحد بفضل مباشرتهم للكلام، وهو نظام نحوي يوجد وجوداً (تقديرياً) في كل دماغ أو على الأصح في أدمغة المجموع من الأشخاص؛ لأنّ اللسان لا يوجد كُله عند أحدٍ منهم بل وجوده بالتمام لا يحصل إلا عند الجماعة"<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يكون الحاج صالح قد فصل بين اللسان والكلام، وهذا الفصل في الوقت نفسه فصلاً بين ما هو اجتماعي وما هو فردي.

#### • الزمانية والآنية:

إنّ المنهج الذي حدده سوسير في الدراسة اللسانية دعى من خلاله إلى التمييز بين اللسانيات القارة Linguistique statique واللسانيات التطورية Linguistique Evolutive. إذ يُمثل المنهج الأول الدراسة الآنية وينصب على معرفة الظواهر الوصفية المطلقة، بينما الثاني هو تتبع للظواهر اللسانية عبر الزمان والبحث عن العوامل المؤثرة فيها، وتُمثل هاتان الدراستان البعدان الأساسيان الضروريان للدراسة اللغوية، البعد الأول هو الدراسة التزامنية synchroni، والبعد الثاني هو الدراسة التعاقبية Diachronie<sup>(٤)</sup>، وهذا ما وضّحه الدكتور الحاج صالح إذ بيّن أنّ هذا العلم الجديد في وصفه بُني على أسس علمية جديدة فتحت له الآفاق لدراسة الآنية بعد مغالاة التاريخيين في حصرهم الدراسة من الوجهة التاريخية، ومع ذلك فإنّ سوسير لم يهمل الدراسة التاريخية ولم ينكرها لأهميتها<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) مبادئ في اللسانيات : ١٢ .

(٣) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٩

(٤) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٣، ومحاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة : ١٠، والألسنية رواد وأعلام : ٨٧، ومبادئ اللسانيات

(قدور) : ٢٤ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٥٦ .

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ نظرية سوسير لم يُصبها حتى يومنا هذا عكس النظريات الأخرى... وذلك راجع لمجموعة أسبابٍ ، منها: المساس باللغة وأوضاعها، وعدم تنفيذ هذه النظرية بنظرية أصح منها، فضلاً عن موافقة جُلّ الباحثين في عدم تناقضها مع العلوم الأخرى<sup>(١)</sup>.

فضلاً عن ملاحظته - الحاج صالح - أنّ نظرية سوسير على الرغم من إيجابياتها تبقى ذات سلبيات إذ " لا يعني أنّها أفكار قد بلغت الكمال ولا شيء يمكن أن نضيفه إليها أو نزيله عنها، فإنّها كغيرها من النظريات والمحدودة"<sup>(٢)</sup>، وهذا من الأسباب الرئيسة التي تتولد عبرها النظريات اللسانية واحدة بعد الأخرى، إذ إنّ نقص النظرية الأولى يولّد لنا نظرية ثانية، وهكذا .

مما تقدّم استطاع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن يوازن بين النحو العربي واللسانيات البنيوية موازنة علمية، تُنم عن مستواه العالي وتمرسه في كلا العلمين - النحو العربي واللسانيات البنيوية - بصورة دقيقة، إذ كانت موازنته من حيث المبادئ فضلاً عن المنهج واضعاً يده على نقاط الاتفاق والاختلاف فيما بينهما، إذ لم يكن اعتباطياً في إطلاقه الأحكام في طبيعة العلاقة بين النحو العربي واللسانيات الغربية الحديثة، فقد وقف عند أهم الفروق المنهجية بين النحو العربي واللسانيات البنيوية مركزاً على النحو العربي الذي أرسى قواعده وأصلّ أصوله الخليل وتلميذه سيبويه وامثالهما من العلماء الأوائل<sup>(٣)</sup>. ويُجمل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نقاط الاتفاق فيما يأتي:

#### ١- أنّ لكلا العلمين موضوعاً واحداً وهو اللغة في ذاتها:

يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ دراسة النحاة العرب تعنى باللغة وكذلك هي عند البنيويين، أي الاهتمام باللغة في ذاتها ومن حيث هي؛ أي من حيث كونها أداة للتبليغ أو التعبير عما يكتنه الإنسان ولا تلتفت إلى ما كانت قبل أن تصير إلى ما هي عليه، فهي دراسة آنية لا زمانية. فكلاهما يتناول اللغة بالتحليل إلى أجزائها الكبرى والصغرى، وكلاهما يبحث عن كيفية تركيبها بعضها في بعض<sup>(٤)</sup>. ويُشير أنّ فضل اللسانيات الغربية على سابقتها يكمن في اهتمامها الكبير الذي أظهرته في القرن التاسع عشر بتحوّل اللغات إلى لغاتٍ أخرى عبر الزمان، فضلاً عن أنّ فضل البنيوية هو أنّها فتحت الباب من جديد وعلى أسس علمية جديدة أيضاً للدراسة الآنية بعد أن غالى التاريخيون بحصرهم الدراسة في الواجهة التاريخية وحدها، وأفضل من هذا هو حملها الباحثين في تاريخ اللغات على أن يتتبعوا تطور بُنى اللغة لا تطور جزئياتها منفردة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: المصدر نفسه : ١٦٥ .

(٢) بحوث ودراسات في علوم اللسان: ١٦٦ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٣ / ٢ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٤ / ٢ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ العرب لم يكن همّهم دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وإنما كان همهم دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقرآن الكريم (فهماً وأداءً)، ومعنى هذا أنّ نظرة العرب تختلف عن نظرة البنيويين في أصولها أهدافها<sup>(١)</sup>.

ويشير الدكتور الحاج صالح إلى أنّ ما أخرجه العلماء العرب القدماء من النظريات العميقة، وما اكتشفوه من أسرار اللغات، فضلاً عن أن ما أفاد منه الغربيون مما تُرجم إلى اللاتينية من كتب النحو العربي - ولاسيما مفهوم العمل - يُعدُّ جهداً لا يُستهان به<sup>(٢)</sup>.

## ٢- ينطلق البنيويون من واقع اللغة بوصفها ظاهرة، وكذلك النحاة الأولون:

فالبنيوية تدرس اللغة في ذاتها من حيث هي لغة، يدرسها الباحث كما تظهر، وليس له فيها أن يُغيّر من طبيعتها، وليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها، ويُتّحي جوانباً أخرى استهجاناً لها، أو استخفافاً بها، أو لغرض في نفسه، أو لأي سبب آخر من الأسباب التي يدخل فيها الباحث ذاتيته<sup>(٣)</sup>.

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الموضوع: "تريد البنيوية أن يُعتمد على مجموعة من الخطابات يدونها اللغويون في عين المكان الذي يعيش فيه في زمانٍ معين أصحاب اللغة المراد تحليلها والبحث فيها، وأن يقتصر على هذه المدونة (Corpus) هي وحدها فلا يجسُر على تغيير شيء منها ولا يلجأ في الاستشهاد بشيء من خطابات الباحث نفسه أو جماعة غير الجماعة المعنية بتلك اللغة. ونفس التحرّج نجده عند النحاة العرب إذ لا يمكن أن يستشهد إلا بما هو ثابت... وهو موجود في دواوين العرب التي دونها العلماء من الشعر والكلام المنثور والأمثال ولا يلجأ إلى غير ذلك... ومما يترتب على ذلك هو الاعتماد الأساسي على المشاهدة وهو السماع عند العرب مع معاينة أحوال الخطاب... فكل من النحاة والبنيويين يجعلون المُشاهد المسموع بالفعل هو مادة البحث والمنطق لكل تحليل، وقد يحاول النحاة أن يفسروا هذا الواقع بوسائل عقلية قد لا تعرفها البنيوية، إلا أنّ الرجوع إلى السماع في كل محاولاتهم هو الأساس. أما فكرة المدونة اللغوية المغلقة فهو شيء اختصت به البنيوية"<sup>(٤)</sup>.

## ٣- دورة التخاطب وظواهرها:

يُعرّف الدكتور الحاج صالح اللغة بأنها "أداة التبليغ"<sup>(٥)</sup> وتلك هي من أهم وظائفها، كما أنّه وجد أنّ البنيوية تحاول أن تفهم الظواهر اللغوية باللجوء إلى مبدأ الاقتصاد والفرق<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : ٧٣، ومحاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة : ٣٧ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٥ .

(٣) ينظر: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات : ٦٧، ومبادئ اللسانيات (قدور) : ٢٨، وفي اللسانيات العامة (غلفان) : ٢٥٠ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٦، و ينظر: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات : ٧٤، ودراسات وتعليقات في اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت : ١٣. و أود أن أشير إلى أنني فصلت القول في السماع في المحور (أولاً ص: ٢٥١ - ٢٥٦) من الأطروحة، ولا أرى مسوغاً لتكراره.

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٢٦ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

والاقتصاد هو شرط من شروط التطور اللغوي التي تتحكم فيه وتدفعه نحو الاستقرار في النسق اللساني، كما يمكن أن تُفسّر التطورات التي تطرأ على اللسان بعدها نتاج ميل المتكلم نحو ما هو أسهل في الكلام، سواء أعلق الأمر بنطق الأصوات أم بتركيب الجمل<sup>(١)</sup>، ويُعرّف مارتنيه الاقتصاد بأنه ميل المتكلم إلى بذل أقل مجهود في كل نشاط لغوي من خلال ما يحتاج إليه المتكلم من كلمات جديدة تفي بغرضه في التعبير والتواصل اليومي، مع ميل شديد إلى تقليل النشاط العقلي والعضلي إلى أقصى درجة<sup>(٢)</sup>. ويُعرّفه الحاج صالح بأنه "ميل المتكلم إلى التقليل من الجهود العضلية والذاكرية التي يبذلها في عملية التخاطب"<sup>(٣)</sup>.

ولو راجعنا كتب نحائنا العرب القدماء نجدهم قد لجأوا إلى مبدأ الاستخفاف في تفسير ظواهر كثيرة مثل: الحذف<sup>(٤)</sup>، والإدغام<sup>(٥)</sup>، وغيرها.

وعرّف الحاج صالح الاستخفاف بأنه "ميل المتكلم إلى تبين أغراضه للمخاطب وتخوفه من أن يلتبس كلامه عليه بكثرة الحذف والاختصار وغير ذلك"<sup>(٦)</sup>، فهو بذلك ضد الاقتصاد<sup>(٧)</sup>. وقد أعطوا النحاة العرب القدماء أهمية كبرى للتخفيف من جهة، ولأمن اللبس<sup>(٨)</sup> من جهة أخرى.

أما نقاط الاختلاف بين النحو العربي واللسانيات البنوية فتتمثل في النقاط الآتية:

### ١- المعيارية والوصفية:

توصف اللسانيات بأنها وصفية، والنحو العربي يُوصف بأنه معياري، فما المقصود بالمعيارية والوصفية؟ ولماذا كان النحو معيارياً؟ وهل يمكن أن تسوغ هذه النزعة المعيارية في النحو العربي وتفسيرها تفسيراً موضوعياً؟

بادئ ذي بدء علينا أن نُحدّد مفهوم المعيار والمعيارية في الفكر والعلم، فالمعجم الفلسفي يذكر أنّ المعيار (Norm) هو "انموذج أو مقياس مادي أو معنوي لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، فهو في الأخلاق انموذج السلوك الحسن، وقاعدة العمل السديد.. وفي علم الجمال مقياس الحكم على الإنتاج الفني،

(١) ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣٤٨ .

(٢) ينظر: الألسنية رواد وأعلام : ١٨٤، واللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣٤٨ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٦ / ٢ .

(٤) ينظر: (أحكام الحذف) في اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري : ٣٥٣ - ٣٥٦، وهمع الهوامع، للسيوطي : ٥١٩ - ٥٢٣ .

(٥) ينظر: الخصائص : ١ / ٤٩٥، و المَحكم : ٥ / ٤٧٢، وشرح المفصل : ٥ / ٥١٦، والمعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : ١ / ٢٢ - ٢٣ . ولعلّ مما ينبغي الإشارة إليه أنّ مباحث الحذف والإدغام تُبحث في القضايا الصوتية؛ لذلك لن أتوقف عندها في هذا المبحث لأنّه مختص بالنحو فقط .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٦ / ٢ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٨) يذكر الدكتور تمام حسان أنّه من المعروف أنّ اللغة أداة اتصال بين أفراد مجتمع يتكلمها، وغايتها هي الإبلاغ بوضوح عن خبر ما أو شرط أو طلب أو إفصاح عن إحساس بعينه يحس به المتكلم، هذا الوضوح هو الذي يسمى (أمن اللبس) ومن أجله قامت قرانن المعنى النحوي. ينظر: الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط١، ٢٠٠٠م : ١٧ .

وفي المنطق قاعدة الاستنتاج الصحيح<sup>(١)</sup>، وأما المعيارية (Prescription) " هو مصطلح ينظر إلى اللغة على أنها ما ينبغي أن يكون، وليس ما هو كائن بالفعل"<sup>(٢)</sup>.

ومن المعروف أن اللسانيات المعاصرة تطرح الاتجاه المعياري من اللغة، فهي تمسك عن إصدار الأحكام، وعن التقييم، سواء ما كان منه في ذلك تنويهاً أو تهجيناً؛ لأنها لا تستند إلى تصنيفات الخطأ والصواب، ولا إلى مقولة الحَسَن والقبيح<sup>(٣)</sup>. وفي ضوء هذا المفهوم تناول اللسانيون المعاصرون هذه القضية، إذ ذكر الدكتور كمال بشر أن المنهج المعياري هو ما سار عليه رجال النحو العربي من أول يوم ... وهو الاتجاه السائد في النحو العربي، أما المنهج الوصفي فقد وُجِدَ منه شيءٌ عند مناقشة بعض القضايا النحوية المهمة، لكنه جاء بصورة عفوية لا تسمح بالقول إنَّ المنهج المتَّبَع في دراسة النحو منهج وصفي<sup>(٤)</sup>.

في حين يذكر الدكتور عبده الراجحي من أن طريقة تناول القدماء للظواهر اللغوية لا تبعد في جوهرها عن كثيرٍ من مبادئ المنهج الوصفي<sup>(٥)</sup>.

أما المنهج الوصفي الذي ارتبط بظهور اللسانيات وعُدَّ من إنجازاتها العلمية الباهرة، فقوم هذا الأسلوب المنهجي هو دراسة الظواهر اللغوية في مدة زمنية محددة وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصواب، إذ صار هذا الأسلوب سائداً لدى أكثر الباحثين في كل أنحاء العالم منذ أن اكتشفت القيمة الحقيقية لمحاضرات سوسير<sup>(٦)</sup>.

فإذا كان المنهج الوصفي في جوهره الدراسة العلمية للغة بعيداً عن معايير الخطأ والصواب، فإن موقف العلماء العرب القدماء مختلف عن ذلك كما يرى بعض اللسانيين - كما ذكرنا في الفقرات السابقة - المحدثين ومنهم - أيضاً - الدكتور عبد السلام المسدي الذي يقول: " فالجامع بين المواقف التي اتخذها الأسبقون حيال الظاهرة اللغوية في معيارها واستعمال الإنسان لها متجسم في أنها مواقف (تقويمية) تحرص على إرجاع المنحرف قوياً والمُعَوَّج مستقيماً. وفي أنها (تقويمية) تجري أحكامها في ضوء سُلَم القيم الذي تستند إليه، وبهذا التقدير تنعت اليوم دراسات الأقدمين أو السالكين مسلكهم بأنها معيارية، والقصد أنها تحتكم إلى المعيار فترُضخ الاستعمال إليه"<sup>(٧)</sup>.

إذاً هذه هي النظرة إلى (المعيارية) في نظر فريق من اللسانيين، فهو موقف من اللغة تقويمي لا يسمح بالانحراف، تقيمي يستند إلى قواعد وأحكام مسبقة.

(١) المعجم الفلسفي، إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٩م : ١٨٨ .

(٢) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر : ٢١٣ .

(٣) الفكر العربي والألسنية، د. عبد السلام المسدي، بحث منشور ضمن أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، العدد الرابع، ١٩٨١م : ١٣ .

(٤) ينظر: دراسات في علم اللغة : ٥٥ - ٥٧ .

(٥) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث : ٥٣ - ٦٠، وللمزيد ينظر أيضاً: اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٤ فما بعدها، وفقه اللغة في كتب العربية : ١٥٠ .

(٦) ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣٩ .

(٧) اللسانيات وأسسها المعرفية : ١٣ .

ولكن فريقاً آخر من اللسانيين العرب المحدثين يقوم بتسوية المعيارية وتفسيرها تفسيراً موضوعياً مقبولاً، ذلك ما نجده عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، إذ يُجمل دفاعه عن المعيارية فيما يأتي: إنَّ معيار اللغة ظاهرة من الظواهر وهي تخص سلوك الناطقين بها فلا يمكن أنْ تهدر في البحث بدعوى أنَّ الحكم بالصواب والخطأ تحكم محض. فأين هي اللغة التي يقول عنها أصحابها كلُّهم أنَّ الصواب والخطأ اللغوي سيان عليهم، وأية لغة في الدنيا يخطئ الناطق بها عرضاً في عبارة معينة فلا يقومه أحد من أصحابها؟ وأية لغة في الدنيا يمكن أنْ ينطق فيها الناطق بأي شيء بدا له دون أنْ يخضع لما تعارف عليه أصحابها؟<sup>(١)</sup>.

المعيارية إذاً سمة لازمة لأية لغة من اللغات، لكن ما يجب التنبيه عليه كما يُشير إلى ذلك الدكتور الحاج صالح هو الخلط بين الحكم الذاتي الفردي وحكم مجموع الناطقين، يقول: "وقد وقع هاهنا تخليط بين الحكم الذاتي الذي يمكن أنْ يصدر من الباحث وبين الحكم الصادر من الناطقين باللغة أنفسهم. فالمعيار كظاهرة يجب الاعتداد به وهو هذا المجموع المنسجم من الضوابط التي يخضع لها بالفعل كل الناطقين أو أكثرهم. ومن هنا نفهم معنى الكثرة واهتمام النحاة الكبير بهذا المفهوم"<sup>(٢)</sup>.

ولعل سببويه في مُقدِّمة هؤلاء النحاة إذ يُكثر من عبارة (عربي كثير) و(عربي جيد)، "ومهما كان فإنَّ سببويه وأصحابه لا يعدون كثير الاستعمال قبيحاً أياً كان، ويقول بأنَّ الشواذ كثيرة"<sup>(٣)</sup>، أي الشواذ عن القياس"<sup>(٤)</sup>، ويقول: "إنما هذا الأقل نادر تُحفظ ولا يُقاس عليها"<sup>(٥)</sup>، ومعنى ذلك أنها عربية كثيرة وقد لا يجوز غيرها إلا أنها قليلة في بابها أي بالنسبة إلى نظرتها فلا يجوز القياس عليها وذلك مثل (استحوذ) و(أغيل) و(باقل) من (أبقل) عوض (مُبقل) وغير ذلك"<sup>(٦)</sup>.

مما تقدّم نُدرِك أنَّ المعيار اللغوي ليس شيئاً ابتدعه النحاة وأخذوا يتحكمون به في رقاب الناس - كما عبّر عنه الحاج صالح - وإنما "المعيار اللغوي بالنسبة للعربية هو عند النحاة الأولين مجموع الأنماط والموضوعات اللغوية والأساليب الكلامية التي كان يستعملها عامة العرب الذين وصفوا بالفصاحة"<sup>(٧)</sup>. وعبارة أخيرة فإنَّ المعيار اللغوي هو ما استطاع العلماء حصره في أساليب العرب في زمنٍ معين وبيئة محددة.

أما نقطة الاختلاف المنهجي الأخرى بين النحاة العرب والبنويين والأوربيين والأمريكيين<sup>(٨)</sup> فتمثل كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أنَّ غاية البحث عند البنويين هو اكتشاف الوحدات التي تكون

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧ / ٢ - ٣٠ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨ / ٢ .

(٣) الكتاب : ٢٧٣ / ١ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٨ / ٢ .

(٥) الكتاب : ٢١٦ / ٢ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩ / ٢ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠ / ٢ .

(٨) يُميّز داخل اللسانيات البنوية بوجه عام بين بنويتين مختلفتين ومتكاملتين هما: (بنوية أوربية، وبنوية أمريكية)، ولا تُشكّل المدرستان اتجاهاً واحداً، إنما هما عبارة عن مجموعة من التصورات المتقاربة والمتباعدة في الوقت نفسه، وتختلف هاتان المدرستان من حيث

منها اللغة وذلك بتحديد هويتها التي ليست عندهم إلا صفاتها الذاتية ثم تصنيفها، وهذا التصنيف بُني على التمايز المتدرج من الجنس الأعلى إلى ما تحته وهو عندهم البنية، ويحصل هذا خاصةً في مستوى الوحدات الصوتية، أما ما فوقه فيحاولون اكتشاف الوحدات الدالة بتحليل الكلام التحليل التقطعي الاستبدالي<sup>(١)</sup> إما بحسب تسلسل الكلام كما هو عند الوظيفيين وإما بكيفية كما هو عند الأمريكيين<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ الحاج صالح أنّ جميع البنويين لكونهم لا يُريدون أن يتجاوزوا الوصف فقد قصرُوا بحثهم - في الحقيقة - على محاولة اكتشاف الوحدات وتصنيفها كما تنبّه إلى ذلك تشومسكي فكان دراسة اللغة كُلاًها مقصورة على فك رموز النص اللغوي، ويؤدي ذلك إلى العناية بدور المخاطب وتجاهل أهم قطب في التخاطب وهو المتكلم، ولهذا حاول أصحاب النحو التوليدي التحويلي أن يُعيدوا لسلوك المتكلم أهميته التي يستحقها<sup>(٣)</sup>.

ويُنَبّه الدكتور الحاج صالح إلى أنّ التحليل البنوي هو من قبيل القسمة الإفلاطونية، وأهم صفة تتصف بها هذه القسمة هي اندراج شيء في شيء (Inclusion) ، بينما التحليل العربي هو من قبيل القسمة التركيبية وهو إجراء شيء على شيء بتحقيق التناظر (Bijection) ، والقياس النحوي جوهره هذا الإجراء التنظيري ولا تناظر في القسمة الإفلاطونية؛ ولذلك فالقياس العربي أرقى بكثير؛ لأنه يُكوّن دائماً ما يُسمى في الرياضيات الحديثة زمرة (Group)<sup>(٤)</sup>.

ولو فتشنا في كتب نحائنا القدماء لوجدنا أنّ مفهوم الاستبدال موجودٌ لديهم، فعلى سبيل المثال كتاب سيبويه - وهو أقدم كتاب نحوي وصل إلينا - يكاد يكون قائماً على النهج الاستبدالي، إذ يقوم على استبدال عنصر لغوي بآخر في موقع محدد من السياق الكلامي، وقد استطاع به تحديد الأقسام الموقعية الكبرى، ثم عاد إلى كل قسم منها فبيّن بالاستبدال أيضاً أنواعه، والعلاقات التوزيعية بين كل نوع، وصولاً إلى إيضاح الفروق بين الأنواع المختلفة في إطار القسم الواحد. على أن سيبويه لم يذكر مصطلح (الاستبدال)، إذ خلا كتابه من الفعل (استبدل) أو مصدره أو أي مشتق من مشتقاته، لكنه كان يُشير إلى القدرة الاستبدالية لعنصر من العناصر اللغوية<sup>(٥)</sup>. فضلاً عن أنّ النحاة استنبطوا البنى بالاعتماد على (الجامع) أي عما يجمع بين أفراد الجنس الواحد، بالاعتماد لا على صفاتها المميزة فقط التي تجعلها تدرج في هذا الجنس بل بالنظر في هيئتها وزنتها. فكل هذه الأفراد... تكوّن عندهم باباً وهي نظائر بعضها إزاء بعض؛ لأنّه يوجد فيما بينها تناظر.. كما يلجؤون إلى (حمل) هذه الأفراد بعضها على بعض وذلك بجعل كل جزء منها

مصدرهما، فبينما تعود اللسانيات البنوية في أصولها الأولى إلى فكر سوسير، ترجح اللسانيات البنوية الأمريكية إلى بوغاز وسابير وبلومفيلد. ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٦٧ .

(١) يُقصد بالتقطيع الاستبدالي تغيير عنصر ينتج عنه اختلاف في معنى الكلمة، ينظر: اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ١٢٦ . ويُعدّ التقطيع والاستبدال من أسس (التوزيعية) وهي تُمثّل البنوية الأمريكية وهي ليست نظرية لسانية مستقلة، وضع أسسها هاريس في الخمسينيات من القرن العشرين ولا يُدّ من التنبيه على أنّ هناك فرقا بين الإبدال والاستبدال، فالإبدال هو إبدال فونيم مكان آخر أو قلبه إليه بتأثير الأصوات المجاورة، أما الاستبدال هو إحلال عنصر لغوي محل آخر في سياق لغوي واحد. ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٠٩ و ٢١٣، واللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات : ٣٩١، والألسنية رواد وأعلام : ١٩٣ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٦ / ٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٤٢ / ٢ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٢ / ٢ .

(٥) ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢١٣ - ٢١٤ .

إزاء الجزء الذي يقابله في المرتبة بالاعتماد على مقياس التكافؤ وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء كما في البنية<sup>(١)</sup>.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد ذكر سيبويه الاستبدال في تحديد الأنواع التي تنتمي إلى قسم الاسم، فعَدَّ كلمات الإشارة كُلَّها والضمائر كلها أسماء؛ لأنَّ كُلاً منها يقع موقع الاسم الأصلي، ويقوم بوظيفته، وأمثله شاهدة على ذلك<sup>(٢)</sup>:

- أخوك عبد الله معروفاً.

- هذا عبد الله معروفاً.

- هو زيدٌ معروفاً.

كما أنه عَدَّ اسم الفاعل في الأسماء؛ لأنه يقع موقع الاسم الأصلي أيضاً، يقول: "ولو قال: الدار أنت نازلٌ فجعل نازلاً اسماً رفع كأنه قال: الدار أنت رجلٌ فيها... ولو قال: أزيد أنت ضاربه فجعله بمنزلة قولك: أزيد أنت أخوه، جاز"<sup>(٣)</sup>.

ومن المواضع التي نلاحظ فيها الاستبدال في المواقع التي تتوارد عليها العناصر الاستبدالية في سياقاتٍ محددة قد تكون مفردات أو عباراتٍ أو جملاً، فمن ذلك قوله: "هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع فيه الأمر فانصب، لأنه موقع فيه الأمر، وذلك قوله: قتلته صبراً، ولقيته فجاءة، ومفاجأة، وكفاحاً ومكافحة... وليس كل مصدر وإن كان في القياس مثل ما مضى من هذا الباب يوضع هذا الموضع؛ لأنَّ المصدر ههنا في موضع فاعل إذا كان حالاً، ألا ترى أنه لا يحسن أتانا سرعةً، ولا أتانا رجلةً، كما أنه ليس كل مصدر يستعمل في باب سقياً وحمداً"<sup>(٤)</sup>.

ويظهر الاستبدال واضحاً وجلياً عند استبدال علامة إعرابية بأخرى في تغيير التركيب واختلاف تحليله، يقول سيبويه في ذلك: "هذا باب يختار فيه الرفع، وذلك قولك: له علمٌ علمُ الفقهاء، وله رأيٌ رأيُ الأصلاء، وإنما كان الرفع في هذا الوجه؛ لأن هذه خصال تذكرها في الرجل كالحلم والعلم والفضل، ولم تُرد أن تُخبر بأنك مررت برجلٍ في حال تعلم ولا تفهم، ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضله وأن تجعل ذلك خصلة قد استكملها كقولك: له حسب حسب الصالحين، وإن شئت نصبت فقلت: له علمٌ علمُ الفقهاء كأنك مررت به في حال تعلم وتفقّه"<sup>(٥)</sup>.

ويقول أيضاً في السياق نفسه: "وتقول: أما العلمُ فعالمٌ بالعلم، وأما العلمُ فعالمٌ بالعلم فالنصب على أنك لم تجعل العلم الثاني العلم الأول الذي لفظت به قبله كأنك قلت: أما العلمُ فعالمٌ بالأشياء، وأما الرفع

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٧ / ٢ .

(٢) ينظر: الكتاب : ٨٠ و ٧٨ / ٢ .

(٣) الكتاب : ١٠٩ / ١ .

(٤) الكتاب : ٣٧٠ / ١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٦١ / ١ .

فعلى أنه جعل العلم الآخر هو العلم الأول، فصارت كقولك: أما العلم فأنا عالمٌ به، وأما العلم فما أعلمني به، فهذا رفع؛ لأن المضمرة هو العلم فصار كقولك: أما العلم فحسناً<sup>(١)</sup>.

ومن المواقع التي يمكن أن يتم فيها تقارض الأقسام في الاستبدال<sup>(٢)</sup> ما يحدث من استبدال الفعل المضارع باسم الفاعل، إذ يعلل سيبويه صحة هذا الاستبدال في سياق محدد بقوله: "وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إن عبد الله ليفعل فيوافق قولك: لفاعل، حتى كأنك قلت: إن زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى، وتلحقه هذه اللام، ولا تلحق فعل اللام"<sup>(٣)</sup>، ويُنبه سيبويه على أن وقوع المضارع موقع اسم الفاعل لا يعني أنه أصبح اسماً بقوله: "ويبين لك أنها ليست أسماء أنك لو وضعتها موضع الأسماء لم يُجز ذلك، ألا ترى أنك لو قلت: إن يضرب يأتينا وأشباه هذا لم يكن كلاماً"<sup>(٤)</sup>.

إذاً استطاع سيبويه بالاستبدال أن يُحدّد المواقع الوظيفية التي تشغلها هذه العناصر الاستبدالية، ولم يغفل العلامة الإعرابية ولا الحالة الإعرابية، بوصفهما عنصرين قابلين للاستبدال في لغة معربة وبيان أثر استبدال علامة إعرابية بأخرى، أو حالة إعرابية بأخرى، في تغيير التركيب مع صحته أو فساده، ثم تغير التحليل النحوي تبعاً لذلك، فضلاً عن أن سيبويه قد استخدم تقارض الأقسام في الاستبدال فبين أن نوعاً من الأفعال قد يُستبدل بنوع من الأسماء، وغيرها.

بيّناً فيما تقدّم نقاط الاتفاق والاختلاف بين منهج النحاة العرب القدماء والبنويين الغربيين عرضنا لها من خلال ما عرضناه لآراء علم من أعلام اللسانيات الحديثة هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فضلاً عن نقده لها إذ يذهب إلى ضعف رؤيتها في التعامل مع الجانب الخلاق من نشاط المتكلم في إبداع اللغة بتركيزها على العينة، ويعدّها قائمة على نظرة قاصرة لا تعرف إلا التحديد بالجنس والفصل على الطريقة الأرسطية "النزعة الاندراجية"<sup>(٥)</sup>. و لا بدّ من الإشارة إلى أننا لا نحمل على سيبويه تصوراً حديثاً، فما ذكرناه موثقاً بنصوص سيبويه، غير أن سيبويه لم يستخدم ما استخدمته البنوية من مصطلحات إذ إنّه يعمد إلى الاستخدام العلمي المباشر لهذه الأسس، كما أنه لم يضع في حسابه المنهج البنوي، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد في ثنايا الكتاب قضايا تتفق في تناولها مع أسس البنوية، فضلاً عن أن ما عرضه اللسانيون العرب المحدثون - ومنهم الحاج صالح - في بحوثهم كان قراءة متأنية في مواضع من كتاب سيبويه.

ثالثاً: نظرية العمل العربية.

(١) المصدر نفسه: ٣٨٥ / ١ .

(٢) المقصود بـ (تقارض الأقسام في الاستبدال) هو استبدال عنصر لغوي ينتمي إلى قسم من أقسام الكلم - كأن يكون اسماً - بعنصر لغوي ينتمي إلى قسم غيره - كأن يكون فعلاً - في سياق لغوي صحيح، ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٢٨ .

(٣) الكتاب: ١٤ / ١ .

(٤) المصدر نفسه: ١٤ / ١ - ١٥ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٤٢ / ١ .

تُعَدُّ نظرية العمل النحوي نظرية واضحة المعالم في هدي الخصائص العامة التي تتميز بها النظريات العلمية، وهي<sup>(١)</sup>:

١- أنها عامة:

فهي تتناول موضوع علمٍ أو علومٍ عدّة، ففكرة العمل النحوي عند النحاة كانت كذلك، إذ سيطرت على منهجهم في دراسة النحو العربي فضلاً عن أنهم صنّفوا مفردات هذا المنهج في ضوءها فقد صنّف سيبويه - وهو أقدم مدوّنة نحوية وصلت إلينا - الأبواب النحوية التي تضمّها أنواع الإسناد في ضوء العامل في صورة التركيب اللغوي لوجوه التأليف من رفعٍ ونصبٍ... الخ.

٢- أنها ذات مبدأ:

والمقصود بذلك أنها ذات قوانين تنظّم العلاقات وتفسّر الظواهر، وهذه هي أهم خصائص النظريات العلمية. وكتاب سيبويه خير مَنْ يُمَثِّلُ هذه الصفة، إذ نظّم العلاقات بين عناصر التركيب اللغوي لوجوه التأليف في هدي العلاقات بين العامل والمعمول.

٣- أنها ذات منهج للتفسير والبحث:

وهذه هي الخاصية الثالثة التي ينبغي أن تختص بها النظرية العلمية.

ومن اللافت للنظر أنّ سيبويه ذكر مصطلح (العامل) في كتابه، إذ قال: "وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لا فرق بين ما يدخله ضَرْبٌ من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يبني عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل"<sup>(٢)</sup>. وورود مصطلح (العامل) في الكتاب يدل أنّ هذا المصطلح من المصطلحات المعهودة قبل سيبويه، الشائعة في عصره، على أنّ هذا الأمر لا يعني - بالضرورة - تمثّل العامل نظريّة في التفكير النحوي، وفي عرض المادة النحوية قبل سيبويه، فهذا أمرٌ لا يمكن الزعمُ به؛ لغياب المدونات النحوية التي تنتمي إلى ذلك العصر<sup>(٣)</sup>. أما كتاب سيبويه بوصفه المدوّنة النحويّة الأولى، فيُظهر تمثّل العامل نظريّة في التفكير النحوي<sup>(٤)</sup>، كما أنّ تصوّر سيبويه للعامل النحوي كان في ضوء المدلول اللغوي لمادة (عَمَلٍ)، إذ يُشير هذا المدلول إلى معنى الرّصّ والترتيب والإتباع، فقد ذكر الخليل في (العين): "وأعمَلْتُ إليك المطيَّ أتعبتها، وفلانٌ يُعْمَلُ رأيه ورمحه وكلامه"<sup>(٥)</sup>، كما كان شائعاً في حقل البنائين الذين يعملون من الطين لبناتٍ لتشييد البناء، قال الخليل: "والعملة الذين يعملون بأيديهم ضرورياً من العمل حفرًا وطيناً"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩: ٢٥٠ و ٢٦٣. وأود أن أشير أنّ الدكتور محمد كاظم البكاء قد فصل القول في إثبات كون نظرية العمل النحوية هي نظرية قائمة بحد ذاتها، مُستدلاً على ذلك بما جاء في كتاب سيبويه؛ لأنّه أقدم كتاب نحوي وصل إلينا وللتفصيل أكثر ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٠ - ٢٦٣.

(٢) الكتاب: ١٣ / ١.

(٣) ينظر: نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، سعيد احمد البطاطي: ٣ (أطروحة دكتوراه).

(٤) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: ٢٤٨ - ٢٦٣.

(٥) العين: ١٥٤ / ٢.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ويذكر الدكتور الحاج صالح أنّ العامل عنصر بنائي في الجملة، يقع في مستوى أعلى من مستوى اللفظة، وهذا ما بدأ به سيبويه تحليلاته في كتابه، خلافاً لما يفعله علماء اللسان في عصرنا<sup>(١)</sup>.

ويُعرّف العامل بأته "العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظاً ومعنى على غيره كجميع الأفعال في العربية وما يقوم مقامها مثل حروف النصب"<sup>(٢)</sup>.

وتعدّ العلامة الإعرابية أظهر أثر للعوامل في صورة التركيب اللغوي للإسناد<sup>(٣)</sup>، فهي دالة نحويّة على العمل النحوي، وليست هي إيّاه - كما يتصورها بعض من الباحثين - والعمل النحوي إنما هو الربط العملي<sup>(٤)</sup> الذي يقوم به العامل بما فيه من قدرة على خلق الجملة الصغرى (الفعل والفاعل) أو (المبتدأ والخبر)، وتوسيع الجملة بإضافة عناصر أخرى كالمفعولات ونحوها<sup>(٥)</sup>.

ويحاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح توظيف المعطيات النحوية القديمة عن طريق تبني مناهج حديثة يتم توظيفها للخروج باستنتاجات وتفسيرات معينة كالمنهج التوليدي التحويلي، ولاسيما نظرية الربط العملي<sup>(٦)</sup> Government Binding Theory، إذ طبق الحاج صالح نظرية العامل في النحو العربي محاولاً توظيفها في الدراسات الحديثة مستعيناً بنظرية تشومسكي التي تدعم العامل وقد ظهر ذلك في أكثر من موضع، ففي نظريته يعتمد اعتماداً رئيساً على نظرية الربط العملي، واستعمل العامل في بيان مدى التأثير الحاصل في بناء الكلام قائلاً: "طبقاً للمفهوم النحوي في النظرية اللسانية العربية، فإنّ كلّ المكونات يجب أن تنتظم من خلال العمليات النحوية المعينة مثل الأدوات، ما عدا المكونات الأولية في التراكيب الفعلية والتراكيب الإسمية أي (م إ) كمبتدأ، وال(م) كفعل اللذين يفترض بأنّ تنتظمهما يتبع حركة تجريدية دعاها العرب القدماء بعامل الابتدائية، أي العامل الاسمي، وبعامل الفاعلية أي العامل الفعلي"<sup>(٧)</sup>. إنّ العامل عند الحاج صالح مفهوم مجرد يعمل على تنظيم العناصر النحوية في الكلام فضلاً عن أنّه يُحدّد نوع التركيب الأساس لديه، فجزئاً العمل أيّ العامل والمعمول هما وحدة لسانية لا يمكن تجزئتها<sup>(٨)</sup>. ويصف أيضاً ثنائية العامل والمعمول بأنها السبب في تحليل النحاة العرب القدماء للتركيب العربي من وجهة نظر فاعلية علائقية<sup>(٩)</sup>، فالعناصر اللغوية ترتبط بعضها ببعض في التركيب إذ تأخذ دورها في الجملة اعتماداً

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٢٨٨ .

(٣) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي : ٢٧٥ .

(٤) سأتحدث عن مفهوم الربط العملي بين القدماء ولاسيما سيبويه واللسانيات العربية وكيف تمثله الحاج صالح في تأصيله لنظرية العمل عند النحاة العرب.

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٧٣، ونظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه : ١١ .

(٦) المقصود بالربط العملي: مضمون الوظائف النحوية للعامل، الذي تنشأ به العلاقات التركيبية بين العامل والمعمول في الجملة، ينظر: نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه : ٦٥، والنظرية المشار إليها هي نظرية تشومسكي المعروفة بـ (Government Binding Theory) وترجمها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بنظرية الربط العملي، ذاكراً إنّ هذا المفهوم قد تجاهلته تماماً البنوية ثم أحياه من جديد تشومسكي، والغريب أنّ العامل بهذا المعنى هو مفهوم ماثوس عند النحاة العرب بل يُعدّ من المفاهيم الأساسية في النحو العربي، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٨ و ٢ / ٢٧٤. وترجمها الدكتور مازن الوعر بـ (نظرية العامل والربط الإحالي)، ينظر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة : ٤٢، ودراسات لسانية تطبيقية : ٤\* و ٢٦٦. وفي مضمون هذه النظرية وعلاقتها بالعمل. ينظر: اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري : ٢ / ١٧١ - ١٧٧ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٠٩ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣١١ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣٢٩، ودراسات لسانية تطبيقية : ٤٣ .

على العامل، فضلاً عن ذلك فإنّ "مسألة العامل والمعمول هي نظرية نحوية دقيقة انطلق منها سيبويه متأثراً بالبذور الرياضية الأولى التي ورثها عن أستاذه الخليل بن احمد وذلك لتحليل بنية اللغة، قد تبعه في هذا المسار الجرجاني في كتابه العوامل المئة، ومن وجهة نظر لسانية حديثة نستطيع أن نقول: إنّ نظرية العامل هي نظرية مهمة جداً، وتأتي أهميتها من تشابهها بالنظرية التجريدية التي وضعها اللساني الأمريكي تشومسكي وأسماها Government and Binding Theory أي (نظرية العامل والربط الإحالي)، تلك النظرية التي يقترح جهازها المعرفي عوامل كثيرة تحكم التوليد والتحويل في التراكيب اللغوية"<sup>(١)</sup>.

إنّ الاختلاف في رفض نظرية العامل وقبولها عند المحدثين يرجع في أساسه إلى طبيعة المنهج لكل باحث، فالمنهج الوصفي يعتمد على الاستقراء والتقسيم والتعديد<sup>(٢)</sup>، فهو يأخذ الظاهرة اللغوية ويحللها على وفق هذه المحاور الثلاثة. أما المنهج المعياري فيعتمد على القياس والتعليل<sup>(٣)</sup> لرصد الظواهر اللغوية وتفسيرها. إنّ العامل يُمثّل حجر الزاوية في النحو العربي<sup>(٤)</sup> فهو أصل مشترك بين النحو العربي والنحو التحويلي<sup>(٥)</sup>، فضلاً عن "إنّ قضية العامل - في أساسها - صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي"<sup>(٦)</sup>. ويمكن ملاحظة (مفهوم الربط العاملي)<sup>(٧)</sup> بوضوح في منهج دراسة الحاج صالح للموضوعات النحوية، محاولاً تأصيل هذه النظرية عند علمائنا القدماء فهو يرى - الحاج صالح - أنّ الربط العاملي طريقة حساب خاصة لجأ إليها الخليل في تحليله للكلم العربية<sup>(٨)</sup>، إذ درس المبتدأ وهو من موضوعات الجملة الإسمية في ضوء مفهوم الابتداء، لا في ضوء من (المبتدأ والخبر)، وهذا الأمر نلمسه بوضوح جداً عند سيبويه تحديداً<sup>(٩)</sup>، ومفهوم المبتدأ يُشير إلى الوظيفة النحوية للمبتدأ، إذ هو قادرٌ من حيث هو عنصر عاملي على فتح مجال المبنيّ عليه، لتتكوّن بذلك الجملة الاسميّة، فالإبتداء يُشير إلى قدرة المبتدأ على إنتاج علاقة عاملية على المبنيّ عليه، بها يرتبط المبنيّ عليه بالمبتدأ<sup>(١٠)</sup>.

(١) دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. مازن الوعر، دار المنتبي، دمشق، ط ١، ٢٠٠١ : ٩٨ .

(٢) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية : ١٥٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣١ - ٥١ .

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث : ١٤٧ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١٤٣ .

(٦) النحو العربي والدرس الحديث : ١٤٨ .

(٧) يُطلق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح (التعليق) على العلاقة القائمة بين العامل المطلق ومعموله، إلا أنه لم يتوسع بها، وفي ذلك يقول: "فالعلاقة القائمة بين العامل المطلق ومعموله هي أيضاً علاقة بناء بمنزلة بنا الاسم على المبتدأ كما لاحظ الخليل، وهذه العلاقة تسمى (تعليقاً)" . بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٣٣ / ١ . وقد ورد مصطلح (التعليق) عند الجرجاني ويبدو أنّ د. صالح أخذ هذا المصطلح عنه، فالتعليق أو (التعلّق) - بحسب الدكتور كريم حسين الخالدي - يشمل كل العلاقات النحوية، فقد قال الجرجاني: "معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض والكلم ثلاث اسم، وفعل، وحرف، وللتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف مبهماً. دلالات الاعجاز: المقدمة. ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ الدكتور كريم حسين الخالدي قد فصل القول في مسألة التعلّق، فقد يكون التعلّق في جملة الشرط، أو قد يكون في تعلق الظرف والحروف بالافعال أو ما يشبهها، أو قد يكون تعلق اقتضاء وهذا كلّه يدخل ضمن مفهوم العامل والربط العاملي على حسب علمي القاصر، وللتفصيل أكثر، ينظر: نظرية نحو الكلام رؤية عربية أصيلة : ١٩٧ - ٢٠٥ .

(٨) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١١ .

(٩) أعني بذلك أنّ هناك علماء همين على منهجهم فكرة العامل وأنه لا بُدّ لكلّ معمول من عامل.

(١٠) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: ١٢ .

ومن مفهومات الربط العامليّ عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والتي تُمثّل مفهومات تلازم حقل العلاقات النحوية بين العامل والمعمول، والسلوك النحوي لكلٍ منهما، هي: البناء، والإجراء، والحمل:  
١- البناء:

مما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنّ مفهوم البناء الذي سنتطرق إليه هو يُخالف - أو غير - مفهوم البناء الذي يقابل الإعراب الخاص بالكلمة<sup>(١)</sup>.

فالبناء مفهوم نحوي استعمله القدماء في حقل الربط العاملي، ولاسيّما في تحليل الجمل التي تكون جملاً اسميّة أو فعليّة، بحسب توجيه علاقة الربط العاملي بين العامل والمعمول<sup>(٢)</sup>.

ويُعرّفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "البناء أنّ تجعل عنصراً لغوياً تابعاً لعنصر لغوي آخر بحيث أنهما يكونان عنصراً أوسع من مستوى أعلى ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية أي لا يمكن أن يُحذف وإن حُذف ولم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود"<sup>(٣)</sup>.

وتتشكل البنى التركيبية أو أبنية الكلام في مستوى الخطاب أو الحديث<sup>(٤)</sup>، حيث تبنى الألفاظ على بعضها بمقاييس معينة إذ إنّ البناء علاقة صورية تتمثل في ربط لفظة بلفظةٍ أخرى بتغيّر حكم كل واحدة منهما تسمى اللفظة الأولى اللفظة المبني عليها والثانية اللفظة المبنية، وتكون اللفظة المبنية تابعة للفظة الأخرى التي لا تتبع أي عنصر بل تبدأ بها الكلام وليست محمولة على أخرى ونلتمس بذلك الفرق الموجود بين البناء المتعلّق بالنظام الصوري والإسناد الذي يرجع إلى الإفادة والتبليغ<sup>(٥)</sup> مثلما يتبيّن ذلك من خلال التحديدات التي وصفها النحاة العرب للعلاقة الإسنادية فقد فرّق سيبويه بين المسند والمسند إليه بقوله: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يَغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجِدُ المُتَكَلِّمُ منه بُدْأً"<sup>(٦)</sup>، ونجد ابن يعيش يصف التركيب الإسنادي بقوله: "تركيب الإسناد أنّ تُركب إحداهما إلى الأخرى أنّه لم يُرِدْ مطلق التركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلّق بالأخرى على السبيل الذي له به يَحسُن موضع الخبر وتمام الفائدة"<sup>(٧)</sup>. فعبُدُ الله أخوك كلام مستغني، ونِمْتُ كلام مستغني أي جملة مفيدة.

أما البناء فشيء آخر غير الإسناد ويحدّده سيبويه عند عرضه لموضع الابتداء فيقول: "فالمبتدأ كلّ اسمٍ أُبتدئَ لبيني عليه كلام، والمبتدأ عليه رُفِعَ فالابتداء لا يكون إلّا بمبني عليه"<sup>(٨)</sup>.

وفي اللغة العربية توجد علاقتان بنويتان اثنتان ففي عبارة بسيطة مثل (الوقوفُ مطلوبٌ) البناء يقع بين لفظتين اسميتين، أما عبارة (قرأتُ الرسالة) يجمع البناء بين لفظة مكونة من فعلٍ وفاعل ولفظة اسمية

(١) الكلمة المعربة التي تقبل حركات الإعراب والكلمة المبنية بناءً لازماً فلا تتغير مع تغيّر موقعها الإعرابي .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٤٣، و نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه : ٧١ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٨٠، و ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٢١ .

(٤) أقصد بمستوى (الخطاب أو الحديث) هو مستوى التحليل اللغوي الذي ذكره الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة، ينظر: الفصل الثاني من هذه الأطروحة ص ( ١٨١-١٨٤ ) .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٧ .

(٦) الكتاب : ٢٣ / ٨ .

(٧) شرح المفصل : ١ / ٢٠ .

(٨) الكتاب : ٢ / ١٢٦ .

تقع في موضع المفعول الذي يُصنّف في التحليلات المعنوية المبنية على مفهوم الإسناد في عداد الفضلات المنصوبة التي تُضاف إلى معتمد الفائدة ومعتمد البيان<sup>(١)</sup>. فالفعل مُنِحَ ما يُمكنه العمل من صيغته الصرفية المتضمّنة معمولاته كافة، مجالات وعدداً؛ لذا كان العمل سمة ملازمة للأفعال، في حين مُنِحَ المبتدأ به جملةً على قصد الإنشاء والتكوين، ما يمكنه العمل من موقعه النحويّ، لا من كونه صنفاً اسمياً في صيغ الأسماء ما يمنحها القدرة على العمل، بحسب الأصل؛ لذا لم يُكنِ العمل سمة من سمات صنف الأسماء، فالمبتدأ لا يعمل لأنّه اسم، وإنّما يعمل لوقوعه في موقعٍ نحويّ خاص، هو موقع الابتداء، وعلى هذا يكون المبتدأ مفهوماً بنائياً، لا صنفياً، ولا صرفياً، في حين يكون الفعل مفهوماً صنفياً وصرفياً وبنائياً في الوقت نفسه<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ذلك ما ذكره سيبويه في باب (ما يكون فيه القَسَمُ مبنياً على الفعل قُدِّمَ أو أُخِّرَ وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم) إذ قال: "فإذا بنيت الاسم عليه قلت: ضربتُ زيداً، وهو الحدّ؛ لأنّك تُريد أن تحمل عليه الاسم كما كان الحدّ ضَرَبَ زيدٌ عمراً، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل. وكذلك هذا إذا كان يَعْمَلُ فيه، وإنّ قَدِّمْتَ الاسم فهو عربيٌّ جيّدٌ كما كان ذلك عربياً جيّداً، وذلك قولك: زيداً ضربتُ والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضَرَبَ زيدٌ عمراً وضَرَبَ عمراً زيداً. فإذا بنيت الفعل على الاسم قُلْتَ: زيد ضربته فلزمته الهاء، وإنّما تريد بقولك مبنياً عليه الفعل أنّّه في موضع منطلق إذا قلت: عبد الله منطلقٌ، فهو في موضع هذا الذي بُنيَ على الأول وارتفع به، فإنّما قُلْتَ عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء"<sup>(٣)</sup>.

فالذي يجعل كون الجملة فعلية أو اسمية هو تحديد مواقع العناصر النحوية في الجملة في ضوء علاقة الربط العاملي وتحديد جهة الربط، فإذا كانت جهته متأتية من الفعل فالجملة فعلية، وإذا كانت جهته متأتية من الاسم فالجملة اسمية<sup>(٤)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ذكر التحليل الخاص بالجملة التوليدية موازناً لإياه بما ورد عند النحاة العرب القدماء، قائلاً: "إنّ التوليديين من اللسانيين ينطلقون في تحليل الجملة مما يسمونه Noun – phrase و verb – phrase أي المركب الاسمي والمركب الفعلي وهو شبيه بالتحليل العربي إلى مسندٍ ومسندٍ إليه، إلا أنّ هذا يخص الجملة كوحدة ذات وظيفة إفادية ولا ينظر أصحابه فيه إلى بنية اللفظ في ذاته، إذ هناك بنية أخرى غير المسند والمسند إليه. ويتراءى ذلك بوضوح في تحليل الجملة الاسمية إلى مبتدأ ومبني عليه وهو تحليل على اللفظ لا على الوظيفة الإفادية؛ إذ قد يكون محل الفائدة هو المبتدأ"<sup>(٥)</sup>. ثم يُردف قائلاً: "كما يمكن أن نحمل الجملة الفعلية على الجملة الاسمية

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٦، ومبادئ في اللسانيات : ١١٢ .

(٢) ينظر: نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه : ٣١ فما بعدها .

(٣) الكتاب : ٨١ / ١ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٦، النحو في القديم والحديث : ٥٨ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٠٩ .

لنحصل بذلك على مثالٍ واحدٍ يجمعهما، وذلك باهتدائنا إلى أمرٍ مهمٍ وهو أنّ الفعل لا يُبدَأُ له من فاعلٍ ولا يتقدم هذا الأخير على فعله إطلاقاً. فيمكن أن نضع الفعل في موضع الابتداء والعوامل الأخرى التي تقوم مقامه. فيصير بذلك الفعل عاملاً والفاعل المعمول الأول له. أما المعمول الثاني فهو هنا ومن حيث اللفظ اختياري وهو المفعول به؛ لأنّه الأول في المرتبة التقديرية قبل جميع المفاعيل الأخرى<sup>(١)</sup>. فالفاعل لا يُكوّن بناءً بل لفظة من نوع خاص ليست بمنزلة اللفظة المكوّنة من حرف الجر والاسم المجرور ولكنها ليست بناءً، مع ذلك فهي في منزلةٍ وسطى بينهما؛ ذلك أنّ الفعل يُعْرَغُ ويُشْعَلُ بالفاعل فلا يَجْدُ بُدْأً منه، ولا يمكن أن يُقَدِّمَ عليه المفعول ولا يُقَدِّمَ هو أبداً على فعله، أما إذا كان ضميراً أي اسماً مضمراً فهو متصل بفعله كأنه جزء منه<sup>(٢)</sup>، فالفاعل والفاعل بمنزلة اسم واحد أي لفظة يبنى عليها أو تبنى على غيرها.

ويمكننا القول: إنّ أصغر بناء في العربية مكوّن دائماً من عنصرين هما المبني والمبني عليه، وأصغر بنية تركيبية عربية - وهي الأصل - هي المكوّنة من الاسم المبتدأ والاسم المبني عليه (أي الخبر) فهي تنقسم إذاً على موضعين: موضع المبتدأ و موضع الخبر المبني عليه.

والابتداء يعني التعرية من العوامل اللفظية، إذ إنّ المقياس في التفرقة بين اللفظة المبتدأ بها واللفظة المبنية هو دخول الأفعال والحروف الناسخة عليها وهي التي تحوّلها إلى معمول ويصير العامل والمعمول بمنزلة اسمٍ واحدٍ وتكون هذه اللفظة في موضع ابتداء<sup>(٣)</sup> مثلما هو الحال بالنسبة لـ(لا) واسمها التي يقول فيها سيبويه: "واعلم أنّ لا وما عملت فيه في موضع ابتداء كما أنّك إذا قلت هل من رجلٍ فالكلام بمنزلة اسمٍ مرفوع مبتدأ"<sup>(٤)</sup>. وكذلك الحال بالنسبة لـ(إنّ) إذ تُعَدُّ من الوسائط العاملة التي تؤدي وظيفة عاملية مساعدة، فهي تقع في ضمن الطائفة التي تقع فيها (لا) النافية للجنس؛ لأنّهما تحوّران في السمات الخاصة بالعامل الرئيس (المبتدأ)، فهما متشابهتان من حيث العمل<sup>(٥)</sup>، يقول سيبويه: "و (لا) تعمل فيما بعدها، فتتصبه بغير تتوين، ونصبها لما بعدها كنصب (إنّ) لما بعدها"<sup>(٦)</sup>، وفي قوله هذا إشارة إلى أنّ الوظيفة العاملة المساعدة لـ(لا)، لا تختلف عن الوظيفة العاملة المساعدة لـ(إنّ)؛ إذ كلّ منهما تحوّر في سمات العامل الرئيس (المبتدأ) لكنّهما يختلفان في نوع التحوير الذي تؤديه كلّ منهما، فـ(لا) تتحو بالنكرة نحو المعرفة، في حين تؤكد (إنّ) سمات العامل (المبتدأ نفسه)؛ وذلك "لأنّ معنى (إنّ زيداً مُنطلقاً)، (زيدٌ مُنطلقاً)، و (إنّ) دخلت للتوكيد، كأنّه قال: (زيدٌ مُنطلقاً)"<sup>(٧)</sup>.

فضلاً عن (أنّ) المصدرية تُعَدُّ وسيطاً عاملياً مساعداً، وظيفته العاملة المساعدة هي تحويل الجملة الفعلية إلى اسمية، لما يقتضيه العامل الرئيس في الجملة، فإذا كانت الجملة اسمية، كان عاملها الرئيس

(١) المصدر نفسه: ٣١٠ / ١ .

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢٩٨ / ١ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٧٣ / ٢ .

(٤) الكتاب: ٢٧٥ / ٢ .

(٥) ينظر: نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه: ٥٧ .

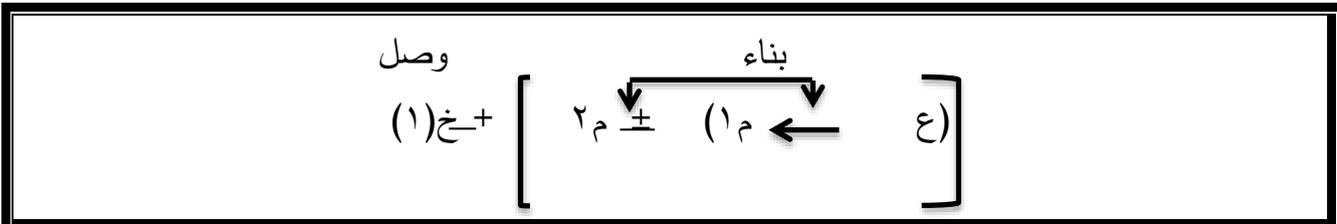
(٦) الكتاب: ٢٧٤ / ٢ .

(٧) الكتاب: ٢٧٤ / ٢ : ١٤٤ .

اسماً لا فعلاً، فإذا جيء به فعلاً، لا بُدَّ من أن يقترن بـ(أن) التي بها يصير الفعل اسماً، قال سيبويه: "هذا باب من أبواب (أن) التي تكون والفعل بمنزلة مصدر، تقول: (أن تأتيني خسر لك)؛ كأنك قلت: (الإتيان خير لك)، ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، يعني: (الصوم خير لكم)"<sup>(٢)</sup>. ويوضح الحاج صالح ما ذهب إليه سيبويه والنحاة القدماء بقوله: "حملوا التراكيب التي تتكون من لفظة فعلية (غير ناسخة) على هذا المثال واكتشفوا عند تطبيق هذه المجموعة على الأولى أن الفعل (غير الناسخ) هو بمنزلة هذه العوامل؛ لأنه يؤثر في التركيب، وأن المعمول الثاني في هذه الحالة هو المفعول به. وأثبتوا أيضاً أن موضع م ١ وم ٢ يمكن أيضاً أن تحتلها كلمة واحدة أو لفظة بل وتركيب وذلك مثل:

٣	٢	١
خير لكم	أن تصوموا	∅

فيتبين بهذا أن العناصر التركيبية هي عناصر خاصة مجردة. كما أن هناك عناصر أخرى (تدخل وتخرج) علاقتها بغيرها علاقة وصل - على هذه النواة التركيبية وهي زوائد مخصصة كالمفاعيل الأخرى والحال وغيرها - رمزه: خ - ويمكن أن نُمثِّل للعلاقات القائمة بين هذه الوحدات التركيبية بهذه الصيغة:



ثم ينطلق النحاة من جديد من هذه الصيغ الأصلية للنظر في ظاهرة التداخل ويسمونه بالتكرار أو الإطالة"<sup>(٣)</sup>. مما تقدّم يتبين أنه (أن) و(أن) تُعدُّ عوامل مساعدة ينصب عملها على المبتدأ لتحوّر في سماته، فضلاً عن أنهما تقعان في ضمن الحروف المصدرية أو الموصلات الحرفية<sup>(٤)</sup>؛ وذلك بناءً على الوظيفة العامليّة الجامعة بينهما، "وهي أنهما يحولان مقولة نحويّة لا تصلح لأن يعمل فيها عاملٌ رئيس، إلى مقولة نحويّة صالحّة لذلك، وقد وُصِفَت هذه الوظيفة بـ(السبك)"<sup>(٥)</sup>، فالسبك هو تحويل الحرف المصدرية المقولة

(١) سورة البقرة: من الآية (١٨٤).

(٢) الكتاب: ١٥٣ / ٣.

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١ / ٢٢٣ فما بعدها وينظر: ٩٠ / ٢.

(٤) ينظر: الجني الداني في حروف المعاني: ٢١٦ و ٤٠٢، ومعنى اللبيب: ١ / ٢٧ و ٤٠.

(٥) نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه: ٤٧.

الفعلية إلى مقولة اسمية إذ " إنَّ أهمَّ وظائف الحرف المصدرية، أنَّ يُوقع الجملة موقع المفرد، ثمَّ إنَّ الحرف المصدرية يجعل ما بعده في حكم المصدر" (١).

ويذكر الدكتور الحاج صالح المقياس الذي به تُفرّق بين المفعول به المبني والعناصر الأخرى التي يعمل فيها الفعل فينصبها مثل الحال والمفعولات الأخرى، فهو إمكانية تحويل المفعول به إلى مبتدأ مع الحفاظ على معنى المفعولية (٢) فنقول - مثلاً -: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) و(عمر ضَرَبَهُ زَيْدٌ) وكلاهما عربي صحيح وفصيح، وقد ذكر سيبويه هذا المقياس في باب " ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل فُدم أو أُخِر، وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم.. فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: (زَيْدٌ ضَرَبْتُهُ) فلزمته الهاء. وإنَّما تُريد بقولك مبنياً عليه الفعلُ أنَّه في موضع (منطلق) إذا قلت: (عبدُ الله منطلق)، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول وارتفع به، فإنَّما قلت: (عبدُ الله) فنسبته له ثمَّ بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء... وإنَّ شئت قلت: (زيداً ضربته)، وإنَّما نصبه على إضمار فعلٍ هذا تفسيره، كأنك قلت: (ضربتُ زيداً ضربته)، إلا أنَّهم لا يُظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره. فالاسمُ هاهنا مبنياً على هذا المضمرة" (٣).

فكثيراً ما يدور في كلام سيبويه (بناء الشيء على الشيء) و قد فسره السيرافي فقال: " إذا قال: (بنيتُ الاسم على الفعل) فمعناه أنَّك جعلتَ الفعل عاملاً في الاسم، كقولك: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا)، ف(زيد) و(عمرو) مبنيان على الفعل فُدم أو أُخِر، وإذا قال لك: (بنيتُ الفعل على الاسم)، فمعناه أنَّك لو جعلتَ الفعل وما يتصل به خَبراً عن الاسم، وجعلتَ الاسم مبتدأ، كقولك: (زيدٌ ضربته) ف(زيد) مبنياً عليه، و(ضربته) مبنياً على الاسم" (٤).

ومن أمثلته (٥):

- |                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| ١- زيدٌ ضربته       | الرفع أجود.        |
| زيداً ضربته         | النصب عربيٌّ كثير. |
| ٢- زيدٌ مررتُ به    | الرفع أجود.        |
| زيداً مررتُ به      | النصب أبعد.        |
| ٣- زيدٌ لقيتُ أخاه  | الرفع أحسن وأجود.  |
| زيداً لقيتُ أخاه    | جائز.              |
| ٤- أيُّهم تره يأتك. |                    |
| أيُّهم تر يأتك.     |                    |

(١) معاني النحو، د.فاضل السامرائي: ٣١٩ / ١.

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٣١١ / ١.

(٣) الكتاب: ٨٠ / ١.

(٤) شرح الكتاب لسيرافي: ١٢٧/٢.

(٥) ينظر: الكتاب: ٨٠ / ١ - ٨٤، ومنهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: ٣٠٨.

أما بقية العناصر الأخرى كالحال والتمييز والأسماء المنصوبة فهي مخصصات تضاف إلى البناء، إذ لا نستطيع أن نفعّل بها ما فعلناه بالمفعول به فهي زيادات على الألفاظ التي يبني بها الكلام، وهناك شيان فقط يمكن أن نقدمهما على الفعل هما: المفعول به - كما سبق - والظرف الذي يتوسع فيه ويؤخر ويمكن أن يقوم مقام الألفاظ التي يبني بها الكلام<sup>(١)</sup>. وقد ذكر صاحب الكتاب هذه المسألة - أي عندما يكون المبني عليه ظرفاً - في باب " ما يجري مما يكون (ظرفاً هذا المجرى وذلك قولك: (يومُ الجمعة ألقاك فيه)، و(أقلُّ يومٍ لا ألقاك فيه)،... و(مكأنكم قمتم فيه)، فصارت هذه الأحرف ترتفع بالابتداء كارتفاع عبد الله، وصار ما بعدها مبنياً عليها كبناء الفعل على الاسم الأول، فكأنك قلت: (يومُ الجمعة مباركٌ)، و(مكأنكم حسنٌ)، وصار الفعل في موضع هذا"<sup>(٢)</sup>.  
ومن أمثلته<sup>(٣)</sup>:

١- يوم الجمعة ألقاك فيه.

النصب على الظرف أو على الفعل نفسه. يوم الجمعة ألقاك فيه

٢- يومُ الجمعة صُمتُهُ

النصب على الظرف أو على الفعل نفسه. يومُ الجمعة صُمتُهُ

ولعلَّ الجدول الذي قدّمه الدكتور عبد الرحمن يوضّح أكثر هذه المفاهيم وهو خاص بالبناء الذي

يُبنى فيه الخبر على المبتدأ<sup>(٤)</sup>:

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣١١ فما بعدها .

(٢) الكتاب : ١ / ٨٤ - ٨٨ .

(٣) ينظر: الكتاب، ومنهج كتاب سيوييه في التقويم النحوي : ٣٠٩ .

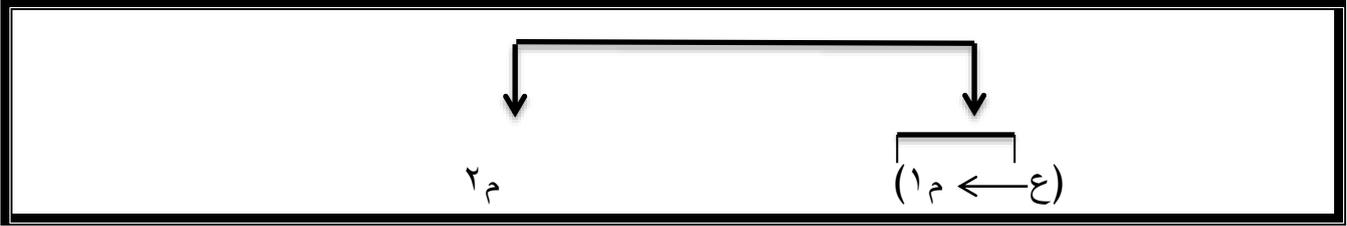
(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٣ .

أقل ما يبني من الألفاظ

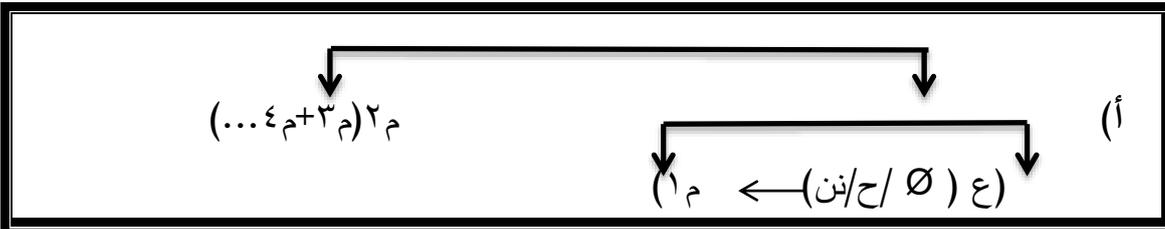
الفاظ تابعة ثانوية	اللفظة التابعة			اللفظة المبتدأ			موضع عامل الاسم		
	موضع المعني على المبتدأ	موضع الاسم المبتدأ	موضع عامل الاسم	أداة التعريف	الاسم	الإعراب	حروف الإبتداء	إثبات	العامل
	منطلق	-	∅	ال	رجل	-	∅	∅	∅
	منطلق	-	هو	ن	زيد	-	∅	∅	ا
	هذا	-	هو	زيد	كتاب	-	∅	ما	ا
أمس	الدار	-	في	←	أنا (انت، أنت، هو الخ)	→	∅	ظل	
هنا	منطلق	-	ب	ن	زيد	→	∅	ما	∅
في الدار	الدار	∅	في	-	رجل	ال	∅	كان	
	ساكنة	-	∅	خالك	بنيت	-	ا	ما	زالت
	موجودا	-	∅	ك	أخ	-	ا	لم	يكن
	ههنا	-	∅	←	[هو]	→	∅	ظل	لو
	متادبا	∅	∅	←	[انت]	→	∅	تكن	لو
	منطلق	-	∅	-	رجل	ال	←	إن	→
	الدار	هو	في	زيد	كتاب	-	←	لعل	→
البيوم	معكم	∅	∅	-	رجل	ال	لو	إن	
عنا	نازلا	-	∅	ن	زيد	-	إن	∅	كان
	منطلقين	-	∅	←	ونوا	→	إن	لم	تكن
	منطلق	-	-	←		→	إن		
	منطلقا	-	-	-	رجل	ال	∅	ليس	
	العنطلق	-	أنا	←	ت	→	∅	∅	
	رجل	-	-	-	[في الدار]	-	∅	∅	∅

وقد أوجز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في اللغة العربية في رسم بياني، إذ قال: إن أصغر ما يبني منه الكلام يتكون دائماً من عامل (ع) ومعمول أول (م) ثم معمول ثانٍ (م). يكون

العامل والمعمول الأول اللفظة المبني عليها التي يبتدئ بها الكلام أما المعمول الثاني فيشغل موضع اللفظة المبنية<sup>(١)</sup>.



وقد اختصر الحاج صالح كل البنى اللغوية الممكنة في هاتين الصيغتين الصورتين<sup>(٢)</sup>:



ففي النقطة (أ) تعني الصيغة التي تُحوّل عندما نحذف كل الزوائد والفضلات إلى الأصل للبناء التركيبي هو المبتدأ والخبر.

وفي النقطة (ب) يُبين أنه يمكن أن يدخل على هذه الصيغة عدداً كبيراً من العناصر المخصصة - بين ع(ف) وم١، ونجد أن الطرف من بينها هو أكثر العناصر توسعاً؛ لأنه ينتقل بكل حرية داخل البناء التركيبي - وفي النموذج التالي نجد الحاج صالح يُطبّق هذه الفقرة<sup>(٣)</sup>.

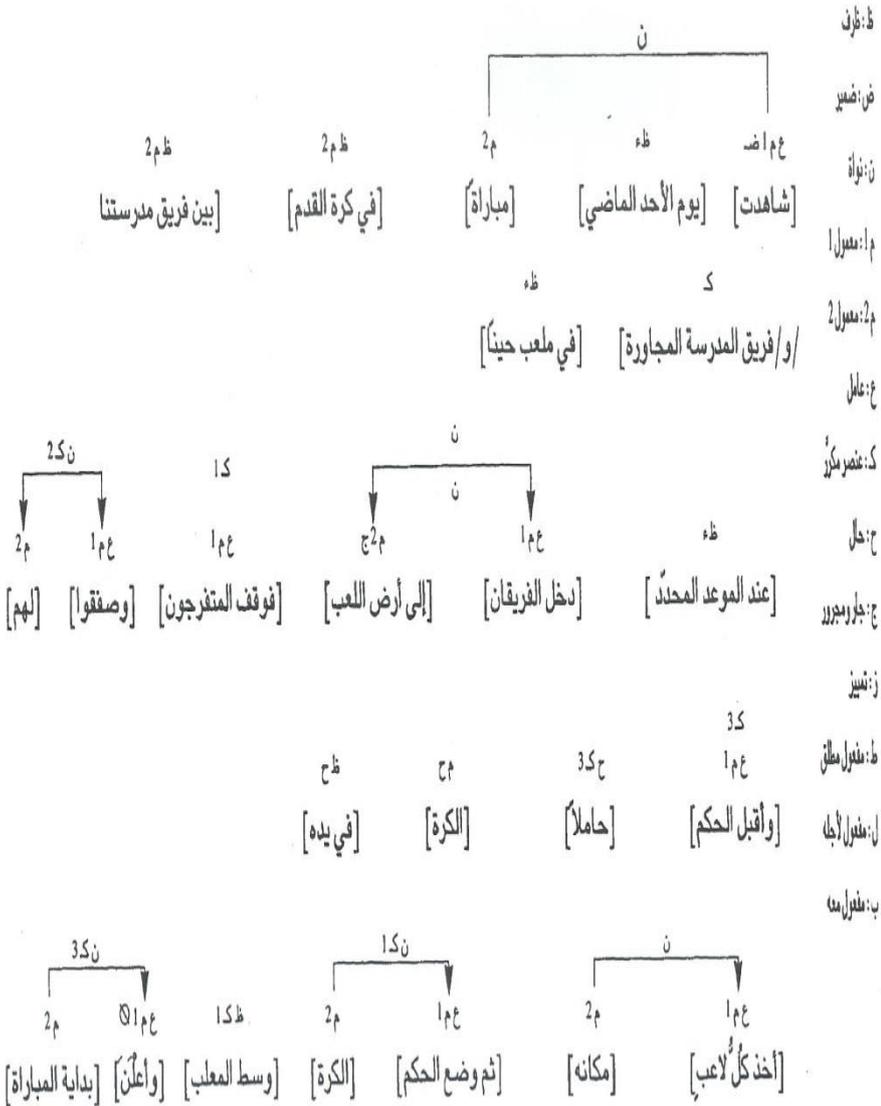
(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٥٤ .

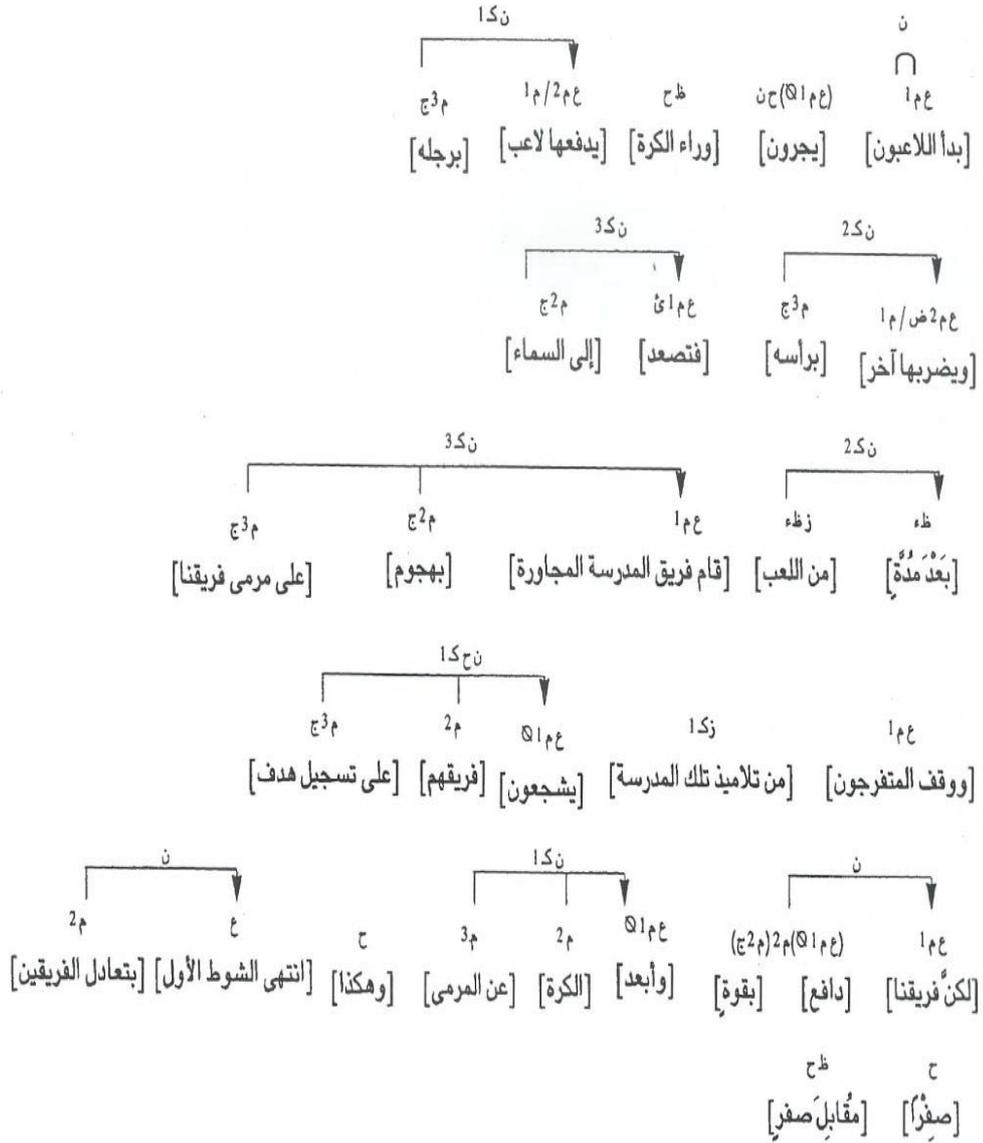
(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها . الرموز تعني: (ع) عامل، (∅) الابتداء المطلق التعري من العوامل، (ف) فعل، (ن) ناسخ، (ح) حرف.

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٠، ومبادئ في اللسانيات : ١٤٨ فما بعدها .

النص: مباراة في كرة القدم

نموذج في التحليل النحوي البنوي (ع. الحاج صالح)





هذا هو الاستعمال الغالب لمفهوم البناء عند الحاج صالح، وكيف أنه حاول تأصيله عند النحاة - ولاسيما سيبويه - القدماء، فضلاً عن محاولته لبيان علاقة الربط العملي بين العامل والمعمول، وشرحها في الجمل الصالحة لأن تكون فعلية أو اسمية.

## ٢- الحمل:

من المفهومات التي استعملها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في حقل الربط العملي مفهوم الحمل؛ فهو من المفهومات التي تُشير إلى علاقة الربط العملي بين العامل والمعمول، والحمل - في أبسط تعريفاته - هو قياس أمرٍ على آخر، وإعطائه حكمه<sup>(١)</sup>، وتنضوي تحت لفظة الحمل ضروبٌ مختلفةٌ مما يدخل ضمن هذه التسمية، منها: الحمل على المعنى، الحمل على اللفظ، الحمل على الموضع، الحمل على المحل، حَمَل الضد على الضد، حمل الأصل على الفرع، حمل الفرع على الأصل، حمل النظير على النظير، وغيرها<sup>(٢)</sup> من المصطلحات والقواعد التي تخص (الحمل) لمفهومه العام والخاص .

ومن أنواع الحمل التي مثل لها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في ضوء الربط العملي (الحمل على الموضع)، إذ أفرد بحثاً سماه بـ(أقائمٌ أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال)، بيّن فيه أنّ النحاة العرب القدماء قد نبّهوا على علاقة الربط العملي وذلك في ضمن مفهوم (الحمل على الموضع) من خلال هذه المسألة، فكثير من النحويين يعتمدون في تفسيرهم للقواعد النحوية على مفهوم (الموضع)<sup>(٣)</sup>، فله - أي الموضع - أهمية كبيرة في تفسير بنية اللغة.

فقد يكون الكلام محمولاً على الموضع أو على المعنى وله شواهد كثيرة<sup>(٤)</sup>، والحمل على الموضع يكون في تابع ما له لفظ وموضع كقولنا: ليس زيدٌ بقائمٍ ولا قاعداً، فقد حملنا (قاعداً) على موضع (بقائمٍ)؛ لأنها - أي الكلمة - في موضع نصب لكونها خبر ليس<sup>(٥)</sup>.

ولابدُّ من الإشارة إلى أنّه هناك خلط بين مصطلحي (الحمل على الموضع) و(الحمل على المحل)، فالحمل على الموضع ذكرناه أعلاه، أما (الحمل على المحل) فيقصد به: أن يكون في تابع ما له محل من الإعراب كالمبينات، كقولنا: جاء هؤلاء الطلابُ فقد حملنا (الطلابُ) على محل هؤلاء فرفعناها؛ لأنّ (هؤلاء) رُفِع على الفاعلية ولا يجوز في التابع إلا الحمل على المحلّ بخلاف الإعراب الموضعي الذي يجوز فيه الحمل على اللفظ وعلى الموضع؛ لأنّ له لفظاً وموضعاً. أما المعرب إعراباً محلياً، فليس فيه سوى المحل الذي هو وقوع الكلمة المبنية أو الجملة موقع الكلمة المعربة وحلولها محلّها<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : ٢٩١ / ١ .

(٢) للتفصيل أكثر في مصطلحات وقواعد الحمل ينظر: الأشباه والنظائر في النحو : ١٩٠ - ١٩٧، والاقتراح في علم أصول النحو : ٤٢ - ٤٤، ومن الدراسات الحديثة ينظر: الحمل على المعنى في العربية، د. علي عبد الله العنكي، بغداد، ط١، ٢٠١٢م، إذ فصل الحديث في ضروب الحمل فضلاً عن قواعده .

(٣) وفتت عند مفهوم الموضع في النظرية الخليلية الحديثة، ينظر: ص(١٢٧ - ١٣١) من الأطروحة .

(٤) ينظر: الكتاب : ٣٣ / ١ - ٣٤، والخصائص : ٣ / ٣٦٤، والنكت في تفسير كتاب سيبويه : ٩٥ / ١، وشرح المفصل : ٦٥ / ٦ .

(٥) ينظر: الحمل على المعنى في العربية : ٥٩ .

(٦) ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : ٢٩١ / ١، والحمل على المعنى في العربية : ٥٩ .

وقد خلط النحويون بين هذين المصطلحين، ولم يُميّز بعضهم بينهما، ووجدنا النحويين المُتقدِّمين قد استعملوا مصطلح الحمل على الموضع<sup>(١)</sup> بدلالته الصحيحة فنجد سيبويه - على سبيل المثال - يشرح علاقة الربط العاملية ويبيّن أبعادا في هذا النص: " هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل فُدم أو أُجر، وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم، فإذا بنيت الاسم عليه قُلْتَ: (ضَرَبْتُ زَيْداً)، وهو الحدُّ؛ لِأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُعْمَلَهُ، وَتَحْمَلَ عَلَيْهِ الاسم؛ كما كان الحدُّ (ضَرَبَ زَيْدٌ عمراً)، حيث كان زيدٌ أوَّلَ ما تَشَعَّلُ به الفعل"<sup>(٢)</sup>.

فالمقصود بالحمل في هذا النص هو تأشير علاقة الربط العاملية بين الفعل ومعموله، ف(زيد) محمولٌ على الفعل (ضربت) مفعولاً به، في قولنا: (ضربتُ زيداً)؛ كما هو محمول على الفعل (ضرب) فاعلاً، في قولنا: (ضربَ زيدٌ عمراً)، فحمل (زيد) على الفعل، يعني ارتباطه به في علاقة الربط العاملية.

في حين استعمل المتأخرون من النحويين مصطلح الحمل على المحل<sup>(٣)</sup> بدلاً منه، وهناك من استعمل المصطلحين كليهما وكأتهما مصطلحان مترادفان<sup>(٤)</sup> يؤدي أحدهما معنى الآخر.

وعلى الرغم من ورود مصطلح وقواعد (الحمل على الموضع) عند الرعيّل الأول من النحاة، إلا أنّهم لم يولوه اهتماماً كما أولوا غيره من الموضوعات النحوية من حيث التبويب والنقيد فجاء متفرقاً في زوايا الكتب، ولعلّ ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن هشام هم أكثر مَنْ عُنِيَ بهذا الموضوع ووضع له شروطاً وإن كانت هذه الشروط خاصة بالعطف على الموضع فلم نجد شروطاً للحمل في التوابع الأخرى كالنعت والبدل والتوكيد ولعلّ السبب في ذلك هو أنّ الحمل على الموضع أكثر ما يأتي في العطف والوصف، كما ذكر أبو البركات الأنباري<sup>(٥)</sup>، وأنّ هذه الشروط يمكن أن تنطبق على التوابع الأخرى .

ونعود الآن إلى الحديث عن الحمل على الموضع في مسألة (أقائم أخواك) التي وردت عند النحويين القدماء، وكيف ناقشها الدكتور الحاج صالح ضمن مفاهيم الربط العاملية بين العامل والمعمول وذلك بالاعتماد على (الحمل على الموضع)، فقد جاء في كتاب سيبويه: " زعم الخليل (رحمه الله) أنّه يستقبح أن يقول: (قائمٌ زيدٌ)، وذلك إذا لم تجعل قائماً مبنياً على المبتدأ... فإذا لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلاً كقوله: يقوم زيد وقام زيد قَبِيحٌ لأنّه اسم. وإتّما حَسَنٌ عندهم أن يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمِلَ فيه، كما أنّه لا يكون مفعولاً في (ضارب) حتى يكون محمولاً على غيره، فيقول: (هذا ضاربٌ زيداً)... ولا يكون (ضاربٌ زيداً) على (ضربتُ زيداً). فكما لم يُجْزُ هذا، كذلك استقبحوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: على سبيل المثال : الكتاب : ١ / ٣٣ و ٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ / ٨٧ و ٩٦ ، والمفقتضب : ٣ / ٢٨١ ، وسر صناعة الإعراب : ١ / ١٤٧ ، والخصائص : ٢ / ٣٤١ ، والنكت في تفسير كتاب سيبويه : ١ / ٩٦ .

(٢) الكتاب : ١ / ٨٠ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال : الكشاف، للزمخشري : ١ / ٢٠٩ و ٤ / ٥٤٤ ، ومغني اللبيب : ٢ / ٤٢٣ و ٤٧٣ و ٤٧٤ .

(٤) ممن استعمل المصطلحين بمعنى واحد الأشموني الذي استعمل المصطلح الأول في شرحه لألفية ابن مالك : ٢ / ١٣٩ و ٤ / ٤٥ ، واستعمل المصطلح الثاني في شرحه : ٢ / ٤٧٦ .

(٥) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة: ١٩٧٠م : ١ / ١٣١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٣٥ .

(٦) الكتاب : ١ / ٢٧٨ .

ذكر سيبويه في النص السابق المواضع التي يحسن مجيء الصفة العاملة عمل الفعل فيها إلا موضعاً واحداً وهو أهمها: أي موضع الفعل، وذلك عند كلامه في مواضع الاسم التي يمكن أن يقع فيها الفعل وخاصة المضارع لِيُبَيِّنَ علة رفعه، فقال: "اعلم أنّها إذا كانت في موضع اسم مبتدأ فأما كان في موضع مبتدأ فقولك: (يقول زيدُ ذلك)... ومن ذلك أيضاً: (هَلَّا يقول زيدُ ذلك) (فيقول) في موضع ابتداء"<sup>(١)</sup>. في النص السابق يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ كلام سيبويه فيه شيء من الغموض؛ وذلك بسبب استعمال سيبويه لعبارة (موضع مبتدأ)، فنتج عن ذلك أن التيسر الأمر على كل من جاء بعده، فاعتقدوا أنّ سيبويه أراد بهذا الموضع الاسم الذي يعمل فيه الابتداء<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن السراج في المسألة نفسها وتبعه أصحابه في ذلك<sup>(٣)</sup>: "وحسن عندهم أقانمُ أبواك وأخارج أخواك تشبيهاً بهذا إذا اعتمد قائم على شيء قبله... فإذا قلت: أقانمُ أبواك، فقائم مرتفع بالابتداء، وأبواك رُفِعَ بفعلها وهما قد سدّ مسدّ الخبر"<sup>(٤)</sup>. ففي النص السابق يتبادر إلى الذهن سؤال، هو: من أين لابن السراج ومن تبعه هذا التفسير؟. الإجابة عن هذا السؤال توجد في كتاب (الأصول لابن السراج)، فقد ذكر أقوال الأَخْفَش - تلميذ سيبويه - في هذه المسألة. قال: "قال الأَخْفَش: أقول: (إنّ في الدار جالساً أخواك) فانصب جالساً بأنّ وارفَعَ الأخوين بفعلها واستغنى بهما عن خبر إنّ، كما أقول: (أذهبُ أخواك) فأرفع أذهب بالابتداء وأخواك بفعلها واستغنى بهما عن خبر الابتداء؛ لأنّ خبر الابتداء جيء به ليتم الكلام... وتقول: (إنّ فيها قائماً أخواك)، وإنّ شئت (قائمين أخواك) فتتصب أخويك بأن وقائمين على الحال وفيها خبر إنّ وهو خبر مقدّم... وأجاز الفراء: إن قائماً الزيدان وإن قائماً الزيدون على معنى: إن من قام الزيدان..."<sup>(٥)</sup>.

يُناقش الحاج صالح رأي الأَخْفَش - الذي ذكره ابن السراج - بقوله: "يظهر أنّ الأَخْفَش فهم من عبارة سيبويه (في موضع اسم مبتدأ أو موضع مبتدأ) أنّ اسم الفاعل العامل عمل فعله هو مبتدأ، أي حصل في موضع المعمول العاري عن العوامل اللفظية؛ لأنّ كونه مرفوعاً يقتضي أنّ يكون له رافع وهو يرى - خلافاً لسيبويه - أنّ الرفع لـ (قائم) هو الابتداء وكونه يعمل عمل فعله جعل المجموع من قائم وفاعله يستغني عن الخبر، لأنّه كلام تام"<sup>(٦)</sup>. فضلاً عن أنّه - الحاج صالح - يرى أنّ هذا التأويل ضعيف مستدلاً على ذلك بما ميّزه الرضي الاسترادي وقبلة ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) بين المبتدأ الذي يلزمه خبر وهذا الذي يُسميه مبتدأ أيضاً لكن من نوع آخر<sup>(٧)</sup>. يقول الرضي: "وهذا ليس بشيء بل لم يكن لهذا المبتدأ أصل من خبر حتى يحذف ويسدّ غيره مسده ولو تكلفت تقدير خبر لم يتأت، إذ هو في المعنى كالفعل والفعل لا خبر له.

(١) المصدر نفسه : ١ / ٤٠٩ فما بعدها .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٧ / ٢ .

(٣) على سبيل المثال : أبي علي الفارسي في الإيضاح : ١ / ٣٤ فما بعدها .

(٤) الأصول في النحو: ١ / ٣٢ - ٣٣ .

(٥) المصدر نفسه : ١ / ٢٨٦ فما بعدها .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨ / ٢ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨ / ٢ . سائبين في الصفحات القادمة ما قصده الحاج صالح بقوله: (مبتدأ من نوع آخر).

فمن ثمَّ تمَّ بفاعله كلاماً... ولهذا أيضاً لا يُصعَّر ولا يُوصف ولا يُعرَّف ولا يُثنَّى ولا يُجمع إلا على لغة أكلوني البراغيث<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً: "فهذه كُلهَا مبتدآت لا أخبار لها لما فيها من معنى الفعل، ولا يدخل نواسخ المبتدأ عليها لما فيها من معنى النفي فيلزم الصدر... ويجوز عند الأخفش والفراء: (إن قائماً الزيدان) وسوَّغ الكوفيون هذا الاستعمال في (ظنّ) أيضاً نحو: (ظننتُ قائماً الزيدان)، وكلاهما بعيدٌ عن القياس؛ لأنَّ الصفة لا تصير فاعلها جملة كالفعل إلا مع دخول معنى يناسب الفعل عليها كمعنى النفي أو الاستقهام أو دخول ما لا يُبدَّ من تقديرها فعلاً بعده كاللام الموصولة. وأما إنَّ وظنَّ فليستا من ذينك في شيء بل هما يطلبان الاسمية فلا يصح تقديرها فعلاً بعدهما"<sup>(٢)</sup>.

ف نجد أنَّ الرضي الاستريادي يصل إلى المعاني الدقيقة العلمية والعميقة، فقد استعمل سيبويه كلمة (مبتدأ) بمعنى ما يُوضع في أول الجملة من اسم، أو فعل، فوصف الفعل بأنه مبتدأ، أي: موضوع في أول الكلام، فقال: "فكما لم يجز هذا؛ كذلك استقبحوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ"<sup>(٣)</sup>. فالمبتدأ في تصور سيبويه والرضي وسبقه ابن الحاجب عنصر عامليٌّ دائماً في الربط العاملي، ولا يكون معمولاً بحالٍ من الأحوال، مادام مبتدأ: عاملاً، فحاله من هذه الناحية كحال الفعل، الذي لا يكون إلا عاملاً أبداً، فسيبويه لا يقبل أن يكون عنصرٌ نحويٌّ عاملاً ومعمولاً في الوقت نفسه، مما يؤكد نظرة سيبويه والرضي - من القدماء - والحاج صالح - من المحدثين - البنائية للعامل، فضلاً عن الوظيفية لمضمون عمله النحوي، فالعامل هو العنصر المسؤول عن تكوين الجملة وبنائها، وهذه الوظيفة التي يؤديها في الجملة هي مضمون عمله؛ فلا بُدَّ أن ينماز العنصر العاملي من العنصر المعمولي، فلا يكون أحدهما هذا وذاك في الوقت نفسه.

وقد برهن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على صحة ما ذهب إليه سيبويه والرضي الاستريادي يقول: "أما فيما يخص كلام سيبويه فلم يذكر الأخفش ومن تبعه في ذلك أن عبارة الكتاب: (في موضع اسم مبتدأ) هي مساوية لـ (في موضع الفعل المبتدأ)، فالفعل المبتدأ هو الفعل الذي وقع في موضعه الأصلي (إذ قد يقع في موضع الاسم) أي موضع العامل في الاسم غير الجار وهو الفعل والنواسخ والابتداء، والدليل على ذلك أن سيبويه قال بالنص الصريح أن اسم الفاعل هنا في موضع ابتداء. ثم إنَّه يُسمي كل ما يُعطي هذا الموضع مبتدأ، وذلك مثل الفعل كما قلنا... وقال عن (إنَّ) إنَّها لا تكون إلا مبتدأة. فالاسم المبتدأ ليس عنده هاهنا الاسم الذي عمل فيه الابتداء كما فهمه الأخفش، بل الاسم الذي يقع في موضع الابتداء نفسه الذي هو موضع العامل في الاسم؛ لأنَّه يعمل عمل الفعل تماماً، ويتم به الكلام ويقوم مقامه في موضعه وليس في موضع الذي يعمل فيه الابتداء، والدليل على ذلك ينحصر في هاتين الحقيقتين:

(١) شرح كافية ابن الحاجب : ١ / ١٩٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٩٩ .

(٣) الكتاب :

١- لا يتصرف اسم الفاعل - هنا فقط - تصريف الاسم (التعريف والتصريف والتثنية والجمع والوصف).  
 ٢- لا يمكن أن يُحذف في هذه الحالة الفاعل وغيره مما يعمل فيه، هذا أو ذاك في الصفة العاملة عمل الفعل في غير هذا الموضع: يُقال: هُنَّ حوَّاجٌ بيَّتَ اللهُ بالنصب<sup>(١)</sup>، والصفة العاملة هنا في موضع خبر (معمول ٢)، كما يجوز حذف الصفة فاعلاً أو مفعولاً في غير موضع العامل: يجوز (مررتُ برجلٍ ضاربٍ أخوه عمراً)، و(برجلٍ ضاربٍ) وهذا متعذر إذا جاءت الصفة العاملة في موضع العامل فلا يحذف الفاعل؛ لأنَّه به يتم الكلام<sup>(٢)</sup>.

وقد مثَّل الحاج صالح لما ذكره بجدول توضيحي<sup>(٣)</sup>:

ص	ع	م ١	م ٢	خ
موضع الصدّاق	موضع العامل	موضع المعمول ١	موضع المعمول ٢	موضع المخصّص
/أ/ ما...	يقومُ	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
.... أ	قائمٌ	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
— ما	قائم	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
/أ/ ما...	يضربُ	أخواك	عمراً	الآن/هنا/راكبين
— أ/ ما	ضاربٌ	أخواك	عمراً	الآن/هنا/راكبين
/أ/ ما...	ضَرَبَ	أخواك	عمراً	الآن/هنا/راكبين
/أ/ ما	كان	أخواك	قائمين	الآن/هنا/—
— إنّ —	—	أخويك	قائمان	الآن/هنا/—
←—————→		النواة	← الزوائد	

فنلاحظ في الجدول أعلاه ما يأتي<sup>(٤)</sup>:

- ١- (∅) هي علامة الخلو في الموضع. فالفعل جاء في موضعه الأصلي أي موضع العامل فلا يحتاج بالضرورة إلى دخول أي شيء عليه مما له الصدارة بخلاف الصفة.
- ٢- (إنّ) تغطي موضع العامل وماله الصدارة (لا يتقدم عليها شيء) فهي عامل؛ ولهذا لا يمكن أن تعمل في الصفة العاملة؛ لأنَّ هذه الصفة قد حلت محلَّ العامل.

(١) الكتاب : ٥٧ / ١ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٩ / ٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٠ / ٢ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢١ / ٢ .

٣- حمل الصفة على الفعل يجعلها فرعاً عليه. وهذا القياس ينتج منه مثال - وهو هذا الجدول - وهو منظومة أو نسق من المواضع بالمعنى السابق.

فمن خلال هذا الرسم التوضيحي تتضح الأهمية الكبيرة للموضع فضلاً عن الأهمية العملية الاستنباطية التي هي القياس التمثيلي (الحمل على الموضع)، فيستحيل في هذا القياس الممثل بهذا الرسم أن تدخل (إن) أو (ظننتُ) على (أقائم أخواك)، وسيبويه مع الرضي هم الذين تتبها إلى ذلك. أما إعراب هذه الصفة، فراجع إلى أصلها وهي الاسمية، وكونها في موضع الفعل لا يمنعها من هاتين الميزتين الاسميتين: دخول التثوين والإعراب. ويمكن أن تكون مجرورة، مثل: غير قائم أخواك، أو مرفوعة لتجردها وجوباً من العامل اللفظي رافعاً أو ناصباً إذ هي في موضعها - ولا يدخل عامل على عامل - وفي نفس الوقت لتجردها من الجار<sup>(١)</sup>. وهذا يفسر أيضاً أن سيبويه يجعل عامل الرفع في الفعل المضارع وقوعه في موضع الاسم، وهذا الاسم في كلام سيبويه هو الصفة - لا أي اسم - فلا يمكن أن يقال: إن تجرده من الناصب والجازم هو عامل الرفع فيه؛ لأن ما يعمل في الاسم - وهو هنا التجرد - لا يعمل في الفعل<sup>(٢)</sup>. مما تقدّم يتبين لنا أن مفهوم الحمل من مفهومات الربط العاملي، وهذا ما حاول الحاج صالح إثباته عن طريق التأصيل لهذا المفهوم عند النحويين العرب القدماء، فقد كان النحاة العرب ينطلقون من اللفظ في ظاهره، ويحملون هذا النحو على ذلك، أي يجعلون الأنحاء الكثيرة من تلك التي تنتمي إلى باب واحد، بعضها بإزاء بعض حتى يظهر الترتيب والنظم، وهذا الحمل هو من قبيل العمليات الرياضية.

### ٣- الإجراء:

الإجراء من مفهومات الربط العاملي عند النحويين القدماء وقد أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إليها من منطلق استعمال سيبويه لها في وصف السلوك العاملي والسلوك المعمولي، الذي يطراً على طائفة من التراكيب النحوية، فتظهر بذلك علاقات ربط عامليّة، فهو - إذاً - من المفهومات المستعملة في حقل الربط العاملي.

فقد يأتي الإجراء عند النحويين العرب - ولاسيما سيبويه - وصفاً للسلوك المعمولي للأصناف النحويّة التي تقع معمولات، أي: وصفاً للحياة التي ترتبط بها مع العامل<sup>(٣)</sup>، قال سيبويه: "هذا باب ما يجري على الموضع، لا على الاسم الذي قبله، وذلك قولك: (لَيْسَ رَيْدٌ بَجَبَانٍ، وَلَا بَخِيلًا) و(ما زيد بأخيك ولا صاحبك)، والوجه فيه الجر؛ لأنك تريد أن تُشرك بين الخبرين، وليس يُنْقَضُ إحرأوه عليك المعنى، وأن يكون آخره على أوّله أولى؛ ليكون حالهما في الباء سواءً كحالهما في غير الباء، مع قربه منه، وقد حملهم قُرْبُ الجوار على أن جَرُوا: (هَذَا جُرُ ضِبِّ حَرْبٍ)، فكيف ما يصبُحُ معناه"<sup>(٤)</sup>. يُعلق الدكتور الحاج صالح على نص سيبويه بقوله: "أي الأصل والقياس النحوي يُوجب الجر، ولكن الاستعمال الحقيقي (السماع) جاء منه ما

(١) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) ينظر: الكتاب : ١ / ٤٠٩ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٠٢ .

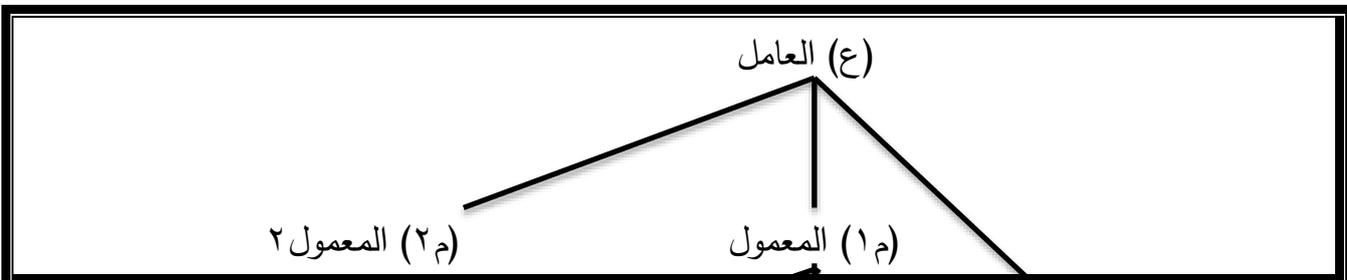
(٤) الكتاب : ١ / ٦٦ فما بعدها .

يُخالف ذلك، وإذا كَثُر صار أصلاً آخر<sup>(١)</sup>، ثم يُردف قائلاً: "وقد يتفق أن يمتنع هذا الإجراء أولاً لعدم وجوده في الاستعمال؛ ثم لأنه يُخل باللغة مثل قوله:... (ما زيد على قومنا ولا عندنا، كان النصب ليس غير، ولا يجوز حمله على ما؛ لأنَّ عندنا لا تستعمل إلا ظرفاً)"<sup>(٢)</sup>.

ف(بخيلاً) جرت على عاملها في علاقة ربط تجاوزت حالة المعمول الأول الذي جرى على عامله بوساطة حرف الجرّ الزائد، إلى الارتباط المباشر الذي لا يخضع لوساطة حرف الجرّ الزائد، كما جرى (حَرِبَ) على عامله في هيئة خالف بها أصل ارتباطه به إذ إنه أخذ حالة الجرّ من المجرور لا من المرتبط به، " فهذا سلوك نحوي للمعمولات، من حيث الهيئة التي ترتبط بها بالعامل، وقد وُصِفَ هذا السلوك بالإجراء"<sup>(٣)</sup>.

**خلاصة القول:** إنَّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد وظَّف مفهومات الربط العاملية من خلال فهمه للعامل النحوي ونظرية العمل العربية فهماً صحيحاً، إذ كانت عنايته به موجهة بصفة خاصة نحو دراسة النحاة العرب القدماء الذين مثَّلوا للدراسة العلمية لعمليات الربط، فضلاً عن العلاقات النحوية بين العناصر المترابطة في الجملة النحوية، أي: بين العامل (الرابط) والمعمول (المربوط)، فالحاج صالح فسَّر العلاقات النحوية بين عناصر الجملة بالعامل بوصفه العنصر النحوي المسؤول عن إنتاج هذه العلاقات، فبالعامل يمكننا تفسير " ظاهرة لغوية، هي علاقة كلمة بكلمة داخل الجملة، في هذه العلاقة تمَّ تصنيف الكلمات إلى عوامل ومعمولات"<sup>(٤)</sup>، فبذلك توصل إلى فهم العلاقات النحوية وكيفية نشوئها من خلال الربط العاملية.

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ ثمة مبدأ لساني ارتبط وتداخل مع نظرية العامل العربية؛ وهو نمط التبعية النحوية - الذي استغله اللسانيات الحاسوبية أيَّما استغلال<sup>(٥)</sup> - وهو مبني على فكرة مفادها أنَّ جميع الألفاظ البشرية تابعة لما قبلها أو متبوعة، " فهذه النظرية - أي التبعية - هي أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب وخاصة إلى مفهوم العمل"<sup>(٦)</sup>، فالفعل - مثلاً - هو المتبوع بالنسبة للفاعل والمفاعيل، والاسم هو الأول بالنسبة للوازمه، وقد مثَّل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهذا المبدأ بشبه شجرة<sup>(٧)</sup> لجملة عربية:



(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٣٠٢ / ١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

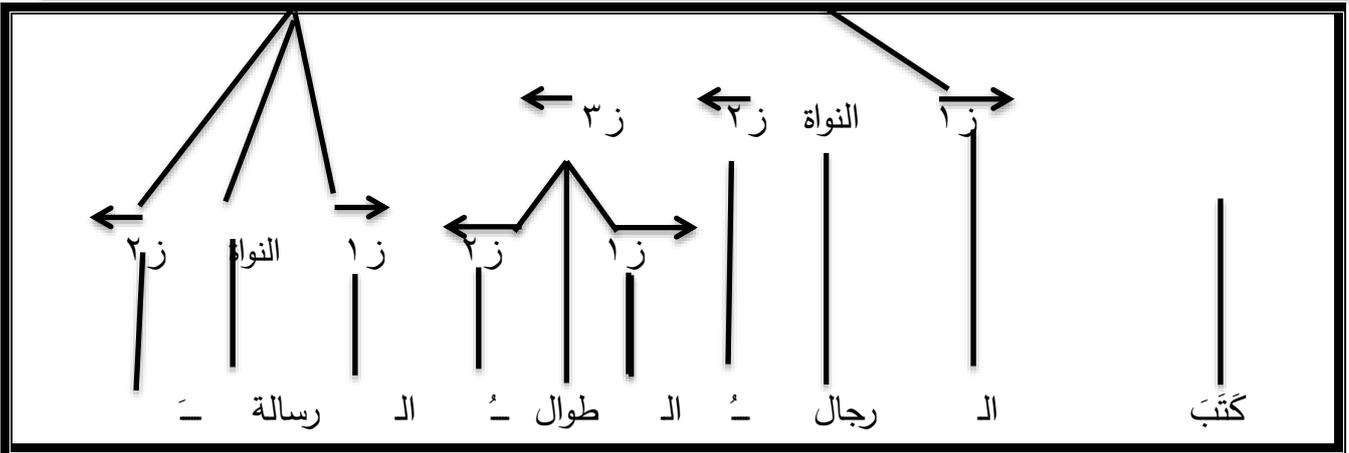
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٤، ١٩٩٦م : ١٩٥ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٥٥ / ١ .

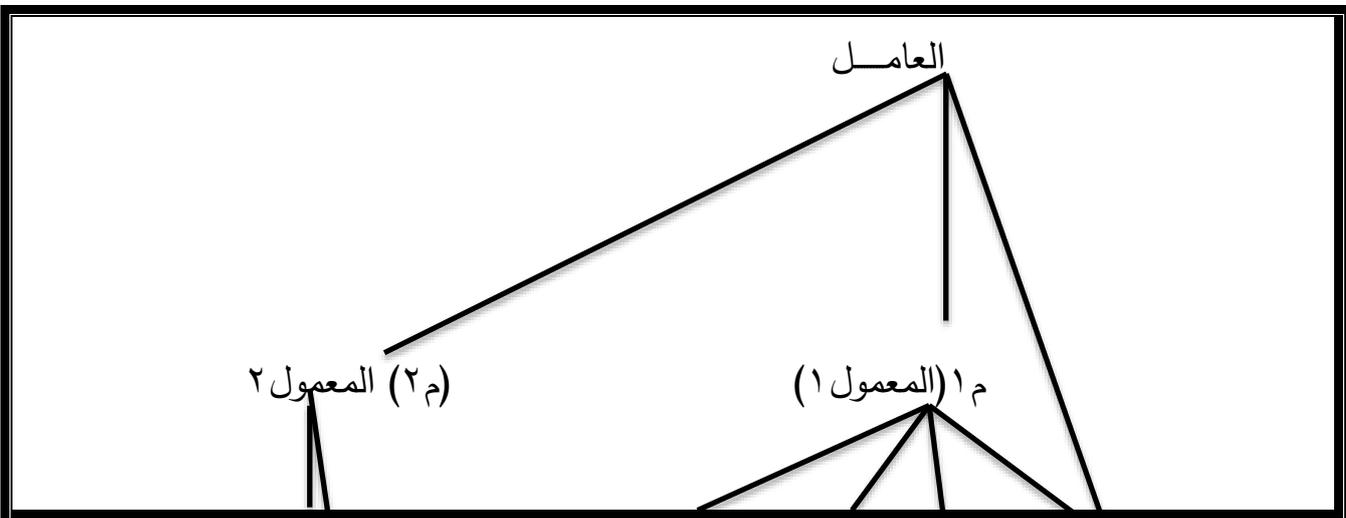
(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٧ / ١ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٥٦ / ١ .



إنَّ التبعية عند الغرب واحدة، سواء تلك التي تحصل بين عناصر التركيب بسبب تأثير العامل في معمولاته، أو التي تكون داخل اللفظة مثل (كتابُ زيدٍ)<sup>(١)</sup>. أما عند العرب فللتبعية ضربان: تبعية بناء وتبعية وصل، يقول الدكتور الحاج صالح: "للعرب تبعتان: تبعية بناء، وتبعية وصل. واعتمدوا في هذا التمييز على أنَّ الارتباط الذي يربط بين الاسم وما يدخل عليه ليس مثل الارتباط الذي يوجد بين المبتدأ والخبر مثلاً، وفي مستوى التركيب بعض العناصر مبنية على أخرى. أما الوصل فهو السائد في داخل اللفظة (أي بين (ال) وما تدخل عليه أو المضاف والمضاف إليه)، وقد يوجد الوصل في داخل التركيب فيما يخص المخصص (الحال والمفاعيل)"<sup>(٢)</sup>.

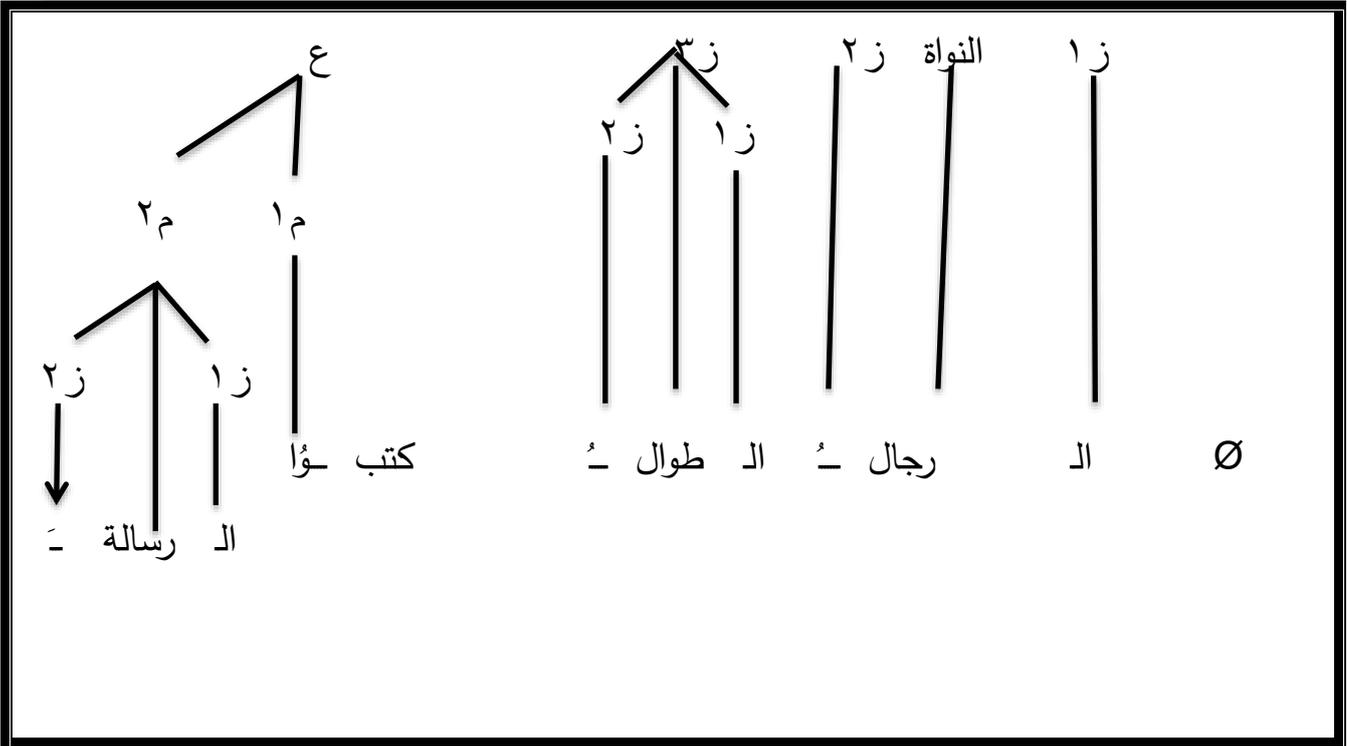
فعلاقة العامل بمعموليهِ - وهما هاتان اللفظتان - تظهر في كون (كتب) لا توجد بينه وبين القمة أية واسطة، ومن نقائص المشجر السابق، أنه لا يُفَرِّق بين الترتيب الواجب وغير الواجب ومن ثمَّ بين ما يكون زوجاً مرتباً وبين ما لا يكون كذلك، وقد تصور الحاج صالح رسم شجري يخضع لما تقتضيه الصيغة العربية، إذ أدمج فيه مزية الترتيب (للمواضع) في مزية الاندراج الممثل في التفريع الشجري الآتي<sup>(٣)</sup> :



(١) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٧ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٨ / ١ .



ف(الرجال) ليس معمولاً تابعاً للفعل (كتبوا) ما دام المعمول الأول لا يقدم على عامله قط؛ بل إنّه معمول العلامة العدمية أي الابتداء، الذي يمكن أن يشغله عامل ملفوظ ك(إنّ) أو أي ناسخ<sup>(١)</sup>.  
 مما تقدّم يتبيّن أنّ مفاهيم الربط العاملي - نظرية العمل العربية- موجودة أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل - أي ما تركه لنا الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما- ويتضح ذلك بإعادة قراءة ذلك، ليس في ضوء النظريات الحديثة فقط، بل بدراسة ابستمولوجية دقيقة - كما ذكر الحاج صالح - لمفاهيمهم وتصوراتهم وطرق تحليلهم ودون إسقاط أي تصور آخر كتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها. ويلجأ الباحث للموازنة الدقيقة الابستمولوجية ليس غير.

يُفضي بنا الحديث عن نظرية العمل إلى الحديث عن الجملة؛ إذ إنّ الدرس النحوي ونظرية العمل بضمنها - معنيّ بصفةٍ خاصّة بالنظام التركيبي الجمليّ. فضلاً عن أنّ الدراسات اللسانية قد تأسست على مفهوم الجملة الذي يميّز بالتنوع والاختلاف، فقد وردت تعريفات عدّة للجملة عند القدماء والمحدثين، فقد كانت - ولا تزال - مسألة تحديد مصطلح الجملة والكلام محل خلاف وسجال بين النحاة، ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ سبب الخلاف هو الخط الذي أورده النحاة بين المصطلحين فهُم جعلوهما متماثلين، إلا أنّ قسماً منهم وصفوهما بالمستويين المتميزين المختلفين<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٥٩ / ١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩١ / ١، ونحو نظرية لسانية عربية، د.مازن الوعر : ٢٦. لا أريد الخوض في مسألة المساواة بين مصطلحي (الجملة والكلام) وإنما سأقف عند الأمور التي غني بها د. الحاج صالح وأوردها في أثناء دراسته لهذه المسألة، إذ أفرد بحثاً في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية) بعنوان: (الجملة في كتاب سيبويه) تناول فيه كل ما يتعلق بالجملة فضلاً عن تمييزه بين الكلام كبنية والكلام كخطاب؛ ولمزيد من التفصيل ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٠ / ١ - ٣٠٣، ونظرات في الجملة العربية : ١٣ - ٢٥ .

فالجمله "هي موضوع الدرس النحوي"<sup>(١)</sup>، وهي "أقل قدرًا من الكلام يُفيد السامع معنى مستقلاً سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"<sup>(٢)</sup>.

معنى هذا أنّ الجملة وحدة لغوية أقل من الكلام بغرض إفادة معنى من المعاني يوجد فيها ويميزها عن غيرها من الجمل الأخرى، على أنّه يوجد من يسوي بين الجملة والكلام، مثل عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري في المفصل، إذ يقول: "والكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيدٌ أخوك، وبشرٌ صاحبك، أو فعل واسم نحو قولك: ضرب زيدٌ، وانطلق بكرٌ ويسمى جملة"<sup>(٣)</sup>. فقد صرحا بالتسوية بينهما، وتابعهما في ذلك ابن يعيش في شرح المفصل.

ومن القائلين بالمساواة من المحدثين الباحث عباس حسن، يقول: "والكلام والجملة ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد"<sup>(٤)</sup>. ويساوي الدكتور كريم حسين الخالدي بين المصطلحين، فضلاً عن تفضيله مصطلح (كلام) على (جملة)، إذ وسم مؤلفه (نظرية نحو الكلام)؛ لحياء المصطلح - الذي استعمله سيبويه - ولأنه أوفق من مصطلح الجملة لغةً واصطلاحاً<sup>(٥)</sup>

ويوجد من العلماء القدماء من يُميّز بينهما - الكلام والجملة - مثل الرضي الاستريادي، إذ يُفرّق بشكل واضح بين المصطلحين، فالجملة عنده "ما تضمّن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما دُكر من الجمل، فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أُسندت إليه"<sup>(٦)</sup>، أما الكلام عنده فهو: "ما تضمّن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"<sup>(٧)</sup>. إنّ الرضي يشترط الإفادة في الكلام، بخلاف الجملة التي قد تكون مفيدة أو غير مفيدة.

ووافق ابن هشام ما ذهب إليه الرضي الاستريادي من أنّ الجملة أعم من الكلام، فالكلام عنده "القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه"<sup>(٨)</sup>، أما الجملة فهي "عبارة عن الفعل وفاعله ك(قام زيدٌ)، والمبتدأ أو خبره ك(زيدٌ قائمٌ) وما كان بمنزلة أحدهما نحو (ضرب اللص) و(أقائم الزيدان) و(كان زيدٌ قائماً) و(ظننته قائماً) وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس"<sup>(٩)</sup>.

وفيما ذهب إليه العالمان - الزمخشري وابن هشام - نظر، إذ يبدو توهمهم واضح في أنّ الجملة أضيق معنى من الكلام، ويعزو الدكتور كريم حسين ناصح هذا الوهم إلى أنّ "كلّ من الزمخشري وابن هشام

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٤ .

(٢) من أسرار اللغة : ١٩١ . اختلف الباحثون المحدثون فيما يتعلق بتعريف الجملة، فقد ذكر الدكتور مازن الوعر ما يزيد عن مائتي تعريف. ينظر: دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة : ١٣ .

(٣) المفصل : ١٨ .

(٤) النحو الوافي : ٦ / ١ .

(٥) ينظر: نظرية نحو الكلام، رواية عربية أصيلة: ٢٦ .

(٦) شرح الرضي على الكافية : ٣٣ / ١ .

(٧) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٨) مغني اللبيب : ٣٧٤ / ٢ .

(٩) مغني اللبيب : ٣٧٤ / ٢ .

أنهما يعدّان جملة الشرط أو جملة الجواب أو جملة الصلة جملاً غير مفيدة، وفي ذلك نظر؛ لأنّ هذه الجمل ليست كما يقولان؛ بل هي مفيدة، فقولنا: (إنّ يأت زيد فسوف أكرمه) تعيد معنى تاماً بشرطه وجوابه ولو فصلت جملة الشرط لأفادت معنى تاماً كذلك ومثلها جملة الجواب، أمّا النقص الذي يبدو - في الظاهر - في جملة الشرط أو جملة الجواب إنّ فُصِلت إحداهما عن الأخرى مع وجود الأداة (إنّ)، فيعود إلى دلالة الأداة نفسها، ذلك أنّها تعيد معنى تحقق الشيء لتحقيق غيره، أي تعلق تحقق الجواب بتحقق الشرط، وهذه الدلالة على الترابط بين الشرط والجواب، واقتضاء الشرط الجواب، هي التي توحى بالنقص في المعنى لكون جملة الشرط بأركانها الثلاثة (الأداة، وجملة الشرط، وجملة الجزاء) تختلف عن أنواع الجمل الأخرى، فهي جملة قائمة برأسها، لها نظم خاص، وأحوال، ودلالات، لا تجدها في أي نوع من أنواع الجمل الأخرى، لا يصح أن نقيس جزءاً من أجزائها بالجملة الفعلية أو الاسمية؛ لأنّ أجزاءها لو رفعت عنها الأداة لعادت مفيدة تامة المعنى، وهذا سر الوهم الذي حدا بالزمخشري وابن هشام إلى القول بخصوصية الجملة، وعموم الكلام<sup>(١)</sup>.

ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ ابن السراج - وهو سابق لهؤلاء العلماء - لم يُفرّق بين الجملة والكلام، وإنما عدّهما مترادفين، على الرغم من تأكده على أنّ الجملة هي النواة التركيبية سواء أكانت اسمية أم فعلية<sup>(٢)</sup> ناسجاً بذلك على منوال المبرّد في المقتضب الذي استعمل مصطلحي الكلام والجملة مترادفين<sup>(٣)</sup>. لكن هناك مسألة مهمة هي أنّ كلاً من المبرّد وابن السراج في تسويتهما بين الكلام والجملة لم يفتهما أن يلتفتا إلى شرط الإفادة في الكلام، وقد نصّ على ذلك ابن السراج عند حديثه عن المبتدأ والخبر بقوله: "وإنّما يراعى في هذا الباب وغيره الفائدة، فمتى ظفرت بها في المبتدأ و خبره فالكلام جائز، وما لم يفد فلا معنى له في كلام غيرهم"<sup>(٤)</sup>.

وإذا ما عدنا إلى قبل هؤلاء إلى شيوخ العربية الخليل وسيبويه، فإننا لا نعثر على مصطلح جملة في (الكتاب)، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "فهذا أمرٌ غريب ألا يوجد أثر لكلمة (جملة) في كتاب سيبويه وكذلك العبارة: (جملة مفيدة) لا أثر لها في هذا الكتاب. ولا نعثر على كلمة (جملة) بعد سيبويه إلا في كتاب المقتضب للمبرّد. ونرجح أنّ شيخه المازني استعملها هو أيضاً وقد يكون الأخفش (سعيد بن مسعدة) تلميذ سيبويه وأستاذ المازني هو الذي وضع المصطلح فإنّه هو أول نحوي يستعمل كلمة (فائدة) بمعنى العلم المستفاد من الكلام. وهذا المفهوم يُعبّر عنه سيبويه بكلمة (علم)... إلا أنّ هذا لا يعني طبعاً أنّ مفهوم الجملة لا يوجد عند سيبويه فهو يسميها (كلاماً) وإذا دقق قال: (الكلام المستغني)"<sup>(٥)</sup>.

(١) نظرات في الجملة العربية : ١٧ فما بعدها .

(٢) ينظر: الأصول في النحو : ٥٨ / ١ .

(٣) ينظر: المقتضب : ٨ / ١ .

(٤) الأصول في النحو : ٩٥ / ١ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٠ / ١ تتكرر عبارة (الكلام المستغني) في الكتاب منها على سبيل المثال: " ما يستغني عنه السكوت وما لا يستغني ألا ترى أنّ (كان) تعمل عمل (ضرب) ولو قلت: (كان عبدُ الله)، لم يكن كلاماً. ولو قلت: ضربَ عبد الله كان كلاماً. الكتاب : ٢٦٢ / ١ . ويقول في موضعٍ آخر: " ألا ترى أنّه لم تنفذ الفعل في (كنت) إلى المفعول الذي به يستغني الكلام... فإنّما هذا في موضع

إنَّ سيبويه يُسمي الجملة (كلاماً) يحسن أن يسكت المتكلم عند انتهائه؛ لإستقلاله من حيث اللفظ والمعنى وتتأسس نظرته على التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب، أي بعده حدثاً إعلامياً في زمانٍ ومكانٍ معينين، والنظرة إليه كبنية: إنَّ الكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف، يُمكن أن يُحلل إلى مكونات ووحدات وعناصر خطابية لكلِّ وظيفة دلالية وإفادية كما فعل سيبويه في القرن الثاني للهجرة<sup>(١)</sup> ويفعله علماء اللسانيات في وقتنا .

وإذا دققنا النظر في آراء سيبويه المتعددة، ومنها رأيه في مفهوم الجملة والكلام لوجدناه يتشابه مع الدراسات الحالية المهمة بتحليل الخطاب ونحو النصوص، وعليه فإنَّ الكتاب - في حقيقة الأمر - ليس كتاباً في النحو والصرف والإعراب بالمعنى التقليدي؛ وإنما هو كتاب في التحليل اللغوي لعلوم العربية التي درسها سيبويه " منطلقاً من مبدأ وصفي تعليلي يُشكِّل مع مبادئ أخرى الجهاز المفاهيمي للنظرية النحوية التراثية"<sup>(٢)</sup>.

وفي مقامنا هذا لا بدُّ من التنبيه على ملحظٍ مهم هو أنَّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد استعمل مصطلح (الكلام) ليدل على مفهوم الجملة، فهو بذلك يحذو حذو سيبويه في الكتاب فضلاً عن بعض المتأخرين عن سيبويه مثل ابن جني إذ قال عند تعريفه للكلام: "أما الكلام فكلُّ لفظٍ مستقل بنفسه، مفيدٌ لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: زيدٌ أخوك، وقامَ محمدٌ... وصهَ ومهَ .. وأف ... فكلُّ لفظٍ مستقل وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام."<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر الدكتور الحاج صالح (الكلام)؛ لأنَّه يرى أنَّه " أقل ما ينحل إليه الخطاب من الوحدات ذوات معنى وفائدة هو هذا الكلام المستغني وعلامته صحة أو حسن الوقف عليه من قبل المتكلم، وهذا ما لا سبيل إلى تحقيقه في الوحدات التي هي دون الجملة مثل (كان عبدُ الله)... أن هذا يقال فقط بالنسبة إلى الكلام التام غير المحذوف منه"<sup>(٤)</sup>.

فقد كان للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رأياً وافق فيه سيبويه فضلاً عن بعض المتأخرين من النحاة، إذ وظَّف مصطلح سيبويه للكلام الذي استعمله بوصفه مرادفاً للجملة أي أنَّه ساوَى بين المصطلحين، فنجده يقول - على سبيل المثال - " إنَّ الكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف..."<sup>(٥)</sup>. ويستعمل في موضع آخر مصطلح (الكلام) فقط، منه قوله: " التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية..."<sup>(٦)</sup>.

إخبار وبها يستغني الكلام". الكتاب : ١ / ٧٤ . ويقول أيضاً: " ألا ترى لو قلت: (فيها عبد الله) حسن السكوت، وكان كلاماً مستقيماً كما حسن واستغنى في قولك: (هذا عبد الله)". الكتاب : ١ / ٢٦١ .

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٩١ .

(٢) جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، د. مازن الوعر، لبنان، ١٩٩٩م : ١٠ .

(٣) الخصائص : ١ / ١٧ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٩٢ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٩٣ .

(٦) المصدر نفسه : ١ / ٢٩٢ .

وقد نبّه الدكتور الحاج صالح الباحثين إلى مفهوم الجملة وما يقتضيه التصور العربي لها، إذ يُخطئ - في رأيه - من يعتقد أنّ (الكتاب) الذي اشتمل على أمهات المسائل اللغوية، والذي شهد له العلماء بالندج والاكتمال، خالٍ من مفهوم الجملة. فخلوه من المصطلح لا يعني بالضرورة خلوه من المفهوم .

وقد لاحظ العلماء أنّ (سيبويه) لم يستعمل مصطلح جملة، ولكن يسميها كلاماً وقد استعمل - كما ذكرنا - مصطلح (الكلام المستغنى) ويُقصد به: "قطعة الكلام المستقلة لفظاً ومعنى، والتي يحسن بالمتكلم أنّ يسكت عند انتهائها؛ لأنّها تُشكّل وحدة تبليغية يستفيد بها المخاطب علماً معيناً، فمقياس الجملة المفيدة أو علامتها عند (سيبويه) هو الفائدة (الإفادة)"<sup>(١)</sup>؛ إذ لا فائدة إلا إذا كان الكلام تاماً، أما الكلم المفردة فلا تتعلق بها الفائدة وإنّ تعلقت بها الدلالة على معنى مفرد (لفظي). قال الزجاجي: "الاسم يدل على مسماه... ولا يحصل منه فائدة مفرداً حتى نقرنه باسم مثله، أو فعل أو جملة، وإلا كان ذكرك له لغواً وهذراً غير مفيد، وكذلك الحرف إذا ذكرته دلّ على المعنى الموضوع له، ثم لم تكتمل الفائدة بذكرك إيّاه حتى نقرنه بما تكمل به فائدته، فهو والاسم في هذا سواء، لا فرق بينهما"<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإنّ لفظة (كلام) كما لاحظ العلماء - القدماء و المحدثون - كافية للدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند سيبويه. ومن يرجع إلى (الكتاب) يلاحظ أنّها ذُكرت عشرات المرات عن طريق العناصر الأساسية لتكونها وهما المسند والمسند إليه، والمبتدأ والمبني عليه<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر الأصالة والإبداع في الفكر النحوي عند القدماء ، ولاسيما الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل كابن جنى والرضي الاستربادي ، هو تمييزهم بين جانبيين اثنين عند تحليلهم للغة ليس بينهما أي تناظر كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ويتمثل هذان الجانبان في<sup>(٤)</sup>:

١- الجانب اللفظي الصوري أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته، أي المعنى الموضوع له بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية .

٢- والجانب الوظيفي ويتمثل في كيفية استعمال تلك الألفاظ ومدلولاتها في عملية الإفادة، أي الإعلام والمخاطبة وتبليغ الأغراض المتبادل بين ناطقٍ وسماعٍ في موقف اجتماعي حيّ يُعتبر (المتكلم) جزءاً منه إلى جانب السامع والكلام... الخ<sup>(٥)</sup>.

(٣) المصدر نفسه : ٢٩١ / ١ .

(٤) الإيضاح في علل النحو : ٤٩ .

(٥) ينظر: الكتاب : ٢٣ / ١ ، ١٢٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ و... ٢ / ٨٨ ، ٩٠ ، ١٢٤ ، والجملة العربية - مكوناتها ، أنواعها ، تحليلها ، د.محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠٠٧ م : ٢٥ .

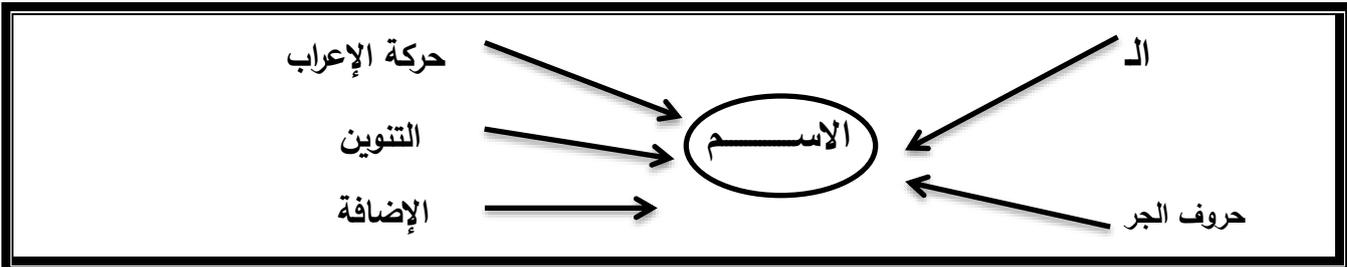
(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٢ / ١ ، و المفاهيم الأساسية في النظرية الخيلية الحديثة : ١٧ - ١٨ .  
(٥) يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ أعظم خطأ يرتكبه النحاة المتأخرون، وكذلك المدرسة البنوية في اللسانيات الغربية الحديثة هو انطلاقها في دراسة اللغة، وفحص معطياتها من الكلام الذي تمّ إنتاجه، أي بعد أنّ يكون منتوجاً لسانياً حقيقياً، فتهتم بسلوك السامع دون أي عناية بسلوك المتكلم وأحواله إحداث الخطاب. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٤٩ / ١ .

وأوضح دليل على سلامة هذا التصور بتعبير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "هو عجز النحويين المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم في مقابل الفعل والحرف، حيث حدوده بتعريفات كثيرة، تأتلف حيناً وتختلف أحياناً، ولا يُعلم تعريف سَلِمَ من المعارضة والنقد"<sup>(١)</sup>.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه لا بُدَّ من مراعاة بعض الأمور كي يكون تعريف الاسم دقيقاً، ولخصها في ما يأتي<sup>(٢)</sup>:

أولاً: تحديد نوع الاسم، هل هو اسم مطلق، أم اسم مضارع للفعل والحرف، وهل هو متمكن تجري عليه حركات الإعراب، أو هو مستحق لها (أي متمكن أمكن أو متمكن غير أمكن...).

ثانياً: تحديد الجانب الذي يُحدد فيه، هل يُحدد في الجانب الوظيفي الدلالي الخاص بالإفادة، أم يُحدد في الجانب اللفظي الصوري الخاص بالبنية والهيكل. فالاسم من حيث وظيفته الدلالية والإفادية (أي من حيث دلالاته على معنى). أما من الجانب اللفظي الصوري، فالاسم كلمة أو عنصر قابل أو يحتمل دخول الزوائد عليه يميناً وشمالاً بحسب درجة تمكنه أو عدم تمكنه<sup>(٣)</sup>، إذ يصلح أن تدخل عليه (ال) وحروف الجر والتنوين والإعراب، ويمكن أن يُضاف وأن يُوصف ... ويمكن توضيحه بالشكل المبسط الآتي<sup>(٤)</sup> الذي يُبين حدَّ الاسم من الجانب اللفظي (الشكلي):



وتجدر الإشارة إلى أنّ تمييز النحاة الأوائل بين الجانب اللفظي البنوي وبين الجانب الوظيفي الإبلاغي لم يقتصر على المستوى الإفرادي فحسب، بل تعداه إلى المستوى التركيبي، ليشمل الجملة المفيدة المستغنى عنها بمصطلح سيبويه، فصيغة الجملة العربية اللفظية في رأي الدكتور الحاج صالح هي سياق من العامل زائد المعمول الأول، يكونان زوجاً مرتباً هي اللفظة المبني عليها، التي يبتدىء بها الكلام، ويبني عليه المعمول الثاني (الذي يشغل موضع اللفظة المبنية)<sup>(٤)</sup>.

ويُحذر الدكتور الحاج صالح من خطر التخليط في التحليل بين البنية اللفظية (الهيكل البنوي للجملة) وصيغة الخطاب التي تتكون من مسند ومسند إليه " وهما مالا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٩٢ / ١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٩٢ / ١ فما بعدها .

(٣) العلامات التي يحتمل دخولها عليه (السوابق واللاحق) لا تصلح مجتمعة لجميع أنواع الأسماء، فبعضها قد يصلح لبعض الأسماء دون بعضها الآخر، فالجر - مثلاً - يصلح علامة ظاهرة لكثير من الأسماء، ولكنه لا يصلح لضمان الرفع (كالتاء في نحت)، والتنوين كذلك يصلح لكثير من الأسماء المعربة ولكنه لا يصلح للممنوع من الصرف. ينظر: المصدر نفسه: ٩٢ / ١ و ٢٩٣ / ١ .

(٤) ينظر: المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة: ١٩ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٩٦ / ١، و ٩٢ .

منه بدأ " (١)، وإلا لما احتاج النحاة الأوائل إلى تسمية أخرى مثل: المبتدأ، والمبني عليه، ولما احتاجوا إلى تصورٍ لفظي هام هو العامل وما يتعلق به من معمول (٢).

**خلاصة القول:** إنّ هناك فرقا بين الأوضاع اللغوية الإفرادية والتركيبية وبين ظواهر الاستعمال لهذه الأوضاع، وأنّ تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخصّ الإفادة أو العكس؛ تفسير ظواهر الإفادة والتبليغ بالاعتماد على اعتبارات تخصّ اللفظ هو غلط فادح، وسبب لأوهام كثيرة - كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (٣) -؛ لأنّ اللفظ في الوضع اللغوي يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى، أما في الخطاب الخاص فإنّ لا يريد باستعماله إلا معنى واحد. فضلاً عن أنّنا ننكر أنّ الدرس النحوي انطلق من المبني فقط أو المعنى فقط، لكننا لا نرى أنّ ذلك قد كان بسبب قيامه على الناحية اللفظية، بل أنّ الدرس النحوي كان ولا يزال مستوعباً ما هو لفظي وما هو معنوي مما له صلة بنظام التركيب أو الجملة، كما أنّه لا يخفى أنّ هناك شبه إجماع على عدّ الجملة وحدة الكلام وقاعدته. يقول ريمون طحان: "الكلام هو ما تركيب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام وهي تُبيّن أنّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائها في ذهن المتكلم/ السامع الذي سعى في نقلها، حسب قواعد معينة وأساليب شائعة، إلى ذهن السامع" (٤).

ومن المتفق عليه بين اللغويين - بغض النظر عن انتماءاتهم المدرسية - هو أنّ الجملة بالأساس عملية إسنادية تشتمل على مكّونين هما المسند والمسند إليه، يُضاف إليهما عنصر أو عناصر أخرى، إذا لم تكف العملية الإسنادية بذاتها (٥). وقد أعطت هذه المقومات للجملة - كما يرى الدكتور الحاج صالح - نوعاً من الثبات في بنيتها، كما يُفسّر دقة النتائج المتوصل إليها، " فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنياتها متينة متانة نسبية" (٦). كما لا يخفى أنّ رؤية النحاة القدماء - ولاسيما الخليل وسيبويه - إلى الجملة في أنّها نظام من العلاقات، التي تربط بين أجزائها، والتي تؤوّل إلى دلالة يترقبها المتلقي، تقترب من الرؤية التي يذهب إليها الدرس اللساني الحديث (٧).

### المبحث الثالث

#### المستوى الدلالي والتداولي

تقوم دراسة اللغة على مستوياتٍ عدّة، تتداخل فيما بينها (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي...)، ولعلّ المستوى الدلالي والتداولي من أهم هذه المستويات؛ لأنّ الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها فقط عن

(١) الكتاب : ٢٣ / ١ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٧ / ١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣٠١ / ١ .

(٤) الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨١م : ٤٤ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٥٤ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠٣ / ١ .

(٧) ينظر : المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٢٣٦ .

طريق فهم المعنى<sup>(١)</sup>. وإن علم الدلالة " يمثل مستوى من مستويات الدرس اللساني، وهو يرتبط بالمستويات الأخرى الصوتية والصرفية والتركيبية، وتتعاون هذه المستويات على بيانه وتوضيحه، فهو يرتبط بالفونيمات أو الوحدات الصوتية، كما يرتبط بالكلمات أو الصيغ الصرفية إلى جانب الجمل أو التراكيب، وبهذا نجد أنّ الدرس الدلالي يشترج بهذه المستويات ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً<sup>(٢)</sup>.

وتمثّل دراسة الدلالة قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي؛ إذ الغاية من اللغة هي الإتصال والتفاهم، و من دون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغواً لا طائل من ورائه<sup>(٣)</sup>.

والممتنع لتعريفات (علم الدلالة)، يجد أنّ الباحثين يتكبدون المشاقّ في تحديده إلى حدّ الخروج أحياناً عن مجالاته، إذ إنّه - علم الدلالة - نتاج مشترك بين عدد من العلوم الإنسانية، وهو في النهاية حاصل "تداخل العلوم وتساندها تنظيراً وممارسة، وهو في الوقت نفسه حاصل تطوره الذاتي منهجاً وتصوراً"<sup>(٤)</sup>. ولما كان علم الدلالة متداخلاً بين عدد من العلوم الإنسانية فإنّ الحديث عن وجود علوم للدلالة أصبح ممكناً؛ لذا اقترح دارسون دلاليون محدثون ضرورة تحديد المصطلح وتأطيره بالدلالة اللغوية<sup>(٥)</sup>، في حين يرى جون لاينز أنّه عندما يطلق مصطلح (علم الدلالة) من غير قيد أو وصف فإنّه ينصرف إلى علم الدلالة اللغوي<sup>(٦)</sup>.

وقد ارتبط مصطلح (الدلالة) بقضيّة الوضع والاستعمال المرتبط باللغة أساساً، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " الوضع والاستعمال ودلالة اللفظ ودلالة المعنى... وهذه المعطيات التي يجمعها الباحث في عملية الحصر سيستغلّها الآن وقد وصل إلى مرحلة حمل الألفاظ بعضها على بعض لاكتشاف المعاني المقصودة... فكما هو معلوم للفظة الواحدة مدلول وضعي أو أصلي، بل أكثر من مدلول أصلي وهو المعنى أو المعاني التي وُضع اللفظ بإزائها في اللغة أي في الوضع. أما في الاستعمال أي عند استعمال المتكلم للغة لهذه اللفظة في عملية خطابية وحال خطابية معينة فليس لها عندئذٍ إلا مدلول واحد ليس غير، وإلا كان كلامه ملتبساً ولا يتمّ بذلك الفهم والإفهام الذي من أجله وضع الكلام. وهذا قد ينساه أحياناً الناس فإنّ اللفظة في اللغة غير اللفظة في الاستعمال أي في الخطاب الواحد الخاص الذي لا يريد المتكلم باستعمالها إلا معنىً واحداً ويكون له باختياره لها دون غيرها غرض خاص، وهذا المدلول الوحيد قد يكون أحد المدلولات الموضوعية له أو مدلولاً آخر مرتبطاً بالأول ارتباطاً للزوم"<sup>(٧)</sup>. وكأني به يُحدّد العناصر التي تُقرأ بها الدلالة، ولا يُحدّد لنا المصطلح؛ وتتمثل هذه العناصر - كما ذكر - في أحادية

(١) ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ٥٥ .

(٢) أصول تراثية في علم اللغة : ٢٤٤ .

(٣) ينظر: دلالة الالفاظ: ٣٩، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: ٦، ومدخل إلى اللسانيات: ١٧، وعلم الدلالة (فريد عوض حيدر) : ١٢

(٤) اللسانيات والدلالة (مُنذر عياشي) : ٣٢ .

(٥) ينظر: علم الدلالة العربي (الداية) : ٨ .

(٦) ينظر: مقدّمة في علم الدلالة والتخاطب : ١٣ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٠ فما بعدها .

المعنى، وتعدّده، وأخيراً النظر إلى المعنى من خلال سياق معيّن، فضلاً عن ارتباطه الشديد بالوضع والاستعمال.

وقد تعددت تعريفات (علم الدلالة) عند الباحثين<sup>(١)</sup>، إلا أنه يمكن القول: إنّ القاسم المشترك بين تلك التعريفات هو أنّ علم الدلالة هو العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى، أي أنه النظرية العامة التي تدرس المعنى، يقول جون لا ينز: "يمكن تعريف علم الدلالة مبدئياً في الوقت الحالي على الأقل بأنه دراسة المعنى"<sup>(٢)</sup>. فالدلالة من وجهة النظر المعاصرة تدل على تقصي طرق استعمال المعنى، وتفسير هذه الاستعمالات، وليس طرق دراسة المعنى فحسب .

ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّه يكاد جُلّ الباحثين اللغويين ينتقون التعريف من الدكتور احمد مختار عمر، إذ عرّفه بأنه: "دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"<sup>(٣)</sup>. ولو عُدنا إلى تعريف اللغة عند العلماء على سبيل المثال تعريف ابن جني، إذ عرّفها بأنها "أصوات يُعبّر بها كُلُّ قومٍ عن أغراضهم"<sup>(٤)</sup>، لوجدنا أنّ جُلّ هذه التعريفات تؤكد على وظيفة اللغة التواصلية، فالوظيفة الرئيسية التي يستعمل من أجلها الإنسان اللغة تكمن في تحقيق عنصر التواصل والإبلاغ، ويُعرّفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بناءً على وظيفتها التبليغية، يقول: "اللغة أداة للتبليغ لها نظام عُرفي أي نظام خاص بها، مُتواضع عليه، فالمعرفة العلمية لهذا النظام لا تقتصر على معرفة تصنيفية تحصر عناصر اللغة بتحديد الأوصاف الذاتية وكيفية تقابلها بل تتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية مجراها في استعمال المُتكلّم لها؛ لأنّ اللغة وضع واستعمال أي نظام واستعمال المستعمل لهذا النظام. ولهذا ضوابط تضبط هذا الاستعمال"<sup>(٥)</sup>. فاللغة - على حدّ تعبير الحاج صالح - مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بُنى جزئية تتدرج فيها، وهذا هو الوضع، أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فضلاً عن مستوى التبليغ والإفادة غير مستوى الوضع المصطلح عليه؛ لأنّ مستوى الوضع وإن كان هو الرابط الذي يربط به المتكلّم بالمخاطب، إلا أنّه قد تصيبه عوارض الاستعمال، وهي عوامل طبيعية<sup>(٦)</sup>. ولكي تحقق اللغة وظيفتها التواصلية لا بُدّ أن تؤدي معنى معيناً، ولما كانت نظام متواصل وتبليغ فيجب أن يكون المعنى جزءاً من هذا النظام؛ لأنّ المعنى يتجلّى في جميع مستويات الدرس اللساني، إذ إنّ "غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنّها قمة هذه الدراسات"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً (نور الهدى لوشن): ٢٣ - ٣٤، وعلم الدلالة (حيدر فريد عوض): ١١ - ٢٥، وعلم الدلالة (منقور عبد الجليل): ٢٢ - ٢٨، وعلم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ١١ - ١٦، وعلم الدلالة العربي: ٦ - ١٠ .

(٢) علم الدلالة (جون لا ينز): ٩ .

(٣) علم الدلالة: ١١ .

(٤) الخصائص: ٤٣ / ١. هناك تعريفات متعددة للغة عند العلماء الأوائل، إلا أنّ أكثر تعريف يغطي جميع مسائل اللغة هو تعريف ابن جني، وقد ذكر الدكتور ميشال زكريا تعريفات اللغة المختلفة عند أغلب العلماء العرب القدماء، ينظر: بحوث أسنبة عربية: ٦٠ - ٦٤ .

(٥) السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة: ٢١ فما بعدها .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان: ١٩٥ .

(٧) علم اللغة (السعران): ٢٦١ .

والمعنى على هذه الشاكلة هو الذي يحمل مفهوم القصد، وهو ما عبّرت عنه اللسانيات التداولية، ولعلّ هذا هو الذي بحث فيه علماء اللغة؛ فهم يحاولون تقصي المقاصد للوصول إلى الدلالات. وتُعرّف التداولية بأنها " دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، أو دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة"<sup>(١)</sup> أو هي " دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة Speech Acts "<sup>(٢)</sup>. وتُعرّف أيضاً بأنها " دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة، غير أنّ الدلالة محدودة في عنصر الصدق، في حين تتناول التداولية التعابير التي لا تعلل بشروط الصدق (الملفوظات الإنشائية، علها مقامية إنجازية"<sup>(٣)</sup>.

ومن التعريفات السابقة نحصل على وجهين للتداولية هما: الدلالة والاستعمال، وذلك راجع إلى ما تكرر بألفاظ متقاربة، بناءً على أنّ الاستعمال يدخل تحته جملة عناصر هي:

أولاً: أطراف التخاطب (أو المستعملون للغة)،

ثانياً: مقاصدهم وهي درجات ومراتب،

ثالثاً: السياق،

رابعاً: المقام، وهي كلّها مترابطة متداخلة في إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية<sup>(٤)</sup>.

ولعلّ أوجز تعريف نخلص إليه، هو تعريف (يول)، إذ عرّف التداولية بأنها " دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction خاصة وأتّه يُشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق مُحدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"<sup>(٥)</sup>.

وتكاد تكون التداولية أقرب الحقول المعرفية إلى علم الدلالة؛ لاهتمامها بالمعنى وتركيزها عليه، حتى إنّ شارل موريس جعل التداولية والدلالة جزءاً من علم العلامات، فضلاً عن أنّهما تمثلان إحدى نواحٍ ثلاثة يمكن معالجة اللغة من خلالها. وقسمها على النحو الآتي:

- ١- التركيب syntaxe : ويُعنى بالعلاقات بين العلامات فيما بينها.
- ٢- الدلالة sematique : وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع، أو بعبارة أخرى، دراسة علاقة العلامات بالأشياء والموجودات التي تدلّ عليها.

(١) الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ٢٦٤، وينظر: شظايا لسانية : ٥٩ .

(٢) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : ٢٣٤ .

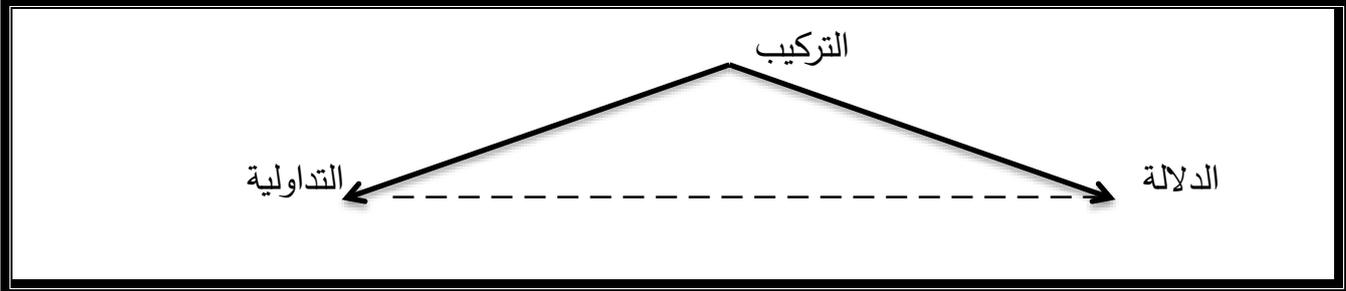
(٣) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ١٦٢ .

(٤) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٧٦ فما بعدها، ومدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية: ٤٩ .

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٤ .

٣. التداولية pragmatics : وهي تدرس علاقة العلامات بمستعملها، وبظروف استعمالها<sup>(١)</sup>.

فالتركيب لا يكاد يخلو من أسباب وصلات مع المستوى الدلالي والتداولي، ونقترح تمثيل العلاقة بين هذه المستويات الثلاث كما يأتي:



فالعلاقة بين العلمين - الدلالة والتداولية - علاقة الخاصّ والعام، والخاص هو علم الدلالة<sup>(٢)</sup>. نلمس ما لهذا التناول الثلاثي من أهمية، إذ ذهب موريس إلى أنّ "الكلمة أو الدليل الذي يستعمله الإنسان هو الإنسان ذاته ... الإنسان إذاً ككائن ذي فكر هو دليل لغوي، هو الكلمة، ولأن كان يتميز عنها بالطبع، إذ يمكن أن نقول: إن الإنسان عاقل وأنّ الكلمة ليست كذلك. ولكن هذا العقل الذي يرتبط وجوده بوجود جسم مادي لا تمتلكه الكلمة، وما هو بصفته إحساس وشعور إلا جزء من الوجود المادي للإنسان الدليل"<sup>(٣)</sup>. فنرى كيف أن اللسان - وكذلك اللغة - بوحده لم يُعدّ كياناً خارجاً عن ذات الإنسان الذي يتكلمه بل هو نشاط من صلب نشاط المتكلمين.

من هذا المنطلق انطلق اللغوي الفرنسي ايميل بنفنيست الذي دعا إلى اعتبار ما يحدث عندما يتحقق الكلام في مقامٍ معين هو الحديث أي العملية بما تحتويه من علامات لغوية وغير لغوية تؤسس للتبادل والخطاب، تلك هي القاعدة الأساسية لما سُمّي بعد ذلك نظريات الحديث التي تؤكد ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة واللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات هي المؤشرات ودورها يكمن في جعل اللغة خطاباً فعلياً من خلال فعل كلامي فردي<sup>(٤)</sup>.

وحرىّ بالذكر أنّ مصطلح pragmatics قد تُرجمَ بمجموعة ترجماتٍ، قد يكون السبب في ذلك هو النقاء العلوم الإنسانية مع التداولية كعلم النفس اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي وغيرها من العلوم مما وسّع آفاق مختلف العلوم وجعل دراستها للظواهر أكثر عمقاً وأكثر شمولية، فمنهم من ترجمه بعلم الاستعمال<sup>(٥)</sup>، ومنهم من ترجمه بالتداولية<sup>(٦)</sup>، وهناك من ترجمه بعلم التخاطب<sup>(٧)</sup>، فضلاً عن ترجمات أخرى نحو (الذرائعية والنفعية). وقد ترجمه الباحث طه عبد الرحمن بمصطلح (التداوليات) مقابلاً عربياً للمصطلح الغربي

(١) ينظر: شظايا لسانية : ٦٠، ومدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ٤٨ .

(٢) الأسس الإستمولوجية والتداولية في النظر النحوي عند سيبويه : ٢٨٨ .

(٣) مبادئ في اللسانيات : ١٥٩ .

(٤) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٥٩ .

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٤ .

(٦) ينظر: الظاهرة الدلالية : ٦٢ .

(٧) ينظر: مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب : ٥، وشظايا لسانية : ٨٧، مدخل إلى اللسانيات : ٩٨ .

pragmatics منذ العام ١٩٧٠م؛ لأنه - بحسب رأيه - يُوفي حقه المطلوب، فهو يدل على معنيي (الاستعمال) و(التفاعل) معاً<sup>(١)</sup>.

ويترجمها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بـ "ظواهر التخاطب"<sup>(٢)</sup> يقول في معرض حديثه عن العلماء العرب وجهودهم في علوم اللسان، ولاسيما الخليل وسيبويه: "إنّ ما تطرق إليه أحد هؤلاء النحاة المبدعين وهو سيبويه في كتابه - وهو أقدم ما وصل إلينا من كتبهم وأوفاهها ومن ثمّ يحتوي على ما عالجه أصحابه وأتباعه - هو أساساً الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة ولم يكن هذا الميدان - مع ذلك - مجرد نحو وصرف؛ لأنه لم يهمل أبداً الجانب الدلالي لأنواع الأبنية والتراكيب العربية من جهة، ومن جهة أخرى المعاني الخارجة عن دلالة اللفظ كدلالة الحال<sup>(٣)</sup> وغيرها ... ثم اعتدّ سيبويه كثيراً بظواهر الاستعمال ومنها نظريته في ظواهر التخاطب pragmatics وكل هذا يدخل في الميدان الواسع المسمى بعلوم اللسان"<sup>(٤)</sup>.

فِيحْبِذُ الحاج صالح مصطلح pragmatics بـ "ظواهر التخاطب" أو "ظواهر الاستعمال"، وهي ليست بمنأى عما ذهب إليه العلماء العرب القدماء - على حدّ تعبيره - فضلاً عن التقريب بين علم الدلالة والتداولية؛ إذ يدرس علم الدلالة المعنى، وعلم الاستعمال هو دراسة اللغة في الاستعمال.

وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين العلمين إلا أنّ الدارسين يحاولون التقريب "بين آليات علم الدلالة التي تصبّ في صميم دراسة المعنى، وآليات التداولية التي تحاول أن تُفسّر الاستعمالات الفعلية"<sup>(٥)</sup>. ولا ننسى عند تعاملنا مع التراث "أنّ العرب خاضوا غمار هذه الموضوعات: موضوعات علم الدلالة ودرسوها في مصنفاتهم ووضعوها لها رسائلهم المستقلة، فقد بكروا بالوقوف على ظواهر اللغة الدلالية، فالتفتوا إلى دلالة ألفاظ المشترك... كما توسّعوا بدراسة أبنية الألفاظ وعلاقتها بمعانيها"<sup>(٦)</sup>.

كما نلاحظ أنّ الفرق الجوهرية بين العلمين يكمن في أنّ علم الدلالة يدرس المعنى مستقلاً عن السياق الذي يرد التعبير فيه، في حين تهتمّ التداولية بدراسة معنى العبارات عن طريق العلاقة مع سياق التعبير؛ ذلك أنّ دراسة المعاني يمكن أن تكون "على مستويين مختلفين نسبياً: مستوى ما قبل التحقق السياقي في مقام التخاطب ... ومستوى ما بعد التحقق السياقي، فبينما يتناول علم الدلالة المستوى الأول، وهو مستوى المعنى قبل تحقّقه في مقام التخاطب، يدرس علم التخاطب المستوى الثاني، وهو المعنى بعد أن يصير قصداً فعلياً تبعاً للقرائن التي ينصّبها المتكلم"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٩م : ١٣

(٢) منهم من يطلق عليها (علم التخاطب) ويشمل دراسة استعمال اللغة في علاقتها بالسياق، لاسيما التخاطب اللغوي، وقد عرّفه بعضهم بأنه "دراسة استخدام اللغة، وعلاقته ببنية اللغة والسياق الاجتماعي". المعنى وظلال المعنى : ١٣٧ .

(٣) يقصد (بدلالة الحال): (المقام) كما يسميه البلاغيون أو (سياق الحال) كما يسميه اللسانيون المحدثون، والحاج صالح أطلق عليه (دلالة الحال). ويُعرّفه بقوله: "الحال هنا هو الظرف الذي يجري فيه الخطاب مع ما يدلّ في ذلك مما يسميه سيبويه بعلم المخاطب". بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٤٣ / ١ .

(٤) منطق العرب في علوم اللسان : ٨ فما بعدها .

(٥) الظاهرة الدلالية : ٦٣ .

(٦) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث : ٤٣٧ .

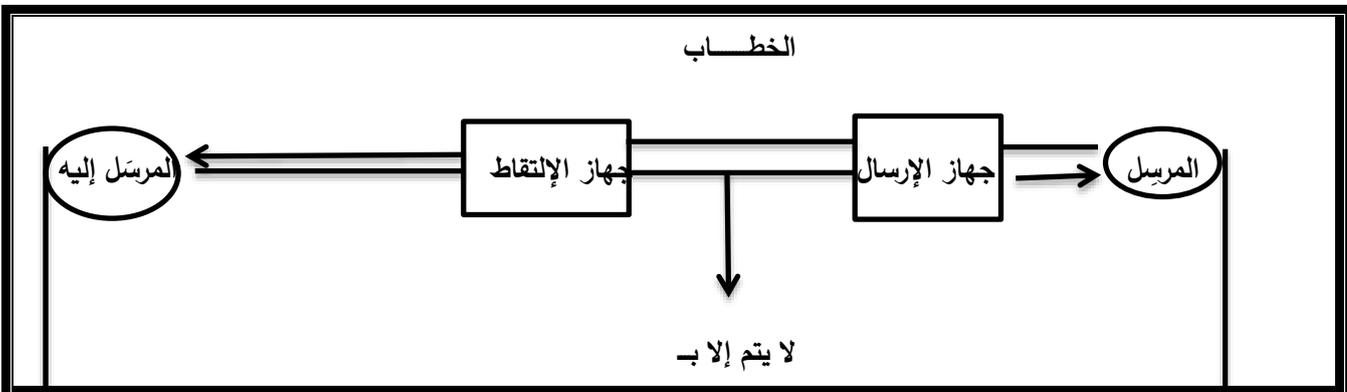
(٧) المعنى وظلال المعنى : ٨ .

وبذلك يتضح أنّ علم الدلالة يدرس الكلام مستقلاً عن السياق، في حين تدرس التداولية المنجز اللغوي في سياقه التواصلية، وليس بمعزلٍ عنه؛ لأنّ اللغة وظيفتها الأساسية والمركزية الإخبار والتبليغ، أي نقل الأخبار والمعلومات في إطار التخاطب والتواصل أي ربط الاتصال بين المتخاطبين، ومن ثمّ تُشكّل من المتخاطبين دورة يسميها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (دورة التخاطب)<sup>(١)</sup>، التي تتكون من العناصر الآتية<sup>(٢)</sup>:

- المرسل وهو المتكلّم أي المخاطب؛
- جهاز الإرسال وهو عند الإنسان الجهاز الصوتي محدث الأصوات؛
- المرسل إليه أي السامع المخاطب؛
- جهاز الالتقاط وهو عند الإنسان الجهاز السمعي (الأذن).
- القناة التي توصل الخطاب، وهي في حال المخاطبة بالمشافهة الهواء، وفي حالاتٍ أخرى كل مادة موصلة للأصوات.
- الخطاب هو الكلام الذي يتلفظ به كل من المخاطب والمخاطب.

ولا يتم التفاهم بين المرسل والمرسل إليه ولا يحصل تواصل إلا بوجود نفس الخطاب اللغوي بينهما وهو الذي نسميه الوضع أي اللغة التي اصطلح على استعمالها قوم أو مجموعة من البشر. إنّ العملية التي يقوم بها المرسل (المتكلّم) عند إحداث الكلام الموجه للمرسل إليه عملية تركيب، أي أنّ في ذهنه وفي نفسه أغراضاً ومفاهيم يحتاج لكي يُعبّر عنها ويوصلها للغير إلى ألفاظ وبكلماتٍ تدلّ عليها فيعود إلى لغته كونها النظام اللغوي الراسخ في ذهنه فيترجم هذه المعاني إلى ألفاظ وتسمى هذه العملية الاستيضاح<sup>(٣)</sup>. وعندما يصل هذا الخطاب إلى المرسل إليه يقوم هذا الأخير بعملية مماثلة في هذا يستعين بما يعرفه عن الوضع المستعمل وتسمى هذه العملية التوضيح<sup>(٤)</sup>.

تلك هي إذاً العناصر الأساسية لدورة التخاطب، وقد وضّحها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بالرسم الآتي<sup>(٥)</sup>:



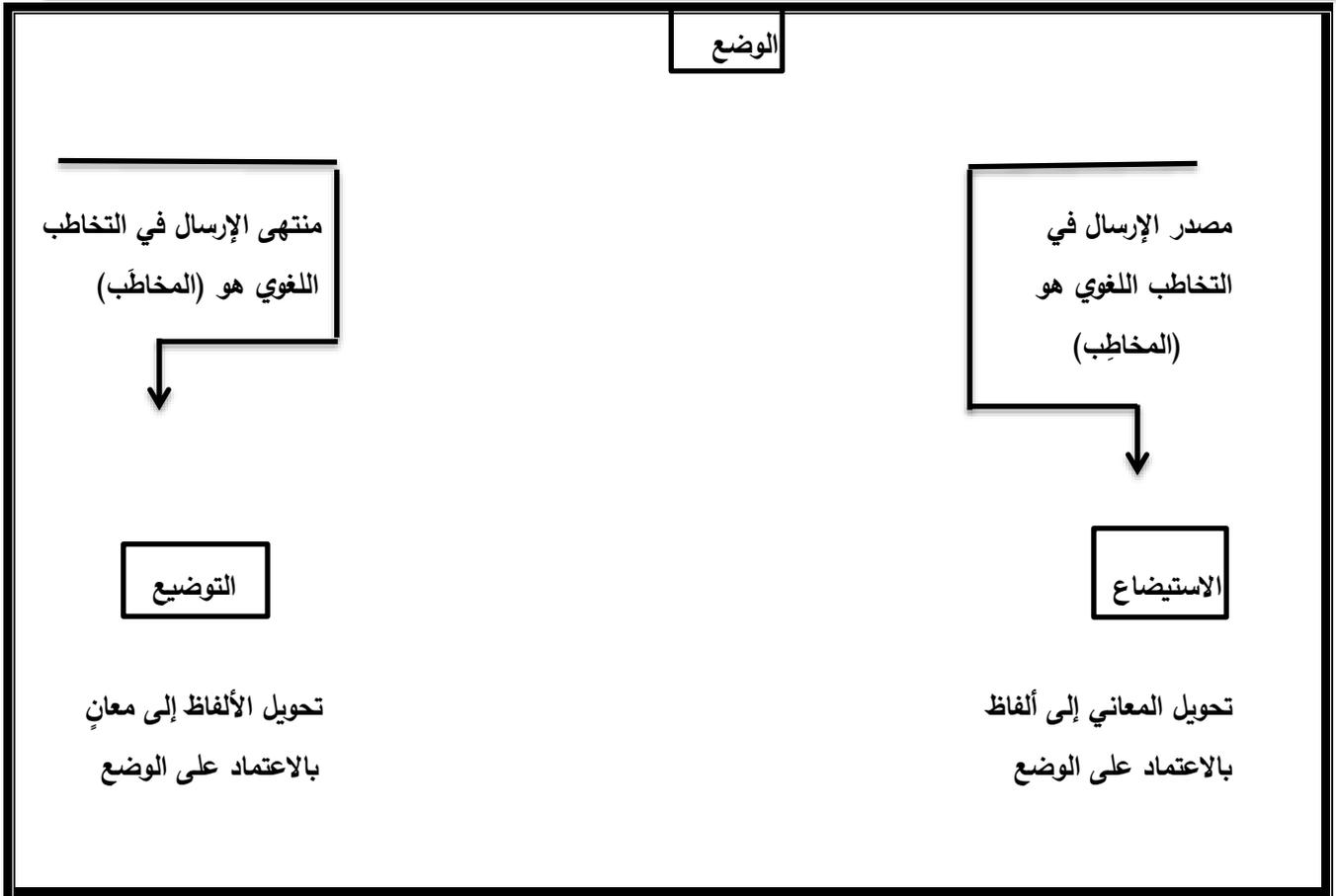
(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٥١ / ١ .

(٢) ينظر: لمصدر نفسه : ١٨٣ / ١ و ٣٥٠، والمعنى وظلال المعنى : ١٥١، واللسانيات المجال والوظيفة والمنهج (استثنائية) : ٦٧٥ .

(٣) من أسوأ وضع يستوضع أي طلب الوضع ووضع .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٥٠ / ١، ومبادئ في اللسانيات : ٢٨ . (التوضيح) من وضع يوضع أي فك الوضع .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٥١ / ١ .



ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ العلماء العرب قد ميّزوا العلاقة بين الأدلة في أنفسها أي (التركيب syntax)، وعلاقة الأدلة ومعانيها أو مسمياتها أي (الدلالة semantic)، وما هو علاقة بين الأدلة ومستعملها أي (علم التخاطب pragmatics) (١).

فضلاً عن إشارته إلى أنّ الدلالة عند النحاة ثلاث "هي: دلالة اللفظ، ودلالة المعنى، ودلالة الحال. فدلالة اللفظ هي التي يقتضيها اللفظ بالوضع فالمعنى - هنا - وضعي. ثم تأتي دلالة المعنى، ويسمّيها عبد القاهر الجرجاني (معنى المعنى) وهي التي يقتضيها المعنى الوضعي لكن من حيث هو معنى طريقها العقل لا الوضع وذلك مثل المجاز والكناية ... أما دلالة الخطاب فهي التي يقتضيها حال الخطاب" (٢)، كما بيّن أنّ النحاة يؤكدون دائماً أنّ اللفظ خادم للمعنى (٣) ... وهم كمنحاة لا يمكن أن يستهينوا باللفظ؛ لأنّه منه ينطلق في فهم المعنى" (٤).

(١) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣٤٩ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٦١ .

(٣) ينظر: الخصائص : ١ / ١٥٠، ودلائل الإعجاز : ١٨٤ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٥٩ .

فدلالة اللفظ - كما بيّنها الحاج صالح - عند النحاة العرب مهمة جداً في الوضع والاستعمال، فالوضع هو ما يقوم به واضع العناصر اللغوية (المعجمية والقواعدية) عندما يُنسب إليها معنى من المعاني لغرض الدلالة الثابتة عليها، والاستعمال هو إطلاق المُتكلّم اللفظ في مقام تخاطبي معيّن للتعبير عن قصده<sup>(١)</sup>.

أما ما يخص "دلالة المعنى" و"دلالة الحال" فبالإمكان دراسته على مستويين مختلفين نسبياً: مستوى ما قبل التحقق السياقي في مقام التخاطب - أو ما يمكن تسميته بالتسبيق المقامي situational contextualisation، ومستوى ما بعد التحقق السياقي، فيتناول "دلالة المعنى" المستوى الأول - وهو مستوى المعنى قبل تحققه سياقياً في مقام التخاطب -، ويدرس علم التخاطب المستوى الثاني (وهو المعنى بعد أن يصير قصداً فعلياً تبعاً للقرائن التي ينصبها المتكلم)<sup>(٢)</sup>.

وفي السياق نفسه يُوجّه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح انتقاداً إلى اللسانيين الغربيين ومنهم تشومسكي إذ "جعل - تشومسكي - المنطلق في التحليل بعد إثبات البنية التركيبية Syntactic Structure التي هي كالهيكل أو القالب. ثم يبحث بعد ذلك - لا قبل - عن محتوى هذا القالب: الصوتي منه أي ما يدخل فيه من اللفظ المنطوق، والدلالي أي المعنى الذي يمكن أن يدل عليه هذا الهيكل. وتسمى هذه المرحلة التي يثبت فيها الباحث المحتوى اللفظي والدلالة بمرحلة التأويل Intopretation . وقد حاول بعض أتباع تشومسكي وهم كاتس وفودور ثم بوستال أن يضعوا للتأويل الدلالي نظرية خاصة. فالمنطلق عندهم ... الهيكل التركيبي للجملة، وهو في النحو التوليدي بنية الـ phrase-structure (التوليد الاندراجي). ثم لا يكتفون بإعطاء كل عنصر دال - العناصر الطرفية في الشجرة - معناه أو معانيه المعروفة في الاستعمال بل يحلون هذا المعنى إلى مكونات بسيطة، وذلك مثل العبارة: (أكل الولد التفاحة): ال = تعريف، ولد = اسم / مذكر / آدمي / صغير السن، أكل = فعل / فاعله حي / نشاط / غداء ... الخ، تفاحة = اسم / غير مصنوع / نبات / يؤكل ... الخ. ويسمون هذا التحليل بالتحليل إلى مكونات دلالية Componential Analysis"<sup>(٣)</sup> و يصف الدكتور عبد الرحمن هذا التحليل "بالتعسف"<sup>(٤)</sup>؛ وذلك لأنه ما الذي يضمن أنّ هذه المعاني الجزئية التي يسمونها بالوحدات الدلالية لا تقبل هي نفسها التجزئة إلى ما هو أبسط منها<sup>(٥)</sup>؟.

تأسيساً على المقولات السابقة، وبعد أن ذكر لنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهة نظره في سبب انتقاده لتجربة تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية، إذ كان سبب نقده هو إبعاد المكوّن الدلالي من نظريته؛ والذي أدى إلى تغييرات كثيرة طرأت على نظريته كانت تتخذ من المكون الدلالي أساساً لها؛

(١) المعنى وظلال المعنى : ٩ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٨ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٦٠ / ١ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٦٠ / ١ .

لأننا نعلم - وسنبين - أنّ نظرية تشومسكي إلى هذا المكون لم تكن واحدة في جميع نماذجه التي قدّمها، وإنما كانت متغيّرة، مما أدى إلى كثرة الانتقادات التي وُجّهت إليه، فقد كثرت الانتقادات لأفكاره وأساليبه في التحليل النحوي، إذ افترض دراسة اللغة بمعزلٍ عن مستعملها، وهذا ليس بالأمر الجديد، إذ إنّ هذا الفصل يعود لدى سوسير، فضلاً عن أنّ إقصاءه للمعنى وتحويله على الشكل في التحليل اللغوي أمرٌ سبقه إليه الوصفيون الأمريكيان<sup>(١)</sup>. وسنحاول هنا التركيز على أهم التطورات التي شهدتها هذه النظرية فيما يخصّ المكوّن الدلالي بصورةٍ موجزة وبناءً على ما ذكره الحاج صالح.

فقد ذاع صيت تشومسكي عندما نُشر أول كتابٍ له عنوانه (البنى النحوية) عام ١٩٥٧م، الذي وضع فيه اللبّات الأساسية للنظرية التوليدية، ويتألّف هذا النموذج من ثلاثة مكونات:

١- المكون التركيبي الذي يكون مسؤولاً عن توليد عددٍ لا متناهٍ من الجمل من خلال قواعد محددة<sup>(٢)</sup>.

٢- المكون التحويلي، ويشمل على عددٍ من القواعد التحويلية التي قسّمها على قسمين: قواعد إجبارية وقواعد اختيارية<sup>(٣)</sup>.

٣- المكون الصوتي الصرفي الذي يُطبّق في التركيب الأساس والمشتق.

بيّن تشومسكي في هذا النموذج الفرق بين الملكة والتأدية، ويرى أنّ الملكة اللغوية عند البشر مُستمدّة من المكون التركيبي، ودعا إلى أن تكون قدرة توليد البنى اللغوية ناشئة عن مكونٍ تركيبى يسمح بإنتاج جمل نحوية، ويعمل هذا المكون على توليد المتواليات اللغوية الصحيحة نحويّاً والمقبولة لدى الناطقين، فضلاً عن المكون الصوتي، الذي تكمن وظيفته في إسناد شكل صوتي لتلك المتواليات التي أنشأها المكون التركيبي<sup>(٤)</sup>.

وكما هو معروف فقد نشأ تشومسكي في بيئةٍ معرفيةٍ أقصت المعنى من درسها اللساني، فقد ارتبط الدرس اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية بشخصين، كان لهما أثر كبير في صياغة حدود البحث اللساني في أمريكا، وهما: بلومفيلد، وهاريس أستاذ تشومسكي، وميزة مناهجهم أنّها لم تعطِ للتفسير والتعليل قسماً من العناية، فضلاً عن كونها سكونية لا تلتفت إلى ما وراء الظواهر المحسوسة، ولم تُفسّر كيميّة إدراك الكلام وإحداثه، فقد اهتمت - هذه المناهج - بالجزئيات وأهملت العلاقات التي تربط هذه الجزئيات بعضها ببعض ولم تعطها ما تستحقه من الاهتمام<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية الحديثة: ٤٧، فما بعدها، وللمزيد من التفصيل في المؤخذات التي أخذت على تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية. ينظر: المصدر نفسه: ٤٨ - ٥١.

(٢) ينظر: البنى النحوية: ١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣.

(٤) ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث: ١٩٦.

(٥) ينظر: مبادئ في اللسانيات: ١٠٣.

فمن الطبيعي أن يتأثر تشومسكي بما كان محيطاً به - على الرغم من توجيهه النقد لها كثيراً - فيُقصي المعنى من تجربته في كتابه (البنى النحوية).

لكن تشومسكي نفسه وبعد الانتقادات التي وُجّهت إلى أنموذج ١٩٥٧م، تنبّه إلى نقائص هذا الأنموذج، وقَدّم أنموذجه الثاني في كتابه (جوانب من نظرية النحو (Aspects of the theory of syntax إذ أدخل المكون الدلالي (Semantic component) لمعالجة مشكلة النقص الدلالي فضلاً عن ربطه بمكونات النحو الأخرى، فأصبحت مكونات النظرية هي:

١- المكون النحوي: يتضمن مكونين: الأول المكون التوليدي الأساس والثاني المكون التحويلي، ويشتمل على القواعد الوجوبية والجوازية.

٢- المكون الدلالي: وظيفته تحديد التأويل الدلالي للجمل، وربطه بالبنية العميقة.

٣- المكون الصوتي: وظيفته تحديد الصيغة الصوتية، وربطه بالبنية السطحية<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا التعديل الذي أدخله تشومسكي وتأسيساً على اقتراحات قَدّمها كلٌّ من كاتز وفورد، أدخلوا في نظريتهم مفهوماً جديداً هو أنّ الجملة تتألف من البنية العميقة والبنية السطحية، مرتبطين آلياً بوساطة مجموعة من القواعد التحويلية، بحيث تووّل البنية العميقة دلاليّاً، في حين تووّل البنية السطحية صوتياً، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "وقد اضطروا - وهم يعالجون المعنى - أن يدخلوا في نظريتهم مفهوماً جديداً لم يكن موجوداً قبل وهو مفهوم البنية العميقة - وتقابلها البنية السطحية - وهذه عندهم هي ظاهر اللفظ؛ لأنّ ظاهر اللفظ قد يكون له أكثر من تأويل"<sup>(٢)</sup>. فقد تلافى تشومسكي ومن تبعه النقص في تحليله وذلك بإدخاله مفهوماً إجرائياً إضافياً هو مفهوم المبدأ التحويلي، إذ إنّنا نلاحظ أنّ الجملة - السليمة في التركيب - لها معنيان وأنّها في الحقيقة تركيبان اثنان يتفقان في صورة واحدة هي البنية الظاهرة على مدرج الكلام أو البنية السطحية، لكنهما يختلفان في البنية العميقة، ففي رأيه - تشومسكي - لكلّ جملة صورتان: البنية السطحية المتمثلة في تسلسل العناصر المكونة من الكلمات في مدرج الكلام، والبنية العميقة المجردة الذهنية<sup>(٣)</sup>.

نفهم من ذلك أنّ البنية العميقة لها وجود تقديري يقدره اللغوي من خلال تصوّر معين للنظام اللغوي، أما البنية السطحية فلها وجود محسوس مشاهد، ولو عدنا إلى مفهوم التأويل والتقدير عند النحاة العرب القدماء وقارناه بهذا المفهوم لوجدناه قريب جداً، فمضمون التأويل "البحث عن الباطن خلف الظاهر،

(١) ينظر: جوانب من نظرية النحو، نعم تشومسكي، ترجمة د. مرتضى جواد باقر، وزارة التعليم العالي، جامعة البصرة، د. ت: ٣٩، واللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ١٨٣.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٦١ / ١.

(٣) ينظر: مبادئ في اللسانيات: ١٠٩.

وافترض حروف في مادة الكلمة وصيغٍ لكلماتٍ وجملاً كاملة وكل ذلك من عمل الذهن وأساس القواعد<sup>(١)</sup>. و من الملاحظ أنّ هناك أوجه اتفاق بين نظرية تشومسكي والنحو العربي، فعلى سبيل المثال هناك أوجه اتفاق بين التعليل في النحو العربي والتفسير في النظرية التوليدية التحويلية، فتشومسكي يؤمن بأنّ أي لغة بشرية طبيعية تخضع لنظام دقيق يختفي وراء قواعدها في النحو والصرف، فتفسير اللغة هو سعي للبحث عن السر الذي يجعل القاعدة النحوية صحيحة منتجة لعدد لا نهائي من التطبيقات، وهذا ما يؤمن به نحاة العربية عموماً عندما يطلبون وجه الحكمة في القواعد التي وضعوها للنحو العربي. كما يؤمن تشومسكي بأنّ تناول المادة اللغوية بالوصف، والتصنيف لا يمكن أن يكون كافياً موازياً لحقيقتهما في العقل، إذ يكفي تدبّر المعجم للوقوف على حقيقة أنّ اللغة في صورتها السطحية تتضمن فراغات لا يمكن للعقل أن يتجاوزها عند تحديده معنى الجملة<sup>(٢)</sup>، ففي جملة (كُسِرَ الزجاج) يحكم العقل بداهةً بوجود فاعل حقيقي محذوف كما يحكم أنّ الفعل (أعطى) والفعل (اتقى) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾<sup>(٣)</sup> يتضمن مُعْطِياً ومُعْطَى له، ومُنْتَقِياً ومُنْتَقَى منه وقد حُذِفَتْ هذا اللوازم لغرض ما. فالبنية السطحية للجملة قد يكون لها بنية عميقة عناصر أساسية غير متحققة في البنية السطحية فيصبح تجاوز الوصف بالتقدير مطلباً علمياً له ما يسوّغه، فكما يؤدي الأخذ بالتفسير إلى التقدير أحياناً، يؤدي التعليل في النحو العربي إلى التقدير، كما في تقدير المبتدأ، أو الخبر إن حُذِفَ أحدهما، لأنّهما ركنا الإسناد فلا تتم الجملة الاسمية إلا بهما<sup>(٤)</sup> إذ يتضح أنّ " النحو العربي ليس خلوّاً من الطاقة التفسيرية ولكنّه يسمّي مظاهرها بأسماءٍ مختلفة يمرّ بها المرء دون أن يرى شبهاً بينها وبين مثيلاتها في نتائج البحث الحديث، ولكنّه حين يدقق النظر لا بدّ أن يرى الشبه بين الشيخ العربي بالعمامة، وبينه وعلى رأسه القُبعة"<sup>(٥)</sup>.

و " على أية حال لقد أثبت باحثون لسانيون غربيون معتدلون أمثال (روبنز و تشومسكي) تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث العربي وذلك عن طريق وسائل مختلفة سواء أكانت مباشرة (الاطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية) أم غير مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغاتٍ أجنبية كثيرة)"<sup>(٦)</sup>.

### ✳️ الوضع والاستعمال:

فهم علماءنا القدماء علم الدلالة فهماً جعلهم يقيمون دراسة النحو العربي على أساسه، فقد كان فهم الخليل بن احمد للنحو العربي يشتمل على " دراسة الكلمة مفردة لفهم بنائها العام في العربية، ودراستها في الجملة لفهم دلالتها على معنى من المعاني التي أراد العرب التعبير عنها. قد خطا الخليل بهذه الدراسات

(١) أصول النحو العربي، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط ١ : ٢١٣.

(٢) ينظر: اللغة والعقل، تشومسكي : ١٢،

(٣) الليل آية : ٥ .

(٤) ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين : ٢٣٧.

(٥) اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان : ١٣٥ .

(٦) دراسات لسانية تطبيقية : ٣١ . وينظر: (ص ٢٦-٢٨) من الأطروحة .

خطواتٍ واسعة، وتعجّل تكوينها في زمنٍ تقتضي ظواهر الأشياء أن تتأخر عنه، واختصر المسافة والزمن اللذين ينبغي أن تقطعهما لكي تصل إلى المستوى الذي وصلت إليه، وتوصل من ذلك إلى نتائج باهرة حقاً تدعو إلى كثيرٍ من الإعجاب"<sup>(١)</sup>.

وأول ما ينبغي أن تتوفر من الشروط لثُعدُ " الكلمة كلمة ما يُسميه النحاة (الوضع) أو (القصد) أي الدلالة على معنىٍ بمقتضى تواضع متكلمي اللغة، فما كان من الألفاظ أو الأصوات دالاً بالطبع كالسعال مثلاً لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يعتبر من قبيل الكلمات. أما الشرط الثاني فهو إفراد المعنى، لكن كيف يمكن التأكد منه والمعنى - كما هو معلوم - قابل للتأويل، فهو ليس ممّا يدركه الإنسان إدراكاً حاسماً لكلٍ جدالٍ، لذا فلا بُدَّ من معيارٍ موضوعي للبتِّ في الإفراد أو التركيب، وهنا لا مناصٍ من الرجوع إلى الشكل أي اللفظ، فإفراد المعنى يقاس باللفظ الحامل له؛ فلا يمكن للفظ أن يعتبر كلمة إذا تعذرت تجزئته على أساس الربط بين كلِّ جزءٍ منه لجزءٍ من أجزاء المعنى..."<sup>(٢)</sup>. ويحذر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من الخلط بين مفهوم البنية والاستعمال - على الرغم من العلاقة الوطيدة بينهما - موجّهاً أنظارنا لهذه القضية، بقوله: "إنّما يفسّر اختيار لفظٍ معيّن في تأدية غرضٍ معيّن في حال خطابٍ معيّن وليس المعنى وحده - حتى في هذه الصورة - يُفسّر وجود لفظٍ معيّن. فما هو راجع إلى اللفظ له قوانينه الخاصة به غير قوانين استعمال اللفظ. فدراسة هذا الجانب الاستعمالي هو الذي يسمّيه الأوربيون الآن براغماتيك pragmatique. وأصبح الآن كثيراً من اللسانيين الغربيين ومقلّديهم من العرب لا يعرفون إلا البراغماتيك بل حصروا كل اللسانيات في هذا الجانب الاستعمالي مقتنعين في ذلك بأنّ بنية اللغة تفسّرها المعاني المقصودة في الخطاب وهذا خلط فظيع بين ما هو لفظ له بنية قائمة بذاتها وبين اختيار هذا اللفظ في حالٍ خطابيةٍ معيّنّة . والسبب يكمن في وقوع نوعٍ من الكلال إزاء البحوث الصورية في ذاتها والتّفور من دراستها على حدة أي بعيداً عن كيفية استعمال الناطقين بها. وأكثر اللغويين الغربيين المحدثين مولعون بالبراغماتيك، أي دراسة استعمال اللغة، وقوانين استعمال اللغة اجتماعية أصالةً وللبنى اللغوية جانب آخر غير اجتماعي وهو ميدان صوري، وهذا مع الأسف لم ينتبه إليه كثيراً من الناس..."<sup>(٣)</sup>.

فيؤكد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال هذا القول أنّه يجب توخي الحذر حتى لا نفسّر هذا بذاك؛ أي أنّ الفصل سيكون إجرائياً، فيجب أن يحدث الانفصال المرحلي بين البنية والاستعمال بحسب السياق التي ترد فيه فالسياق " هو العشّ الذي تحيا فيه اللفظة، وهذا ما يؤكد جانب الوظيفة الاجتماعية للغة ومن هنا فإنّ تعدّد المعنى الوظيفي للأداة، ودلالاتها يكون حسب ما تفيده من السياق، والسياق هو الذي يعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصرفية والنحوية.."<sup>(٤)</sup>، وهذا "يعني أنّ اللغة نظام لربط

(١) الخليل بن احمد أعماله ومنهجه : ٧٥ .

(٢) نظرات في التراث : ٢٤ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠٨ / ١ .

(٤) النص الادبي ومبدأ ربط النحو بالبلاغة، د. عمار ساسي، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، العدد(٨): ٢٢٠.

الكلمات بعضها ببعض على وفق مقتضيات دلالتها العقلية لكي تتمكن من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة للاتصال بين الناس" (١).

فينبغي التمييز بين اللفظ في التركيب، ومعناه خارج التركيب، فالجملة - بطبيعة الحال - بنيتين - كما ذكر الحاج صالح - " إحداهما تختص بمستوى الخطاب وإفادة المعاني Communicationnal level ، والأخرى تدخل في مستوى اللفظ والصياغة اللفظية في ذاتها Grammatical level" (٢) .

### ✻ الإسناد ومبدأ الإفادة وعلاقتها بالتداولية:

يتجاوز الإسناد الوظيفة النحوية إلى المعيار التداولي، وعادةً ما يكون الإسناد في الخطاب دالاً على التضامن، فيظهر - مثلاً - ضمير المخاطب (أنت) ليخرج من الإحالة النحوية، ليدل على غرض تداولي، إذ يركز استعمال هذا الضمير على تجسيد العلاقة التواصلية بين عناصر الخطاب - المتكلم والسامع - و" يراد بأنت التعاونية تلك التي يستعملها المرسل في مخاطبة المرسل إليه، فإذا دار حوار بين اثنين، أو جرى بينهما أي نوع من أنواع الخطابات، فإن كلاً من الطرفين يستعمل أنت عندما يكون مُرسلاً" (٣).

وإذا نظرنا إلى الإسناد من جهة الاستعمال فإن الإسناد يظهر أنه الرابطة المعنوية والدلالية التي يُنجز بها المعنى في القول، وذلك بتوارد العلاقات بين الألفاظ بحسب السياق، فالإسناد يظهر في القول في صيغة الإنجاز وذلك بالربط بين أجزاء الكلام لحصول معنى المتكلم؛ لهذا فإن الإسناد يَجْمَلُ ضروب القول من خبر، أمر، نهي، استفهام ... لتصبح فيما بعد ركيزة لإنجاز أفعال كلامية ترتبط بالسياق التخاطبي. ويعرفه الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي بأنه: " المعنى الذي تُفسّر في ضوءه العلاقة بين الركنين الأساسيين اللذين تتولد من إسناد أحدهما إلى الآخر دلالة الجملة على معنى احتياج المبني الى المبني عليه" (٤)

ويؤدي الإسناد في القول إلى حصول فائدة فيه " فهو يوجب فائدة، فإذا استقهمت فإثما تستفهم عن تلك الفائدة، وإذا أمرت فإنما تأمر لإيقاع تلك الفائدة، وإذا نهيت فإثما تنهى عن إتيانها وإيقاعها، وكذلك إذا نهيت فإنك تنفي فائدة كانت واقعة قبل نفيك، فالنفي إنما يكون على جهة ما كان موجباً فإثما أعلمت السامع من الذي نفيت عنه أن يكون فاعلاً" (٥).

(١) المصدر نفسه: ٢٢٠.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٩١ / ١ .

(٣) استراتيجيات الخطاب: ٢٨٨ .

(٤) نظرية نحو الكلام: ١٧٨.

(٥) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: ١٩٦ .

ومبدأ (الإفادة) متحقق لدى نحاة العربية، فضلاً عن أنه يُعدُّ من أسس التداولية عند المعاصرين، ويدخل ضمنه قصد المتكلم، أو غرضه من الخطاب، ومراعاة حال السامع، فهو الثمرة التي يجنيها المخاطب من الخطاب<sup>(١)</sup>.

ومما ذكره الحاج صالح بخصوص مبدأ الإفادة وكيف يتحقق في الكلام ( الجملة ) يشترط وجود أمرين هما:

الأول: ثبوت معنى دلالي عام للجملة أو الكلام.

الثاني: أن تكتمل النسبة الكلامية للجملة فتحصل للسامع فائدة من الكلام يكتفي بها، بأن تكون عناصر العبارة معيّنة ودالّة<sup>(٢)</sup>.

فثبوت المعنى الدلالي العام للجملة مُتفقٌ عليه عند نحاة العربية، إذ اشترطوا أن (الجملة أو الكلام)<sup>(\*)</sup> لا يتم معناهما حتى يكون لهما معنى يفهمه السامع، فضلاً عن أهم شرط في صحة " الجملة " أو "الكلام" وهو حصول الفائدة لدى السامع فـ "الإفادة المستقلة"<sup>(٣)</sup> هي التي تحقق الفائدة التواصلية من خطاب المتكلم . يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " هذا التمييز قد لا يراعيه أكثر من يهتم بالتحليل اللغوي إلا فيما ندر . وهم يتابعون في ذلك ما كتبه المتأخرون من النحويين الذين صاروا لا يدركون أغراض النحاة الأولين - وهم المبدعون منهم كالخليل وسيبويه وأتباعهما - فصاروا لا يميّزون بين هذين الجانبين من اللغة: اللغة بصفتها أداة التبليغ والإفادة، ولألفاظها من أجل ذلك دلالة Semioticfunction ثم اللغة كلفظ منظم ... وانتظام هذا اللفظ على هياكل مختلفة تتفرع بعضها من بعض، وإن كان هو الذي يُمكن المتكلم من الإفادة إلا أنه هو في ذاته مستقل عن الإفادة. إذ قد يوجد من الكلام ما لا فائدة فيه بل ولا معنى له"<sup>(٤)</sup> فاللغة - كما بيّن الحاج صالح<sup>(٥)</sup> - هي قبل كلّ شيء استعمال ، ثم استعمال الناطقين بها أي إحداثهم لفظاً معيناً لتأدية معنى وغرض في حالٍ خطابية تقتضي هذا المعنى وهذا اللفظ، وليست فقط صوتاً ولا نظاماً من القواعد ولا معنى مجرداً من اللفظ الذي يدل عليه، ولا أحوالاً خطابية معزولة عن كل هذه الأشياء .

لقد "اهتمّ كثير من نحائنا القدامى بالمبادئ التي تُعدُّ من الصميم - عند المعاصرين - أُسساً تداولية، كمراعاة قصد المتكلم، أو غرضه من الخطاب، ومراعاة حال السامع ضمن ما أطلقوا عليه مصطلح الإفادة،

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب : ١٨٦ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٩٦، والتداولية عند العلماء العرب : ١٨٧ .

(\*) أشرت في المبحث السابق إلى العلماء الذين يرون أن الجملة و الكلام لهما المعنى نفسه من القدماء و المحدثين و الحاج صالح لا يفرّق بين المصطلحين ، ينظر ص ( ٢٩٥ ) من الاطروحة .

(٣) النحو الوافي : ١ / ١٥ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٩١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ١٧٥ .

وهي الفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب، والسياقات التي يُنتج ضمنها الكلام، ومدى نجاح التواصل اللغوي...<sup>(١)</sup>.

ويُمثّل الإسناد عند علمائنا القدماء أحد أسس اكتمال العملية التواصلية في بعدها التداولي، لتوقف تمام الفائدة عليه من جهة، ولحاجة المخاطب في وضعه الانتظاري لإعلامه بما تتوقف عليه الفائدة، يقول سيبويه: "فإذا قلت: (كان حليماً) فإنما ينتظر أن تُعرِّقهُ صاحب الصفة"<sup>(٢)</sup>.

وإن شرط الإسناد أن يكون عن معروف، أي ما يعرفه المخاطب، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ الكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف. ويمكن أن يحل - كما فعله سيبويه - إلى مكوناتٍ قريبة على حدّ تعبير علماء اللسانيات، تكون خطابية لا لفظية صورية أي عناصر لكل واحد منها وظيفة دلالية وإفادية. وهذه العناصر في الحقيقة عنصران: المسند والمسند إليه"<sup>(٣)</sup>. كما أنّه حتى في الحالات الإخبارية يقع على جزء من معرفة المستخبرين، يقول سيبويه في (باب ما يختار فيه النصب، وليس قبله منصوب بُني على الفعل، هو باب الاستفهام) معللاً بالحاجة لاستقرار الفائدة عند السائل في البنى الاستخبارية في مثل قولهم: (هَلْ زِيداً رَأَيْتَ؟)، يقول: "وإنما فعلوا ذلك بالاستفهام لأنّه كالأمر في أنّه غير واجب، وأنّه يريد به من المخاطب أمراً لم يستقر عند السائل"<sup>(٤)</sup>.

ويُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ سيبويه فسّر كثيراً من الظواهر اللغوية وخاصةً الظواهر المتعلقة بالتبليغ، فإنّ لها قوانين خاصة يعتمد في تفسيرها على تحليل الجانب الخطابي أي التبليغي الدلالي<sup>(٥)</sup>، فضلاً عن إشارته إلى أنّ متأخري النحاة<sup>(٦)</sup> لم يقفوا على الفرق بين ما جاء به سيبويه، وما اهتم به متأخري النحاة إذ كانت عنايتهم بالتعليل والتعديد، فالفرق واضح جداً<sup>(٧)</sup>.

فباب الإسناد بابٌ ناظم للعلاقات التركيبية في اللسان العربي، ولا يكتفي سيبويه بوصفه فقط من حيث تعلق المسند بالمسند إليه واحتياجه إليه، بل لا يكاد يتحدث إلا وهو يستحضر المتكلم فيقول عن المسند والمسند إليه: "وهما مالا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُداً"<sup>(٨)</sup>. ويُعيد تأكيده

(١) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير، ط١، ١٩٩٣م : ١٨٥ .

(٢) الكتاب : ٤٨ / ١ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٣ / ١ .

(٤) الكتاب : ٩٩ / ١ .

(٥) ينظر: الكتاب: ٢٣/١، والاصول في النحو: ٦٨/١، وشرح الرضي على الكافية: ٧/١ فما بعدها، ونظرية نحو الكلام: ١٧٨ فما بعدها، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٤ / ١ .

(٦) أقصد متأخري النحاة من جاء بعد سيبويه باستثناء بعض العلماء كابن جني والرضي والاستريادي ممن أبدعوا في الفكر اللغوي. يقول الحاج صالح في هذا الأمر: "لا بُدَّ أن ننبه القارئ الكريم أنّ مثل هذا الكلام عن (علم المخاطب) وسائر أحواله لا يمكن أن نعثر عليها في كتب المتأخرين. فالقواعد الجامدة قد حلت محل الملاحظات العلمية". بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٥ / ١ .

(٧) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٥ / ١ .

(٨) الكتاب : ٢٣ / ١ .

عن احتياج المتكلم في (باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد)، يقول: "لأنّ حالك في الاحتياج إلى الآخر هاهنا كحالك في الاحتياج إليه ثمة"<sup>(١)</sup>.

ومن الظواهر النحوية التي تتعلق بالإسناد والتي تحدث بها الفائدة هي ظاهرة (التعريف والتذكير)، فقد تعرض لها سيبويه وغيره من النحويين القدماء يقول الحاج صالح عن هذه الإشارات لسيبويه: "مثل هذه الملاحظات كثيرة جداً في الكتاب، وهي تخص أحوال الخطاب مقترناً بأحوال المخاطب: علم المخاطب وجهله واستحالة الإخبار عن منكور اللهم إلا إذا احتاج المخاطب إلى تحديد المنكور بأن يُعيّن حلية خاصة تميّزه عن غيره. ويمكن بالدراسة المتعمقة لهذه الملاحظات أن نستخرج قوانين التخاطب الحقيقية"<sup>(٢)</sup>. إنّ سيبويه - والعلماء الأولون - لا يكتفي بتعريف هذه الأشياء - كالتعريف والتذكير مثلاً - إذ يعتمد عليها لتفسير كثيراً من الظواهر اللغوية وخاصة الظواهر المتعلقة بالتبليغ، فإنّ لها قوانين خاصة يعتمد في تفسيرها على هذا التحليل للخطاب كخطاب. يقول سيبويه: "إذا قلت: (كانَ زيدٌ) فقد ابتدأت بما هو معروف عنده فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت: (حليماً) فقد أعلمته مثل ما علمت، فإذا قلت (كان حليماً) فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة ... وإذا قلت: (كان حليم) أو (رجل)، فقد بدأت بالنكرة ولا يستقيم أن تُخبر المخاطب عن المنكور"<sup>(٣)</sup>.

يتضح من نص سيبويه السابق أنّه لا يجوز الابتداء بالنكرة؛ وذلك لعدم تحقق شرط (الإفادة) التي هي غرض تواصلية مهم، فعلم المخاطب في (التعريف والتذكير) من الأمور المهمة في بناء أجزاء الكلام، يقول الدكتور كريم حسين الخالدي: "في التعريف والتذكير يكون علم المخاطب أساساً في ترتيب الكلام وبناء أجزائه"<sup>(٤)</sup>؛ لذلك قرر سيبويه أن (المُعَرَّف) - أي المُعَيَّن - هو المبدوء به؛ وعليه فإنّه إذا لم تحصل (الفائدة) لدى المخاطب لم يَجُزْ الابتداء بالنكرة، أما إذا تحققت (الفائدة) في النكرة فجاز الإخبار عنها والإسناد إليها، يقول سيبويه: "(وذلك قولك): (ما كان مثلك)... وإنّما حسن الإخبار ... عن المنكور، حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه؛ لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا، وإذا قلت: (كان رجلاً ذاهباً)، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله، ولو قلت: (كان رجلاً من آل فلان فارساً) حَسَنٌ؛ لأنّه إلى أن تعلمه أنّ ذاك في آل فلان وقد يجهله، ولو قلت: (كان رجلاً في قومٍ عاقلاً)، لم يَحْسُنْ؛ لأنّه لا يستكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم"<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه: ٥٦ / ١ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٩٥ / ١ .

(٣) الكتاب: ٤٨ / ١ .

(٤) مراعاة المخاطب في بناء الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، د. كريم حسين ناصح الخالدي، مجلة المورد، المجلد الثلاثون، العدد الثالث،

٢٠٠٢ م: ٢٣ .

(٥) الكتاب: ٢٦ / ١ - ٢٧ .

"إنَّ الغرض من الكلام هو إفادة المخاطب وإعلامه بما يريد المتكلم إيصاله إليه، سواء أكان المخاطب خالي الذهن، أو عارفاً بما يقصده المتكلم ... وكان لسيبويه قصب السبق في بيان أهمية علم المخاطب ومعرفته بما يخبر به"<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه المسألة (الابتداء بنكرة) موضع تباين في الآراء بين النحويين، فقد وضعوا شروطاً للمواضع التي يجوز الابتداء فيها بنكرة وصلت إلى أربعة وعشرين موضعاً وذكر أنها بلغت نيفاً وثلاثين موضعاً<sup>(٢)</sup>. " وهذا التعداد الذي لا طائل فيه إذ إنَّ النحويين القدماء أشاروا إلى أنَّ عدم جواز الأمر مبني على تحقق الفائدة وعدمها لدى المخاطب فالنكرة حين تحقق الفائدة المذكورة لا يمتنع الابتداء بها ويمتنع حين لا يتحقق ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وقد عبّر سيبويه في قوله: " لا يستقيم أن تُخبر المخاطب عن المنكور، وليس هذا بالذي يَنزل به المخاطب منزلتك في المعرفة، فكرهوا أن يَقربوا باب لبس"<sup>(٤)</sup>، عن أنَّ "الأساس في تنوع أقسام المبتدأ والخبر على وفق حالة كل منهما من حيث التعريف والتكثير هي مراعاة السامع؛ لأنَّه ينتظر أن يعرف خبراً ما عن شيءٍ معين، فإذا كان المخاطب يجهل الخبر فالمتكلم يَمُدُّه به لكي يعرفه، وهذا لا يكون إلا حين يُسند إلى مبتدأ معروف لدى المخاطب ولا يجهله وهذا هو السبب الذي أوجب كون المبتدأ معرفة"<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت مواضع عدّة في كتب النحويين يجوز فيها الابتداء بالنكرة، شرط أن تؤدي فائدة للمخاطب<sup>(٦)</sup>.

ولابدُّ من الإشارة إلى أنه قد وقع التداخل والاضطراب في تفسير المُسوِّغ أو - بعبارة أخرى - في بيان كيف تحقق الفائدة من الابتداء بالنكرة؛ فقد أشار - مثلاً - بعض النحاة<sup>(٧)</sup> إلى أنَّ سبب جواز الابتداء بالنكرة في المثل العربي القديم (شَرُّ أهرَّ ذا نابٍ)، هو إرادة معنى الحصر في النكرة، في حين أشار بعض آخر من النحاة المتأخرين<sup>(٨)</sup> إلى أنَّ السبب هو تخصيص النكرة بوصفٍ مُقدَّر. بل إنَّ السيوطي<sup>(٩)</sup> يذكر هذا الشاهد عند حديثه عن كلِّ من السببين السابقين.

(١) مراعاة المخاطب في بناء الأحكام النحوية في كتاب سيبويه : ٢٢ فما بعدها .

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل : ٢١٦ / ١ - ٢٢٧ ، ومراعاة المخاطب في النحو العربي : ١٨٨ .

(٣) مراعاة المخاطب في النحو العربي : ١٨٨ .

(٤) الكتاب : ٤٨ / ١ .

(٥) مراعاة المخاطب في النحو العربي : ١٨٨ فما بعدها .

(٦) ينظر: على سبيل المثال: الكتاب : ٥٤ / ١ ، وعلل النحو، ابن الوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، بغداد، د. ت : ١٩٩٩ فما بعدها، وشرح الرضي على الكافية : ٨٨ / ١ ، ومراعاة المخاطب في النحو العربي : ١٩٠ - ١٩٣ .

(٧) ينظر: الكتاب : ٣٢٩ / ١ ، وشرح ابن عقيل : ٢٢١ / ١ .

(٨) ينظر: - مثلاً - حاشية الصبان : ٢٠٥ / ١ .

(٩) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م : ٢٩ / ٢ فما بعدها .

ولقد ذكر بعض النحاة<sup>(١)</sup> أن مُسَوِّغَ الابتداء بالنكرة في مثل: (ما أحسنَ زيداً)، هو ما في النكرة (ما) من معنى التعجب، في حين ذكر بعض آخر<sup>(٢)</sup> أن المُسَوِّغَ هو ما في (ما) من إبهام.

ويجدر التنبيه هنا على ما في المُسَوِّغين - في المثال السابق - من تناقض؛ وذلك أنّ إرادة الإبهام مُسَوِّغاً في النكرة تتضارب مع إرادة التخصيص من حيث كان (التعجب) - عند بعضهم - سياقاً مخصّصاً للنكرة. فضلاً عن ذلك فإنّ هناك من النحويين<sup>(٣)</sup> من جعل المُسَوِّغَ في المثال السابق هو ما في (ما) التعجبية من وصف مقدّر، هكذا "شيء عظيم". من هنا رأى الأستاذ عباس حسن<sup>(٤)</sup> أنّ يُكتفى بالشرط العام الذي يقول به المتقدّمون، وهو حصول (الفائدة)، بل إنّه رأى أن لا داعي للتصريح بهذا الشرط لأنّه مفهوم بدهاءة، فمن البديهي أن يُقدّم المُتكلّم ما يُفيد وإلا عرّض نفسه وكلامه للحكم عليه بما لا يرضاه.

ولابدّ من التنبيه - هنا - على أثر المستمع في وصف الحدث الكلامي؛ فهو أحد العناصر الأساسية في كل حديث، وواحد ممن يحكم على ما يُقال بالقبول أو بعدم القبول.

لابدّ إذاً من عناصر أساسية تعمل على تكوين الحكم الذي يصدر من المستمع على ما يُنطق به، فإذا كان المتكلّم والسامع أو المخاطب هما العنصرين الرئيسيين في كلّ تواصل كلامي، فإنّ أحوال كلّ منهما والأشياء التي هي موضوع الحديث وأجواء الحديث ومشاهديه تُعدّ كذلك عناصر أساسية في الوقف الكلامي<sup>(٥)</sup>، يتوقّع أنّ يكون بعضها مُعيناً في تحديد طبيعة مُسَوِّغِ الإسناد إلى النكرة، ومنبع فائدته التي هي أساس قبول تركيبٍ وقع فيه المسند إليه غير مُعرّف. من هنا، كان من الواجب تحديد القرينة على وجود فائدة من تركيبٍ ما أُسندَ فيه إلى النكرة. ولعلّ من أفضل ما قيل في إيضاح القرينة العامة للفائدة من ناحية تداولية ما نُسب للجرجاني من أنّه قال: "يجوز الإخبار عن النكرة بكلّ أمرٍ تشترك النفوس في معرفته"<sup>(٦)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يلفت انتباهنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي التطابق بين المحتوى اللفظي والمحتوى الدلالي للمبتدأ وهذا يفضي إلى التطابق في مستوى الخطاب، يقول موضحاً هذه المسألة: "إنّ الكلام المستغني له عند سيبويه والنحاة الأولين صيغة لفظية خاصة، وليست هي الصيغة الخطابية المتكوّنة من مسند ومسند إليه، وإلا فلم احتاج أولئك العلماء إلى تسمية أخرى مثل المبتدأ أو المبني عليه؟ ولماذا احتاجوا إلى تصوّر عنصر لفظي مهم هو العامل وما يتعلّق به من معمول؟ نعم قد قال سيبويه (المبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه)<sup>(٧)</sup>. كأنّ المبتدأ والمبني عليه

(١) ينظر: شرح ابن عقيل : ٢٢٠ / ١ .

(٢) ينظر: همع الهوامع : ٣٠ / ٢ .

(٣) ينظر: حاشية الصبان : ٢٠٥ / ١ .

(٤) ينظر: النحو الوافي : ٤٤١ / ١ .

(٥) ينظر: الوظيفة وتحولات البنية، د. فيصل إبراهيم صفا، عالم الكتب الحديث - إربد، ط ١، ٢٠٠٩م : ١١٨ .

(٦) الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، مراجعة : د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م : ٦٦ / ٢ .

(٧) الكتاب : ٢٣ / ١ .

متطابقان، وكأنَّ التسميتين مرادفتان للمسند والمسند إليه<sup>(١)</sup>. ثمَّ يُردف قائلاً موضحاً عنصر (الفائدة) فيما ذهب إليه سيبويه: "وليس الأمر كذلك؛ لأنَّه لا فائدة... في تسميتها بالمبتدأ والمبني عليه. فإنَّ مقصود سيبويه هو أنَّ يُبيِّن أنَّ المبتدأ مهما كان محتواه الدلالي والخطابي فإنَّه بمنزلة الفعل والفاعل"<sup>(٢)</sup>. مستشهداً بأقوال سيبويه: "فلا بُدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأولُ بدَّ من الآخر في الابتداء"<sup>(٣)</sup>، وأيضاً قول سيبويه: "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام"<sup>(٤)</sup>. ويرى الحاج صالح أنَّ هناك تطابق في مستوى الخطاب، ولهذا قسّم النحاة - فيما بعد - الجملة إلى اسمية وفعلية<sup>(٥)</sup>، قال المبرد بهذا الصدد: "إنَّما كان الفاعل رفعا؛ لأنَّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: (قام زيد) فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"<sup>(٦)</sup>. و" هذا من حيث الإفادة لا البناء؛ لأنَّ صيغة اللفظ الذي يحمل المعنى والفائدة لا يطابق بالضرورة صيغة الخطاب من مسند ومسند إليه"<sup>(٧)</sup>. فقد بين النحاة العرب ذلك" باللجوء إلى منهج علمي هو ما يسمونه بحمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعهما، وهو ههنا البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل"<sup>(٨)</sup>.

فالجمل في أبسط أنواعها تتكون من عنصرين على سبيل المثال: (زيدٌ منطلقٌ) فتكوّن هذه الجملة العناصر التركيبية للنواة الثابتة، وهي بدورها وبهذه الصفة يمكن أن تدخل عليها عناصر أخرى زائدة قابلة للتقديم والتأخير وهي عناصر التخصيص لفظاً ومعنى، مثل الزوائد في داخل النواة، (إنَّ وكان) وغيرهما. وهذه المخصصات - كما يرى الحاج صالح<sup>(٩)</sup> - هي جميع المنصوبات التي تأتي زائدة، وجزء منها باعتبار الخطاب والإفادة يسمى فضلة؛ لأنها تأتي بعد المسند والمسند إليه، فالمفعول به من حيث البنية اللفظية يأتي في موضع المعمول ٢، فهو غير زائد، بل جزء من النواة اللفظية وهو "فضلة في الإفادة"<sup>(١٠)</sup> وهذه الزوائد على النواة اللفظية هي الحال والتميز كمعمول زائد للفعل لا للاسم<sup>(١١)</sup>.

وأود أن أشير إلى ما ذهب إليه د. الحاج صالح في الشق الأول من تفسيره للصيغة اللفظية وكيفية تطابقها مع الصيغة الخطابية المتكوّنة من المسند والمسند إليه شرط أن تتم الفائدة، وهذا هو شرط الإسناد - كما هو معروف - إذ يُعرف الإسناد في اصطلاح النحويين بأنَّه ضم كلمة إلى أخرى بحيث يفيد السامع منها فائدة تامة، وقد عرّفه الكفوي بأنَّه "ضم كلمة حقيقية أو حكماً، أو أكثر إلى أخرى مثلها أو أكثر بحيث

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٥ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٥ / ١ .

(٣) الكتاب : ٦ / ١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٨ / ١ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٥ / ١ .

(٦) المقتضب : ٨ / ١ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٦ / ١ .

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٩) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٩ / ١ .

(١٠) المصدر نفسه : ٢٩٩ / ١ .

(١١) المصدر نفسه : ٣٠٠ / ١ .

يفيد السامع فائدة تامة<sup>(١)</sup>، فما ذهب إليه الحاج صالح يُعدُّ من البديهيّات ومن الأمور التي تستريح إليها النفس.

فالمبتدأ والخبر) و(الفعل والفاعل) هما الركنان الأساسيان في الجملة؛ لأنهما "العمدة"<sup>(٢)</sup> إلا أنّ الجزم بتلازم المبتدأ والخبر أو تلازم الفعل والفاعل وعدم جواز استغناء أحدهما عن الآخر، فيه نظر؛ إذ ورد في الخطاب القرآني نصوص كثيرة ذُكر فيها الفاعل دون الفعل أو العكس ذكر الفعل دون الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فذكر الفاعل ولم يُذكر الفعل<sup>(٤)</sup>، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا نُسَمُّوهُ طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾<sup>(٥)</sup>، فهذا "يُشعر بإغناء الوصف مطلقاً وكفايته عن الوصف المسند وهو الخبر"<sup>(٦)</sup> وغيرها كثير من النصوص القرآنية التي يمكن الاستغناء فيها عن ركنٍ أساسي من أركان الإسناد (العمدة)؛ وذلك لأنَّ المعنى قد فُهِمَ من السياق الذي وردت فيه، فضلاً عن القرائن التي توحى بالمعنى في النص القرآني. كما أنّ "حاجة المتكلم إلى أن يُنوع في كلامه تبعاً لتنوع دواعي الكلام ومقتضيات الأحوال لفهم المخاطب ومعرفته وعلمه بمضمون كلامه، فمن هنا لزم أن يحذف من الكلام أو يضيف أو يكرر تبعاً للمقام الذي هو فيه، ومن هذا حذف المبتدأ فرأى النحويون أنّ المتكلم يحذفه من الكلام ويستغني عن ذكره إذا كان المتكلم له علم مسبق بذكره، وهناك قرائن دلت عليه، فحذف المبتدأ هنا إنّما حصل من المتكلم لأنّه يعلم أنّ المخاطب يعرفه فاستغنى عن ذكره واكتفى بالخبر؛ لأنَّ السامع يحتاج إلى سماعه وينتظر من المتكلم إخباره به فلا حاجة لذكر المبتدأ لأنّه إذا ذكر صار حشواً في الكلام لا فائدة منه ولا نفع فيه"<sup>(٧)</sup>.

وقد فصّل النحاة<sup>(٨)</sup> في مسألة حذف المبتدأ أو حذف الخبر (العمدة)، لاستغناء المتكلم عنهما ومراعاة لحال المخاطب أو لعلمه بما سيُخبره به، ف"المبتدأ يحذف تارة، ويحذف الخبر تارة، ويبقى المبتدأ، وذلك بحسب نصب الدلالة على المحذوف"<sup>(٩)</sup>.

أما فيما يخص الشق الثاني - في كلام الحاج صالح - والذي يخص أن الفضلة تأتي زائدة أو كما عبّر عنها "فضلة في الإفادة"، فأود أن أوضح أنّه في بعض الأحيان لا تتم الفائدة والمعنى من الكلام أو الخطاب إلا عند ذكر (الفضلة)، والخطاب القرآني أورد لنا نصوصاً كثيرة وضحت هذه المسألة، ففي قوله

(١) الكليات : ١٠٠ .  
(٢) نظرات في الجملة العربية : ٢٩ . وينظر: نظرية الكلام: ١٨٢ .  
(٣) سورة الزخرف : من الآية (٨٧) .  
(٤) ينظر: نظرات في الجملة : ٥٩ .  
(٥) سورة النور : من الآية (٥٣) .  
(٦) نحو القرآن، د. عبد الستار الجوّاري : ٢٧ - ٢٨ .  
(٧) مراعاة المخاطب في النحو العربي : ١٨٣ .  
(٨) ينظر: على سبيل المثال : المقتضب : ٧٩ / ٢، والأصول في النحو : ٢٥٤ / ٢، والخصائص : ٣٦٢ / ٢، ودلائل الإعجاز : ١١٢، وشرح المفصل : ٩٤ / ١ .  
(٩) شرح اللمع، أبو القاسم عبد الواحد العكبري (ت ٥٦٤هـ)، تحقيق : د. فائز فارس، ط١، الكويت، ١٩٨٤م : ٣٨ / ١ .

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، نجد "أنّ المعنى المقصود لا يتم بالفعل والفاعل والمفعول به؛ ذلك أنّ المعنى يبقى مبتوراً حتى تذكر جملة الحال"<sup>(٢)</sup>. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾<sup>(٤)</sup>، فنلاحظ أنّ لفظتي (شيباً) و(عيوناً) لا يمكن الاستغناء عنهما مطلقاً على الرغم من أنهما (فضلة)، يقول الدكتور كريم حسين الخالدي في معرض حديثه عن هاتين الآيتين: إنّ "لفظتي (شيباً) و(عيوناً) لا يمكن الاستغناء عنهما مطلقاً إذ أنّ الاستغناء عن أي منهما يخل بالمعنى المراد وتظل الجملة ناقصة؛ لأنّه سبحانه وتعالى لا يريد الإخبار عند اشتعال الرأس لأنّ ذلك معنى آخر غير المعنى الذي قصده في قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾، لذا يأتي التمييز إيضاحاً للقصد الأساسي من هذه الآية الكريمة وكذلك الحال في (عيوناً)"<sup>(٥)</sup>.

مما تقدّم يتضح أنّ للفضلات دوراً أساسياً في بناء الجملة، لا يقل شيئاً عن دور المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل (العمدة)، إذ يُعدّ وجودها أساسياً فلا يمكن الاستغناء عنها، كما أنّه لا يصح الجزم بتلازم المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل وعدم جواز استغناء أحد الجزئين عن الآخر؛ لأنّه قد يتم المعنى باجتماع الركنين، وقد يتم بوجود واحد منهما، وقد يظل المعنى ناقصاً يعوزه مجيء الفضلة كما في التمييز أو الحال أو الظرف وغيرها من المكملات التي لا يصح المعنى إلا بذكرها؛ لأن الأساس في ذلك هو المعنى وإتمام الفائدة للمخاطب<sup>(٦)</sup>.

### ❖ المقاصد التداولية لبعض الظواهر النحوية:

إنّ إشارات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ الكلام كلفظ دال له بنية فضلاً عن أنّ اللفظ الدال في حدّ ذاته له بنية، إشارات صحيحة ومفهومة، إذ إنّ لفظ أهمية كبرى في تحديد المعاني، حتى وإن كانت الألفاظ عاجزة عن حمل هذا المعنى، لكن يجب أنّ يُفهم هذا على مستوى الاختيار، "فالفائدة في التلازم حُسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبّل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حُسن الصورة وطريقة الدلالة..."<sup>(٧)</sup> ويقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إنّ "حقيقة الكلام يعني بها الكلام في ذاته أي كخطاب لا من حيث بنية لفظه، وأما هذه البنية اللفظية فيُعبّر عنها مرة بترتيب اللفظ ومرة أخرى بالتعبير: الإعرابي النحوي .. وقد يُعبّر سيبويه عن الأول باللفظ اختصار في مقابل المعنى ولا يريد ههنا بالمعنى مدلول اللفظ الأصلي، أي الموضوع له. فهذا يدخل في ميدان اللفظ، بل يريد بذلك دلالة

(١) سورة النساء : من الآية (٤٣) .

(٢) نظرات في الجملة العربية : ٦١ .

(٣) سورة مريم : من الآية (٤) .

(٤) سورة القمر : من الآية (١٢) .

(٥) نظرات في الجملة العربية : ٦٢ .

(٦) ينظر: نظرات في الجملة العربية : ٦٢. أود الإشارة إلى أنّ الدكتور كريم حسين الخالدي قد أفرد فصلاً في كتابه السالف الذكر تناول فيه حالات التلازم والافتقار بين المسند والمسند إليه، والتلازم والافتقار في أركان أخرى من الجملة كالصلة والموصول والمضاف والمضاف إليه... الخ ولمزيد من التفصيل ينظر: نظرات في الجملة العربية : ٢٩ - ٦٣ .

(٧) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ١٤٣ .

الحال<sup>(١)</sup>، أو الدلالة العقلية أو أي دلالة غير اللفظ. ويسميه العلماء العرب (لازم المعنى). فهذا يخص الـ Semantique أي المعنى في ذاته لا كمدلول اللفظ، وبالنسبة إلى اللفظ الدال عليه<sup>(٢)</sup>.

فالذي قصده الدكتور الحاج صالح في قوله السابق أنّ هناك ظواهر نحوية وأسلوبية عدّة، إذ يقصد بـ "ترتيب اللفظ" أسلوب التقديم والتأخير، إذ يُعدُّ أسلوباً دلالياً فضلاً عن كونه تداولياً، فقد أشار سيبويه إلى هذا الأسلوب عندما تحدّث في باب (الفاعل الذي يتعدى إلى مفعوله) فإذا به يُرسل إشارة تحليلية تنبني على أبعادٍ تداولية، قال: "وذلك قولك: ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا... وَإِنْ قَدَّمْتَ الْمَفْعُولَ وَأَخَّرْتَ الْفَاعِلَ جَرَى الْفَرْقُ كَمَا جَرَى فِي الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللَّهِ، لِأَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ بِهِ مُؤَخَّرًا مَا أَرَدْتَ بِهِ مُقَدَّمًا... كَأَنَّهم إِنَّمَا يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَّنَّهُ أَهْمٌ لَهُمْ، وَهَمَّ بَيَّنَّهُ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ"<sup>(٣)</sup>. ويُعلِّق عبد القاهر الجرجاني على نص سيبويه المذكور - بعد أن عرض أمثله - قائلاً: "قال صاحب الكتاب - يقصد سيبويه - كأنهم يُقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثلاً. وقال النحويون: إنّ معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعلٍ ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويُفسد ويكثرُ به الأذى، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل لا يعنيه من شيء فإذا قُتل وأراد مريدُ الإخبار بذلك فإنه يقدِّم ذكر الخارجي فيقول: قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدًا. ولا يقول قَتَلَ زَيْدًا الْخَارِجِيَّ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ فِي أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْقَاتِلَ لَهُ زَيْدٌ جَدْوَى وَفَائِدَةٌ فَيَعْنِيهِمْ ذِكْرُهُ وَيَهْمُهُمْ وَيَتَّصِلُ بِمَسْرَتِهِمْ"<sup>(٤)</sup>. فالفائدة التي يتحصل عليها المخاطب من تقديم المفعول به غير تلك التي يتحصل عليها من تأخيره. وتتضح رؤية علمائنا القدماء لآلية التقديم والتأخير وكيفية تواجده في القول في كونها رؤية تواصلية، مرتبطة بالقصد، إذ إنّ تقديم لفظ على آخر يكون بمراعاة معاني النحو أولاً والمتمثلة في التعليق على مستوى البنية اللسانية، لينطلق منها المتكلم ويبني أغراضه بحسب السياق التخاطبي وما يستلزمه المقام، ويكون هذا المعنى المراد متعلقاً بالدلالة الثانية وهي دلالة المعنى الظاهر على معنى آخر على سبيل الاستدلال<sup>(٥)</sup>.

ومثال الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن التقديم والتأخير - (قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدًا) - والغرض منه هو تحليله للجملة السابقة، فالتكلم يُبَادِرُ بِذِكْرِ الْمَفْعُولِ بِهِ بَدَلًا مِنَ الْفَاعِلِ، وَذَلِكَ عَدُولٌ مِنْهُ عَنِ الْقَاعِدَةِ (فعل + فاعل + مفعول به) وهو عدول مرتبط بالقصد ضمن السياق والغرض المقصود، "فالبلاغي يحرص على كشف الإرادة الاستعمالية للتركيب المنجز، وهذه الإرادة شيء زائد عن التركيب؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِسِيَاقِ الْحَالِ وَمُوَافِقَةٌ لِمَقْتَضَاهُ، فَالْقَصْدُ لَيْسَ مُسَلِّطًا عَلَى التَّرْكِيبِ فِي ذَاتِهِ... وَإِنَّمَا فِي خَوَاصِهِ"<sup>(٦)</sup>. ففي المثال

(١) يقصد بدلالة الحال : علم المخاطب .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠١ / ١ .

(٣) الكتاب : ٣٤ / ١ .

(٤) دلائل الإعجاز : ٨٤ .

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ٢٠١ .

(٦) دراسات في اللسانيات العربية - بنية الجملة العربية، عبد الحميد السيد : ١٢٩ .

(قَتَلَ الخارجي زيدٌ) يكون المخاطب على شغف لمعرفة خبر مقتل الخارجي وليست الفائدة في معرفة القاتل وإثما في معرفة المقتول؛ وذلك بالنظر إلى السياق، والسياق هنا يمثله مكانة الخارجي عند الناس ونفورهم منه نظراً لسوء سيرته، وهذا ما بيّنه في مثاله<sup>(١)</sup>، كما أنّ " تحريك أي عنصر من مكانه إلى مكان ليس له في الأصل، ينبئ عن مقصد وغاية"<sup>(٢)</sup>، وهذا ما أكدّه الجرجاني.

ومن الأمور التي تطرق إليها عبد القاهر الجرجاني منبهاً على مبدأ بلاغي تداولي عند استعمال همزة الاستفهام في القول، إذ ربطها بهيئة التقديم والتأخير، يقول: "ومن شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه. ومثال ذلك أنك تقول: أبنيت الدار التي كنت تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛ لأنّ السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوّز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن. وتقول: أنت بنيت هذه الدار؟ أنت قلت هذا الشعر؟ أنت كتبت هذا الكتاب؟ فتبدأ في ذلك بالاسم، ذلك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان؟ كيف وقد أشرت إلى الدار مبنية والشعر مقولاً والكتاب مكتوباً؟ وإنما شككت في الفاعل من هو"<sup>(٣)</sup>. فهنا ينطلق عبد القاهر الجرجاني من المعاني النفسية للمتكلّم، وقصد التخاطب التي تربطه بحال المخاطب، مستنداً في ذلك إلى البنية السطحية للكلام. " فبالنظر إلى (معنى الاستفهام)، بوصفه غرضاً إبلاغياً متعلقاً بالتحقق وعدمه (في التصور والتصديق معاً)، أو بمصطلحات المعاصرين (فعلاً كلامياً استعمالياً) يقوم بوظيفة تواصلية في غاية الأهمية"<sup>(٤)</sup>. فباستعمال الهمزة يختلف الغرض الذي تستفهم عنه بحسب طريقة النظم المرتبط بقصد المتكلّم، وهذا ما يجعل استعماله متعلقاً بعقد التعاون بين أطراف التخاطب، بهدف التفاعل القائم على عقد التعاون فضلاً عن تحقيق الإنسجام داخل الخطاب.

أما ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في قوله: إنّ التغيّر في البنية اللفظية<sup>(٥)</sup> قد يُعبّر عنها بالتعبير ((الإعرابي النحوي))، ويراد منه دلالة الحال<sup>(٦)</sup>، فقد قصد - على حدّ فهمي - التغيّر في العلامة الإعرابية للفظة، فالإعراب ذو صلة وطيدة بالمستوى الدلالي والتداولي، إذ إنّ إبانة للمعاني المختلفة<sup>(٧)</sup>، ولم يخطئ الدكتور عبد السلام المسدي عندما وصفه بأنّه " مفتاح النحو"<sup>(٨)</sup>. ولا يكاد يخلو

(١) ينظر: دلائل الإعجاز : ٨٤ .

(٢) دراسات في اللسانيات العربية - بنية الجملة العربية : ١٢٩ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٨٧ .

(٤) التداولية عند العلماء العرب : ١٩٦ فما بعدها .

(٥) المقصود بالبنية اللفظية : هي كل ما أفاد معنى لغوياً، ولو كان حرفاً زائداً لمعنى أو حرفاً من حروف المعنى ... وقد تكون حركة ... الخ، يمكن أن يستدل بها على الوظائف النحوية، وتعدّ البنية قرينة من القران اللفظية، ويتضح معناها الدلالي والتداولي عندما تُوضع في سياق معين. ينظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، مكتبة الأسرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٣م : ٨ / ١ و ١٠ .

(٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠١ / ١ .

(٧) ينظر: شرح المفصل : ٧٨ / ١ .

(٨) العربية والإعراب : ٤٨ .

الإعراب من أسباب وصلاتٍ مع المستوى التداولي، الأمر الذي جعل أحد الباحثين<sup>(١)</sup> يقترح مصطلح "الإعراب التداولي"<sup>(٢)</sup>؛ لما وجده في كتب نحائنا القدماء - ولاسيما الخليل وتلميذه سيبويه - من مادةٍ قابلةٍ لعرضها، فضلاً عن القراءة الأولية للمصطلح النحوي والمفاهيمي الوصفي كافية لتدل على التداخل بين المستويات (التركيب، الدلالة، التداولية)، فالحال والتوكيد والبدل... دوال اصطلاحية ليست سلماً في بنائها لمستوى التركيب، بل تظل وفيه لبعدين تأخذ عنهما وتعكسهما هما البعد الدلالي والتداولي<sup>(٣)</sup>.

إنّ عملية الاقتران بين الوجود القاموسي (المعجمي) للألفاظ ووجودها السياقي من خلال (التركيب) أو (النحو)، إذ يُؤذن لنا النحو بخروج الألفاظ من مخزوننا المعجمي إلى أدائنا التداولي<sup>(٤)</sup>. وقد أولت التداوليات الحديثة عناية كبيرة لعنصري (المتكلم والمخاطب)، باعتبارهما العنصرين الأساسيين اللذين يتوجه الخطاب (من وإلى) أحد الطرفين. فقد يُرسل المتكلم إشارات إلى المخاطب لما يجول في نفسه من مدح أو ذم تجاه شخصٍ معيّن. ويتضح هذا المعنى في ظاهرة (القطع)، إذ نجد اعتماد النحاة على قرينة (مراعاة المخاطب) في تفسيرهم لهذه الظاهرة، وهو "أسلوب في العربية يجري فيه قطع الاسم عن حركته بتغيير علامة الإعراب، لقصد تأكيد صفة المدح أو الذم أو المبالغة"<sup>(٥)</sup> ويُعرفه الدكتور كريم حسين الخالدي بأنه "مصطلح بصريّ، يُراد به قطع اللفظ عمّا اتصل به، كقطع النعت عن المنعوت، وقطع المضاف عن المضاف إليه، وهو تغير في علاقة الاتصال تقتضيه حالات لدلالة عن معانٍ كالمدح، والذم، والترحم"<sup>(٦)</sup> لتأديتها غرض دلالي وتداولي.

وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة في باب (ما ينتصب على التعظيم والمدح) بقوله: "وإن شئت جعلته صفةً فجرى على الأول، وإن شئت قطعته فابتدأته. وذلك قولك: الحمد لله الحميد، والحمد لله أهل الحمد، والملك لله أهل الملك، ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً..."<sup>(٧)</sup>. ومثل ذلك "قول الله عز وجل: ﴿لَنَكِينِ الرَّسُولِ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾"<sup>(٨)</sup>، فلو كان كلّه رفعاً كان جيداً فأما المؤتون فمحمولٌ على الابتداء"<sup>(٩)</sup>، فيعرب سيبويه (والمقيمين) المنصوبة على

(١) هو الباحث الدكتور إدريس مقبول .

(٢) الأسس الإيستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ٢٨٨، وينظر: البعد التداولي عند سيبويه، للباحث نفسه، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، المجلد ٣٣، ٢٠٠٤م : ٢٤٩ .

(٣) ينظر : الأسس الإيستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: ٢٨٩ .

(٤) ينظر: العربية والإعراب : ٤٨ .

(٥) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٢م : ١٢٤، وينظر: البديل المعنوي من ظاهرة الحذف .

(٦) نظرية نحو الكلام: ٢١٦ .

(٧) الكتاب : ٦٢ / ١ .

(٨) سورة النساء : من الآية (١٦٢) .

(٩) الكتاب : ٦٣ / ١ .

التعظيم والمدح، ويذهب الزمخشري إلى أنها - المقيمين - منصوبة على الاختصاص، فضلاً عن أنه رد من توهم خطأها بأنه لم ينظر بما جاء في (الكتاب)<sup>(١)</sup>، أي كتاب سيبويه - كما أن قراءة الرفع شاذة<sup>(٢)</sup>.

فسيبويه في الشاهد القرآني السابق ذهب مذهباً تداولياً فيختار الإعراب على التعظيم والمدح؛ لأن المقام الإنشائي مقام ثناء على المؤمنين.

ويورد سيبويه شاهداً قرآنياً آخر في الباب نفسه، "قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَالِ الْيَقِينِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾"<sup>(٣)</sup>، ولو رفع (الصابرين) على أول الكلام كان جيداً. ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأت في قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ونظير هذا النصب في الشعر قول الخرنق:

لا يبعدن قومي هم                      سم العداة آفة الجزر

النازلين بكلٍ مُعْتَرِكٍ                      والطيبون معاقدة الأزر

رفع الطيبين كرفع المؤتئين"<sup>(٥)</sup>. ويُقدّر النحويون في القطع إلى الرفع عاملاً محذوفاً تقديره (أعني أو أمدح أو أذم) والقطع في جميع الأحوال يأتي للمبالغة في صفة المدح أو الذم أو الترحم، وبنى الخليل حكمه النحوي بناءً على معرفة المخاطب والسامع وعلمهما بالحدث، فهي أنماط خاصة من التراكيب يُراعى فيها حال السامع وإدراكه لما تكون عليها تلك الأحوال فلا موجب لإخباره بالفعل أو المبتدأ<sup>(٦)</sup>. وهو ما أشار إليه الخليل بأنه (فعلٌ لا يستعمل إظهاره)، فإنثناء التقدير وتوجيهه مبني على إدراك المقام التخاطبي، قال سيبويه: "إن نصب هذا على أنك لم تُرد أن تحدث الناس، ولا من تُخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناءً وتعظيماً ونصبه على الفعل، كأنه قال: أذكر أهل ذلك، وأذكر المقيمين، ولكنه فعلٌ لا يُستعمل إظهاره، وهذا شبيهه بقوله: إنا بني فلان نفعل كذا؛ لأنه لا يريد أن يُخبر من لا يدري أنه من بني فلان، ولكنه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاً"<sup>(٧)</sup>.

وفي مقامنا هذا أود الإشارة إلى أن الشنتمري قد ذكر بعض الشروط التداولية للتعظيم بناءً على ما أخذه عن الخليل فيما رواه سيبويه، يقول: "واعلم أن التعظيم يحتاج إلى اجتماع معنيين في المعظم أحدهما:

(١) ينظر: الكشف: ٥١١ / ١، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السيزواري (ت ١٤١٤ هـ)، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٩م: ١٠ / ١٩٢.

(٢) ينظر: الكشف: ٥٧٧ / ١، والمحتسب: ٢٠٤ / ١.

(٣) سورة البقرة: من الآية (١٧٧).

(٤) سورة النساء: من الآية (١٦٢).

(٥) الكتاب: ٦٤ / ١.

(٦) ينظر: البديل المغوي من ظاهرة الحذف، د. كريم حسين الخالدي: ١٦٥.

(٧) الكتاب: ٦٥ / ٢ - ٦٦.

أن يكون المعنى الذي عَظُمَ به صفة مدحٍ وثناءٍ ورفعٍ. والآخر، أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب، وشهره عنده بما عَظُمَ به، أو يتكلم المتكلم بصفةٍ ينفرد بها المخبر عنه عند المخاطب، ويعرفه بها، ثم يأتي بعدُ بصفاتٍ يعظمه بها، كقولك: مَرَرْتُ بعبدِ اللهِ الكريمِ الفاضلِ. فتتصب (الفاضل) على التعظيم، لأنك لما قدّمت (الكريم) صار كأنه قد عُرِفَ وشهر" (١).

ومما جاء في مقام الذم والشتم ويجرى ومجرى التعظيم، ما ذكره سيبويه في (باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) " تقول: أتاني زيدٌ الفاسقُ الخبيثُ، لم يُرد أن يكرهه ولا يعرّفك تنكره، ولكنه شتمه بذلك. وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٢) شتماً لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره. قال عروه الصعاليك العبسي:

سَقَوْنِي الحَمْرَ ثم تَكْنَفُونِي      عُدَاةَ اللهِ من كَذِبٍ وزورٍ

إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين" (٣).

ففي نصب (حمالة الحطب) إحياء بمعنى الشتم والذم، وهي قراءة عاصم (٤)، وأعربها الزمخشري بالنصب على الشتم وهي عنده بمكان اللطف ما يختزنه النصب من معنى، إذ قال: " وأنا استحب هذه القراءة" (٥).

وعلى الرغم من أن التقدير يُخل بالمعنى، إلا أن الخليل وسيبويه ذهباً مذهباً تداولياً، معتمداً على ذكاء المخاطب وفطنته وعلمه بدليل قوله: " إنك لم تُرد أن تُحدِّث الناس ولا من تُخاطب بأمرٍ جهلوه"، فعند قوله: (فعلٌ لا يستعمل إظهاره)، فهو يعتمد عليه فقط ليتضح ما خُفي من معاني المحذوف ويستقيم بذلك منطق الإعراب والفهم (٦).

والمخاطب في الأمثلة السابقة لم يكن خالي الذهن، بل هو عارفٌ بالخبر عالمٌ به، قال مخاطب بحالةٍ من العلم بالخبر أوحى بالتعظيم والشتم فضلاً عن القرينة اللفظية أي العلامة المغايرة لعلامة المتبوع على عكس ما هو مألوف في مثل هذا الموقع، ودلالة الألفاظ التي توحى بمعنى الذم أو توحى بمعنى المدح والفخر" (٧). فتغيّر العلامة الإعرابية تنبيهاً للسامع، كما أنها قرينة أخرى تضاف إلى

(١) النكت : ٧٤ / ٢ .

(٢) سورة المسد : الآية (٤) .

(٣) الكتاب : ٧٠ / ٢ .

(٤) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد : ٧٠٠ .

(٥) الكشف : ١٠ / ٤ .

(٦) ينظر: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ٢٩٤ .

(٧) البديل المعنوي من ظاهرة الحذف : ١٦٦، وينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ١٢٦ .

قرينة علم المخاطب ومعرفته بالخبر، وهذه القرينة الإشارية والاستدلالية بالحركات للإيحاء بالمعاني المقصودة، وهي الإيحاء بمعنى الشتم والذم، أو المدح والتعظيم. فالعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب لها أحوالها الخاصة من احترام أو استئناس ومن محبة ودم وغيرها<sup>(١)</sup>.

كما أنّ التقدير دال على وعي سيبويه بالبُعد التداولي، ومعنى قوله: (وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره) أن تقدير المحذوف مسألة افتراضية؛ لأنّ العامل مجرد تصور شكلي أو ذهني تأويلي أو هو أداة تحليلية لبناء العلم<sup>(٢)</sup> ليس أكثر، كما أنّ فكرة العامل قد استُعْمِلت لأغراضٍ تعليمية كما ذكرنا ذلك في مباحثٍ سابقة، مما أبعد النحاة عن الغرض الأصلي للنحو وهو (المعنى)، وهذا ما أراده الخليل وتلميذه سيبويه، إذ إنهما لا يستندان إلى إعرابٍ جافٍ معزولٍ عن مستوى الدلالة والتداولية، بل يستنبطان الدلالة عن طريق المقام وفهم المخاطبين فضلاً عن استحضار الشروط التداولية لإنتاج وتأويل الخطاب.

إنّ المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وهي معرفة معقدة نوعاً ما، تُشير إلى المعنى التداولي؛ وذلك بالنظر إلى الاستعمالات اللغوية التي سجلها النحاة القدماء على ألسنة المتحدثين بالعربية، كانت مشحونة بمقاصد المتكلمين وأغراضهم، ومن أهم الظواهر التي ارتبطت بالتداولية، هي ظاهرة

الإلتساع<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ هذه الظاهرة من أكثر الظواهر التي يمكن أن يتضح معناها في التداولية pragmatics كما يُعتبر سيبويه من أكثر العلماء استعمالاً لهذه الظاهرة، يقول: إنّ " استعمال اللفظ بمعنى آخر غير معناه الوضعي - الموضوع له في أصل اللغة أو المعاني - فهو ما يسميه العلماء العرب بالإلتساع أوسع الكلام<sup>(٤)</sup>. وهو تجوّز يُبيحه الاستعمال للغة للعلاقة القائمة بين المعنى الأصلي والمعنى المتوسّع فيه. ولهذا سُمي مجازاً - بمعناه الواسع - وهذه العلاقة هي علاقة عقلية محضة وليست مثل العلاقة التي تربط بين اللفظ والمعنى الوضعي التي هي اعتباطية أي عن غير سبب. فهذه علاقة توجد في أصل اللغة وتلك هي علاقة يحدثها المتحدث في استعماله للغة، والفرق ههنا هو كالفرق الذي أثبتته دي سوسير بين اللغة والكلام، أو الفرق الذي أُقيم بين الأوضاع اللغوية؛ الإفرادية والتركييبية، وبين ظواهر الاستعمال لهذه الأوضاع pragmatic/ syntax " <sup>(٥)</sup>. ويقول في موضعٍ آخر منبهاً على أن سيبويه قد التفت إلى كثير من الظواهر إذ " يتكلم سيبويه عن مستوى من التعبير المستخف

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٨٤ .

(٢) ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل : ١٩٨ .

(٣) اعتبر د. كريم الخالدي الإلتساع من قوانين بناء الكلام، فضلاً عن أنّه "ظاهرة معنوية لاحظها علماء اللغة وفسروا بها حالات خروج البنية، أو الالفاظ، عن الوضع الذي ينبغي أن تكون عليه، وتوضع فيه، الى وضع آخر لاداء معنى جديد. نظرية نحو الكلام: ١٠٢، وينظر: ص ٩٢.

(٤) أشار إلى كتاب سيبويه، ينظر: الكتاب : ١ / ٢٥١ و ٣٥١ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤١ فما بعدها .

يسميه سعة الكلام والاختصار ويكثر ذكر هذا المستوى، وخاصة في ابواب المنصوبات، ويُمثّل له بأمثلة كثيرة جداً بما سمعه هو بذاته من أفواه العرب<sup>(١)</sup>.

ويحمل الاتساع معانٍ عدّة في الاصطلاح، منها ما يدخل في علم النحو، ومنها ما يدخل في المجاز - كما ذكر الحاج صالح - ففي علم النحو يختص بالتركيب وقد يقصد منه في هذه الناحية الاختصار والتجوز وهو ما جاء على اتساع الكلام والاختصار كما قد يقصد منه ما جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى أو لعلمه بالمحذوف، فضلاً عن السياق الذي يوحى بما يُريد إيصاله المتكلم من خطابه. ويعرفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنه "ظاهرة من عمل العقل، أي من مبادرة تأتي من المتحدّث فهي ظاهرة كلامية خطابية أو استعمالية محضة"<sup>(٢)</sup>.

أما الاتساع الذي يُراد به المجاز، فقد يرد اللفظ لغير المعنى الحقيقي الدال عليه، قال ابن جني: "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة"<sup>(٣)</sup>. فهو استعمال للألفاظ لغير ما وُضعت له، وقد أكد ذلك عبد القاهر الجرجاني قائلاً: "كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع ما لم تُوضع له، من غير أن تستأنف منها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع من واضعها فهي مجاز"<sup>(٤)</sup>.

وقد اعتنى النحاة العرب القدماء بمفهوم الاتساع إذ يتم بطريقتين: الأولى زيادة اللفظ لزيادة المعنى - على حدّ تعبير ابن جني -، والثانية: الإيجاز في اللفظ والاتساع في المعنى، غير متناسين القصد التداولي من ذلك على حدّ تعبير العرب (خير الكلام ما قلّ ودلّ)، والتي نكتشف من خلالها العقلية العربية التي تربط الاتساع بالإيجاز، وهو المقصد التداولي في الفلسفة العقلية العربية.

ومن مظاهر الاتساع، هو (الاتساع في المعنى والاختصار في اللفظ) ، يقول الدكتور فاضل السامرائي: "قد يؤتى بالعبارات المحتملة لأكثر من معنى، وقد يؤتى بها لتجمع أكثر من معنى وهذه المعاني مرادة مطلوبة، فبدل أن يُطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر، يأتي بعبارات واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى"<sup>(٥)</sup>. فالإتساع يكون في المعنى والاختصار في اللفظ، فالتغيير حاصل بالمعنى، وبذلك يكون الغرض من الحذف هو للتوسّع في المعنى.

(١) المصدر نفسه : ٣٠١ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٤٢ / ١ .

(٣) الخصائص : ٤٤٤ / ٢ .

(٤) أسرار البلاغة : ٣٥٢ .

(٥) الجملة العربية والمعنى، د. فاضل السامرائي : ٧٣ .

وهناك قواعد سياقية تتحكم في اختيار المتكلم لأسلوب معين، كعلم المخاطب وجهله وموقفه، حتى حواسه تدخل في هذا المجال<sup>(١)</sup>، فكل ما يتعلق بالمخاطب من تصوراتٍ ومعانٍ تدخل ضمن قرينة (مراعاة المخاطب)، التي تُعدُّ من القرائن المهمة في اللسانيات التداولية<sup>(٢)</sup>. فلا يمكن أن نفهم الكلام ونُحدد مساره، ما لم نستحضر شروط إنتاجه المحيطة به، ولا سيّما عنصري (المتكلم والمخاطب). فضلاً عن أنّ التداولية تنظر إلى كفاءات تداول المتكلمين للأقوال الطبيعية في مقامات إنجازية معينة. وعلمائنا العرب القدماء، ولا سيّما الخليل وسيبويه، كثيرو الاهتمام بعنصري التداولية - المتكلم والمخاطب - فضلاً عن السياق الذي يدور فيه الكلام. فقد تبنا النظرة الفعلية للغة لكونها استعمالاً فعلياً - على حدّ تعبير الدكتور الحاج صالح - للمتكلم العربي حسب ما يفرضه النظام اللغوي المجرد المحقق فعلياً بالآليات التداول<sup>(٣)</sup>. لذا ترتبط التحاليل الدلالية والتداولية بسياقات التواصل، لكونها أنماطاً يتوصل بفضلها إلى اكتشاف نوايا ومقاصد المتكلم، لكشف المقاصد التداولية وراء كل استعمال لغوي مهما كانت درجة استعماله التعبيري حقيقة أو مجازاً.

ومن الأمثلة على الإتساع ما ورد في كتاب سيبويه - على سبيل المثال لا الحصر - في قوله: "ذهبت الشام"<sup>(٤)</sup>، والتقدير: ذهبْتُ إلى الشام، والمتكلم العربي هو الذي أنجز هذا الفعل الكلامي لهذا التركيب يقصد ذهابه إلى الشام أو ذهب فيه مذهباً والمُخاطب يُدرك ذلك، أي أنّ المتكلم - في هذه الحالة - يفترض أنّ المخاطب يعلم ذلك، وهذا يدخل ضمن الاقتصاد اللغوي، فاختصر مجازاً وتوسّع في المعنى.

ويرتبط مفهوم التوسع بقصد<sup>(٥)</sup> المتكلم الذي يُعتبر العنصر المُنجز لأفعال الكلامية حسب ما تسمح به القواعد اللغوية للتعبير عن مقاصده، ونجد سيبويه أول ما يُشير إلى هذا المعنى على الرغم من أن بعض الباحثين<sup>(٦)</sup> يجدونه مرتبطاً بالنحاة المتأخرين فقط، والبلاغة فقط، إذ يربط تأويله للمحذوف بتفسير قصد المتكلم، وذلك في مثل تعليقه على قول العرب (الليلة الهلال)، يقول: "إنّما الهلال في بعض الليلة وإنّما أراد الليلة ليلة الهلال ولكنّه اتسع وأوجز"<sup>(٧)</sup>. والغرض من تفسيره هو المقصد التداولي الذي يُريده المتكلم، إذ أدرك المخاطب بذكائه وفطنته قصد المتكلم.

(١) أفردت الدكتورة بان الخفاجي فصلاً كاملاً في مؤلفها (مراعاة المخاطب في النحو العربي) بعنوان (مراعاة أحوال المخاطب) تناولت فيه

كل ما له علاقة بعلم المخاطب وجهله وحواسه... الخ ينظر : ٥٧ - ١١

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠٢ / ١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٨١ / ١ .

(٤) الكتاب : ٣٥ / ١ . وقد ذكر أمثلة كثيرة منها ما أوردها في (باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز) :

٢١٧ / ١ - ٢١٨ .

(٥) ويراد منه عند النحاة القدماء: الغاية التواصلية التي يُريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، فضلاً عن قرينة (مراعاة الغرض من الكلام) التي تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة. ينظر: التداولية عند العلماء العرب : ٢٠٠ ، والقصد أو المقصدية من المفاهيم التي نجدها عند علماء النفس وفلاسفة اللغة، فضلاً عن أنّه من المفاهيم التي استأثرت وما تزال باهتمام اللسانيين وقبلهم الفقهاء والفلاسفة والمتكلمون وعلماء البلاغة، إذ يكفي رجوعنا إلى تراث المعتزلة - مثلاً - للوقوف على نظرات علمية لطيفة في هذا الباب، ينظر: البعد التداولي عند سيبويه : ٢٦٨ .

(٦) هو الباحث الدكتور مسعود صحراوي بقوله: " تعود البدايات الأولى لملاحظة هذا المنحى التداولي إلى عصر الخليل بن احمد.. وتلميذه سيبويه، ولكن المتأخرين كانوا أكثر اهتماماً بذلك مثل عبد القاهر الجرجاني والرضي والاستربادي". التداولية عند العلماء العرب : ٢٠٥ ، ولا أتفق في الرأي مع الباحث إذ يكفي نظرة فاحصة لما جاء في دلائل الإعجاز لترى كيف استقى الجرجاني من الخليل وصاحب الكتاب - كما يسميه الجرجاني - ولا ننكر سبق الجرجاني وذكائه وإلتفاتاته إلا أنّ البُخس بحق هؤلاء العلماء مدعاة لإعادة النظر في طريقة التفكير

(٧) الكتاب : ٢١٦ / ١ .

وأكد أرى نصاً لسيبويه يوضح قصد المتكلم بصورة ذكية، إذ عبّر بعبارات صريحة عن طريق رصد حركات المتكلم وأحواله فضلاً عن المشاهدة، منبهاً على قصد المتكلم، وإدراك المخاطب لقصدته عن طريق السياق وكل ما يحيط به من قرائن، فقد ذكر في (باب ما يُضمَر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي)، يقول: "وذلك قولك 'ذا رأيتُ رجلاً متوجّهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج فقلت مكة وربّ الكعبة، حيث كنتُ أنه يريد مكة كأنك قلت: (يُريد مكة والله)... أو رأيتُ رجلاً يسدد سهماً قبل القرطاس. فقلت: (القرطاس والله) أي: يصيب القرطاس. ولو رأيتُ ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: (الهلال وربّ الكعبة)، أي: أبصروا الهلال، أو رأيتُ ضرباً فقلت على وجه التناول: عبد الله، أي يقع بعبد الله، أو بعد الله يكون. ومثل ذلك أن ترى رجلاً يُريد أن يوقع فعلاً، أو رأيتُه أن يوقع فعلاً، أو رأيتُه في حال رجل قد أوقع فعلاً أو أخبرت عنه بفعل فتقول: (زيداً تريد) أضرب زيداً، أو أتضربُ زيداً. ومنه أن ترى الرجل، أو تخبر عنه، أنه قد أتى أمراً قد فعل فتقول: أكلُ هذا بُخلاً، أي: أتفعلُ كل هذا بخلاً؟ وإن شئتُ رفعتُه فلم تحمله على الفعل ولكنك تجعله مبتدأ. وإنما أضمرت هاهنا، أنت تخاطب؛ لأنّ المخاطب المخبر لست تجعل له فعلاً آخر يعمل في المخبر عنه، وأنت في الأمر للغائب قد جعلت له فعلاً آخر يعمل، كأنك قلت: قُلْ له ليضرب زيداً أو قُلْ له أضرب زيداً، أو مره أن يضرب زيداً، فصعفت عندهم مع ما يدخل من اللبس في أمرٍ واحد أن يُضمَر فيه فعلاً لشئئين" (١).

هذا الوصف الدقيق الذي وصفه سيبويه لحال المخاطب عندما يرى " رجلاً متأهباً يحمل متاعه ومستلزمات الحج قاصداً مكة أي أنّ المخاطب عالم بالحال التي يريد الإخبار عنها، والحدث الذي يريد الكلام عنه، هذا العلم يجعل المتكلم يصوغ كلامه بنمط يلائم هذه الحال، أي يلائم معرفة المخاطب بما شاهده ف جاء الكلام مختصراً مقتصراً على ركن من أركان الجملة وهو الفضلة فقط، فقال: "مكة والله"، ولم يُقل (يريدُ الرجلُ مكة). أو وصف المخاطب وهو ينظر إلى رجلٍ آخر يُسدد سهماً قبل القرطاس، فلا يجد المتكلم حاجة لإعادة وصف الحدث لأنّه معلوم لدى المخاطب بالمشاهدة فلا يقول: يُصيب الرجلُ القرطاس بل يقول جملة أخرى مُصاغة بنمطٍ آخر يناسب تلك الحال فيقول مختصراً (القرطاس) أو يصف المخاطب وهو يرى قوماً مجتمعين في حال ترقب وترصد، أبصارهم شاخصة إلى السماء وعيونهم مشدودة إلى منطقة من السماء يريدون رؤية الهلال، فالمخاطب على علم بهذه الحال، شاهدها وعلم قصد الناس من هذا الاجتماع فلا يحتاج المتكلم صياغة تكرر هذا الفعل فيقول (أبصر الناس المجتمعون الهلال) فهذا النمط من الكلام لا يقال في مثل هذه الحال، بل يراعي المتكلم وضع المخاطب وعلمه فيقول مختصراً (الهلال) وهذا كافٍ لإيصال المعنى بإيحاء الحال التي يكون عليها المخاطب" (٢). وقد عدّ الدكتور كريم حسين الخالدي أنّ ما ذكره سيبويه يُعدّ " قانون متميز في اللغة العربية تتبّه عليه النحوي العربي، وراعى المقام في حكمه على تمام المعنى بالمفعول به وحده، من غير حاجة لذكر الفعل والفاعل استغناءً بالمقام قبل فيرث

(١) المصدر نفسه : ٢٥٧ / ١ .

(٢) البديل المعنوي من ظاهرة الحذف : ١٥٦ .

وغيره، لكن دراسينا لا يُبهرون بما ذكره سيبويه عن الخليل من الاستغناء بالحال والمقام عن ذكر أركان الجملة الفعلية، من فعلٍ وفاعل، والاكتفاء بذكر المفعول به ليكون جملة تامة المعنى يحسن السكوت عليها، بل يُبهرون بما يقوله الغربيون وكأنهم أول من اكتشف ذلك<sup>(١)</sup>

ولو عُدنا إلى نص سيبويه السابق وحاولنا ربط الإضمار أو الحذف - ركني الجملة المسند والمسند إليه - بقصد المتكلم وسياق الكلام - الذي يُعدُّ المركز الذي تدور حوله التداولية فضلاً عن الدلالة، كما أنه الأساس الذي يتأسس عليه الشق الاجتماعي من وجوه المعنى، وهو الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال<sup>(٢)</sup> - لوجدنا أن سياقها يرفع اللبس والغموض، فكل ما يُحيط بقصد المتكلم وحال المخاطب مرتبط بالسياق المقامي، فالمحذوف يتعلق استحضاره بعناصر متعددة منها المتكلم والمخاطب والعالم الخارجي، فسياق التخاطب والمقام اللذين أُطرَّ بهما سيبويه منته اللغوي كانا كافيين في الإفادة والتوجيه والقصد بما لا يستدعي شرحاً ولا يحتاج فيه إلى تفسير<sup>(٣)</sup>. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: إنَّ كثرة استعمالها " ووجود القرائن الحالية في جميع أحوال الخطاب فيميل المتكلم حينئذٍ إلى التخفيف ما دام المخاطب قادراً على إدراك غرضه... وقد أكدَّ أهميته وكثرته العلماء العرب الذين شافهوا السليقيين من الناطقين بالضاد وتناساه النحاة الذين جاءوا بعدهم"<sup>(٤)</sup>، ويقول في موضع آخر: إنَّ العلماء العرب قد " انتبهوا إلى الدور الجوهرية الذي تؤديه القرائن المقالية منها والحالية... لأنَّ الأفعال الكلامية التي يحدثها المتكلم لا تحصل منعزلة، بل تحدث في حال خطاب معينة وتُوجه إلى مخاطب معين. ويعتني المحدث بما يعلمه وهو ما يجهله المخاطب وبمقامه بالنسبة إليه، فلكلِّ تأثير على موقف المتكلم وسلوكه الكلامي"<sup>(٥)</sup>. فكلمة (القرطاس) - على سبيل المثال - في النص السابق صيغة مجردة لم تكتسب أية دلالة إلا عند رسم السياق الذي تحوَّلت فيه إلى عنصر حامل لمعنى الإصابة، وهذا المعنى مُرتبط بالزمن، فقبل حدوث فعل الإصابة، كان هناك توقُّع ناسبه الفعل (يُصيب)، وعند حدوث الفعل، كان هناك تحقُّق في الحدِّث ناسبه الفعل الماضي (أصاب).

فسيبويه أدرك أنَّ للغة صيغ وأشكال يُبدعها المتكلم أو المنشئ، فتدبُّ فيها الحياة بكلِّ مضامينها وأبعادها، وليست عبارات جافة، ولهذا، فكلُّ استعمال لأية صيغة من صيغ اللغة في الأفراد والتركيب ابتداءً جديداً غالباً في بُعدِه السياقي غير اللغوي؛ لأنَّ اللغة عَرَض وليست جوهر<sup>(٦)</sup>، ولهذا قيل: " ليس هناك معنى،

(١) نظرية نحو الكلام: ٩٦ فما بعدها.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٣٧ .

(٣) ينظر: النكت : ١١٢ / ٢ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٨١ / ١ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٩٦ / ١ .

(٦) ينظر: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : ١٤٠ فما بعدها .

إنّما استعمالاً شتّى، فالمعنى كما يصل إلينا في الخطاب يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات ضمن السياق نفسه، وتحدّد بنية النظام الألسنيّ هذه العلاقات<sup>(١)</sup>.

يتضح مما تقدّم أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يرى أنّ العلماء الأوائل - ولاسيما الخليل وتلميذه سيبويه - قد اهتموا بقوانين اللغة التي تُنتج خطاباً يمتلك صحة دلالية وتداولية، في الوقت نفسه مرتبطة بعناصر أخرى كأن تكون في إطار سياق محدد، يقول الدكتور الحاج صالح حين تحدث عن الجملة: "بأنّها ليست جامدة، ولكنها حية ومتداولة بين متكلم ومخاطب، يراعي فيها المتكلم ما يأخذ باهتمام مخاطبه، فيقدّم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخير، ويؤجّز إن كان المقام يقتضي الإيجاز ويطنّب إذا كان المقام يقتضي الإطناب، ومثل هذه السمات المميزة لطبيعة الكلام كثيرة في كتاب سيبويه"<sup>(٢)</sup>.

وأختم هذه الجزئية بقول الحاج صالح بأنه "ما يزال سيبويه يُبهرنا بكثرة ما يرويّه من كلام العرب محاولاً دائماً أن يفسّره بالنسبة للحدّ والأصل وبذلك يظهر الفرق الشاسع بين هذا العمل الوصفي التفسيري ... وبين هذا الذي سيصير سرد قواعد جامدة مع الاكتفاء بشاهد قرآني أو شعري واحد في الغالب"<sup>(٣)</sup>.

### ❖ علاقة البلاغة بالتداولية:

تطرق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى علاقة البلاغة بالتداولية أو كما يسميها هو (علم الاستعمال) أو (ظواهر التخاطب)، لكن قبل البدء بالحديث عن علاقة البلاغة بالتداولية، لابدّ من الإشارة إلى العلاقة بين النحو والبلاغة، إذ يذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن "البلاغة تقابل النحو في أنّها كميّة استعمال المتكلم للغة والنحو فيما هو مخير فيه لتأدية غرض معيّن. فهي بهذا امتداد للنحو ولها مثله قواعد وسنن معروفة، فالبلاغة بهذا المعنى شيء والنظرية التحليلية لكميّة تخير المتكلمين للألفاظ بغاية التأثير شيء آخر"<sup>(٤)</sup>. ف"النحو والبلاغة متلازمان في عملية الخطاب الطبيعي"<sup>(٥)</sup>. فضلاً عن إشارته إلى أنّه لا ينبغي تعليم القواعد السليمة لغوياً، فهذا يجعل الطالب قادراً على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب، فبهذا يكون التعليم ناقصاً "فالملكة اللغوية بكاملها في جملتها هي مهارة التصرف في بنية اللغة بما يقتضيه حال الحديث، أي القدرة على التبليغ الفعّال بما تواضع أهل اللغة أو بعبارة أخرى أيضاً القدرة على الاتصال اللغوي في جميع الأحوال بما يقتضيه الوضع اللغوي وهذه الأحوال معاً من لفظ سليم ومناسب"<sup>(٦)</sup>.

(١) علم الدلالة، بيار غيرو، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٦م : ٢٩ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٠٣ / ١ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٨٢ / ١ .

(٥) المصدر نفسه : ١٨٣ / ١ .

(٦) المصدر نفسه : ١ / ١٨٤ .

كما يعتبر عبد الرحمن الحاج صالح البلاغة العمدة في عملية الاتصال اللغوي، يقول: "هي العمدة في هذا الاتصال على اختلاف أنواعه وأشكاله سواء في المشافهة أو الكتابة، نثراً كان أم شعراً، في مقام انقباض أم مقام أنس. ففي كل هذه المستويات البلاغية موجودة، لأن المعبر عليه أن يختار العبارة التي تتناسب المقام وتستجيب لحال الحديث ولو استرسالاً و من بدون تأمل، فهو في جميعها يتوخى معاني النحو كما يقول عبد القاهر الجرجاني<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>. ويُردف قائلاً في موضع آخر: "البلاغة في مظهرها الأول أي كعلم للمعاني هي امتداد لعلم النحو؛ لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد (لمعاني النحو)، وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو"<sup>(٣)</sup>. ويقول في موضع آخر: "علم المعاني هو مرتبط في جوهره بالنحو (في معناه الواسع) وأنه دراسة لتلك الإمكانيات التي يسميها الجرجاني (معاني النحو) وتحصيل هذه المعاني عند الاستعمال أي عند تحصيل الخطاب في حال خطابية معينة"<sup>(٤)</sup>.

والذي ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هو في غاية الصحة؛ ذلك أن سيبويه في كتابه، نَظَمَ أبواب النحو والبلاغة في عقدٍ واحد، دون أن يتخيل أنهما سيُفصلان إلى علمين، لكلٍ منهما مصطلحاته الخاصة وقضاياها الذاتية<sup>(٥)</sup>، أو بعبارةٍ أخرى "أثار السبيل للبلاغيين بعده؛ لأنه أدرك معنى النظم في كتابه، ولأن النحو لم يكن تعليلاً لحركات وأخر الكلمات وإعرابها في السياق اللغوي وإنما كانت معاني النحو المعول الرئيس في الدرس النحوي عنده"<sup>(٦)</sup>.

ومع هذا فإن تنظيم أبواب الكتاب على وفق عملية (النظم)، لا تؤكد أن المباحث البلاغية كانت هدفة، بل اتخذها وسيلة حينما يتسنى له ذلك خاصة في مواضع الاضطرار<sup>(٧)</sup>.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن كتاب سيبويه لم يكن خالٍ من الاعتبارات البلاغية، وليس معنى هذا أنه يجعل التحليل لبنية اللغة هو التحليل لوظيفتها التبليغية، فسيبويه يلجأ إلى هذه الوظيفة كلما خرج عن التفسير للبنية اللفظية وكيفية مطابقتها للقياس أو مخالفتها له<sup>(٨)</sup>. فما يريد أن يصل إليه الحاج صالح هو أن الكتاب مهما قيل عنه حول سببها للآراء البلاغية إلا أنه لم يوجّه نظره إلى هذه الآراء بشكلٍ مباشر.

(١) قد يعسر على بعض الباحثين تصنيف الجرجاني ضمن النحاة أم البلاغيين، فقد صنّف السيوطي الجرجاني ضمن فئة النحاة إذ يقول: "عبد القاهر الجرجاني النحوي". ينظر: بغية الوعاة: ٣١. وتدل كتب عبد القاهر الجرجاني أنه كان مهتماً بالنحو فقد قضى جُلّ سني حياته في استخلاص الوجوه من الفروق في انتلاف الكلم وتعلق بعضها ببعض وعمل بعضها في بعض، كما أنه استخدم النحو ومعانيه في بيان تفاوت الكلام في درجات البلاغة والبيان. ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: ٣١٨. لذلك يعتبر الجرجاني من النحويين البلاغيين كما ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٥٢ / ٢.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١ / ١٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ١ / ٣٤٦.

(٥) الفكر البلاغي عند النحويين العرب، عزّام عمر الشّجراوي، دار البشير، ط١، ٢٠٠٢م: ٤٨.

(٦) الفكر البلاغي عند النحويين العرب: ٤٨.

(٧) ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى: ١٠٦.

(٨) ينظر: النظرية الخليلية الحديثة، د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد ١٠، ١٩٩٦م: ٩١ - ٩٢.

وإذا ما أردنا أن نؤكد هذه الفكرة نقف عند عالم آخر كان مدار كتابه "الاستقامة" كما الشأن في كتاب سيبويه. و هو الفراء (ت ٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن)، فعلى الرغم من أن الفراء - في اعتقاد بعض الباحثين - "قد آمن أن اللغة تتطور تطوراً لمنطق الدرس وقواعده، فعُني بالإشارة إلى تعدد أساليب العرب في التعبير وبعضها بعيد عن المؤلف فيظن فيه الخطأ"<sup>(١)</sup>، وهناك من يؤكد بأن (معاني القرآن) هو "امتداد لمجاز القرآن لأبي عبيدة"<sup>(٢)</sup>، إلا أنهم - على الرغم مما قدموه من ملاحظات بلاغية قيّمة من خلال كتب الفراء - لم يستطيعوا أن يفرّقوا بين المنهج والأداة حين أسسوا لمفهوم البلاغة عند النحاة واللغويين، فمنهم من ذهب إلى أن معاني القرآن نسخة طبق الأصل لمجاز القرآن لأبي عبيدة، إلا أن المتأمل " يجد أن الأول يبحث في التراكيب والإعراب والثاني في الغريب والمجاز... "<sup>(٣)</sup>.

فالفراء يهدف إلى توضيح المعاني في مؤلفه، غير أن المتأمل لتفسيره لآيات القرآن الكريم يلحظ هيمنة الطابع النحوي على أسلوبه؛ لأن الرجل كان إماماً من أئمة النحو الكوفيين في عصره، لذلك نراه يجنح دائماً إلى إبراز الجانب النحوي، والإعرابي خاصةً في الآية، وينتهي إلى النظرية العامة، فبيّن قواعدها وأصولها، وأدلتها وأسبابها ومسبباتها. ولنؤكد هذه القضية نُورد نصاً من (معاني القرآن)، إذ قال الفراء في قوله تعالى: ﴿ طَلَعَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٤)</sup>: " ففيه في العربية ثلاثة أوجه: أحدها أن تُشبه طلوعها في قبحه برؤوس الشياطين، لأنّها موصوفة بالقبح، وإن كانت لا تُرى، وأنت قائل للرجل: كأنه شيطان إذا استقبلته، والآخر أن العرب تسمي بعض الحيات شيطاناً، وهو حيّة ذو عرف، ويقال إنّه نبت قبيح، يُسمّى برؤوس الشياطين، والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنى واحد في القبح"<sup>(٥)</sup>.

ويُعلّق الباحث محمد العمري على هذه المسألة بقوله: "إن الفراء قد قلب القضية على وجوهها اللغوية والواقعية و النفسية والتخيلية، فعلى الرغم من زهاب كل تأويل إلى معنى واحد وهو القبح، فإنّ الإطار المرجعي تدخّل في تفسير الآية ... فهو يُفسّر صور التشبيه لما تحتويه من غموضٍ أو اختلاف في التأويل ناتج في الغالب عن إجراءات تركيبية أو تصور مرجعي يقتضي الإيضاح حسب مستوى الغموض"<sup>(٦)</sup>.

فالتفسير المرجعي للآية عند الفراء أو غيره من النحاة، هو أداة حين تواجهه المشكلة الإعرابية؛ أي عدم توفر الإجراء التركيبي، فالفراء يُشير إلى قضية التصور المرجعي في قضية الإعراب - مثلاً - ، ولكن

(١) الدراسات اللغوية إلى نهاية القرن الثالث : ١٠٦ .  
(٢) العربية والنص القرآني - دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، عيسى شحاتة علي، دار قباء، ٢٠٠١م : ٤١٩ .  
(٣) الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ١٠٧ .  
(٤) سورة الصافات : الآية (٦٥) .  
(٥) معاني القرآن : ٣٨٧ / ٢ .  
(٦) البلاغة العربية أصولها وامتدادها : ١١١ .

لا بُدَّ من التنبه على أنّ القضية التركيبية هي التي شاركت في بناء كتاب معاني القرآن، أي أنّ الفراء لم يخرج عن القاعدة التي رسمها سيبويه في (مفهوم الاستقامة)<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق يذهب الدكتور تمام حسّان عند حديثه عن الفروق المنهجية بين النحاة واللغويين والنقاد إلى أنّ منهجية اللغويين اتجهت للبحث في المفردة وعلاقتها بأختها أولاً، وبالمعنى ثانياً، وبالاستعمال أخيراً، وهذا الاتجاه أسهم بقسطٍ وافر في الاتجاه البلاغي<sup>(٢)</sup>.

فقد ركّز علماء العربية القدماء على جوانب عدّة منها اللغوي والبلاغي والفني، هذا الموقف دعا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى تحديد العلوم التي تهتم بهذه المجالات حيث حدّد فرعين لدراسة الألفاظ " أولهما علم الألفاظ المفردة: ويحتوي على علم ما يدلّ عليه لفظه لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء، وأنواعها، وحفظها، وروايتها كلّها: الخاص بذلك اللسان، والدّخيل فيه، والغريب منه والمشهور عند جميعهم، وعلم الألفاظ المركّبة: هو علم الأقاويل التي تصادق مركّبة عند تلك الأمة وهي التي صنّفها خطباؤهم وشعراؤهم، ونطق بها بلغاؤهم وفصحاؤهم المشهورون عندهم ..."<sup>(٣)</sup>. وللدكتور عبد السلام المسدي موقفاً مشابهاً، يوضّح فيه المسار الذي أخذته الكلمة في ابحاث علماء العربية القدماء فيقول: " ثم كان البحث في الكلمة: في اشتقاقها التأثيلي أولاً، ثمّ في تقلّب دلالاتها ثانياً. وإذا بالمعنى يطفو على سطح الوعي اللغوي خادماً لا مخدوماً، وهي هذا المفترق بالتحديد، وعلى أرض مواقعه المتقاطعة، نُنجز اليوم حفرياتنا المعرفية لنؤكد أنّ المعنى قد كان النواة التّأوية خلف كل الاستقراءات التاريخية، حتى ينتهي بنا المطاف إلى اعتبار المعاجم التاريخية نافذة معرفية تطلّ منها على علوم فقه اللغة وإشكالية الدلالة في حركتها المتعاقبة على محور الزّمن، وبين الفينة والأخرى تتنامى نواة الإحساس بالمعنى في ابستيميته الناطقة باسم العقل اللغوي الخالص"<sup>(٤)</sup>. فالباحثان - الحاج صالح و المسدي - يرتكز رأيهما على إشكالية الدلالة (الاستعمال والتداول).

فالعلماء العرب القدماء كانت دراستهم شاملة للعربية، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: لقد تقنّن العلماء " إلى أهمية الدراسة للأثر الأدبي في ذاته أي من حيث هو خطاب له خصائص ومزايا: بنية خاصة وطرق تعبيرية خاصة لتأدية أغراض خاصة، وحاولوا بهذا الصدد أن يربطوا بين هذه الدراسة للخطاب، وبين ما يُتيحه النحو لصاحب الخطاب من طرق متنوعة للتعبير عن المعنى الواحد. فهذا النوع من الدراسة إذ جعل هذا التلازم: أغراض المبلّغ، طرق أدائه لها هو أصل الأصول في تحليل النصوص، وهم أيضاً أول من فكّر في حصر الظواهر الصرفية والنحوية (الإفرادية والتركيبية) ... لربط كل ظاهرة بما يمكن أن تؤديه من معنى لا من حيث اللغة لكن من حيث البلاغة؛ وهذا الذي يسميه عبد القاهر الجرجاني

(١) ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى : ١٠٨ .

(٢) ينظر: الأصول : ٢٢٩ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٨٧ .

(٤) العربية والإعراب : ٥٤ .

بمعاني النحو<sup>(١)</sup>. فهو هنا يشير إلى قول عبد القاهر الجرجاني المشهور وهو: "فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أن قدّم وأحرّ وعرفّ ونكّر وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوحي على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو... ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام"<sup>(٢)</sup>.

وإذا وقفنا لتأمل قول الحاج صالح الذي يصف نبوغ عبد القاهر الجرجاني وتفوّده الفكري الوقاد، فهو يرى أنّ هذا التميّز - ولاسيما بالاحتكام إلى نظريته في النظم - الخالص لن تجلوه لنا عدسات الكشف البلاغي بقدر ما تجلوه لنا مرآة الفحص النحوي. يقول الدكتور المسدي: "لقد أحسّ بما أحسّ به علماء الإعجاز من قبله ولم يتوصّلوا إلى القبض عليه بأداة معرفية، وكان فضله عليهم أنّه ابتكر الآلية اللغوية والمفهومية التي مكّنته من تشخيص ظاهرة الدلالة، وتصوير انبثاقها في الكلام بصرامة لم يسبق إليها سابق، بل ولم يأت بما يتجاوز دقتها العلميّة.. فالنظم - بالمصطلح الذي اشتقّه له صاحب الأسرار والإعجاز وبالمفهوم الذي أفرغه في قالبه - يرتدّ إلى النحو قبل أن يرتد إلى البلاغة، فإن زُمننا الوفاء للنسق الفكريّ الذي اختطه له صاحبه، والامتثال إلى المعمار المنهجي الذي سواه له، تعيّن علينا القول: إنّه سؤال البلاغة ينعطف على سؤال النحو من خلال سؤال المعنى"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى مثل هذا الرأي الذي ذهب إليه الدكتور عبد السلام المسدي من حيث العلاقة بين البلاغة والنحو واللغة في تصور علمائنا العرب القدماء، يقول: "إنّ البلاغة هي في مقابل النحو مجموع المفردات والتراكيب (الأوضاع) التي سُمعت من الناطقين العرب الموثوق بعربيتهم"... أما النحو فهو الصورة لهذه المادة يستنبطها النحو باستقرائه لكلام العرب والنص القرآني - وهو أول نص استقرى - وهي مجموعة من المقاييس تفرع عليها الفروع انطلاقاً من الأصول التي هي أوضاع اللغة. أما البلاغة فهي صفة لكيفية استعمال المستعمل لهذه المعطيات اللغوية وهذه المقاييس النحوية إفراداً وتركيباً فدراستها تخص الجانب الاستعمالي pragmatic للغة، أو بعبارة أخرى دراسة لاختيارات المستعمل للغة للامكانيات اللانهائية التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها: الصوتي والمعجمي والصرفي والتركيبية"<sup>(٤)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٣٨ / ١ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٦٧ - ٧٠ .

(٣) العربية والإعراب : ٤٨ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٤٥ / ١ .

كما عدّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تقسيم العلماء القدماء للبلاغة " بحسب الدلالة" (١) ووصفها بأنها " نظرة عميقة" (٢). فإذا كان علم النحو يهتم بدراسة الخصائص الشكلية والبناء اللغوي، وعلم الدلالة يختص بدراسة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية وبين العالم الخارجي، فإنّ التداولية تهتم بالغوص في المعاني المختلفة؛ لأنّ المعنى في بعض الصيغ اللغوية يضطرنا إلى العودة لدراسة الطريقة التي قام من خلالها المتحدّث (المتكلّم) ببناء الجملة.

ونخلص من ذلك إلى أنّ " النحو يعني بتوضيح الشروط المحددة والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال الجيدة، وتهتم الدلالة بالشروط التي تجعل الأقوال مفهومة وقابلة للتفسير بينما التداولية تعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة، وملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلّم .. فمفهوم التداولية مرتبط بالسياق وهذا ما عبّر عنه في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال) ومقولة (لكلّ مقام مقال)" (٣). فبذلك تكون اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث الدكتور فريد عوض حيدر بيّن المقصود بـ(مقتضى الحال) في علم المعاني بقوله: " من الواضح أنّ علماء علم المعاني العرب اهتموا في تعريفهم مقتضى الحال بالسامع والمتكلّم، والتعريف يقتضي أن يكون المتكلّم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلّم حتى يأتي بالكلام المتّصف بما يتطابق مع حال السامع، وهذه هي الخصوصية المرادة الزائدة فوق المعنى الأصلي الذي يؤدّيه الكلام، ولا شك أنّ مصطلح سياق الحال في علم اللغة الحديث أوسع دلالة من مصطلح مقتضى الحال عند علماء علم المعاني العرب، فمقتضى الحال يدّل على جزءٍ من دلالة مصطلح سياق الحال.

ولكن هذين المصطلحين يتفقان في أهمّ خاصيّة، وهي أنّهما يمثلان ظاهرةً واحدةً، أو جانباً واحداً، اتفق عليه علماء علم المعاني وعلم اللغة الحديث، هذا الجانب هو أنّهما جميعاً يُشيران إلى شيء زائد وخارج نطاق اللغة paralinguistique، وهو الجانب الاجتماعي المرتبط بالمتكلّم والسامع وغيرهما من عناصر سياق الحال ولكن يمكن استخدام مصطلح "مقتضى الحال" ترجمةً للمصطلح contex opsituation بمعناها الواسع، لهذا المصطلح، وبذلك يكون المصطلح القديم ناله نوع من توسيع الدلالة" (٤).

ومن الأمور اللافتة للنظر والتي تتبّه إليها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هي علاقة البلاغة الجرجانية بالتحويل عند هاريس" (٥)، وقبل التطرق إلى الموازنة التي عقدها الحاج صالح، فقد أشار إلى

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها. قسّم العلماء البلاغة على قسمين:

الأول: علم المعاني، وعرفه السكاكي بأنه " تتبع خواص الكلام في الإفادة". مفتاح العلوم : ٧٧ . وهو مرتبط في جوهره بالنحو. والثاني: علم البيان: عرفه الحاج صالح بأنه " استعمال اللفظ في غير ما وضع له في أصل اللغة كالمجاز والاستعارة، وليس له علاقة مباشرة بالنحو، أي بدلالة اللفظ، إذ موضوع النحو هو اللفظ الدال وأحواله". بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٤٥ .

(٣) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ١٦٥ .

(٤) فصول في علم الدلالة : ١٢٧ فما بعدها .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٥ .

مسألة مهمة تُعدُّ من صُلب موازنته، وهي أنّ " المعاني تنقسم إلى أصول وفروع. فأما الأصول فهي التي تحدد بدلالة اللفظ ليس إلا. وهي من معطيات المواضع الخاصة بلغة من اللغات في زمانٍ معيّنٍ من تطورها. أما الفروع فهي المعاني التي تحدّد بدلالة غير لفظية: دلالة الحال ودلالة المعنى وغيرهما، وهي تتفرع عن الأولى بعملياتٍ تحويليةٍ من جنس العمليات العقلية وميدان دراستها هو البلاغة، كعلم المعاني وعلم البيان..<sup>(١)</sup> فهو يبيّن كيف يرتبط (علم المعاني) - وهو امتداد للنحو - بالعمليات التحويلية وكيفية استعمال الفرد لها، و(علم البيان) من خلال النظر في التحويلات التي تربط بين المعنى الوضعي والمعنى المقصود.

وقد اعتمد هاريس<sup>(٢)</sup> المذهب الاستغراقي أو التوزيعي - بحسب الترجمات - الذي يعتقد أصحابه أنّ الوصف للغة هو واصف لواقع الألفاظ في الكلام، ومن ثمّ فهو دراسة لكل ما تحمله العناصر اللغوية من القرائن يميناً وشمالاً، أو كل ما يمكن أن تقترن به على مدرج الكلام، وذلك مثل: أعطى زيداً القطّ اللبّن. وأعلم الرجلُ الولدَ الخبرَ. فالظاهر أنّ مفردة (الرجل) و(زيد) من جهة، و(أعطى) و(أعلم) من جهة أخرى يندرج كل منهما في فئةٍ واحدة من أجل تكافؤ الموقع، وقد حاول هاريس - أستاذ تشومسكي - أن يجد وسيلة تمكّنه من تجاوز مستوى الجملة، ووجد ذلك في حمل الجمل بعضها على بعض، أي في المقارنة بينها من حيث البنية حتى تظهر العلاقات التي تربطها، وهذا يُعبّر عنه عند علمائنا العرب القدماء بمصطلح (الحَمَل)، وهو مصطلح عربي قديم يحدد به القياس إذ هو "حمل شيء على شيء في الحكم لجامع بينهما"، ويُسمى هاريس ذلك تحويلاً transformation فهو يرى أنّ هناك جملاً هي مثل الأصول تفرع منها جُمَل أخرى بعملية تحويلية<sup>(٣)</sup>.

ويوضّح د. الحاج صالح العلاقة بين تحويلية هاريس والتحليل البلاغي العربي بقوله: إنّ " التحليل البلاغي العربي هو قبل كل شيء دراسة موقعية حملية لنص معيّن (استغراقية تحويلية بمصطلح هاريس) لبيان مزايا الأسلوب الذي اختصّ به النص بالذات.. فهاريس .. يحاول دائماً أن يحمل الجمل المتقاربة بعضها على بعض، ويسمي العلاقة التي تكشفها هذه العملية بعلاقة التحويل ونجد ذلك أيضاً في علم المعاني كما تصوّره الجرجاني<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه : ٢٢٥ / ١ .

(٢) هو عالم لغة أمريكي من أصل روسي، ولد عام (١٩٠٩م) ورحل إلى الولايات المتحدة علم ١٩١٣م، نال شهادة P. H. D من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٣٤ - ١٩٥٤، تتلمذ على يد نيشومسكي في الاعوام (١٩٥٠ - ١٩٥٤ م) ويبدو أن التأثير العلمي بين الأستاذ والتلميذ كان متبادلاً، وقد أشار كلُّ منهما إلى دينته نحو الآخر. ولقد مثّلت تلك المدة منعطفاً في كتاباته - هاريس - إذ اعتمد وجهة نظر تحويلية. فقد نُشرت مقالة له عام ١٩٥٤م تحت عنوان: (القواعد التحويلية)، حدّد فيها هاريس بوضوح مفهومات القاعدة، والتعليمات الضرورية لتوليد جمل لسان ما، كما تولدت الفكرة التحويلية لديه من خلال الفكرة القائلة بتحويل بنى الجمل إلى فئات قليلة مطردة يحل بعضها محل الآخر، دون أن يتغيّر المعنى تغيّراً ملحوظاً. ينظر: الألسنية رواد وأعلام : ١٩٠ - ١٩٢ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٤، ومبادئ في اللسانيات : والألسنية رواد وأعلام : ١٩٣ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٤٤٥ - ٤٤٦ .

وننقل هنا قولاً لعبد القاهر الجرجاني يُعدُّ أساس الدراسة البلاغية عند العرب، كما يُمثَّل (تحويلية هاريس) التي ذكرها الحاج صالح، إذ قال: "وذلك إنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، ينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ ينطلق و ينطلق زيدٌ ومنطلق زيدٌ وزيدٌ منطلق والمنطلق زيدٌ وزيدٌ هو المنطلق وزيدٌ هو منطلق. وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً، وجاءني يُسرِعُ وهو مسرع أو هو يُسرِعُ وجاءني قد اسرع وجاءني وقد أسرع. فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيصع كلاً من ذلك في خاصٍ معناه نحو أن يجيء بـ(ما) في نفي الحال وبـ(لا) إذا أراد نفي الاستقبال وبـ(إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ(إذا) فيما عُلِمَ أنه كائن. وينظر في الجمل تسرد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل.. ثم أعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض.. بل ليس من فضلٍ ومزيةٍ إلا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد"<sup>(١)</sup>.

يتبين من النص السابق لعبد القاهرة الجرجاني كيفية النظم في الكلام، إذ فصل الجرجاني الكلام على (النظم) وبين مفهومه، وشرح مقاصده، فضلاً عن استعانهه بأمثلة كثيرة، حللها تحليلاً دقيقاً، حتى خرج بـ" نظرية متماسكة الأجزاء"<sup>(٢)</sup> وهي (نظرية النظم).

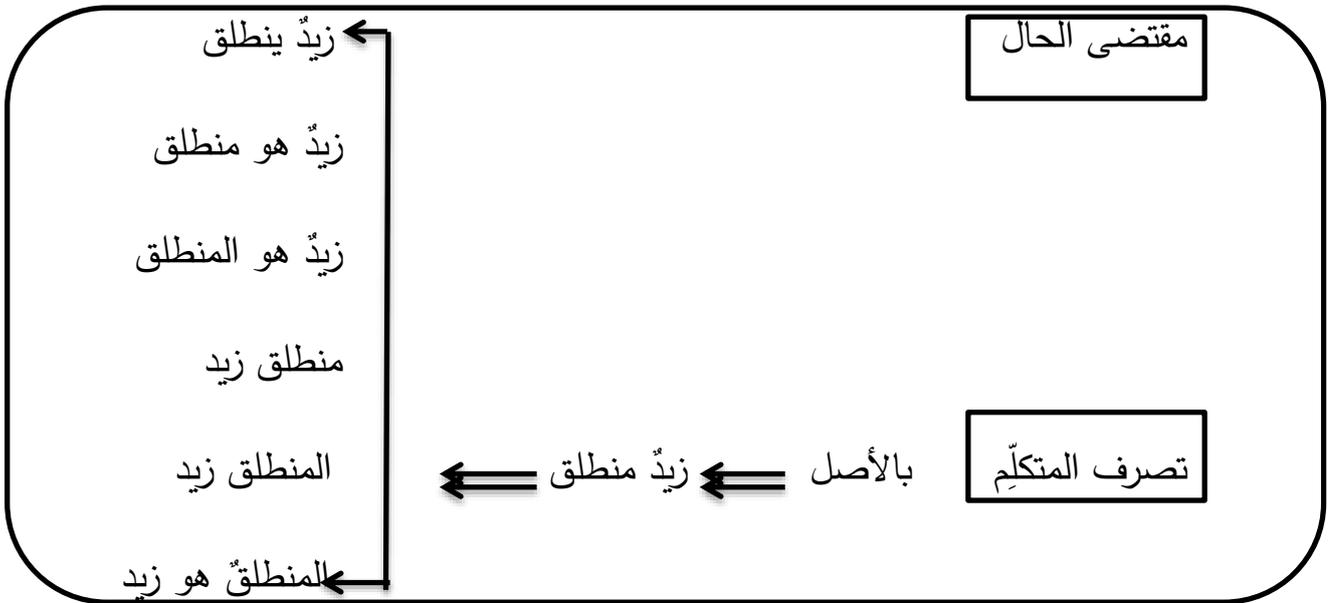
إن أساس النظم عند الجرجاني هو المعنى، وتتالي الألفاظ في تراكيب مختلفة للدلالة على المعاني المتفاوتة من حيث الوضوح والعمق والتأثير في النفوس، والزيادة والنقصان والتوكيد والنفي.. الخ من الأغراض التي تُعبّر عن المفهوم الجوهري للغة ومدى الفائدة منها.

ولا يعني عبد القاهر الجرجاني بتتالي الألفاظ أن تصرف بعضها إلى جنب بعض، بل يعني به التناسق الدلالي بين هذه الألفاظ المرصوفة. إذ أخرجه من مجال المواضعة إلى رحابة الاستعمال عن طريق الربط بين الألفاظ في التراكيب على وفق ما تُمليه معطيات السياق. ومن هنا يمكن القول: أن كتاب (دلائل الإعجاز) يدور في مجمله على مناقشة ثنائية: (الوضع والاستعمال). يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إن الذي قصده الجرجاني هو تصرف المتكلم في الكلام بحيث ينتقل من وجهٍ إلى وجه ابتداء من أصل وهو أقل هذه الوجوه لفظاً ومعنى؛ أي ما ليس فيه زيادة إطلاقاً وهذا الأصل بالنسبة للخبر - في مثاله السابق - هو المبتدأ والخبر مجردين من كل زيادة وبالترتيب الأصلي المذكور. ويتصرف المتكلم انطلاقاً من هذه النواة من الكلام حسب ما تقتضيه دلالتها الوضعية الأصلية ومجموع هذه الدلالات الفرعية

(١) دلائل الإعجاز : ٦٤ - ٦٩ .

(٢) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٦٢ .

تُكوّن وضعاً ثانياً غير الوضع الأول، ويمكن أن نسميه بالوضع البلاغي Expressive ، ثم إنّ هذه الدلالات هي التي تستلزمها حال الخطاب بما فيها أغراض المتكلم وهو الذي يُسميه المتأخرون بمقتضى الحال، ومثال ذلك:



فلكل واحد من هذه الوجوه مزية دلالية - نكتة بلاغية عند بعضهم - وذلك كاستعمال فعل (ينطلق) عوض الاسم (منطلق) فالفعل - كما يقول البلاغيون - يدل على التجدد بخلاف الاسم الذي يدل على الثبوت، وكذلك التعريف في (المنطلق) ففيه معنى الحصر. أما إذا قُدّم الخبر وليس من عبارة إلا ولها أصل وفروع، وقد تكون أصلاً لغيرها، وفرعاً لعبارة أخرى، وقد تكون هي الأصل ويعرف ذلك بعدم الزيادة .. ثم إنّ هذا التصرف البلاغي لا يخص التراكيب وحدها .. بل يشمل كل مستويات اللغة .. فالتحويل هاهنا هو تحويل الأصل إلى كل ما تحتمله اللغة والنحو من أنواع العبارات<sup>(١)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٨ .

مما ذكره الحاج صالح نخلص إلى أنّ الأصل في المنظور البلاغي - وكذلك في باقي مستويات اللغة - هو دائماً المنطلق لعملية تحويلية أو عدّة عمليات تُرتب ترتيباً خاصاً، وأما الفرع فهو الذي تنتهي إليه هذه العمليات. فالعلاقة التي تربطهما هي علاقة التحويل من بنية إلى أخرى.

وما يزيد لهذا التأويل أهمية هو إمكانية رجوع الفرع إلى الحالة الأولى التي كان عليها وهو الذي يُسمّى النحاة برّد الشيء إلى أصله، وهذا شيء واضح فلا يوجد فرع إلا وله أصل يُمكن أن يُرَدّ إليه ولو اعتبارياً، بما تقتضيه أحوال المخاطب، وهذه هي القدرة اللغوية على ابتداء الكلم الجديدة باللجوء إلى التوليد مع بقاء اللغة على ما هي عليه.

فقد تأسس الدرس البلاغي عند العرب على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، وتمام الفائدة، فضلاً عن توجيه الاهتمام إلى كيفية تشكيل السياق الخطابي استناداً إلى جميع الأوضاع المؤثرة في توجيه هذا السياق وجعله في مستوى المقام المحيط به، فيكون لوضع المخاطب - الاجتماعي، الفكري، النفسي، الثقافي - أثر كبير في تكوين خطابه ليصل إلى درجة تحقيق الانسجام والتوافق الذهني مع العناصر المساهمة في عملية التواصل، حتى ولو كان بعملية تحويلية (حذف، تقديم أو تأخير، زيادة..)، فالغرض هو إيصال المعنى المراد.

تتكفل الطروحات البلاغية والتداولية في الدرس العربي القديم، والدرس اللساني الحديث - بكشف العلاقة الوثيقة بين الاثنين، إذ إنّ البلاغة والتداولية تهدفان إلى النظر في أحوال المتخاطبين في أثناء الحديث العملية التواصلية، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها، قد وجدت طريقها في حقل التداولية، التي عُيّنت بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلية، الأمر الذي نجد له حديثاً في البلاغة العربية بما يُعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

فالإستعمال الفعلي للغة من قبل المتكلم باداءٍ بليغ لتأدية المعاني النفسية يُنم عن القدرة اللغوية للمتكلم، وقد وقف تشومسكي - من اللسانيين التحويليين - على مصطلح (الكفاية اللغوية والأداء الكلامي)، ويعني به " معرفة المُتَكَلِّم والسامع للغة"<sup>(١)</sup>، أي معرفته الكامنة بقواعد لغته، وقد وضع تشومسكي هذا المصطلح مقابلاً لمصطلح الأداء، والذي يعني " الاستخدام الفعلي للغة في مواقف ملموسة"<sup>(٢)</sup>.

فقدرة المتكلم التخاطبية تشمل الأداء الذي يعكف عليه المتكلم لإنجاز المعنى في سياقٍ معيّن، ولا تقتصر على المتكلم فحسب، وإنما تتصل بالمخاطب، باعتباره مفسراً للكلام ومُتلقياً له.

(١) المعنى وظلال المعنى : ١٤٨ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وقد تنبّه عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ الكفاية اللغوية تُعدّ مكوناً أساسياً في العملية التخاطبية، ويتجسد فيما بعد في الأداء الذي يحتويه؛ لهذا فإنّ الكفاية اللغوية أسبق من غيرها (كالكفاية التخاطبية<sup>(١)</sup>)، والسياق، .. الخ)؛ ويشير الباحث محمد محمد يونس إلى أنّ الكفاية اللغوية تتعلق بكفاية المتكلم اللغوية على وفق مفهوم المواضعة، ويتوقف فهم الكفاية التخاطبية على استنتاج المتكلم ومدى إلمامه بعادات العرب وثقافتهم وكل ما يتعلق بالسياق الخارجي، فضلاً عن استعمال اللغة على وفق السياق، وهذا يدخل ضمن البحث التخاطبي<sup>(٢)</sup>، فالكفاية اللغوية لا تتعدى أن تكون معاني يُنشئها الإنسان في نفسه و يصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله وتوصف بأنّها مقاصد وأغراض<sup>(٣)</sup>. فهي تُعدّ لبّ العملية التواصلية على وفق ثنائية (إنتاج، تأويل) يَنتم بين المتكلم والمخاطب، فضلاً عن الاهتمام بدور السياق بعده معطىً تواصلياً يُمكن من الانتقال من الكفاية اللغوية إلى الأداء التخاطبي البلاغي، ليسهم في تحديد البنية النحوية المنجزة، وذلك بتجسيد مقولة (لكلّ مقام مقال)، فالمقام بحسب الجرجاني، هو المكوّن للبنية النحوية ينعكس فيها، أما البنية النحوية فتُفسّر بمراعاة المقام الذي تنشأ فيه وهو ما يتشكل في الأخير فيما سمّاه عبد القاهر بالنظم " بحيث تكون الأحوال المقامية هي التي تقتضي بنية نحوية ما"<sup>(٤)</sup>.

إنّ مكن إتصال البلاغة بالتحويل راجع إلى دراستها للغة حال الاستعمال، فضلاً عن المعنى الذي يُعدّ الأساس في العملية التواصلية، وهذا يعتمد على الطرق التي يسلكها المتكلم لايصال وإدراك المعنى، ثم على الأدوات التي يتوسل بها في تأويل مقاصد المعنى<sup>(٥)</sup>. وعليه فعندما اضطر التوليديون إلى الخوض في المعنى، قد حوّل إطار علم الدلالة إلى إطار التداول في الدلالة، وهو ما أفرز بعدئذٍ في الخطاب، ويتولد الحرج المعرفي في عدم استقامة ثنائية (اللغة والكلام)، فعلم الدلالة هو قرين المدلول عليه أكثر مما هو قرين المدلول به في لحظة تماهيه مع المدلول عليه<sup>(٦)</sup>، وهكذا فإنّ الرؤية المنهجية في أثناء التعامل مع مفردات اللغة، تتمحور في النظرية التوليدية التحويلية التي تُعدّ بمثابة المفترق الأساسي في تحديد مفهوم اللغة والكلام أثناء استعمال المفردات في سياق معيّن.

مما تقدّم يمكننا القول: إنّ الدراسات اللسانية الحديثة أثبتت عدداً من الحقائق التي أصبح كثيراً منها اليوم من المسلمات التي لا تُجادل، فدخلت في حيز البديهيات، واكتسبت أهميتها لا من أجل صحتها فحسب بل لكثرة ما تفرع عنها من مبادئ جزئية أفاد منها الباحثون في شتى الميادين مما له علاقة

(١) الكفاية التخاطبية pragmatic competence هي المقدرة على استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية التي تتجلى فيها، كما أنّها

المعرفة المتطلبة لتحديد ما تعنيه الجمل عندما يتكلم بها بطريقة ما في سياق معيّن. ينظر: المعنى وظلال المعنى : ١٤٨ فما بعدها

(٢) ينظر : المعنى وظلال المعنى : ٢٠٧ .

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز : ١٨٤ .

(٤) الإنشاء في العربية: ٣٢٠ .

(٥) ينظر: العربية والإعراب : ١٠ - ١١ .

(٦) المصدر نفسه : ٥٧ .

بظواهر اللسان والتبليغ سواء كان في المستوى النظري أم التطبيقي، وأكثرها قد تقطن إليها علماءنا العرب القدماء - نحاة ولغويون وبلاغيون -، مثال ذلك كما يذكر الحاج صالح<sup>(١)</sup>:

١- اللسان قبل كل شيء أداة للتبليغ والتخاطب، فتلك هي وظيفته الأصلية وغيرها من الوظائف فرع عليها.

٢- اللسان ظاهرة اجتماعية لا فردية، ومعنى ذلك أنّ اللسان غير مرتبط بالفرد كفرد، بل هو مجموع من الأدلة يتواضع عليها المستعملون.

٣- لكلّ لسان خصائص من حيث الصورة والمادة، لذلك يختلف النظام الصوتي والإفرادي التركيبي من لغةٍ إلى أخرى.

٤- اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال، ونعني بذلك أنّ اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم يُبنى جزئيةً تدرج فيها.

٥- للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع والاستعمال والحق أنّ الوضع اللغوي وضعان اثنان هما: اصطلاحى وبنوي فأما الأول: فهو جعل اللفظ دليلاً على المعنى قصد التواطؤ عليه بين قوم، أما الثاني: فهو جعل الشيء على هيئة مخصوصة سواء أكان دليلاً على شيء آخر أو لا ويرادفه البناء والتركيب.

فقد كان مدار بحث علمائنا العرب القدماء حول قضية اللفظ والمعنى في الوضع والاستعمال - من الناحية الدلالية - الذي دارت حوله الدراسات التراثية اللسانية والبلاغية لما له من أهمية عظيمة في تكوين الخطاب، "ومن الحق علينا أن نذكر أنّ أظهر ما تتجلى به عبقرية النحاة العرب هو عمق نظرهم في الكشف عن المعاني المختلفة لتلك التراكيب ذلك لأنهم أوضحوا بنظراتهم الثاقبة تلك أهم وسائل العربية في التعبير عن المعاني بأقصر الطرق وادقها.. فأعادة ترتيب الجملة، أو تغيير تركيبها بالحذف أو الزيادة، أو التقديم أو التأخير باب آخر للكشف عن المعاني تجلّت فيه عبقرية النحاة"<sup>(٢)</sup>.

كما اهتم علماءنا العرب القدماء بمجال استعمال اللغة و ظواهر التخاطب في سياق معيّن، وكان هدفهم نفعياً بالدرجة الأولى، فحين نُحدّد مفهوم السياق يجب التفرقة بين البنية والاستعمال، وهذا ما أكدّه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حين أكدّ: "كيفية استعمال اللغة شيء وبنية اللغة في ذاتها شيء آخر، وتفسير هذا بهذا يؤدي إلى مآزق، فكلّ منهما ميدان خاص، فهناك اللغة وهي من حيث دلالة ألفاظها

(١) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٨٤ - ١٨٦ ، واللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : ٢٦١ .

(٢) نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٢٥٩ .

اعتباطية وليست منطقية ولا عقلية.. أما في حال الخطاب أي عند الاستعمال الفعلي للغة، فقد تدلّ الألفاظ على معنى وليس هو المراد..<sup>(١)</sup>.

كما وجّه الحاج صالح أنظارنا إلى قضية مهمة وهي علاقة البلاغة بالتداولية، ولا سيّما في التركيز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتعيين العناصر المشاركة في عملية التخاطب، وهي عند القدماء (المتكلم، المخاطب، السياق..)، وهذا ما شكّل التوافق والتقارب بين البلاغة والتداولية، كما تظهر في معالجة ثنائية الوضع والاستعمال على وفق نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.

كما تبين أنّ طبيعة تحليلات عبد القاهر الجرجاني وكذا العناصر التي اهتم بها في تحليله للنماذج المدروسة دعت - الحاج صالح - إلى القول بتداخل تحليلاته مع تحليلات التحويليين المعاصرين. يأتي هذا من طرف الجرجاني باعتماده على مبدأ (الأصل والفرع) في الانتقال من معنى إلى آخر على وفق سياق معيّن يتعلق بالأوضاع الخارجية، وهذا في البلاغة العربية بمطابقة الكلام لمقتضى الحال أو وجوب أن يكون لكلّ مقام مقال، على وفق عمليات تحويلية، فالتحويل - هنا - مرجعه المنطق الطبيعي<sup>(٢)</sup>، إذ هو تلازم في الحقيقة وليس مجرد تصريف للفظ الواحد في خطاب معيّن .

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٩٤ / ١ .  
 (٢) المنطق الطبيعي : هو منطق الإنسان العادي في سلوكه اليومي، و بينته التي تكسبها قدرة لغوية أو ما يُعرف بالكفاية اللغوية لتحقيق التواصل المفهوم.

# الفصل الرابع

## اللسانيات التطبيقية

- المبحث الاول: المعجمية الوظيفية.
- المبحث الثاني: المصطلح والترجمة.
- المبحث الثالث: اللسانيات الحاسوبية.

## توطئة:

أتناول في هذا الفصل ما أسمته باللسانيات التطبيقية (Applied Linguistics) ، والمقصود بها جمع التطبيقات المختلفة لعلم اللغة مرتبطة بالحقول التطبيقية والمعرفة اللغوية<sup>(١)</sup>. فضلاً عن اهتمامها بتطبيق مفاهيم اللسانيات، ونتائجها على عدد من المهام العملية، كالتخطيط اللغوي Language planing، وتعليم اللغة بالحاسوب computer – assisted languge learning ، وعلاقة اللغة بالتربية، والترجمة، والترجمة الآلية aided translation- machine ، واللسانيات الحاسوبية<sup>(٢)</sup> computational linguistics .

ومن أهم الأعمال التي تقوم بها اللسانيات التطبيقية هي أنها تُستخدم لحل المشاكل اللغوية في تعليم اللغة الأم أو اللغة الأجنبية، فطرائق اكتساب اللغات - ولاسيما الأجنبية - من أهم مشاغل المهتمين باللسانيات التطبيقية<sup>(٣)</sup>، ومن أهم فروعها - مثلاً: علم المعجمات، الترجمة، والمصطلح، واللسانيات الحاسوبية، وأحياناً يتجاوز حدود هذه الفروع العلمية ليدرس - مثلاً - اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية وغيرها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: معجم اللغة واللسانيات : ٤٠ ، معجم المصطلحات اللسانية : ٢٢ .  
 (٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات (محمد يونس) : ١٥ .  
 (٣) ينظر: معجم اللغة واللسانيات : ٤٠ ، ومدخل إلى اللسانيات : ١٥ .  
 (٤) ينظر: معجم اللغة واللسانيات : ٤٠ .

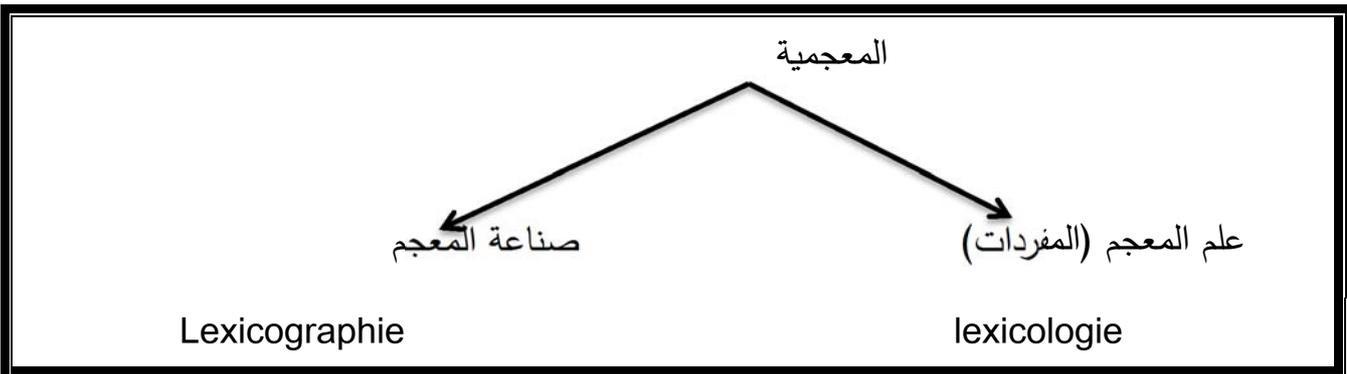
## المبحث الأول

## المعجمية الوظيفية

يُعدُّ التفكير اللساني أساساً في بناء النظرية المعجمية، ومن أهم خصائص التفكير اللساني الحديث بعدّها- اللغة- نظاماً متكاملًا. ومن هنا كان النظر اللساني أرحب من النظم التقليدية، في دراسة اللغة ومعالجة مسائلها. وهذا هو الذي يجعل العلوم اللسانية تتوجه إلى دراسة لغةٍ ما بقواعد وأصول، تُصلحُ للتطبيق على لغاتٍ أخرى. " وعلم المعجم هو أحد العلوم اللسانية التي تعالج قضايا المعجم في إطار نظري عام يصلح للتطبيق على لغةٍ بعينها"<sup>(١)</sup>.

ويمكن تقسيم اللسانيات المعجمية على قسمين<sup>(٢)</sup>، كلُّ قسمٍ منهما علمٌ قائمٌ بذاته، أحدهما يدرس معجم اللغة؛ أي المفردات التي يستعملها أبناءها الناطقون بها، ويدرس التطورات التي أمت بهذه المفردات أو بعضها، فضلاً عن دراسته للمعاني المتعددة لفظ الواحد، ويسمى هذا العلم علم المفردات *lexicology*. وأما الآخر فيدرس قضايا الصناعة المعجمية، وتحديد طرق جمع البيانات اللغوية اللازمة لبناء المعجم، وكيفية اختيار المداخل وترتيبها، وإعداد التعريفات والحدود والشروح. وغير ذلك مما تحتاج إليه صناعة المعجم. ويسمى هذا العلم علم الصناعة المعجمية *lexicographie*.

ومن هنا، فإنَّ المعجمية هي علمٌ ينضوي تحته علم المفردات الذي يعنى بالبحث في معجم اللغة العربية ومنتها، وهي ما يسمى بعلم المعجم، كما ينضوي تحته صناعة المعجم التي تختص بكيفية صناعة المعجم<sup>(٣)</sup>. ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:



فالدراسات الإفرادية هي التي تدرس مفردات اللغة فتبحث عن أصلها ومعانيها وتغيّر هذه المعاني وتطوّرها وذلك هو علم المفردات أو علم اللغة كما يقول العلماء العرب القدماء، إذ يقول الاستريادي في هذا الصدد: " إنَّ الواضع إما أن يضع ألفاظاً معينة سماعية وتلك هي التي يحتاج فيها إلى علم اللغة

(١) اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج (استنبطية): ٢٩٩ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، والكلمة، دراسة لغوية معجمية: ٩٩ .

(٣) ينظر: مبادئ في اللسانيات: ١٥٠ .

وإما أن يضع قانوناً كلياً يعرف به الألفاظ فهي قياسية وذلك القانون إما أن يعرف به المفردات .. ويحتاج في معرفتها إلى علم التصريف وإما أن يعرف به المركبات القياسية .. وفي بعضها إلى غيره من علم النحو<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ علماءنا العرب القدماء سمّوا هذا العلم "علم متن اللغة" معتمداً على ما ذكره ابن يعقوب المغربي في مواهب شروح الفتح ضمن التخليص: "علم متن اللغة أو معرفة أوضاع الصفة ويسمى هذا العلم علم المتن وهو ظهر الشيء ووسطه وقوته"<sup>(٢)</sup>. إذ يمكننا أن نخلص من هذه التحديدات هو أنّ متن اللغة أي مفرداتها يقابلها نحوها أي قوالبها وقوانين نظامها البنوي الذي يحدد كيفية تركيب مفرداتها وتركيباتها.

أما علم صناعة المعاجم فهو علم معروف منذ القدم، عرفته الشعوب منذ أنّ فكر العلماء في جمع لغاتهم وحفظها في قواميس ومعاجم.

وقد ازدهر هذا العلم كثيراً عند العرب، إذ اعتنى به عددٌ من اللغويين القدماء فوضعوا المعاجم و القواميس ولعلّ أشهرها وأقدمها - في الوقت نفسه - معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي وقد تبعه واقتفى خطاه عدد من العلماء فوضعت معاجم لا تزال إلى يومنا هذا من الأدوات الهامة التي لا يستغني عنها أي باحث دارس للغة العربية، على سبيل المثال: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للرّبيدي<sup>(٣)</sup>.

يدرس هذا المبحث قضايا هذين العِلْمين، على نحو وظيفي، متمثلةً بآراء الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وكيفية توافقها مع العمل المعجمي لعلمائنا العرب القدماء ولاسيما الخليل (رحمه الله) الذي يُعتبر رائد المدارس المعجمية.

ولابدّ هنا أن نُفرّق بين مصطلحي (المعجمية الوظيفية) و(الوظيفية المعجمية) اللذين يتداخلان بقدر، ويفترقان بقدرٍ آخر، فالمعجمية الوظيفية: هي المنهج الذي يقتصر في دراسة المعجم أو بنائه، على ما كان ذا وظيفة تطبيقية من الدراسة، وأما (الوظيفة المعجمية): فهي أحد مسالك الاتجاه الوظيفي، فثمة مسالك أخرى لديهم، كالوظيفية النحوية، ووظيفية الجملة وغير ذلك<sup>(٤)</sup>؛ لذلك ارتأيت تسمية المبحث

(١) شرح الكافية : ٥ / ١ .

(٢) مواهب الفتح: ٢١٠/١ .

(٣) ولمزيد من التفصيل ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦، والمعجم العربي - نشأته وتطوره، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ٢، ١٩٦٨ وعلم اللغة وصناعة المعاجم، د. علي القاسمي، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٥م والمعاجم العربية، د. عبد الله درويش، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١، ١٩٥٦م، ونظرة عامة في المعجم العربي، نشأته ومراحل تطوره وكيفية الإفادة منها، د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١، ٢٠٠٦م، والمعجم العربي - نماذج تحليلية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار طوبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٦ .

(٤) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج : ٣٠٠ .

بـ(المعجمية الوظيفية) لما وجدته من مناسبة للمصطلح في تطبيقات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في بناء المعجم وتطبيقه إلكترونياً (حاسوبياً).

### \*التفكير الرياضي عند الخليل:

لا أحد يشك في أنّ فكرة جمع العربية في معجم هي للخليل بن احمد الفراهيدي، وعلى الرغم من كثرة الأخطاء التي وُجدت في كتاب العين فضلاً عن كلام غيره؛ إلا أنّ المنهج الرياضي الذي بُني عليه لا يمكن أن يصدر إلا منه. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "لقد تفتّن المحدثون إلى أنّ للخليل تفكيراً رياضياً ووقّفوا في ذلك. وهذا يظهر بوضوح لكلّ من أطال النظر.. فيما تركه من أقوال وأعمال. وقال بعضهم فيما يخص هذا التفكير أنّه تأثر بنظرية التوافق والتباديل<sup>(١)</sup>. وكان يصح التأثر لو وُجد من وضع هذه النظرية قبل الخليل، وهذا لم يثبت أحد. فالخليل وإن لم يحرر هذه النظرية على شكل مجموعة من الأصول مع التمثيل لها فإنّه أجرى عدداً من العمليات الرياضية، ورسم رسوماً رياضية كالدوائر، واستعمل عدداً من الرموز كالفاء والعين واللام في تمثيل الحروف الأصلية، وكذلك بعض المصطلحات كالجداء الديكارتية\* ووجه التصرف وغير ذلك. فكل هذا يُكوّن نظاماً فكرياً رياضياً لا ينقصه إلا التعرّض المستقل إلى الأصول النظرية التي بُني عليها. والجدير بالذكر أنّ الخليل بن احمد هو نفسه الواضع للنظرية؛ لأنّه لا يمكن أن يجري هذه العمليات ولا أن يرسم هذه الدوائر بهذا الشكل وبهذا التعليق إلا مَنْ قد وضع الأصول التي يؤسّس عليها كل هذا"<sup>(٢)</sup>.

والتفكير الرياضي هو " تفكير علمي مُبْرَهَنٌ يتخذ من النظر المتسلسل الخطوات في مسألة ما وسيلةً إلى اكتشاف المجهول، أو إثبات صحّة المعلوم، وهو بهذا منهجٌ في التفكير البشري ينظر في علاقات الترابط أو التلازم بين أجزاء المسألة المعرفية الواحدة، ليجعل منها سلسلة مترابطة قابلة للبرهنة والتجريد، وقد يحوّل التفكير الرياضي المُدرَك بالحسّ، أو الإحصاء إلى مُدرَك بالعقل، وهو بهذا يجعل المعرفة عقلية، وإن كانت في أصلها منقولة أو حسية؛ لأنّه تجريد رمزي للمعرفة والتجريد يتجاوز الحسّ والزمان والمكان غالباً"<sup>(٣)</sup>.

ولعل الخليل بن احمد الفراهيدي الذي حباه الله سبحانه وتعالى عقلاً رياضياً صرفاً، أخذ يبحث عن إجابة مقنعة للسؤال الأساس في البحث اللغوي آنذاك كيف يمكن ضبط هذه اللغة المتشعبة الأنحاء دلالة وعروضاً وصرفاً وصوتاً ونحواً في مجموعةٍ شاملةٍ بسيطةٍ مجردة من القواعد والأصول؟

(١) نظرية التباديل تتمثل في النحو العربي وفي العروض (بحور الشعر) وفي جذور الكلمات وتقالبيها، فهي تشمل كل مجالات اللغة ، وسنرى كيف مثلها الخليل بن احمد الفراهيدي.

(\*) الجداء الديكارتية هو حاصل ضرب لمجموعتين س، ع ويرمز له : س x ع هو مجموعة الأزواج المرتبة التي تنتمي المركبة الأولى لكل منها إلى المجموعة س وتنتمي المركبة الثانية لكل منها إلى المجموعة ع. ينظر: المنطق في اللسانيات : ١٩ ، و بحوث و دراسات في اللسانيات العربية : ٧٢/٢ ، و منطق العرب في علوم اللسان : ٢٢٥ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٨ / ٢ .

(٣) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : ١٥ .

فقد حاول الخليل حصر جميع ألفاظ العربية، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "امتاز الخليل - عن كل من سبقه ممن ألف معجماً من الأمم الأخرى غير العرب<sup>(١)</sup> في أنه كان ينوي أولاً أن لا يترك شيئاً من مفردات العربية، وثانياً أنه فكر في وسيلة تمكنه من تحقيق ما كان ينويه، وهي ضرب من الحساب كان له الفضل في اختراعه كسائر ما أتى به من أفكار ومناهج تحليل وغيرها. وهذا هو أهم ما يمتاز به السلوك العلمي للخليل: يريد في جميع ما ينظر فيه ويبحث عن أسرار وبنية أن يحيط به من كل جوانبه ويأتي على ذلك بفكره الرياضي"<sup>(٢)</sup>.

ففي الدلالة اللغوية المعجمية اكتشف الخليل (رحمه الله) طريقة رياضية بسيطة يستطيع بها حصر كلمات العربية رياضياً، ثم تصنيفها إلى: (مستعمل)، و(مهمل) باستعمال نظرية البدائل أو التبادل الرياضية التي تعني: " أن مضروب عناصر المجموعة (س) في بعضها يساوي احتمالات أشكالها المختلفة، فلو كانت لدينا المجموعة (س) المكونة من ثلاثة عناصر هي (ب، ر ق) فهذا يعني أن لها ستة أشكال اعتماداً على مضروبها، وهو:  $3 \times 2 \times 1 = 6$ ، وهذه الأشكال هي: (ب، ر ق)، (ق، ر، ب)، (ق، ب، ر)، (ب، ق، ر)، (ر، ق، ب)"<sup>(٣)</sup>.

إن طريقة الخليل في معجم العين تقوم على الجمع والحصر والإحصاء المعتمد في الرياضيات، إذ يُعدُّ أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد هو قوله<sup>(٤)</sup>:

صِفْ حَلَقَ خُودِ كَمَثَلِ الشَّمْسِ إِذْ بَرَعَتْ

يَحْظِي الضَّجِيحُ بِهَا نَجْلَاءَ مَعْطَارِ

كما أنه " زَمَ أصناف النغم وحصر أنواع اللحن في الموسيقى، فاستخرج العروض وحصر أشعار العرب"<sup>(٥)</sup>. فعمل الخليل بن احمد قائم على التحليل التوافيقي في الرياضيات، مما أدى به إلى حساب ما يمكن أن يتشكل من ألفاظ مستعملة أو مهملة في حدود الحروف الهجائية العربية<sup>(٦)</sup>، إذ توصل إلى أن عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع هو على النحو الآتي<sup>(٧)</sup>:

\* من الثنائي اثنا عشر ألف.

(١) تتجنب هنا البحث في مصدر الأنظار الرياضية عند الخليل، فقد يكون عربياً أو أجنبياً، ولو أن كثيراً من الباحثين نفى تأثر الخليل بن احمد، ولو أن التأثر بالأمم الأخرى ليس عيباً، وقد اشار إلى عقلية الخليل الرياضية غير واحد من الباحثين. ينظر: الفكر الرياضي والنحو العربي، محمد كشاش، مجلة اللسان العربي، العدد ٤١، ٣٧ - ٣٨، والمعجم العربية: ٤٧ - ٥٥ .

(٢) منطق العرب في علوم اللسان: ٢٢٠ .

(٣) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي: ١٦ .

(٤) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢٤٤ .

(٥) المعجم العربي، نشأته وتطوره: ٢١٨ .

(٦) ينظر: المعجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، الجبلاي حلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٩٧م: ٤٣ .

(٧) ينظر: المزهري في علوم اللغة: ١ / ٧٤ .

\* من الثلاثي ثلاثمائة ألف.

\* من الرباعي خمسة آلاف.

\* من الخماسي أربعمائة واثنان عشر ألف.

وقد رُوي أنّ الخليل أحصى كلمات العربية فكانت قريباً من ١٢٥ مليون كلمة في الجذر<sup>(١)</sup>. وكانت نظرية التباديل الرياضية منطلق الخليل في بناء معجمه<sup>(٢)</sup> - أول المعجمات العربية الجامعة - فقال: "اعلم أنّ الكلمة الثنائية تتصرّف على وجهين نحو: قد، ودق، وشد، ودش. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه، وتسمى مسدوسة، وهي نحو: ضَرَبَ، وِضَبَرَ، وِبرَضَ، وِبرَضَرَ، وِرَضَبَ، وِرَضَبَرَ. والكلمة الرباعية تتصرّف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أنّ حروفها، وهي أربعة أحرف تُضْرَبُ في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة أوجه، فتصير أربعة وعشرين وجهاً.. والكلمة الخماسية تتصرّف على مائة وعشرين وجهاً، وذلك أنّ حروفها، وهي خمسة، تُضْرَبُ في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون وجهاً، فتصير مائة وعشرين وجهاً، يُستعمل أقله، ويُهْمَلُ أكثره"<sup>(٣)</sup>.

فقد استطاع الخليل أن يحصر هذا العدد من الجذور على وفق نظرية التحليل التوافيقي في الرياضيات، وذلك حسب مفهوم العاملي، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ هذا النوع من الحساب الذي يُمكن به حصر مفردات العربية فلم يُعرف إلا في عصرنا هذا في أوروبا. وهو الآن من أبواب الجبر التركيبي (Combinatory Algebra) وتسمى صيغته الرياضية بالعاملي (factorial)"<sup>(٤)</sup>. ويوضّح الحاج صالح العمليات الرياضية التي أجراها الخليل بقوله: "... وقد اصطلح الرياضيون المحدثون على بعض الرموز للدلالة على هذا النوع من العمليات، فما يسمّى العاملي يرمز إليه بالعدد متبوعاً بنقطة<sup>(٥)</sup> تعجب وذلك مثل:

$$2 = 2 \times 1 = !2$$

$$6 = 3 \times 2 = 3 \times !2 = 3 \times 2 \times 1 = !3$$

$$24 = 4 \times 6 = 4 \times !3 = 4 \times 3 \times 2 \times 1 = !4$$

$$120 = 5 \times 24 = 5 \times !4 = 5 \times 4 \times 3 \times 2 \times 1 = !5$$

(١) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، المُقدِّمة: ١٧ / ١، والمعجمية العربية: ٤٤ .

(٢) ينظر: منطق النحو العربي والحاسوب، د. محمد كاظم البكاء، ضمن أعمال ندوة الحاسبات واللغة العربية، العراق، ١٩٩٢م: ٣ فما بعدها .

(٣) العين: ٦٦ / ١ .

(٤) منطق العرب في علوم اللسان: ٢٢١ .

(٥) الأصح (علامة) .

فقول الخليل: " وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي وهي ستة أوجه" هو في هذه الصيغة الحديثة:  $4 \times 3! = 24$  (ثلاثة عاملي في 4) (العالمي = factorial).

وهذا الحساب عند من جاء بَعْدَ الخليل هو قسم واحد مما سموه بـ(قسمة التراكيب).. وهي تقابل تماماً مفهوم (combinatory). وقد أحصى الخليل المواد الأصلية بناءً على عدد الحروف العربية وهي ٢٨ وعلى هذه الصيغة الحسابية، ويصوّر هذا على صيغة حديثة هكذا:

$$756 = 27 \times 28 = 28^2 \text{ : الثنائي}$$

$$19.656 = 26 \times 27 \times 28 = 28^3 \text{ : الثلاثي}$$

$$491.400 = 25 \times 26 \times 27 \times 28 = 28^4 \text{ : الرباعي}$$

$$11.793.600 = 24 \times 25 \times 26 \times 28 \times 28 = 28^5 \text{ : الخماسي}$$

فهذه الأعداد يدخل فيها ما استعمله الناطقون العرب وما لم يستعملوه؛ لأنها تُمثّل كل ما تحتمله القسمة المذكورة<sup>(١)</sup>.

إنّ ما يستنتج من هذه العمليات الرياضية هو أنّ أبنية الرباعي والخماسي، هي أكثر من الثنائي والثلاثي، ومع ذلك فإنّ الكلام العربي يكاد ينحصر في أبنية الثلاثي؛ لأنّ الاسم مثلاً كما يقول الخليل: " لا يكون أقل من ثلاثة أحرف، حرف يُبتدأ به، وحرف يحسّى به الكلمة، وحرف يوقف عليه"<sup>(٢)</sup>.

أما تقاليب المجموعة<sup>(٣)</sup> المعجمية (ض، ر، ب) - مثلاً - هي احتمالاتها التبديلية، وهذه الاحتمالات ستة، هي: ضرب، برض، رضب، ربض، ضبر، بضر، وهذه الاحتمالات مُشتركة في المُدخلات أو المعطيات الأولية، وليست مُشتركة - ضرورةً - في الدلالة اللغوية؛ لأنّها في الحقيقة ثلاثة أشكال معكوسة، هي:

ضَرْب ← وعكسها ← بَرَض

رَضَب ← وعكسها ← بَضَر

ربض ← وعكسها ← ضبر

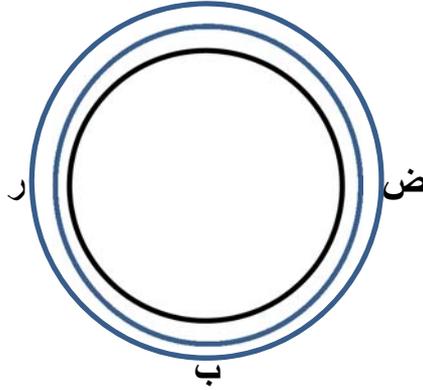
(١) منطق العرب في علوم اللسان : ٢٢٢، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٦٩ / ٢ .

(٢) المزهر : ٧٤ / ١ .

(٣) المجموعة مصطلح رياضي يعني وجود علاقة مشتركة بين عدة عناصر تصبح فيها العلاقة جامعة لها، ينظر: المنطق في اللسانيات

أي أنّها ثلاثٌ صور متناظرة<sup>(١)</sup>، كما تُناظر الصورة (س) نفسها في المرآة، وهذا التناظر، يعني رياضياً أنّ صورة (س) ليست هي (س)، مما يعني أنّ دلالة أيّ كلمة ليست هي دلالة صورتها المناظرة لها، فلا يمكن أن تشترك دلالة الكلمة (الصورة)، وصورتها المناظرة لها باطراد إلا إذا تساوى الطرفان، نحو: سلس، وسلس، فهي ومقلوبها المناظر شكل واحد ودلالة واحدة<sup>(٢)</sup>.

وقد مثل الخليل لهذه العملية الرياضية بدائرة ذات اتجاهين متقابلين، استطاع أن يجمع كل الجذور التي تتكون منها العربية، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أما الدائرة التي رسمها لتمثيل قسمة التراكيب للحروف فرسم دائرة ذات اتجاهين متقابلين ووضع عليها ثلاثة أحرف متباعدة، فالانطلاق من كل حرف باتجاه معيّن - يُسمى موضع الانطلاق في العروض (مفكاً) - فتعد الضاد مفك في ضرب، وتصير رؤها مفكاً لربض - وهكذا - وتقلب العملية حتى تستفرغ جميع التراكيب المحتملة.



هذا ويلاحظ أنّ كل عملية تركيبية هنا لها نظيرها - بقلب الاتجاه - فبذلك وبالتركيب التسلسلي وفيه صفة التجميع (associative) وإمكانية عدم التركيب تكوّن مجموعة التراكيب ما يسميه الرياضيون المحدثون (زمرة)<sup>(٣)</sup> Group<sup>(٤)</sup>.

ولعل هذا التفكير الرياضي هو الذي جعل الخليل ينادى عن القول بما سمّاه - فيما بعد - ابن جني بـ "الاشتقاق الأكبر"<sup>(٥)</sup>؛ لأنّه لا يمكن أن يُشكّل قاعدة عامّة مطردة، كما أنّه يتعارض مع دلالة

(١) يُسمّى مصطفى حركات التناظر المعجميّة اللغة المرآة. ينظر: كتابه: اللسانيات الرياضية والعروض، دار الحدّاءة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م: ٨ - ٩.

(٢) ينظر: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي: ١٧، والمعجم العربية: ٣.

(٣) الزمرة مصطلح علمي محض استعمله الحاج صالح في اللسانيات الخليلية لتبين أنها ذات بُعد منطقي رياضي، و يتمثل في "مجموع العمليات التفرعية التي تضاف للمفردة لتكون مجموعة بالمعنى الرياضي، بصطلح عليها في النحو الخليلي - الزمر الدائرية". ينظر: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي: ٦، وقد درست هذه الزمر ضمن موضوعات علم الدلالة؛ لأنّ الدلالة هي التي تعمل على تكوين هذه الموضوعات (المشترك، المترادف، الأضداد)، إلا أنّ أفضل دراسة لها في علم المعجم، إذ أشار الدكتور سمير شريف استيتية إلى أن موقعها في علم المعجم؛ لأنّها أقرب إلى النظر الدقيق من موقعها في الدلالة، فهي مفردات ينبغي معالجة التداخل والتباين بينها، ضمن الذهنية المعجمية التي يعالجها علم المعجم، لتجد هذه المعالجة طريقها إلى المعجم نفسه. ينظر: اللسانيات، المجال الوظيفية، والمنهج: ٣١٤.

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٧٠ / ٢، وينظر: منطق العرب في علوم اللسان: ٢٢٣.

(٥) الخصائص: ١ / ٥ - ١٨. الاشتقاق الأكبر "من مصطلحات ابن جني الذي عني به أنّ اللغة بأصواتها...تقدّم مجموعة من الاحتمالات الاشتقاقية للألفاظ لا متناهية العدد،...واستنتج مقولة أخرى مفادها أنّ تغليب اللفظ الواحد...تفرز ألفاظاً متقاربة المعاني". المعجم المفصل في فقه اللغة، د.مشتاق عباس معن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١: ٤٤.

الاحتمالات، فالمادة (سند) لا يمكن أن تشترك مع مناظرتها (دنس) إلا في المعطيات الأولية (س، ن، د)، على حين تشترك - إلى حدِّ ما - المادة (رحب) مع المادة (بحر) في الدلالة مع أنَّهما من المعطيات (ر، ح، ب) والقاعدة الرياضية - أو أي قاعدة علمية - لا تقبل هذه الازدواجية، فالأطراد شرط في القاعدة.

ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن انتقال الخليل من احتمالات الثنائي إلى الخماسي بالتدرج يُشير إلى تمثله فكرة "العبارة المسوّرة كلياً أو جزئياً"<sup>(١)</sup>، فكل مجموعة تُشكّل عبارات - أي كلمات - مسوّرة كلياً في ذاتها، وجزئياً بالإضافة المتقاطعة إلى المجموعة الأكبر منها، فالجذور الثلاثية تُشكّل في ذاتها ستة أوجه، كلُّ وجه يتضمن عناصر مجموعة الجذر الثلاثي كُلِّها من غير نقص، والجذور الرباعية تُشكّل في ذاتها أربعة وعشرين وجهاً، منها ستة ثلاثية تتقاطع في ثلاثة عناصر من أربع مع الجذور الرباعية، وهذا يعني أن كل جذر صغير عبارة مسوّرة تسويراً جزئياً مع الجذر الأكبر منه المتقاطع معه ثلاثياً، ولمُح هذه العلاقة الرياضية يُشير إلى إحساس الخليل بوجود علاقة لغوية ما بين هذه الاحتمالات المتقاطعة جزئياً، لم يُصرِّح بها، لكنها قد تكون في التطور التاريخي أو الأصل السامي عند الذين يردُّون الجذر الرباعي والخماسي إلى الجذر الثلاثي بوجه من الوجوه<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر التفكير الرياضي عند الخليل - رحمه الله - هو ما يُعرف بـ(الجداء الديكارتية)، إذ أشار د. الحاج صالح إليه في مستوى الوزن "حيث تُجرد حروف الكلمة الأصول من محتواها ويرمز لكل حرف حسب مرتبته: الفاء لكل حرف صامت يأتي في أصل الكلمة في الأول، وهكذا بالنسبة للعين واللام. ونلاحظ أنه تجريد رياضي (وهو من عمل الخليل)"<sup>(٣)</sup>. كما يمكن حصر الأبنية الخاصة بالكلم عن طريق (القسمية التركيبية) أيضاً، قال الرضي الاسترلابي فيما يخص القسمية الثلاثية المجرد: "إنما كانت القسمية تقتضي اثني عشر؛ لأنَّ اللام للإعراب أو البناء فلا يتعلق به الوزن.. وللفاء ثلاثة أحوال: فتح وضم وكسر ولا يمكن إسكانه لتعذر الابتداء بالسكان، وللعين أربعة أحوال: الحركات الثلاث والسكون، والثلاثة في الأربعة اثنا عشر، سقط المثالان (فِعْلٌ وفِعِلٌ) لاستئصال الخروج من ثقيل إلى ثقيل مخالفه..."<sup>(٤)</sup>. فهذه العملية - كما ذكر د. الحاج صالح - التي تجعل للفاء والعين واللام أحوالاً بحسب ما تقتضيه الحركات والسكون، واعتبارات أخرى هي - في الحقيقة - ما يسمى الآن جداءً ديكارتياً؛ لأنَّه نتيجة لضرب مجموعة في مجموعة. ومثَّل لها الحاج صالح بالجدول الآتي<sup>(٥)</sup>:

(١) منطق العرب في علوم اللسان : ٢٢٣ .

(٢) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

(٤) شرح الشافية : ١ / ٣٥ فما بعدها .

(٥) يبيِّن الجداء الديكارتية بحصر صيغ الثلاثي المجرد، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٧٢ و٤٨ / ٢، ومنطق العرب في علوم اللسان : ٢٢٥ .

سكون ◊	كسرة ◌ِ	ضمة ◌ُ	فتحة ◌َ	ف ع ← ↓
فَعْل	فَعِل	فَعُل	فَعَل	فتحة
فُعَل	فُعِل	فُعُل	فُعَل	ضمة
فِعَل	فِعِل	فِعُل	فِعَل	كسرة

يتضح مما تقدّم أن علماءنا العرب القدماء - ولاسيّما الخليل - استطاعوا حصر وإحصاء جميع مفردات العربية، وعمله هذا يدخل فيما يُسمى اليوم بالمعجمية Lexicographie، إذ هي مصدر صناعي يدل على علم مختص بصناعة وتأليف المعجمات، يسعى إلى جمع الرصيد المفرداتي وتصنيفه وترتيبه على وفق نظام معين، ثم تعريف وتوضيح مداخله.

والمعجمية في الدراسات الحديثة هي علم تفرع عنه علم المفردات الذي يعني "بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها وأبنيّتها، ودلالاتها، وكذلك بالمترادفات والمشاركات اللفظية والتعبير الاصطلاحية والسياقية"<sup>(١)</sup>، ومن هنا فإنّ علم المفردات مهمته إيجاد "المعلومات الوافية عن المواد التي تدخل في المعجم"<sup>(٢)</sup>، كما تفرع عن المعجمية علم صناعة المعجم، وهو ما يسمى بـ: Lexicographie حيث خُصّص لصناعة المعجمات التي تشتمل على خمس خطوات رئيسة تتمثل في الآتي<sup>(٣)</sup>:

- ١- جمع المعلومات والحقائق.
- ٢- اختيار المداخل.
- ٣- ترتيبها على وفق نظام معيّن.
- ٤- كتابة المواد.
- ٥- نشر النتائج النهائي.

وتقوم صناعة المعجم على جملة من المبادئ فضلاً عن جمع مفردات اللغة وترتيبها وتعريف كل مدخل بما يناسبه من المعاني، فهي تعمل كذلك على "الإحاطة بعدد هائل من المعلومات عن هذه

(١) علم اللغة وصناعة المعجم : ٣ .  
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .  
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

المفردات، من حيث خصائصها الصوتية، والكتابية، والصرفية والتركيبية، والدلالية والتأريخية، والتأثيلية<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ذلك أنّ مؤلفي المعجمات، ومنهم صاحب معجم العين قد أدركوا هذه الخاصية المتصلة بصناعة المعجم، وذلك من حيث صلة المعجم بالنظام اللساني، ومستويات الاستعمال ومجالاته، والتاريخ والتأثيل، ولذلك تعددت مناهجهم، فأسسوا معجمية عبر مراحل في سُلّم تطوري هي كالاتي<sup>(٢)</sup>:

- نظرية العين الصوتية للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ).
- نظرية الجماهرة لابن دريد (ت ٣٢١هـ).
- نظرية صحاح العربية للأزهري (ت ٣٧٠هـ) والجوهري (٣٩٦هـ).
- نظرية المعنى الجذري لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة.
- نظرية الحقول الدلالية عند ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) في المخصص .

لقد أسهم هذا التنوع النظري في العمل المعجمي بشكلٍ واضح في إنجاز أعمال تطبيقية متباينة أفرزت أنواعاً من المعجمات، وتطورت إلى اختصاصاتٍ عدّة، وأصبحت المعجمية ومنها صناعة المعجم علماً قائماً بذاته، وذلك من حيث استثماره لعدد من النظريات اللسانية، في الأصوات وإحصاء المفردات وتصنيفها، وتعريفها على وفق مناهج ونظريات متعددة. كما أصبح هذا العلم يستمد شرعيته من معطيات كثير من نظريات علم اللغة الحديث وخاصةً الصوتيات، والمفردات، وعلم الدلالة والسميائيات وغيرها<sup>(٣)</sup>.

ولو عُدنا إلى عمل الخليل في معجم العين، لوجدناه يُبيّن أهمية المعجم من حيث الحصيلة المفردانية الممثلة للوحدات الأساسية المشكلة للغة التي تخضع في العادة لسُنّة التطور، إذ إنّ ما يُمثّل مرحلة الخليل كان خاضعاً لمستجدات العصر الإسلامي وما ترتب عنه من دلالاتٍ لألفاظٍ نتجت نتيجة هذا التحول في الحياة الاجتماعية والفكرية والعقائدية.

ويمكننا القول: إنّ ما ميّز هذه المرحلة هو ظهور جيل أول من المعجمات، يتمثل في المعجمات الابتكارية التي تُعدُّ بمثابة " المرجع الأساس للسان العربي الفصيح حتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجري"<sup>(٤)</sup>، إذ اكتملت النظريات والمناهج الخاصة بالمعجمات المبتكرة، وذلك من حيث الجمع والترتيب، ومن ذلك "نظرية العين الصوتية الحصرية للخليل بن أحمد الفراهيدي التي حاول فيها حصر الطاقة التوليدية للغة للوقوف على ما يمكن تشكيله من ألفاظ وكلمات في حدود الحروف الهجائية العربية حسب

(١) المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة : ١٣ .

(٢) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : ٢٥، والمعجمية العربية - قراءة في التأسيس النظري : ٧ فما بعدها .

(٣) ينظر: المعاجم العربية - قراءة في التأسيس النظري : ٨ .

(٤) واقع المعجم العربي المعاصر وآفاق المستقبل، الجيلاني جلام، مجلة اللغة العربية، العدد الثاني، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ١٩٩٩م : ١٨٢ .

نظرية التوافق والتبادل في الرياضيات، مع تمييز المهمل والمستعمل والمعرب والدخيل عن طريق الائتلاف الصوتي قبل السماع أو الرواية غالباً<sup>(١)</sup>.

إن عمل الخليل المتمثل في ما هو موجود وما يمكن أن يوجد في حدود الحروف الهجائية العربية - يعني المهمل والمستعمل - يتوافق وفكره الرياضي القائم على الدقة والتدقيق معاً. وهذا ما وجدتُ صداه اليوم في مسعى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق مشروعه (الذخيرة العربية)<sup>(٢)</sup> الذي يُعدُّ غوغل العرب، إذ أعطى أوصافاً للمعجم الجامع لألفاظ اللغة العربية المستعملة، إذ يُستخرج هذا المعجم من الذخيرة الآلية، فهي مصدر من المعطيات التي ينطلق منها ويعتمد عليها الواضعون لهذا المعجم الكبير، الذي لا يختلف عن الذخيرة إلا بالترتيب الأبجدي وغيره لمحتواه المعجمي، وبالدراسات والتحليلات الخاصة بكل مدخل من مداخلها، إذ أن كل مفردة تُثبت في الذخيرة، لأبْدَّ أن يُحرر لها بحث لغوي مستفيض<sup>(٣)</sup>.

#### \* الذخيرة اللغوية العربية ودورها في صناعة المعجم:

تبنى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مشروعاً أسماه (الذخيرة اللغوية العربية) أو ما يُطلق عليها (الأنترنيت العربي)، وهو مشروع يسعى إلى الاستعانة بالحاسوب، على وفق متطلبات العصر عن طريق ما يدّخره من معلومات.

ولو عُدنا إلى معنى مصطلح (الذخيرة) لغوياً لوجدناه لا يخرج كثيراً عن المعنى اللغوي الأصلي - التراثي الذي قدّمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فهو لغةً مشتق من " الذخر، والجمع ذخار، وذخر لنفسه حديثاً حسناً أبقاه"<sup>(٤)</sup>. فهو هنا - بمعنى الإبقاء، ووردت بمعنى آخر وافق إلى حد كبير ما هو مترتب عليه عند د. الحاج صالح من تعريف، فجاء في تاج العروس كما يأتي: "ذخره، .. يذخر ذُخراً بالضم، وإذخاراً، إتخاذه أو اتخذه في الأساس خبأه لوقت الحاجة"<sup>(٥)</sup>. فبهذه التعريفات اللغوية نجد التوافق مع التعريف الاصطلاحي، إذ عرّفها د. الحاج صالح بأنها: "بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر)"<sup>(٦)</sup>. أي بنك آلي حاسوبي يسير على وفق التكنولوجيا (اللسانيات الحاسوبية).

(١) واقع المعجم العربي المعاصر وأفاق المستقبل : ١٨٢ .

(٢) الذخيرة العربية أو الذخير اللغوية العربية عبارة عن بنك معلومات آلي يُمكن الباحث أياً كان وأينما كان من العثور على معلومات شتى من واقع استعمال العربية بطريقة آلية وفي وقت وجيز. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٦٩، وساترق بالتفصيل لهذا المشروع في الفقرة القادمة من هذا المبحث.

(٣) ينظر: مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية، د. عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الثاني، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ١٩٩٩م : ٤٦، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٩٥ .

(٤) لسان العرب : ١٥ / ٢٤٤ مادة (ذُخِرَ) .

(٥) تاج العروس، الرّبيدي : ١٢ / ٤٨٣ مادة (ذُخِرَ) .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ١١٣ .

عرض د. الحاج صالح فكرة هذا المشروع في الساحة العربية، إذ يقول بهذا الصدد: "كان لي الشرف أن عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان ١٩٨٦م، وفكرة الذخيرة اللغوية وفوائدها الكبيرة فيما يخص البحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة"<sup>(١)</sup>. فقد حاول الدكتور تقديم رأيه بفكرة تُجسّد هذا المشروع الضخم والمهم، فقام بإرساء خطوات أولى تتعلق وهذا العمل محاولاً تقديم كل الدلائل وبرهنة الأولويات الضرورية لتطبيق الذخيرة اللغوية في الواقع العربي.

إنّ الهدف الأساس من عمل د. الحاج صالح هو مساعدة الباحثين؛ ولذا فإنّ القصد منه هو خدمة وتوفير كل متطلباته، ذلك "أن يجعل تحت تصرف أي باحث في أي مكان وأي وقت مدونة تحوي الاستعمال الحقيقي للعربية"<sup>(٢)</sup>. وهذا الجهد المتفرد للحاج صالح يندرج ضمن الدراسات اللغوية الحديثة التي تساعد على إعطاء التراث اللغوي - وما جدّ من اللغة - حقه في الإدراج والاستعمال والاستغلال، وما قدّمه الحاج صالح هو "تصور وضع أنموذج لساني للعلاج الآلي للغة العربية"<sup>(٣)</sup>. إذ تحتاج العربية - فعلاً - إلى هذا الأنموذج لكونه استعمالاً فعلياً ذا خطورة عظيمة - على حدّ تعبير الحاج صالح - فكان لا بدّ من استخدام الحاسوب لما له من مميزات مواكبة للعصر، كسرعته الهائلة وقدرته الفائقة على التخزين؛ وذلك "لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحوي على أهم ما يُحرر بالعربية مما له قيمة علمية وأدبية وتاريخية وغيرها، وأعز ما أنتجه الفكر العربي قديماً وحديثاً، وما سينتجه على مرّ السنين"<sup>(٤)</sup>.

#### • مزايا الذخيرة اللغوية العربية:

إنّ مساهمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في العمل المعجمي لا تتفصل عن مساعيه التي تسعى إلى إيجاد أفضل الطُرُق لنشر اللغة العربية وجعلها اللغة المستعملة بالفعل؛ لذلك رأى في الاستعمال مقياساً موضوعياً "لا يستغني عنه اللغوي أو الاختصاصي المهتم بميدان المصطلحات"<sup>(٥)</sup>، بعد أن لاحظ أنّ الباحثين اللغويين لا يكثرثون إطلاقاً بالاستعمال الحقيقي للعربية؛ لاعتقادهم أنّ في ذلك خدمة للعاميات، وأنّ الفصحى هي العربية المكتوبة فقط<sup>(٦)</sup>، وبعد أن اقتنع بأنّ المعجم العربي في زماننا هذا يعاني "تأخراً كبيراً في العناية باللغة المستعملة بالفعل - القديمة والحديثة -"<sup>(٧)</sup>، على الرغم من أنّ العلماء العرب القدماء قد أظهروا اهتماماً فائقاً بالسماع<sup>(٨)</sup>، ولم يدّخروا جهداً في تدوين كلام العرب من

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٩٥ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٤٨ / ٢ .

(٣) توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية - جهود ونتائج، عبد الرحمن بن حسن العارف، مجلة البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ، العدد الرابع : ٥٨ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٠٩ / ١ .

(٥) حوسبة التراث العربي والانتاج الفكري في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي، من كتابة بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٤٩ / ١ .

(٦) ينظر: المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، من كتابة بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٣٨ / ٢ .

(٧) المصدر نفسه : ١٣٧ / ٢ .

(٨) السماع المباشر وسيلة اعتمدها علمائنا العرب القدماء كوسيلة لجمع اللغة العربية من أفواه العرب الفصحاء ولأهميته العلمية في التراث اللغوي العربي وضع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح كتاباً عنوانه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة)، درس

شعرٍ ونثر، ولم ينصرفوا عن البحث في كميّات الاستعمال اليومي للكلام، ودرجة تواتره ومدى توسّعهم فيه، وتوصلوا إلى وضع أوصاف غاية في الدقة والموضوعية. وقد أبدى استغرابه - الحاج صالح - من عدم التأثير بالغيبيين المحدثين في هذه المسألة؛ لأنهم يعتمدون على المطرّد في الاستعمال، وينطلقون من عينة كبيرة منه، ويخضعونها إلى القواعد المتعارف عليها في تأليف المعجمات، ويعطي مثلاً بذخيرة اللغة الفرنسية (TRESORLA LANGUE FRANCAISE) التي تغطي ما استعمله الناطقون بالفرنسية مدة قرنين من الزمن<sup>(١)</sup>، يقول: "منذ عشرات السنين كنت أتساءل باستمرار لماذا يُقلّد العرب في عصرنا الغربيين في كلِّ شيء - من دون تمحيص غالباً - إلا في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات؟"<sup>(٢)</sup>.

إنّ الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي هو شرط ضروري في صناعة المعجمات في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي يعدّه أصل الأصول في أي بحث يسعى إلى ترقية استعمال العربية، ويعني بمحتوى هذا الاستعمال "كل النصوص أو أكبر عدد منها، المحرّرة أو المنطوقة بالعربية الفصحى من مؤلفات، ومقالات وبحوث ودراسات وأشعار وخطابات مسجّلة وغير ذلك مما نُشرَ وذاع بين الناس"<sup>(٣)</sup>.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّه من غير الممكن الإحاطة بهذه المدونة اللغوية الضخمة التي تضمّ الملايين من النصوص لأي فرد مهما اجتهد ومهما كانت المدة الزمنية التي يقضيها في البحث والجرد والرصد والتنظيم والتبويب؛ لذلك فإنّ الحاج صالح لا يرى حلاً إلا في حتمية العمل الجماعي الذي يتجاوز كثيراً الفرقة الواحدة إلى العشرات من فرق البحث، ولا يرى ذلك كافياً إلاّ بالاستعانة الواسعة والكاملة بالعدد الكافي من أجهزة الحاسوب وما يحتاج إليه من آلات القراءة الآلية وبرمجيات حاسوبية مناسبة، وهذا ستحققه قاعدة المعطيات النصيّة المسماة بالذخيرة اللغوية العربية<sup>(٤)</sup>.

وعليه فإنّ العمل المعجمي عند الحاج صالح لا ينفصل عن مشروع الذخيرة العربية، فهو صناعة معجم يُجسّد الاستعمال الفعلي للغة في أبعد صورة؛ وذلك لما يحويه من ألفاظ التراث والحدائث فهي لا تأتي بما تأتي به القواميس من أمثلة مصطنعة<sup>(٥)</sup>.

وقد اقترح د. الحاج صالح أشكال المعجم الآلي<sup>(٦)</sup> الذي ينقسم - حسب رأيه - على مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة، ثم إلى معجم موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة علمية مستفيضة. أما المجموعات المرتبة، فهي عبارة عن جذاذات آلية، كل واحدة منها تختص بترتيب معيّن على وفق الآتي:

١- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).

فيه باستفاضة مفهوم الفصاحة العربية ومعاييرها المكانية والزمانية، والسماع اللغوي من حيث المحتوى والمقاييس والشواهد، ثم التحريات الميدانية ومناهجها. صحّح فيه كثيراً من المفاهيم وعلى رأسها ما أسماه بأسطورة (اللغة المشتركة الأدبية).

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١٣٩ / ٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه: ١١٨ / ٢.

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ١٢٢ / ٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٨ / ١.

(٦) ينظر: مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية: ٤٧.

- ٢- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
- ٣- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص)، وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص.
- ٤- ترتيب بحسب شيوع الكلمة أي ذيوها في البلدان العربية في الوقت الحاضر، وفي كل حقبة (٥٠ سنة) مما مضى.
- ٥- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

وقد أشار د. الحاج صالح إلى عنصر مهم في العملية المعجمية، يتمثل في الخرائط الجغرافية التي تُبين ذيو الكلم العربية في مختلف الأقاليم والتعرف على تنوعاتها الصوتية في الأداء<sup>(١)</sup>. هذا فيما يخص المعجم الآلي، أما المعجم المحرر فيسكون - حسب رأي د. الحاج صالح - على غرار ما وُضِعَ من الذخائر الفرنسية أو الإنجليزية، فهو موسوعة يحرر فيها العلماء بحثاً خاصة بكل لفظة، وذلك من حيث ما يأتي<sup>(٢)</sup>:

- تحليل دلالي انطلاقاً من السياقات وحدها.
- تعليق صوتي وصرفي ونحوي وجيز بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة قديماً مع ذكر المصادر والمراجع.
- تعليق تاريخي للمادة وفروعها انطلاقاً من تحليل النصوص أو المقارنة بينها.
- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل، وتكييفها.
- بيان شيوع الكلمة الجغرافي بحسب العصور.
- ذكر متجانسات ومترادفات وأضداد الكلمة إن وُجِدَت.
- ذكر الدراسات التي خصصها لها العلماء قديماً وحديثاً إن وُجِدَت.

وجدير بالذكر أن د. الحاج صالح قد أشار إلى إمكانية وضع معجم تاريخي يسعى إلى حوسبة التراث العربي فتكون بذلك التغطية الشاملة لاستعمال اللغة العربية، فبحكم الفهرسة الآلية للنصوص يمكن معرفة سياقات كل لفظة من ألفاظ تلك النصوص، ونسبة شيوع كل منها مما طُبِعَ من نصوص على مستوى الوطن العربي، وعليه فإنه يسهل وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل<sup>(٣)</sup>.

فضلاً عن إسهاماته في تطوير العمل المعجمي، وذلك بتوجيه الباحثين والطلبة إلى مجالٍ خصبٍ للدراسة يعود بالنفع العظيم وهو ما يُطلق عليه بـ(معجمات المعاني). وهي مؤلفات في دلالة الألفاظ ابتكرها علماء المعجم العربي قديماً، وذلك بإعادة تنظيم معانيها وترتيب ألفاظها وفهرستها على وفق الترتيب الألفبائي<sup>(٤)</sup> ومن أمثلتها: (تهذيب الألفاظ) لابن السكيت (ت ٥٤٤هـ)، و(الغريب المصنّف) لأبي

(١) ينظر: مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية : ٤٧ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١١٢ / ٢ .

(٤) ينظر: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقّي استعمال اللغة العربية : ٤١ .

عُبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، و(المخصص) لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)، وقبلها ممّا جَمَعَ المعاني ما سُمِّي بالرسائل كرسالة خلق الإنسان للأصمعي (ت ٢١٦هـ) وغيرها كثير.

وقد ضمت هذه المعجمات موضوعات متعددة، كأسماء الخيل، وخلق الإنسان والمطر.. الخ، وصُنِفَتْ حسب ترتيبات مختلفة متباينة، وليس من العيب إعادة هيكلة هذا الزاد اللغوي التاريخي بطريقة حديثة، بل يتوجب علينا ذلك، وهذا ما دعى له د. الحاج صالح في الذخيرة اللغوية، إذ يقول: "ولا مانع أن نقوم في زماننا بمثل ما قام به هؤلاء العلماء بالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية (الذخيرة) إلا أنه يجب أن ينتهج في ذلك النهج السليم الذي اتبعه العلماء الغربيون"<sup>(١)</sup>. لكن مع اتباعنا هذه الطريقة علينا احترام خصائص اللغة العربية ليصبح العمل في أحسن وجه وأكمله، كما لا ننسى أنه ضمن معجمات المعاني هذه تدخل معجمات " خاصة بالمترادفات والأضداد وهو أيضاً مفيد"<sup>(٢)</sup>.

مما تقدّم يتضح أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد سعى جاهداً لبيان أهمية اللغة العربية وذلك عن طريق الاستعمال الفعلي للغة الذي يُعدُّ المنطلق الأساس لكل بحث لساني. كما وضع الأسس العلمية - النظرية منها والتطبيقية - في صناعة معجم عربي آلي ينهل منه الجميع هو (الذخيرة اللغوية العربية)، إذ إنّ للعرب نظريات وطرائق لغوية يحفل بها تراثهم العلمي اللغوي، ويُبيّن عن مكنوناتها مسأّتهم العلمي والعملية، وخاصة في القرون الهجرية الأولى، التي بيّنت أن الدرس اللغوي العربي كان يخضع لمنهج علمي قويم بكل مقوماته من دقة ووضوح وثبات، وأنّ مسارنا اليوم أصبح يعتمد التراث اللغوي العربي قاعدة علمية للوصول إلى غايات لغوية جديدة متطورة.

كما يُعدُّ مشروع الذخيرة اللغوية بمثابة غوغل عربي يحوي جميع المعلومات والمنجزات الفكرية لكل الدول العربية، إذ يوفر قاعدة معرفية وثقافية مشتركة لأبناء العربية .

إنّ مشروع المعجم اللغوي العربي التاريخي ومعاجم الموسوعات العربية متعددة الموضوعات يُسهم في الترويج للثقافة ولغة العربية بوصفها مشروعاً حضارياً وعالمياً، إذ يتعرف العالم من خلاله على الكنوز التي يحويها من مختلف مناهل العلم والمعرفة. ولا يخفى دور د. الحاج صالح في توظيفه التكنولوجيا الحديثة في البحث اللساني بمختلف تطبيقاته وخاصة الحاسوب، فحصر اللغة لن يكون تاماً بالمعنى التقني الدقيق إلا بوجود نظام أو آلة حاسوبية مُعجمية لا تختلف جوهرياً عن نظام القواعد أو النحو، وهو أيضاً آلة حاسوبية. ومن هنا تصبح الدخالات المعجمية عناصر يوظفها النظام الحاسوبي للقيام بعمليتين ضروريتين لبلوغ معنى الكلمة (أو معانيها): عملية تفكيك أو تحليل، مردّها إلى كون الكلمة ليست مفردة لها معنى ذريّ أي لا يقبل التحليل، بل إنّ الكلمة تحتاج إلى تحليل، لفهم دلالتها الداخلية<sup>(٣)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٦٨٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ١٢٣ .

(٣) ينظر: أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثّرات الترجمة، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ٥، ٢٠١٠ : ٢٨ .

## المبحث الثاني

## المصطلح والترجمة

## \* بين المصطلح واللسانيات:

اختلف الدارسون في ضبط العلاقة بين اللسانيات والمصطلح، فمنهم من عدّها مجالاً من مجالات اللسانيات، ومنهم من عدّها علماً مستقلاً بذاته<sup>(١)</sup>. واعتمد الشق الأول - وهو الغالب - على أنّ كليهما يعتمد المادة اللغوية على الرغم من اختلاف المنطلقات والمناهج، واعتمد الشق الثاني على أنّ كليهما مختلف عن الآخر منهجاً ومادّةً مركزاً في ذلك على الجانب النظري الذي تستند إليه كلّ منهما<sup>(٢)</sup>.

فالمصطلح فرع من فروع اللسانيات، فهو " اختصاص متولد عن اللسانيات، ويعتمد على بعض الأطر النظرية التي توجّه التطبيق ومجموعة من المناهج التي تؤمّن صلاحية ما تنتجه"<sup>(٣)</sup>. فالمصطلح عمل مشترك مع اللسانيات يؤدي فيه اللساني دور تحديد المنهج العلمي الذي ينتج المصطلح. وإنّ الدور الذي تؤديه اللسانيات في مساعدة اللساني على تسمية المصطلحات وضبط مجالها التخصصي، لهو دور تواصلية بالأساس يدفع الباحثين إلى ضبط سياق استعمال المصطلح، " فبديهي أن يكون هذا العلم (علم المصطلح) فرعاً من فروع علم اللسان وأن يستورد أصولاً نظرية وحلولاً علمية من هذه الفروع"<sup>(٤)</sup>.

وبذلك يُعدّ علم المصطلح من العلوم اللسانية الحديثة، وقد أخذ موقعه كونه علماً ذا بُعد تطبيقي، ويُعرّفه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنّه: " دراسة الألفاظ الخاصة بالعلوم والتقنيات بتجميعها ورصدها وتحليلها، ووضع بعضها عند الاقتضاء"<sup>(٥)</sup>.

وينبغي أن تُفرّق بين (لسانيات المصطلح) و(المصطلح اللساني)، إذ يُشير الدكتور سمير شريف استيتية إلى أنّ لسانيات المصطلح تُنبىء عن جهة الدرس اللساني المتصل بالمصطلح؛ فتكون بذلك خارجة عن عمومية الدرس اللساني إلى خصوصيته، فيكون المصطلح هو محور الدرس الخاص من اللسانيات، ويكون بذلك شأنه شأن أي فرع من فروع اللسانيات، كما أنّ البحث اللساني في المصطلح أعم من المصطلح اللساني؛ لأنّ خصوصية المصطلح اللساني متأتية من كونه واقعاً ضمن دائرة لسانيات المصطلح. والمصطلح اللساني يمكن أن يكون مظلة بحثية، تضم تحت جناحيها أعمالاً علمية

(١) ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : ٣٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الرمز بين المدلول والتصور، ضمن كتاب المعنى في علم المصطلحات، لويك ديببكر، ترجمة ريتا عوض، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م : ١٣٧ .

(٤) المصطلح اللساني، د. عبد القادر الفهري، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٣، ١٩٨٣م : ١٤٠ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٧٤/١ .

تبحث في المصطلحات اللسانية، لا في المصطلح عموماً، فيكون بذلك مساوياً في معناه ودائرة اختصاصه للسانيات المصطلح<sup>(١)</sup>.

وبهذا يُشكّل علم المصطلح أحد فروع اللسانيات التطبيقية، إذ " يتناول الأسس العلميّة لوضع المصطلحات وتوحيدها، ومعنى هذا أنّ وضع المصطلحات لم يعد في ضوء المعايير المعاصرة يتمّ على أساس البحث المفرد في كلّ مصطلح على حدة، كما هي الحال في جهود كثيرة، فهناك معايير أساسية تتبع من علم اللغة ومن المنطق ومن نظرية المعلومات ومن التخصصات المعنية، وهذه المعايير تنمو بالتطبيق لتكوّن الإطار النظري والأسس التطبيقية لعلم المصطلح"<sup>(٢)</sup>. فبذلك يحتاج علم المصطلح إلى فروع في اللسانيات التطبيقية لمساعدتها على ضبط منهجها وتحليل بعض قضاياها وخاصةً في جانبها التطبيقي الذي يعتني بقضايا تسمية المصطلحات وضبط ترجمتها العلمية، وهو ما يجعلنا أن نبيّن طبيعة العلاقة بينها وبين الترجمة العلمية في إطار التشارك في البحث والمنطلقات المنهجية والمقاربات الوظيفية.

### \* الترجمة والمصطلح:

يُعدّ المصطلح في اللسانيات - كما ذكرنا - أمراً أساسياً في نقل العلوم من لسان النشأة إلى لسان التقبل (التلقي)، وتتطلب عملية النقل مهارات لسانية ومعرفية تساعد المترجم على ضبط مفهوم المصطلح حسب سياقات استعماله، وقد أدّى اختلاف المهارات وتعدّد السياقات إلى اختلاف عملية الترجمة، إذ نجد ترجمات متنوّعة تخصّ مصطلحاً لسانياً واحداً. ويمكن أن تكون أسباب الاختلاف في الترجمة " معرفية ولسانية وبرغاماتية"<sup>(٣)</sup>.

وترتبط بين الترجمة وعلم المصطلح علاقة وثيقة، إذ تعدّ المصطلحات مفاتيح العلوم التي تبلور مفاهيمها، محققة التواصل بين أهل الاختصاص، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "الترجمة من الوسائل الأساسية لللقي اللغوي في أية لغة، ومن هذا المنطلق أرى أنّه من الضروري أن يكون موضوع اهتمام بالبحث العلمي وأن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تُمارس كما يُمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه"<sup>(٤)</sup>. فالترجمة " نشاط لساني تواصلّي ينشأ في سياق معرفيّ معيّن يتقيّد به المترجم عند عملية الترجمة"<sup>(٥)</sup>. ومن هذا تُعدّ الترجمة - عند د. الحاج صالح - هي الوسيلة الحاسمة في تعميق التواصل مع العالم المتقدّم، إذ تقوم على توسيع دوائر الحوار التي تؤدي إلى امتلاك مفردات العصر ولغاته، فضلاً عن كونها السبيل إلى فتح آفاق جديدة مع العالم.

(١) ينظر: اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج : ٣٤١، ومدخلات لسانية. مناهج ونماذج، د. بنعيسى أزيبيط، سلسلة دراسات وأبحاث، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب العربي - مكناس، د. ط، ٢٠٠٨ م : ١٤٦ .

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والتوزيع، د. ت : ١٩ .

(٣) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : ٩٥. لا أريد التفصيل والخوض في أسباب تعدد الترجمة التي ذكرناها، إذ نجد كثير من الباحثين يقفون عند هذه المسألة لتغطيتها، وللتفضل أكثر، ينظر: المصدر نفسه : ٩٦ - ١٠٣، واللسانيات وآفاق الدرس اللغوي : ٢٣ - ٣٤ .

(٤) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٧٧ / ١ .

(٥) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : ١٠٠ .

ولن تتجح الترجمة في نقل المعنى من مبنى أول إلى مبنى ثانٍ، إلا إذا أعطت المفاهيم المقابلات التي تعكس حقيقتها في البُعد المعرفي الذي تتضوي تحته، وهذا يعني أنّ المُترجم مطالبٌ باعتماد المصطلحات العلميّة التي اتفق المختصون حولها، وكلما راعينا في أعمالنا وحدة المصطلحات ودقّتها، تجنبنا الخلط وسوء الفهم الذي قد يقع فيه القارئ أو الباحث المبتدئ، ف" المصطلحات العلمية تتحدد دلالتها وعباراتها في إطار نظريّة متكاملة وهي لا تظهر إلا بوصفها عناصر متكاملة للنظرية، ومن ثمّ فإنّ المصطلح الذي يُكوّنه ذلك التخصص"<sup>(١)</sup>.

ومن الحقائق التي ينبغي أن نذكرها في مقامنا هذا هي أنّ علماءنا القدماء لم يغفلوا هذا العلم (علم الترجمة)، فقد تنبّه الفكر اللغوي العربي القديم على ما تتطلبه الترجمة من لغةٍ إلى لغةٍ، من معرفة واسعة باللغتين معاً - على حدّ سواء - على الرغم من أنّ الترجمة - في حدّ ذاتها - ارتيادٌ صعب، ولاسيما إذا كان ميدان الترجمة جديداً، لم يتطرق له من قبل المترجمين. فنجد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يشترط في المترجم: "أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن عمله، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية.. وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء"<sup>(٢)</sup>.

ثمّ إنّ عملية النقل من لغة إلى أخرى لا تسلم من خطورة؛ وذلك أنّ إحدى اللغتين قد تؤثر في الأخرى، فتدخل الضيم عليها - على حد تعبير الجاحظ - فتجذب الترجمة اللغوية إلى إحداها، على الرغم مما يلحظ من اشتراك اللغات الطبيعية في القوانين الكلية: الصوتية والتركييبية والدلالية وغيرها، فنرى ابن جني يُدرك تلك العلاقات بين اللغات الأصلية واللغات المكتسبة في الذات المتكلمة العارفة الواحدة، يقول: "وأيضاً، فإنّ العجم العلماء بلغة العرب، وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم، فإنّ قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية، وتونسهم بها، وتزيد في تنبهم على أحوالها، لاشتراك العلوم اللغوية واشتراكها وتراميتها إلى الغاية الجامعة لمعانيها"<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم مما تتعرض له الترجمة من صعوبات إلا أنّها تبقى في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وسيلة مهمة جداً في العلوم الحديثة، تقوم على ازدهار اللغة ورقيها، مما يتوجب ضرورة توفرها في كل الميادين العلمية إذ كان لا بُدّ من نشرها في مؤسسات تمارس فيها البحوث والتكوينات الدراسية وغيرها.

وترجع نظرته هذه إلى مجموعة أسبابٍ لعلّ أهمها<sup>(٤)</sup>:

١- أنّ الترجمة تُعدُّ باباً من أبواب التفتح على الآخر.

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ١٣ .

(٢) الحيوان : ٧٦ / ١ فما بعدها .

(٣) الخصائص : ٢٤٣ / ١ .

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٧١ .

٢- الاستزادة اللغوية، إذ يذهب إلى أنّ اتقان لغة زائدة عن اللغة الأم هي فرض عين على كلّ مُشتغل بالبحث.

ف نجد أنّ د. الحاج صالح استعمل مصطلح " فرض "؛ وذلك للأهمية البالغة التي تزودها الترجمة لعلوم اللغة، فعند إتقان لغة أخرى هانت على الباحث عدد كبير من الصعوبات العلمية، فقد بيّن ضرورة توسيع إقامة مراكز للدراسة وممارسة (فن) الترجمة في العالم العربي وتشجيع الأبحاث بشرط ضرورة التنسيق فيما بينها، فينبغي أن تكون جهوداً جماعية<sup>(١)</sup>، فترجمة المصطلح اللساني - الذي يُعدُّ بالغ الأهمية - ليس عملية فردية المجهود أو أحادية البعد، إنّها اشتراك عمليّ بين مساعٍ كثيرة، فضلاً عن كونها اشتراكٌ علميٌّ بين مجالات معرفية متعدّدة؛ وذلك لأنّ الخطاب اللساني (القديم والحديث) خطاب متعدد المصطلحات، لدرجة أنّ لكل تجربة لسانية رصيدها المصطلحي الخاص بها.

من هذا المنطلق، كوّن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مشروع مصغّر بعنوان (مشروع تكوين مختصين)، إذ يرى ضرورة " تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المختصة"<sup>(٢)</sup>؛ لتزول عشوائية وضع المصطلحات العلمية وتقنين الترجمة بطريقة علمية معتمدة. وتتمثل سمات وأهداف هذا المشروع فيما يأتي<sup>(٣)</sup>:

- ١- تكوين مختصين في الترجمة، لنقل العلوم والتكنولوجيا، ويكون ذلك بالإعداد على نطاقٍ واسعٍ لعددٍ كبيرٍ من المترجمين في نقل العلوم ومن المعروف أنّ العدد الذي تتوفر عليه البلدان العربية من الاختصاصيين في ميدان الترجمة عدد قليل جداً.
- ٢- سد النزاع اللغوي الكبير في الوطن العربي.
- ٣- توفير الكتاب العلمي، مما يؤدي إلى استرجاع اللغة العربية لمكانتها الأصلية - الطبيعية - وبه تتكاثف الجهود عن هذه الثقافات العربية التي تقوم على غفوةٍ أنها في درجة الكمال أحياناً.

#### \* المصطلح اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

تميّزت أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بالنوعية من جوانبٍ ثلاثة: المعرفي والعلمي واللغوي.

ففي الجانب المعرفي نجده عارفاً للمصطلحات التراثية، إذ عمل على تأصيل المصطلح التراثي بموازنته بغيره من المفاهيم اللسانية الغربية واختبار نتائجه ومدى نجاحه، فعلى سبيل المثال عند استعماله (اللسانيات الخليلية الحديثة)، نجد - هنا - مصطلح (خليلية) فيه إشارة إلى الهوية العربية المتميزة لما للنحو العربي من امتداد للخليل ومن جاء بعده، وإنّ ذكره للخليل تغليباً له على غيره من العلماء<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ١/٣٧١ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٧٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٤) ينظر: (ص ١١١) من الأطروحة .

فضلاً عن اكتشافه مصطلحات عربية أصيلة انتقلت إلى الغرب<sup>(١)</sup> منها: علوم اللسان، العامل، المسند... الخ .

أما الجانب العلمي فقد درس المصطلحات الأصيلة دراسةً علميةً مستقلةً مثل: القياس، الوضع، الإنفصال، الكلم، فضلاً عن ترجمته لمصطلحات: (وضعية، حالة، موقف، سياق الموقف، ظرف) بمصطلح دقيق هو (المقام).

ويتميز الجانب اللغوي عنده ب: الدقة، والإيجاز، والعلمية، وتعامله بعمق مع المصطلحات التراثية، فنجد أنه قد تجاوز مرحلة الترجمة إلى مرحلة التفكير العربي الأصيل؛ هذا كله لأنّ د. الحاج صالح قد تمثّل التراث اللساني العربي واللسانيات العربية؛ لذلك فهو يعرف كيف يضع الأشياء في مواضعها وكيف يُفرّق بين الأوضاع.

وسنركّز هنا، على المصطلح اللساني في أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مبيّنين أهم اتجاهات الإبداع المصطلحي لديه، عن طريق رصد مجموعة من المصطلحات الدالة على ذلك. ومن خلال تتبع أعماله يُمكننا القول: إنّ المصطلحات اللسانية لديه تُصنّف ضمن إتجاهين أساسيين هما:

أ - الترجمة،

ب - إحياء المصطلح التراثي،

أ - الترجمة:

يمكننا تقسيم الترجمة في أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على قسمين:

١- طبيعة الترجمة.

٢- المصطلح المُترجم.

ولو نظرنا إلى توظيفه للنص المُترجم سنجد أنه مرتبط بطبيعة الخطاب وهدفه، فالخطاب التراثي لديه موجّه لقارئ يمتلك رصيلاً لسانياً كافياً لإعادة قراءة النص التراثي، ومن ثمّ فهو لا يحتاج إلى النصوص الأصلية لتدعيم المفاهيم اللسانية؛ لأنّها مفاهيم واضحة ومفهومة بالنسبة إليه، وبهذا يرتبط ورود النص المترجم في الخطاب التراثي بالموازنة بين المفهوم القديم والمفهوم الحديث.

أما الخطاب اللساني التطبيقي، فإنّ ميله إلى التطبيق، يعكس إلمامه بالمبادئ والمفاهيم اللسانية، فضلاً عن القارئ الذي يكون على معرفة كافية مما يجعله مؤهلاً لمتابعة تطبيقها وهو ما يؤكد تجاوز القارئ مرحلة التنظير التي تحتاج لدعم النصوص المترجمة.

(١) سنبيّن هذه الجزئية في الفقرة القادمة .

## ١- طبيعة الترجمة:

تُعَدُّ الترجمة عملية إبداعٍ جديدٍ للنص الأصلي، إذ تخلق في كلّ مرة نصاً آخر يحافظ على المعنى الأول، متمظهراً في شكلٍ أو مبنى جديد، سواء أكان على مستوى اللغات المختلفة، أم على مستوى الترجمات المختلفة في إطار اللغة الواحدة<sup>(١)</sup>. فعملية الترجمة تسعى - دائماً - إلى أن تكون قريبة من إدراك تكوّن المفهوم المصطلحي، فتكون - بذلك - الترجمة " عملية إدراكية ولسانيّة تضبط المفهوم وتُشكّل المصطلح المناسب له"<sup>(٢)</sup>. وتتقسم الترجمة على قسمين<sup>(٣)</sup>:

الترجمة الحرفية والترجمة بتصرف<sup>(٤)</sup>. وتعني الترجمة الحرفية استبدال الكلمة المقابلة لها في لغة ثانية، بينما يُحافظ التّصرف على الدقّة في المعنى، من دون التزام المترجم بالمطابقة الحرفية للجمل أو الألفاظ في اللغة الأولى، أي أنّ هدف المترجم الأساسي هو تحصيل المعنى ونقله إلى اللغة الثانية، وليس شرطاً أن تتساوى الألفاظ مع الأولى أو تختلف، فضلاً عن أنّها - الترجمة بتصرف - تعني الانتقال من اللغة الأولى (المترجمة) إلى اللغة الثانية (المترجم لها) دون اشتراط المحافظة على بناء النص الأصلي، وهو ما يعني الترجمة بالمعنى، إذ يُعنى المترجم بنقل المعنى مع تصرفه في البناء اللفظي<sup>(٥)</sup>.

ولو عُدنا إلى تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نجد أنّ الترجمة بتصرف لها حضور كبير في نصوصه المترجمة عن اللغات الثانية (الإنجليزية والفرنسية)، فضلاً عن اختياره المصطلحات ذات الدلالة المناسبة والتعبير المناسب، كما نجد المصطلح التراثي موجود في معظم ترجماته؛ وذلك لأنّه على علم بأنّ القارئ العربي ذو معرفة وخلفية تراثية.

وقد اخترت نصاً لأندرية مارتيني<sup>(٦)</sup> ترجمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هو:

" Une langue est un instrument de communication selon lequel l'expérience humaine s'analyse, différent dans chaque communauté, en unités douées d'un contenu sémantique et d'une expression phonique, les monèmes; cette expression phonique articule à son tour en unités distinctives et successives, les phonèmes, en nombre déterminés dans chaque langue. Don't la nature et les apports mutuels les différencient eux aussi d'une langue à une autre".

(١) ينظر: خصائص الخطاب اللساني : ٣٩٤ .

(٢) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : ١٠١ .

(٣) ينظر: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، محمد ديداوي، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م : ١٧٠ .

(٤) توجد درجات كثيرة بين قسمي الترجمة السابقين منها: الترجمة اللفظية والترجمة الحرة. وما يهمننا القسمين السابقين؛ وذلك لتعرض الحاج صالح لهما.

(٥) ينظر: خصائص الخطاب اللساني : ٤١٤ .

(٦) Elements de linguistique general, A.Martinet, Armand colin: p20.

يُترجم الحاج صالح هذا النص كما يلي: "اللسان هو أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخبُرُه الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة وهي العناصر الصوتية ويكون عددها محصوراً في كل لسان وتختلف هي - أيضاً - من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينها باختلاف الألسنة"<sup>(١)</sup>.

ولو حللنا النص المُترجم لوجدنا أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد ترجم النص الأصلي بتصرف (الترجمة بالمعنى)، وهو ما يعكس حفاظه على الدلالة والمعنى كما توفّرت لدى أندريه مارتينييه، ونلاحظ عند ترجمته لبعض المصطلحات اللسانية ميّله إلى استعمال المصطلحات التراثية (العربية القصيحة)، مثل Langue communication يترجمها ب(اللسان - تبليغ)، ومثله - أيضاً - مصطلح contenu semantique يترجمها ب(مضمون معنوي)، في حين نجد بعض اللسانيين<sup>(٢)</sup> يترجمها ب"محتوى دلالي"<sup>(٣)</sup>.

فضلاً عن ترجمته لمصطلح expression phonique يترجمها ب(الصوت الملفوظ)، في حين يترجمها آخر ب"عبارة صوتية"<sup>(٤)</sup>. وجديرٌ بالذكر أنّ النص الذي ذكره مارتينييه وترجمه الحاج صالح يُعدُّ من المقاربات اللغوية الموجودة عند القدماء، إذ نجد صاحب الألفية يقول عبارة تُوجز كل خصائص اللغة هي: "الكلام: هو اللفظ المركب المفيد بالوضع فائدة يحسن السكوت عليها"<sup>(٥)</sup>.

نخلص من ذلك إلى أنّ د. الحاج صالح يميل إلى استعمال المصطلح الخاص به، فضلاً عن المصطلح التراثي، فهو يلتزم باستعمال مصطلحه الخاص، الذي يخضعه لتوحيدٍ شامل في أعماله التراثية.

## ٢. المصطلح المُترجم:

نقصد بالمصطلح المُترجم هو "وضع معاني المصطلح العلمي الأجنبي بعباراتٍ عربية سليمة بالقدر الذي يُقرّب المعنى إلى الذهن، من دون أن ينصرف الذهن إلى معنى سواه"<sup>(٦)</sup>.

وللمصطلح المُترجم حضوراً في أعمال د. الحاج صالح، ويمكننا تمثّل هذا المعنى عن طريق رصد بعض المصطلحات المترجمة من قبله:

(١) بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٨٥ .

(٢) على سبيل المثال: الدكتور ميشال زكريا .

(٣) بحوث السنة العربية : ٦٨ .

(٤) بحوث ألسنة عربية : ٦٨ .

(٥) شرح ابن عقيل : ١ / ١٦ .

(٦) تأملات في الخطاب الجامعي، عبد الكاظم العبودي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٤م : ٣٨ .

المصطلح الغربي	مصطلح د.الحاج صالح	مصطلحات عربية أخرى
Linguistique	لسانيات أو علم اللسان	ألسنية،
Axe syntagmatique	محور تركيبى	محور ركنى
Axe paradigmatic	محور استبدالى	—
Groupe	زمرة، مدونة	مُدَوْنَة
Semantique	الدلالة اللغوية	
Structuralisme	بنوية	بنائية، بنوية
Oppositional	نظام تمايزى أو تقابلى	
Langage	لغة، لسان	كلام
Formal grammars	الأنحاء الصورية	
Pragmatigs	ظواهر التخاطب، أو ظواهر الاستعمال	التداولية
Sens lexical	المعنى العجمى	علم الألفاظ
Syntaxe	مستوى التركيب	علم التراكيب
Linguistics Applied	لسانيات تطبيقية	ألسنية تطبيقية
Contrastive linguistics	اللسانيات التفاضلية أو التقابلية	
Unite communicationnelle	وحدة إفادية	وحدة تواصلية
Unite Semiologique	وحدة لفظية	وحدة دلالية أو معنوية
Couple ordonne	زوجاً مرتباً	
Factorial	العاملى	
Arbitraire	اعتباطية	كيفية
Kernel sentence	الجملة النواة	النواة الإسنادية
Phrase –noyau		
Arbitrairedu signe	اعتباطية الدلالة الوضعية	المناسبة بين الدال والمدلول
Paradigmatique	تصريفى	ترابطى، جدولى
Distributionalisme	توزيعية	مجموع القرائن
Signe	دليل	العلامة، الإشارة
Tresor	رصيد	

Diachronie	زمني	تاريخية، زمنية تزامنية
Lexicographie	صناعة المعجم	
Marque zero	العلامة العدمية	
Tresorde langue	ذخيرة اللغة العربية	المُكنز، البنك
Arabice		
Automatic langag	العلاج الآلي للغة	
Processing		
Linguistique evolution	علم اللسان التطوري	
Linguistique statique	علم اللسان السكوني	
Lexicologie	علم المفردات، أو علم متن اللغة	
Synchronie	وضع آني	الآنية، تزامنية، معاصرة
Syntagmatique	تركيبية	النسقي، الركينة

حاولنا في الجدول السابق رصد عدد كافٍ من المصطلحات المترجمة عند الدكتور الحاج صالح، وحاولنا مقابلة بعضها بما يشيع استعماله من المصطلحات على مستوى البحث اللساني العربي.

ونلاحظ من الجدول السابق، أنّ د. الحاج صالح يميل إلى استعمال مصطلحاته الخاصة، على الرغم من وجود مصطلحات لسانية أخرى، قد تكون في بعض الأحيان أكثر دقة.

ف نجد على سبيل المثال ترجمته لمصطلح syntagmatique إذ ترجمه بـ "تركيبية"<sup>(١)</sup>، ويبدو أنّه تقّرّد بهذه الترجمة، بينما ترجمه الدكتور ميشال زكريا بـ "الركينة أو النسقي"<sup>(٢)</sup>.

وترجمته للمصطلح الأجنبي paradigmatic بـ "تصريفية"<sup>(٣)</sup>، بينما يترجمه غيره من الباحثين بـ "الترابطي والجدولي والاستبدالي واقتصاد في التصريف"<sup>(٤)</sup>.

كما ينفرد في ترجمته لمصطلح Tresor de langue Arabice بـ (ذخيرة اللغة العربية)، إذ يعتبر الحاج صالح هو صاحب وضع المصطلح، لكونه صاحب هذه التجربة (الذخيرة اللغوية).

وينفرد أيضاً في ترجمته لمصطلح Tresor بـ "رصيد" إذ جاء في تعريفه للسان بأنه "رصيد"<sup>(٥)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٧٧ / ٢ .

(٢) اللسانيات والترجمة : ٤٢ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٧٧ / ٢ .

(٤) المصطلح اللساني التأسيسي والمفهوم : ١٢٦ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١٥٩ / ٢ .

كما خالف عدد من الباحثين<sup>(١)</sup> عند ترجمته لمصطلح synchronie بـ "وضع آني"<sup>(٢)</sup>، فقد ذهب بعض الباحثين إلى ترجمتها بـ(الآنية، أو التزامنية، أو التعاصرية).

وتتعدد الأمثلة بخصوص هذه المسألة، وخلاصة القول: إنَّ د. الحاج صالح - بعمله هذا - يضع حدًّا فاصلاً بين ترجمته لبعض المصطلحات وبقية الترجمات للباحثين العرب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على رغبته في بناء تصوّر لسانيّ عربيّ خاص به، ذي قيمة لسانية.

### ب - إحياء المصطلح التراثي:

حاول الدكتور الحاج صالح استعمال المصطلح العربي الأصيل، كمقابل للمصطلحات اللسانية الغربية. وهذا يعني، أنه لولا التوافق أو التقارب بين المفاهيم اللسانية الغربية والمفاهيم العربية التراثية، لم يتمكّن من ترجمتها عن طريق المصطلح العربي الأصيل.

فقد عمل على تأصيل المصطلح التراثي بموازنته بغيره من المفاهيم اللسانية الغربية واختبار نتائجه، فضلاً عن وعيه بالمصطلح الغربي الحديث والعمل على ملائمته وغرسه في اللسانيات العربية بما يتلاءم مع السياقات المعرفية التي نشأ فيها مفهوم المصطلح.

وقد حاولنا عمل جدول لبيان ترجمة د. الحاج صالح للمصطلح الأجنبي بمصطلح عربي أصيل، وهو كما يأتي:

المصطلح الأجنبي	مصطلح د. الحاج صالح
Bain linguistique	الانغماس اللغوي
Situation	مقام
Code	وضع
Non – voice	همس
Sortie	مخرج
Locutear	مُتَكَلِّم
Contexte	سياق
Structuraliste	بنوية
Maquillage	التغمير والتحمير
Akinesis	الحركة
Moquette	الحلس

(١) مثل المسدي والقرمادي، وميشال زكريا، ينظر: اللسانيات والترجمة : ٤٦ .

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٤٤ .

Kineses	سكون
Intensite	الشدة
Pont	السرعة
Analogie	قياس
Recursivite	الإطالة
Lexicologie	على متن اللغة
Model	مثال
Substrat	منشأ لغوي
Voise	جهر
Object	ذات
Operating	إجراء
Combinatory	قسمة التركيب
Fricative	رخو
Laryngeal Ton	الصوت الحنجري، صوت الصدر
Inclusion	إندراج شيء في شيء
Communication	تبليغ
The Universals	الكليات اللغوية
Connotation	معنى المعنى
Lacutionary	إنشاء
Illocu-ionary	خبر
Premierearticulation	التقطيع الأولي
Langage	لسان، لغة
Associative Comput	حساب إبدالي
Terme	الحدّ
Opposition	تضاد
Radical	جذر
Derivation	اشتقاق
Competence Linguistique	ملكة لغوية
Aphasie	حبسة

من الجدول السابق يتضح لنا استعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح للمصطلحات القديمة (التراثية)؛ وذلك لما يحمله هذا المصطلح من معنى دقيق ودلالة عميقة أغنته عن ذكر مصطلح حديث قد يكون قاصراً عن تأدية المعنى المطلوب .

فعند ترجمته لمصطلح Bain linguistique استعمل لترجمته مصطلح "الانغماس اللغوي"<sup>(١)</sup>؛ وذلك لأنه أنسب في تأدية المعنى المطلوب، إذ تُرجم عند باحثين آخرين بـ "الحمام اللغوي" ، والانغماس مصطلح قديم استعمله علماءنا القدماء، إذ كان العرب القدماء يأخذون أبناءهم إلى البوادي (المنشأ الأصلي للغة) ليتشربوا اللغة العربية من العرب الأقحاح، وأن ينغمسوا في بحر أصواتها، لتقوية الملكة اللغوية وترسيخها عندهم<sup>(٢)</sup>. فهذا هو السبب لجعله ينتقي هذا المصطلح دون غيره.

وعند استعماله مصطلح " منشأ لغوي"<sup>(٣)</sup> لترجمة المصطلح الأجنبي Substart ، فقد كان السبب هو رجوعه إلى استعمالات العلماء القدماء له فقد ذكره الجاحظ بقوله: " متى ترك شمائله على حالها ولسانه على سجيته كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه"<sup>(٤)</sup>، إذ قال د. الحاج صالح: "أطلقنا على مفهوم substart لفظة المنشأ (اللغوي) أو العادة الأولى اعتماداً على استعمال الجاحظ لهذا المفهوم"<sup>(٥)</sup>، وبهذا فالحاج صالح قد استعمل هذه الترجمة بالإعتماد على التراث العربي الأصيل.

وكذلك مصطلح code الذي ترجمه إلى "وضع"<sup>(٦)</sup>؛ لأن اللغة العربية وضع واستعمال - والأمثلة كثيرة - وتُرجم إلى شفرة ونظام ورمز وترميز<sup>(٧)</sup> وغيرها.

وكذلك مصطلح Situation فقد تُرجم في الكتابات اللسانية بـ: وضعية وحالة وموقف وظرف وسياق... إلخ، أما د. الحاج صالح فقد أعاده إلى المفهوم العربي الأصيل الذي نستدل عليه في البلاغة العربية وهو مصطلح " مقام"<sup>(٨)</sup> لما يحمل من معنى عميق لا نستطيع الإحاطة به إلا من خلال هذا المصطلح.

ونلاحظ عند ترجمته لمصطلح structuraliste يختار لفظ "بنوية"<sup>(٩)</sup> مقابلاً للفظ الأجنبي المنسوب إلى (البنية) وفضّله على (البنوية)، وهذا الاختيار له أسبابه، إذ قال: "اتبعنا في هذه النسبة أن يونس بن

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ١٢٢ .

(٤) البيان والتبيين : ١ / ٧٠، وللجاحظ نص آخر يذكر فيه معنى مقارب وهو (العادة الأولى) يقول: " وجذبت لسانه العادة الأولى" المصدر نفسه : ١ / ٤٠ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ١٢٢ (الهامش) .

(٦) المصدر نفسه : ٢ / ٣٣ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، وأصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية : ١١ .

(٨) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٤٦ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٣٤ .

حبيب النحوي يقول في ظبية أخف من ظبيي ووجه الخليل<sup>(١)</sup>، فنجد أخذه واقتدائه بالمصطلح العربي القديم. كما يذكر أننا " لا نقول تربوية ولا قريوية"<sup>(٢)</sup>، إذ نستعمل لفظ بنوية كما نقول قروي وطهوي وتربوي. فبذلك يكون د. الحاج صالح قد استقى من الفكر العربي القديم أسباب اختياره لهذه المصطلحات عند ترجمته للمصطلحات الأجنبية.

ولفت انتباهنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى مصطلح Recusirveness عند ترجمته إلى مصطلح "الإطالة"<sup>(٣)</sup>، إذ نلاحظ دقة الحاج صالح في إيجاد المقاربات اللغوية بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، فهذا المصطلح - أو هذه الظاهرة - قد استعمله تشومسكي، وقبله أشار إليه سيوييه<sup>(٤)</sup>، وظاهرة الإطالة تعني - كما ذكر الحاج صالح - أن " العامل يمكن أن يحتوي على كلمة مثل (إن) و(كان) ... أو حتى على تركيب مثل: (أعملتُ عمراً) وكذلك هو المعمول الأول وذلك مثل: (إن تصوموا) فهو تركيب وكذلك هو المعمول الثاني والمخصصات ببعض الشروط"<sup>(٥)</sup>.

وهي ظاهرة موجودة في جميع اللغات البشرية كما أنها تتداخل مستوياتها وذلك مثل تضمّن أو احتواء وحدة من المستوى الأوسط وهو (مستوى اللفظ) لوحدة من المستوى الأعلى الخاص ببناء الكلام<sup>(٦)</sup>.

وقد تنبّه تشومسكي على هذه الظاهرة وأعطاه اسم Recusirveness أي قدرة الشيء على التكرار إلى ما لا نهاية<sup>(٧)</sup>، وقد ذكرها سيوييه عند تفسيره لبعض الظواهر النحوية، من ذلك نصب المضاف والنكرة في النداء، قال سيوييه " زعم الخليل رحمه الله أنهم نصبوا المضاف نحو: يا عبد الله، و يا أبا، والنكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحاً، حين طال الكلام كما نصبوا هو قبلك، وهو بعدك"<sup>(٨)</sup>، وقال الخليل رحمه الله: إذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة، لأنّ التتوين لحقها فطالت فجعلت بمنزلة المضاف لما طال نصب وردّ إلى الأصل..<sup>(٩)</sup> كما فسّروا به بعض موارد الاستثناء بإلا، قال سيوييه: " ولم يجز: ما أنت إلا ذاهباً، ولكنه لما طال الكلام قوي واحتمل ذلك كأشياء تجوز في الكلام إذا طال وتزداد حسناً"<sup>(١٠)</sup>. و" يلاحظ أنّ سيوييه لا يعزو إلى طول الكلام تجويز ما لا يجوز في غيره فقط، بل يزيد على الجواز الحُسن في الكلام، فقال: (وتزداد حسناً)"<sup>(١١)</sup>.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ٢٣ / ٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣ / ٢ .

(٤) ينظر: الكتاب : ١٧٤ / ١ و ١٩٩ / ٢ .

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٣٣ / ١ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٠٥ .

(٨) الكتاب : ١٨٢ / ٢ .

(٩) المصدر نفسه : ١٩٩ / ٢ .

(١٠) الكتاب: ٣١٧ / ٢ .

(١١) نظرية نحو الكلام : ٢٥٤ .

كما يقترح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ترجمة بعض المصطلحات العربية (التراثية) إلى اللغات الأجنبية؛ لعدم وجود مصطلح غربي يحمل هذه الدلالة. ومن هذه المصطلحات - على سبيل المثال - مصطلح " المثال المولد"<sup>(١)</sup>، إذ يضع له مصطلحاً " باللغات الأجنبية وهو Generator Pattern بالإنجليزية، و Scheme generateur بالفرنسية"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك مصطلح " اللفظة"<sup>(٣)</sup> إذ يقترح ترجمتها بـ "lexia"<sup>(٤)</sup>.

كما يُشير الحاج صالح إلى تأثير النحو العربي في النظريات اللسانية العربية، فهو يرى أنّ هناك " مفاهيم لغوية ظهرت عند الغربيين ولا أثر لها في التراث اليوناني اللاتيني"<sup>(٥)</sup>، إذ يُشير إلى أنّ " التسمية الحديثة science of language هي ترجمة للعبارة العربية (علم اللسان) التي استعملها الفارابي ونُقلت عن طريق الترجمة اللاتينية scientia lingue"<sup>(٦)</sup>. فضلاً عن مصطلحات أخرى كالعامل، إذ ظهر مفهوم العامل والعمل في أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي لأول مرة. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح " هذان اللفظان بهذا المعنى في النحو لا نجد لهما أثراً إطلاقاً في أي كتاب نحو أو لغة أُلّف في أوروبا قبل القرن الثالث عشر. والغريب أنّ العامل بهذا المعنى هو مفهوم مانوس عند النحاة العرب بل هو من مفاهيم النحو الأساسية.. فقد يكون من كتب النحو المترجمة أو التي رُوّج لها أحد ممن درس العربية على أصحابها في مدارس الأندلس أو صقلية من أولئك العلماء المترجمين أو غيرهم، ومهما كان فإنّ ترجمة Erpenius في بداية القرن السادس عشر للأجرومية استعملت فيها كلمة rectio للعمل و regens للعامل. وإنّ دلّ ذلك على شيء فهو أنّ المترجم الأوربي علّم أنّهما يدلان على مفهوم واحد"<sup>(٧)</sup>.

وعلى حسب علمي أنّ تشومسكي قد أحيا هذا المفهوم وله المعنى نفسه تقريباً، واعتقد - كما ذكرنا في فصل سابق - أنّ تشومسكي أخذ هذا اللفظ من مصطلحات النحو العبري - وهو منقول من النحو العربي - مع استثنائه بوجوده في كتب النحو الإنجليزي.

نخلص مما تقدّم أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد استعمل مصطلحات خاصة به إنفرد بها في ساحة البحث اللساني العربي، فضلاً عن عدم تبنيه لمصطلحات كثيرة للمفهوم الواحد إذ يضعها في إطار المنهج التعليمي وهو ما يمنح القارئ فرصة أكبر لمتابعتها من دون عناء.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٨٧ / ٢ ..

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه : ٨٦ / ٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٢ / ٢ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٧٣ / ٢، وينظر: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي : ١٣ .

(٧) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٤ / ٢ .

كما لا تخفى عنايته بالمصطلح التراثي (القديم) وإحيائه، وفي الوقت نفسه فإنه يحافظ على الخصوصيات والشحنات الدلالية الإضافية التي تحملها المصطلحات القديمة و الحديثة على حدٍ سواء، فلا يقابل المصطلح القديم بالحديث إلا إذا كانا متطابقين مفهوميًا . كما ينبّه الحاج صالح المترجمين (واضعي المصطلحات) على اختيار الألفاظ المناسبة وأن لا يكتفوا بتحديدات "القواميس لمدلولات الألفاظ ويكتفي بذلك (ولا يريد بها بديلاً) متناسياً أنّ مدلول اللفظ لا يمكن أن يحصر إلا بالاعتماد على جميع السياقات والقرائن التي ورد فيها اللفظ في الاستعمال المدوّن"<sup>(١)</sup>، كما يُشير إلى أنّ "اختيار اللغوي لهذا اللفظ الذي عثر عليه بالصدفة في قاموس من القواميس للدلالة على مسمى من المسميات الحديثة هو أيضاً عمل اعتباطي محض لعدم اعتماده في استقائه للألفاظ على الاستقراء الواسع لجميع معطيات اللغة"<sup>(٢)</sup>. فنجدّه ينبّه على ضرورة الاستقراء لكل ما ورد عند علمائنا القدماء واختيار الألفاظ المستعملة والمناسبة للسياق الذي ترد فيه، فضلاً عن استعمال الألفاظ غير المبتذلة بحجة أنّها تواكب العصر الحديث.

وبذلك تتضح لنا تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن الترجمة ووضع المصطلح اللساني، ويمكننا أن نستنتج ما يأتي:

١- ترتبط الترجمة عند الحاج صالح بهدفين أساسيين:

أ - بناء خطاب لساني متكامل في ضوء منهج تعليمي.

ب - الموازنة مع التراث العربي.

٢- ميل الحاج صالح الى استعمال المصطلح الخاص به في بناء خطابه اللساني، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على اجتهاده وفطنته في وضع المصطلحات اللسانية<sup>(٣)</sup>، ورغبته في بناء تجربة لسانية خاصة به، كما نلاحظ تمسكه بالمصطلحات القديمة إذ نجده يميل إلى استعمالها كثيراً، لكن هذا الاستعمال مبنياً على أساس التطابق والتقارب بين المفاهيم اللسانية الغربية الحديثة والعربية القديمة.

٣- التأصيل لبعض المصطلحات واقتراح ترجمتها إلى اللغات الأجنبية، فضلاً عن بيان انتقال مصطلحات عربية إلى اللسانيات الغربية الحديثة.

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٧٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٨٥ .

(٣) اجتهاده في وضع المصطلحات جعله أحد المشاركين في وضع (المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية انجليزي، فرنسي، عربي) الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبع من قبل مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، تونس، ١٩٨٩ م.

## المبحث الثالث

## اللسانيات الحاسوبية

## التعريف باللسانيات الحاسوبية:

تمتاز اللغة العربية بجملةٍ من الخصائص التي شكّلت سماتٍ بارزة اقترنت بهذه الأبجدية الساحرة، وكانت علامة جليّة فيها، فهي لغة ثريّة بأساليب التعبير غنية بطرائق الإنشاء وقد تأتي ذلك الغنى وهذا الثراء من كثرة المترادفات فيها وامتيانها بميّزات لا نجدها في لغاتٍ أخرى<sup>(١)</sup>.

هذه الميّزات مكّنت اللغة العربية من الإفادة من تقنية الحاسوب، إذ تُعدّ دراسة اللغة العربية من خلال استخدام اللسانيات الحاسوبية من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية المعاصرة<sup>(٢)</sup>.

وقد أفادت العلوم الإنسانية عند العرب في العصر الحاضر من اللسانيات الحاسوبية، فقد كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنية الحاسبات الألكترونية ونظم المعلومات إذ بُدئ العمل بها والإفادة منها في السبعينيات من القرن الماضي<sup>(٣)</sup>.

وبما أنّ الوصل بيننا وبين الإبداعات التي يُقدّمها لنا الحاسوب هي (اللغة) التي يتعامل بها الحاسوب، وبها نتعامل به، توجهت الأنظار إلى الإفادة من اللغة العربية في بناء النظام اللغوي للحاسوب<sup>(٤)</sup>.

والواقع أنّ اللسانيات الحاسوبية هي " حقل جديد في اللسانيات التطبيقية والنظرية فهي بشكلٍ رئيس حقل يعالج اللغات البشرية وبرمجتها من خلال الحاسب الألكتروني (الكومبيوتر)"<sup>(٥)</sup>.

ويمكن تعريفها بأنّها " محاكاة العقل البشري في فهم الظاهرة اللغوية تنظيراً وإنجازاً، ولذلك جمع هذا الحقل من المعرفة بين اللسانيات والذكاء الاصطناعي والإعلامية والرياضيات والمنطق بهدف الذكاء البشري إلى الذكاء الحاسوبي، مما يمكنه من تحليل النظام اللغوي تحليلاً آلياً متعدد المستويات وبأسرع وقتٍ ممكن"<sup>(٦)</sup>، فهو العلم الذي يبحث في اللغة البشرية كأداة طيّعة لمعالجتها في الآلة (الحاسبات الإلكترونية)، وتتألف مبادئ هذا العلم من اللسانيات العامة بجميع مستوياتها التحليلية: الصوتية،

(١) للربية ميّزات كثيرة منها : التقديم والتأخير أو ما اصطلح على تسميته بـ(الرتبة) التي أتاحت التعبير عن الكلام بصيغ عدّة، كما أنّها لغة اشتقاقية بامتياز، ومن ميّزاتها - أيضاً - أنّها لغة إعراب والإعراب - كما هو معلوم - أساس المعنى، كما أنّها غنيّة بوسائل التعبير عن الأزمنة النحوية، فضلاً عن تنوع أساليب الجمل فهناك (الجملة الاسمية) و(الفعلية) و(الخبرية) .. الخ، كما تتميّز بالإيجاء الصوتي لألفاظها وحروفها وغيرها من الميّزات التي تصعب إحصانها في مقامنا هذا، لكننا فقط أردنا توضيحها .

(٢) ينظر: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية : ١٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ١٦ .

(٤) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج : ٥٢٧ .

(٥) دراسات لسانية تطبيقية : ٣١٥ .

(٦) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : ٣٠ فما بعدها .

والنحوية والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية، ومن علم الذكاء الاصطناعي، وعلم المنطق، ثم علم الرياضيات<sup>(١)</sup>.

وكانت البداية لعلم اللسانيات الحاسوبية لدى الغرب منذ خمسينيات القرن الماضي، أي بعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية، إذ قامت بتطبيق الأسس والمعادلات الرياضية على التحليل اللغوي، ومن ثم صياغة اللغة صياغة رياضية من أجل برمجتها في الحاسوب، وقد أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ أقدم الاختصاصيين في الحاسوب، والذين تلمسوا ضرورة التمازج الفعلي بين علوم الحاسوب وعلوم اللسان هو الباحث الأمريكي (هايس) وهو من زملاء تشومسكي<sup>(٢)</sup>.

وقد عرف العالم العربي الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي منذ سبعينيات القرن الماضي - كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس - حينما سأله الدكتور محمد كامل حسين متسائلاً عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتر في البحوث اللغوية، فلقبت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً<sup>(٣)</sup>.

#### \* اتجاهات البحث والتأليف في اللسانيات الحاسوبية:

تنوعت جهود العلماء العرب المعاصرين في هذا المجال، ويمكن نظمها في أربع صور<sup>(٤)</sup>:  
الأولى: تتمثل في مؤلفات خُصّصت للعربية والحاسوب، منها تجربة الدكتور نبيل علي (اللغة العربية والحاسوب) الصادر عام ١٩٨٨م، إذ يُعدُّ أول مؤلّف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية مطبّعاً إياها على أنظمة اللغة العربية، صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً.  
وفي عام ١٩٩٦م صدر كتاب الدكتور عبد ذياب العجيلي (الحاسوب واللغة العربية)، وهو يُعدُّ " خطوة جريئة إيجابية نحو معالجة مسائل متنوعة من العربية بلغة برولوج (prolog) ، وهو يمثل جهداً حميداً في هذا الاتجاه.. (اللسانيات العربية الحاسوبية)"<sup>(٥)</sup>.  
وصدر عام ٢٠٠٠م كتاب الدكتور نهاد الموسى (العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية). ويُعدُّ هذا الكتاب أول مؤلّف في هذا العلم صادر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها<sup>(٦)</sup>، والكتاب - كما يذكر مؤلفه - " محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الاطروحة العامة للسانيات الحاسوبية"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: دراسات لسانية تطبيقية : ٣١٧ - ٣٢٠ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٣٣ / ١ .

(٣) ينظر: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية : ١٦ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية : ٤٥ .

(٦) ينظر: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية : ٢٠ .

(٧) العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية : ٢٨٨ .

أما الصورة الثانية: فجاءت على هيئة مقالات وبحوث نُشِرت في المجالات والدوريات العلمية، أو ضمن أعمال المؤتمرات، ووقائع الندوات والملتقيات العامة<sup>(١)</sup>.

وقد تعددت البحوث والمقالات في هذا المجال، فقد بُذلت جهود كبيرة من الباحثين كافة للتغلب على هذه الإشكالية، وقد جاءت هذه البحوث بعنوانات شاملة للمستويات اللغوية كافة: أصواتاً، وتركيباً، وبنيةً، ودلالةً، ومعجماً، ولبعض قضايا اللغة من المنظور الحاسوبي، كالترجمة الآلية، وبنوك المصطلحات وغيرها<sup>(٢)</sup>.

أما أصحابها فنجد أن جُلهم من اللغويين الذين عُرِفَت تجاربهم في الساحة العربية بالنجاح والحضور، ومنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي كان له جهداً يُحمد في اللسانيات التطبيقية (والجانب المهم فيها للسانيات الحاسوبية). إذ عرض لبحوثٍ عدّة عالج فيها هذه المسألة، منها:

١- المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب ألقى هذا البحث في مؤتمر (اللغويات الحاسوبية) في الكويت علم ١٩٨٩ م .

٢- تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي الأصيل/ ألقى في محاضرة في مجمع اللغة العربية الأردني علم ١٩٨٤ م .

٣- منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات/ ألقى في ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، في السعودية علم ١٩٩٢ م .

٤- دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية/ ألقى في الندوة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العربية المنعقدة في عمّان عام ٢٠٠٣ م .

٥- حوسبة التراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي/ ألقى في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ٢٠٠٤ م .

٦- العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية/ ألقى في اجتماع الخبراء العرب في اللسانيات الحاسوبية، في القاهرة عام ١٩٨٩ م .

ويلحظ على أغلب بحوث د. الحاج صالح أنها تقوم على جانبين رئيسيين هما: الجانب النظري، والجانب التطبيقي. إذ يبحث الجانب النظري " في الإطار النظري العميق الذي من خلاله يمكننا أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغوية"<sup>(٣)</sup>، وأما الجانب التطبيقي فهو يُعنى " بالنتائج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة .. وإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية"<sup>(٤)</sup>.

(١) لمزيد من التفصيل فيما يخص الأعمال في المؤتمرات والندوات ينظر: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية : ٢ فما بعدها(الهامش).

(٢) يصعب حصر العناوين الواردة في هذا الموضوع، فضلاً عن أنه ليس من مهام البحث هنا، إذ إن ما يهمنا هو ما ورد عند د. الحاج صالح، ولمزيد من التفصيل ينظر: العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية : ٣٤ - ٥٢، ودراسات لسانية تطبيقية : ٢١٢ - ٢٩١ .

(٣) العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية : ٥٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٥٣ .

والجانب التطبيقي يتمثل في تسخير العقل الإلكتروني لحل القضايا اللغوية، لذا فهذا الجهد يتطلب التعاون بين اللغويين والحاسوبيين، فقد دعا د. الحاج صالح إلى عقد حوار بين اللسانيين والحاسوبيين (المبرمجين)، إذ لا يمكن إنكار صعوبة العمل في مجال اللسانيات الحاسوبية؛ لأنه مجال متعدّد الاختصاصات، فضلاً عن اقتراحه أن يكون هناك تخصص في الدراسات العليا ويتلقى فريق العمل تكويناً مكثفاً في اللسانيات والرياضيات، وكل ما يخص الحاسوب والبرمجة<sup>(١)</sup>. وحرى بالذكر أن د. الحاج صالح قد خاض هذه التجربة بتكوينه فريقاً للبحث في اللسانيات الحاسوبية في مختبر الدراسات الصوتية واللسانية بإشرافه<sup>(٢)</sup>.

أما الصورة الثالثة: فكانت خاصة بالبرامج والنظم التي وُضعت لحوسبة العربية، ولعورية الحاسوب، سواء ما كان منها فردياً محضاً أو نتاجاً مشتركاً أو عملاً تجارياً عاماً.

وللدكتور الحاج صالح بصمة في هذا المجال في تجربته أو مشروعه (الذخيرة العربية اللغوية)<sup>(٣)</sup>، إذ عمِلَ على تخطيطه بطريقة ذكية، وتُصنّف طريقة عمله ضمن محورين رئيسيين هما<sup>(٤)</sup>:

١- توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسسات مع التنسيق والمتابعة وتعدُّ هذه الخطوة المهمة؛ فهي الكيفية المثلى - على حدّ تعبير الحاج صالح - وأساسها هو (مبدأ المشاركة الحرة).

٢- برمجة نظام العمل (توزيعه، تنظيمه، تنسيقه)، ويتطلب هذا الأمر الفرق الجماعية المنظمة والتجهيز المناسب للعمل، والذي يتطلب:

- إنشاء فريق من الممارسين الاختصاصيين.
- إنشاء مجموعة أجهزة.
- تنظيم العمل وتنسيقه.
- برمجة العمل، يتطلب ذلك " التراث وبرمجته، وتوزيعه على المشاركين، وبرمجة الإنتاج المعاصر العلمي الأدبي والفني والتقني والنظر في عمل الصحافة وتتبعه أخبار، مقالات، وسائل إعلامية مرئية وغيرها"<sup>(٥)</sup>.

وعمله هذا أثمر بمجموعة من الفوائد، إرتأيتُ تحديدها بالجدول الآتي، مع إعطاء الهدف المناسب لكل وظيفة، إذ نلاحظ تصوّر الحاج صالح حول وضعه انموذجاً لسانياً للعلاج الآلي للغة العربية من خلاله :

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢٣١ فما بعدها .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٩٣ فما بعدها، و ١ / ٨٦ .

(٣) عرّفنا الذخيرة العربية ووقفنا عندها بالتفصيل في المبحث السابق من هذا الفصل.

(٤) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٤٠٤ .

(٥) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٤٠٤ .

الوظيفة	الهدف	الفائدة
١. العمل على جمع كل ما يتعلق بالكلمة العربية (لفظ، مصطلح) وذلك عن طريق الأسئلة التي يطرحها الباحث وهي تتعلق أساساً بوجود الكلمة، وورودها لأول مرة، مجالها ومعناها وتطورها الدلالي <sup>(١)</sup> .	*دعم التعليم المدرسي والتعليم العالي. *مساعدة المتعلمين. *دعم تعليم اللغة العربية واللغة الأجنبية.	معرفة درجة شيوع اللفظ قديماً وحديثاً، فضلاً عن معرفة "مدلولها الحقيقي مع تحديدها في جميع السياقات" <sup>(٢)</sup> .
٢. تمثيل أجناس الكلام وذلك بالنظر إلى: ماهيتها، مصادرها، ودورها.	*دعم التعليم العالي مع معرفة تردد التراكيب ومدى استعمالها جغرافياً.	الحصول السريع على المعلومة مع معرفة مصدر أفعالها، وإحصاء ورودها.
٣. التحصيل المعرفي للمعلومات التي تخص الجذور اللغوية والصيغ الكلامية وذلك بالنظر إلى "ورود الكلمات الأصلية، ذكر جميع الكلم على الصيغة نفسها" <sup>(٣)</sup> .	*الدعم التعليمي لكل المستويات الدراسية، فضلاً عن دعم البحث العلمي.	الحصول الفوري على المعلومة اللغوية مع الوصول إلى الجذر اللغوي بالسرعة القصوى. فضلاً عن معرفة الإحصاءات الكلامية لهذا الجذر وهذه الكلمة.
٤. تحصيل كل المعلومات التي تخص حروف المعاني ويكون هذا التحصيل إما فيما يخص عصباً واحداً أو نصاً واحداً ذا عصور متعددة <sup>(٤)</sup> .	*دعم تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية.	*المعرفة الشاملة للحروف ومعانيها حسب السياقات.
٥. تحصيل المعلومات التي تخص الأساليب اللغوية النثرية منها والشعرية، وقصد بها الحاج	*رفع المستوى الثقافي للراغبين في الكتابات الشعرية - مثلاً - وذلك بتعريفهم لخصائص هذه	*الاعتماد على اختيار التركيب أو اللفظ على مقياس الشيوع والدقة في الدلالة للمعنى المراد.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٤٠١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٤٠١ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

	الأساليب بطريقة تكنولوجية متطورة.	صالح" بحور العروض، الضرورات الشعرية والزحافات والعلل" <sup>(١)</sup>
*الاعتماد على مصطلحات الذخيرة اللغوية، وذلك لعدم الرجوع إلى القواميس وقوائم المصطلحات التقليدية والاعتماد على المعجم الآلي. *معرفة ما يُنشر في العالم من مصطلحات وألفاظ حضارية مع معرفة التطور الفكري للباحثين ويكون ذلك باعتمادهم "على تطورات ودلالات الألفاظ العلمية في داخل الحقول الدلالية عبر الزمان" <sup>(٣)</sup> .	*جعل التراث اللغوي في متناول الجميع - خاصة الإسلامي - والعمل على إحياءه. *رفع المستوى الثقافي لجميع الفئات على اختلاف أعمارهم، مستوياتهم الثقافية، وذلك عبر "وضع تحت تصرف (المواطنين) كتكلمة لما لم يُدرکه أو تحصيل ما لم يعرفه" <sup>(٢)</sup> هذا لمساعدة الباحثين العرب خاصة لخلق نظريات وتقنيات جديدة.	٦. تحصيل كل ما يخص المفاهيم الحضارية أو العلمية.

فبذلك يُقدّم المعجم الآلي (الذخيرة اللغوية) حلولاً كثيراً، ومنها ما يخص المصطلح إذ تمكنا من الآتي:

- ١- إحصاء المفاهيم: تقوم بإحصاء كل المعلومات التي تتعلق بالمصطلح مع تقديمها بشكل سريع.
- ٢- تصنيف المصطلحات: إعادة ترتيبها على وفق نظام معين يُشرف عليه أهل الاختصاص.
- ٣- تخصيص كل واحد منها في ملفات: وهو تابع للتصنيف نفسه، إذ تُرتب المصطلحات وفق ملفات كل منها خاصة بنوع معين.

فهنا تبرز أهمية اللسانيات الحاسوبية في البنك الآلي للنصوص وأهميته في صناعة المعاجم العربية بطريقة إلكترونية حديثة.

وتتمثل الصورة الرابعة في إنشاء المعاهد والمراكز البحثية فضلاً عن أقسام خاصة لعلم اللغة الحاسوبي<sup>(٤)</sup>، فقد أنشأت معاهد تُعنى بدراسة اللغة على وفق التقنية الحديثة (الحاسوب)، وقد بدأ العمل الجاد عندما أنشأ معهد الدراسات والأبحاث في المغرب العربي على يد احمد الأخضر غزال، فضلاً عن

(١) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٠١ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٠٠ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠٢ / ١ .

(٤) ينظر: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية : ٣٦

مركز الدراسات والبحوث العلمية في سوريا، كما كان لمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر - الذي أنشأه د. الحاج صالح - إسهامه الرائد في هذا المجال<sup>(١)</sup>.

وقد توالى المحاولات الجادة لتطويع اللغة العربية ومعالجتها آلياً التي اشتملت على الدراسات الإحصائية لجذور الكلمات، وظهور المعاجم المحوسبة في البلدان العربية (المغرب، تونس، الجزائر) بجهود عدد من العلماء العرب في تلك البلدان، فضلاً عن محاولات الإفادة من الحاسوب في مجال دراسة الشعر العربي التي تبناها مركز اللسانيات الجزائري في دراسته لعدد من دواوين الشعر الجاهلي.

ولعل مساهمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إنشاء أول معجم محوسب في الوطن العربي وسُميَّ (الرصيد اللغوي) مع علماء آخرين هم: الأخضر غزال، وصالح القرمادي من تونس، تُعدُّ من أهم المحاولات في اللسانيات الحاسوبية.

وفي مجال الإفادة من الحاسوب في الشعر، فقد قام الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بتغذية الحاسوب الآلي في مركز اللسانيات الذي يُشرف عليه بخمسة دواوين من الشعر الجاهلي واستطاع أن يستخرج منه قدراً من الألفاظ التي أرادها<sup>(٢)</sup>.

مما تقدّم يتبيّن لنا من هذا العرض لإتجاهات البحث والتأليف عند اللسانيين العرب المعاصرين التي تمثلت في صورٍ أربع، حاولنا عرضها عند اللغويين المعاصرين مُركّزين على جهود د. الحاج صالح الذي حاول تمثّل معظم الصور - باستثناء التأليف بكتابٍ مستقل - إذ له جهود لا يمكن تجاهلها فقد أسهم ببحوثٍ جيدة رفعت من مستوى تلقي (علم اللغة الحاسوبي) عند الدارسين، فضلاً عن محاولته لوضع أسس الذخيرة اللغوية العربية (البنك الآلي أو المعجم الآلي)، كما لا يخفى ما له من جهدٍ عظيم في تأسيسه لمعهد العلوم اللسانية والصوتية الذي يُعدُّ الركيزة الأولى في تطبيق (اللسانيات الحاسوبية)، فجهده هذا مؤثر حقيقي على نجاح الحاسوب في خدمة اللغة العربية، وتوظيفه في معالجة قضاياها المختلفة، تحليلاً، وتوليداً، وتعليمياً وصياغتها صياغة رياضية دقيقة على وفق علاقة متبادلة بين المقاييس العلمية والمقاييس اللغوية.

وسنرى في الفقرة القادمة كيف تمكّن د. الحاج صالح من حوسبة التراث اللغوي العربي بكافة مستوياته اللغوية، وهذا يرجع إلى أنّ قدرة العربية على استيعاب لغة العصر، وتمثل تقنياته بكل كفاءة واقتدار.

(١) ينظر: حوسبة اللغة العربية، د. هشام الشيخ عيسى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ٢٠١١ م : ٥٠ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٤٠ / ١ .

## \*حوسبة التراث اللغوي العربي:

من المعروف أنّ معالجة الآلية للغة تتطلب صياغة هذه اللغة صياغة منطقية رياضية، حتى تستجيب لاستعمالها آلياً. إذ إنّ " التحليل المنطقي الرياضي الحاسوبي للأنظمة اللغوية يستوجب أن تكون الصياغة واضحة غير ضمنية، محددة المبادئ لا يشوبها التعسف أو التعقيد"<sup>(١)</sup>. ولا بُدّ من استغلال الطابع الإبداعي للغة والحاسوب؛ لإنتاج برامج لغوية تتجاوز النظر التقليدي في الدراسات اللغوية.

وليس المقصود من هذه الدراسات تجاوز تراثنا اللغوي - بمستوياته كافة - وإنما هي دعوة إلى تجديده، ولاسيما أنّ فيه من الخصائص والسمات ما يجعله قابلاً للتجديد، قابلاً لأن يكون نحواً عالمياً بحق، ولعلّ أهم ما ينبغي النظر إليه في التجديد هو أنّ النظر العلمي يستدعي البحث عن طريقة صحيحة للتعليم، وحين يُبنى (النحو أو الصرف أو المعجم، أو الصوت..) على أساس علمي يكون قابلاً لأن يُبنى بطريقة تفكيرٍ رياضية<sup>(٢)</sup>، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: " يجب أن لا نتجاهل النظريات التي وضعها علماء العربية القداماء. فقد اتضح لنا أنّها من أصح ما أخرج الآدميون من النظريات اللغوية، وأكثرها نجاعة بالنسبة للصياغة الرياضية (ولا ننسى أنّ الخليل بن أحمد أحد واضعيها كان رياضياً)"<sup>(٣)</sup>.

إذاً النظريات اللغوية فيها قدرٌ غير يسير من الظواهر الرياضية، وهناك من يتهم النحو العربي - وهو من النظريات اللغوية - بأنّه دروسٌ في المنطق والفلسفة<sup>(٤)</sup>، فيمكن أن نقول لكلّ من يتهم العرب بهذه التهمة: إنّ الطابع الرياضي للغة هو الذي يظهر التحليل اللساني أو النحوي، وكأنّه دليل على الفلسفة التي سيطرت على النحاة العرب - كما يدعون - فهم لم يفهموها بأنّه تفكير رياضي بل هي فلسفة بتأثير منطق أرسطو وغيره<sup>(٥)</sup>.

وبسبب الطابع الرياضي لكلّ من اللغة والحاسوب، فإنّ مجال الإبداع فيهما متعدد وواسع يُمكننا من وضع نماذج كثيرة في برامج مصممة لتدريس اللغة العربية، فمجال المعالجة الآلية للغة العربية<sup>(٦)</sup> قد شَمَلَ مستويات اللغة (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي) .

(١) العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنوع تشومسكي : ١٣ .

(٢) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج : ٥٦٣ .

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٨٨ / ١ .

(٤) على سبيل المثال - لا الحصر - كتاب الدكتور عبد الرحمن أيوب (دراسات نقدية في النحو العربي)، فالكتاب من أوله إلى آخره محاولة لإثبات ذلك.

(٥) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج : ٥٦٤ .

(٦) لا نعني بالمعالجة الآلية للغة العربية مجرد إدخال الحروف العربية من لوحة المفاتيح، طباعتها على الورق، أو إظهارها على شاشة العرض فحسب، بل نعني بها في مفهومها الأوسع شمولاً لنظم برامجها للمستويات اللغوية المتعددة، كنظام الصرف الآلي، ونظام الإعراب الآلي، ونظام التحليل الدلالي الآلي، وقواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية، ومنهجيات هندسة اللغة، وكذلك ما يندرج تحت هذه المستويات، كالترجمة الآلية، والتدقيق الهجائي والنحوي، وفهم الكلام ونطقه آلياً. ينظر: الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م : ٢٨٧ (سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٦٥) .

وللدكتور عبد الرحمن الحاج صالح جهوداً كبيرة في المعالجة الآلية للغة العربية تمثلت في كافة المستويات اللغوية<sup>(١)</sup>، وهي كالاتي:

#### ١- المستوى الصوتي:

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: إن المستوى الصوتي وإحداث الكلام " هو الجانب الذي يتسابق فيه الباحثون منذ القرن العشرين إلى استخدام الآلات فيه"<sup>(٢)</sup>، إذ تتم المعالجة آلياً بواسطة تحليل طيف الصوت، وتوليد (إنتاج) الكلام، وتخزين الأنماط الصوتية للشخص المتكلم. وتبعاً لهذا فقد صممت أجهزة تخليق الكلام وتحليله، وتوليد الكلام المنطوق آلياً بتحويل النصوص المدخلة في جهاز الحاسوب إلى مقابلها الصوتي، وعلاج عيوب النطق.

وقد حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حل بعض المشاكل الصوتية في معهد العلوم اللسانية والصوتية الذي يُديره، فقد استخدم كثيراً من الآلات التي تتخصص في تحليل الكلام وتركيبه وإدراكه<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن " آلات أخرى للفحص الفيزيولوجي ولرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الإنساني كمجوف الحنجرة laryngoscope والسينما المجافية وهي التي تمكنا بالأشعة السينية أن نبصر ما يحدث .. من الحركات العضوية المحدثة للأصوات اللغوية، وكذلك الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها Electroglottograph والتي تقيس ضغط الهواء Manometer أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية Electromyograph . وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة قياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة"<sup>(٤)</sup>.

كما يُشير د. الحاج صالح إلى أنه يمكن ببرنامج خاص في الحاسوب من برمجة تشمل التحليل التصنيفي في الفونولوجية (جنس الحروف الشفوية العربية)، ومثل لها بالتمثيل الشجري الآتي<sup>(٥)</sup>:

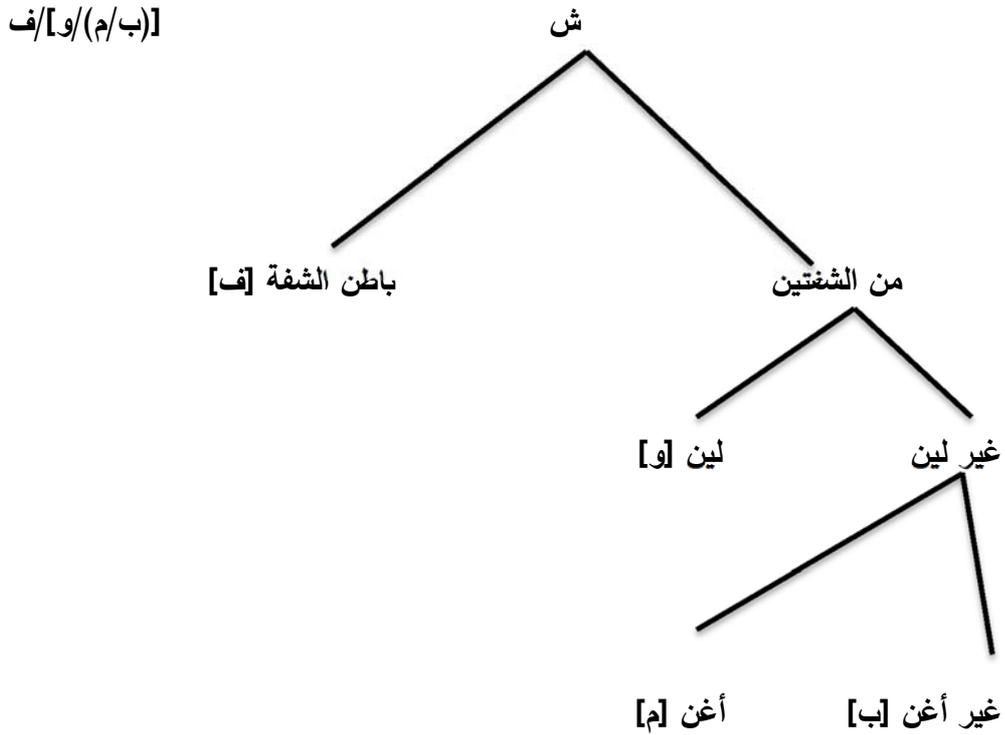
(١) سأذكر جهوده في المستويات اللغوية وكيف وظفها حاسوبياً (آلياً)، ولكن لن أسهب فيها؛ لنلا يحدث شيء من التكرار في بعض الأمور التي وردت في الفصول السابقة، وسيكون ذكري لها على نحو التمثيل والتوضيح فقط لا الإعادة.

(٢) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢٧٠ / ١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦ / ١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٧ / ١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢١١ / ١ .



فالعلاقة التي بُنيت عليها الفونولوجية هي الإندراج أو الاشتمال - حسب د. الحاج صالح<sup>(١)</sup> - ثم التقاطع (intersection) ثم التباين (exclusion) ، فالشيء - حسب هذه النظرية - إما داخل في جنس، وإما مشترك بين جنسين أو أكثر وإما خارج عنه.

## ٢- المستوى النحوي:

تتم المعالجة الآلية في المستوى النحوي من خلال تشخيص مجموعة أمور، منها<sup>(٢)</sup>:

١- أزمة النحو العربي،

٢- إدراك خصائص النحو العربي وتحديد أنسب النماذج النحوية التي تتلائم مع هذه الخصائص،

٣- الكشف عن هذا النحو بإزاء النظريات الحديثة، وخاصة نظرية تشومسكي؛ " لأن تشومسكي هو

أول من وضع نظرية الأنحاء الصورية (formal Grammars)، وهو من اللغويين الذين تزودوا بالمعلومات الرياضية في أحدث صورها"<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى المعالجة الآلية للنحو العربي آلياً، على أن تكون

الإنطلاقة من التراث اللغوي العربي الأصيل، وخص بالذكر الخليل ومن جاء بعده، فقد ذكر مجموعة

مفاهيم في النظرية النحوية العربية يمكن اكتشافها من جديد، وتطويرها، واستغلالها الاستغلال الأمثل في

مجال اللسانيات الحاسوبية؛ وذلك لما تتميز به من أفكار رياضية<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٢١١ .

(٢) ينظر: اللغة العربية والحاسوب، د. نبيل علي : ٣٨٨ - ٣٩١، وتوظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية : ٢٨

(٣) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٨٧ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٤٠ فما بعدها .

وخير دليل على ذلك ما ذكره د. الحاج صالح عند تطبيقه لمفاهيم النظرية الخليلية الحديثة، إذ نسج لأفكارٍ علمية رياضية في نحونا العربي<sup>(١)</sup>. فقد عرض الحاج صالح لبعض المفاهيم العربية التي خلفها الخليل وسيبويه، ومن تبعهم من النحويين، مع ربطها بما جاء به المنطق الرياضي؛ وذلك ليؤكد علميتها ودقتها من جهة، وأيضاً على الفرق المنهجي بين ما تبعه النحاة العرب القدماء، وما أتبعه اللسانيون الغربيون في تحليلهم النحو، وإثبات النحو العربي الأصيل قد بُني على التحليل المنطقي الرياضي والعلمي، مما يحقق له صلاحية تطبيقه في هذا المجال الحديث، وهو العلاج الحاسوبي للغة العربية<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ظاهرة الإطالة (Recursivite) وكيفية تطبيقها حاسوبياً مع إمكانية دمجها في المثال بمستوى اللفظة ومستوى العامل والمعمول، إذ يثري هذه الظاهرة أيما إثراء؛ لأنه يحل محلّه المناسب من البنية<sup>(٣)</sup>.

وتُعدُّ ظاهرة الإطالة من بين الظواهر التي كشفت عنها عبقرية الخليل وتلميذه سيبويه، ومعناها قدرة الشيء على التكرار إلى ما لا نهاية. وهي من بين المميزات بين الجملة والكلام في الحد الإجرائي، فإذا كانت الجملة هي الحد الصوري [مسند + مسند إليه]، فإنّ الكلام هو [مسند + مسند إليه...س]. فالسين هنا تُمثّل الحد الصوري للكلام غير النهائي الذي يمكن أن ينتجه الإنسان إنطلاقاً من حد الجملة أي (المسند + المسند إليه)، وهو الجانب الذي يؤكد أن سيبويه قد اعتمد النظرة الفعلية للغة من خلال متابعتها للاستعمال اللغوي للمتكلّم العربي<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار د. الحاج صالح أن الخليل وسيبويه لا حظوا أنّ المواضع البنوية من [(عامل(ع)، معمول(م)، مخصص(خ)] يمكن أن تحتلها كلمة أو لفظة بل وتركيب، وهنا تظهر "أهمية (الموضع) كمفهوم إجرائي كبيرة جداً، فالموضع قد يحتوي على كلمة أو لفظة أو تركيب، وقد يكون المعمول الأول أو الثاني تركيباً أيضاً مثل:

ع ← ∅ ← م ١ (أنّ تصوموا) م ٢ (خير لكم)، و ع ← ∅ ← م ١ (زيد) م ٢ (رأيت)، و ع(ظنّ) م ١ (زيد) م ٢ (أنّ عمراً قائم)، و ع(أرذ) م ١ (ت) م ٢ (أنّ أقوم)، وكذلك الحال بالنسبة إلى المخصّص: ع (جاء) م ١ (زيد) خ (وهو يركض) فهذا سر وخصيصة تمتاز بها اللغات البشرية كلّها: أن يقع في موضع أكثر من مفردة فيحصل بذلك تداخل<sup>(٥)</sup> Embedding<sup>(٦)</sup> ". وتُقسم الإطالة - حسب الحاج

(١) ينظر: ص (١٢٢ - ١٥١) من الأطروحة .

(٢) سبق وعرضت لهذه الأفكار عند د. الحاج صالح فيما يخص المفاهيم العربية للنظرية الخليلية، ولا أرى حاجة لذكرها مجدداً، فمن هذه المفاهيم التي يمكن علاجها حاسوبياً: مفهوم الباب، والمثال، مفهوم الأصل والفرع، مفهوم القياس، مفهوم العامل، مفهوم الابتداء والانفصال، وغيرها .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣١٥ .

(٤) ينظر: مبادئ في اللسانيات : ١٠٥ .

(٥) يقصد بالتداخل التداخل في مستويات اللغة .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ٢ / ٩٠ .

صالح<sup>(١)</sup> - على نوعين:

١. الإطالة الإندراجية.

٢. الإطالة التدرجية .

وتكون الإطالة الإندراجية باندرج المستوى الأعلى في الأسفل، وهي نوعان<sup>(٢)</sup>:

أ - نوع يحصل بتضمن وحدة من المستوى الأسفل لوحدة من المستوى الأعلى أو احتوائها، ويكون ذلك بمجرد قيام تركيب أو لفظة مقام الاسم، ويكون ذلك عند سيبويه في ستة مواضع، هي: موضع اسم مبتدأ، أو موضع اسم بُني على مبتدأ، أو موضع المفعول به، أو موضع الحال، أو موضع المضاف إليه، أو موضع الصفة (النعته)<sup>(٣)</sup>. وقد مثل لها د. الحاج صالح بالشكل الآتي:

١- ما يقع في موضع اسم مبتدأ مثل:

ع	م ١	م ٢
أقائم	زيدٌ	ذاك
يقوم	زيدٌ	ذاك
موضع التداخل		

والمقصود هنا من المبتدأ موضع الابتداء؛ لأنَّ قائم في هذا المثال اسم قام، قام مقام الفعل، مع وجوب دخول أداة الاستفهام عليه أو نفي وامتناع دخول (إن) مثلاً، وقد أطلق سيبويه على هذا الاسم (مبتدأ) على الأفعال وقال: "الفعل المبتدأ"<sup>(٤)</sup>، وكذلك على الحروف فقال: "لا تكون إنَّ إلا مبتدأ"<sup>(٥)</sup>، إذ نلاحظ استعمال سيبويه للمصطلح نفسه للدلالة على المفهوم نفسه، فيقول: "في موضع مبتدأ .. في موضع ابتداء"<sup>(٦)</sup>، فهو يقصد في كلا الاستعمالين الموضع (ع) .

٢- ما يقع موضع المبني على المبتدأ، مثل:

ع	م ١	م ٢
∅	زيدٌ	منطلقٌ
		ع   م ١   م ٢
∅	زيدٌ	يقول
		م ٢   م ١   م ٢
		∅   ∅   ∅
		موضع التداخل

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٣٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الكتاب : ٩ / ٣ - ١٠ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ١٢٨ .

(٥) الكتاب : ٣ / ١٢٠ .

(٦) المصدر نفسه : ٣ / ١٠ .

وهنا نلاحظ تداخل في موضع المبني على المبتدأ م٢ حيث اندرج تحته تركيب يمكن تحليله إلى (ع، م١، م٢) أي جملة فعلية. وقد يندرج تركيب آخر يمكن تحليله إلى (ع = Ø، م١، م٢) أي جملة اسمية، مثل:

م٢			م١	ع
منطلق			زيد	<del>Ø</del>
م٢	م١	ع	زيد	<del>Ø</del>
منطلق	أبوه	<del>Ø</del>		
موضع التداخل				

وقد يحتل الموضع نفسه م٢ أي تركيب فعله لازم لا يتعدى إلى المفعول به، مثل:

م٢			م١	ع
منطلق			زيد	<del>Ø</del>
م٢	م١	ع	زيد	<del>Ø</del>
#		ينطلق		
موضع التداخل				

وهنا يجب احترام الرتبة أي لا يمكن تقديم م٢، فإذا تقدّم، تحوّل التركيب من الإسمية إلى الخبرية<sup>(١)</sup>

٣. ما يقع في موضع المفعول به الثاني، مثل:

م٢			م١	ع
منطلقاً			هـ	حسبئ
م٢	م١	ع	هـ	حسبئ
#	<del>Ø</del>	ينطلق		
موضع التداخل				

أو:

م٢			م١	ع
منطلقاً			عمرأ	ظننت

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٢٠ .

ع	١م	٢م		ظننتُ ظننتُ	عمرأً عمرأً
<del>○</del>	أبوه	منطلقٌ			
موضع التداخل					

أو:

ع	١م	٢م		ظننتُ ظننتُ	زيداً زيداً
ظننتُ	زيداً	منطلقاً			
ع	١م	٢م		ظننتُ	زيداً
يقول	<del>○</del>	ذاك			
موضع التداخل					

فالإندراج وقع في موضع م٢ أي موضع المفعول به الثاني.

٤. ما يقع في موضع الحال، مثل:

ع	١م	٢م	خ = موضع الحال
<del>○</del>	هذا	زيدٌ	راكباً
ع	١م	٢م	ع
<del>○</del>	هذا	زيدٌ	يقول
			ذاك
موضع التداخل			

فالإندراج كما هو واضح من الجدول نجده في التركيب (يقول ذاك)، والذي يمكن تحليله إلى (ع، م١، م٢)، وهنا أيضاً يجب احترام الرتبة، فلا يمكن تقديم (خ = موضع الحال) على (ع، م١، م٢).

٥. ما يقع في موضع المضاف إليه، مثل:

ع	١م	٢م	٣م
يوم	ُ	الجمعة	الماضي
يوم	أتى	<del>○</del>	ك
يوم	ينطلقُ	زيد	
يوم	كان	زيد	منطلقاً
موضع التداخل			

فقد احتل (الموضع ٢) وهو موضع التداخل تقريباً تركيباً يمكن تحليله إلى (ع= فعل، م ١، م ٢) وكل تركيب يقع موقع المضاف إليه يكون مسبقاً باسم زمان (يوم، حين، ...).

٦- ما يقع في موضع النعت، مثل:

٣م			٢م	١م	ع
طويل			ن	ـُ	رجل
٢م	١م	ع	ن	ـُ	رجل
	ينطلق	ن			
ذاك	يقول أبوه	ن			
منطلقاً	منطلق	ن			
	كان	ن	ن	ـُ	رجل
			موضع التداخل		

وقع التداخل - كما هو واضح في الشكل - في الموضع (٣) أي موضع النعت داخل اللفظة، إذا احتل موقعه تركيب حل إلى (ع، م ١، م ٢) .

ب - يقع الاندراج في هذا النوع من الإطالة بواسطة الربط، الذي ينقسم على نوعين:

١- النوع الأول: يشمل الحروف المصدرية، وهي: أن المصدرية (وأن) المفتوحة و(ما) المصدرية. وهذه الحروف المصدرية تنقسم بدورها على مجموعتين: مجموعة خاصة بالأفعال، وهي: (أن وما) فتجعل الأفعال وما تحل فيه محل م ١ أو م ٢ أو معمولي العامل الاسمي، وكذلك الموضع ٢ داخل اللفظة بمعنى موضع المضاف إليه<sup>(١)</sup>.

• ما يحل محل م ١: يُبين لنا د. الحاج صالح ما يحل موضع م ١، كما سبق له أن وضع في

تحليله مثال: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

ومثل لذلك الشكل الآتي<sup>(٢)</sup>:

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٣٢ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٠٢ .

ع	صلاة				٢م/١م
	الرابط	ع	١م	٢م	خير لكم...#
	إن	تصوّم	وا	-	
	مصدر	مضاف			خير لكم...#
	صوم	إليه	—		
يجب		صلاة			#.....
	الرابط	ع	١م	٢م	
	أن	أكرم		زيداً	
يجب	مصدر	مضاف إليه			#.....
	إكرام	زيد			

كان (للناس)	عجباً	صلاة			
		الرابط	ع	١م	٢م
		أن	أوحى	نا	#.....
كان (....)	عجباً	مصدر	مضاف		
		إيحاء	إليه	نا	#.....

فنلاحظ من خلال الشكل أعلاه أنّ الاندراج الذي وقع موضع م ١ يشغله إما المبتدأ أو الفاعل أو

اسم كان المؤخر.

• ما يحلُّ محل م ٢: وقد وضحه الحاج صالح بالشكل الآتي:

٢م			١م	ع
صلة			الرابط	أريد
٢م	١م	ع		
#	φ	أخرج	φ	أريد
مصدر			φ	أريد
#	الخروج			
صلة			الرابط	يشي
٢م	١م	ع		
بشراً	عمراً	يضرب	أن	زيد
مصدر + مضاف إليه			زيد	يشي
بشراً	عمراً	يضرب		

فتتضح ظاهرة الإطالة في الشكل أعلاه من التركيب بواسطة رابط في موضع اسم واحد وهو موضع م ٢ الذي يشغله المفعول به في هذه الحالة.

• ما يحل الموضوع ٢ داخل اللفظة، ومثل له الحاج صالح بالشكل الآتي<sup>(١)</sup>:

داخِل اللفظة		داخِل اللفظة		
خ (اسم + معمول)				ع ٢١٤ خ
٢	رابط	ص	ل	
ع	ع	ع	ع	
١٣/٢٦	٢١/٢٦	٢١/٢٦	١٣/٢٦	
#...	زيد	خرج	من أن	
خ (اسم)				قمت
ص				
رابط				
ع	ع	ع	ع	
١٣/٢٦	٢١/٢٦	٢١/٢٦	١٣/٢٦	
#...	زيد	خرج	من أن	
خ (اسم + معمول)				قمت هنا
ن				
ر				
ع	ع	ع	ع	
١٣/٢٦	٢١/٢٦	٢١/٢٦	١٣/٢٦	
#...	زيد	خرج	من أن	

(١) ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان : ١٠١ .

يظهر التداخل في هذه الحالة في الموضع ٢ ← من النقطة الاسمية وهو موضع المضاف اليه. ويمكن للمضاف الذي يأتي مصدراً أن يعمل في الجار والمجرور كما هو واضح في مثل: ( خوفاً من أن يخرج زيدٌ ).

#...	٢٣	١٣	ع		
#...	منطلق	زيد	ϕ		
#...	منطلق "	زيدنا	إن		
#...	منطلقاً	زيدنا	حسب		
التداخل :					
٢٣ / ١٣			٢٣ / ٢٣ ٤		
	٢٣	١٣	الرابط = ع	2	
	منطلق	زيدنا	أن	} (-) من	حسب بلغني أشهد ϕ تأكدت
	انطلاق زيد				نفس الشيء حسب
	أو ه / ذلك			//	

يمكن أن نلاحظ من الجدول الفرق بين (إنّ) و(أنّ)، إذ تتحول (إنّ) إلى (أنّ) كما احتلت مع صلتها موضع اسم واحد وهو المصدر، ولا يمكن أن تقع في بداية الكلام. كما نلاحظ تحول الفعل (حسبْتُ) من فعلٍ يتعدى إلى مفعولين إلى فعلٍ يتعدى إلى مفعول به واحد.

٢- النوع الثاني: الأسماء الموصولة وهي (مَنْ، ما، الذي، وأشباهاها) وتكون مع صلتها - مهما طالت - اسماً واحداً، كما أنّ جميع العناصر المندرجة يمكن أن تطول إلى ما لا نهاية، وهي في موضع اسم واحد، وتحتل كل المواضع التي تشغلها الروابط التي سبق ذكرها من دون أي شرط، وكل هذه الأسماء تحتل معنى التعريف الذي تدل عليه إما بأداة التعريف (ال) في (الذي) أو يكون التعريف ضمناً في مثل (من) و(ما) أو يكون فضلاً عن المعرفة كما هو الحال في (أي)، لذا فإنّ الأسماء الموصولة وصلاتها، لا يمكنها أن تحل إلا مواضع الأسماء المعرفة<sup>(١)</sup>. فلا تقع موقع الحال أو التمييز مطلقاً.

٢- الإطالة التدريجية (الخطية): تكون على مدرج الكلام غير إندراجية وهي تكرر ما يحتوي عليه الموضع هو نفسه أو ما يقوم مقامه، وتسمى عند سيبويه تكريراً أو تثنية أو عطفاً<sup>(٢)</sup>. وتحصل الإطالة التدريجية في<sup>(٣)</sup>:

- ١- بمجرد تكرير محتوى الموضع فيسمى تعدّداً إذا كان من دون رابط، وإذا كان هناك رابط فهو عند سيبويه اشتراك أو عطف نسق عند غيره.
- ٢- بتكرير الموضع دون محتواه أي بزيادة العنصر نفسه في الموضع نفسه للتوكيد أو ما يقوم مقامه للتوضيح وهو البدل أو عطف النسق<sup>(٤)</sup>.

مما تقدّم نخلص إلى أنّه يمكن تطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية، إلا أنّ هذا التطبيق يحتاج إلى منطق دقيق جداً، على قدر الدقة التي تمتاز بها التكنولوجيا الحديثة، وهذا يتطلب أن تكون النظرية اللغوية التي يعتمد عليها المعالج (اللغوي - الحاسوبي)، دقيقة هي أيضاً، لها لغتها الواضحة التي لا غموض فيها.

و تتضح المعالجة الآلية للنحو العربي من خلال الثنائيات اللغوية - ولاسيما في المستوى النحوي - في النظام العام للغة<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر الحاج صالح بعضاً منها، وهي - على سبيل المثال :-

١- ثنائية القياس والسماع:

وهي من الثنائيات الوثيقة الصلة بالنظرية النحوية العربية. ويمكن أن يُبرمج الحاسوب بالظواهر

(١) ينظر: شرح ابن عقيل : /١ - ١٢٥-١٢٧، و بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : /١ - ٣٣٢ .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : /١ - ٣٣٠، و منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي : ٢٦٢ .

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: /١ - ٣٣٠.

(٤) ينظر: الخصائص : /٢ - ٣٨٥ .

(٥) ذكر الدكتور سمير شريف استيتية هذه الثنائيات في كتابه اللسانيات، المجال، والوظيفة والمنهج . ينظر: ٥٥٠ - ٥٨ ، وقد أفدت منه كثيراً، وإن كان للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح منهجه الخاص، إلا أنني حاولت توظيفها بما ذكره الحاج صالح في ضوء التراث اللغوي العربي .

اللغوية المقيسة على قليلٍ من المسموع، باعتبار أنّ حصرها أيسر من حصر الظواهر المقيسة على كثيرٍ من المسموع<sup>(١)</sup>.

### ٢. ثنائية الأصل والفرع:

وهذه الثنائية مهمة جداً، فالصورة الذهنية للغة - مثلاً - أصل، ونطقها فرع. وقد ذكر الحاج صالح هذه الثنائية في المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة<sup>(٢)</sup>، فالأصول تُكوّن ضوابط كُليّة للظواهر اللغوية المختلفة، والفروع ضرباً من النمو لتلك الأصول.

ويُشير الحاج صالح ثنائية الأصل والفرع " بما تسمّيه البيولوجية الحديثة بالـ genotype والـ phenotype. فقد حُدّد الأول بأنه مجموع الميزات الوراثية (genetic) والتكوينية لسلسلة من الأفراد. أما الثاني فهو مجموع الصفات الظاهرة لهؤلاء الأفراد التي اكتسبها بتكيف الأصول التي ينتمون إليها وردّ فعله إزاء الظروف الخاصة التي وُجدوا فيها فجأة. فهذه أيضاً صفات الأصل والفرع في اللغة"<sup>(٣)</sup>. " " قالأصل والفرع يمكن أن يتأولا من الناحية المنطقية الرياضية فضلاً عن تأويل النمو البيولوجي"<sup>(٤)</sup>

### ٣. ثنائية العلاقات العمودية والأفقية:

وهي من الثنائيات المهمة في عمل الحاسوب، ويمكن توظيفها في التوزيع والتصنيف عند العمل في الدرس اللغوي، كما توظف في سائر البرمجيات الحاسوبية<sup>(٥)</sup>.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ " التحليل العربي أفقي وعمودي معاً، يقع على المحورين في آن واحد"<sup>(٦)</sup>، كما يذكر أنّ من أظهر العلاقات الأفقية في النحو العربي التي نجدها في العلاقة بين المسند والمسند إليه؛ فهي علاقة أفقية ذات وجهين، أحدهما إسناد الحدث أو الصفة إلى المسند إليه، كما في إسناد الفعل إلى الفاعل، وإسناد الخبر إلى المبتدأ، والآخر انتقال المسند إليه إلى المسند، إذ لا يتم المعنى بوجود المسند إليه وحده، فلا بُدّ من المسند . وأما العلاقات العمودية فمثل احتواء الجملة الاسمية المركبة جملتين تُصنّف كل واحدة منهما في فئة، ثم توزع مكونات كل واحدة منهما على حدّة<sup>(٧)</sup>.

ويمكن أن يُترجم الحاسوب العلاقات الرياضية التي تظهر عموديتها أو أفقيتها جبرياً، ترجمة يمكن أن نفيد منها في التحليل اللغوي عامة، والنحوي خاصة، وهي التي تُشير إليها هذه الصيغة<sup>(٨)</sup>:

(١) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان : ١٠٢ فما بعدها .

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / .

(٣) منطق العرب في علوم اللسان : ١٥٠ .

(٤) المصدر نفسه : ١٥٥ .

(٥) ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج : ٥٥٩ .

(٦) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٨٩ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٩٠ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[ ع ← م (١) م -+ [ م -+ ] -+ خ .

### ٣- المستوى المعجمي:

فمساحته واسعة في إمكانية الافادة من الحاسوب، وبسبب هذا ظهر ما يسمى بالمعاجم الحاسوبية أو المعاجم الآلية، إذ يُعدُّ قاعدة معطيات مهمة جداً لا يمكن الاستغناء عنها. وعلى هذا الأساس عمل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح جاهداً لتطبيق مشروعه (الذخيرة اللغوية العربية).

وهذا الأخير - الذخيرة العربية - قطاع عام يدخل تحت دائرته معاجم لا حصر لها، سواء أكانت هذه المعاجم للناطقين بالعربية، أم معاجم للمصطلحات العلمية، أم معاجم تاريخية، أم معاجم مفهومة... الخ. فضلاً عن تميزه بميزات هائلة لا تتوافر في المعاجم التقليدية، كالشمول، والانتظام، والاطراد، والدقة، والوضوح، والقابلية للتوسع والتعديل<sup>(١)</sup>.

**خلاصة القول:** إن نجاح أي مشروع هدفه العلاج الآلي للغة العربية متوقف أساساً على كفاءة الباحث، وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون الباحث ملماً بالنظريات اللغوية القديمة والحديثة، وبأساليب الصياغة الرياضية للمعطيات اللغوية الحديثة.

ونستطيع أن نقول: بأنّ التقدّم الذي نريد تحقيقه في اللسانيات النظرية والتطبيقية لن يتم إلا بتحقيق شيئين اثنين هما:

- ١- الاختبار المتواصل لجميع النظريات بالتكنولوجيا الحديثة.
  - ٢- الرجوع إلى التراث، مع مواصلة البحث انطلاقاً مما تركه علماءنا القدماء المبدعون.
- وهذا ما حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من عمله في أعماله كافة وقد وقفنا عند أبرز هذه الأعمال في اللسانيات الحاسوبية وغيرها .

(١) ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ١ / ٣٩٦ - ٤٠٠ .

# الخاتمة والنتائج

يُعدُّ البحث في الاتجاه التوافقي بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة - كما بينا - من أصعب الأمور ، ولاسيما إذا تعلّق الأمر بالتعمق بين صفحات كتب التراث العربي ، و على الرغم من ذلك فقد حاول البحث أن يبذل جهداً متواضعاً علّه يُضيف للتراث وللعربية شيئاً و لو ضئيلاً يُسهم في الحفاظ على هذه اللغة الشريفة .

و قد خَلَصَ البحث من خلال المقاربة التي قرأ بها التراث اللغوي العربي من خلال تجربة رائدة و مميّزة لعَلَمٍ من أعلام الدرس اللساني في الوطن العربي و هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى مجموعةٍ من النتائج ، جاءت على الشكل الآتي :

١. توقف البحث عند مصطلحي ( اللسانيات ) و ( الاتجاه التوافقي ) لقراءتهما قراءة تعريفية، وقد كشف البحث عن ورود مصطلح ( اللسانيات ) أو ( علم اللسان ) في كتب علمائنا العرب القدماء للدلالة على ( علم العربية ) ، فتصورات القدماء مقارنة للمصطلح الحديث . كما نبّه البحث على أنّ دراسة العلماء العرب القدماء دراسة علمية وليست إنسانية ، و هذا يجعلنا أن نترث في إصدار الأحكام المتعسفة بحق علمائنا العرب القدماء ، إذ ينبغي أن نولي الاهتمام البالغ إلى المفاهيم اللسانية التي وردت عند العرب القدماء ولاسيما الخليل وسيبويه ، وابن السراج ، وابن جني ، والرضي الاستريادي وغيرهم من العلماء المبدعين.

٢. كشف البحث أن الاتجاه التوافقي هو من أكثر الاتجاهات حضوراً في قراءة التراث العربي، إذ تقوم قراءة التراث على اتجاهاتٍ ثلاثة، هي :

- استحسان التراث اللغوي ونبذ المعاصرة ، وهو موقف تعصبي إلى حدٍ ما .
- نقد التراث إلى حدِّ الاستهجان ، ويمثّل اتجاه القطيعة مع التراث .
- محاولة التوفيق بين التراث اللغوي واللسانيات المعاصرة ، وقد مثّل هذا الاتجاه لسانيون عرب كُثُر منهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والدكتور احمد المتوكل والدكتور نهاد الموسى والدكتور مازن الوعر والدكتور كريم حسين ناصح الخالدي .

٣. أثبت البحث أن مصطلح ( لسانيات التراث ) موجود فعلياً في ساحة البحث اللساني العربي و المقصود به إعادة قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء المناهج اللسانية الحديثة ، وقد أقرّه غير واحد من اللسانيين العرب المعاصرين منهم : الدكتور مصطفى غلفان و الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري والدكتور كريم حسين ناصح الخالدي .

٤. اهتدى البحث إلى إقرار من العالم الأميركي نعوم تشومسكي أنه قد اطلع على النحو العربي عن طريق حوار أجراه الدكتور مازن الوعر نُشرَ في مجلة اللسانيات الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية في الجزائر، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أصالة ما قام به علماءنا العرب و لاسيّما الخليل وسيبويه ، والأصالة عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إبداع ومغايرة ، ولم يقابلها بمصطلح ( الحداثة ) ، بل بمصطلح ( التقليد ) ، والذي قرّره في مظهرين في النحو العربي : أولهما : تقليد النحاة المتأخرين، و ثانيهما : تقليد النظريات الغربية .

٥. كشف البحث عن أهم الإشكاليات في الدرس اللساني العربي، إذ لا تخلو قراءة التراث عامةً و اللغوي خاصةً من معوّقات و إشكاليات تقف حائلاً دون قراءته بطريقة صحيحة و القراءة التي يستحق ، لكن يجب ألاّ نغفل أنّ بين الثقافتين و الحضارتين فرقاً شاسعاً، والقراءة المتعصبة للتراث أو النظريات اللسانية الغربية ستجرنا حتماً إلى نتائج تناقض ما نسعى إليه .

٦. قدّم البحث أصول التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين ممثلةً بتجاربههم في قراءة التراث اللغوي العربي ، فقد توصل البحث إلى أنّ ثمة أصول ( وصفية بنوية ) و(توليدية تحويلية ) و( وظيفية تداولية ) لها جذور في التراث اللغوي العربي ، ومن يُفتش بعمق في تراثنا الضخم يكشف معرفة العلماء العرب بأصول المناهج اللسانية الحديثة، وهذا ما أكّده البحث عن طريق تجارب اللسانيين العرب، إذ مثلت تجربة الدكتور تمام حسان الأصول الوصفية البنوية في تجربته الرائدة في نظرية القرائن، وعلى الرغم من أنه بدأ هذه التجربة حدثياً إلاّ أنّه انتهى توافقياً ، إذ صرّح بوجود الاتجاه البنوي في أعمال العلماء العرب القدماء، وعمله هذا يُعدّ من أهم الأعمال في إطار المنهج الوصفي البنوي، إذ استطاع أن يطوّر منهجاً جديداً من التراث النحوي والبلاغي معتمداً على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث . وبينّ البحث الأصول التوليدية التحويلية في التراث اللغوي العربي عن طريق تجارب لسانيين عرب عُنوا بالتأصيل اللساني للتراث، ومنهم الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري من خلال قضايا عدّة في التراث اللغوي منها: الحذف، والبنية العميقة والبنية السطحية .

أما ما يخص الأصول الوظيفية التداولية فقد مثلها خير تمثيل الدكتور أحمد المتوكل، فقد بيّن أنّ علاقة لسانيات التراث باللسانيات الوظيفية التداولية هي علاقة أصول و امتداد لا علاقة انفصال و قطيعة، وهذا التأصيل سيمكّن الباحثين من تدقيق تعريفات المفاهيم التي تناولها النحاة والبلاغيين العرب القدماء .

٧. أبان البحث اتجاهات التوافق عند اللسانيين العرب المحدثين ، إذ تمخضت قراءات عدّة للتراث اللغوي العربي ، متمثلةً بثلاثة اتجاهات هي : اتجاه القراءة الشمولية، ومثّلنا لها بأعمال الدكتور عبد السلام المسدي، فضلاً عن قراءة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ تعدّ قراءته للتراث شمولية، واتجاه القراءة القطاعية ومثّلها الدكتور نهاد الموسى، واتجاه قراءة الانموذج الواحد متمثلةً بجهود عدد من الباحثين منهم حسام البهنساوي، وجعفر دك الباب وغيرهم . و كانت صُلب هذه الاتجاهات في القراءة هو التراث اللغوي العربي .

٨. وقف البحث عند ( النظرية الخيلية الحديثة ) التي تُعدّ امتداداً مباشراً للفكر الخيلي ، فضلاً عن إنّها من أهم تجارب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ، فقد عُدت هذه النظرية من أهم التجارب التيسيرية للسانيات وتقريبها من المتخصصين في الدراسات اللغوية العربية، فقد بنى الدكتور عبد الرحمن نظريته على مفاهيم عدّة، منها: الاستقامة، والانفصال والإنفراد، واللفظة، ومفهوم الباب والمثال ، والأصل والفرع، والقياس والعامل... الخ وغيرها من المفاهيم التي استطاع الدكتور عبد الرحمن الحاج أن يقرأ التراث اللغوي قراءة جديدة موازناً إياه بالمفاهيم العلمية في العلوم اللسانية الحديثة، وفي المنطق الرياضي العلمي، كما نتج عن موازنته هذه أن اتضحت العلاقات الوثيقة القائمة بين المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق العربي كالقياس والباب والمثال وغيرها .

٩. أعطت النظرية الخيلية الحديثة منهجاً حدثياً تيسيرياً لدراسة النحو العربي ، إذ أسهمت بشكلٍ كبير في تيسير تعليم النحو فضلاً عن تيسيره، كما أعطت الحلول اللازمة لمعالجة تعليم النحو العربي، فقد ينفر الطلبة من كتب العلماء العرب القدماء بسبب طريقة طرح المعلم لها، إذ نبّه البحث على أنّه يجب أن يحيا التراث اللغوي بجعل أبواب أساسية من كتاب سيبويه - على سبيل المثال - مع نُبذ من شروحه تحت متناول يد الطلبة، فضلاً عن محاولة المختصون تقريب المفاهيم و التصورات إليهم، وذلك بالتعليق والشرح فضلاً عن التنبيه على المناهج اللسانية الحديثة ومدى التقارب والابتعاد بينها وبين الدرس اللغوي العربي وبيان أصالته في كل ذلك .

١٠. تميّز منهج الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل الخطاب التراثي بالتنوع بين المناهج اللسانية و العودة إلى التراث اللغوي العربي و التطبيق على اللغة العربية ، وتتوّع هذه التوجهات في طرح موضوعاتها من خلال تنوّع النظريات و المناهج التي يقوم المؤلّف في كلّ مرة بسبر أغوارها، فضلاً عن تميّزه في طرح موضوعاته بلغة بسيطة واضحة و مباشرة، وهي في أغلب مؤلفاته لغةً مختصرة تميل بشكلٍ واضح إلى

استخدام المخططات و تلخيص المسائل اللغوية ، واستنتاج القواعد وصياغتها ، وهو ما يؤكد اتجاهه التوافقي والتيسيري ، وبينّ البحث أنّ خطابه التراثي يتحدد بكونه محصلة تقاطع مجموعة من الخطابات : الخطاب التراثي ، والخطاب اللساني الغربي ، و خطابه الخاص المتمثل في تحليلاته و استنتاجاته و موازناته التي يقيمها بين المفاهيم العربية و المفاهيم الغربية .

١١. اعتمد البحث اعتماداً كبيراً على ( كتاب سيبويه ) وما تضمنه من آراء نحوية لسيبويه وشيخه الخليل في الكشف عن الحقائق العلمية ؛ وذلك لاعتماد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هذه المدونة اللغوية الضخمة، فقد أعطى المؤلّف قيمة كبيرة للمصادر النحوية القديمة، ونبّه على ضرورة عدم التخليط بينها وبين الكتب شبه العلمية ، فضلاً عن أنّ الاعتماد على النص الأصلي يُؤهل الباحث لتحري الحقيقة اللغوية، مع فهم معناها الحقيقي الذي قصده النحوي الأول، وعدم الاكتفاء بالشروح .

١٢. أكّد البحث أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لم يكن مقلّداً أو اجترارياً - وإن كان يتكئ على التراث اللغوي العربي - فقد أبدع النظرية الخليلية الحديثة التي أفادت في مجالاتٍ حديثة كتنسير تعليم النحو، والمعالجة الآلية، إذ أبدع الحاج صالح نحو حدائوي جذوره عربية أصيلة .

١٣. بيّن البحث أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يعتمد على المنطق الرياضي في تجربته النحوية إذ اتبع منهجاً علمياً لإثبات القضايا المتداولة في المناهج اللسانية المعاصرة .

١٤. أبان البحث أنّ متابعة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أغلب مؤلفاته وبحوثه لعلمائنا العرب القدماء ولاسيّما الخليل وسيبويه في الجانب النظري، وعلماء القراءات والتجويد في الجانب التطبيقي في كثيرٍ من أسس وخطى منهجيتهم، مختلفاً معهم فيما أورده من بحوث واستدراكات خضعت إلى التجارب المخبرية والآلات، مع اعتماد العرض والتوضيح والتحليل لكثيرٍ من المسائل الصوتية، ووقف البحث على بعض مصطلحات القدماء التي تباهاها الحاج صالح وتفضيله إياها على غيرها من مصطلحات علم اللغة الحديث ، كمصطلح اللسان ، واستعماله لمفهوم الفضية و الذي يقصد به فضل الحرف على الصوت كما ورد في تراثنا العربي .

كما بيّن البحث رؤية الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة التي تمثّل أهم الملامح الرئيسية لدراسة القدماء للأصوات اللغوية بتقسيمها (phonetics) و (phonology) إذ رأى المؤلّف أنّ كل واحد من هذين القسمين يمكن

أن تخصص له دراسة على حدة و يستعان في ذلك بمناهج وتقنيات حديثة، مع إعجابه الكبير بما ورد في أعمال القدماء إذ إنّ أغلب نتائج دراساتهم قد بلغت الدقة في طرحها. ١٥. أثبت البحث أصالة النحو العربي، وردّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الشبهات القائلة بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي؛ وذلك بما استدل عليه بشهادة العقل و التاريخ . فالنحو العربي أصيل في ابتدائه، صَدَرَ عن عقلية عربية، ولما اتصلت هذه العقلية بثقافات أممٍ أخرى ، كان من الطبيعي أن يتأثر، فالتأثر والتأثير أمرٌ مقررٌ سلفاً بين اللغات والآداب المختلفة، وهذا لا يقلل من قيمة لغة من اللغات إن أخذت من اللغات الأخرى .

١٦. كشف البحث عن الخصائص التي ميّزت السماع اللغوي العربي، وجعلته سماعاً علمياً وعرفه د. الحاج صالح بأنّه " مدوّنة لغوية " واعتمده العلماء في مختلف العصور، فضلاً عن محاولته الموازنة بين المدوّنة اللغوية ( السماع اللغوي ) وما يُسميه البنيويون بـ ( المدوّنات اللغوية )، فضلاً عن توصله إلى أنّ السماع اللغوي العربي علمي عندما وافق البنوية وعلمي عندما خالفها أيضاً .

١٧. شكّل موقف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من البنوية موقفاً محايداً - كعادته - موضوعياً و علمياً ، فقد أوجد نقاط الاتفاق و الاختلاف بين منهج النحاة العرب القدماء والبنويين الغربيين ، فضلاً عن تعرضه لشرح هذه المناهج وتوجهها ووضعها، ونقاط ضعفها وقوتها ، كل ذلك من خلال تركيزه واهتمامه بما استدل عليه من أدلة علمية .

١٨. صرّح الدكتور عبد الرحمن الحاج بأنّ نظرية العامل هي من أروع ما ابتكره العلماء العرب - و لاسيّما الخليل و سيبويه - فوجد أنّ نظرية الربط العملي لتشومسكي لها جذور عربية ، فالعامل عنصرٌ نحوي ذو طبيعة توليدية ، تجعله قادراً على توليد العناصر النحوية الأخرى في الجملة ، فضلاً عن تأصيله لمفاهيم الربط العملي عند النحويين العرب ، ومن هذه المفاهيم : البناء ، والإجراء ، والحمل .

وأظهر البحث في نظرية العامل العربية أنّ العلماء العرب قد انطلقوا من المبنى إلى المعنى، وهذا لا يعدّ خلافاً منهجياً في الدرس النحوي ، بل هو ظاهرة لعناية النحاة بنظام المباني والمعاني ، إذ إنّ النحوي على علمٍ بأنّ المتلقي في عملية الاتصال اللغوي يبادر إليه المبنى أولاً ثم المعنى .

١٩. أدرجنا جهود الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الدلالية والتداولية في مبحث واحد ؛ لما لهما من علاقة وثيقة ، فالتداولية تقابل علم التراكيب و الدلالة ، وبرهن البحث من خلال جهوده التوافقية على وجود أصول تداولية في التراث اللغوي/ البلاغي العربي ،

فقد استنتجنا أنّ سيبويه استقرا وجوه اللغة العربية في الإعراب و البناء ، و مراعاة العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام ، فالعرب لم ترفع الفاعل و تنصب المفعول ، و تجر المضاف إليه هكذا اعتباطاً من غير قصد مقصود يُريد المتكلم إيصاله إلى السامع .  
 كما بيّن البحث أنّ العلماء العرب لا يفصلون بين ( التداولية و الدلالة و التركيب ) ، فلكل واحد منها خصوصية ، إذ يجمعون بين التراكيب و الدلالة أي ( اللفظ و المعنى ) و ينظرون فيهما معاً من جهتين: في الوضع و الاستعمال ، فلا ينفرد اللفظ و المعنى بل يوجدان في كلّ من الوضع و الاستعمال ، فضلاً عن أنّ هناك لفظاً خطابياً و معنى خطابياً يتحول الوضعي منهما إلى ما هو عليه في الاستعمال .

٢٠ . و آخر ما توصل إليه البحث هو إرتكاز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات التطبيقية على التراث اللغوي العربي ، محاولاً توظيفه بما يخدم اللغة العربية ، كحوسبة اللغة العربية ، و عمله في الذخيرة اللغوية العربية ، و المعالجة الآلية للغة العربية ، و هذا يدل على طواعية لغتنا للحاسب الإلكتروني و إمكانية تطبيق التكنولوجيا على اللغة العربية . و بيّن البحث إمكانية إعداد بنك آلي يُوفّر قاعدة من المعطيات تُخزّن كل المثل الإفرادية و اللفظية و التركيبية فضلاً عن الأوزان .

٢١ . فضلاً عن أنّ الاتجاه التوافقي يظهر واضح المعالم عند الحاج صالح في جهوده في الترجمة و المصطلح ، إذ سعى دائماً إلى إحياء المصطلح العربي القديم ؛ لأنّه أنسب للسياق الذي يرد فيه و لدقة المصطلحات التي استعملها القدماء .

و أخيراً أدعو الباحثين في مقامي هذا إلى قراءة التراث اللغوي العربي قراءةً مستفيضة ، ففيه كثيرٌ مما نبحتُ عنه ، و نجدُ في الوصول إليه ، إذ سيكون - إن شاء الله - لهذه القراءات الأثر الكبير في تقدم درس اللساني في العالم العربي ، فضلاً عن تمكّنا من عقد موازنةٍ بين التراث اللغوي العربي و اللسانيات المعاصرة اللذين يُمثّلان دعامة الماضي و الحاضر و المستقبل .

و الحمد لله أولاً و آخراً و الله من وراء القصد .

# المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم .
- ❖ ابن جني النحوي ، د. فاضل السامرائي ، دار عمار للنشر و التوزيع ، ط ٢ ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا افيتش ، ترجمة : د. سعد عبد العزيز مصلوح ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر ، حسام أحمد قاسم الشريف ، دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ❖ اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر د. عبد الرحمن حسن العارف ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- ❖ الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ❖ اجتهادات لغوية ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ إحصاء العلوم ، أبو نصر محمد الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) ، تحقيق : عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م .
- ❖ أحياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ❖ الادغام الكبير ، ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن حسن العارف ، عالم الكتب القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ❖ أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية و تعثرات الترجمة ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ٥ ، ٢٠١٠ م .
- ❖ أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن و تفسيره ، محمد مصطفى ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ أسباب حدوث الحروف ، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) ، تحقيق : محمد حسان الطيآن و يحيى مير علم ، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- ❖ استراتيجيات الخطاب – مقارنة لغوية تداولية ، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .
- ❖ أسرار البلاغة في علم البيان ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، مراجعة : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .
- ❖ أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق : بركات يوسف هبود ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، د. ط ، د. ت .
- ❖ الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية البنوية والتوليدية ، د. محمد محمد العمري ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- ❖ الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، د. مقبول إدريس ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، إربد/ الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، د. محمود فهمي حجازي ، دار غريب للطباعة و التوزيع ، د. ت .
- ❖ أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٩٨ م .
- ❖ الأسلوبية والأسلوب – نحو بديل ألسني في نقد الأدب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ٥ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ، د. حافظ اسماعيلي علوي و د. وليد أحمد العناتي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ الأشباه و النظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : د. سالم عبد العال مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- ❖ أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٧٠ م .

- ❖ إشكاليات القراءة و آليات التأويل ، د. نصر حامد أبو زيد ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط ٤ ، ١٩٩٦م.
- ❖ أصالة النحو العربي ، د.كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .
- ❖ الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مطبعة عبد الكريم حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، د.ب.ت.
- ❖ الأصول - دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- ❖ أصول التفكير النحوي ، د. علي أبو المكارم ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٦م.
- ❖ أصول الفكر اللغوي في دراسات القدماء و المحدثين - دراسة في البنية والمنهج، د. حامد ناصر الظالمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١١م.
- ❖ أصول النحو العربي في نظر ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث، د.محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ .
- ❖ أصول تراثية في علم اللغة ، كريم زكي حسام الدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٨م .
- ❖ الأصول في النحو ، ابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م .
- ❖ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، د.نايف خرما ، الكويت ، ١٩٧٨م .
- ❖ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د.محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١١م .
- ❖ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، د. أحمد المتوكل ، كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٩٣م .
- ❖ الاقتراح في أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ( ت ٥٩١١هـ ) ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م.
- ❖ أقسام الأخبار ، أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : د.علي جابر المنصوري، مجلة المورد ، العدد الثالث ، المجلد السابع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨م .
- ❖ الألسنية العربية ، ريمون طحان ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١م.
- ❖ الألسنية رواد و أعلام ، د. هيام كريدية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- ❖ الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار ومكتبة هلال، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ❖ الإمتاع و الموائسة ، أبو حيان التوحيدي ( ت ٣٨٠ هـ ) ، تحقيق : أحمد أمين و أحمد الزين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٥٣م .
- ❖ أمثال العرب ، المفضل الضبي (ت ١٦٨هـ)، مطبعة الجوانب ، الأستانة (استانبول ) ، ١٣٠٠هـ .
- ❖ إنباه الرواة على أبناء النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ.
- ❖ الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة - دراسة نحوية تداولية ، خالد ميلاد ، المؤسسة العربية للتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠١م .
- ❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين و الكوفيين ، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- ❖ الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية و تطبيقاً - دراسة بنوية ، د. جلال شمس الدين ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م .
- ❖ أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ، د.حسام البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- ❖ الإيضاح في شرح المفصل ، جمال الدين بن الحاجب ( ت ٦٤٦هـ ) ، تحقيق : موسى بناي العلي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦م .
- ❖ الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ( ت ٣٣٧هـ ) ، تحقيق : مازن المبارك ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، ١٩٥٩م .
- ❖ البحث اللغوي ، د.محمود فهمي حجازي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د.ت .
- ❖ البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١م.

- ❖ بحوث ألسنية عربية ، د.ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ❖ البديل المعنوي من ظاهرة الحذف ، د. كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت.
- ❖ بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
- ❖ البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، د.محمد العمري ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، د.ت .
- ❖ بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم ، القاهرة، ١٩٨٢ م .
- ❖ بناء المفاهيم – دراسة معرفية و نماذج تطبيقية ، د. طه جابر العلواني و آخرون، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- ❖ البنى النحوية ، نعوم تشومسكي ، ترجمة: د.يؤيل يوسف عزيز ، مراجعة : د.مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ م .
- ❖ بنية العقل العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٧ ، ٢٠٠٤ م .
- ❖ البيان في روائع القرآن ، د.تمام حسان ، مكتبة الأسرة ، مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ❖ البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق : د.طه عبد الحميد طه ، دار الكاتب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ❖ البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : د. حسين نصار ، وزارة الإرشاد و الأنباء ، الكويت ، ١٩٦٩ م .
- ❖ تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٤ م .
- ❖ تاريخ الفلسفة في الاسلام ، دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م .
- ❖ تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، د. علي أبو المكارم ، القاهرة الحديثة للطباعة ، ط ١ ، ١٩٧١ م .
- ❖ تأملات في الخطاب الجامعي ، عبد الكاظم العبودي ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، ٢٠٠٤ م .
- ❖ التحديد في الاتقان والتجويد ، أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ، تحقيق : د. غانم قدوري حمد ، جامعة بغداد ، مكتبة الخلود ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ❖ التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، د. صلاح إسماعيل عبد الحق ، دار التنوير ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- ❖ التحويل في النحو العربي – مفهومه أنواعه – صورة البنية العميقة للصيغ و التراكيب المحولة ، د. رابح بومعزة ، عالم الكتب للنشر و التوزيع ، إربد ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- ❖ التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د.مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي ، د.رمضان عبد التواب ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- ❖ التراث و التجديد- موقفنا من التراث القديم ، د.حسن حنفي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط ٤ ، ١٩٩١ م .
- ❖ التراث و الحدأة ، د. محمد عابد الجابري ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ❖ التراكيب النحوية من الوجة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، عبد الفتاح لاشين ، الرياض ، د.ط ، ١٩٨٠ م .
- ❖ تسليط العامل و أثره في الدرس النحوي ، أحمد علي محمد ، دار الثقافة العربية، القاهرة ، ١٩٩١ م .

- ❖ التشكيل الصوتي في العربية ، د. سلمان العاني ، ترجمة : د. ياسر الملاح ، مطابع النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- ❖ التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث، الطيب البكوش، تونس، ١٩٧٣م.
- ❖ تطبيقات في المناهج اللغوية ، د. إسماعيل أحمد عميرة ، دار وائل ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- ❖ التطور النحوي للغة العربية ، برجشترآسر(ت١٩٣٢م) ، ترجمة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م .
- ❖ تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي ، د. بشير التهالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ التعريف بعلم اللغة ، دافيد كرستل ، ترجمة : د. حلمي خليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- ❖ التعريفات ، محمد بن علي الجرجاني (ت٨٦١ هـ) ، تحقيق : نصر الدين التونسي ، شركة القدس المتحدة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ التعلم ونظرياته ، د. علي منصور ، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، منشورات جامعة تشرين ، اللاذقية ، د. ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ❖ التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث – الأصول و الاتجاهات ، د. خالد خليل هويدي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- ❖ التفكير العلمي في النحو العربي ، د. حسن خميس الملح ، دار الشروق ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ❖ التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، د. كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، د. ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ تقويم الفكر النحوي ، د. علي أبو المكارم ، دار الثقافة ، بيروت ، د. ط ١ ، د. ط ٢ .
- ❖ تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع ، الخطيب القزويني(٧٣٩هـ) ، المكتبة العلوية، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ تمام حسان رانداً لغوياً ، د. عبد الرحمن حسن عارف ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ تهذيب اللغة، ابو منصور الازهري (ت٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د. ط ١ ، ١٩٧٦ م .
- ❖ توطئة في علم اللغة ، التهامي الراجي ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨ م .
- ❖ جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي ، د. مازن الوعر ، لبنان ، ١٩٩٩ م .
- ❖ الجملة العربية – مكوناتها ، أنواعها ، تحليلها ، د. محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ الجملة الفعلية ، د. علي أبو المكارم ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ❖ جوانب من نظرية النحو ، نعوم تشومسكي ، ترجمة : مرتضى جواد باقر ، وزارة التعليم العالي ، جامعة البصرة ، د. ط ١ .
- ❖ حاشية الصبان على شرح الأشموني ، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ الحمل على المعنى في العربية ، د. علي عبد الله العنبيكي ، مركز البحوث و الدراسات ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- ❖ حوسبة اللغة العربية ، د. هشام الشيخ عيسى ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- ❖ الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ م .

- ❖ خصائص الخطاب اللساني – أعمال ميشال زكريا انموذجاً، هبة خيارى، دار الوسام العربي للنشر و التوزيع، الجزائر، ط ١، ٢٠١١م.
- ❖ الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د.أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
- ❖ الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ❖ الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، د.حسن مندبل العكلي، دار الضياء للنشر و التوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ❖ الخليل بن أحمد أعماله و منهجه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م.
- ❖ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط ١، ١٩٨٦م.
- ❖ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- ❖ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، د. فاضل السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠م.
- ❖ دراسات في اللسانيات العربية – بنية الجملة العربية، عبد الحميد السيد، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٤م.
- ❖ دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧١م.
- ❖ دراسات في فقه اللغة، د.صباحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤، ٢٠٠٠م.
- ❖ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، د.أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- ❖ دراسات لسانية تطبيقية، د.مازن الوعر، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.
- ❖ دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. مازن الوعر، دار المتنبى، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م.
- ❖ دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧م.
- ❖ دراسات و تعليقات في اللغة، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخاتجي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- ❖ دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ❖ الدرس النحوي في بغداد، د.مهدي المخزومي، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٤م.
- ❖ دروس اللغة العبرية، د.ريحي كمال، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م.
- ❖ دروس في الإلسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة: صالح القرماذي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٨٥م.
- ❖ دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيوي، ترجمة: صالح القرماذي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
- ❖ دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، د.بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية، ط ١، بغداد، ١٩٩٩م.
- ❖ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٣م.
- ❖ الدلالة اللغوية عند العرب، د.عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر و التوزيع، عمان، د.ط، د.ت.
- ❖ الدلالة والتفعيد النحوي – دراسة في فكر سيبيويه، د. محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ)، مراجعة: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.
- ❖ الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإعتصام، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩م.
- ❖ الرمز بين المدلول والتصور، لويك ديببكر، ترجمة: ريتا عوض، ضمن كتاب المعنى في علم المصطلحات، مركز دراسات الوحدة العربية المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ❖ روح الحداثة – المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٩م.
- ❖ رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، د. حسن خميس الملح، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٧م.

- ❖ سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل و أحمد رشدي عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م
- ❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ) ، دار الطلائع للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٩م
- ❖ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد الأشموني (ت ٩٢٩هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر ، ط٢ ، ١٩٣٩م.
- ❖ شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة ، أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- ❖ شرح الكوكب المنير ، تقي الدين أبو البقاء الفتوح ، مطبعة السنة المحمدية ، د.ط ، د.ت .
- ❖ شرح اللُّمَع ، أبو القاسم عبد الواحد العكبري (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : د.فانز فارس ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٤م .
- ❖ شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ) ، قَدَّم له: د.إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ❖ شرح شافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، الرضي الاستربادي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن و آخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م .
- ❖ شرح كافية ابن الحاجب ، الرضي الاستربادي(ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق : أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- ❖ شرح كتاب سيبويه ، أبو محمد السيرافي (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق : د.رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .
- ❖ شظايا لسانية ، د.مجيد الماشطة ، دار السياح ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ❖ الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٧م .
- ❖ ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، د.ت .
- ❖ الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. صلاح الدين ززال ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ❖ العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه و دوره في التحليل اللغوي ، د.خليل عميرة ، جامعة اليرموك ، د.ط ، د.ت .
- ❖ عبقرى من البصرة ، د. مهدي المخزومي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢م.
- ❖ العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية ، د.نهاد الموسى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- ❖ العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م، ط٢.
- ❖ العربية بين السلفية والتعقيد - دراسة لسانية ، د. رياض عثمان ، دار الكتب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- ❖ العربية والإعراب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ❖ العربية والنص القرآني - دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن و معانيه في أوائل القرن الثالث الهجري ، عيسى شحاته علي ، دار قباء ، ٢٠٠١م.
- ❖ العربية و علم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث ، د.حلمي خليل ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨م .
- ❖ علل النحو ، ابن الوراق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : محمود جاسم درويش ، بغداد ، د.ت .
- ❖ علم الأصوات ، برتيل مالبرج ، تعريب : د. عبد الصبور شاهين ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- ❖ علم الترجمة بين النظرية والتطبيق ، محمد ديداوي ، دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس ، ١٩٩٢م .
- ❖ علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٨م .
- ❖ علم الدلالة ، بيار غيرو ، ترجمة : أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- ❖ علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة : د.مجيد الماشطة و آخرون ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٠م .

- ❖ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، د.منقور عبد الجليل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .
- ❖ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، د.هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠١ م .
- ❖ علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق - دراسة تأريخية تأصيلية نقدية ، د.فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦ م .
- ❖ علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيقية ، د.فريد عوض حيدر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ علم الدلالة دراسة و تطبيقاً ، د.نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٥ م .
- ❖ علم اللسانيات الحديثة ، د.عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة ، مصر ، ط١ ، د.ت .
- ❖ علم اللغة العام - الأصوات ، د.كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يونيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي ، د. مالك المطليبي ، بيت الموصل ، ١٩٨٨ م .
- ❖ علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، د.محمود فهمي حجازي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، مصر ، ١٩٧٠ م .
- ❖ علم اللغة بين القديم و الحديث ، د.عبد الغفار عامر هلال ، ط٣ ، ١٩٨٩ م .
- ❖ علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي ، د.محمود السعران ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت .
- ❖ علم اللغة و صناعة المعجم ، د. علي القاسمي ، مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض ، ١٩٧٥ م .
- ❖ علم النص ، جوليا كرسنيفا ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ م .
- ❖ علم لغة النص - المفاهيم و الاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- ❖ عن أساسيات الخطاب العلمي و الخطاب اللساني في المنهجية في الأدب و العلوم الإنسانية ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، دار توبقال ، ط٢ ، ١٩٩٣ م .
- ❖ العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د.مهدي الخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ م .
- ❖ فصول في علم الدلالة ، د.فريد عوض حيدر ، مكتبة الآداب ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ فصول في علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير (ت ١٩١٣م) ، ترجمة : د. أحمد نعيم الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط٣ ، د.ت .
- ❖ فصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، د.ت .
- ❖ فقه اللغة العربية ، د.كاصد ياسر الزيدي ، مديرية دار الكتب للطباعة و النشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ م .
- ❖ فقه اللغة العربية و خصائصها ، د.إميل يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- ❖ فقه اللغة في الكتب العربية ، د.عبد الرحيم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ط ، ١٩٧٩ م .
- ❖ فقه اللغة و اسرار العربية ، ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٣٩هـ) ، دراسة و تحقيق : مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة د. ط. د.ت .
- ❖ الفكر البلاغي عند النحويين العرب ، عزّام عمر الشجراوي ، دار البشير ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ الفكر النحوي عند العرب أصوله و مناهجه ، د. علي مزهر الياصري ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- ❖ في إصلاح النحو ، عبد الوارث مبروك سعيد ، دار القلم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٥ م .
- ❖ في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، جامعة دمشق ، ط٣ ، ١٩٦٤ م .
- ❖ في الاصوات اللغوية - دراسة في اصوات المد العربية ، د. غالب المطليبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤ م .
- ❖ في اللسانيات العامة - تاريخها ، طبيعتها ، موضوعها ، مفاهيمها ، د. مصطفى غلفان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- ❖ في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م .
- ❖ في النحو العربي قواعد و تطبيق ، د.مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦ م .

- ❖ في النحو العربي نقد و توجيه ،دمهدي المخزومي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ في بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .
- ❖ في حركة تجديد النحو و تيسيره في العصر الحديث ، د. نعمة رحيم الغزوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ❖ في علم الاصوات المقارن، التغير التاريخي للاصوات في اللغة العربية واللغات السامية، د. أمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الاردن، ٢٠٠٥ م.
- ❖ في علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- ❖ في نحو اللغة و تراكيبها - منهج و تطبيق ، د. خليل أحمد عميرة ، عالم المعرفة ، السعودية ، ط ١ ، د.ت .
- ❖ قضايا استمولوجية في اللسانيات ، د. حافظ اسماعيلي ود. محمد الملاخ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، د. مازن الوعر ، دار طلاس للطباعة و النشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ❖ قضايا ألسنية تطبيقية ، د. ميشال زكريا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- ❖ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، د. أحمد المتوكل ، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- ❖ قضايا لسانية و حضارية ، د. منذر عياشي ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- ❖ قواعد تحويلية للغة العربية ، د. محمد علي الخولي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ❖ الكتاب ، سيوييه ، أبوبشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م .
- ❖ كتاب الابدال ، يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) تحقيق : حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ❖ كتاب الحروف، ابو نصر الفارابي(ت ٣٣٩ هـ) تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- ❖ كتاب الحيوان ، أبو عمر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م .
- ❖ كتاب السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، د.ت .
- ❖ كتاب الشعر - في الشفاء - المنطق (٩) ، ابن سينا ، تحقيق : عيد الرحمن بدوي، د.ط ، ١٩٦٦ م .
- ❖ كتاب الصناعتين - الكتاب والشعر ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : علي محمد النجار و محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، د.ت .
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، شرحه و ضبطه : يوسف الحمّادي ، دار مصر للطباعة ، ط ١ ، د.ت .
- ❖ كشف المُشكل في النحو ، حيدرة اليمني (ت ٥٩٩ هـ) تحقيق: د. يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- ❖ الكلام إنتاجه و تحليله ، د. عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- ❖ الكلمة دراسة لغوية و معجمية ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ٢ ، د.ت .
- ❖ الكليات ، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٦٨٣ هـ) ، إعداد : عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٩٩٣ م .
- ❖ كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات ، د. كريم عبيد علوي، منشورات ضفاف، بيروت، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- ❖ كيف نقرأ التراث ؟ ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة البخاري للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ اللباب في علل البناء و الإعراب ، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) ، تحقيق : غازي طليمات و عبد الإله نبهان ، مطبوعات مركز جمعة الماجد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .

- ❖ لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦م .
- ❖ اللسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللغة ، د.حسن ظاظا ، دار القلم للطباعة والنشر و التوزيع ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٠م .
- ❖ اللسانيات – المجال والوظيفة والمنهج : د. سمير شريف استيتية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ٢ ، ٢٠٠٨م.
- ❖ اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، د. نعمان بوقرة ، عالم الكتب الحديث، إربد ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
- ❖ اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات ، د. مصطفى غلفان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط ١ ، ٢٠١٣م .
- ❖ اللسانيات الرياضية و العروض ، مصطفى حركات ، دار الحدائة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م .
- ❖ اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية المصادر و الأسس النظرية و المنهجية ، د.مصطفى غلفان ، منشورات كلية الآداب ، الدار البيضاء ، عين الشق، ١٩٩٨م .
- ❖ اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية ، محمد الأوراغي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- ❖ اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط ٣ ، د.ت .
- ❖ اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري ، د. أحمد المتوكل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠١٠م .
- ❖ اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة – حفريات النشأة و التكوين، د.مصطفى غلفان ، شركة المدارس للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٦م .
- ❖ اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته ، د.حافظ اسماعيلي علوي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
- ❖ اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٨٤م.
- ❖ اللسانيات وأسسها المعرفية ، د. عبد السلام المسدي ، دار الوطنية للنشر ، تونس ، ١٩٩٧م .
- ❖ اللسانيات وأفاق الدرس اللغوي ، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر و المطبعة العلمية ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١م.
- ❖ اللسانيات والدلالة ، د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، ط ١ ، ١٩٩١م .
- ❖ اللسانيات واللغة العربية – نماذج تركيبية ودلالية ، د.عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- ❖ اللسانيات واللغة العربية (في جزئين) ، د.عبد القادر الفاسي الفهري ، دار توبقال ، المغرب ، ط ٣ ، ١٩٩٣م .
- ❖ اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠٠٧م .
- ❖ اللغة العربية و الحاسوب ، د.نبيل علي ، دار غريب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨م
- ❖ اللغة بين المعيارية و الوصفية ، د. تمام حسان ، دار الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١م.
- ❖ اللغة والعقل ، نعوم تشومسكي ، ترجمة : بيداء علي العلكاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٦م .
- ❖ اللغة، جوزيف فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان ، مصر ، ١٩٦٦م.
- ❖ لمع الأدلة في ضمن ( الإعراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة في أصول النحو) ،رسالتان لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٩٥٧م .
- ❖ اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٩٧٨م.
- ❖ مباحث تأسيسية في اللسانيات ، د.عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- ❖ مباحث في علم اللغة و اللسانيات، د.رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط ١ ، ٢٠٠٢م.
- ❖ مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، نور الهدى لوشن ، المكتب الجامعي الحديث ، الشارقة ، ٢٠٠٨م
- ❖ مبادئ اللسانيات ، د.أحمد محمد قدور ، الدار العربية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١م .
- ❖ مبادئ في اللسانيات ، د.خولة طالب الإبراهيمي ، دار القصبية للنشر ، الجزائر، ط ٢ ، ٢٠٠٦م .
- ❖ محاضرات في الأسس العامة ، دي سوسير ، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- ❖ محاضرات في اللغة، د. عبد الرحمن ايوب، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١ ، ١٩٦٦م.

- ❖ محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، د. شفيقة العلوي ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٨ ، ٢٠٠٤م .
- ❖ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : علي نجدي ناصف و آخرون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ❖ المحكم في نقط المصاحف، ابو عمرو الداني(ت٤٤٤هـ) تحقيق: محمد حسن اسماعيل ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ❖ المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن بن سيده (ت٤٥٨ هـ)، تحقيق : عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- ❖ المخصص في اللغة، ابن سيده(ت٤٥٨هـ) المكتب التجاري للطباعة ، بيروت(اوفسيت عن المطبعة الكبرى الاميرية)، يولاق، ١٣٢١هـ.
- ❖ مداخلات لسانية – مناهج و نماذج ، د. بنعيسى أزابيط ، سلسلة دراسات وأبحاث ، جامعة مولاي إسماعيل ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، المغرب – مكناس ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ❖ مدارس اللسانيات – التسابق والتطور ، جيفري سامسون ، ترجمة : محمد زياد كبة ، السعودية / الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٩٧م .
- ❖ المدارس اللسانية المعاصرة ، د. نعمان بوقرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- ❖ مدخل إلى اللسانيات ، د. محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- ❖ المدخل إلى تاريخ العلم ، جورج سارطون ، طبعة Baltimore ، ١٩٢٧م .
- ❖ مدخل إلى دراسة الجملة ، د. محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٨م .
- ❖ مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
- ❖ مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ❖ مدخل لفهم اللسانيات ، مارتان ، ترجمة: د. عبد القاهر المهيري ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ❖ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦م .
- ❖ مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية ، د. بان صالح الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ❖ المرايا المقعرة – نحو نظرية نقدية عربية ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠١م .
- ❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : فواد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- ❖ مشكلات حياتنا اللغوية ، د. أمين الخولي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٥م .
- ❖ المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، د. خليفة الميساوي ، دار الأمان ، الرياض، ط١ ، ٢٠١٣م .
- ❖ المعاجم العربية ، د. عبد الله درويش ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٥م .
- ❖ المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٦٦م .
- ❖ المعاجمية العربية – قراءة في التأسيس النظري ، الجبالي حلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- ❖ معاني القرآن ، أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ، دار السرور ، د. ط١ ، ١٩٥٥م .
- ❖ معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٣م .
- ❖ المعجم العربي – نشأته و تطوره ، د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨م .
- ❖ المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م .
- ❖ المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دار الثقافة ، ط٢ ، ١٩٧٩م .
- ❖ معجم المصطلحات اللسانية ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

- ❖ المعجم المفصّل في علوم اللغة ( الألسنيات )، د.محمد التوبجي و أ.راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ❖ المعجم المفصّل في فقه اللغة، د. مشتاق عباس معن، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.
- ❖ المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق العريب في الوطن العربي، تونس، ١٩٨٩م.
- ❖ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى و آخرون، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٦، د.ت.
- ❖ المعنى و ظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية، د.محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ❖ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام الأنصاري ( ت ٧٦١ هـ )، تحقيق: د. مازن المبارك و آخرون، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم، ط٥، ١٩٧٢م.
- ❖ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أحمد السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ )، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ❖ المفصّل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ )، دار الجيل للنشر والتوزيع و الطباعة، بيروت، ط٢، د.ت.
- ❖ مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ( ت ٣٩٥ هـ )، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٠م.
- ❖ المقتضب، أبو العباس المبرّد ( ت ٢٨٥ هـ )، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٥م.
- ❖ المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ )، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.
- ❖ مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ❖ مقدمة في علوم اللغة، زهران البدراني، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٦م.
- ❖ المقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: د.عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، ٢٠٠١م.
- ❖ مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، د. مرتضى جواد باقر، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.
- ❖ مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
- ❖ الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦م.
- ❖ من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م.
- ❖ من البيداغوجية إلى الديدكتيك، دراسة وترجمة: د. رشيد بناني، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
- ❖ من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية، السيد محمد تقي الحكيم، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ❖ مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، د.نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١م.
- ❖ مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.
- ❖ مناهج التأليف النحوي، د.كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
- ❖ مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.
- ❖ مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، د. عطا محمد موسى، دار الإسراء للنشر و التوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
- ❖ المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم - الأصول و الامتداد، د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.
- ❖ منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، د.لطيفة النجار، دار العالم للنشر و التوزيع، دبي، ٢٠٠٣م.
- ❖ المنصف شرح كتاب التصريف لابي عثمان المازني ( ت ٢٤٧ هـ )، ابو الفتح عثمان بن جني ( ت ٣٩٢ هـ )، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- ❖ المنطق في اللسانيات ، ينس ألوود و لارس غونار و أوستن دال ، ترجمة وتقديم : عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣م.
- ❖ منهج البحث الأدبي ، د.علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- ❖ منهج البحث اللغوي ، د.محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، د.ط، ٢٠٠٣م.
- ❖ منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- ❖ المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ❖ المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ، د. نوزاد حسن أحمد ، دار دجلة ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ❖ منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي ، د. محمد كاظم البكاء ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١م .
- ❖ المنوال النحوي العربي – قراءة لسانية جديدة ، د.عز الدين المجدوب ، دار محمد علي الحامي للنشر و التوزيع ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- ❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت ١٤١٤هـ) ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ١٩٨٩م .
- ❖ مواهب الفتح ( ضمن شروح التلخيص ) ، ابن يعقوب المغربي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٣٧م.
- ❖ الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، عبد العليم إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣ ، د.ت .
- ❖ موضوعات في نظرية النحو العربي – دراسة موازنة بين القديم والحديث ، د. زهير غازي زاهد ، دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ❖ الموقعية في النحو العربي – دراسة سياقية ، حسين رفعت حسين ، عالم الكتب ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- ❖ مولد اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، قدم له و علق عليه : د. نزار رضا ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م.
- ❖ نحو التيسير – دراسة و نقد منهجي ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د.ط ، ١٩٨٤م .
- ❖ النحو العربي – العلة النحوية نشأتها و تطورها ، د.مازن المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٤م .
- ❖ النحو العربي والدرس الحديث – بحث في المنهج ، د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦م.
- ❖ النحو الغائب ، عمر يوسف عكاشة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- ❖ نحو القرآن ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤م .
- ❖ النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د. هناء محمود إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- ❖ نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ٢٠٠٦م .
- ❖ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة و الحياة اللغوية المتجددة ، الأستاذ عباس حسن ، نشر ناصر خسرو ، طهران ، ط٧ ، ٢٠٠٤م .
- ❖ نحو علم الترجمة ، يوجين نيدا ، ترجمة : ماجد النجار ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٦م .
- ❖ النحو في القديم و الحديث ، د. محمد محمود غالي ، مطابع الأهرام التجارية ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- ❖ نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكمات الأساسية في اللغة العربية ، د. مازن الوعر ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٢م .
- ❖ النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣م .
- ❖ النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد أحمد عرفة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ط، د.ت .

- ❖ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ❖ نشأة الدراسات اللغوية العربية ، د.إسماعيل عميرة ، مطبعة وائل ، الأردن ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ نشأة درس اللساني العربي الحديث ، د. فاطمة الهاشمي بكوش ، دار ايتراك للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
- ❖ النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الملقب بابن الجزري ( ت ٨٣٣هـ ) ، تقديم : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د.تمام حسان ، عالم الكتب ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ❖ النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ نظام الجملة في شعر المعلقات ، د. محمود أحمد نحلة ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩١ م .
- ❖ نظام الخطاب ، ميشال فوكو ، ترجمة : محمد سبيلة ، دار التنوير للطباعة و النشر ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- ❖ نظرات في التراث اللغوي العربي ، د. عبد القادر المهيري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- ❖ نظرات في الجملة العربية ، د. كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ نظرة عامة في المعجم العربي - نشأته و مراحل تطوره ، د. خلف رشيد نعمان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ نظريات في اللغة ، د. أنيس فريحة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١ م .
- ❖ نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، د. حسن خميس الملح ، دار الشروق ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ نظرية الفعل الكلامي - بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، هشام عبد الله الخليفة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ❖ النظرية اللغوية العربية الحديثة ، د. جعفر دك الباب ، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب ، د.ط ، ١٩٩٦ م .
- ❖ النظرية اللغوية في التراث العربي ، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم ، دار السلام للطباعة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ النظرية اللغوية للترجمة ، جي بي كاتفورد ، ترجمة : عبد الباقي الصافي ، البصرة ، ١٩٨٣ م .
- ❖ نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د. كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ❖ نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية الحديثة ، د.كريم عبيد علوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
- ❖ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د.نهاد الموسى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- ❖ نظرية تشومسكي اللغوية ، جون لاينز ، ترجمة : د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٧٠ م .
- ❖ نظرية نحو الكلام - رؤية عربية أصيلة ، د. كريم حسين ناصح الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .
- ❖ النكت في تفسير كتاب سيبويه ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الملقب بالأعلم الشنتمري ( ت ٤٧٦هـ ) ، تحقيق : د. يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ همع الهوامع في شرح الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٨٠ م .
- ❖ الوظائف التداولية في اللغة العربية ، د.أحمد المتوكل ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م .
- ❖ الوظيفة و تحولات البنية ، د.فيصل إبراهيم صفا ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

## ثانياً : البحوث و الدوريات :

- ❖ الابدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث، د. اسماعيل الطحان، مجلة آداب المستنصرية، العدد الاول/ السنة اولى، ١٩٧٦م.
- ❖ الاتجاه البراغماتي ، لطيفة النجار ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، العدد الأول ، المجلد ١٧ ، ١٩٨٦ م .
- ❖ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح و جهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية ، د. الشريف بوشحدان ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد السابع ، ٢٠٠٩ م .
- ❖ استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة – الوظيفية نموذجاً ، د. أحمد المتوكل ، مجلة المناظرة ، العدد ٦ ، ١٩٧٨ م .
- ❖ أصالة الخطاب في اللسانيات الخيلية الحديثة ، د.بشير ابرير ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد السابع ، ٢٠٠٥ م .
- ❖ أصول الأسنية عند النحاة العرب ، د. صبحي الصالح ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، العددان الثامن و التاسع ، ١٩٧٩ م .
- ❖ إعتبرات نظرية وتطبيقية في تدريس القواعد لمتعلمي العربية من غير الناطقين بها ، د. عيسى الشريفوني ، مجلة اللغة العربية ، العدد الثاني ، المجلد ١٨ ، الجزائر ، ١٩٩٨ م .
- ❖ الاقتضاء في التداول اللساني ، د. عادل فاخوري ، عالم الفكر ، العدد الثالث ، المجلد العشرون ، الكويت ، ١٩٨٩ م .
- ❖ الألسنية المعاصرة و العربية ، د. رشيد العبيدي ، مجلة الذخائر ، العدد الأول ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ آليات تحليل الخطاب في كتاب سيوييه ، د.بشير ابرير، مجلة كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر- بسكرة-، العددان العاشر و الحادي عشر ، ٢٠١٢ م .
- ❖ البعد التداولي عند سيوييه ، د. إدريس مقبول ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد ٣٣ ، الكويت ، ٢٠٠٤ م.
- ❖ تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي و الجرجاني في نظرية تشومسكي ، د.جاسم علي جاسم ، مجلة التراث العربي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، العدد ١١٦ ، ٢٠٠٩ م.
- ❖ تشومسكي في عيد ميلاده السبعين ، د. حمزة المزيني ، صحيفة الرياض السعودية ، ٢٥ / ٨ / ١٤٢٠ هـ .  
العنوان الإلكتروني: <http://www.Hmazainy.Comitshomesky2.htm3> .
- ❖ تعليم النحو بين النظرية والتطبيق ، د. تمام حسان ، مجلة المناهل ، وزارة الثقافة ، الرباط ، العددان السابع و الثامن ، ١٩٧٦ م .
- ❖ التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب لابن جني، هنري فليش، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، العدد ٢٣ / ١٩٦٨م.
- ❖ توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية – جهود و نتائج، د. عبد الرحمن حسن العارف ، مجلة البحوث العلمية ، مركز بحوث اللغة العربية و آدابها ، مكة المكرمة ، العدد الرابع ، ١٤٢٦ هـ .
- ❖ الثقافة العربية وعصر المعلومات ، د. نبيل علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، ٢٠٠١ م ( سلسلة عالم المعرفة ، رقم ٢٦٥ ) .
- ❖ حول المشروع العلمي للترجمة ، جابر عصفور ، مجلة العربي ، الجزائر ، العدد ٤٩٤ ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية ، د. مازن الوعر ، مجلة اللسانيات ، العدد السادس ، الجزائر ، ١٩٨٢ م .
- ❖ الخطاب والأيدولوجيا، سارة ميلز ، ترجمة : يوسف بغول ، حولية مختبر الترجمة في الأدب و اللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، العدد الأول ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ خواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة ، د. عبد القادر المهيري ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد العاشر ، ١٩٧٣ م .
- ❖ الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي، د. جعفر دك الباب ، مجلة المعرفة ، دمشق ، العدد ٢٣٤ ، ١٩٨١ م .

- ❖ الدراسات اللغوية عند العرب - المعطيات والمآخذ، د. هادي نهر، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثالث، السنة الثالثة ١٩٧٨م.
- ❖ دراسة في المنهج الصوتي عند العرب ، أكرم عثمان يوسف ، الموقف الأدبي ، دمشق ، العدد ١٣٥ ، ١٩٨٢م.
- ❖ العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي ، د. شفيقة العلوي ، حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد السابع ، ٢٠٠٧م .
- ❖ علم الدلالة عند العرب ، د. عليان بن محمد الحازمي ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها ، العدد ٢٧ ، المجلد ١٥ ، ٥١٤٢٤ .
- ❖ الفكر الرياضي و النحو العربي ، محمد كشاش ، مجلة اللسان العربي ، العدد ٤١ .
- ❖ الفكر العربي والألسنية ، د. عبد السلام المسدي ، بحث منشور ضمن أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية ، العدد الرابع ، ١٩٨١م .
- ❖ في تعليمية الخطاب العلمي ، د.بشير ابرير ، مجلة التواصل ، العدد الثامن ، عناية ، ٢٠٠١م .
- ❖ القياس اللغوي و تنمية الألفاظ ، د. حامد صادق قنيني ، مجلة اللسان العربي ، العدد ٣٧ ، ١٩٩٣م .
- ❖ الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج - قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصياغة ، د.نعمان عبد الحميد بوقرة ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، العدد الأول ، ٢٠٠٩م .
- ❖ لسانيات الظواهر و باب التعليق ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، ضمن البحث اللساني و السيميائي، سلسلة رقم (٦)، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٨٤م
- ❖ اللسانيات و الترجمة ، عمر أحسن ، مجلة الآداب ، العدد ١٥ ، د.ت .
- ❖ اللغة العربية و الحدائث ، د. تمام حسان ، مجلة فصول ، العدد الثالث ، المجلد الرابع ، ١٩٨٤م .
- ❖ مدارج التقطيع الصوتي في النظرية اللغوية عند العرب، د. عبد السلام المسدي، مجلة آفاق عربية، العدد الاول، السنة الخامسة، ١٩٧٩م.
- ❖ مدخل إلى علم اللسان الحديث ، د. عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللسانيات ، معهد العلوم الصوتية و اللسانية ، الجزائر ، العدد الأول ، ١٩٧١م .
- ❖ مراعاة المخاطب في بناء الأحكام النحوية في كتاب سيبويه ، د.كريم حسين ناصح الخالدي ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، المجلد الثلاثون ، بغداد ، ٢٠٠٢م.
- ❖ مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية ، د. عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، العدد الثاني ، الجزائر ، ١٩٩٩م .
- ❖ المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ، د. أحمد مختار عمر ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد العشرين ، الكويت ، ١٩٨٩م .
- ❖ المصطلح اللساني ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، مجلة اللسان العربي ، العدد ٢٣ ، ١٩٨٣م .
- ❖ المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة ، د. محمد صاري ، مجلة كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة عناية ، العدد الثامن ، ٢٠١٠م .
- ❖ مكانة البحث اللغوي القديم من علم اللغة الحديث ، د. هيام كريدية ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، العددان الثامن و التاسع ، ١٩٧٩م .
- ❖ منطق النحو العربي والحاسوب ، د.محمد كاظم البكاء ، ضمن أعمال ندوة الحاسبات و اللغة العربية ، ١٩٩٢م.
- ❖ منهج القران و أثره في التحصيل المدرسي ، جميل حمداوي ، المجلة التربوية ، الكويت ، العدد الأربعون ، المجلد العاشر ، ١٩٩٦م .
- ❖ النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري ، د. علي أبو المكارم ، مجلة معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٨٤م .
- ❖ النحو العربي و منطق أرسطو ، د. عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الجزائر ، العدد الأول ، ١٩٦٤م .
- ❖ النحو بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي ، د.محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، العدد الأول ، المجلد الخامس ، ١٩٨٤م .

- ❖ نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه ، جيرار تروبو ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد الأول ، المجلد الأول ، ١٩٧٨ م .
- ❖ النص الأدبي و مبدأ ربط النحو بالبلاغة ، د. عمار ساسي ، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ، العدد الثامن .
- ❖ النظام اللغوي بين الشكل و المعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية معناها و مبناها ، محمد صلاح الدين الشريف ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد السابع ، ١٩٧٩ م .
- ❖ النظريات النحوية و الدلالية في اللسانيات التحولية و التوليدية ، د. عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللسانيات ، العدد السادس ، معهد العلوم الصوتية و اللسانية ، الجزائر ، ١٩٨٢ م .
- ❖ النظرية الخليلية الحديثة ، د. عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ، العدد العاشر ، ١٩٩٦ م .
- ❖ واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي - الخطاب اللساني انموذجاً ، د. الشريف بوشحدان ، مجلة اللغة العربية ، العدد السادس ، الجزائر ، ٢٠٠٢ م .
- ❖ واقع المعجم العربي المعاصر و آفاق المستقبل ، الجبالي حلام ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، العدد الثاني ، الجزائر ، ١٩٩٩ م .

### ثالثاً : الرسائل والأطاريح :

- ❖ أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة ، حيدر سعيد مرزة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٦ م ، رسالة ماجستير .
- ❖ التقاء الساكنيين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث ، صباح عطوي عبود ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٨ م ، أطروحة دكتوراه .
- ❖ الفكر اللساني عند الدكتور مازن الوعر ، محمود حمد سماري ، كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨ م ، رسالة ماجستير .
- ❖ محاولات تيسير النحو قديماً و حديثاً - دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات ، محمد صاري ، جامعة عنابة ، الجزائر ، ٢٠٠٣ ، أطروحة دكتوراه .
- ❖ موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي ، مطير بن حسين المالكي ، جامعة أم القرى ، ٥١٤٢٣ ، رسالة ماجستير .
- ❖ نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه ، سعيد أحمد البطاطي ، كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٢ م ، أطروحة دكتوراه .

### رابعاً: الكتب الأجنبية:

1. Aintinary of theor etical lingusitices, AL- Khuli. M.A, Librarie deliban, first edition, 1982

2..Elements deling General, A.Martinet, Paris, 1976.

3.Linguistique arabe etlinguistique general essaide methodologie etdepisemologieduilmal, Arrabiyya these dactylographiee, A.IHaJe Salehe, Parise, Sorbonne, 1979.

4.Laconceplion phonetique des Arabes dapres lesiral- sinaad. Ibn DJinni, H.fleish, Z.D.M.G, 1958.

5.Meaning and syntexte, Ullman, Oxford, 1973.

6.Principe de phondogi, Troubetzkoy,traduction francaise, klincksieck, paris, 1970.

7.Structures syntaxiques, Noamchomsicy, leseuil, Paris, 1969.

8.Syntactic theory, N.chomsky, cambride, MITParis, 1972.

9.Reflexion surlasture primitive delanalyse grammaticale enarabe, L.Massignon, 1954.

**ملخص الاطروحة  
باللغة الانكليزية**

## ***Abstract***

**This study aims to find the direction of a compromise between linguistics heritage and contemporary linguistics represented by the efforts of the flag of the flags of the lesson lingual modern Arabic in the Arab world and is Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh, who tried to digest contemporary linguistics through a re-reading of the Arab heritage and especially (thought Khalili) , and is the approach adopted by the distinctive collection of Arab linguists, and that the absorption of the tongue of modern science in the West, and to understand and represent, and to fathom the Arab heritage lingual, like what he is doing some linguists in the Arab world, including: Dr. Ahmed Mutawakkil and Abdel-Qader Fassi Fihri from Morocco, Abdul Salam Masdi of Tunisia and Mazen rugged of Syria and Michel Zakaria of Lebanon and Dr. Karim Hussein Khalidi of Iraq and others, he has introduced these researchers thought lingual Arab in scientific dialogue with real thought lingual contemporary determines the location of it, as well as that this dialogue sponsor researcher to enter the Arab world to search lingual to become Arabs Meshmin real output in the lingual and put forward a development; because we have thought for Sanya can develop it, or develop aspects of it to be put forward for contemporary Sanya on a global level.**

Thus, we can say: It is not a shame that we learn what creativity for others, and do not take them as befitted origins of modernity, but this does not justify Azova for our credit linguistic and do not even cognitive General; and so the best solution to this issue, is to adopt the trend compromise is not excessive and do not overcook it preserves the originality of our heritage, and familiar with the principles of the modern curriculum. And thereby avoid prison of our heritage and a huge cast him into the world, Fteratna thought authentic, and we will not prove this unless Okhrzinah originality to the world, and the world will not undo blades, but what if we used the keys to reading contemporary Evqgaha everyone.

And any action that can not be accomplished unless motives, the motives that motivated me to choose this subject, perhaps the most important, cash bitter face of research and linguistic studies that take direction harmonic approach in her research, as well as try some researchers undermining heritage and underrated.

It also grew the desire I have to open up the search trends lingual contemporary by rooting for our heritage Arabic language, and identify the most important bases and objectives Portal last of these motives absence of approaches to linguistic between linguistics heritage and contemporary linguistics, take direction harmonic approach her, it is still these studies represent an arena Thera research and study, and deserves - right - multiple efforts to revive the Arab heritage in general and especially the language.

**And has research found a number of important results are:**

- The research revealed that the trend is more harmonic presence trends in reading the Arab heritage.**
- Research has proven that the term (linguistics Heritage) is actually in the arena of search lingual Arab and intended to re-read the linguistic heritage of the Arab in the light of modern linguistic approaches.**
- To stop the search when (Alhalilih modern theory), which is a direct continuation of the thought-Khalili, as well as it is of the most important experiences of Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh, has promised to this theory, the most important experiences of facilitation of linguistics and rounded specialists in Arabic language studies.**
- Find relied heavily on the (book Sibawayh) and the contents of the views of the grammatical Sibawayh sheikh of Hebron and in the detection of scientific facts;, and that the adoption of Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh this blog linguistic huge.**
- research to see Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh in theory Alhalilih modern, which represents the most important key features for the study of ancient sounds linguistic divide them (phonetics) and (phonology) as the author's opinion that each and every one of these sections can be devoted to his study on the unit and be used in the**

**approaches and modern techniques, with great admiration for what was stated in the work of the ancients as the majority of the results of their studies have reached precision to ask.**

- **Find proved the authenticity of Arabic grammar, and response, Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh suspicions argument with emotion as the Arab Aristotelian logic; and so as evidenced by the testimony of the mind and history.**
- **Dr. Abdul Rahman Al-Hajj that the theory of the coolest factor is what scientists invented the Arabs - and especially Hebron and Sibawayh - and found that the theory of global connectivity to Chomsky her Arab roots.**
- **Find demonstrated through his harmonic on the existence of the assets in a deliberative linguistic heritage / Arab rhetoric.**
- **The trend shows harmonic clearly defined when Haj Saleh in his efforts in translation and terminology, as it has always sought to revive the old Arab term; to be the most appropriate for the context in which it is given and the accuracy of the terminology used by the ancients.**

**The Researcher**